المجالس الحسينية

دراسات موضوعية في الإمام الحسين (ع) وعشرة محرم
وهي حصيلة ٧٠ عاماً في خدمة المنبر الحسيني

تأليف

العلامة الخطيب المحقق الشيخ عبد اللطيف البغدادي

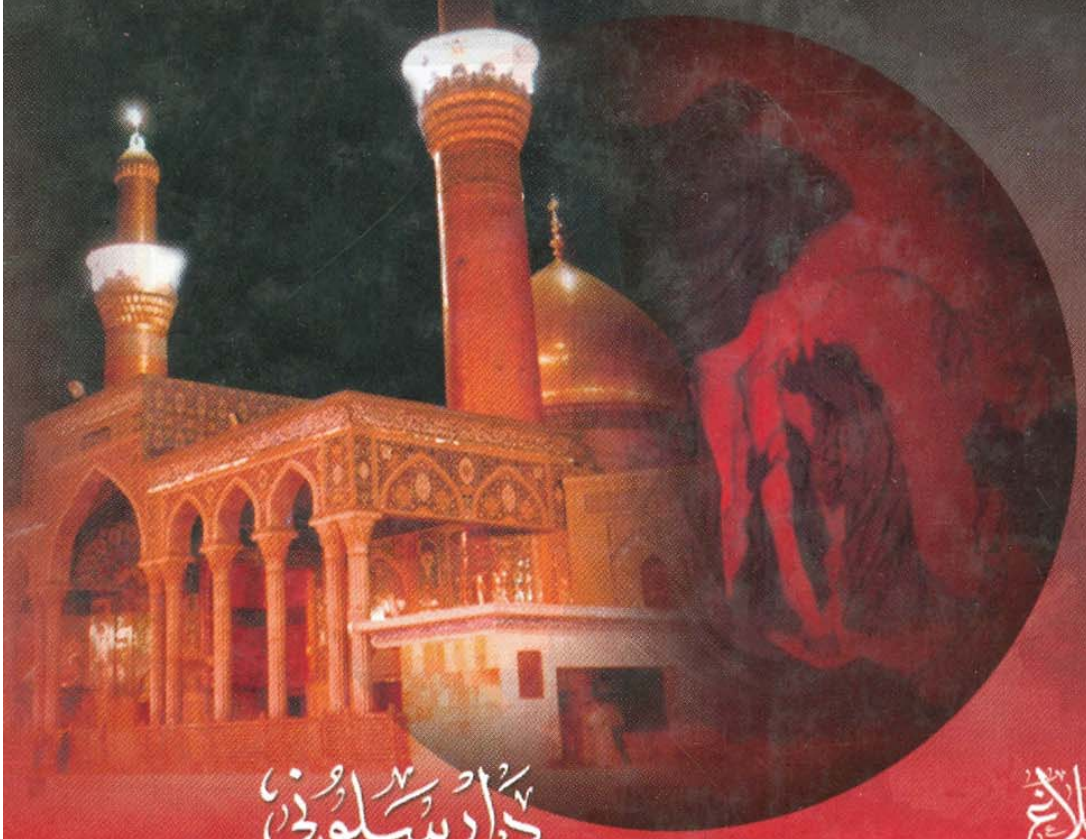

مؤسسة البلاغ

دار سلوني

مصورات

حسين الخزاعي لعام ٢٠١٢

قم المقدسة

الإسلام واتباع أهل البيت (عليهم السلام)

الحلقة (١١)

المجالس الحسينية

دراسات موضوعية في الإمام الحسين (ع) وعشرة محرم وهي حصيلة ٧٠ عاماً في خدمة المنبر الحسيني

الجزء الأول

تأليف

العلامة الخطيب المحقق الشيخ عبد اللطيف البغدادي

لبعض الشعراء

وما من كاتب إلا ستبقى ... كتابته وإن فنيت يداه

فلا تكتب بكفك غير شيء ... يسرى في القيامة أن تراه

مؤسسة البلاغ

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة: الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتب بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط٣ - المستودع : صفير - جانب فرن الأمراء
ص.ب: ١١-٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠-١١٠٧ - هاتف: ٠٣/٥١٤٩٠٥ - فاكس: ٠١/٥٥٢١١٩ لبنان
التوزيع في سوريا: دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسنين (ع) - هاتف: ٦٤٧٠٦٥٤
الموقع الاليكتروني: www.albalagh-est.com

الإهداء

إليكم يا هداة العباد.

إليكم يا من جاهدتم في الله حق الجهاد.

إليك يا رسول الله وإلى أهل بيتك الطاهرين.

إليكم جميعاً أعود مرة أخرى فأرفع هذا المجهود .

المتواضع وهو عنوان ولائي الخالص لكم جميعاً.

راجياً التفضل علي بالقبول وهو حسبي.

المؤلف

دعاء افتتاحي من أدعية الإمام الحسين (ع)
في يوم عاشوراء

اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة[1].

وصلِّ على محمد وآل محمد واقبلنا وتقبل منا إنك سميع مجيب.

---

(١) رواه المفيد في الإرشاد عن الإمام علي بن الحسين (ع) أنه قال: لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين (ع) رفع يديه وقال.... الخ ونقله عن الإرشاد المجلسي في البحار ج٤٥ ص٤.

آيات افتتاحية من الذكر الحكيم:

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۞ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾

الجاثية/ ١٩ - ٢٢. (١)

---

(١) تنبيه مهم للمطالعين. بما أني معتقد بأن البسملة آية من كلّ سورة وردت في القرآن الكريم، فإنني ملتزم في جميع مؤلفاتي بذكر الترقيم للآيات الكاشف عن هذه الحقيقة.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

- ١ -

الحمد لله رب العالمين، ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّماواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ سبأ/٢.

وصلى الله على سيد رسله، وخاتم أنبيائه، وأفضل بريته محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين، الداعين إلى دين الله، والحافظين لحدود الله، والمحيين لشريعة رسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وجعلنا وجميع المسلمين والمؤمنين من المقتدين بهم إنه سميع مجيب.

- ٢ -

وبعد:

فإني أقدم - بكل إخلاص إلى المكتبات العلمية والإسلامية عامة، وإلى خطباء المنبر الحسيني خاصة، وإلى سائر المسلمين والمؤمنين المطالعين - ما منّ الله به علي من جمع هذه المجالس في هذه الدراسات الموضوعية التي كنت قد ألقيتها في مجالسي في

خصوص أيام عشرة محرم منذ أكثر من ستين سنة، وبعضها كان في مجموعة قديمة يعود تأريخها إلى سنة ١٣٦٠هجرية، وبعضها حواشي وإضافات على هذه المجموعة، وبعضها في قصاص من الورق وقد أشرفت على التلف والإبادة وبعضها محفوظ في الصدر وبعضها وبعضها... الخ.

- ٣ -

جمعتها بعد تنقيحها وضبط مصادرها - قدر الإمكان - وأضفت إليها مما يليق أو يلزم ذكره في التأليف، وأسقطت منها ما لا يليق به عادة وسميتها. (دراسات موضوعية في الإمام الحسين (ع) وعشرة محرم) وكنا قد ابتدأنا بكتابتها في ١٢/١/ ١٤٠٨هجرية، الموافق في ١٩٨٧/٩/٦ ميلادية وقد تمت بجمعها وتأليف شتاتها في أجزاء ثلاثة قبل عدة أعوام ولله الحمد.

وها هي الآن أقدمها للقراء الكرام، ورجائي منهم أن ينظروا إليها بعين الإنصاف واللطف، والاستفادة والإفادة.

- ٤ -

وسيجد القراء - بعون الله - أنواع العلوم والمعارف العامة والخاصة، في العقائد والأخلاق والعبادات، وفي التفسير والتاريخ والأدب والنسب، والمناقب والمصائب التي أصابت أولياء الله عامة، وأهل البيت (ع) خاصة.

كما يجدون فيها أنواع التحقيق والتدقيق في كثير من المطالب المهمة مما يتعلق بواقعة الطف وغيرها، كل ذلك على ضوء الأدلة الواضحة.

كما سيجدون فيها ما يتعلق بأوضاعنا ومجتمعاتنا الحالية من الإصلاحات العامة والخاصة، سائلين الله العلي القدير أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن ينفعنا بها ﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ الشعراء/٨٩ - ٩٠.

وأن ينفع بها أيضاً جميع المسلمين والمؤمنين والله من وراء القصد. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود/٨٩.

﴿وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ طه/٤٨.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الفصل الأول - وفيه عشرة مجالس

مآتم الحسين (ع) ونهضته، وبكاء المخلوقات عليه، وزيارته .

المجلس الأول:

فوائد المآتم الحسينية ومعطياتها:

جديـــرة بالفضـــل والثـــناء ... مجـــالس تعقـــد للعـــزاء

تقـــيمها الـــرجال والنســـاء ... يدعـــو إلـــيها الحـــب والـــولاء

مصـــاب أهـــل الذكـــر فـــيها يذكـــر ... وذنـــب مـــن يـــبكي علـــيهم يغفـــر

مجـــالس قـــال الإمـــام معلـــنا ... إنـــي أحـــبها فأحـــيوا أمـــرنا[1]

نعم أعلن الإمام وهو الصادق (ع) أنه يحب هذه المجالس الشريفة المختصة بأهل البيت (ع) حيث قال (ع) لفضيل بن يسار (سائلاً مستفهماً) من باب (وكم سائل عن أمره وهو عالم): أتجلسون وتحدّثون؟ قال: نعم جعلت فداك، قال: إن تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا، يا فضيل فرحم الله من أحيى أمرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينيه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر[2].

---

(١) راجع المقبولة الحسينية للعلامة الشيخ هادي كاشف الغطاء ص٥.

(٢) راجع البحار للمجلسي ج٤٤ ص٢٨٢ نقلاً عن كتاب قرب الإسناد ص٢٦، كما نقله ص٢٨٥ من

◄◄

وإذا كانت هذه المجالس محبوبة عند الإمام الصادق (ع) فمما لا ريب فيه أنها محبوبة عند جميع أئمة الهدى (ع) لأنهم على هدي واحد لا يختلف بعضهم عن بعض، بل يمكننا أن نقول: أنها محبوبة أيضاً عند الله ورسوله (ص) لأنهم (ع) أولياء الله وأحباؤه ولا يحبون إلا ما يحب الله ورسوله (ص) فلو لم تكن هذه المجالس محبوبة عند الله ورسوله لما أحبها أهل البيت. وإنما صارت هذه المجالس محبوبة عند الله ورسوله والأئمة (ع)، لعظيم فوائدها وجليل مزاياها ومعطياتها العائدة على الأمة بصلاح آخرتها ودنياها وهي كثيرة منها:

١- أنها جامعة إسلامية

فمن فوائدها أنها جامعة إسلامية، ورابطة إمامية باسم النبي وآله تجتمع فيها القلوب على مقصد واحد وترمي إلى هدف واحد في جميع أقطار الأرض وهو مواساة النبي وأهل بيته في مصابهم تقرباً إلى الله تعالى، وفي ذلك إعلاء شأنهم وإحياء أمرهم، وأي فائدة - يا ترى - أعظم من هذه الفائدة أعني إحياء أمر أهل البيت (ع). يقول إمامنا أبو الحسن الرضا (ع): من جلس مجلساً يُحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت فيه القلوب[1].

وسمعت قول الإمام الصادق (ع) لفضيل: فرحم الله من أحيى امرنا، يا فضيل من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينيه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر[2].

طريقين آخرين عن كتاب (كامل الزيارات) ص١٠٣ و١٠٤.

(١) راجع (البحار) ج٤٤ ص٢٧٨ وينقله المجلسي عن كتاب الأمالي، وتجده في الأمالي ص٤٥ من المجلس السابع عشر.

(٢) لا يخفى أن غفران الذنوب مشروط بالإيمان بالله تعالى ورسوله والأئمة من آله واليوم الآخر، وإقامة أركان الدين كالصلاة والزكاة وغيرهما من موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله، ◄◄

فاجتماعنا في هذه المجالس وحزننا وبكاؤنا على الحسين وأهل بيته إنما هو مواساة للنبي (ص) وأهل بيته كما سمعت، لأنهم حزنوا لقتلهم بلا ريب، ولا يمكن أن يكون المرء صادقاً في دعوى حبه للنبي (ص) وأهل بيته وهو لا يحزن ولا يبكي لبكائهم لأن الحزن والبكاء لحزن المحبوب وبكائه دليل على صدق المحبة كما قال في ذلك الشيخ هادي كاشف الغطاء في مقبولته الحسينية:

والحـــزن والـــبكاء خـــير آيـــة تشـــعر بالحـــب وبالولايـــة

ويقول الله سبحانه في كتابه المجيد: ﴿**لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً**﴾ الأحزاب/ ٢٢.

٢- وفيها بث روح المعارف والعلوم

ومن فوائد هذه المجالس ما قد أثبته العيان وشهد به الحسّ والوجدان من بث روح المعارف بسببها، ونشر كثير من العلوم ببركتها إذ هي - بشرط كونها على أصولها - أرقى مدرسة للعوام يستضيؤون فيها بأنوار الحكم من جوامع الكلم، ويلتقطون منها درر السير، ويقفون بها على أنواع العبر، ويتلقون فيها من الحديث والتفسير والفقه ما يلزمهم حملهُ ولا يسعهم جهله، بل هي المدرسة الوحيدة للعوام، السائرة في جميع بلاد الإسلام، وقد تفنن خطباؤها فيما يصدعون به أولاً على أعوادها ثم يتخلصون منه إلى ذكر المصيبة وتلاوة الفاجعة، فمنهم من يأخذ أولاً بآية أو آيات من القرآن

فذلك الذي يستحق غفران الذنوب وإن كثرت. أما من كان يدعي الإسلام والإيمان ادعاء، وكان مجرماً منافقاً معادياً لأولياء الله وموالياً لأعداء الله ومات على ذلك فلا يستحق الغفران حينئذ. ومما يلزم إلفات النظر إليه هو أن الإمام (ع) مثّل غفران الذنوب وكثرتها بزبد البحر وذلك لأن الزبد يزول والماء يبقى. والماء مثال للحق، والزبد مثال الباطل، فكأنه(ع) يشير إلى قوله تعالى: ﴿كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ﴾ الرعد/١٨.

المجيد، أو يأخذ أولاً بالحكم النبوية أو المواعظ العلوية، أو يتلو أولا من كلام أهل البيت ما يقرب المستمعين به إلى الله ويأخذ بأعناقهم إلى تقواه، ومنهم من ينبه الأفكار أولاً إلى فضل رسول الله (ص) ومقام أوصيائه بما يسرده من الأحاديث الصحيحة والآيات المحكمة الصريحة ما يبعث المستمعين على مودتهم ويضطرهم إلى بذل الجهد في إطاعتهم، ومنهم من يتلو أولاً من العقائد الدينية والأحكام الشرعية ما تعم به بلوى المكلفين، ولا مندوحة عن معرفته لأحد من العالمين، فأولوا النظر والتحقيق يعلمون أن خطباء هذه المجالس كلهم دعاة إلى الدين بل لا مبشر بالإسلام - على التحقيق لعامة الناس - سواهم، ومعلوم أن الموظفين لهذا العمل الشريف لا يقصرون في أنحاء البسيطة عن الألوف المؤلفة، فلو بذل المسلمون شطر أموالهم ليوظفوا دعاة إلى دينهم بعدد أولئك الخطباء ما تيسر ذلك لهم، ولو تيسر فلا يتيسر من يستمع الدعوة على ممر الدهور استماع الناس لما يتلى في هذه المجالس بكل رغبة وإقبال.

فهذه المجالس هي أعظم ناد للوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يجري هذا المجرى، ففيها جلب إلى طاعة الله وأبعاد عن معصية الله في العقائد والأخلاق والعبادات والتاريخ بأحسن الطرق وأنفعها.

٣- وفيها عزاء وسلوى عن كل مصيبة

ومن فوائدها ومعطياتها أن فيها عزاء عن كل مصيبة، وسلوى عن كل رزية لأن المرء إذا علم أنّ سادات المسلمين وأئمتهم وآل بيت المصطفى جرى عليهم من أنواع المصائب ما جرى، هانت عليه كل مصيبة، وفي المثل المشهور: من رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته.

فكيف بمصيبة الحسين وأهل بيته وصحبه وعياله التي تهون عندها كل رزية؟ وإلى ذلك أشار الشاعر الشيخ عبد الحسين الأعسمي حيث يقول:

أنســـت رزيـــتكم رزايانـــا الـــتي ســـلفت وهونـــت الـــرزايا الآتـــية
وفجـــائع الأيـــام تـــبقى مـــدة وتـــزول وهـــي إلى القـــيامة باقـــية[1]

وقال الآخر:

وإذا ذكـــرت مصـــيبة تشـــجى لهـــا فاذكـــر مصـــيبة آل بيـــت محمـــد

فبتذكر مصائب الحسين خاصة، ومصائب آل بيت محمد عامة تهون على المتذكر كل مصيبة مهما عظمت.

٤- وفيها حث الناس على الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

لأن الإنسان إذا سمع أن سادات المسلمين وأئمتهم وأهل بيت النبوة قد ابتلوا بهذه المصائب في الدنيا فكانت سبباً لعلو درجتهم في الآخرة علم - حقاً - أن الدنيا لو كانت تساوي عند الله جناح بعوضة أو ذبابة لما ابتلى أولياءه فيها بما ابتلاهم ولما سقى الكافر منها شربة من ماء[2].

لهـم جسـوم عـلى الرمضـاء مهملـة وأنفـــس في جـــوار الله يُقريـــبها
كـــأنَّ قاصـــدها بالضـــر نافعهـــا وأن قاتـــلها بالســـيف محيـــيها

وإلى هذا المعنى أشار الشريف المرتضى حيث يقول:

٥- أنها تغرس في النفوس حب الفضيلة والشجاعة والعزة

ومن فوائدها أنها تغرس في النفوس حب الفضيلة والشجاعة وعزة النفس وإباء

---

(١) راجع قصيدته الغراء في (الدر النضيد) ص٢١٤ للسيد محسن العاملي.

(٢) جاء في وصية النبي (ص) لأبي ذر قوله: يا أبا ذر والذي نفس محمد بيده لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها شربة ماء. راجع الوصية - بطولها فإنها من أهم الوصايا - في البحار ج٧٧ ص٧٣ - ص٩١. وينقلها من كتاب (مكارم الأخلاق) ص ٥٣٧ - ٥٥٦، وعن مصادر عديدة أخرى.

الضيم باستماع ما صدر عن الحسين (ع) من اختيار المنية على الدنية، وموت العز على حياة الذل، ومصرع الكرام على طاعة اللئام، وإلى ذلك أشار مصعب بن الزبير لما كان يحارب عبد الملك بن مروان ورأى تخاذل أهل الكوفة عنه قال لعروة بن المغيرة بن شعبة: أخبرني عن الحسين كيف صنع في امتناعه عن النزول على حكم ابن زياد فأخبره: أنه عرض على الحسين النزول على حكم يزيد وابن زياد مراراً عديدة فأبى فقال:

وأن الألى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

٦- لولا إعادتها في كل عام لنسيت واضمحلت

ومن فوائدها أنه لولا إعادة ذكر هذه الواقعة العظيمة في كل عام، لنسيت وآل أمرها إلى الاضمحلال، ولوجد أهل الأغراض الرخيصة وسيلة إلى إنكارها وإنكار فظائعها على يد بني أمية، وقد سئل بعض علمائنا فقيل له: إن الحسين قتل قبل ألف ومئات من السنين فما معنى تجديدكم لذكرى قتله في كل عام؟ فقال: خفنا أن تنكروا قتله كما أنكرتم بيعة يوم الغدير.

على أن هذا الأمر قد وقع - بالفعل - من بعض من يريد التنويه بشأن بني أمية ويتعصب لهم، فقد قام بعضهم يخطب بذلك على المنابر وينفي عن يزيد قتل الحسين ويقول: أنه وقع بغير رأيه! وبعضهم أودع ذلك في مؤلفاته كالغزالي في (إحياء العلوم) إذ يقول في ص٨٩ من جزئه الثالث في الآفة الثامنة من آفات اللسان وهي اللعن: فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد لأنه قتل الحسين أو أمر به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلاً فلا يجوز أن يقال: أنه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلاً عن لعنته، لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق، نعم يجوز أن يقال: قتل ابن ملجم علياً، وقتل أبو لؤلؤة عمر، فإن ذلك ثبت متواتراً إلى أن قال ص٩٠ فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: قاتل الحسين لعنه الله، أو الآمر بقتله لعنه الله، قلنا: الصواب أن يقال: قاتل الحسين إن مات قبل التوبة لعنه الله، لأنه يحتمل أنه مات بعد التوبة... الخ.

فالغزالي ممن يصرف عن يزيد قتل الحسين. ولقد أجاد ابن منير الدين الطرابلسي في رائيته الشهيرة التي يذكر فيها ما عليه بعض أشياع بني أمية"

وأقـــــول أن يـــــزيد مـــــا ... شـــــرب الخمـــــور ولا فجـــــر
ولجيشـــــه بـــــالكف عـــــن ... أبـــــناء فاطمـــــة أمـــــر
والشـــــمر مـــــا قـــــتل الحســـــين ... ن ولا ابـــــن ســـــعد مـــــا غـــــدر
وحلقـــــت في عشـــــر المحـــــر ... م مـــــا اســـــتطال مـــــن الشـــــعر
ونويـــــت صـــــوم نهـــــاره ... وصـــــيام أيـــــام أخـــــر
ولبســـــت فـــــيه أجـــــل ثـــــو ... ب للمواســـــم يدخـــــر
وســـــهرت في طـــــبخ الحـــــبو ... ب مـــــن العشـــــاء إلى الســـــحر
وغـــــدوت مكـــــتملاً أصـــــا ... فـــــح مـــــن لقيـــــت مـــــن البشـــــر[1].

نعم هذه سيرة أشياع بني أمية وأتباعهم يتخذون يوم قتل ابن رسول الله وريحانته يوم عيد وفرح وسرور، يصومون فيه ويوسعون يه على عيالهم، ويلبسون فيه الثياب الجدد ويتخذون الأواني الجديدة والاكتحال ودخول الحمام، ويزعمون أنه عيد رأس السنة الهجرية، والحال أن رأس السنة لم يكن يوم عاشوراء بل - المتعارف - هو أول يوم من المحرم ولكنهم - في الحقيقة - يفعلون ذلك مراغمة لشيعة أهل البيت (ع) ومخالفة لهم، وقد صرح بذلك المقريزي في (خططه) بعد ما ذكر أن الدولة الفاطمية كانوا في مصر يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطل فيه الأسواق قال: فلما زالت دولتهم اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام ليرغموا بذلك آناف شيعة علي الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن وعزاء على الحسين بن علي لأنه قتل فيه، قال: وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم عيد وسرور.

---

(١) راجع ترجمة الشاعر، وشعره، وسبب إنشائه رائيته. الغدير ج٤ من ص٢٧٩ - ٢٨٩.

٧- إن المصلحة التي استشهد الحسين من أجلها تستوجب استمرارها

ومن فوائد هذه المجالس إن المصلحة التي استشهد الحسين من أجلها وسفك دمه الزكي في سبيلها وهي إحياء دين جده (ص) وإظهار فضائح المنافقين تستوجب استمرار هذه المآتم وتقتضي دوامها إلى يوم القيامة تقوية لتلك المصلحة، لأنه لولا قتل الحسين لما ظهر للخاص والعام فسق يزيد وكفره وفجور وقبائح مَنْ مَهَّدَ له ومكّنه من رقاب المؤمنين والمسلمين، ولما بقي للدين عين ولا أثر كما سنوضح هذا المعنى إن شاء الله في بعض مجالسنا الآتية، ومعلوم أن استمرار هذه المآتم فيه التقوية التامة لتلك الأهداف الحسينية السامية من إحياء الدين وإظهار فضائح المنافقين.

٨- إن فيها منعاً عن اجتماع البطالين في أندية الشر والفساد

ومن فوائد هذه المجالس أن فيها منعاً عن اجتماع البطالين في المقاهي والسينمات وسائر الأندية المعلوم حالها خصوصاً في مثل هذا الزمان الذي كثر فيه الفساد بسبب تلك الأندية. فإن الإنسان مدني بالطبع أي لا يعيش إلا مع أبناء جنسه، ولا بدّ له من الاجتماع معهم على خير أو شر، فالاجتماع في هذه المجالس مانع عن الاجتماع في مجالس الشر والفساد لأنها تشتمل على ما يجذب النفوس إليها ويرغبها فيه من ذكر بعض القصص والحكايات والتواريخ التي ترغب النفوس إليها، وما فيها من العظة والعبرة لها.

٩- أن فيها إسعاف الفقراء وإعانة الضعفاء

ومن فوائدها أيضاً أن فيها إسعاف الفقراء وإعانة الضعفاء وإنعاش أهل الفاقة وإثلاج أكباد حرار من أهل المسكنة على الدوام بما يبذل فيها من الطعام والمال وبذلك يحظى المعطي بشرف الدنيا وثواب الآخرة. ويحظى المعطى إليه بقضاء حوائجه وتنفيس كربه، وأما خطباء تلك المجالس فمعلوم أن لا وسيلة لهم في التعيش - غالباً - إلا من

هذه الوظيفة وهم من الرجال والنساء - بقطع النظر عمن يقومون بنفقته - ألوف مؤلفة فكلهم يعيشون ببركة أهل البيت ويتمتعون بيمن مآتمهم.

١٠- إنها محل لنزول الرحمة وحلول البركة

ومن فوائد هذه المجالس أنها تكون محلاً لنزول الرحمة وحلول البركة وذلك من جهة أن هذه المجالس تشهدها وتحضرها ملائكة الله المقربون وهم يشاركون الحاضرين فيها بالبكاء على مصاب سيد الشهداء، ومن جهة أخرى أنها منظورة إلى الحسين (ع) وهو وآباؤه (ع) يستغفرون لزائريه والباكين عليه، وقد تحضرها أمه فاطمة الزهراء (ع) أيضاً.

أما حضور الملائكة فيها فقد جاء في حديث مسند عن زيد الشحام قال: كنا عند أبي عبد الله (أي الصادق (ع)) ونحن جماعة من الكوفيين فدخل جعفر بن عفان الطائي على أبي عبد الله فقربه وأدناه ثم قال: يا جعفر قال: لبيك جعلني الله فداك، قال: بلغني إنك تقول الشعر في الحسين وتجيد؟ فقال له: نعم جعلني الله فداك، قال: قل فأنشده شعراً في الحسين، فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال (ع): يا جعفر والله لقد شهِدتْ ملائكة الله المقربون ههنا وهم يسمعون قولك في الحسين (ع) ولقد بكوا كما بكينا وأكثر.

ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعتك الجنة بأسرها[١] وغفر الله لك[٢] ثم

---

(١) قول الإمام (ع) له: (ولقد أوجب الله لك الجنة بأسرها) المراد من ذلك - على الظاهر - هو أن له أن يتجول في الجنة بأسرها حيث يشاء منها بواسطة مراكب الجنة المعدة لأولياء الله والله أعلم.

(٢) وجوب الجنة وغفران الذنوب لمن انشد أو قال شعراً في الحسين (ع) مشروط بالإيمان، لقول الله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ إلى قوله ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ آخر سورة

قال (ع): يا جعفر ألا أزيدك؟ قال: نعم يا سيدي، قال (ع): ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به، إلا أوجب الله له الجنة وغفر له.[1]

أما كون هذه المجالس منظورة للحسين (ع) وهو وآباؤه يستغفرون لزائريه والباكين عليه، فقد نقل المجلسي في البحار ج٤٤ ص٢٩٢ عن كتاب كامل الزيارات ص١٠٣ لابن قولويه بسنده عن عبد الله بن بكير أنه قال: حججت مع أبي عبد الله (ع) - في حديث طويل - فقلت: يا بن رسول الله لو نبش قبر الحسين بن علي (ع) هل كان يصاب في قبره شيء؟ فقال (ع): يا بن بكير ما أعظم مسائلك، ان الحسين بن علي (ع) مع أبيه وأمه وأخيه في منزل رسول الله (ص) ومعه يرزقون ويحبرون، وانه لينظر إلى زواره فهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وما في رحالهم من أحدهم بولده[2].

الشعراء.

١) راجع الحديث في كتاب رجال الكشي ص٢٤٥ - ص٢٤٦ ونقله عنه المجلسي في البحار ج٤٤ ث ٢٨٢، وفي حاشية البحار أن الحديث أشار إليه ابن داود في رجاله، كما ذكر الحديث نقلاً عن الكشي صاحب قاموس الرجال، ونقله عن الكشي وعن كتاب (الحديث والرجال) المسمى (بمنتهى المقال) السيد آية الله محمد تقي آل بحر العلوم في كتابه مقتل الحسين ص٧٢ وذكر ما أنشده جعفر من الشعر في رثاء الحسين في قصيدة أولها: ليبك على الإسلام من كان باكياً)... الخ، وفي حاشية المقتل لنجل المؤلف ذكر ترجمة الكشي، وترجمة صاحب كتاب منتهى المقال محمد بن إسماعيل، وترجمة الشاعر جعفر بن عفان.

٢) معرفة الحسين (ع) بزائريه والباكين عليه وكذا معرفة آبائهم وسائر أعمالهم وأحوالهم مستندة إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة/١٠٥، وقد فصلنا بحوثها في كتابنا (التحقيق في الإمامة وشؤونها) وأثبتنا أن المراد من المؤمنين في الآية الكريمة إنما هم الأئمة الطاهرون الاثنا عشر من آل محمد (ص) حيث تعرض عليهم في أوقات عديدة - صحائف أعمال العباد، وبواسطتها يعرفون أسماء أربابها وأعمالهم وسائر أحوالهم.. راجع الكتاب تحت عنوان (الطريق الثاني من ينابيع علم الأئمة عرض صحائف الأعمال عليهم (ع)).

وإنه لينظر إلى من يبكيه فيستغفر له ويسأل أباه الاستغفار له ويقول: أيها الباكي لو علمت ما أعد الله لك لفرحت أكثر مما حزنت وأنه ليستغفر له من كل ذنب وخطيئة.

وروى الحديث ابن قولويه من طريق آخر، وأشار إليه المجلسي أيضاً. كما روى الشيخ الطوسي في أماليه م١ ص٥٤ بسنده عن عبد الرحمن الأصم أنه قال: حدثني محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد (ع) يقول: أن الحسين بن علي(ع) عند ربه عز وجل ينظر إلى موضع معسكره ومن حله من الشهداء معه، وينظر إلى زواره وهو أعرف بحالهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله عز وجل من أحدكم بولده، أنه ليرى من يبكيه فيستغفر له ويسأل آباءه (ع) أن يستغفروا له، ويقول: لو يعلم زائري ما أعد الله له لكان فرحه أكثر من جزعه، وإن زائره لينقلب وما عليه من ذنب.

أما حضور أمه فاطمة الزهراء في هذه المجالس فهو أمر مشهور معروف والأدلة لا تمنعه ولا يبعد أن يكون حضورها في المآتم كحضورها مع أبيها وبعلها وبنيها عند كل محتضر الثابت بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة وأحاديث أهل البيت الكثيرة[1].

ولعل لهذا توجّه دعبل بالخطاب إلى فاطمة لما سأله الرضا (ع) أن يرثي جده الحسين (ع) فاستعبر باكياً وقال:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً ... وقد مات عطشاناً بشط فرات...إلخ

---

(١) قد فصلنا هذا الموضوع تفصيلاً مهماً متقناً في كتابنا (التحقيق في الإمامة وشؤونها) الفصل الأخير من الكتاب.

المجلس الثاني

أهداف الحسين (ع) ونهضته والتهلكة ومفادها

لم أدر أيـن رجـال المسـلمين مضـوا ... وكـيف صـار يـزيد بيـنهم ملكـا؟
العاصـر الخمـر مـن لـؤم بعنصـره ... ومـن خساسـة طـبع يعصـر الودكـا
لـئن جـرت لفظـة التوحـيد في فمـه ... فسـيفه بسـوى التوحـيد مـا فـتكا
قـد أصـبح الديـن مـنه يشـتكي سـقماً ... ومـا إلى أحـد غـير الحسـين شـكا
فمـا رأى السـبط للديـن الحنـيف شـفاً ... إلا إذا دمـــه في كـــربلا ســـفكا
ومـا سمعـنا علـيلاً لا عـلاج لـه ... إلا بـــنفس مداويـــه إذا هلكـــا
بقـتله فـاح للإسـلام نشـر هـدى ... فكـل مـا ذكـرته المسـلمون ذكـا
وصـان سـتر الهـدى عـن كـل خائـنة ... سـتر الفواطـم يـوم الطـف إذ هـتكا
نفسـي الفـداء لفـادٍ شـرع والـده ... بنفســه وبأهلــيه ومــا ملكــا[1]

مما لا ريب فيه ولا إشكال أن الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) لم ينهض نهضته الخالدة تلك طلباً للملك الزائل، ولا إرادة للسلطنة الدنيوية الفانية، وكيف يكون هدف الحسين في نهضته هذه الدنيا الفانية وملكها وسلطنتها، وما قيمتها حتى تكون هي الهدف للحسين (ع).

قيمة الدنيا عند الله وعند رسوله وأوليائه:

أتعلمون - عباد الله - ما قيمة الدنيا عند الله وعند رسوله وأوليائه ؟ نعم، أما عند

---

(١) الأبيات من قصيدة لشاعر أهل البيت (ع) السيد جعفر الحلي (راجع الدر النضيد) ص٥٦.

الله عز وجل، فقد جاء في وصية النبي (ص) لأبي ذر قوله: يا أبا ذر، والذي نفس محمد بيده، لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذبابٍ ما سقى الكافر منها شربة ماء، يا أبا ذر الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا من ابتغى به وجه الله[1].

أما قيمة الدنيا عند رسول الله (ص) فهي كقيمتها عند الله لا تعدل جناح بعوضة أو ذباب ومن هنا لما عرض الله عليه خزائنها - اختباراً وامتحاناً، وليظهر زهده فيها لأمته - رفضها ولم يقبلها، وقد صرح بذلك أيضاً في وصيته لأبي ذر حيث قال (ص) له:

يا أبا ذر أن جبرئيل أتاني بخزائن الدنيا.. فقال لي: يا محمد هذه خزائن الدنيا ولا ينقصك من حظك عند ربك، فقلت: يا حبيبي جبرئيل لا حاجة لي فيها، إذا شبعت شكرت ربي وإذا جعت سألته[2].

وقد جاء هذا المعنى أكثر تفصيلاً في حديث أمير المؤمنين (ع) لابنته أم كلثوم حيث قال لها: (كما في البحار ج٤٢ ص٢٧٦).

وقد أخبرني حبيبي رسول الله (ص) أن جبرئيل (ع) نزل إليه ومعه مفاتيح كنوز الأرض وقال: يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول لك: إن شئت صيرت معك جبال تهامة ذهباً وفضة، وخذ هذه مفاتيح كنوز الأرض ولا ينقص ذلك من حظك يوم القيامة[3].

---

١) تقدمت في المجلس الأول مصادر الوصية، وهذه النصوص في البحار ج٧٧ ص٨٠.

٢) المصدر السابق.

٣) قول جبرئيل له (ص): ولا ينقص ذلك من حظك يوم القيامة، ذلك لعلم الله تعالى انه لو ملك جبال تهامة ذهباً وفضة، واستولى على ما أودع الله في الأرض من كنوز في معادنها التي لا تعد ولا تحصى لما انخدع بها ولا انحرف قيد شعرة عن الحق وأهله، وجاء حديث عرض كنوز الأرض على النبي (ص) وامتناعه عن استلامها في أحاديث عن الإمام الباقر وولده الصادق (ع) في كتاب (روضة الكافي للكليني ص١١٣ - ١١٤).

قال: يا جبرئيل وما يكون بعد ذلك؟ قال: الموت، فقال: إذاً لا حاجة لي في الدنيا، دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، فاليوم الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربي وأسأله، واليوم الذي أِشبع فيه أشكر ربي وأحمده، فقال له جبرئيل: وفقت لكل خير يا محمد... الخ.

أما قيمة الدنيا عند علي أمير المؤمنين (ع)، فتارة جعل قيمتها عنده أزهد من عفطة عنز وهي عطسته وما ينثره من فمه، حيث قال (ع) في آخر خطبته الشقشقية:

ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز[1].

وتارة جعل قيمتها أقل من قيمة نعل بال يخصفه بيده، حيث روى الخاصة والعامة عن ابن عباس أنه قال: دخلت على علي (ع) بذي قار يوماً وهو يخصف نعله، فقلت له: ما قيمة هذه النعل التي تخفصها؟ فقال (ع): هي أحب إلي من دنياكم وإمرتكم هذه إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً[2].

نعم هذه هي أهداف أمير المؤمنين من هذه الدنيا وإمرتها أن يقيم فيها الحق ويدفع فيها الباطل، وقد قال (ع) في رده على من اتهمه بحب الدنيا فيما قام به من الجهاد في محاربة الباغين عليه من الناكثين والقاسطين والمارقين قال كما في شرح النهج:

---

(١) راجع الخطبة وشرحها في نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص٥٠ - ص٦٩، وراجع كتاب تعليقات (إحقاق الحق) في مصادر النص المذكور ج٨ ص٢٤٦، وشرحنا الخطبة وعلقنا عليها في الحلقة (١٥) من سلسلة الإسلام واتباع أهل البيت (ع)، وستقدّم إلى الطبع والنشر إن شاء الله تعالى، وسيجد المطالع فيها ما يشفي الغليل، ويوقفه على واضح الدليل.

(٢) رواه عن ابن عباس الإمام أحمد بن حنبل في كتابه الفضائل، ونقله عنه الشيخ عبد الله الشافعي في كتابه المناقب مخطوط ص٣٥، كما رواه الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) مخطوط ص٦١٣، والعلامة الشيخ عبيد الله الحنفي في كتابه (أرجح المطالب) ص١٤٤، ونقله عن هذه المصادر صاحب تعليقات (إحقاق الحق) ج٨ ص٢٦٢. وقريب منه رواه ابن شهر آشوب في المناقب من طريقين ج٢ ص١٠١.

عجباً لسعد وابن عمر، يزعمان أني أحارب على الدنيا، أفكان رسول الله (ص) يحارب على الدنيا، فإن زعما أن رسول الله (ص) حارب لتكسير الأصنام، وعبادة الرحمن فإنما حاربت لدفع الضلال، والنهي عن الفحشاء والفساد، أفمثلي يُزن بحب الدنيا، والله لو تمثلت لي بشراً سوياً لضربتها بالسيف[1].

ولهوان الدنيا عنده وزهده بها، فقد طلقها ثلاثاً كما هو معلوم عند القاصي والداني، وذكر ذلك ضرار بن ضمرة في حديثه لمعاوية حيث جاء فيه قوله: واشهد بالله يا معاوية لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو قابض على كريمته الشريفة، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين وكأني أسمعه الآن وهو يقول:

يا رباه يا رباه، ويتضرع إليه ثم يقول: إليك عني يا دنيا، غري غيري، إليّ تعرضت أم إلي تشوقت؟ هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير[2].

فهذه هي الدنيا عند الله ورسوله وعلي (ع)، وهذه هي أيضاً عند الحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين الذين ما زهدوا بشيء مما يزهد فيه مثل زهدهم بها، ومن هنا نعلم - علم اليقين - أن هدفهم الوحيد في هذه الدنيا هو إقامة الحق والعدل لا غير.

---

١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد م الرابع ص٥٦٤، ونقله عنه السيد شهاب الدين النجفي في تعليقات إحقاق الحق ج٨ ص٢٦٢ والظاهر أنه (ع) يريد بسعد سعد بن أبي وقاص ويريد بابن عمر عبد الله بن عمر بن الخطاب وأنهما اللذان يتهمانه في حروبه بحب الدنيا وحاشاه، وقوله(ع): (أفمثلي يزن) هكذا جاء النص: ولعل الصحيح (يوزن).

٢) راجع حديث ضرار، ومصادره من طرق العامة في (إحقاق الحق) ص٤٢٥ - ٤٣٣ من جزئه الرابع، وفي الجزء الثامن من ص٢٧٢ - ٢٧٤، واستعرض في هذا الجزء زهد علي (ع) في الدنيا ومتعتها من ص٢٤٥ - ص٣١٨ فراجع.

ومنهم الإمام الحسين (ع) الذي كما قلنا سابقاً أنه لم ينهض طلباً للملك الزائل ولا إرادة للسلطنة الدنيوية، وإنما كانت نهضته لإحياء الشرع والسنة النبوية، وإماتة الجور والبدعة الأموية.

وقد صرح بذلك في كثير من خطبه ورسائله، ومنها رسالته التي أرسلها إلى جماعة من أشراف البصرة ورؤسائها والتي جاء فيها قوله: وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد.

ومما لا ريب فيه أيضاً أن الحسين (ع) كان عالماً بما انتهى إليه أمره من القتل، وقد تيقن ذلك وأخبر به مراراً عديدة، ومع ذلك ما كان يحل له إلا النهوض لمقاومة أئمة الجور، ونصرة العدل وإن ضحى بنفسه وبذل نفيسه، ونفوس الأعزاء من أهل بيته وصحبه الكرام.

الجهاد، والإلقاء بالأيدي إلى التهلكة

وليس إقدامه (ع) على ذلك وتوجهه إلى العراق - كما قد يتخيله بعض من لا علم له ولا معرفة، ولا فقه في الدين ولا نظر في مدارك العقل - أنه من التهلكة التي نهى الله عنها بقوله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ البقرة/١٩٦.

لأن التهلكة المنهي عنها هي المخاطرة بالنفس إذا كانت بلا فائدة دينية ولا ثمرة تعود على الإسلام بكبير نفع، وإلا لو كان كل ما يجر إلى قتل النفس تهلكة لسقط فرض الجهاد من أصله، وهل الجهاد إلا القتل وتوطيد النفس عليه، كيف وقد عير الله الفارين منه وتوعدهم بالعقوبة وقرن فعلهم بالمقت والذم فقال عز من قائل: (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلاً) الأحزاب/ ١٦.

وبالعكس وعد الثابتين في مراكزهم الحربية بالحياء الجزيل والكرامة التي لا تفنى، وأخبر أنهم أحياء عند ربهم يرزقون، فقال تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله

أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) آل عمران/ ١٦٩ ، وأنه تعالى يحب الواقفين في مراكزهم الحربية متراصين تراص البناء فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ الصف/٤.

وأمر الله تعالى الأنبياء والمرسلين والأوصياء والمؤمنين بالجهاد وفرضه عليهم فمشوا إليه قدماً موطنين أنفسهم على القتل وكم فيهم شهداء سعداء، وكم من نبي قتل في سبيل دعوته إلى الله والجهاد في سبيله.

يقول الحسين (ع) لعبد الله بن عمر بن الخطاب لما أشار عليه بصلح بني أمية، وعدم الخروج إلى العراق قال له: ألا تعلم يا أبا عبد الرحمن إن من هوان هذه الدنيا على الله أن يؤتى برأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، والرأس ينطق بالحجة عليهم فلم يضر ذلك يحيى بل ساد الشهداء فهو سيدهم يوم القيامة، ألا تعلم يا أبا عبد الرحمن إن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأنهم لم يصنعوا شيئاً، فلم يعجل الله عليهم (أي العذاب) ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر ذي انتقام، فاتق الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي... الخ[1].

فقول الحسين (ع) لعبد الله بن عمر: ألا تعلم إن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً، يدل - بصراحة - على كثرة من قتل من الأنبياء، وعلام كان بنو إسرائيل يقتلون أنبياءهم؟ نعم قتلوهم لأنهم يدعون إلى الله ويجاهدون في سبيله.

عبدة العجل، والأمر بقتل أنفسهم توبة لهم:

وأمر الله طائفة كبيرة من بني إسرائيل بقتل أنفسهم لعبادتهم العجل، وجعل هذا

---

(١) راجع مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٢.

القتل توبة لهم وكفارة لذنوبهم فقال جل شأنه: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خيرٌ لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم) البقرة/٥٥. وحاصل ما ذكره المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآية: إن عبدة العجل لما ندموا ما قبل الله توبتهم حتى امتثلوا ما أمرهم الله به على لسان كليمه موسى بن عمران من قتل أنفسهم - أي ليقتل مَنْ لم يعبد العجل من عَبَدَه - وكيفية ذلك أنهم جلسوا - بمكان واسع - محتبين صابرين لا يرفعون طرفاً ولا يداً، فهجم عليهم هارون ومعه المؤمنون الذين لم يعبدوا العجل وهم اثنا عشر ألفاً، وسيوفهم في أيديهم، هذا وقد أرسل الله عليهم سحابة سوداء مظلمة لكي لا يبصر الرجل والده أو ولده أو أخاه أو جاره فيعرض عن قتله إلى غيره، فجعلوا يقتلونهم من الصباح إلى المساء وما زالوا كذلك حتى ارتفعت السحابة السوداء، وسقطت السيوف من أيديهم فعندها غفر الله لمن قتل منهم، وتاب على من بقي، وفي نصٍ: فكان القتل شهادة لمن قتل، وتوبة لمن بقي، فقتل - في هذه الواقعة - سبعون ألفاً من بني إسرائيل على ما نص عليه أكثر المفسرين من الخاصة والعامة كالرازي، والطبري، والسيوطي، وشيخنا الطبرسي وغيرهم[1].

وشاهدنا من هذه القصة أن تعريض النفس للقتل في سبيل طاعة الله وامتثال أوامره ليس من الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة.

تفسير آية التهلكة:

والآية التي نهى الله فيها عن الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة هي قوله تعالى:

---

(١) راجع تفسير الرازي د١ ص٣٥٥، وتفسير الطبري والسيوطي في الدر المنثور ج١ ص٦٩، وتفسير الطبرسي ج١ ص١١٣ وتفسير ابن كثير الدمشقي ج١ ص٩٢ وفي تفسير القمي ج١ ص٤٧، أنه قتل منهم عشرة آلاف. والله أعلم.

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقد جاءت هذه الآية في سورة البقرة بعد آيات تأمر بالقتال في سبيل الله ووجوبه عند توفر شرائطه على المسلمين، ولذلك يقول أكثر المفسرين أن المراد من الإنفاق هو الإنفاق في سبيل الله في الجهاد، وفي طريق الدين، والمراد من التهلكة هو ترك الإنفاق في الجهاد، وترك سائر ما يأمر به الله من طاعته. (راجع تفسيرها في الميزان ج ٢ ص٦٤).

وهذا المعنى رواه المفسرون من العامة فضلاً عن الخاصة كما في سنن ابن داود الذي قالوا فيه: أنه أصح الصحاح بعد الصحيحين، صحيح البخاري ومسلم، وقدمه بعضهم على صحيح مسلم، ونص الحديث فيه (ج٢ ص١٢ ط مصر سنة ١٣٧١) في باب قوله تعالى: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ عن أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية لجهاد الروم وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فحمل رجل على العدو فقال الناس: لا إله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب الأنصاري[1]. إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما نصر الله نبيه قلنا: نقيم في

---

(١) أبو أيوب هذا من خيار الأنصار من الصحابة، وهو الذي نزل رسول الله (ص) ضيفاً عليه عند وصوله إلى المدينة بعد هجرته من مكة، وقصته في ذلك مشهورة وإليك ما رواه ابن شهر آشوب في المناقب ج١ ص١٣٣ عن سلمان قال: لما قدم النبي (ص) إلى المدينة تعلق الناس بزمام الناقة (كل يريد أن يكون النبي (ص) ضيفاً عنده تلك الليلة) فقال النبي (ص): يا قوم دعوا الناقة فهي مأمورة فعلى باب من بركت فأنا عنده، فأطلقوا زمامها وهي تهف (أي تسرع) في السير حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري ولم يكن في المدينة أفقر منه فانطلقت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبي (ص)، فنادى أبو أيوب: يا أماه افتحي الباب فقد قدم سيد البشر وأكرم ربيعة ومضر محمد المصطفى والرسول المجتبى، فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء فقالت: واحسرتاه ليت لي عين أبصر بها وجه سيدي رسول الله (ص) فوضع النبي كفه على وجهها فانفتحت عيناها، فكانت أول معجزة للنبي (ص) عند وصوله إلى المدينة.

أموالنا ونصلحها ونترك الجهاد، فأنزل الله: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ ثم قال: فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها ونترك الجهاد، قال أبو عمران: ولم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى قتل ودفن بالقسطنطينية.

ونقل هذا الحديث السيوطي في تفسير الدر المنثور ج١ ص٢٠٧ بصورة أوسع عن كل من عبد بن حميد، وابي داوود، والترمذي وصححه، والنسائي، وأبي يعلى، وابن جرير، والطبراني، وأبي المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حيان، والحاكم وصححه، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في سننه، كلهم عن أبي عمران، ونقل الحديث أيضاً الرازي في تفسيره ج٢ ص١٥٣. وفسرت التهلكة أيضاً بالإصرار على الذنوب وعدم التوبة، وجاء هذا المعنى عن البراء بن عازب أحد أصحاب النبي (ص) وقد روى شمس الأئمة محمد بن أحمد الحنفي في كتابه (شرح السير ج١ ص١١١) عن البراء بن عازب أن رجلاً سأله عن التهلكة: أهو الرجل إذا ما التقى الجمعان فحمل فقاتل حتى قتل؟ فقال: لا، ولكنه الرجل الذي يذنب ثم لا يتوب وهو المراد بقوله: ﴿**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ ورواه السيوطي في الدر المنثور ج١ ص٢٠٨ عن جملة من المفسرين.

ثم قال شمس الأئمة الحنفي: فكان السائل يظن أن من حمل على جماعة من الأعداء يكون ملقياً نفسه في التهلكة، فبين له البراء بن عازب أن الملقي بيده إلى التهلكة من يذنب ثم لا يتوب فإنه يكون مرتهناً لصنيعه، وأما من حمل على العدو فهو يسعى في إعزاز الدين ويتعرض للشهادة التي يستفيد بها الحياة الأبدية فكيف يكون ملقياً نفسه في التهلكة[1].

فسيد الشهداء كان من واجبه النهوض بالدعوة إلى العدل، والخروج عن طاعة

---

(١) راجع (بطل العلقمي) ج١ ص٣٢١ نقلاً عن (شرح السير) ص١١١.

أمراء الجور وفي ذلك إعزاز للدين وإبقاء على المسلمين من أيدي الغاشمين الظالمين من بني أمية.

ولو فرضنا أن الحسين (عليه السلام) لم ينهض نهضته تلك، ولم يقصد العراق، لما تركه بنو أمية حتى يقتلوه أينما كان وأينما توجّه نهض أو لم ينهض، وقد علم الحسين ذلك حتى قال لأم سلمة زوجة النبي (ص) وهو يومئذ بالمدينة حين أشارت عليه بعدم الخروج إلى العراق قال لها فيما قال: يا أماه إني مقتول لا محالة وليس لي من هذا بدّ، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني...الخ.

وقال لأخيه محمد بن الحنفية بمكة، والله يا أخي لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلونني.

وقال لابن عباس: يا ابن عباس إن القوم لم يتركوني، وأنهم يطلبونني أينما كنت حتى أبايعهم كرهاً ويقتلونني[1]. والله إنهم ليعتدون علي كما اعتدت اليهود في يوم السبت.... الخ.

تضييق بني أمية مسالك الأرض على الحسين (ع):

ولا تظن أن في كلام الحسين (عليه السلام) هذا ضرباً من الخيال أو فيه شيء من المبالغة، كلا، بل هو عين الحقيقة، لأن بني أميه قد سدّوا في وجهه الدنيا وضيقوا عليه مسالك الأرض العريضة فلم يتركوا له فيها مستقراً ولا مأوى ولا ملجأ، وإليك تفصيل ذلك.

أما المدينة المنورة فقد علم كل أحد أن عمال يزيد أخذوا عليه بالتشديد حتى خرج عنها مشرداً خائفاً مترقباً لا يدري متى يدركه الطلب، ولما علم يزيد باستقراره بمكة

---

(١) من الأدلة أن الحسين حتى لو بايعهم وصالحهم لقتلوه، هو ما فعله معاوية مع الحسن حيث قتله مسموماً بعدما صالحه كما هو معلوم.

المشرفة وهي حرم الله المنيع الذي جعله الله أماناً لكل خائف كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ البقرة/ ١٢٦، وعرف يزيد أن واليه الأول على الحجاز لا ينفذ أوامره في الحسين وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وإن كان ابن عمه وحميمه الأدنى ورحمه الأقرب ولكن فيه لين عريكة وسمة أنصاف فلم يرض له يزيد بذلك حتى عاجله بالعزل وأبدله على الفور بالمارد المنكر جبار بني أمية عمرو بن سعيد بن العاص، فإنه حين ولاه يزيد الحجاز ودخل المدينة رقى المنبر النبوي الشريف وخطب خطبة قاسية ثم قال بعدها: اركبوا كل بعير بين السماء والأرض واطلبوا الحسين[1].

ثم دس مع الحاج ثلاثين رجلاً من مردة بني أمية في صفة الحاجة وأمرهم عن أمر يزيد بقتل الحسين أينما كان وحيث ما وجد ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فخاف الحسين (ع) أن تهتك حرمة الحرم الآمن بقتله فيه، وقد قال (ع): لئن اقتل خارجاً عن الحرم بباع خير من أن أقتل دانياً إليه بذراع، ولذلك عجل في خروجه من مكة فخرج منها يوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية الذي يخرج فيه الحاج إلى منى وعرفات. والحسين تارك الحج وخارج من مكة وهو - في صورة الظاهر - كما قال السيد جعفر الحلي:

لم يدر أين يريح بدن ركابه ... فكأنما المأوى عليه محرم

وقال السيد حيدر في الحسين ومن معه من بني هاشم:

ضاقت بها الدنيا فحيث توجهت ... رأت الحتوف أمامها ووراءَها

فالحسين خاف القتل بالمدينة، وخشي الاغتيال بمكة، فلم يجد بالبلدتين استقراراً وأماناً، فتردد أمره بين المصير إلى الشام، أو اليمن، أو البصرة، أو الكوفة، وبقية الأقطار تبع لهذه العواصم الأربع.

أما الشام فسبيلها واضح، إذ أنها عاصمة بني أمية وتخت مملكة يزيد فلا يمكن

---

[1] راجع (بطل العلقمي) ج١ ص٣٣١ للمظفري.

للحسين أن يصير إليها، ولو صار إليها مع عدم تمكنه من احتلالها يكون قد ألقى بيده إلى التهلكة حيث يكون قد مكن عدوه منه وحاشا الحسين أن يكون منه ذلك.

أما اليمن وإن أشار على الحسين بعض نصحائه بالمصير إليها لما فيها من شيعته وشيعة أبيه، ولكنهم قوم ضعفاء في الحقيقة لا قدرة لهم على الدفاع عن أنفسهم فضلاً عن غيرهم والدليل على ذلك أنهم لما أرسل إليهم معاوية جيشاً بقيادة بسر بن أرطأة العامري سنة أربعين من الهجرة ففتك فيهم ذلك الفتك العظيم حتى قتل منهم ألوفاً مؤلفة، وحتى أباد شيوخهم الركع وذبح أطفالهم الرضع ونهب أموالهم وسبى عيالهم وأقام نساءهم في الأسواق للبيع وكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقاً اشتريت على عظم ساقها، قال صاحب الاستيعاب ج١ ص١٦٥: فكن أول مسلمات سبين في الإسلام، ومع ذلك كله لم يقفوا أمامه ساعة من نهار ولا انتصفوا منه وقد أحل بهم الدمار وأشرف بهم على البوار، ولم تجر لبعضهم معه معركة ولم يقاوم تيار جوره منهم مقاوم، هذا وهم أضعاف الجيش الغازي لهم بكثير ولولا همة أمير المؤمنين (ع) بإرسال ألفي عراقي إلى اليمن بقيادة جارية بن قدامة السعدي أحد ثقاته فطرد بسراً عن اليمن وأرجعه خاسئاً ذليلاً فاراً منه فرار الأرنب من الذئب ولولا ذلك لا فناهم وأبادهم.

فإذا كانت هذه همة هؤلاء كيف يثق الحسن بهم ويصير إليهم ولا سيما وقد تمركزت فيهم الدعوة الأموية وسرت فيهم روح النفاق وانتشرت جراثيم الفساد، وقد سيطر الجور والظلم عليهم وولاة يزيد في أقطارهم مهيمنون على اليمن بأسره كبحير بن ريسان الحميري وأضرابه، وعلى كل كانت اليمن قد استقامت ليزيد وتمهدت له واحتلها عماله، فلا يمكن للحسين (ع) أن يصير إليها، نعم إلا إذا كانت عنده قوة حربية كافية يتمكن بها من احتلال البلاد، والحال أنه ليس معه حين خرج إلا أهل بيته ونفر يسير من خلص شيعته.

أما البصرة فهي بالطبع عثمانية، وأحقاد يوم الجمل متوغلة في صدور أهلها، وبغض أهل البيت سائدٌ على الغالب من سكانها، حتى أن رجلاً منهم لاموه على بغض أمير المؤمنين فقال: كيف لا أبغض من قتل أكثر من خمسمائة من قومي في غداة واحدة، وأيضاً أنى يتمكن الحسين من الوصول إليها وابن زياد لما بلغه توجه الحسين إلى العراق أرسل الحصين بن نمير التميمي في أربعة آلاف فارس حتى نزل القادسية، فنظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان، وما بين القادسية إلى القطقطانية، وأخذوا ما بين واقصة إلى طريق الشام وإلى طريق البصرة فلا يدعون أحداً يلج ولا أحداً يخرج إلا فتشوه.

وإذا عرف الحسين أنه مقتول لا محالة، أقام أم ظعن وسواء قصد الشام أو اليمن أو البصرة أو الكوفة، كان قصد الكوفة هو المتعين عليه إتماماً للحجة عليهم لأنهم كاتبوه، ولو قصد الحسين غيرهم وقتل لقالوا: ما جاءنا، ولو جاءنا لنصرناه ودفعنا عنه أعداءه، ولأهل الأمصار التي يقصدها الحسين غير الكوفة أن يعتذروا ويقولوا له: لم نرسل إليك ولم نكاتبك، ونحن عاجزون عن مقاومة السلطان، وليس لأهل الكوفة هذا العذر، بل يقال لهم: إذا كنتم لا تقدرون على نصرته فلم غررتموه؟ وقد وبخهم بذلك الحسين وكثير من أهل بيته وأصحابه ومنهم الحر بن يزيد الرياحي بعد ما تحول من عسكرهم إلى عسكر الحسين وبخهم بذلك قائلاً: يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعير[1]، دعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلون أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه؟

دعوتمـــوه فـــلما حـــل ســـاحتكم ثـــرتم إلى قـــتله خـــيلاً وركـــبانا

أمســـكتم بنفســـه وأخـــذتم بكلكلـــه وأحطـــتم بـــه مـــن كـــل جانـــب

لتمـــنعوه الـــتوجه إلى بـــلاد الله العريضـــة، فصـــار كالأســـير في

---

(١) الهبل الثكل، والعير بفتحتين الدمعة قبل أن تفيض.

أيديكم لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضراً، وحلأتموه ونساءه، وصبيته عن ماء الفرات الجاري تشربه اليهود والنصارى والمجوس، وتمرغ فيها خنازير السواد وكلابه، وها هم قد صرعهم العطش، بئسما خلفتم محمداً (ص) في ذريته، لاسقاكم الله يوم الظمأ[1].

نعم والله صرعهم العطش وأثر فيهم أثراً عظيماً حتى اسودت الدنيا بأعينهم، ولم يكن يعسر على الحسين إيجاد الماء له ولعياله من طريق المعجز، كلا، ولكنه رام زيادة الأجر والثواب بما يتحملون من عظيم المصاب، وأراد أن يكون سبباً لنجاة أمة جده وشيعته يوم العطش الأكبر.

أأذوق طعم الماء وابن محمد ... لم يرو حتى للمنون اذيقا

لا عذر للشيعي يرقي دمعه ... ودم الحسين بكربلاء أريقا

---

(١) راجع البحار ج٤٥، ص١١ نقلاً عن المفيد، ونقل الخطبة السيد عبد الرزاق المقرم في مقتل الحسين ص١٤٦ عن ابن الأثير ج٤ ص٢٦.

المجلس الثالث

من تبكيه السماء والأرض عند فقده ومن لا تبكيانه؟ وبكاؤهما على الحسين (ع)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُون ❖ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ❖ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ❖ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ❖ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ الدخان/ ٢٦ - ٣٠.

عير الله سبحانه وتعالى – في هذه الآيات من سورة الدخان - المتجبرين المستكبرين من فرعون وآل فرعون وحقرهم وصغر قدرهم حيث أنهم لما أغرقوا وأهلكوا بتلك الآية الإلهية العظمى ما بكت عليهم السماء والأرض.

قصة إهلاك فرعون وجنوده:

ومجمل قصة إهلاكهم وكيفيتها هي أنهم لما تمادوا في الطغيان وأعرضوا عن عبادة الرحمن، وصمموا أخيراً على قتل موسى وأخيه ومن معهما من المؤمنين بمؤامرة سرية دبروها فيما بينهم، أوحى الله إلى موسى (ع) يخبره بما عزم عليه فرعون وجنوده من قتله ومن معه وإبادتهم. وأمره أن يجمع قومه من المؤمنين وأن يسير بهم إلى جهة بحر النيل، فامتثل موسى أمر ربه، مع العلم أن موسى لم تكن معه وسائل للنجاة والعبور في البحر، ولكن رسل الله وأولياءه إذا أمرهم الله بأمر امتثلوه لعلمهم أن الله معهم وقادر

على إنجائهم من أعدائهم، وقد أخبر الله بذلك موسى وهارون من أول بعثهما بقوله تعالى: ﴿لا تَخافا إِنَّنِي مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى﴾ طه/٤٧.

هجرة النبي (ص) ومبيت علي (ع) بمكانه:

ومن الأمثلة الواقعية على ذلك أن قريشاً لما اجتمعت بقبائلها على باب دار النبي(ص) ليلة هجرته، وقد صممت على قتله تلك الليلة، - وهي على المتعارف أول ليلة من المحرم - أوحى الله إليه وأمره أن يخرج من داره ويترك علياً أمير المؤمنين (ع) نائماً على فراشه ويهاجر إلى المدينة، فامتثل أمر ربه، ولم يسأله كيف أخرج من الدار وقريش وقوف على بابها وهي تريد قتلي؟ ذلك لعلمه (ص) أن الله سينجيه من مكرها وكيدها.

وبالفعل دعا رسول الله (ص) علياً (ع) وأخبره بذلك وقال له: أوحى إلي ربي أن أهجر دار قومي وأنطلق إلى غار ثور في ليلتي هذه، وأن آمرك بالمبيت على مضجعي ليخفى بمبيتك عليهم أمري، فقال له علي (ع): أو تسلم بمبيتي مكانك يا نبي الله؟ قال: نعم، فتبسم علي ضاحكاً وأهوى إلى الأرض ساجداً شاكراً لله لما بشره (ص) بسلامته، يقول المؤرخون: وكان علي (ع) أول من سجد شكراً لله، وأول من وضع وجهه على الأرض في سجدته من هذه الأمة بعد رسول الله (ص) فلما رفع رأسه قال: أمض فيما أمرت فداك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومرني بما شئت، قال: أرقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي، ثم إني أخبرك: إن الله يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأوصياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يا بن عم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن خليله إبراهيم والذبيح إسماعيل، فصبراً صبراً فإن رحمة الله قريب من المحسنين، ثم ضمه النبي (ص) إلى صدره وبكى، وبكى علي (ع) حزناً على فراق رسول الله، ثم خرج في فحمة العشاء الآخر، والرصد من قريش قد أطافوا بداره، وقد أخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها

على رؤوسهم وهو يقرأ: ﴿وَجَعَلْنا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ يس/١٠.

وسار حتى تجاوزهم من دون أن يشعر به أحد منهم، ومضى حتى وصل إلى الغار فدخل فيه ومعه أبو بكر حيث التقى به في طريقه وأخذه معه. وأمر الله العنكبوت فنسجت على باب الغار، وأمر حمامتين وحشيتين فباضتا بفم الغار، وحينما جاء القوم في طلبه متبعين أثره وقربوا من الغار وقد انقطع هناك أثره وقفوا متحيرين في أمره، وقال بعضهم: إن العنكبوت قد نسج عليه والحمام قد باض هنا قبل ميلاد محمد، ويئسوا منه ورجعوا خائبين.

نعم هكذا أنجى الله نبيه من مكرهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾ الأنفال/٣١.

هذا ما كان من أمر النبي (ص) وأما علي (ع) فإنه لما بات مكان رسول الله ملتحفاً ببرده جعل القوم يقذفونه بالحجارة حيث كانت دور مكة يومئذ لا أبواب لها، وهم لا يشكون أنه رسول الله، حتى إذا قرب الفجر هجموا عليه فلما بصر بهم علي (ع) وقد انتضوا السيوف في وجهه وثب عليهم وأخذ سيف خالد بن الوليد من يده، وكان معهم، وشد عليهم به فأجفلوا أمامه إجفال النعم وأبصروه وإذا هو علي فقالوا له: إنا لم نردك فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لي به، وفتشوا الدار فلم يجدوا للنبي عيناً ولا أثراً.

حفظ الله وجزاؤه لعلي (ع) ليلة الهجرة.

وحفظ الله علياً أيضاً من كيدهم حيث يروي لنا المفسرون والمحدثون والمؤرخون من العامة فضلاً عن الخاصة: أن الله أوحى إلى جبرئيل وميكائيل تلك الليلة: إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟

فاختار كلاهما الحياة فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد (ص) فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فهبطا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب يباهي الله عز وجل بك الملائكة، وأنزل الله على رسوله (ص) وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبادِ﴾ البقرة/٢٠٨[1].

وشاهدنا بهذه القصة أن رسل الله وأولياءه إذا أمرهم الله بأمر امتثلوه، فموسى(ع) حينما أمره الله أن يجمع قومه المؤمنين ويخرج بهم إلى بحر النيل امتثل أمر الله عز وجل، فجمع قومه وخرج بهم إلى جهة البحر وعندما خرجوا وبلغ فرعون ذلك اغتنم خروجهم وتجمعهم فرصة سانحة لإبادتهم فجمع جنوده وما عنده من قوة وخرجوا جميعاً خلفهم حتى قاربهم، قال تعالى:

﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ❖ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحابُ مُوسى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ❖ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ ❖ فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِب

---

(١) هذا الحديث بهذا النص رواه الثعلبي في تفسيره مخطوط، والصفوري في نزهة المجالس ج٢ ص ٢٠٩، والغزالي في إحياء العلوم ج٣ ص١٧٧، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة ج٤ ص٢٥، والكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص١١٤، وابن حسنويه الموصلي في در بحر المناقب ص٤ مخطوط، وتقي الدين الحموي في ثمرات الأوراق المطبوع بهامش المستطرف ج٢، ص١٧ - ١٨، وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص٣٠، وجمال الدين الهروي في روضة الأحباب ص١٨٥ مخطوط، ومحمد الكازروني في السيرة المحمدية مخطوط، وبرهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية ج٢ ص٢٧، والبدخشي في مفتاح النجا في مناقب آل العبا ص٢٣، والشيخ سليمان الحنفي في ينابيع المودة ص٩٢، ونقله عن هذه المصادر صاحب تعليقات إحقاق الحق ج٦ ص٤٧٩ - ٤٨١، ورواه الشيخ الطوسي في أماليه ج٢ ص٨٣ عن أبي اليقظان أن رسول الله(ص) حدثه به بقباه، ورواه السيد محسن العاملي في أعيان الشيعة ج٢ ص١٣١ وذكر الحديث مختصراً الفخر الرازي في تفسيره ج٢ ص١٩٢.

﴿بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ الشعراء/٦١ - ٦٤.

نعم هكذا كان الحال ضرب موسى البحر بعصاه فانفلق وطلعت لهم أرض البحر أرضاً يابسة كما قال تعالى: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخافُ دَرَكاً وَلا تَخْشى﴾ طه/٧٨. وعبروا إلى الجانب الآخر سالمين منتصرين.

ومن هنا جاء في حديث أن أمير المؤمنين (ع) سئل عن أرض طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها مرة أخرى؟ قال (ع): هي أرض بحر النيل التي عبر عليها موسى وقومه وأغرق الله فيها فرعون وجنوده[1].

وحينما انتهى فرعون إلى ساحل البحر ورأى قوم موسى يعبرون على أرض يابسة لم يرتدع عن غيه وطغيانه بما شاهد من تلك الآية الإلهية العظمى بل أجبر جنوده على العبور خلفهم، وطلبوا منه أن يكون أمامهم فأجابهم إلى ذلك وأقحم فرسه ودخل وجنوده خلفه حتى إذا خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر، جاءه أمر الله فأطبق عليهم فغرقوا جميعاً ونجا موسى ومن معه.

وهذه القصة الواقعية استعرضها القرآن المجيد في العديد من سوره والكثير من آياته للعبرة والعظة، وأجملها في سورة يونس بثلاث آيات بقوله تعالى: ﴿وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ❖ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ❖ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ﴾ يونس/٩١-٩٣.

نعم أخذت زبانية جهنم روح فرعون وجنوده للعذاب الدائم كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

---

(١) راجع الحديث وقصته في كتاب (علي والخلفاء) للشيخ نجم الدين العسكري ص١٧٢ - ١٧٦ وينقلها عن عدة مصادر ومنها (زين الفتى في شرح سورة هل اتى).

﴿الْعَذابِ﴾ المؤمن/ ٤٧.

وأما بدن فرعون بالخصوص فقد قذفته أمواج البحر وحده جثة هامدة ليكون عبرة لغيره بعدما كان يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلى﴾ النازعات/٢٥. ورجع موسى بمن معه من بني إسرائيل إلى مصر بلد فرعون وأورثهم الله ملكه ونعيمه، كما قال تعالى في الآيات التي ابتدأنا بها: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ❖ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ ❖ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ ❖ كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ ❖ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

نعم هكذا كان الحال، ترك آل فرعون كثيراً من الجنات الرائعة، والعيون الجارية، والزروع الكثيرة، والمنازل الخطيرة، والنعم العظيمة المتنوعة وفارقوها بعد هلاكهم، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين (أي ما كانوا مؤخرين)، وهو كناية عن سرعة إهلاكهم وقهرهم.

فوجه التعبير والتحقير لهم هو عدم بكاء السماء والأرض عليهم بعد إهلاكهم، وفي هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على أن السماء والأرض يبكيان على المؤمن دون غيره، لأن الكلام له منطوق، وله مفهوم، فمنطوق الآية: (فما بكت عليهم السماء والأرض) ومفهومها أنهم لكفرهم وإصرارهم عليه ما بكت عليهم السماء والأرض بعد إهلاكهم، بخلاف المؤمن فإن السماء والأرض تبكيان عليه عند فقده.

ويؤيد هذا المفهوم من الآية نصوص عديدة في السنة النبوية رواها المفسرون والمحدثون من الخاصة والعامة وهي كثيرة، ومنها ما روي عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية فقيل له: وهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم، المؤمن يبكيه مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء[1].

---

(١) راجع مجمع البيان للطبرسي م٥ ص٦٥ والدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٣٠، وقد رواه عن كل من عبد بن حميد، وابن جرير الطبري، وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان، ورواه ابن كثير «

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك عن النبي (ص) أنه قال: ما من مؤمن إلا وله باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات فقداه فبكيا عليه، ثم تلا(ص): (فما بكت عليهم السماء والأرض) وقال: لأنهم (أي الذين لم تبك عليهم السماء والأرض) لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً فتبكي عليهم، ولم يصعد لهم إلى السماء كلام طيب ولا عمل صالح فتبكي عليهم[1].

وروى الكليني في الكافي، والصدوق في علل الشرائع بسنديهما عن علي بن أبي حمزة أنه قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر (ع) يقول: إذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة، وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها، وأبواب السماء التي كان يصعد فيها بأعماله، وثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء، لأنّ المؤمنين الفقهاء حصون الإسلام كحصن سور المدينة لها)[2] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

معنى بكاء السماء والأرض:

ومعنى بكاء السماء والأرض هو أثر وتأثر يكون فيهما يعبر عنه بالبكاء، إذ حقيقة البكاء بالنسبة إلى الإنسان هو حزن القلب وتأثره، أما جريان الدموع من العينين فهو مظهر من مظاهر البكاء، ويعبر عنه بالبكاء أيضاً، ولذلك لما قبض إبراهيم بن النبي(ص) وهو إذ ذاك صبي صغير، ومشى النبي في جمع من أصحابه خلف جنازته، شوهد وهو يبكي ودموعه تجري على خديه، فقيل له: أو تبكي يا رسول الله؟ فقال: نعم، تدمع العين ويحترق القلب ولا نقول ما يسخط الرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون[3].

الدمشقي في تفسيره ج٤ ص١٤٢، وقد نقلناه مختصراً.

(١) راجع المصادر السابقة، وتفسير الفخر الرازي ج٧ ص٣٢١.

(٢) راجع الشافي في شرح أصول الكافي للمظفري ج٢ ص٤٤، وعلل الشرائع للصدوق ص٤٦٢، ومرآة الرشاد ص١٤٠.

(٣) نقل الحديث السيد محسن العاملي في كتابه إقناع اللائم ص٤٧ عن البخاري في صحيحه،

«

فاحتراق القلب وحزنه هو حقيقة البكاء، ودموع العينين مظهر له. هذا بالنسبة إلى الإنسان أما بالنسبة إلى السماء والأرض فهو كما قلنا: أثر وتأثر يكون فيهما يعبر عنه بالبكاء، وقد يظهر لذلك الأثر مظهر يدل عليه مثل ما يقع فيهما من اختلال واضطراب وزلزال وبركان وعواصف وحمرة وغير ذلك من أنواع التأثرات.

فالمؤمن عند فقده تفقد السماء والأرض أعماله الصالحة، وكلامه الطيب، وما كان ينزل عليه من رزقه فتتأثر عليه وتحزن لفقده وفقد عمله.

والعبد كلما ازداد إيماناً بالله ومعرفة به وأعمالاً صالحة، طال وكثر بكاء السماء والأرض عليه عند فقده، ويستفاد هذا المعنى من حديث روي عن النبي (ص) أنه قال لعلي (ع): يا علي إذا مات المؤمن تبكيه السماوات والأرضون أربعين صباحاً، وإذا مات العالم تبكيه السماوات والأرضون أربعين شهراً، وإذا مات الإمام تبكيه السماوات والأرضون أربعين سنة[1] إلخ.

والإمام كلما تعظم مصيبته وتشتد فاجعته يعظم بكاء السماء والأرض عليه، ومن هنا لما كانت مصيبة الحسين (ع) هي أعظم من كل مصيبة وفاجعته أعظم من كل فاجعة، لذا بكت عليه السماء والأرض بكاءً ما بكته على أحد قبله ولا بعده من نبي أو وصي، بل أبكت مصيبته جميع أنواع المخلوقات من ملك وفلك وجماد ونبات وسائر الحيوان من أنس وجان وأثرت فيها أثراً محسوساً شاهداً لدى أهل ذلك العصر، وخلد لنا التأريخ ذكر ذلك الأثر العظيم، وتسالم عليه الفريقان من الخاصة والعامة، كخسوف القمر، وكسوف الشمس على غير مجاري العادة الطبيعية المتعارفة[2]. بحيث

وص٤٨ عن ابن ماجة في سننه.

(١) راجع كتاب المنتخب للطريحي ص١٤٣ حيث روى عن ابن عباس ما يقارب هذا المعنى.

(٢) خسوف القمر يكون عادة في منتصف الشهر، وكسوف الشمس يكون في أواخره أما الكسوف والخسوف الذي حدث في قتل الحسين (ع) فهما ناتجان على الظاهر من اسوداد الآفاق والله أعلم.

رؤيت النجوم نهاراً، وكمطر السماء دماً وتراباً أحمر وتساقط الكواكب وظهور الحمرة في السماء واسوادها وتفجر الأرض دماً عبيطاً وسيلان حيطانها دماً، ونبوع الدم من الشجر، وكنوح الجن وبكائها إلى غير ذلك من انقلاب الورس (وهو نبات كالسمسم يصبغ به) رماداً واللحم علقما، وهذا كله قد اتفق الفريقان على وقوعه ونظمه الأدباء في تأبينهم لسيد الشهداء فقال الشيخ صالح التميمي:

وقل بقتيل قد بكته السماء دماً ... عبيطاً فما قدر الدموع السواجم

قتيل بكاه المصطفى وابن عمه ... وأجرى عليه من دم دمع فاطم

وناحت عليه الجن حتى بدا لها ... حنين تحاكيه رعود الغمائم

وقال الشيخ صالح العرندسي:

إمام بكته الأنس والجن والسما ... ووحش الفلا والطير والبر والبحر

وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة ص١١٦: ومما ظهر يوم قتله (أي قتل الحسين(ع)) من الآيات أن السماء اسودت اسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط، قال: واخرج أبو الشيخ أن الورس الذي كان في عسكرهم تحول رماداً ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران فطبخوها فصارت مثل العلقم، وأن السماء احمرت لقتله وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أن القيامة قد قامت، ولم يرفع حجر في الشام إلا رؤي تحته دم عبيط.

قال: وأخرج عثمان بن شيبة أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضا. ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: أن الدنيا اظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء، وقال أبو سعيد: ما رفع حجر من الدنيا إلا وظهر تحته دم عبيط، ولقد أمطرت دماً بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت ثم قال ابن حجر: وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب

دلائل النبوة عن نصرة الأزدية أنها قالت: لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دماً فأصبحنا وحبابنا وجرارنا مملوءة دماً، وفي رواية انه مُطِر كالدم على البيوت والجدر بخراسان، والشام، والكوفة، وأنه لما جيء برأس الحسين إلى دار ابن زياد سالت حيطانها دماً، قال ابن حجر: وأخرج الثعلبي: أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها، وقال غيره: احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك، وأن ابن سيرين قال: أخبرنا أن الحمرة التي من الشفق لم تكن قبل قتل الحسين، وذكر ابن سعد: أن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله[1].

قال ابن الجوزي: وحكمته إن غضبنا يؤثر حمرة الوجه، والحق تنزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهاراً لعظيم الجناية.

ومما ظهر يوم قتله من الآيات التي ذكرها ابن حجر في صواعقه ص١١٥ نوح الجن عليه فقد روى عن أم سلمة زوجة النبي (ص) أنها سمعت نوح الجن على الحسين وأنها بكت حين سمعت النوح حتى أُغشِيَ عليها، وروى أيضاً أن النبي (ص) كان قد دفع إليها تراباً جاء به جبريل إليه وقال لها: يا أم سلمة إن هذا من تربة الأرض التي يقتل فيها ولدي الحسين، فمتى صار دماً فاعلمي أنه قد قتل، قالت أم سلمة: فوضعته في قارورة، وكنت أقول: إن يوماً يتحول فيه التراب دماً ليوم عظيم، قالت: فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دماً، قال ابن حجر وفي رواية أخرى أن جبرئيل جاء إلى النبي بحصيات فجعلهن رسول الله (ص) في قارورة ودفعها لأم سلمة، قالت: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ... فابشروا بالعذاب والتنكيل

قد لعنتم على لسان ابن داو ... د وموسى وصاحب الإنجيل

---

(١) قال المجلسي في البحار ج٤٥ ص٢١٩ يمكن أن يكون المراد كثرة الحمرة وزيادتها، (راجع لزيادة الإيضاح كتاب إقناع اللائم ص١٥).

قالت: فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً.

وقال ابن الأثير في كامله: سمع أهل المدينة ليلة قتل الحسين منادياً ينادي:

أيهـــا القـــاتلون جهـــلاً حســـيناً ابشـــروا بـــالعذاب والتنكـــيل
كـــل أهـــل الســـماء تدعـــو علـــيكم مـــن نـــبي ومرســـل وقبـــيل
قـــد لعنـــتم عـــلى لســـان ابـــن داو د وموســـى وصـــاحب الإنجـــيل

وروى ابن حجر أن أهل الكوفة لما جاءوا برأس الحسين إلى يزيد، فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون (أي خمراً) بالرأس فبينما هم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت سطراً بدم.

أتـــرجو أمـــة قتلـــت حســـيناً شـــفاعة جـــده يـــوم الحســـاب

فهربوا وتركوا الرأس. قال: أخرجه منصور بن عماد، وذكر غيره أن هذا البيت وجد بحجر قبل مبعثه (ص) بثلاثمائة سنة، وأنه مكتوب في كنيسة من أرض الروم لا يدرى من كتبه.

ومن الآيات التي ظهرت عند قتل الحسين ما رواه الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار، وأخطب خوارزم في مقتل الحسين ج٢ ص٩٩ وغيرهما مسنداً عن هند بنت الجون قالت: لما هاجر رسول الله (ص) من مكة إلى المدينة ونزل في طريقه بخيمة خالتي أم معبد، وكان في أمره في الشاة ما قد عرفه الناس، وأنه (ص) قد رقد هنيهة فلما انتبه من رقدته دعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة وإذا هي كأعظم دوحة، وحملت بثمر كأعظم ما يكون من لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد، ما أكل منها جائع إلا شبع ولا ظمآن، إلا روي، ولا سقيم إلا برئ، وما أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا در لبنها. وكنا نسميها (المباركة) ويأتينا من البوادي من يستشفي بورقها ويتزود منها، وما زالت كذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها وصغر ورقها ففزعنا فما راعنا إلا نعي رسول الله (ص) وإذا هو قد قبض في ذلك

اليوم، فكانت بعد ذلك تثمر ثمراً دون ذلك في العظم والطعم والرائحة، فأقامت على ذلك نحو ثلاثين سنة، فلما كان ذات يوم أصبحنا وإذا بها ذات شوك من أسفلها إلى أعلاها، وذهبت نضارة عيدانها وتساقط ثمرها فما كان إلا يسير حتى وافانا خبر مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها، ثم أصبحنا بعد مدة طويلة وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد ذبل ورقها، فبينما نحن فزعون مهمومون إذا أتانا خبر قتل الحسين، ويبست الشجرة على أثر ذلك وذهبت ودرس أثرها[1].

ومعلوم أنه ما وقع هذا الانقلاب الهائل وتلك الأحوال المدهشة في العالمين العلوي والسفلي، وبكاء الأشجار والأحجار دماً عبيطاً عند قتل الحسين، إلا تنبيهاً على عظيم مصيبته وجليل رزيته، ولئلا تنساها الخاصة والعامة على مرور الليالي والأيام، وفيها بَعْثٌ للناس على إظهار الحزن والجزع والكآبة على مصيبة الحسين الذي

أبكـــــت مصـــــيبته الســـــماء فكـــــيف لا تبكـــــيه عـــــيني

ومن هنا ترى شيعة أهل البيت من يوم قتل الحسين إلى يومنا هذا ما نسوا تلك المصيبة بل تراهم ملتزمين بنصب المآتم وإقامة العزاء وإظهار الحزن والبكاء خصوصاً أيام العشرة من شهر المحرم، وإذا كان اليوم العاشر منه يشتد عليهم الحزن والبكاء موافقة لحزن السماوات والأرض، ومواساة لنبيهم ولأئمتهم لأنهم حزنوا حزناً شديداً على مصابه.

---

(١) نقل الحديث عن الزمخشري السيد محسن العاملي في إقناع اللائم ص٢١ بواسطة كتاب كشف الغمة وتجده في كتاب كشف الغمة ج١ ص٢٥ كما نقله المجلسي في البحار ج٤٥ ص ٢٣٣ عن سيد الحفاظ ابي منصور الديلمي بسنده نقلاً عن بعض كتب المناقب المعتبرة.

البكاء على الحسين من السنن النبوية:

ولكن بعض المنحرفين والمخالفين لأهل البيت جعلوا ذلك بدعة في الدين وأخذوا يشنعون على الشيعة بعقدهم المآتم، وينتقدونهم على بكائهم على مصيبة الحسين.

والعجب كل العجب من ابن حجر الذي روى لنا في صواعقه المحرقة انقلاب العالم بأسره يوم قتل الحسين، وبكاء جميع المخلوقات عليه ثم يقول في نفس الكتاب ص١٠٩ عند ذكر اليوم العاشر من المحرم: فمن ذكر ذلك اليوم مصابه لم ينبغ أن يشتغل إلا بالاسترجاع، ولا يشتغل ذلك اليوم إلا بذلك ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم. ثم يقول: وإياه ثم إياه أن يشتغل ببدع الرافضة من الندب والنياحة والحزن إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين... الخ.

فانظر كيف جعل الندب والنياحة والحزن على عزيز رسول الله وحبيبه وريحانته بدعة في الدين، وأن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين هذا وقد بكاه آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى وزكريا ويحيى والخضر وسليمان وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، فأي عاقل يرغب عن مذهبنا في البكاء بعد ثبوته عن الأنبياء قال عز من قائل: ﴿**وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْراهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾ البقرة/١٣١. ويقول الكواز:

كفى بيومك حزناً إنه بكيت ... له النبيون قدماً قبل أن يقعا

بكاك آدم حزناً يوم توبته ... وكنت نوراً بساق العرش قد سطعا

وأما أئمة العترة الطاهرة الذين هم أحد الثقلين الذين لا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي إلى الله من صد عنهما، فقد استمرت سيرتهم على الندب والعويل وأمروا أولياءهم بإقامة المآتم جيلاً بعد جيل. وما أدري كيف يكون البكاء والحزن بدعة بعد أن بكى عليه جده رسول الله (ص) وهو المشرع الأمين عن الله رب العالمين. ويقول الله سبحانه: ﴿**لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ**

﴿وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾ الأحزاب/٢٢. كما بكاه أبوه أمير المؤمنين وهو سيد الوصيين وإمام الخلائق أجمعين بإجماع المسلمين، أيبكي رسول الله وأمير المؤمنين قبل نزول الفاجعة ونحن لا نبكي بعدها؟ ما هذا شأن المتأسي بنبيه والمقتفي لأثره والمتبع لأوامره، إن هذا إلا خروج عن قواعد المتأسين بل عدول عن سنن النبيين صلوات الله عليهم أجمعين.

وابن حجر نفسه قد روى لنا في صواعقه ص١١٥ بكاء النبي (ص) وعلي وحزنهما على الحسين مراراً عديدة منها قال: وأخرج ابن سعد عن الشعبي أنه قال: مر علي (رض) بكربلاء عند مسيره إلى صفي، ن فلما حاذى نينوى وهي قرية على الفرات فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل له: كربلاء فبكى حتى بل الأرض من دموعه، ثم قال: دخلت على رسول الله (ص) وهو يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: كان عندي جبرئيل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء، ثم قبض جبرئيل قبضة من تراب شمني إياه، فلم أملك عيني أن فاضتا، ثم قال ابن حجر: ورواه أحمد مختصراً عن علي، الحديث... الخ.

وروى ابن حجر أيضاً عن الترمذي: أن أم سلمة رأت النبي (ص) يوم العاشر من المحرم باكياً وبرأسه ولحيته التراب فسألته: فقال: قتل الحسين آنفاً. ثم قال ابن حجر في الصواعق وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار أشعث أغبر وبيده قارورة فيها دم يلتقطه، فسأله: فقال: هذا دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم، قال: فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم.

ولو أردنا أن نذكر المواطن التي بكى فيها رسول الله على ولده من طريق صحاح السنة لطال علينا المقام، وأما صحاحنا فإنها متواترة في بكائه على حبيبه في مقامات عديدة يوم ولادته وقبلها ويوم السابع من مولده وبعده، في بيت فاطمة وفي حجرته وعلى منبره وفي بعض أسفاره، تارة يبكيه وحده، ومرة هو والملائكة، وأحياناً هو

وعلي وفاطمة، كما قال السيد الشريف الرضي في بعض قصائده[1].

ميـــت تـــبكي لـــه فاطمـــة وأبوهـــا وعلـــي ذو العـــلا

بل ربما بكاه هو وأصحابه، وكان (ص) يقبله في نحره ويبكي، ويقبله في شفتيه ويبكي، وإذا رآه فرحاً يبكي، وإذا رآه حزيناً يبكي، هذا حاله وهو يراه صحيحاً سالماً، وما أدري ما جرى عليه حين زاره ليلة الحادي عشر من المحرم ومعه أمير المؤمنين وفاطمة والحسن فرآه وقد قطع الشمر رأسه، والجمّال يديه، وبجدل إصبعه، وجالت الخيل على صدره وظهره وسلبوه درعه وثيابه.

أحســين هــل وافــاك جــدك زائــراً فــرآك مقطــوع الوتــين معفــراً

أم هــل درى بــك حــيدر في كــربلا فــرداً غريــباً ضــامياً أم مــا درى

مــن مــبلغ الزهــراء أن عزيــزها ملقــى ثلاثــاً في العــرا لم يقــبرا

وبــناتها يــوم الطفــوف ســليبة تسـبى عــلى عجــف المطايــا حســرا

---

(١) راجع قصيدته في رثاء الحسين (ع) في (الدر النضيد) ص٢.

المجلس الرابع

فوائد البكاء على الحسين (ع) وثواب زيارته

سـأمحو بدمعـي في قتـيل محـرم ... صـحائف قـد سـودتها بالمحـارم
قتـيل تعفـى كـل رزء ورزؤه ... جديـد عـلى الأيـام سـامي المعـالم
وقـل بقتـيل قـد بكـته السـما دماً ... عبـيطاً فمـا قـدر الدمـوع السـواجم
وناحـت عليـه الجـن حـتى بـدا لهـا ... حـنين تحاكـيه رعـود الغمـائم
قتـيل بكـاه المصـطفى وابـن عمـه ... وأجـرى عليـه مـن دم دمـع فـاطم

هذه أبيات من قصيدة غراء لشاعر أهل البيت الشيخ صالح التميمي يرثي بها الحسين (ع) وقد أشار بهذه الأبيات إلى حقائق ثابتة بالأدلة القطعية فيقول في البيت الأول:

سـأمحو بدمعـي في قتـيل محـرم ... صـحائف قـد سـودتها بالمحـارم

وقد أشار بهذا البيت إلى ما تواتر نقله في الأخبار عن النبي (ص) وأهل بيته الأطهار تواتراً قطعياً لا ريب فيه ولا شك يعتريه في عشرات من الأخبار من أن البكاء على الحسين (ع) وعظيم مصابه مسبب لغفران الذنوب والمعاصي ومحوها من صحائف الأعمال إكراماً من الله للحسين خاصة، ولجده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من بنيه عامة، ولطفاً منه جل وعلا بعباده المؤمنين ورحمة لهم لإيمانهم.

البكاء على الحسين يسبب غفران ذنوب المؤمنين:

نعم إن البكاء على الحسين (ع) مسبب لغفران الذنوب، ولكن ذلك لمن مات مؤمناً

مسلماً، موالياً للنبي (ص) وأهل بيته معادياً لأعدائهم، أما إذا كان الإنسان يدعي الإسلام ادعاءً وهو غير مسلم حقيقة، إنما ينافق في دعواه الإسلام، أو كان مجرماً في سلوكه تاركاً لأهم الفرائض والأركان الإسلامية والتي قد بني عليها الإسلام كالصلاة والصوم والزكاة والحج والولاية لأهل البيت (ع) ومرتكباً لكبائر الذنوب والمعاصي ومصراً عليها بلا ندم ولا توبة، موالياً لأعداء الله معادياً لأوليائه، فإنه ربما لا يموت مؤمناً مسلماً وحينئذ يكون من الخاسرين خسران الأبد لقوله تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران/٨٦. ذلك لأن الإسلام هو دين العقيدة والعمل.

فالبكاء على الحسين من أعظم أسباب النجاة ويمحو الذنوب والسيئات وإن كثرت ولكن للمؤمنين الصالحين لا لغيرهم، ومن الأدلة القرآنية على ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ هود/١١٦.

ومن أعظم الحسنات المذهبة للسيئات هي البكاء على الحسين (ع) لذا يقول هذا الأديب:

سأمحو بدمعي في قتيل محرم ... صحائف قد سودتها بالمحارم

خلود مصيبة الحسين (ع) ومعالمه:

ثم يقول:

قتيل تعفى كل رزء ورزؤه ... جديد على الأيام سامي المعالم

وهذه حقيقة ثانية يؤيدها الوجدان والعيان، وهي خلود مصيبة الحسين (ع)، وخلود معالمه، فإن كل رزء ومصيبة يصاب بها الناس تتعفى وتزول بعد قليل من أيام أو شهور أو أعوام قليلة، ولكن مصيبة الحسين جديدة على مدى الأيام والأعوام، ما زالت ولن تزول حتى يظهر الله الحق وأهله. وقد قال رسول الله (ص) لابنته فاطمة على ما روى الطريحي في المنتخب ص٢٨:

يا فاطمة إن نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة... الخ.

كما أن معالم الحسين ومآثره ومزاياه كعلمه، وعقائده، وسلوكه، وأخلاقه، وعبادته الخالصة لربه، وآثار نهضته، كلها خالدة ما خلد الدهر إلى يوم القيامة.

ولقد أجاد من قال:

كذب الموت فالحسين مخلد ... كلما أخلق الزمان تجدد

والسر في ذلك واضح جلي وهو أن الحسين (ع) نهض لأحياء دين الله وشريعة جده رسول الله (ص) وتجديدها وإبقائها، وقد شاء الله (وهو الشكور) أن يُبقي ذكرى الحسين خالدة في الدنيا، ويعلي درجته في الآخرة جزاء له على تضحياته الجسيمة لإحياء الدين والشرع، ولصبره وثباته المنقطع النظير، وقد تنبأت بذلك الصديقة الصغرى زينب الكبرى في خطابها ليزيد بقولها له: فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا.. الخ (راجع الخطبة بكاملها في كتاب مقتل الحسين لأخطب خوارزم الحنفي ج٢ ص٦٣ - ٦٦ فلذلك قال هذا الأديب:

قتيل تعفى كل رزء ورزؤه ... جديد على الأيام سامي المعالم

من أحاديث أهل البيت (ع) في بكاء المخلوقات على الحسين (ع):

ثم قال:

وقل بقتيل قد بكته السما دماً ... عبيطاً فما قدر الدموع السواجم

وناحت عليه الجن حتى بدا لها ... حنين تحاكيه رعود الغمائم

وهذه حقيقة أخرى نظمها هذا الأديب وهي أن السماء بكت على الحسين دماً، وناحت عليه الجن وبدا حنينها كمداً، نعم بكت عليه السماء والأرض بكاء ما بكته على أحد قبله ولا بعده من نبي أو وصي، بل أبكت مصيبته جميع المخلوقات من ملك وفلك وجماد ونبات وسائر الحيوان من إنس وجان، وأثرت فيها أثراً محسوساً مشاهداً

لدى أهل ذلك العصر، وخلد لنا التاريخ ذكر ذلك الأثر العظيم وتسالم عليه الفريقان من الخاصة والعامة[1].

حتى ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: إن أبا عبد الله الحسين (ع) لما قتل بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا، وما يرى وما لا يرى[2].

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده الباب ٢٦ ص٧٩ عن أبي بصير عن أبي جعفر (أي الباقر (ع)) أنه قال: بكت الإنس والجن والطير والوحش على الحسين بن علي حتى ذرفت دموعها، وإلى هذا الحديث وغيره يشير الشيخ صالح العرندسي:

إمام بكته الإنس والجن والسما ... ووحش الفلا والطير والبر والبحر

وقال الإمام الرضا (ع) لابن شبيب: يا بن شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه عن جده أنه لما قتل جدي الحسين أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر[3].

وجاء في دعاء يوم ولادة الحسين (ع): بكته السماء ومن فيها، والأرض ومن عليها ولما يطأ لابيتها[4] إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة.

---

١) أثبتنا ذلك بالدليل في مجلسنا السابق.

٢) نقل الحديث السيد محسن العاملي في كتابه إقناع اللائم ص٢٣ عن الشيخ الطوسي في الأمالي وعن ابن قولويه في الكامل عن جماعة أنهم سمعوه عن الإمام الصادق (ع) ونقله المجلسي في البحار ج٤٥ ص٢٠٥ عن الكامل من طريقين ص٧٩ وما بعدها.

٣) رواه الصدوق في الأمالي المجلس ٢٧ ص٧٩ ونقله عنه المجلسي في البحار ج٤٤ ص٢٨٦ وج٤٥ ص ٢٠١.

٤) راجع الدعاء في مفتاح الجنات ج٣ ص٨٣، ومعنى لابيتها، أي أطرافها، أو طرفيها الحاران. راجع (مجمع البحرين) ص١٣٣.

بكاء النبي (ص) وأهل بيته على الحسين (ع):

ثم يقول هذا الشاعر:

قتيل بكاه المصطفى وابن عمه وأجرى عليه من دم دمع فاطم

وهذه حقيقة أخرى أشار إليها هذا الأديب وهي أن النبي (ص) وابن عمه علي وابنته فاطمة الزهراء قد بكوا على الحسين وأجروا دموعهم عليه قبل نزول المصيبة به بكثير.

وهذا المعنى ثابت بإجماع التاريخ الإسلامي، أن رسول الله وأهل بيته الطاهرين قد بكوا على الحسين مراراً عديدة لا مرة ومرتين، وقد ألف في هذا الموضوع شيخنا الأميني (صاحب موسوعة الغدير) كتاباً أسماه سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته، ذكر في هذا الكتاب من ص٢٨ - ١٤٥ أكثر من عشرين مأتماً بكى فيها النبي (ص) على مصاب حبيبه الحسين (ع) وأن المخبر له والمعزي له هو أمين الوحي جبرئيل، وغيره من الملائكة، ومن تلك المآتم ما رواه المسلمون عن أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) وتجده في كتاب (سيرتنا) ص١٠٦ مختصراً.

حديث أم أيمن المفصل عن الإمام زين العابدين (ع):

ومروي من طرقنا عن الإمام زين العابدين عن عمته زينب بنت أمير المؤمنين (ع) عن أم أيمن حاضنة رسول الله (ص) عن رسول الله نفسه، وهو من الأحاديث الشهيرة ويعرف بحديث أم أيمن، فإن في هذا الحديث كثيراً من الحقائق التي نظمها الشاعر التميمي وغيرها.

وقد روى هذا الحديث الفقيه أبو القاسم جعفر بن محمد المعروف بابن قولويه، وهو من أعاظم علمائنا القدامى بسنده عن قدامة بن زائدة عن أبيه زائدة قال: قال علي بن الحسين (ع) بلغني يا زائدة إنك تزور قبر أبي عبد الله الحسين أحياناً؟ فقلت: إن ذلك لكما بلغك، فقال لي: ولماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً

على محبتنا وتفضيلنا، وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا؟ فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه فقال الإمام (ع) والله إن ذلك لكذلك؟ فقلت: والله إن ذلك لكذلك، يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً، فقال (ع): أبشرتم أبشرتم أبشر فلأخبرنك بخبر كان عندنا في النخب المخزون، فإنه لما أصابنا في الطف ما أصابنا، وقتل أبي (ع) وقتل من كان معه من ولده وأخوته وسائر أهل بيته وأصحابه، وحملت حرمه ونساؤه على الاقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتد لما أرى منهم قلقي فكادت نفسي أن تخرج، وتبينت عمتي زينب الكبرى بنت علي ذلك مني، فقالت(ع) ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع، وقد أرى سيدي وأخوتي وعمومتي وولد عمي مصرعين بدمائهم مرملين، بالعراء مسلبين، لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر، فقالت: لا يجزعنك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله (ص) إلى جدك وأبيك وعمك، وقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة، وهم معروفون في أهل السماوات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة فيدفنونها، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً، فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟ فقالت (ع)[1].

بداية حديث أم أيمن بنصه:

نعم حدثتني أم أيمن: أن رسول الله(ص) زار منزل فاطمة في يوم من الأيام فعملت له حريرة، وآتاه علي بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن: وأتيتهم بعسٍ فيه لبن

---

(١) لعل سؤال الإمام عمته عن ذلك العهد من باب (وكم سائل عن أمره وهو عالم).

وزبد، فأكل رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين من تلك الحريرة، وشرب رسول الله (ص) وشربوا من ذلك اللبن ، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر والزبد، ثم غسل رسول الله (ص) يده وعلي يصب عليه الماء، فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه، ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا به السرور في وجهه، ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً، ثم انه (ص) وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا، ثم خر ساجداً وهو ينشج (أي يبكي بكاء بصوت عالٍ مع التوجع) فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثم رفع رأسه (أي من السجود) وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين (ع) وحزنت معهم لما رأينا رسول الله (ص) وهبناه أن نسأله، حتى إذا طال ذلك قال له علي، وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك فقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك؟ فقال (ص): يا أخي ويا حبيبتي، لقد سررت بكم سروراً ما سررت مثله قط، وإني لأنظر إليكم وأنا أحمد الله على نعمته علي فيكم، إذ هبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اطلع على ما في نفسك وعرف سرورك بأخيك وابنتك وسبطيك، فأكمل لك النعمة وهنأك العطية بأن جعلهم وذرياتهم ومحبيهم وشيعتهم معك في الجنة، لا يفرق بينك وبينهم يحبون كما تحبى ويعطون كما تعطى حتى ترضى وفوق الرضا[1] على بلوى كثيرة تنالهم في الدنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أناس ينتحلون ملتك، ويزعمون أنهم من أمتك، براء من الله ومنك، خبطاً خبطاً

---

(١) ويؤيد هذا المعنى ويثبته قوله تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً) النساء/٧١ - ٧٢. كما تؤيد هذا المعنى السنة النبوية حيث روى الكثير من أهل السنة كالإمام أحمد بن حنبل، والترمذي، والطبراني وغيرهم: أن النبي(ص) أخذ بيد الحسن والحسين فقال: من أحبني وهذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. (راجع مصادر الحديث في تعليقات إحقاق الحق ج٩ من ص١٧٤ - ١٨٠ (وقد أثبت له مصدراً من طرق أهل السنة بصحائف مرقمة فراجع.

وقتلاً قتلاً، شتى مصارعهم نائية قبورهم[1] خيرة من الله لهم ولك فيهم، فاحمد الله عز وجل على خيرته، وارض بقضائه، فحمدت الله ورضيت بقضائه بما اختاره لكم.

ثم قال لي جبرئيل: يا محمد إن أخاك مضطهد بعدك مغلوب على أمتك متعوب من أعدائك، ثم مقتول بعدك، يقتله أشر الخلق والخليقة وأشقى البرية يكون نظير عاقر الناقة ببلد تكون إليه هجرته ومغرس شيعته وشيعة ولده وفيه (أي في البلد وهو الكوفة) على كل حال يكثر بلواهم ويعظم مصابهم.

وإن سبطك هذا، وأومأ بيده إلى الحسين مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك وأخيار من أمتك بضفة الفرات بأرض يقال لها كربلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء على أعدائك وأعداء ذريتك في اليوم الذي لا ينقضي كربه ولا تفنى حسرته، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة، يقتل فيها سبطك وأهله، وإنها من بطحاء الجنة.

فإذا كان اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزعت الأرض من أقطارها ومادت الجبال وكثر اضطرابها، واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السموات بأهلها غضباً لك يا محمد ولذريتك، واستعظاماً لما ينتهك من حرمتك ولشر ما تكافأ به في ذريتك وعترتك، ولا يبقى شيء من ذلك إلا استأذن الله عز وجل في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك، فيوحي الله إلى السموات والأرض والجبال والبحار ومن فيهن (وما فيهن): إني أنا الله الملك القادر الذي لا يفوته هارب ولا يعجزه ممتنع وأنا أقدر على الانتصار والانتقام، وعزتي وجلالي لأعذبن من وتر رسولي وصفيي وانتهك حرمته

---

(١) وقد أشار إلى تباعد قبورهم شاعرهم بقوله:

بعض بطيبة مدفون وبعضهم ... بكربلاء وبعض بالغريين

وأرض طوس وسامرّا وقد ضمنت ... بغداد بدرين حلا وسط قبرين

وقتل عترته ونبذ عهده وظلم أهل بيته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فعند ذلك يضج كل شيء في السموات والأرض بلعن من ظلم عترتك واستحل حرمتك. فإذا برزت تلك العصابة إلى مضاجعها تولى الله عز وجل قبض أرواحها بيده، وهبطت إلى الأرض ملائكة من السماء السابعة معهم آنية من ياقوت وزمرد مملوءة من ماء الحياة وحلل من حلل الجنة وطيب من طيب الجنة فغسلوا جثثهم بذلك الماء والبسوها الحلل وحنطوها بذلك الطيب وصلت الملائكة عليهم صفاً صفاً[1] ثم يبعث الله قوماً من أمتك لا يعرفهم الكفار لم يشركوا في تلك الدماء بقول ولا فعل ولا نية فيوارون أجسامهم ويقيمون رسماً لسيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحق، وسبباً للمؤمنين إلى الفوز، وتحفه ملائكة من كل سماء مائة ألف ملك في كل يوم وليلة، ويصلون عليه، ويسبحون الله عنده ويستغفرون الله لزواره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً من أمتك متقرباً إلى الله وإليك بذلك وأسماء آبائهم وعشائرهم وبلدانهم، ويوسمون في وجوههم بميسم نور عرش الله. (هذا زائر قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء).

فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار يدل عليهم ويعرفون به[2] ثم قال جبرئيل:

وكأني بك يا محمد بيني وبين ميكائيل، وعلي أمامنا، ومعنا من ملائكة الله ما لا

---

(١) وإلى صلاة الملائكة عليهم يشير شاعر أهل البيت يخاطب الحسين:

يا إن بقيت من الهوان على الثرى ... نسى ثلاثاً في ربى ووهاد

لكن لكي تقضي عليك صلاتها ... زمر الملائك فوق سبع شداد

(٢) ويؤيد ذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الحديد/١٣.

يحصى عدده، ونحن نلتقط من ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتى ينجيهم الله من هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زار قبرك يا محمد أو قبر أخيك أو قبر سبطيك، لا يريد به غير الله جل وعز، وسيجتهد أناس ممن حقت عليهم من الله اللعنة والسخط، أن يعفوا رسم ذلك القبر ويمحوا أثره، فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلا. ثم قال رسول الله (ص): فهذا أبكاني وأحزنني.

تصديق أمير المؤمنين (ع) لحديث أم أيمن:

قالت زينب: فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي ورأيت أثر الموت عليه قلت له: يا أبه حدثتني أم أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال (ع) يا بنية الحديث كما حدثتك به أم أيمن، وكأني بك وبنات أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبرا، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولّي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم. (ثم قال أمير المؤمنين (ع) لابنته):

ولقد قال لنا رسول الله حين أخبرنا بهذا الخبر: إن إبليس في ذلك اليوم يطير فرحاً فيجول الأرض كلها في شياطينه وعفاريته فيقول: يا معشر الشياطين قد أدركنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية، وأورثناهم النار إلا من اعتصم بهذه العصابة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم، وإغرائهم بهم وبأوليائهم، حتى تستحكم ضلالة الخلق وكفرهم، ولا ينجو منهم ناج، ولقد صدق عليهم إبليس وهو كذوب، إنه لا ينفع مع عداوتكم عمل صالح، ولا يضر مع محبتكم وموالاتكم ذنب غير الكبائر.

قال زائدة: ثم قال علي بن الحسين بعد أن حدثني بهذا الحديث: خذه إليك أما لو ضربت في طلبه آباط الإبل حولا لكان قليلاً[1].

---

١) نقل الحديث بطوله المجلسي في البحار ج٤٥ ص١٧٩ عن كتاب كامل الزيارات ص٢٦٠، ونقله

فيا أيها المؤمنون والوا أولياء الله واتبعوهم، وعادوا أعداء الله وخالفوهم وواسوا بحزنكم وبكائكم رسول الله (ص) وأهل بيته في عظيم مصابهم بالحسين (ع) وأهل بيته الذي تهون كل المصائب بمصيبتهم كما قال هذا الأديب:

كل المصائب لو فكرت هينة ... إلا مصيبتنا في سيد الشهدا

وقال الآخر:

هيهات أن يأتي الزمان ... بمثل فاجعة الحسين

أبكت مصيبته السماء ... فكيف لا تبكيه عيني

عنه أيضاً الدكتور عبد الجواد الكليدار في كتابه (كربلاء وحائر الحسين) ص٧٧، ونقله عن البحار الشيخ مهدي المازندراني في كتابه (معالي السبطين) ص٨٣، ونقله عن الكامل الشيخ جعفر النقدي في كتابه (زينب الكبرى) ص٥٣ وقوله (ع): (أما لو ضربت في طلبه آباط الإبل) هذا كناية عن الركض فإن المستعجل يضرب برجليه آباط الإبل لتعدو به بسرعة.

المجلس الخامس

زيارة الحسين (ع) بين مواليه، والمانعين لهم من معاديه

بـــزوار الحســـين خلطـــت نفســـي ... ليشـــفع لـــي غـــداً يـــوم المعـــاد
وصـــرت بركـــبهم أطـــوي الفـــيافي ... لأحســـب مـــنهم عـــند العـــداد
فـــإن عُـــدَّت فقـــد ســـعدت وإلا ... فقـــد أدت حقوقـــاً للـــوداد
وإن ذا لم يعـــدَّ لهـــا ثوابـــاً ... فقـــد فـــازت بتكـــثير الســـواد

قال إمامنا الصادق (ع) لمعاوية بن وهب، كان من أصحابه، يا ابن وهب إياك أن تدع قبر الحسين وزيارته لخوف من أحد فإن من تركه رأى من الحسرة والندم ما يتمنى أن قبره كان عنده، يا ابن وهب أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة (ع) أما تحب أن تكون ممن ينقلب بالمغفرة لما مضى من ذنوبه، أما تحب أن تكون ممن يصافحه رسول الله يوم القيامة[1].

يقول (ع): يا ابن وهب إياك أن تدع قبر الحسين وزيارته لخوف من أحد، يشير(ع) بقوله هذا إلى ذلك العصر المظلم عصر دولة بني أمية الذين أخافوا الزائرين لقبر أبي عبد

---

(١) هذا الحديث من الأحاديث المهمة دعا فيه الإمام أولاً لزوار قبر الحسين بأنواع الأدعية، وأن من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض، وقد رواه ابن قولويه في الكامل بأسانيد عديدة من ص١١٦ - ١٢٦ ونقله عنه المجلسي في البحار ج١٠١ ص٨، ونقله السيد المقرم في مقتل الحسين ص٣١ عن الكليني في الكافي وابن قولويه في الكامل.. الخ وغيرهم كثير.

الله الحسين (ع) لأنهم لعنهم الله كانوا قد وضعوا على حدود كربلاء وأطرافها المسالح والمخافر المدججة بأنواع السلاح والعتاد والرجال لمنع الزائرين من الوصول إليها، وكانت المراقبة عليهم شديدة فقل من كان يستطيع من الزائرين أن يفلت منهم، إلا بطرق غير معتادة وأوقات غير مألوفة وإذا ظفروا بزائر عاقبوه بأنواع العقوبات الشديدة من الأذى والعذاب والتنكيل.

ولكن مع ذلك لم ينقطع حبل اتصال الشيعة بالحائر الحسيني المقدس، فكانوا يأتونه أفراداً وجماعات ركباناً ورجالاً في ظلام الليل يزورون ثم يرجعون إلى أماكنهم قبل طلوع الشمس.

الباعث على زيارته (ع) مع وجود الخوف أمور:

وكان الباعث لهم على ذلك مع وجود تلك الموانع العظيمة عدة أمور:

١- العقيدة بأحقية أهل البيت ورسوخها حتى في قلوب مخالفيهم:

منها الإيمان والعقيدة الراسخة حتى في قلوب مخالفيهم، وغاصبي حقوقهم.

فهذا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب لما جعل الخلافة - بعدما طعن - شورى بين ستة وهم: طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان، وعلي أمير المؤمنين، وادعى أن رسول الله (ص) مات وهو راض عنهم هذا قبل حضورهم، ثم لما أحضرهم جميعاً عنده ودخلوا عليه يقول ابن أبي الحديد: فنظر إليهم وقال لهم: أكلكم يطمع في الخلافة بعدي؟ فأجابه الزبير وقال له: ما الذي يبعدنا منها، وليتها أنت فقمت بها؟ ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة ولا في القرابة؟ فقال: أفلا أخبركم عن أنفسكم؟ قالوا: قل: فقال:

أما أنت يا زبير فوعق لقس، (اللقس الخبيث النفس والذي يسخر من الناس ويلقبهم بألقاب رديئة، والوعق سيئ الخلق شرس الطبع)، فعمر يقول للزبير: أما أنت

فوعق لقس، مؤمن الرضا كافر الغضب، يوماً إنسان ويوماً شيطان وليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً؟ ومن يكون يوم تغضب؟ وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت على هذه الصفة.

يقول ابن أبي الحديد: ثم أقبل على طلحة وقال له: أقول أم أسكت؟ قال: قل فإنك لا تقول من الخير شيئاً، فقال: أما أني أعرفك منذ أصيب إصبعك يوم أحد، ولقد مات رسول الله ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب، والكلمة التي قالها طلحة يوم أنزلت آية الحجاب هي هذه، قال: ما الذي يغني النبي حجاب نسائه وسيموت غداً فننكحهن من بعده وعلى أثر ذلك أنزل الله على نبيه قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيماً﴾** الأحزاب: ٥٤.

ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص وقال له: إنما أنت صاحب مقنب من هذه المقانب تقاتل به، (والمقنب جماعة الفرسان زهاء ثلاثمائة فارس) وصاحب قنص وقوس وأسهم، وما زهرة والخلافة وأمور الناس؟ (لأن سعد من بني زهرة).

ثم أقبل على عبد الرحمن وهو أيضاً من بني زهرة، وقال له: وأما أنت يا عبد الرحمن فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك، وما زهرة والخلافة، هذا ما ذكره ابن أبي الحديد: وقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص٢٣: إن عمر أقبل على عبد الرحمن وقال له: وأما أنت يا عبد الرحمن ففرعون هذه الأمة.

يقول ابن أبي الحديد: ثم أقبل على عثمان وقال له: كأني بك وقد قلدتك قريش هذا الأمر فحملت بني أمية، وآل أبي معيط على رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء.

ثم أقبل على علي فقال له: لله أنت (أي ما أعظمك)، لولا دعابة فيك، أما والله

لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح، والمحجة البيضاء[1].

فإذا كان يعتقد ويعلم أن علياً إذا ولي أمور الناس يحملهم على الحق الواضح، والمحجة البيضاء إذاً لِمَ لم يجعل الخلافة له بعده؟ ولِمَ جعلها شورى بين من سمعت مساوئهم بإقراره واعترافه.

وشاهدنا من هذه القصة أن العقيدة راسخة حتى في قلوب مخالفي أهل البيت (ع) وغاصبي حقوقهم بأنهم على الحق ومع الحق، ورسوخ هذه العقيدة في أعماق القلوب كانت هي العامل الأكبر في تشييد الحائر الحسيني وإقامة شعائره وزيارته، لأن المحقين يلزم تعظيمهم أحياءً وأمواتاً.

٢- ظهور المعجز الباهر للبر والفاجر:

ومنها ما دلت عليه الآثار والأخبار من أن الكثير من الناس كانوا يقصدون القبر الشريف للزيارة وقضاء الحوائج فيظهر منه المعجز الإلهي الباهر للبر والفاجر، ومن ذلك ما نقله العلامة الكبير السيد حسن الصدر في كتابه نزهة أهل الحرمين في عمارة المشهدين نقلاً عن كتاب نوادر علي بن أسباط (وهو من أصحاب أبي عبد الله الصادق): بأن في السنة التي قتل فيها الحسين (ع) قصد قبره النساء العقيمات من أطراف البلاد حتى جاء إلى قبره الشريف نحو مائة ألف امرأة فتخطين قبره، وأخيراً حملن كلهن وولدن[2].

وتلك المعجزات أظهرها الله من القبر الشريف في تلك الظروف خاصة لحكمة إبقاء ذكره الذي به بقاء الحق وأهله.

ولذا أصبح القبر المطهر مزاراً عاماً للمسلمين، وشعاراً دائماً للتضحية، فكانوا

---

(١) راجع شرح النهج ج١ ص٦٢، وفي نص ابن قتيبة أنه قال: وإنك أحرى القوم إن وليتها تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم.

(٢) راجع الحديث في كتاب (كربلاء وحائر الحسين (ع)) ص٨٧ ونقله المجلسي في البحار ج١٠١ ص٧٥ عن كتاب (نوادر علي بن أسباط) ص١٢٣ كما في الحاشية، وفي ج٤٥، ص٢٠٠ أيضاً.

يقصدون قبره ويديمون ذكره لإيمانهم وعقيدتهم من جهة، وقضاء حوائجهم وتنفيس كربهم وإجابة أدعيتهم من جهة ثانية.

٣- حث الأئمة الطاهرين على زيارته:

ومن البواعث أيضاً للناس على زيارته حث الأئمة الطاهرين على زيارة قبره والدعاء فيه، فقد كان إمامنا زين العابدين وكذلك الإمام الباقر، والصادق (ع) يحثون شيعتهم حثاً بالغاً على زيارته ويذكرون ما لزائريه عند الله من الأجر العظيم والثواب الجزيل.

وكلما كان المنع لزائريه من ناحية الأمويين يشتد كلما كان الحث على زيارته من ناحية الأئمة (ع) يزداد، فكانت تتعارض وتتحارب هاتان القوتان، قوة السياسة الأموية، وقوة الدين، وكان النصر في كسر قيود المنع لقوة الدين، لما له من تأثير فعال على النفوس المؤمنة، فكان الحث المستمر على الزيارة بمثابة المقاومة الفعلية تجاه المنع، وقد انتصر أهل البيت وشيعتهم بالنتيجة على أعظم قوة إرهابية عرفها التاريخ.

وإليك بعض النماذج من حث الأئمة (ع) على زيارته مع وجود الخوف، وإنه كلما ازداد الخوف ازداد أجر الزائر له، فمن ذلك ما رواه محمد بن مسلم أنه قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي (أي الباقر (ع)) هل تأتي قبر الحسين (ع)؟ قلت: نعم على خوف ووجل، فقال لي: ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه، أمن الله روعته يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، وزاره النبي (ص) ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء، واتبع رضوان الله الخ[1].

---

(١) نقل الحديث المجلسي في البحار ج١٠١ ص١١ وص١٢١ عن كامل الزيارات ص١٢٦، كما نقله عنه صاحب كتاب كربلاء وحائر الحسين ص٨٨ ورواه أيضاً الشيخ جعفر التستري في

وفي حديث آخر عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر (ع) ما تقول فيمن زار أباك على خوف؟ قال: يؤمنه الله يوم الفزع الأكبر، وتلقاه الملائكة بالبشارة، ويقال له: لا تخف ولا تحزن هذا يومك الذي فيه فوزك[1] وسمعت قول الصادق (ع) لمعاوية بن وهب: إياك أن تدع قبر الحسين وزيارته لخوف من أحد، فإن من تركه رأى من الحسرة والندم ما يتمنى أن قبره كان عنده[2].

على أن المنع كان قد اشتد على الزائرين في أوائل عصر الإمام الصادق (ع) على عهد هشام بن عبد الملك وذلك على أثر خروج زيد بن علي بن الحسين سنة مائة وإحدى وعشرين من الهجرة حتى صاروا يمثلون بمن وقع بأيدي المسالح والمخافر من الزائرين كما يظهر من رواية مسمع بن عبد الملك البصري حيث قال: قال لي أبو عبد الله الصادق (ع): يا مسمع أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين؟ قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان فيمثلون بي (وفي نص فيميلون علي)..

قال (ع): أفما تذكر ما صنع به؟ قلت نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله واستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي، فامتنع عن الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي، قال: رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنّا[3].

الخصائص الحسينية ص١٦٩.

(١) نقله المجلسي في البحار ج١٠١ ص١٠ عن الكامل ص١٢٥.

(٢) أي تبلغ حسرة من ترك زيارة الحسين (ع) يوم القيامة بحيث يتمنى انه كان مقيماً عند قبره ويزوره حتى يدركه الموت ويكون قبره عنده.

(٣) حديث الإمام الصادق (ع) لمسمع من الأحاديث الشهيرة، وهو حديث طويل مهم رواه بسنده ابن قولويه في الكامل ص١٠١، ونقله عنه المجلسي في البحار ج٤٤ ص٢٨٩ - ٢٩١ ونقله عن الكامل

وهذا الخوف الذي كان يخامر النفوس ويساور القلوب ينقلب إلى سكينة وطمأنينة بأحاديث الصادق (ع) الأكيدة فتحل العزيمة محل الخوف الشديد، فترى الناس بعد ذلك يسيرون نحو الحائر بشوق ولهفة متزايدة حتى من الأماكن النائية البعيدة.

ومن ذلك ما رواه ابن بكير الأرجاني، وأرجان من بعض مقاطعات إيران الجنوبية، يقول: قلت لأبي عبد الله إني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك (يعني الحسين(ع))، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالح، فقال (ع): يا ابن بكير أما تحب أن يراك الله فينا خائفاً، أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه، وكان محدثه الحسين (ع) تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع قرته الملائكة، وسكنت قلبه بالبشارة[1].

فهذه الأحاديث الواردة عن الإمام الصادق وغيرها كانت تودع في قلوب الزائرين تلهفاً واشتياقاً عظيماً فتراهم يستهونون القتل في سبيل زيارته، ولقد سأل صفوان الجمال إمامنا الصادق (ع)، وقال: قلت: فما لمن قتل عنده (يعني عند قبر الحسين) جار عليه السلطان فقتله؟ قال (ع): أول قطرة من دمه يغفر له بها كل خطيئة، وتغسل طينته التي خلق منها الملائكة، حتى يخلص كما خلصت الأنبياء المخلصون، ويذهب عنها ما كان خالطها من أدناس طين أهل الكفر والفساد، ويغسل قلبه ويشرح ويملأ إيماناً، فيلقى الله وهو مخلص من كل ما يخالط الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وإخوانه، وتتولى الصلاة عليه الملائكة الخ[2].

صاحب كتاب (كربلاء وحائر الحسين) ص٨٩، ونقله عن البحار، والكامل صاحب معالي السبطين ص٩٣، وسليمان هو ابن عبد الملك بن مروان وولده كانوا ولاة في البصرة.

(١) كامل الزيارات ص١٢٥، ونقله عنه المجلسي في البحار ج١٠١ ص١١، ونقله عن الكامل أيضاً صاحب كتاب (كربلاء وحائر الحسين) ص٩٠ ورواه أيضاً التستري في الخصائص الحسينية ص١٧٠ وغيرهم.

(٢) راجع البحار ج١٠١ ص٧٩ - ص٨٠ نقلاً عن الكامل ص١٦٥، و(كربلاء وحائر الحسين) ص٩١.

زيارة الحسين (ع) في عصر الخوف كالجهاد في سبيل الله:

والحاصل لم يزل المنع، والتمثيل، والقتل مستمراً على الزائرين طيلة العهد الأموي (يعني أكثر من سبعين سنة) وهنا قد يقال:

إن كل عمل صالح يسقط وجوبه أو استحبابه مع وجود الخوف على المال والعرض والنفس، فلم إذاً لم يسقط أهل البيت (ع) زيارة الحسين (ع) وهي مستحبة - على الزائرين أثناء ذلك الخوف الشديد؟ بل بالعكس كانوا يحثون عليها الحث البالغ كما سمعت.

الجواب: إن زيارة الحسين في ذلك العصر - عصر الجائرين من بني أمية - كانت على حد الجهاد في سبيل الله، حيث أن بني أمية قد صمموا على إزالة ذكرى الحسين(ع) بكل ما أوتوا من قوة، ومحو كل أثر لها، وذلك يعني إزالة الحق الذي نهض الحسين من أجل إحيائه لذلك وقف أهل البيت الذين هم مع الحق والحق معهم هذا الموقف الحازم ضد تلك السياسة الغاشمة، فكانت الحرب سجالاً بين القوة الأموية، والعقيدة الحقة، وبين السياسة الجائرة، والدين، وبالنتيجة تلاشت تلك السياسة والقوة واندحرت أمام العقيدة والدين.

وبالفعل تقوضت - بتلك المقاومة من قبل أهل البيت (ع)، - أركان الدولة الأموية في عام مائة واثنين وثلاثين من الهجرة تقويضاً كاملاً في أواسط عصر الإمام الصادق (ع) وأثمرت جهود الأئمة الطاهرين وأتباعهم المتواصلة، وانقشعت غيوم الإرهاب عن أفق العالم الإسلامي.

وحينما قامت - بعد الدولة الأموية - الدولة العباسية، عادت الأمور إلى مجراها الطبيعي على عهد السفاح، وأوائل عصر المنصور الدوانيقي، فصار الزائرون يقصدون قبر الحسين (ع) من مختلف الأنحاء ومن الأماكن النائية بكل حرية واختيار وكثر زائروه لما ألفوا في زيارته من البركة، وقضاء الحوائج وحسن العاقبة، كما يستنبط هذا مما رواه

موسى بن القاسم الحضرمي من زيارة رجل يماني، يقول موسى:

قدم أبو عبد الله (ع) في أول ولاية أبي جعفر (أي المنصور) فنزل النجف، فقال لي: يا موسى اذهب إلى الطريق الأعظم فقف على الطريق فانظر فإنه سيجيؤك رجل من ناحية القادسية، فإذا دنا منك فقل له: ههنا رجل من ولد رسول الله (ص) يدعوك فسيجيء معك.

قال: فذهبت حتى قمت على الطريق والحر شديد فلم أزل قائماً حتى كدت أن أعصي وأنصرف وأدعه، إذ نظرت إلى شيء مقبل شبه رجل على بعير، قال: فلم أزل أنظر إليه حتى دنا مني، فقلت له: يا هذا ههنا رجل من ولد رسول الله (ص) يدعوك وقد وصفك لي.

قال: اذهب بنا إليه، قال: فجئت به حتى أناخ بعيره ناحية قريبة من الخيمة، فدعاه الصادق فدخل الأعرابي عليه، فدنوت أنا وصرت إلى باب الخيمة أسمع الكلام ولا أراهما، فقال أبو عبد الله (ع): من أين قدمت؟ قال: من أقصى اليمن، قال: فأنت من موضع كذا وكذا، قال: نعم أنا من موضع كذا وكذا، قال: فيما جئت ههنا؟ قال: جئت زائراً للحسين (ع).

فقال أبو عبد الله (ع) فجئت من غير حاجة ليس إلا الزيارة؟ قال: جئت من غير حاجة ليس إلا أن أصلي عنده وأزوره وأسلم عليه وأرجع إلى أهلي، قال له أبو عبد الله (ع) وما تروون في زيارته؟ قال: نروي في زيارته إنا نرى البركة في أنفسنا وأهالينا وأولادنا وأموالنا ومعايشنا وقضاء حوائجنا.

قال: فقال له أبو عبد الله (ع): أفلا أزيدك من فضله فضلاً يا أخا اليمن؟ قال: زدني يا بن رسول الله، قال: إن زيارة أبي عبد الله (ع) تعدل حجة مقبولة متقبلة زاكية مع رسول الله (ص) فتعجب من ذلك، فقال: أي والله وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله (ص) فتعجب من ذلك، ولم يزل أبو عبد الله (ع) يزيد حتى

قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله (ص)[1].

ولما كان بعض الفقراء يمتنعون من زيارة الحسين (ع) لأنهم لا يستطيعون أن يتحملوا نفقاتها إذا أتوا راكبين، أو يأخذهم العجز والكسل أن يأتوا على أرجلهم، فكان الإمام الصادق (ع) يخبر بما للزائر من الأجر والثواب في خطاه، إذا أتاه ماشياً، فقد قال (ع) للحسين بن ثوير بن أبي فاخته: يا حسين، من خرج من منزله يريد زيارة قبر الحسين بن علي (ع) إن كان ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحا عنه سيئة، حتى إذا صار في الحائر كتبه الله من المفلحين المنتجبين، حتى إذا قضى مناسكه كتبه الله من الفائزين حتى إذا أراد الإنصراف أتاه ملك فقال له: إن رسول الله يقرئك السلام ويقول لك: استأنف العمل فقد غفر الله لك ما مضى[2].

وفي حديث جابر المكفوف عن أبي الصامت أنه قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: من أتى قبر الحسين (ع) ماشياً فقد كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة إلى آخر الحديث يذكر فيه بعض آداب الزيارة[3].

وبفضل هذه الأحاديث وغيرها وهي كثيرة، الواردة عن الصادق والأئمة (ع) أصبح الحائر الحسيني اليوم مجتمعاً إسلامياً، ومزاراً عاماً يجمع الناس من الأغنياء والفقراء على حد سواء ولم يتخلف عن زيارته من استطاع إليه سبيلا.

---

(١) راجع كتاب ثواب الأعمال للصدوق بسنده ص٩٣، والكامل لابن قولويه ص١٦٢ ونقله عن المصدرين المجلسي في البحار ج١٠١ ص٣٧، ونقله عن الكامل صاحب كتاب (كربلاء وحائر الحسين (ع)) ص٩٢.

(٢) رواه بسنده الصدوق في كتابه ثواب الأعمال ص٩١ وابن قولويه بسنده في الكامل ص١٣٢ وصاحب كتاب التهذيب ج٦ ص٤٣ ونقله عن هذه المصادر المجلس في البحار ج١٠١ ص٢٨ عن ثواب الأعمال والتهذيب وص٧٢ عن الكامل ونقله عنه صاحب كربلاء والحائر ص٩٣.

(٣) رواه عن الكامل ص١٣٣ صاحب كتاب كربلاء وحائر الحسين ص٩٤ والمجلسي في البحار ج١٠١ ص١٤٢.

زيارة جابر بن عبد الله للحسين (ع) في أربعينه:

وأول من زار قبر الحسين خائفاً هو جابر بن عبد الله الأنصاري على ما ينقل الشيخ مهدي المازندراني في كتابه معالي السبطين ج٢ ص١١٤ عن بعض كتب المقاتل عن عطية العوفي أنه قال: بينما نحن كذلك إذ طلع علينا سواد من ناحية الشام، فقلت: يا جابر إني أرى سواداً عظيماً مقبلاً علينا من ناحية الشام، فالتفت جابر إلى غلامه وقال له: انطلق وانظر ما هذا السواد؟ فإن كانوا من أصحاب عبيد الله بن زياد لعلنا نلجأ إلى ملجأ؟ وإن كان هذا سيدي ومولاي زين العابدين فأنت حر لوجه الله؟ فانطلق الغلام فما كان بأسرع من أن رجع إلينا وهو يلطم على وجهه وينادي: قم يا جابر واستقبل حرم الله وحرم رسوله، فهذا سيدي ومولاي علي بن الحسين قد أقبل مع عماته وأخواته ليجددوا العهد بزيارة الحسين، فقام جابر ومن معه واستقبلوهم بصراخ وعويل يكاد الصخر أن يتصدع منه، ولما دنا من الإمام انكب على قدميه يقبلهما ويقول: سيدي عظم الله لك الأجر بأبيك الحسين، سيدي عظم الله لك الأجر بعمومتك وأخوتك، فقال له الإمام (ع): أنت جابر قال: نعم سيدي، فقال: يا جابر ههنا قتل أبو عبد الله، يا جابر ههنا ذبحت أطفالنا[1].

فالدهر شتتنا والجور حل بنا ... والسم غادرنا والسيف أفنانا

نساؤنا سبيت من بعد ما خبئت ... أطفالنا نحرت ظلماً وعدواناً... الخ

---

(١) راجع مفصل زيارة جابر للحسين في كتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ص٨٩ لمحمد بن أبي القاسم الطبري، وينقلها عنه المازندراني في كتابه معالي السبطين ج٢ ص١١٤، والمجلسي في البحار ج١٠١ ص٣٢٩، وينقلها عن مصباح الزائر ص١٥١... الخ.

المجلس السادس

اعتداء بني العباس على قبر الحسين (ع) وزائريه

تـــاالله إن كانـــت أمـــية قـــد أتـــت قـــتل ابـــن بنـــت نبـــيها مظلومـــا
فلقـــد أتـــاه بـــنو أبـــيه بمـــثله هـــذا لعمـــرك قـــبره مهدومـــا
أســفوا عــلى أن لا يكونــوا شــاركوا في قـــتله فتتـــبعوه رمـــيما

هذه الأبيات لعلي بن محمد الشاعر المعروف بالبسامي، وكان من أعيان الشعراء وأحاسن الظرفاء، وقد أنشأها حين هدم المتوكل العباسي قبر الحسن (ع)[1]. وحرث أرضه وأجرى الماء عليه وحوله، وبنو العباس هم أولاد عم لأبناء أبي طالب، فهم أقرب الناس إليهم رحماً، وبمقتضى القاعدة الرحمية أنهم هم الذين يشيدون قبورهم ويحترمونهم ولكنهم عملوا معهم بالعكس فهدموا قبورهم، ومنعوا زائريهم من زيارتهم، وأرادوا محو أثرهم.

لذا يقول هذا الشاعر البسامي:

تـــاالله إن كانـــت أمـــية قـــد أتـــت قـــتل ابـــن بنـــت نبـــيها مظلومـــا
فلقـــد أتـــاه بـــنو أبـــيه بمـــثله هـــذا لعمـــرك قـــبره مهدومـــا

ولقد توالى الهدم والتخريب على قبر الحسين (ع) من قبل الطغاة والجائرين من بني العباس، وتوالى عليه أيضاً التعمير والتشييد من قبل المصلحين من شيعة أمير المؤمنين

---

(١) نسب الأبيات للبسامي ابن خلكان في وفيات الأعيان ج١ ص٤٥٥ على ما نقل عنه صاحب كتاب كربلاء وحائر الحسين ص١٦٩.

طبقاً للحديث الوارد عن زينب عن زين العابدين المرفوع عن النبي (ص) أنها قالت : وينصبون بهذا الطف علماً لقبر سيد الشهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً. نعم يقول الله عز من قائل: ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ التوبة/٣٣. ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ الصف/٩.

ولقد أحسن الشيخ صالح الكواز حيث يقول مخاطباً للحسين (ع)[1].

لا تشمتن رزاياكم عدوكم ... فما أمات لكم وحياً ولا قطعا

تتبعوكم ورامو محو فضلكم ... فخيب الله من في ذلكم طمعا

أني وفي الصلوات الخمس ذكركم ... لدى التشهد للتوحيد قد شفعا

هدم هارون الرشيد لقبر الحسين (ع):

ولا يخفى أن أول من هدم قبر الحسين وأراد محو أثره وإطفاء، نوره من بني العباس هو هارون الرشيد، وكان قد بني على قبره - بعد وقعة الطف - سقيفة ومسجد كان له بابان، باب شرقي، وآخر غيره، وهذا البناء كان قد أقامه بنو أسد الذين دفنوا الحسين(ع).

ثم لما نهض المختار بن أبي عبيد الثقفي طالباً بثار الحسين (ع) شيد ذلك البناء على القبر واتخذ قرية من حوله، وكانت سدرة عظيمة نابتة إلى جنب القبر الشريف، وما زال هذا البناء قائماً إلى زمن هارون الرشيد، وفي أواخر حكمه سنة مائة وثلاث وتسعين من الهجرة أمر بهدم القبر الشريف، وكرب موضعه، وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده

---

(١) راجع قصيدته في الدر النضيد ص١٤٥.

ليمحو بذلك كل أثر له، كما رواه الكثير من المؤرخين.

ورواه الشيخ الطوسي في الأمالي ص٣٣٣ ونقله عنه صاحب كتاب كربلاء وحائر الحسين ص١٨٨، بسنده عن يحيى ابن المغيرة الرازي قال: كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق، فسأله جرير عن خبر الناس، فقال: تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين (ع) وأمر أن تقطع السدرة، فقطعت، فرفع جرير يديه وقال: الله أكبر، جاءنا فيه حديث عن رسول الله (ص) أنه قال: لعن الله قاطع السدرة ثلاثاً. فلم نقف على معناه حتى الآن، لأن القصد بقطعها تغيير مصرع الحسين حتى لا يقف الناس على قبره[١].

ومثل ذلك ما رواه السيد محمد بن أبي طالب في كتابه (تسلية المجالس) حيث قال: وكان قد بني على قبر الحسين مسجد، ولم يزل كذلك بعد بني أمية، وفي زمن بني العباس إلاّ على زمن هارون الرشيد فأنه خرّبه، وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده وكرب موضع القبر[٢].

ولكن الرشيد لم تطل أيامه بعد هدمه للحائر، لأنه في تلك السنة التي هدم بها القبر سار من بغداد إلى الري، ومنها إلى خراسان، فاعتلّ أثناء الطريق، وغلط طبيبه في علاجه فأعطاه دواءً سبب عليه اشتداد العلة، فشعر الرشيد بذلك وصمم على أن ينتقم من الطبيب ويقطع أعضاءه، فبعث إليه وأحضره ليفعل به ذلك فاستمهله الطبيب وقال له: انظرني إلى غدٍ فإنك ستصبح في عافية، فهلك الرشيد في ذلك اليوم وهو اليوم

---

(١) نقل الحديث عن الأمالي للطوسي المجلسي في البحار ج٤٥ ص٣٩٨، والسيد محسن العاملي في أعيان الشيعة ج٤ ص٣٩٧، وأشار إليه ابن شهر آشوب في المناقب ج٤ ص٦٣ نقلاً عن حلية الأولياء، وغيرهم كثير.

(٢) راجع كتاب (كربلاء وحائر الحسين) ص١٨٨ وقد نقله عن عدة مصادر: منها ١. نزهة أهل الحرمين ص١٦، ٢. تسلية المجالس، ٣. أعيان الشيعة ج٤ ص٣٩٨.

الثالث من جمادى الآخرة سنة مائة وثلاث وتسعين في نفس السنة التي هدم بها قبر الحسين (ع).

ودفن الرشيد ابنه المأمون في خراسان، وبعد مضي عشرة أعوام قبض الإمام الرضا(ع) فدفنه المأمون إلى جنب أبيه، وإلى ذلك أشار دعبل الخزاعي الشاعر المعروف بقوله:

قبران في طوس خير الناس كلهم ... وشر كلهم هذا من العبرِ
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما ... على الزكي بقرب الرجس من ضررِ
هيهات كل امرئٍ رهن بما كسبت ... له يداه فخذ ما شئت أو فذر[1]

هدم المتوكل لقبر الحسين (ع) مراراً عديدة

ولّما ولي أمر الخلافة المأمون بن هارون الرشيد أعيد بناء قبر الحسين (ع) في عهده، وقيل أن المأمون هو الذي بنى قبر الحسين وأقام عليه بناءً عالياً، وبقي هذا البناء قائماً مدة خلافة المأمون، وأخيه المعتصم، والناس يزورونه بكل حرية واختيار.

ولّما ولي الأمر المتوكل بن المعتصم بن الرشيد هدم القبر الشريف، وهدم الدور التي كانت حوله، ومنع الزائرين من الوصول إلى كربلاء.

وكان المتوكل كثير التحامل على عليّ وولديه الحسن والحسين (ع) شديد البغض لهم ولشيعتهم، يقول الطبري في تاريخه، وابن الأثير في كامله في حوادث سنة مائتين وستة وثلاثين: وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته، وكان يقصد مَن يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم، وكذلك قال أبو الفداء في تأريخه.

وقال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين ص٣٨٥: وكان المتوكل شديد

---

(١) أبيات من قصيدته الرائية، تجدها في عيون أخبار الرضا للصدوق ج٢ ص٢٥١.

الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم، مهتماً بأمورهم بسوء الرأي، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق له أن الفتح عبد الله بن يحيى بن خاقان وزيره بسرّ من رأى سيئ الرأي فيهم يحسّن له القبيح في معاملتهم، فبلغ بهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين، وعفّى آثاره، ووضع على سائر طرق الزوّار مسالح لا يجدون أحداً زاره إلا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة.

ولقد هدم المتوكل قبر الحسين مراراً عديدة، ويظهر من أقوال المؤرخين أنه هدم القبر الشريف ثلاث مرات، وقيل أربع.

١. هدم المتوكل لقبر الحسين (ع) في أوائل حكمه سنة ٢٣٣.

أما المرة الأولى فكان السبب في ذلك على ما روى أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين ص٣٨٦، أنه قال: حدثني أحمد بن الجعد الوشا وقد شاهد ذلك قال: كان السبب في كرب قبر الحسين (ع) أن بعض المغنيات كانت تبعث بجواريها إلى المتوكل قبل أن يلي الخلافة يغنين له إذا شرب، فبعث إلى تلك المغنية ـ في أوائل حكمه ـ فأخبر أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين، فلما رجعت أخبرت بذلك فبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: خرجت مولاتي إلى الحج وأخرجتنا معها، وكان ذلك في شعبان، فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟ قالت: إلى قبر الحسين، فاستطير غضباً، وأتى بمولاتها واستصفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه يقال له الديزج وكان يهودياً وأسلم، فأرسله إلى قبر الحسين وأمره بكراب قبره ومحوه، واخراب كل ما حوله، فمضى الديزج لذلك وخرّب ما حوله، وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب (والجريب خمسمائة وستة وتسعون ذراعاً).

قال الراوي: فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد من العمال، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه وأجري الماء حوله، ووكّل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره

زائرٌ إلا أخذوه ووُجّه به إليه، (أي المتوكل) فقتله أو أنهكه عقوبة.

وكان هذا الهدم الأول من المتوكل في سنة مائتين وثلاث وثلاثين من الهجرة، في أوائل حكمه.

قال صاحب ناسخ التواريخ: وصادر المتوكل أموال خزينة الحسين ووزعها على جنوده قائلاً: أن القبر ليس بحاجة إلى الأموال والخزائن.

٢. هدمه لقبر الحسين في سنة ٢٣٦

وقد أعاد المتوكل الكرة على الحائر المقدس فأمر بهدمه مرة ثانية وذلك سنة مائتين وستة وثلاثين من الهجرة، بعد الهدم الأول بثلاث سنين، وكان قد أعيد بناء القبر في هذه الفترة، وأعيد كذلك بناء البيوت والمنازل من حوله، والظاهر أن الأهلين أنفسهم قاموا بهذا الأمر.

وقد ذكر المؤرخون كلهم هذا الهدم الثاني فقد رواه كل من الطبري، وابن الأثير في حوادث سنة مائتين وستة وثلاثين بقولهما: وفي هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وان يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه، ونادى عامل صاحب الشرطة في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاث بعثنا به إلى المطبق (وهو سجن رهيب يسمى باستيل العباسيين) فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه وحرث ذلك الموضع وزرع ما حواليه.

وقال محمد بن شاكر المصري في (فوات الوفيات): وكان المتوكل قد أمر في سنة ست وثلاثين ومائتين بهدم قبر الحسين، وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع ويحرث، ومنع الناس عن زيارته وبقي صحراء، وكان معروفاً بالنصب، فتألم المسلمون لذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان، وهجاه الشعراء، ومثل ذلك ما صرح به المسعودي في مروج الذهب ج٢ ص٤٠١، وأبو الفداء في تاريخه في حوادث سنة مائتين وست وثلاثين، وابن خلكان في وفيات الأعيان ج١ ص٤٥٥ وغيرهم كثير.

ويظهر من كثير من أقوال المؤرخين، ومن بعض الروايات الواردة أن الناس - بالرغم من تشديدات المتوكل واضطهاده للزائرين - كانوا يتهافتون على زيارة قبر الحسين فيصير إلى زيارته منهم خلق كثية لما كانوا يرون من الدلائل والخوارق كظهور الروائح العطرة من قبره الشريف التي لم يشم مثلها شيء من العطر[1] وعدم وصول الماء إليه، وامتناع البقر من حرث أرضه والوصول إليه، وغير ذلك مما حملهم على الثورة والتجمع ضد محاولات المتوكل الجائرة.

وقد روى الشيخ الطوسي في الأمالي بسنده، وغيره عن القاسم بن أحمد بن معمر الأسدي الكوفي – وكان له علم بالسيرة وأيام الناس - قال: بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين (ع) فيصير إلى قبره منهم خلق كثير، فانفذ قائداً من قواده وضم إليه عدداً كثيفاً من الجند ليشعث قبر الحسين، ويمنع الناس من زيارته والاجتماع إلى قبره، فخرج القائد إلى الطف وعمل بما أمره وذلك في سنة مائتين وسبع وثلاثين، فثار أهل السواد واجتمعوا عليه وقالوا: لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة (أي إلى المتوكل) فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنهم والمسير إلى الكوفة مظهراً أن مسيره إليها في مصالح أهلها[2]...

---

(١) راجع ما رواه أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين ص٣٨٧ عمن شم الروائح العطرة التي لم يشم مثلها الظاهرة من قبره الشريف، وراجع ما رواه الكنجي الشافعي في كفاية الطالب ص ٩٣ من زياة الأسدي الذي قال:

أرادوا ليخفوا قبره عن عداوة وطيب تراب القبر دل على القبر

(٢) راجع أمالي الشيخ الطوسي ج١ ص٣٣٧، ونقله عنه المجلسي في البحار ج٤٥ ص٣٩٧، والسيد محسن العاملي في كتابه أعيان الشيعة ج٤ ص٣٩٩، ورواه أيضاً صاحب كتاب ناسخ التواريخ ج٦ ص٤٣٨ ط إيران، وكتاب تظلم الزهراء ص٢١٧ وشرح الشافية ص٢٠٨ ونقله عن هذه المصادر صاحب كتاب كربلاء وحائر الحسين ص١٩٩.

والظاهر من هذه الرواية أن الطاغية لم يستطع أن يرتكب ما ارتكبته يده الأثيمة في المرتين السابقتين، وذلك تحت تأثير الرأي العام الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى تجاه المقاومة الفعلية الشديدة التي لاقتها جنوده من قبل الأهلين في كربلاء، ولما كان يشاهد من محل قبره من الخوارق من جهة ثالثة.

هذا وقد بلغ من استنكار الرأي العام الإسلامي، واستهجانه للمتوكل أن كتبوا شتمه على الحيطان والمساجد في بغداد وغيرها من البلدان، وهجاه الشعراء كدعبل بن علي الخزاعي، والبسامي، وكذا الشاعر المعروف بابن الرومي علي بن العباس الذي أنشأ قصيدة طويلة يذم بها العباسيين ويشير فيها إلى حرث المتوكل لقبر الحسين (ع) ومطلعها[1]:

أمامك فانظر أي نهجيك تنهج ... طريقان شتى مستقيم وأعوج

إلى أن يقول فيها مخاطباً لبني العباس:

ولم تقنعوا حتى استثارت قبورهم ... كلابكم منها بهيم وديزج

وأعظم من هجاه وشنع عليه زيد المجنون، وقد ذكر قصته شيخنا المجلسي في البحار وغيره[2] ومجملها أنه كان رجلاً من أهل الخير يقال له:

زيد المجنون، ولكنه ذو عقل سديد، ورأي رشيد، وإنما لقب بالمجنون لأنه كان يفحم كل لبيب ويقطع حجة كل أديب، لا يعي من الجواب ولا يمل من الخطاب.

وأنه لما بلغه أن المتوكل حرث قبر الحسين عظم عليه ذلك، وخرج من الكوفة هو ورجل آخر يقال له البهلول إلى كربلاء حتى وصلا إلى قبر الحسين (ع)، وإذا هو على حاله لم يتغير، وقد هدموا بنيانه، وكلما أجروا عليه الماء غار، وحاد واستدار بقوة

---

(١) راجع القصيدة بكاملها في مقاتل الطالبين ص٤١٤ - ص٤٢٠.

(٢) راجع البحار ج٤٥ ص٤٠٤، وص٤٠١ فيما نقله عن المناقب ص٦٤ ج٤ والخصائص الحسينية للتستري ص١٩٧.

الملك الجبار ولم تصل قطرة واحدة إلى قبر الحسين (ع) وكأن القبر الشريف إذا جاءه الماء ترتفع أرضه بإذن الله، فتعجب زيد مما شاهده وقال:

انظر يا بهلول ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ الصف/٩.

ثم توجه زيد إلى سر من رأى وأخذ يشنع على المتوكل ويذكر مساويه وفساده ويهيج عليه الرأي العام، وأنشأ هذه الأبيات:

أيحرث بالطف قبر الحسين ... ويعمر قبر بني الزانية

لعل الزمان بهم قد يعود ... ويأتي بدولتهم ثانية

ألا لعن الله أهل الفساد ... ومن يأمن الدنية الفانية

وكتبها في ورقة وسلمها لبعض حجاب المتوكل، فلما قرأها اشتد غيظه وغضبه وهمّ بقتل زيد، وأمر بإحضاره فلما أحضر عنده جرى بينهما ما جرى من الكلام، ثم أمر المتوكل بحبسه، فلما أخذ إلى الحبس ونام المتوكل تلك الليلة التي حبس فيها زيد جاء إليه شخص ورفسه برجله وقال له: قم وأخرج زيداً من الحبس وإلا أهلكك الله عاجلاً، فقام بنفسه وأخرج زيداً من الحبس وخلع عليه خلعة سنية، وقال له: اطلب ما تريد؟ قال: أريد عمارة قبر الحسين وأن لا يتعرض أحد لزواره، فأمر بذلك، فخرج من عنده فرحاً مسروراً، وجعل ينادي في البلدان:

ألا ومن أراد زيارة قبر الحسين (ع) فله الأمان طول الأزمان.

وعمر قبر الحسين وشيد، وصار الناس يأتون لزيارته من كل مكان، وبقي القبر مصوناً من تعرضات المتوكل له مدة عشر سنين.

٣- هدمه لقبر الحسين سنة ٢٤٧:

ثم عاد المتوكل عليه الكرة بهدمه في سنة مائتين وسبع وأربعين من الهجرة وهي المرة الأخيرة التي لاقى فيها عقابه الصارم قتلاً على يد ابنه المنتصر بمساعدة قواده من الأتراك.

وكان السبب في ذلك على ما صرح به كثير من المؤرخين: أن المتوكل بلغه مرة أخرى أن الناس من مختلف الأقطار يتوافدون إلى أرض نينوى حتى صارت لهم مطافاً عاماً كبيت الله الحرام، وأسسوا فيها أسواقاً عظيمة بالقرب من القبر المطهر، فأثار ذلك غضبه، فأرسل جيشاً عظيماً إلى كربلاء لهدم القبر الشريف وحرثه، وجعل قائد الجيش هارون المعري، فهدموه، وحرقوا ما حولَه[1]. وكانت البقر لا تقدم على محل القبر الشريف، فكانت تضرب بالعصا الضرب الشديد ولا تمر عليه بحالٍ من الأحوال.

كما روى ذلك الشيخ الطوسي في الأمالي وغيره[2] مسنداً عن عبد الله بن رابية الطوري أنه قال: حججت سنة مائتين وسبع وأربعين، فلما صدرت من الحج صرت إلى العراق فزرت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على حال خيفة من السلطان، وزرته ثم توجهت إلى زيارة الحسين (ع) فإذا هو قد حرث أرضه ومخر فيها الماء، وأرسلت الثيران العاملة في الأرض، فبعيني وبصري كنت رأيت الثيران تساق في الأرض فتنساق لهم حتى إذا حاذت مكان القبر حادت عنه يميناً وشمالاً فتضرب بالعصي الضرب الشديد فلا ينفع ذلك فيها ولا تطأ القبر بوجه ولا سبب، فما أمكنتني الزيارة، فتوجهت إلى بغداد وأنا أقول:

تـــالله إن كانـــت أمـــية قـــد أتـــت ... قـــتل ابـــن بنـــت نبـــيها مظلومـــا

فلقـــد أتـــاه بـــنو أبـــيه بمـــثله ... هـــذا لعمـــرك قـــبره مهدومـــا

أسـفوا عـلى أن لا يكونـوا شـاركوا ... في قـــتله فتتـــبعوه رمـــيما

قال: فلما قدمت بغداد سمعت الهابعة (أي الصوت المفزع) فقلت: ما الخبر؟ قالوا: سقط الطائر بقتل جعفر المتوكل، فتعجبت لذلك وقلت: إلهي ليلة بليلة.

نعم على أثر هدمه لقبر الحسين (ع) وتعرضه أيضاً إلى الإمام علي الهادي (ع) في محاولة

---

(١) راجع البحار ج٤٥ ص٣٩٧ وتسلية المجالس لمحمد بن أبي طالب الحسيني وشرح الشافية ص٢٠٨ وناسخ التواريخ ج٦ ص٤٣٨، ونزهة أهل الحرمين ص١٨، وأعيان الشيعة ج٤ ص٣٩٩ وتظلم الزهراء ص٢١٨، وكربلاء وحائر الحسين ص٢٠١.

(٢) أمالي الشيخ ج١ ص٣٣٨، والبحار ج٤٥ ص٣٩٨، وأعيان الشيعة ج٤ ص٤٠٠.

إذلاله، انتقم الله منه، ومن وزيره الفتح بن خاقان، فهجم ابنه المنتصر ومعه الأتراك عليهما وقتلوهما معاً وقطعوهما قطعاً حتى لم يعرف أحدهما من الآخر، وأزال الله نعمته ومملكته[1].

وهكذا انتقم الله من كل من باشر هدم قبر الحسين من الديزج، وهارون المعري وأعوانهما من العمال على ما جاء في الروايات العديدة التي رواها الثقات من المحدثين والمؤرخين[2].

وبعد هلاك المتوكل اعتلى ابنه المنتصر عرش الخلافة في أواخر سنة مائتين وسبع وأربعين من الهجرة، وكانت سيرته مع أهل البيت (ع) وشيعتهم بخلاف سيرة أبيه حيث كان يظهر حبهم وعطفه الشديد عليهم، فأمن الناس في عهده، وتقدم بالكف عن آل أبي طالب وترك البحث عن أخبارهم، وأن لا يمنع أحد من زيارة قبر الحسين ولا قبر غيره من آل أبي طالب، وأمر برد فدك إلى ولد الحسن والحسين وأطلق أوقاف آل أبي طالب وترك التعرض لشيعتهم بل دفع الأذى عنهم، وفرق في آل أبي طالب الأموال، وأعاد القبور إلى ما كانت عليه من قبل، وأمر ببناء الحائر الحسيني من جديد، وبنى على المرقد ميلاً عالياً يرشد الناس إليه، وشجع الناس على زيارته[3].

وبعناية الله ورعايته ما ازداد قبر الحسين إلا علواً وارتفاعاً، وزائروه إلا كثرة وإخلاصاً، وهكذا الحق يعلو ولا يعلى عليه.

إذا شئت النجاة فزر حسيناً ... لكي تلقى الإله قرير عين

فإن النار ليس تمس جسماً ... عليه غبار زوار الحسين

---

(١) راجع البحار ج٥ ص١٩٣ في كيفية هلاكه وأسبابه.

(٢) راجع أمالي الشيخ الطوسي ج١ ص٣٣٥ وص٣٣٦ والبحار ج٤٥ ص٣٩٥ وص٣٩٦.

(٣) راجع مروج الذهب للمسعودي بهامش الجزء٩ من تاريخ ابن الأثير ص١٦٤-١٦٥، ونزهة أهل الحرمين ص١٧ وأعيان الشيعة ج٤ ص٤٠١ ونقل ذلك عن المصادر المذكورة صاحب كتاب كربلاء وحائر الحسين ص١٥٥-١٥٦وتاريخ العرب ص٢٤٨- ٢٤٩.

المجلس السابع

فضيلة كربلاء، والسجود على تربتها والاستشفاء بها

فـيا كـربلا طلـتِ السـماء وربمـا ... تـناول عفـواً حـظ ذي السـعي قـاعد

لأنـتِ وإن كنـتِ الوضـيعة نلـتِ مـن ... جوارهـم مـا لم تـنله الفـراقد

سـررت بهـم مـذ آنسـوك وسـاءني ... محاريـب مـنهم أوحشـت ومسـاجد

ليهـنك أن أمسـى ثـراك لطيـبه ... تعطـر مـنه في الجـنان الخـرائد

ورد عن إمامنا زين العابدين (ع) أنه قال: إن الله اتخذ أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق أرض الكعبة ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، ... وما من نبي إلا وقد زار كربلاء ووقف عليها وقال: إنك لبقعة كثيرة الخير فيك يدفن القمر الأزهر[1].

القمر الأزهر - كما لا يخفى - هو سيد الشهداء، وسيد شباب أهل الجنة أبو عبد الله الحسين (ع) وبه تشرفت أرض كربلاء وارتفع شأنها وفضلها على سائر البقاع.

نعم لقد أعطيت أرض كربلاء من المزايا والشرف - حسب النصوص الواردة عن النبي (ص) وأهل بيته - بأكثر مما أعطي لأي أرض أو بقعة أخرى من بقاع الدنيا كلها، فهي أرض الله المختارة، وأرض الله المقدسة المباركة، وأرض الله التي اتخذها حرماً آمنا مباركاً، وهي مزار الملائكة والأنبياء والأئمة (ع)[2]. وهي البقعة التي كلم الله فيها

---

(١) معالي السبطين: ج١ ص٧٠.

(٢) راجع البحار ج١٠١ باب إن الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة يأتونه لزيارته من ص٥١ - ص٦٨ من طرق عديدة.

موسى بن عمران[1].

وناجى فيها نوح ربه فانجى الله عليها المؤمنين الذين آمنوا معه في الطوفان[2].

وهي قبة الإسلام، وروضة من رياض الجنة، وبطحة من بطحائها، وهي أطيب بقاع الأرض وأعظمها حرمة[3].

وهي من المواضع التي يحب الله أن يعبد ويدعى فيها[4].

وهي الأرض التي في تربتها الشفاء من كل داء[5].

فإن هذه المزايا وأمثالها التي اجتمعت لكربلاء لم تجتمع لأي بقعة من بقاع الأرض حتى أرض مكة[6].

والحقيقة أن مكة المكرمة وأرضها هي المفضلة على العموم ولا ينكر فضلها أحد ولكن تفضيل كربلاء وأرضها -على الظاهر- جاء من باب ما من عام إلا وقد خص، فالله سبحانه خصها بتلك المزايا وهذا التفضيل كرامة خاصة منه للإمام الحسين (ع) الذي ضحى بنفسه المقدسة ونفوس أهل بيته وأصحابه الكرام كما ضحى أيضاً بكل غال ونفيس في سبيل الله عز وجل وإحياء دينه، قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ البقرة/ ١٠٧ وآل عمران/ ٧٥.

وهذه الخصوصية أو هذا الاختصاص من الله عز وجل للإمام الحسين (ع) لم يكن إلا طبق الحكمة الإلهية، والعدل الإلهي، نظراً إلى أن الحسين (ع) لما فدى لدين الله عز

---

(١) راجع البحار ج١٠١ ص١٠٨.

(٢) المصدر السابق ص١٠٩، وج٤٤ ص٢٤٣.

(٣) المصدر السابق ص١١٥.

(٤) المصدر السابق ص١١٣ نقلاً عن كامل الزيارات ص٢٧٣.

(٥) المصدر السابق باب تربته (ع) وفضلها وآدابها من ص١١٨ - ص١٤٠ وراجع أمالي الشيخ الطوسي ج١ ص٣٢٥ - ص٣٢٩.

(٦) راجع البحار ج١٠١ باب الحائر وفضله من ص١٠٦ - ص١١٧.

وجل كل ما يملك من كل غال ونفيس، بحيث لولا ذلك الفداء منه (ع) لما كان هناك دين أصلاً ولا كعبة ولا حج... الخ.

والله جل وعلا هو العادل الحكيم - والحكيم يضع الأشياء طبق الحكمة - وحكمته وعدالته تقتضي أن يخص الحسين (ع) بأنواع المزايا العظام، إكراماً له، وجزاءً لتضحياته، والتي منها تفضيل حائره ومدفنه.

ومعلوم أيضاً أن الله هو الغني المطلق الذي يملك كل شيء والذي - كما جاء في دعاء الافتتاح - لا تنقص خزائنه، ولا تزيده كثرة العطاء إلا جوداً وكرماً، وهو العزيز الوهاب، وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾ الحجر/ ٢، وللمطالع بعد ذلك رأيه.

وعلى كل جاء في حديث صريح بأن أرض الكعبة افتخرت بفضلها فكان الفضل لكربلاء عليها، وقد ورد هذا الحديث مسنداً من طريقين عن الإمام أبي عبد الله الصادق(ع) أنه قال: إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري، يأتيني الناس من كل فج عميق، وجعلت حرم الله وأمنه؟ فأوحى الله إليها أن كفي وقري، ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً (أي قسماً ونصيباً متواضعاً) ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء... الخ[1].

ولعل إلى هذا الحديث يشير السيد مهدي بحر العلوم في منظومته الفقهية الشهيرة

---

(١) راجع المصدر السابق ج١٠١ ص١٠٦ و١٠٧ و١٠٩ نقلاً عن كامل الزيارات من طرق، وراجع كتاب الخصائص الحسينية للتستري ص٢٤٠ - ص٢٤١ والذنب جمع الذنوب - أي النصيب - يشير إليه قوله تعالى: (فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون) الذاريات/ ٦٠.

فيقول:

ومـــن حديـــث كـــربلا والكعـــبة لكـــــربلا بـــــان علـــــو الرتـــــبة

تحقيق وتحليل لإيجاد الإدراك والشعور لكافة المخلوقات:

فإن قيل: فهل لأرض الكعبة إدراك وشعور ونطق تنطق به حتى تفتخر بفضلها على غيرها، مع العلم إنها من الجمادات؟ الجواب بصورة إجمالية نقول[1]:

نعم إن الله الذي هو على كل شيء قدير جعل ويجعل متى شاء الإدراك والشعور والنطق في مخلوقاته كافة كل بحسبه، ومنها الجمادات، وهذا هو المستفاد من ظاهر كلام الله سبحانه في موارد عديدة من القرآن المجيد، ومن السنة النبوية الغراء في كثير من أحاديثها.

ومن الآيات التي تدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحى لَها**﴾ الزلزلة/ ٥ - ٦، والمعنى إذا زلزلت الأرض زلزالها أن الأرض تحدث أخبارها يوم القيامة بسبب أن ربك أوحى إليها أن تحدث، حيث أنها كانت شاعرة ومدركة بما يقع عليها من الأعمال من أربابها خيرها وشرها في الدنيا، ويؤذن لها يوم القيامة بالوحي الإلهي لها أن تحدث أخبارها وتشهد على العاملين عليها بما عملوا من خير أو شر.

وقد روى المفسرون في ذلك عدة أحاديث عن النبي الصادق الأمين (ص) ومنها ما رواه الخاصة والعامة مسنداً عن أنس بن مالك أنه قال: قرأ رسول الله (ص): ﴿**إِذا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزالَها**﴾ إلى قوله: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبارَها**﴾ وقال (ص): أتدرون ما أخبارها؟ جاءني جبرئيل وقال: خبرها إذا كان يوم القيامة أخبرت بكل عمل عُمِل

---

(١) فصلنا هذا الموضوع تفصيلاً وافياً في كتابنا (التحقيق في الإمامة وشؤونها) تحت هذه العناوين، (من الشهود على الإنسان بقاع الأرض)، (الإدراك والشعور في كل مخلوق)، من جهات ثلاث، الجهة الأولى، الجهة الثانية، الجهة الثالثة، فراجع لتعلم الحقيقة علم اليقين.

على ظهرها[1]. إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا المعنى وهي كثيرة.

ومن الآيات التي تدل على وجود الشعور والإدراك والنطق في الجمادات قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ﴾ السجدة، فصلت/١٢، وكقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ الإسراء/٤٤.

فهذه الآيات وغيرها كثير تدلنا دلالة واضحة على إيجاد الله سبحانه الإدراك والشعور والنطق لكافة مخلوقاته من السموات والأرض ومن فيهن وما فيهن. نعم إن الله قد حجب عنا ما أودع في الجمادات. من إدراك وشعور ونطق، ولذلك لا نفقه تسبيح الأشياء وحمدها لله، وإذا شاء أظهر آثارهما من باب المعجز لبعض رسله الكرام وسائر حججه العظام.

ومن هنا استفاضت الروايات من طرق الخاصة والعامة من تسبيح الحصى في كف رسول الله (ص) وحنين الجذع اليابس الذي كان يخطب إلى جنبه بعد أن تركه وصار يخطب على المنبر، حتى سمع التسبيح من الحصى، والحنين من الجذع للآخرين معجزة له (ص)، ذكر ذلك الخاصة والعامة[2].

ومن هذا القبيل ما جعله الله لنبيه داود (ع) وذكره سبحانه في عدة آيات من القرآن

---

(١) راجع تفسير الدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٣٨٠ وقد نقله عن ابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان، ونقله عنه الطباطبائي في الميزان ج٢٠ ص٤٨٦، ورواه مرسلاً كل من الطبرسي في مجمع البيان ج٥ ص٥٢٦، والفخر الرازي ج٨ ص٤٨٦، وراجع تفسير الدمشقي ج٤ ص٥٣٩ عن مصادر عديدة، وطرق عديدة.

(٢) راجع أعيان الشيعة ج٢ ص٤٨ نقلاً عن كتاب أعلام النبوة للماوردي، وإعلام الهدى للطبرسي ص٣٢، وتفسير الجواهر للطنطاوي ج٩ ص٦٦ وقد نقل سؤال الشيخ أحمد بن المبارك لشيخه الشيخ عبد العزيز الدباغ عن تسبيح الحصى ونحوه... الخ.

المجيد ومنها قولُه تعالى: ﴿وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الْجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فاعِلِينَ﴾ الأنبياء/٨٠ ويقول المفسرون: وقرع تسبيح الجبال والطير أسماع الناس معجزة له.

فأرض الكعبة بما أودع الله بها من شعور افتخرت بفضلها قائلة بما يخصها من النطق: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق، وجعلت حرم الله وأمنه؟ وهنا أبان الله لها بالوحي تفضيل أرض كربلاء عليها وأن فضلها بالنسبة إلى كربلاء كالإبرة التي غرست في البحر فحملت من مائه، كما أبان لها العلة من هذا التفضيل العظيم وهي إنها تضمنت جسد الحسين (ع) الذي ما خلقها الله وما خلق البيت الذي به افتخرت إلا لأجله حسب نص الحديث.

فهذه الأرض المباركة لم تنل هذا الشرف العظيم في الإسلام إلا بالحسين (ع) هو وجده وأبوه وأمه وأخوه علة الوجود، وصفوة الكائنات بأسرها[1] ولولاهم ما خلق الله الدنيا والآخرة.

ومن هنا يمكننا أن نقول: أن أرض كربلاء وشأنها ارتفع حتى على السماء، ولقد نظم هذا المعنى الكثير من الشعراء ومنهم الشيخ جعفر الخطي حيث يقول في الأبيات التي ابتدأنا بها:

فيا كربلا طلت السماء وربما ... تناول عفواً حظ ذي السعي قاعد

لأنت وإن كنت الوضيعة نلت من ... جوارهم ما لم تنله الفراقد

سررت بهم مذ آنسوك وساءني ... محاريب منهم أوحشت ومساجد

ليهنك إن أمسى ثراك لطيبه ... تعطر منه في الجنان الخرائد[2]

---

(١) راجع كتابنا (قبس من القرآن) ص٨٠ تحت عنوان: دلالة البشائر على أفضلية أهل البيت (ع) وأنهم علة الوجود فقد أثبتنا بالأدلة القطعية أفضلية أهل البيت، وأنهم علة الوجود، وما ورد في ذلك من طرق الفريقين إلى ص٨٧ لتتجلى لك الحقيقة الناصعة.

(٢) الخرائد: الحور العين يتعطرن بطيب تراب كربلاء.

وقال الآخر:

سما قدرها السبع السماوات إذ غدت ... لصفوة جبار السماوات مضجعا

وقال الآخر:

فيا كربلا قولي بأي وسيلة ... توسلت حتى اختارك السبط مضجعا

ضفرت بأعلى ذروة المجد بعد أن ... تضمنت خير الناس مرأى ومسمعا

به تدرك المرضى بتربته الشفا ... ويغدو مجاباً تحت قبته الدعا

ويرفعك الباري بما تحتوينه ... لأعلى مقام في الجنان وارفعا

وقد أخذ الشاعر هذا المعنى من قول الإمام زين العابدين (ع) في بعض أحاديثه الواردة في فضيلة أرض كربلاء حيث قال:

إذا زلزل الله تبارك وتعالى الأرض وسيرها، رفعت أرض كربلاء كما هي بترتبها نورانية صافية فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون، وإنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدري بين الكواكب لأهل الأرض، يغشى نورها أبصار أهل الجنة جميعاً، وهي تنادي: أنا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة التي تضمنت جسد سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة[1].

فوائد التربة الحسينية ومنافعها:

ولتربة كربلاء فوائد جليلة ومنافع عظيمة، منها أن السجود عليها يخرق الحجب السبع على ما ورده ذلك عن معاوية بن عمار أحد أصحاب الإمام الصادق (ع) أنه قال: كان لأبي عبد الله (أي الإمام الصادق (ع)) خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي

---

(١) نقله المجلسي في البحار ج١٠١ ص١٠٨ عن كامل الزيارات ص٢٦٨، والتستري في كتابه الخصائص الحسينية ص٢٤٠.

عبد الله الحسين (ع) فكان إذا حضرت الصلاة صبه على سجادته وسجد عليه ثم قال(ع): السجود على تربة الحسين يخرق الحجب السبع[1]. ولعل المراد من الحجب السبع السماوات السبع، ويكون معنى الحديث أن السجود على تربة الحسين (ع) يخرق السماوات السبع ويصعد إلى رب العالمين، إذ هو من الأعمال الصالحة المرفوعة إليه، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر/١٠.

والمراد من رفع العمل الصالح إلى الله وخرقه السماوات، هو قبوله عنده، وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: إن السجود على طين قبر الحسين (ع) ينور الأرضين السبع، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين كتب مسبحاً وإن لم يسبح فيها[2]. وإلى هذا الحديث يشير السيد مهدي بحر العلوم بقوله:

أكرم بها من سبحة مرجحة عن حامل يحملها مسبحة

فتوى ما يصح السجود عليه في المذاهب الإسلامية:

وموضوع السجود، وما يسجد عليه في فتوى المذاهب الإسلامية فيه اختلاف، فعند علماء الإمامية لا يجوز السجود إلا على الأرض، أو ما أنبتته الأرض مما لا يؤكل ولا يلبس، كما أجازوا السجود على القرطاس لأن مادته من نبات الأرض، ويجوز السجود على القطن والكتان للضرورة فقط، ويستحب عندهم السجود على تربة أرض كربلاء لفضلها وسجود بعض الأئمة عليها، ويشترطون طهارة ما يسجد عليه،

---

(١) البحار ج١٠١ ص١٣٥ نقلاً عن مصباح الشيخ الطوسي ص٥١١، ونقله عنه أيضاً الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في كتابه (الأرض والتربة الحسينية) ص٥٢ وصاحب كربلاء وحائر الحسين ص١١٧.

(٢) نقله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في الأرض والتربة الحسينية ص٥٤ عن كتاب الوسائل للحر العاملي ونقله العلامة الشيخ عبد الواحد المظفر في كتابه (توضيح الغامض) ص٧٤ عن كتاب (من لا يحضره الفقيه) للصدوق ص٥٤.

هذا رأي فقهاء الشيعة الإمامية.

أما رأي المذاهب الأربعة فعندهم يجوز السجود على أي شيء كان من أرض وغيرها ويشترطون الطهارة على ما يسجد عليه ما عدا الحنفية فإنهم لم يشترطوها.

الاستدلال على ما يصح السجود عليه من السنة:

أما الأدلة الدالة على صحة ما يسجد عليه فهي مع الشيعة الإمامية وبيان ذلك.

أولاً: هو أن الواجب المتسالم عليه لدى جميع الأمة المسلمة على بكرة أبيهم أن على المصلي أن يسجد على الأرض لقوله (ص): جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً.

وفي لفظ: جعلت الأرض طهوراً ومسجداً.

وفي لفظ: جعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء.

فهذا الحديث الذي ذكرنا بعض نصوصه من الأحاديث المتفق عليها، حيث روته الصحاح والسنن والمسانيد عن جملة من القرابة والصحابة منهم الإمام علي أمير المؤمنين (ع) وعبد الله بن عمر، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وابن عباس، وحذيفة، وأنس بن مالك، وأبو إمامة، وأبو ذر وغيرهم[1].

ولقوله (ص) لأبي ذر: الأرض لك مسجداً، فحيثما أدركت الصلاة فصل. (رواه النسائي في صحيحه)[2].

ولما ورد عن ابن عباس أنه قال: سجد النبي (ص) على الحجر. أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه هو والذهبي[3].

---

(١) راجع صحيح البخار ج١ ص٨٦ وص١١٣ وصحيح مسلم ج٢ ص٦٤ وصحيح النسائي ج٢ ص٣٢ وصحيح ابن داوود ص٧٩ وصحيح الترمذي ج٢ ص١١٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤٣٣ وص٤٣٥.

(٢) صحيح النسائي: ج٢ ص٣٢.

(٣) مستدرك الحاكم ج١ ص٤٧٣.

وعن رفاعة بن رافع عن النبي (ص) أنه قال في حديث: ثم يكبر فيسجد فيمكن جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتستوي... الخ[1].

وعن جابر بن عبد الله أنه قال: كنت أصلي مع رسول الله (ص) الظهر فآخذ قبضة من حصى في كفي لتبرد حتى أسجد عليه من شدة الحر[2] (رواه أحمد في مسنده والبيهقي في سننه).

وعن أنس بن مالك أنه قال: كنا نصلي مع رسول الله (ص) في شدة الحر فيأخذ أحدنا الحصباء في يده فإذا برد وضعه وسجد عليه. (رواه البيهقي في السنن الكبرى)[3].

وعن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله (ص) شدة الرمضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا[4].

وعن نافع: أن عبد الله بن عمر كان إذا سجد وعليه العمامة يرفعها حتى يضع جبهته بالأرض[5].

هذه بعض الأحاديث الدالة بكل صراحة على وجوب السجود على الأرض، وقد جمع تلك الأحاديث كلها شيخنا الأميني في كتابه (سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته) بطرقها الكثيرة وهي سبعة عشر حديثاً من ص١٤٧ - ص١٥٠.

الدليل القرآني على ما يصح السجود عليه:

ويمكننا أن نؤيد معنى هذه الأحاديث الدالة على السجود على الأرض، وحجرها، ورمضائها بالآية الكريمة في آخر سورة الفتح التي تصف نبينا محمد (ص)

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص١٠٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٣٢٧ والسنن الكبرى ج٢ ص١٠٥.

(٣) السنن الكبرى: ج٢ ص١٠٦.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص١٠٥، ونيل الأوطار للشوكاني ج٢ ص٢٦٨.

(٥) السنن الكبرى: ج٢ ص١٠٥.

والذين معه بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

والسيما العلامة، وعينت الآية الكريمة موضع هذه العلامة أنها في وجوههم، وأنها كانت من أثر سجودهم، وأن هذا الأثر مرئيٌّ للعيان لقوله: (تراهم).

ومما جاء في تفسيرها: أن المراد أثر التراب في جباههم لأنهم كانوا إنما يسجدون على التراب لا على الأثواب. ونقل الطبرسي هذا المعنى عن عكرمة، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، وذكره أيضاً العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان[1].

وقال الفخر الرازي في تفسيره عند استعراضه تفسير الآية: أن المراد ما يظهر في الجباه بسبب كثرة السجود[2].

وهكذا قال البيضاوي في تفسيره: يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود[3].

وقال الزمخشري في تفسيره: (سيماهم) علامتهم، والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود، ثم قال: وكان كل من العلويين علي بن الحسين زين العابدين (ع) وعلي بن عباس أبي الأملاك يقال له: ذو الثفنات، لأن كثرة سجودهما أحدث في مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير، وكذا عن سعيد بن جبير: هي السمة في الوجه، وعن سعيد بن المسيب أنه قال: ندى الطهور، وتراب الأرض... الخ[4].

وقال السيوطي في تفسيره: وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن

---

(١) راجع مجمع البيان: ج٥ ص١٢٧، والميزان ج١٨ ص٣٢٧.

(٢) مفاتيح الغيب: ج٧ ص٤٠٠.

(٣) تفسير البيضاوي ج٥ ص٨٥.

(٤) تفسير الكشاف: ج٤ ص٣٤٧.

جرير، وابن المنذر، وابن نصر عن سعيد بن جبير الآية أنه قال: ندى الطهور وثرى الأرض[1].

هذه بعض أقوال المفسرين ورواياتهم في ذلك، ونص الآية سيماهم في وجوههم من أثر السجود ظاهر كمال الظهور - وظواهر القرآن حجة - أن سجودهم أثر في وجوههم أثراً مرئياً، وفسرت الوجوه — في الأقوال والروايات السابقة - بالجباه.

ومعلوم أن الإنسان لو عمر مئات السنين وألوفها وهو يسجد دائماً وأبداً بكثرة على القطن أو الصوف أو الوبر أو غير ذلك من أنواع الفرش واللباس الناعم لما أثر في جباههم أي أثر، إذ أن الأثر في الجبهة إنما يكون إما من السجود على الأرض الصلبة كالحجر والحصى. أو على التراب. فالآية الكريمة جاءت مؤيدة لأحاديث السجود وما يصح عليه التي تدل أولاً على السجود على الأرض وترابها وحصبائها.

ثانياً تدل بعض الأحاديث الأخر على جواز السجود على نبات الأرض، كالخشب والحصير والسعف وما شاكل ذلك مما لا يؤكل ولا يلبس، وقد جمع تلك الأحاديث شيخنا الأميني في كتابه (سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته) بنصوصها وهي سبعة أحاديث من ص١٥١ - ص١٥٣.

ومن نصوصها ما رواه مسلم في صحيحه، وابن ماجة في سننه، والترمذي في جامعه بأسانيدهم عن أبي سعيد الخدري أنه قال: دخلت على النبي (ص) فرأيته يصلي على حصير يسجد عليه[2].

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر أنهما قالا: كان رسول الله(ص) يصلي على الخمرة ويسجد عليها. (والخمرة هي حصير الصلاة)[3].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي: ج٦ ص٨٢.

(٢) راجع صحيح مسلم ج٢ ص٦٢ وص١٢٨، وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٢١، والترمذي ج٢ ص١٢٧.

(٣) رواه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد ج٢ ص٥٧.

ثالثاً ما ورد من السجود على الثوب المتصل بالمصلي عند عدم الاستطاعة من السجود على الأرض من شدة الحر، كما جاء هذا عن أنس بن مالك أنه قال: كنا نصلي مع النبي (ص) في شدة الحر، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه.

روت هذا الحديث الصحاح والسنن والمسانيد، وعلق عليه الشوكاني في نيل الأوطار بقوله: الحديث يدل على جواز السجود على الثياب لاتقاء حر الأرض، وفيه إشارة إلى أن مباشرة الأرض عند السجود هي الأصل لتعليق بسط الثوب بعدم الاستطاعة[1].

وفي حديث آخر أيضاً عن أنس بن مالك أنه قال: كنا إذا صلينا خلف رسول الله بالظهائر سجدنا على ثيابنا اتقاء الحر. أخرجه ابن ماجة في صحيحه، وقال السندي في شرحه: الظهائر جمع ظهيرة، وهي شدة الحر بنصف النهار[2].

وبعد أن ذكر الأميني هذه الأقسام الثلاثة من الأحاديث الدالة على السجود على الأرض، ونباتها، وعلى الثوب المتصل عند عدم التمكن من السجود على الأرض قال بعدها تحت عنوان.

القول الفصل:

هذا تمام ما ورد في الصحاح والمسانيد مرفوعاً وموقوفاً فيما يجوز السجود عليه برمته، ولم يبق هناك حديث لم نذكره، وهي تدل بنصّها على أن الأصل في ذلك لدى

---

(١) راجع صحيح البخاري ج١ ص١٠١، ومسلم ج٢ ص١٠٩، وسنن الدرامي ج٢ ص٣٠٨، وسنن أبي داود ج١ ص١٠٦، ومسند أحمد ج١ ص١٠٠، وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٢١، والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص١٠٦، ونيل الأوطار للشوكاني ج٢ ص٢٦٨.

(٢) راجع سنن ابن ماجة ج٢ ص٢١٦.

القدرة والإمكان الأرض كلها، ويتبعها المصنوع مما ينبت منها، ولا مندوحة عنها عند فقدان العذر، أما في حال العذر وعدم التمكن منها فيجوز السجود على الثوب المتصل دون المنفصل لعدم ذكره في السنة.

وأما السجدة على الفراش والسجاد والبسط المنسوجة من الصوف والوبر والحرير وأمثالها والثوب المنفصل فلا دليل يسوغها قط، ولم يرد في السنة أي مستند لجوازها... الخ[1].

الحكمة في السجود على الأرض:

وإنما شرع السجود على الأرض أولاً وبالذات لأن ذلك أبلغ في تذلل العبد وخضوعه لله سبحانه وتعالى من السجود على غيرها من أنواع الفرش واللباس.

نعم لا ريب أن الأنسب بالسجود لله عز وجل الذي فيه تمام التصاغر والتذلل تجاه عظمة المولى سبحانه أن يكون على الأرض وترابها ليعفر المصلي بها جبهته ويرغم بها أنفه، وليتذكر الساجد لله طينته الوضيعة الخسيسة التي خلق منها وإليها يعود، ومنها يعاد تارة أخرى حتى يتعظ بها، ويكون على ذكر من وضاعة أصله ليتأتى له خضوع روحي وذل في الباطن وانحطاط في النفس، واندفاع في الجوارح إلى عبودية الله تعالى، وتقاعس عن الترفع والأنانية والاستكبار ويكون على بصيرة من أن المخلوق من التراب حقيق وخليق بالذل والمسكنة أمام خالقه المتعال.

هذا هو سر السجود على الأرض، ولذلك صارت الشيعة الإمامية تختار قطعة من تراب طاهر نظيف للسجود عليها لسببين الأول أن يكون المسجد طاهراً، والثاني أن يكون السجود على ما يصح السجود عليه من مدلول الأرض ومفهومها في الشرع والعرف واللغة خضوعاً لله عز وجل وسجوداً له.

---

(١) راجع ما كتبه الأميني في كتابه سيرتنا من ص١٤٦ - ص١٦٧.

ويؤيد ذلك ما ورد عن هشام بن الحكم أنه قال: قلت لأبي عبد الله (ع) أخبرني عما يجوز السجود عليه وعما لا يجوز، قال: السجود لا يجوز إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلا ما أكل أو لبس، أي غير المأكول والملبوس، فقلت: جعلت فداك ما العلة في ذلك؟ قال: لأن السجود هو الخضوع لله عز وجل فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس لأن أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد في سجوده في عبادة الله تعالى فلا ينبغي أن يضع جبهته في سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغتروا بغرورها، والسجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عز وجل[1].

فضل السجود على تربة كربلاء:

أما السجود على خصوص تربة كربلاء فذلك لورود الأحاديث الكثيرة من طرق الخاصة والعامة عن النبي (ص) وأهل بيته في فضلها وقدسيتها كما أشرنا في أول الموضوع، ولسجود الأئمة الطاهرين عليها.

والظاهر أن أول من سجد على هذه التربة المقدسة هو الإمام زين العابدين (ع) على ما أفاده الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في كتابه (الأرض والتربة الحسينية) حيث قال في ص٥٠: أول من صلى عليها من المسلمين بل من أئمة المسلمين فالذي استفدته من الآثار وتلقيته من حَمَلة أخبار أهل البيت ومهرة الحديث من أساتيذي الأساطين الذين تخرجت عليهم برهة من العمر هو أن زين العابدين علي بن الحسين (ع) بعد أن فرغ من دفن أبيه وأهل بيته وأنصاره أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف الذي بضعته السيوف فشد تلك التربة في صرة وعمل منها سجادة ومسبحة وهي التي كان يديرها بيده حين أدخلوه الشام على يزيد فسأله:

ما هذه التي تديرها بيدك، فروى له عن جده رسول الله (ص) خبراً محصله أن من

---

(١) راجع علل الشرائع للصدوق ج٢ ص٣٤١.

يحمل السبحة صباحاً ويقرأ الدعاء المخصوص لا يزال يكتب له ثواب التسبيح وإن لم يسبح[1].

ولما رجع الإمام (ع) هو وأهل بيته إلى المدينة صار يتبرك بتلك التربة ويسجد عليها ويعالج بعض مرضى عائلته بها، فشاع هذا عند العلويين وأتباعهم ومن يقتدي بهم.

فأول من صلى على هذه التربة واستعملها هو زين العابدين الإمام الرابع من أئمة الشيعة الاثني عشر المعصومين (ع)، ويشير إلى ذلك المجلسي في البحار في أحوال الإمام، ثم تلاه ولده محمد الباقر الخامس من الأئمة وتأثر في هذه الدعوة فبالغ في حث أصحابه عليها ونشر فضلها وبركاتها. ثم زاد على ذلك ولده جعفر الصادق (ع) فإنه نوه بها لشيعته، وكانت الشيعة قد تكاثرت في عهده وصارت من كبريات طوائف المسلمين وحملة العلم والآثار، وقد التزم الإمام ولازم السجود عليها بنفسه.

ثم استشهد الشيخ كاشف الغطاء بالحديث الذي مر ذكره والذي رواه شيخ الطائفة الشيخ الطوسي في كتابه مصباح المتهجد ص٥١١ حيث روى بسنده أنه كان لأبي عبد الله الصادق (ع) خريطة من ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله الحسين (ع) فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجادته وسجد عليه ثم قال: إن السجود على تربة أبي عبد الله (ع) يخرق الحجب السبع.

ويروي صاحب الوسائل عن الديلمي قال: كان الصادق (ع) لا يسجد إلا على تربة الحسين (ع) تذللاً لله واستكانة إليه، ولم تزل الأئمة من أولاده وأحفاده تحرك العواطف وتحفز الهمم وتوفر الدواعي إلى السجود عليها والالتزام بها وبيان مضاعفة الأجر والثواب في التبرك بها والمواظبة عليها حتى التزمت بها الشيعة إلى اليوم هذا الالتزام مع عظيم الاهتمام.

ولم يمض على زمن الصادق (ع) قرن واحد حتى صارت الشيعة تصنعها ألواحاً

---

(١) راجع الحديث بنصه في البحار ج١٠١ ص١٣٦ نقلاً عن كتاب دعوات الراوندي.

وتضعها في جيوبها كما هو المتعارف اليوم فقد روي في الوسائل عن الإمام الثاني عشر الحجة (ع) أن الحميري كتب إليه يسأله عن السجدة على لوح من طين قبر الحسين (ع) هل فيه فضل فأجاب (ع) يجوز ذلك وفيه الفضل، ثم سأله عن السبحة فأجاب بمثل ذلك... الخ[1].

سر السجود على تربة كربلاء:

أما السر في اختيار الأئمة الطاهرين (ع) - وشيعتهم تبعاً لهم - السجود على تربة كربلاء عدا ما ورد في فضلها وقدسيتها، وكونها أطيب وأزكى من أي تربة أخرى، فهو على الظاهر أن يتذكر المصلي في معراج صلاته ما أصاب الإسلام والمسلمين وأئمتهم من قتل الشهيد بن الشهيد وأبي الشهداء على أيدي الفئة الباغية المنافقة التي ما برحت تكيد للدين وأهله أنواع المكائد حتى أقدمت على قتل ريحانة النبي (ص) وسبطه سيد شباب أهل الجنة.

وبقتله - بزعمهم - سيقضى على الدعوة الإسلامية ودعاتها في آن واحد، ولكن الله جلت قدرته خيب أمالهم وأبقى ذكر الإسلام ونبيه وأهل بيته (ص)، وذكر الحسين(ع) خاصة خالداً ما خلد الدهر، حيث أنه (ع) ضحى بنفسه ونفيسه لله عز وجل، وفي سبيل إحياء دينه وأوليائه.

وإلى هذا الرأي يذهب الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في سر السجود على تربة الحسين (ع) حيث يقول في كتابه الأرض والتربة الحسينية ص٤٢ : لعل من جملة الأغراض العالية والمقاصد السامية أن يتذكر المصلي حين يضع جبهته على تلك التربة تضحية ذلك الإمام بنفسه وآل بيته والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ، وتحطيم هياكل الجور والفساد والظلم والاستبداد. ولما كان السجود أعظم أركان

---

(١) حديث الحميري وأسئلته من الإمام المهدي (ع) كثيرة تجدها في الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص ٣١٢، وينقل المجلسي في البحار ج١٠١ ص١٣٢ عن كتاب التهذيب ج٦ ص٧٦ وفي كتاب (كربلاء وحائر الحسين) ص١١٨.

الصلاة، وفي الحديث: (أقرب ما يكون العبد إلى ربه حال سجوده)، ناسب أن يتذكر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية أولئك الذين وضعوا أجسامهم عليها ضحايا للحق وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى... الخ. نعم:

باعوا نفوساً لهمُ قد غلت وأرخصوا من سعرها المثمنا

عود إلى فوائد التربة الحسينية ومنافعها:

فلفوائد السجود على تربة كربلاء، وصحته بحسب الأدلة، التزمت الشيعة بالسجود عليها غالباً للاستحباب لا للوجوب، وسجودهم عليها لله عز وجل لا لها كما يصوره المغرضون في أذهان العوام[1].

ومن فوائد التربة الحسينية أنها إذا جعلت مع الميت في القبر كانت له أماناً، وقد جاء في حديث محمد الحميري فيما يسأل به الإمام المهدي (عجل الله فرجه) أنه قال: وكتبت إليه أسأله عن طين القبر (أي قبر الحسين) يوضع مع الميت في قبره هل يجوز ذلك أم لا؟ فأجاب (عجل الله فرجه) وقرأت التوقيع ومنه نسخت: يوضع مع الميت في قبره ويخلط بحنوطه إن شاء الله.[2](أي يكون نفعه بمشيئة الله تعالى).

وفي حديث آخر عن جعفر بن عيسى أنه سمع أبا الحسين (ع) يقول: ما على أحدكم إذا دفن الميت ووسده بالتراب أن يضع مقابل وجهه لبنة من طين الحسين (ع) ويضعها تحت رأسه[3].

ومن فوائدها ما ورد عن أبي القاسم محمد بن علي عن أبي الحسن الرضا (ع) أنه

---

(١) راجع ما كتبه آية الله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في كتابه (الأرض والتربة الحسينية) ص٤٧ - ٤٨.

(٢) راجع الحديث في البحار ج١٠١ ص١٣٣ فيما نقله عن كتاب التهذيب ج٦ ص٧٦ والاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٣١١.

(٣) راجع البحار ج١٠١ ص١٢٦ فيما نقله عن مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٥١١.

قال: من أدار (سبحة) الطين من التربة فقال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، مع كل حبة منها كتب الله له بها ستة آلاف حسنة، ومحا عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وأثبت له من الشفاعة مثلها[١].

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: السبحة التي هي من طين قبر الحسين تسبح بيد الرجل من غير أن يسبّح[٢].

أحاديث أهل البيت في الاستشفاء بتربة الحسين:

ومن فوائد التربة الحسينية أن الله قد جعل فيها الشفاء من كل داء، حتى أن الأئمة الطاهرين (ع) أنفسهم كانوا يستشفون بتربة الحسين (ع) ويأمرون شيعتهم بذلك[٣].

وقال الإمام الصادق (ع): في طين قبر الحسين الشفاء من كل داء، وهو الدواء الأكبر[٤].

وفي حديث آخر قال (ع): طين قبر الحسين (ع) فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل[٥].

وفي حديث آخر قال (ع): من أصابته علة فتداوى بطين قبر الحسين (ع) شفاه الله من تلك العلة إلا أن تكون علة السام[٦]. (أي علة الموت).

وفي حديث آخر قال (ع): لو أن مريضاً من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله الحسين بن علي (ع) وحرمته وولايته، أخذ من طين قبره مثل رأس أنملة كان له دواءً وشفاء[٧].

---

(١) البحار ج١٠١ ص١٣٣ نقلاً عن المزار الكبير ص١١٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع البحار ج١٠١ ص١٢١ نقلاً عن كامل الزيارات ص٢٧٥.

(٤) المصدر السابق ص١٢٣ نقلاً عن المصدر السابق أيضاً ومصباح التهجد للطوسي ص٥١٠.

(٥) البحار ج١٠١ ص٢٤ نقلاً عن كامل الزيارات ص٢٧٥.

(٦) المصدر السابق ص٢٤ نقلاً عن الكامل ص٢٧٥.

(٧) المصدر السابق ص١٢٢ نقلاً عن الكامل ص٢٧٧ والمصباح ص٥١٠.

وورد في حديث عن محمد بن مسلم أنه قال: سمعت أبا جعفر، وجعفر بن محمد (أي الباقر والصادق (ع)) يقولان: إن الله عوض الحسين (ع) من قتله أن جعل الإمامة في ذريته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تعد أيام زائريه جائياً وراجعاً من عمره[1].

وإلى هذا المعنى يشير الشيخ صالح العرندسي حيث يقول في الحسين (ع):

حبي بثلاث ما أحاط بمثلها ... ولَيٌّ ومن زيد هناك ومن عمرو
له تربة فيها الشفاء وقبة ... يجاب بها الداعي إذا مسه الضر
وذرية درية منه تسعة ... أئمة حق لا ثمان ولا عشر

وقال الآخر:

به تدرك المرضى بتربته الشفا ... ويغدو مجاباً تحت قبته الدعا

وقال الآخر:

مولى بتربته الشفاء وتحت قبـ ... ـته الدعا من كل داع يسمع
فهو الإمام أبو الأئمة والذي ... هو للنبوة والإمامة مجمع

الآداب والدعاء للاستشفاء بتربة الحسين (ع):

وذكر أهل البيت (ع) - في أحاديثهم - للاستشفاء بتربة الحسين (ع) آداباً، ودعاء، وتناول كمية معينة قليلة منه، وإنها تكون شفاء للمؤمنين من شيعته بمشيئة الله عز وجل.

ومن تلك الأحاديث ما رواه الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد، وغيره (أن رجلاً سأل الإمام الصادق (ع) فقال له: إني سمعتك تقول: إن تربة الحسين من الأدوية المفردة، وأنها لا تمر بداء إلا هضمته، فقال: قد كان ذلك أو قد قلت ذلك فما بالك؟

---

(١) المصدر السابق ص٦٩ نقلاً عن أمالي الشيخ الطوسي ج١ ص٣٢٤، ونقله عن أمالي الشيخ العلامة المتتبع الشيخ عبد الواحد المظفر في كتابه (توضيح الغامض) ص٧١.

قال: إني تناولتها فما انتفعت، قال (ع): أما إنّ لها دعاء فمن تناولها ولم يدع به لم يكد ينتفع بها، فقال له: ما أقول إذا تناولتها؟ قال: تقبلها قبل كل شيء وتضعها على عينيك ولا تتناول منها أكثر من حمصة، فإن من تناول منها أكثر من ذلك فكأنما أكل من لحومنا ودمائنا، فإذا تناولت فقل:

اللهم إنّي أسألك بحق الملك الذي قبضها، وأسألك بحق النبي الذي خزنها وأسألك بحق الوصي الذي حل فيها، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعله شفاء من كل داء، وأماناً من كل خوف، وحفظاً من كل سوء، فإذا قلت ذلك فاشددها في شيء واقرأ عليها سورة إنا أنزلناه في ليلة القدر، فإن الدعاء الذي تقدم لأخذها هو الاستيذان عليها، وقراءة إنا أنزلناه ختمها[1].

وفي حديث آخر مسند عن الحارث بن المغيرة البصري قال: قلت لأبي عبد الله(ع): إني رجل كثير العلل والأمراض وما تركت دواء إلا تداويت به فما انتفعت بشيء منه، فقال لي: أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي (ع) فإن فيه شفاء من كل داء، وأمناً من كل خوف، فإذا أخذته فقل هذا الكلام:

اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق النبي (ص) الذي قبضها، وبحق الوصي الذي حل فيها، صل على محمد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا) أي تطلب حاجتك.

قال: ثم قال لي أبو عبد الله (ع): أما الملك الذي أخذها فهو جبرئيل (ع) وأراها النبي (ص) فقال: هذه تربة ابنك الحسين (ع) تقتله أمتك من بعدك، والذي قبضها فهو محمد رسول الله (ص) وأما الوصي الذي حل فيها فالحسين (ع) والشهداء (رض) قلت: قد عرفت جعلت فداك الشفاء من كل داء، فكيف الأمن من كل خوف؟ فقال: إذا خفت سلطاناً أو غير سلطان فلا تخرجن من منزلك إلا ومعك من طين قبر

---

(١) راجع البحار ج١٠١ ص١٣٥ نقلاً عن مصباح الطوسي ص٥١١ ومصباح الزائر ص١٣٦.

الحسين(ع). فتقول: اللهم إني أخذته من قبر وليك وابن وليك فاجعله لي أمناً وحرزاً لما أخاف وما لا أخاف، فإنه قد يرد ما لا يخاف.

قال الحارث بن المغيرة: فأخذت كما أمرني، وقلت ما قال لي فصح جسمي وكان لي أماناً من كل ما خفت وما لم أخف كما قال أبو عبد الله (ع) فما رأيت مع ذلك بحمد الله مكروهاً ولا محذورا[1].

إخبار جبرئيل للنبي (ص) بقتل الحسين على تربته:

قول الإمام الصادق (ع) في هذا الحديث: أما الملك الذي أخذها فهو جبرئيل وأراها النبي (ص)، وقوله: الذي قبضها فهو محمد رسول الله (ص)، يشير (ع) بهذا إلى ما تواتر نقله فيما يناهز العشرين حديثاً من طرق العامة عن أكابر ثقاتهم كالإمام أحمد بن حنبل، والحاكم، والطبراني، والبيهقي، وابن عساكر، وأبي نعيم، والسيوطي، وأمثالهم من مشاهير رواتهم فيما رووه عن أمهات المؤمنين زينب بنت جحش، وعائشة، وأم سلمة، وعن أنس بن مالك، وابن عباس وغيرهم من القرابة والصحابة، وأكثرها شهرة أحاديث عائشة، وأم سلمة في أن كلاً منهما رأت رسول الله(ص) والحسين في حجره وعيناه تهرقان دموعاً، وفي يده تربة حمراء، فتسأله عن تلك التربة فيقول: أتاني جبرئيل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا، وأتاني بتربة حمراء وهي هذه، وفي بعضها: أنه يقتل بأرض العراق وهذه تربته، وأنه (ص) أودع تلك التربة - بعد ما شمها - عند أم سلمة، وقال لها: إذا رأيتها وقد فاضت دماً فاعلمي أن ولدي الحسين قد قتل، وكانت أم سلمة تتعهدها حتى إذا كان ويوم عاشوراء عام شهادة الحسين وجدتها وقد فاضت دماً فعلمت أن الحسين (ع) قد قتل[2].

---

(١) راجع الحديث في أمالي الشيخ الطوسي ج١ ص٣٢٥، والتهذيب ج٦ ص٧٤، ونقله عن المصدرين المجلسي في البحار ج١٠١ ص١١٨.

(٢) راجع تلك الأحاديث وأمثالها في كتاب (سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته) لشيخنا الأميني (ره) فقد استعرضها مفصلة من مصادرها ومسانيدها ورواتها مع تراجمهم كل ذلك ◄◄

ومن أحاديث أم سلمة التي وردت من طرقنا ما رواه الصدوق في الأمالي ص٨٥ مجلس ٢٩ بسنده عن أبي الجارود عن أبي جعفر (ع) قال: كان النبي (ص) في بيت أم سلمة فقال لها: لا يدخل عليَّ أحد، فجاء الحسين (ع) وهو طفل، فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي (ص) فدخلت أم سلمة على أثره، فإذا الحسين على صدره، وإذا النبي (ص) يبكي وإذا في يده شيء يقلبه، فقال النبي (ص) يا أم سلمة إن هذا جبرئيل يخبرني: أن هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك فإذا صارت دماً فقد قتل حبيبي، فقالت أم سلمة: يا رسول الله سل الله أن يدفع ذلك عنه، قال: قد فعلت، فأوحى الله عز وجل إلي أن له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين، وأن له شيعة يشّفعون فيُشفعون، وأن المهدي (ع) من ولده، فطوبى لمن كان من أولياء الحسين وشيعته، هم والله الفائزون يوم القيامة[1].

وبالفعل أخذت أم سلمة تلك التربة فوضعتها في قارورة وشدت رأسها، ولم تزل محتفظة بها إلى أن عزم الحسين (ع) على الخروج من المدينة فأتتْه أم سلمة وقالت له: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك رسول الله (ص) يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق بأرض يقال لها كربلاء، وعندي تربة دفعها إليّ جدك فجعلتها في قارورة، فقال لها: يا أماه وأنا والله أعلم ذلك، وأني مقتول لا محالة وليس لي من هذا بد، وإن لم أخرج إلى العراق يقتلوني، وإني والله لأعرف اليوم الذي أقتل فيه، وأعرف من يقتلني، وأعرف البقعة التي أدفن فيها، وأعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي، وإن أردت يا أماه أن أريك حفرتي ومضجعي، ثم أشار (ع) بيده إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أم سلمة بكاء شديداً وسلمت أمرها إلى الله عز وجل، فقال لها: يا أماه قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين وأطفالي مذبوحين

بصحائف مرقمة من ص٢٨ - ص١٤٥ تحت عنوان: (وأما حسينا ومأتمه وكربلاؤه) وراجع مقتل الحسين للخوارزمي الحنفي الفصل الثامن ص١٥٨ - ص١٧٠.

(١) نقل الحديث عن أمالي الصدوق المجلسي في البحار ج٤٤ ص٢٢٥ وما في معناه أحاديث أخر كثيرة.

مأسورين مقيدين وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً، ثم مد يده إلى جهة كربلاء (وقد قرب الله له البعيد) فأخذ تربة فجعلها في قارورة، وقال: اجعليها مع قارورة جدي رسول الله (ص) فإذا فاضتا دماً فاعلمي يا أماه أني قد قتلت[1].

ثم ودعها الحسين (ع) وخرج من المدينة، فجعلت أم سلمة في كل يوم تتفقد القارورتين إلى يوم العاشر من المحرم، فنامت فرأت في منامها رسول الله (ص) مقبلاً وعلى رأسه ولحيته تراب كثير، فجعلت أم سلمة تنفضه بكمها وهي تقول: نفسي لنفسك الفداء يا رسول الله متى أهملت نفسك هكذا؟ ومن أين لك هذا التراب؟ فقال: يا أم سلمة لا زلت الليلة أحفر القبور للحسين وآل الحسين، فانتبهت من نومها فزعة مرعوبة وقامت فدخلت إلى البيت الذي فيه القارورتان وإذا هما قد فاضتا دماً عبيطاً، فصاحت واولداه واحسيناه وامهجة قلباه حتى علا نحيبها وأخذت من ذلك الدم وجعلت تخضب به وجهها، فاقبلت عليها نساء المدينة من الهاشميات وغيرهن فقلن لها: ما الخبر؟ فحكت لهن الرؤيا وخبر القاروتين فعند ذلك علا الصراخ وقام النياح وصار كيوم مات فيه رسول الله (ص)، وأقبلن إلى قبره ما بين مشقوقة الجيب ومكشوفة الرأس وصحن: يا رسول الله لقد قتل ولدك الحسين، قالت: أم سلمة فوالله الذي لا إله إلا هو لقد أحسسنا كأن القبر يموج حتى تحركت الأرض من تحتنا فخشينا أنها تسيح بنا فانحرفنا عن القبر ما بين مشقوقة الجيب ومنشورة الشعر وباكية العين، وذلك يوم العاشر من المحرم ولا يبعد أن يكون وقت العصر حين هجم القوم الأراذل في كربلاء على مخدرات الرسالة.

---

(١) راجع البحار ج٤٤ ص٢٣١ نقلاً عن بعض الكتب وراجع الحديث في معالي السبطين ج١ ص١٣٣ نقلاً عن كتاب (العوالم).

المجلس الثامن

حق الحسين (ع) على المسلمين والمؤمنين

بنهضته لإحياء الدين

قتل الحسين لينقذ العاصين من أشياعه من حر نار تشعل
والشيعة العاصون ودوا أنهم دخلوا الجحيم وأنه لا يقتل

الإمام الحسين (ع) له حق عظيم على جميع المسلمين والمؤمنين إذ صار سبباً لهدايتهم إلى الإسلام والإيمان، لأنه أرواحنا فداه قد فدى نفسه ونفوس الأعزاء من أهل بيته وأصحابه إحياء لدين جده (ص).

نعم إن الحسين ما قام هذا القيام الخالد وما نهض تلك النهضة المقدسة في سبيل منفعة دنيوية، وما رفض البيعة ليزيد جرياً وراء مصلحة ذاتية، وما انتقل من المدينة إلى مكة في سبيل بيعة، وما قصد العراق حباً في شهرة، ولو كان الأمر كذلك لبقي الحسين(ع) بمكة ولشهد الحج تلك السنة، ولدعا الناس إلى نفسه عند اجتماع الناس بموقف عرفة ومنى وغيرهما من المواقف الأخرى، أو لسمع من بعض نصحائه حيث أشاروا عليه بالبقاء حيث هو، أو الرحيل إلى اليمن، ولكنه (ع) أراد ما هو أسمى وأعظم من ذلك كله، ألا وهو إحياء دين جده، لأنه لو لم يأت الحسين كربلاء، ويوطن نفسه المقدسة لتحمل تلك المصائب التي لا تقوم بحملها الجبال، ولتلك الخطوب التي يقصر عن ذكرها المقال والتي منها سبي العيال والأطفال، وإبقاء جسده الشريف مع أهل بيته وأصحابه ثلاثة أيام على وجه الرمال، لما ظهر هذا الدين الذي به حياة المجتمع الإنساني.

وربما يستاءل البعض هنا فيقول: كيف كان إحياء الدين وظهوره بنهضة

الحسين(ع) وقتله؟ الجواب:

نعم ذلك لأن المنافقين من بني أمية وغيرهم الذين دفعوا أهل البيت عن مقامهم، وأزالوهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها، هؤلاء المنافقون ظهروا للناس بمظهر النيابة عن رسول الله (ص) وأنهم خلفاؤه من بعده، وتظاهروا بتأييد دينه وخدمةِ شريعته فخفي أمرهم على كثير من الناس واغتروا بهم وبنفاقهم.

النفاق والمنافقون:

وهذا هو شأن المنافق في الدين يظهر خلاف ما يبطن في نفسه فيظهر الإسلام أو الإيمان ويبطن الكفر أو الشرك، ويظهر الحب ويبطن البغض، ويظهر الموالاة ويبطن المعاداة.

وهكذا في سائر شؤون الدين كلها يظهر فيها خلاف ما يبطن لمآربه الخسيسة، قال تعالى في بداية سورة المنافقون مخاطباً لنبيه (ص): ﴿**إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ قالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ إلى آخر السورة التي تظهر حقيقتهم وحقيقة أكاذيبهم وأباطيلهم، وإظهارهم خلاف ما يبطنون في مطلق تصرفاتهم مع المسلمين.

ولقد اهتم القرآن المجيد بأمر المنافقين اهتماماً بالغاً، وكر عليهم كرات عنيفة بذكر مساوئ أخلاقهم وأكاذيبهم وخدائعهم ودسائسهم وأنواع الفتن التي أقاموها على النبي(ص) وعلى الإسلام والمسلمين، وقد جاء ذكرهم مكرراً في كثير من السور القرآنية كسورة البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمد (ص)، والفتح، والحديد، والحشر، والتحريم، وغيرها كما أنزل الله تعالى فيهم سورة كاملة أسماها باسمهم (المنافقون)، وقد توعدهم الله في كلامه أشد الوعيد دنياً وآخرة، ففي الدنيا توعدهم بالطبع على قلوبهم، وجعل

الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم، وإذهاب نورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، لإعراضهم عن الله ودينه، واسترسالهم إلى شهوات أنفسهم الأمارة بالسوء، وفي الآخرة بجعلهم في الدرك الأسفل من النار، وأخبر أنهم هم العدو الحقيقي الذي يجب على النبي (ص) وعلى المسلمين أن يحذروهم فقال تعالى مخاطباً رسوله (ص): ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ المنافقون/٥.

وليس ذلك إلا لشدة المصائب التي أصابت وتصيب الإسلام والمسلمين من كيدهم ومكرهم وأنواع دسائسهم، فهم أضر على الدين وأهله من الكافرين والمشركين، إذ لولاهم لعم الإسلام الذي هو دين الله الحقيقي شرق الأرض وغربها، فهم أساس الكفر الذي ساد أهل الأرض، والسبب الأول الذي حال بين الناس وبين دينهم الحنيف، ولذلك يكون عقابهم يوم القيامة أشد وأكثر من عقاب الكافرين والمشركين بجعلهم في الدرك الأسفل من النار، وهم موجودون في كل عصر وجيل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

نفاق الأمويين وجرائمهم:

ومن المنافقين الذين مردوا على النفاق بنو أمية الذين تظاهروا للناس - بعد استيلائهم عليهم - بأنهم من جملة خلفاء النبي، والدعاة إلى دينه وشريعته، لذلك خفي أمرهم على كثير من الناس واغتروا بهم، فحللوا من حرام الله ما شاءوا وحرموا من حلاله ما أرادوا وعاثوا في الدين باسم الدين، وحكّموا فيه الناكثين والقاسطين والمارقين، فسملوا أعين أولياء الله وقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف، وصلبوهم على جذوع النخل، وفرقوهم أيدي سبا، وسبّوا أمير المؤمنين (ع) الذي هو نفس رسول الله (ص) وأخوه، وابن عمه، وزوج كريمته سيدة نساء العالمين وأبو سبطيه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، سبوه على منابر الإسلام باسم الإسلام حتى قيل:

أعـــلى المـــنابر تعلـــنون بســـبه وبســـيفه نصـــبت لكـــم أعوادهـــا

إلى غير ذلك من منكراتهم وجرائمهم التي لا تعد ولا تحصى، فلو دامت تلك الأحوال الجائرة لهم لما أبقوا للإسلام وللدين عيناً ولا أثراً.

ولكن لما ثار عليهم الحسين (ع) وأبى إطاعتهم والإنقياد لهم قائلاً للوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي يزيد على المدينة: أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة.

وبقي مصراً على عدم بيعتهم والانصياع إلى إرادتهم حتى إذا قتلوه بتلك الصفة الخاصة، وسبوا عياله - وهم آل رسول الله (ص) - بتلك الطريقة المخصوصة تنبه الناس - عند ذلك - لنفاق بني أمية، والتفتوا إلى أنهم لو كانوا أئمة حق لما فعلوا ذلك بعترة نبيهم، ورأوا أن فعلهم كذلك لا يطابق ديناً ولا مذهباً ولا عدلاً، بل ولا يطابق حتى جور الجائرين ولا ظلم الغاشمين، فأعرضوا عن الاعتقاد بهم وتبرّءوا منهم، وعلموا أنهم حكام جور لا خلفاء النبي، فعدلوا عنهم إلى طريق الحق والعدل، وظهر مذهب الشيعة عند ذلك، وأما أهل السنة فعدلوا عن الاعتقاد بصحة خلافتهم وعلموا أنهم حكام جور وظلم، وجوزوا لعن بعضهم.

فالاهتداء إلى الدين الإسلامي في الحقيقة قد صار من الحسين (ع)، وإلى هذا المعنى أشار الكثير من الشعراء والعلماء، ومنهم العلامة الشيخ هادي كاشف الغطاء حيث يقول في المقولة الحسينية:

والديـن لـولا مـا جـرى مما جـرى مـــن قـــتله لم نـــر مـــنه أثـــرا

وهـــو الـــذي بقـــتله أحـــياه وكـــاد أن تميـــته أعـــداه

وقال السيد جعفر الحلي:

نفسي الفداء لفاذ شرع والده بنفسه وبأهليه وما ملكا

فالحسين (ع) له حق عظيم على المسلمين والمؤمنين خصوصاً على شيعته، ولو أنهم بذلوا نفوسهم ونفيسهم لسيد الشهداء لم يجازوا عشر العشر من حقه العظيم لأن ما بذله هو (صلوات الله عليه) لأجلهم وإنقاذهم من ظلمات الكفر والجهل - لا إشكال ولا ريب - أجلّ وأعظم مما يبذلونه له، فإذاً كلما تبذل هذه الطائفة الحقة لسيد الشهداء من النفس والنفيس هو قليل في حقه وحقير في قدره، ولكن هذا القليل الحقير له قدر عظيم عند الله، وعند رسوله وأهل بيته بيت الرحمة، إذ أن سيرتهم ومعاملتهم معنا باللطف والفضل والإحسان لا بالعدل والاستحقاق. استمع إلى ما ورد في بعض الأخبار عن عبد الله بن عباس في:

إخبار النبي (ص) بأن الحسن يقتل مسموماً والحسين منحوراً وأجر الباكين والزائرين للحسين (ع):

قال ابن عباس[1] صلينا ذات يوم خلف رسول الله (ص) صلاة الصبح، فلما فرغ من صلاته التفت إلينا بوجهه الشريف وجعل يعظنا، يشوقنا إلى الجنة ويحذرنا من النار، ونحن مسرورون بقربه منا وحديثه معنا، وإذا بالحسن والحسين قد أقبلا، فلما رآهما النبي (ص) دعاهما إليه فأجلس الحسن على فخذه اليمنى والحسين على فخذه اليسرى، وقبل الحسن في فمه ثم التفت إلى الحسين وقبله في نحره وتساقطت دموعه على خديه، فقام الحسين ومضى إلى أمه باكياً، فلما دخل ورأته فاطمة أقبلت إليه تمسح دموعه وهي تقول: ما يبكيك يا ولدي؟ فازداد بكاءً فبكت فاطمة رحمة له وقال: يا قرة عيني وثمرة فؤادي ما يبكيك لا أبكى الله لك عين؟ فأبى أن يخبرها، فقالت له: بحقي عليك وبحق جدك وأبيك إلا ما أخبرتني ما يبكيك؟ فقال: يا أماه كأن جدي ملني

---

(١) نظم هذا الحديث عن ابن عباس بطوله الشاعر الدرمكي في قصيدة ذكرها الشيخ الطريحي في المنتخب ج٢ ص٢٣٠ وأن من جملة رواته الصدوق. فراجع.

من كثرة ترددي إليه، فقالت: وكيف ذلك؟ فقال: يا أماه قلت لأخي الحسن امض بنا لنزور جدنا. فأتيناه وهو في المسجد وحوله أصحابه فأجلس الحسن على فخذه اليمنى، وأجلسني على فخذه اليسرى. وقبل أخي في فمه، ثم أقبل علي فأعرض عن فمي وقبلني في نحري، فلو لم يكن ملني لقبلني مثل أخي، شمي يا أماه فمي هل فيه شيء يكرهه جدي؟ فقالت: ما في فمك شيء يكرهه جدك، ولا في قلبه عشر حبة خردل من بغضك ولقد سمعته مراراً يقول: حسين مني وأنا من حسين ألا ومن آذى شعرة من حسين فقد آذاني، وحملك مراراً وقال: ألا ومن أحب حسيناً فقد أحبني، ولقد كنت ذات يوم في المهد تبكي وهو مار على منزلي فسمع بكاءك فدخل علي وقال: يا فاطمة سكتيه أما علمت أن بكاءه يؤذيني، فكيف ملّك؟ يا ولدي سر بنا إليه، وأخذت بيد الحسين (ع) وأقبلت إلى النبي (ص) فلما رآهما تنفس الصعداء، فدخلت وسلمت عليه وقالت: يا أبتي أما قلت: أشم رائحة الجنة من الحسين؟ أما قلت: الحسين ريحانتي التي أرتاح بها؟ أما قلت: الحسين زين أهل السموات والأرض؟ فقال: نعم يا بنتاه. فقالت: يا أبتي إذاً لم تكسر خاطره؟ ولم لا قبلته كتقبيلك أخاه؟ فقال: يا فاطمة هذا سر أخاف عليك منه إذا سمعته، فقالت: يا أبتي بحقك لا تخفه علي، فبكى النبي (ص) وقال إنا لله وإنا إليه راجعون بهذا أخبرني جبرئيل عن الرب الجليل، أن الحسن يقتل مسموماً فقبلته في موضع السم. والحسين يقتل منحوراً فقبلته في موضع نحره، فبكت فاطمة ثم قالت: بأي أرض يقتل ولدي؟ قال: بأرض تسمى كربلاء يقتل عطشاناً غريباً، فبكت فاطمة بكاءً شديداً وبكى الحاضرون لبكائها، وإذا بالأمين جبرئيل قد هبط على النبي(ص) وقال:

يا محمد العلي الأعلى يقرؤك السلام ويقول: سكت فاطمة فقد أبكت ملائكة السماء وإني سأخلق شيعة طاهرين مطهرين ينفقون أموالهم، ويبذلون أرواحهم على زيارته ويتخذون المجالس لينشروا بها الأحزان ويسكبوا الدموع، ألا بشر الزائر له بعد

مماته، ألا ومن زاره فله بكل خطوة حجة مقبولة، ألا ومن أنفق من ماله درهماً على زيارته أو عزائه، تاجرت له به الملائكة إلى يوم القيامة، ألا ومن تذكر مصابه وبكى عليه حفظت الملائكة دموعه في قوارير من زجاج وأتته بها يوم القيامة وقالت له: يا ولي الله خذ هذه دموعك على الحسين في دار الدنيا فإذا هم بك عنق من النار فارمِ عليها من هذه الدموع فإنها تفزعُ عنك مسيرة خمسمائة عام.

فلما سمع النبي (ص) ذلك تهلل وجهه فرحاً، فقالت له فاطمة: أبة مم تهلل وجهك فرحاً؟ فأخبرها بما قال جبرئيل، فسجدت فاطمة شكراً لله، فأقبل الحسين على النبي (ص) وقال: يا جداه فما جزاؤهم عندك يوم القيامة؟ فقال: يا ولدي اشفع للمذنب منهم عند الله يوم القيامة وقد أعطاني ذلك، فنظر إلى أبيه وقال: يا أبة فما جزاؤهم عندك يوم القيامة؟ فقال: يا ولدي لا أسقي يوم العطش الأكبر إلا إياهم، فالتفت إلى أخيه الحسن فقال: وأنت يا أخي فما جزاؤهم عند يوم القيامة؟ فقال: لا أدخل الجنة إلا معهم، فالتفت إلى أمه فقال: وأنت يا أماه؟ فقالت فاطمة: وعزة ربي وحق أبي لأقفن على باب الجنة برأس مكشوف ودمع مذروف، ولا أطلب من ربي سواهم فإذا دخلوا الجنة دخلت معهم، فعند ذلك قال الحسين (ع):

وأنا يا جداه وعزة ربي وحقك إن لم يدخلوا الجنة بين يدي لم أدخل قبلهم، وأطلب من ربي أن يجعل قصورهم مجاورة لقصري.

كل ذلك جزاء على هذه الدمعة المالحة، فأي عين لا تبكي عليك أبا عبد الله وقد بكت عليك الجامدات.

أي المحاجر لا تبكي عليك دماً ... أبكيت والله حتى محجر الحجر

المجلس التاسع

بكاء آدم وزكريا على الحسين (ع)
وثواب البكاء عليه

تلقي آدم (ع) كلمات من ربه وتفسيرها

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة/٣٧.

جاءت هذه الآية الكريمة من سورة البقرة بعد استعراض قصة آدم وزوجته حواء حينما كانا في الجنة، وأكلهما من الشجرة المنهي عنها بإغراء من الشيطان، وهبوطهما من الجنة إلى أرض الدنيا.

وبعد هبوطهما ندم آدم على ما صدر منه من أكله من الشجرة المنهي عنها، وأخذ بالبكاء من خشية الله، وهنا أدركته الرحمة الإلهية بأن لقنه الله وتلقى منه جل وعلا كلمات ليتوسل بها إليه حتى يتوب عليه.

والتلقي هو التلقن وهو أخذ الكلام مع الفهم له، وهذا التلقي هو الطريق المسهل لآدم توبته، وبالفعل توسل آدم إلى الله تعالى بتلك الكلمات وبها تاب عليه، أي رجع إليه جل وعلا بالرحمة، وهو التواب الرحيم، أي وهو كثير القبول للتوبة يقبلها مرة بعد أخرى. فالتوبة معناها الرجوع، وهي توبتان توبة من العبد وهي رجوعه إلى الله بالاستغفار والندم على ما صدر منه، وتوبة من الله تعالى وهي رجوعه إلى العبد بالرحمة، وهكذا كانت... الخ.

واختلف المفسرون في الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ما هي؟ فقيل هي ما حكاه الله عن آدم وزوجته في سورة الأعراف آية ٢٢ بقوله: ﴿**قالا ربّنا ظلمْنا أنْفُسَنا وَإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ**﴾ ويلاحظ في هذا القول: إن وقوع هذه الكلمات منهما جاءت في سورة الأعراف قبل هبوطهما إلى الأرض وهما بعد في الجنة، وقوله تعالى: ﴿**فَتَلَقّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ**﴾ في سورة البقرة جاءت بعد هبوطهما، فوقوع التلقي بعد الهبوط لا يساعد على تفسيره بما قالاه قبل الهبوط، وعلى هذا تكون الكلمات التي تلقاها آدم بعد هبوطهما غير ما قالاه وهما بعد في الجنة.

وقال آخرون من المفسرين استناداً إلى بعض الروايات: إن الكلمات التي تلقاها من ربه هي قوله: لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءً وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءً وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءً وظلمت نفسي فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم.

وفي رواية رواها السيوطي في الدر المنثور، والشيخ علي الهندي الحنفي في كتابه كنز العمال وغيرهما عن علي (ع) أنه قال: سألت النبي (ص) عن قول الله: (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فقال (ص) في جملة حديثه: ومكث آدم باكياً على خطيئته حتى بعث الله إليه جبرئيل، وقال: يا آدم ألم أخلقك بيدي؟ ألم أنفخ فيك من روحي؟ ألم أُسجد لك ملائكتي؟ ألم أزوجك حواء أَمَتي؟ قال: بلى، قال: فما هذا البكاء؟ قال: وما يمنعني من البكاء وقد أخرجت من جوار الرحمن؟ قال: فعليك بهذه الكلمات فإن الله قابل توبتك وغافر ذنبك، قل: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءً وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم، ثم قال (ص) فهؤلاء الكلمات التي تلقاها

آدم[1] والمراد من لفظة هؤلاء - أي محمد وآله (ص).

توسل آدم إلى الله بالخمسة أهل الكساء:

والمستفاد من هذا الحديث ومن أحاديث أخر كثيرة ومستفيضة من طرق الفريقين الشيعة وأهل السنة عن النبي (ص) وأهل بيته وأصحابه أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه هي دعاؤه وتوسله إلى الله تعالى بالخمسة أهل الكساء محمد (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ما تاب عليه، فاستجاب الله دعاءه وتاب عليه، ومن تلك الأحاديث ما رواه الخاصة والعامة، ورواه عن علمائنا الشيخ الصدوق في (الخصال) ج١ ص٢٧٠ باب الخمسة بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سألت النبي(ص) عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب عليه. ورواه محمد بن محمد الحسيني في كتابه (الاثني عشرية) ص١٩٩، وقد ذكرنا في كتابنا (قبس من القرآن) عشرات من المصادر الصريحة بهذا المعنى[2] ونظمه كثير من الشعراء ومنهم الناشئ الصغير حيث يقول في بعض قصائده:

بآل محمد عرف الصواب ... وفي أبياتهم نزل الكتاب

هم الكلمات والأسماء لاحت ... لآدم حين عزَّ له المتاب

وهم حجج الإله على البرايا ... بهم وبجدهم لا يستراب[3]

ومما جاء من تلك الأحاديث ما نقله المجلسي في البحار حيث قال: وروى صاحب

---

(١) راجع الحديث في الدر المنثور للسيوطي ج١ ص٦٠، وكنز العمال للهندي الحنفي ج١ ص٢٣٤ وقد نقلاها عن الديلمي في الفردوس وراجع البحار ج٢٤ ص١ - ٢ فيما نقل عن (كنز العمال) ص٣٢٧.

(٢) راجع كتابنا قبس من القرآن تحت عنوان: بشائر الله لآدم بنبينا وأهل بيته وتوسله إلى الله بهم، وتحت عنوان: دلالة البشائر على افضلية أهل البيت وأنهم علة الوجود، من ص٧٤ - ص٨٧.

(٣) راجع ترجمة الناشئ الصغير وشعره في كتاب الغدير ج٤ ص٢٣ - ص٣٠.

الدر الثمين في تفسير قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) أنه رأى ساق العرش وأسماء النبي (ص) والأئمة (ع) فلقنه جبرئيل وقال: قل: يا حميد بحق محمد، ويا عالي بحق علي، ويا فاطر بحق فاطمة ويا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان.

قال الراوي: فلما ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه واقلة ناصراه، حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد إلا بالسيوف، وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنان، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى[1].

وإلى هذا الحديث يشير الشيخ صالح الكواز مخاطباً الحسين:

كفى بيومك حزناً انه بكيت ... له النبيون قدماً قبل أن يقعا

بكاك آدم حزناً يوم توبته ... وكنت نوراً بساق العرش قد سطعا

وكذلك زكريا بكى على الحسين عند سماع مصيبته، ودمعت عينه عند ذكر اسمه الشريف وذلك.

تأويل (كهيعص) بقصة الحسين (ع) وشهادته:

ما رواه الطبرسي في الاحتجاج فيما نقل عنه المجلسي في البحار عن سعد بن عبد الله أنه قال: وسألت القائم (عجل الله فرجه) عن تأويل (كهيعص) قال (ع): هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريا (ع) ثم قصها على محمد (ص)

---

(١) راجع البحار ج٤٤ ص٢٤٥ والخصائص الحسينية للتستري ص١٠٣.

وذلك أن زكريا سأل الله ربه أن يعلمه أسماء الخمسة فأهبط عليه جبرئيل (ع) فعلمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن (ع) سري عنه همه (أي انكشف عنه) وانجلى كربه، وإذا ذكر اسم الحسين (ع) خنقته العبرة، ووقعت عليه البهرة (وهي تتابع النفس) فقال ذات يوم: إلهي ما بالي إذا ذكرت أربعة منهم تسليت بأسمائهم من همومي، وإذا ذكرت الحسين (ع) تدمع عيني وتثور زفرتي؟ (أي يكثر تنفسي) فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصته فقال: كهيعص، فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العترة الطاهرة، والياء يزيد وهو ظالم الحسين، والعين عطشه، والصاد صبره.

وإلى هذا المعنى يشير بعض الشعراء حيث يقول:

يا قتيلاً صبره الممدوح من رب العباد ... حيث قال الله فيه كهيعص

كربلا الكاف وقد حل بها كل البلا ... وهلاك العترة الهاء بطف كربلا

ويزيد ياؤها المعهود والعين تلا ... عطش السبط وقد أضرم ناراً للفؤاد

قال الراوي: فلما سمع زكريا ذلك لم يفارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع فيهن الناس من الدخول عليه، وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه قائلاً: إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده؟ إلهي أتنزل بلوى هذه الرزية بفنائه؟ إلهي أتلبس علياً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي أتحل كربة هذه المصيبة بساحتهما، ثم كان يقول: إلهي ارزقني ولداً تقرُّ بهِ عيني على الكبر، فإذا رزقتنيه فافتني بحبه، ثم افجعني به كما تفجع محمداً حبيبك بولده، فرزقه الله يحيى وفجعه به[1].

حديث الإمام الرضا (ع) لابن شبيب في أول المحرم:

وكان دعاء زكريا بذلك في أول يوم من المحرم على ما ورد ذلك في الحديث الذي رواه

---

(١) هذا الحديث بطوله رواه الصدوق في إكمال الدين بسنده ص٤٢٥ - ص٤٣٥، كما رواه الطبري في دلائل الإمامة ص٢٧٤ - ص٢٨١، والطبرسي في الاحتجاج ج٢ ص٢٦٨ - ص٢٧٧، ونقله عن هذه المصادر المجلسي في البحار ج٥٢ ص٧٨ - ص٨٩، ونقل المجلسي في ج٤٤ ص٢٢٣ عن الطبرسي، ما يتعلق بدعاء زكريا، وتفسير (كهيعص).

شيخنا الصدوق في كتابيه عيون أخبار الرضا، والأمالي بسنده عن الريان بن شبيب أنه قال:

دخلت على الإمام الرضا (ع) في أول يوم من المحرم، فقال لي: يا بن شبيب أصائم أنت هذا اليوم فقلت: لا، فقال (ع): إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريا ربه عز وجل فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعاءِ﴾ آل عمران/ ٣٨. فاستجاب الله له دعاءه، وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلي في المحراب: إن الله يبشرك بيحيى، ثم قال (ع): فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريا (ع).

ثم قال (ع) يا بن شبيب إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها ولا حرمة نبيها، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبدا.

يا بن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، وفي نصٍ: مالهم على وجه الأرض شبيه، ولقد بكت السموات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم (يا لثارات الحسين).

يا بن شبيب لقد حدثني أبي عن أبيه، عن جده أنه لما قتل جدي الحسين أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر.

يا بن شبيب إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك، غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً.

يا بن شبيب إن سرك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك فزر الحسين (ع).

يا بن شبيب إن سرك أن تسكن الغرف المبنية في الجنة مع النبي (ص) فالعن قتلة

الحسين (ع).

يا بن شبيب إن سرك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين، فقل متى ذكرته: (يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً).

يا بن شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العُلا من الجنان، فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولى (أو أحب) حجراً لحشره الله معه يوم القيامة[1].

وقال (ع) في خبر آخر: إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستُحِلت فيه دماؤنا، وهُتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران في مضاربنا، وانتهب ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله (ص) حرمة في أمرنا، إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ولينذب النادبون، فإن البكاء عليه يحط الذنوب العظام.

ثم قال (ع): كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي منه عشرة أيام، فإذاكان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه جدي الحسين (ع)[2].

ومن هنا ترى الشيعة إذا دخل شهر المحرم ظهر عليهم الحزن والبكاء ونصبوا مآتم العزاء في أيام العشرة، لابسين السواد باكين معولين، وهذه الحالات وأمثالها كاشفة عن

---

(١) راجع الحديث في عيون أخبار الرضا للصدوق ج١ ص٢٩٩، والأمالي أيضاً ص٧٩ المجلس ٢٧، ونقله المجلسي في البحار ج٤٤ ص٢٨٥ عن المصدرين السابقين، ونقله عن الأمالي، والبحار العلامة السيد محمد تقي آل بحر العلوم في كتابه (مقتل الحسين) ص٦٥. والعلامة الشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري في (معالي السبطين) ج١ ص٩٢.

(٢) الأمالي للصدوق ص٧٨ ونقله عنه المجلسي في البحار ج٤٤ ص٢٨٣، ونقله عنهما العلامة السيد محمد تقي آل بحر العلوم في كتابه مقتل الحسين ص٦٤.

شدة المحبة للحسين وأهل البيت (ع)، ومن لم يكن كذلك فليس من المحبين، بل وإن المحب بمجرد دخول المحرم أو يسمع بهلال المحرم تجري دموعه وتهيج أحزانه كما قال الشاعر:

هـــل المحـــرم ليـــته لا كانـــا أجـــرى الدمـــوع وهـــيج الأحـــزانا

المجلس العاشر

صفات الشيعة، ومجالس أئمتهم الحسينية في شهر المحرم

حديث للإمام الباقر (ع) في تعريف الشيعة:

قال إمامنا الباقر (ع) لجابر بن يزيد الجعفي: يا جابر أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فوالله يا جابر ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة والبر بالوالدين، والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء..الخ[1].

شرح الحديث:

يقول (ع) يا جابر أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟

هذه شبهة كانت ولا تزال موجودة عند بعض منتحلي مذهب التشيع، وهي أنهم قد يكتفون بمجرد الادعاء لحب أهل البيت (ع)، وأن ذلك الحب أو ادعاءه يكفيهم في

---

(١) راجع الحديث بكامله في كتاب صفات الشيعة للصدوق، وقد نقل الكتاب كله الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والشيعة) ص١٦٠-١٨٩، والحديث ص١٦٨ كما رواه الصدوق أيضاً في كتابه (الأمالي) ص٣٧١.

تحصيل النجاة وبلوغ الغاية المتوخاة، مع أنهم -في سيرتهم غالباً- مخالفون لأهل البيت(ع) ولسيرتهم الحقة.

ومنشأ هذه الشبهة عندهم هو ما تواتر عن النبي الصادق الأمين (ص) وأهل بيته(ع). في ما رواه الخاصة والعامة من البشائر العديدة والكثيرة لشيعة أهل البيت (ع) ومحبيهم وانهم هم الناجون لا غير، والواقع أن تلك البشائر هي حقيقة ثابتة لشيعة أهل البيت ومحبيهم لا ينكرها إلا جاهل أو معاند[1]. ولكن من هم شيعتهم؟ ومن هم محبوهم الناجون؟.

نعم، إنّما هم أتباعهم المهتدون بهداهم، المقتدون بسيرتهم الحقة، لا كل من ادعى حبهم وهو مخالف لهم، ولما كانوا عليه من طاعة الله والإخلاص له في العبودية، لذلك يقول الإمام الباقر (ع) متسائلاً مستفهماً استفهاماً استنكارياً: أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ ثم يجيب هو (ع) عن هذا الاستفهام فيقول مقسماً بالله العظيم لتأكيد واقعية جوابه: فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، أي شيعتنا هم الذين يخافون الله ويتقون سخطه وعذابه بإطاعتهم له، وهذه هي حقيقة التقوى، وهي مأخوذة من الوقاية، أي يقي الإنسان نفسه من العقاب المترتب على ترك الأوامر، وارتكاب النواهي، ومن هنا سئل بعض أئمة الهدى عن التقوى ما هي؟ فقال لا يجدك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، ومن أسس التقوى التي لا تتحقق التقوى إلا بها هي موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله، التي أكد عليها القرآن المجيد والسنة النبوية

---

(١) راجع ما ورد من البشائر لشيعة أهل البيت ومحبيهم كتاب (علي والشيعة) للعسكري من أوله إلى ص١٣٣، وقد اقتصر على البشائر لهم وذكر فضائلهم الواردة من طرق أهل السنة فقط، وألحق به كتاب فضائل الشيعة، للصدوق ص١٣٦-١٥٩ وراجع البحار ج٦٨ باب فضائل الشيعة من أوله إلى ص٨٣ وباب أن الشيعة هم أهل دين الله من ص٨٣-٩٨، وباب الصفح عن الشيعة من ٩٨-١٤٩.

وأحاديث أهل البيت (ع).

ثم أخذ (ع) يذكر صفات الشيعة المخلصين في اتباعهم لأهل البيت (ع) فقال: وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع، أي أنهم دائماً وأبدا متواضعون غير متكبرين فيما بينهم يتواضع بعضهم لبعض، وإذا تكبروا فإنما يتكبرون على المتكبرين الكافرين حيث ورد: التكبر على المتكبر عبادة. أي إطاعة لله عز وجل التي فيها إعزاز المؤمنين قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ المائدة: ٥٤.

كما أنهم خاشعون لرب العالمين لمعرفتهم به جل وعلا خصوصاً في صلواتهم قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ**﴾ المؤمنون: ١-٣.

ويعرفون أيضاً بأداء الأمانة، والأمانة معناها شيء يودع عند الغير ليحتفظ به ثم يرده إلى من أودعه عنده، أو ليقضي به مآربه ثم يرجعه إليه، فهناك أناس يؤدون الأمانة إلى أهلها كما هي، وهناك أناس يخونونها، فشيعة أهل البيت يلتزمون بأداء الأمانة طاعة لله وتبعاً لأئمتهم (ع).

يروي الكليني بسنده كما في البحار عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى البر والفاجر[1].

وفي حديث آخر عنه (ع) أنه قال: أدوا الأمانة ولو إلى قاتل الحسين بن علي[2].

وقد تطلق الأمانة على الدين الذي شرعه الله عز وجل لعباده وبعث به رسله

---

(١) راجع البحار ج٧١ ص٢.

(٢) المصدر السابق ج٧٥ ص١٣ نقلاً عن الأمالي للصدوق ص١٤٨.

وأنبياءه، وعلى هذا يكون الدين أمانة الله عند عباده، ولكن العباد منهم من يحافظ على دينه ويؤديه كما شرعه الله وهؤلاء هم الناجون، وهم شيعة الله ورسوله وأهل بيته، ومنهم من يخون دينه بأنواع الخيانات وذلك إما أن يأخذ منه ما تهواه نفسه وما ينفعه في دنياه بزعمه فقط، وإلى أمثال هؤلاء يشير القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿**أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ البقرة: ٨٦.

وإما أن يخون دينه بارتكاب أنواع المعاصي والسيئات، وأنواع الظلم والجرائم وبترك الواجبات والفرائض بلا ندم ولا توبة، وإلى أمثال هؤلاء يشير قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَماناتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ الأنفال: ٢٨.

ومعلوم أن هذه الخيانات بكل أنواعها تعود أخيراً بالضرر على الخائنين أنفسهم وأنهم يخونون أنفسهم قبل أن يخونوا الله ورسوله، والى ذلك يشير القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿**وَلا تُجادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ خَوَّاناً أَثِيماً**﴾ النساء: ١٠٨. وقال تعالى: ﴿**عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتابَ عَلَيْكُمْ وَعَفا عَنْكُمْ**﴾ البقرة: ١٨٨، والى مجموع هذه الخيانات يشير قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يُرِيدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ الأنفال: ٧٢.

نعم أمكن الله منهم فأخزاهم وأذلهم في الدنيا واستحقوا العذاب الأليم في الآخرة.

فالذين يؤدون أمانة الدين ويقيمونه كما هو هم الأعزاء في الدارين، والذين يخونون دينهم ولا يؤدونه كما هو هم الأذلاء في الدارين.

ونشير بهذه المناسبة إلى ما ورد أن أحد العلماء كتب إلى السيد المرتضى يسأله -فيما

معناه- أن أحداً إذا اعتدى على أحدٍ وقطع يده فعليه الدية وقدرها خمسمائة دينار ذهباً، في حين لو سرق أحد أحداً ربع دينار يحكم عليه الشرع بقطع يده ويجب أن تقطع يده.

ووجه السؤال أن اليد هل قيمتها خمسمائة دينار، أو ربع دينار، ونظم له هذا المعنى شعراً فقال:

يد بخمس مئين عسجداً فديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار

فأجابه السيد المرتضى: اليد إذا كانت أمينة كانت ثمينة، وإذا خانت هانت، ونظم هذا المعنى شعراً فقال:

عِزُّ الأمانة أغلاها، وأرخصها ... ذل الخيانة، فافهم حكمة الباري

فالأمانة تطلق على أمانة الدين كما تطلق الأمانة بالخصوص على الولاية الإلهية التي جعلها الله في تشريعاته الحكيمة -بعد ولايته في هذه الأمة- لنبيه محمد (ص) وبعده لعلي أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين من أهل بيته، وشيعة أهل البيت يعترفون لهم بهذه الولاية دون غيرهم من المشركين والمنافقين الذين خانوا الأمانة الإلهية لظلمهم وجهلهم، والأمانة بمعنى الولاية الإلهية هي التي أشار إليها القرآن المجيد في قوله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾** (١).

ويعرفون أيضاً بكثرة ذكر الله، وذكر الله تعالى على قسمين، ذكر في اللسان كالأدعية والاستغفار وقراءة القرآن وما شابه ذلك من التسبيح والتحميد والتهليل لله، والقسم الثاني هو ذكره تعالى في ما أحل وحرم، أي يذكر الإنسان -أثناء سلوكه وتصرفاته- ربه فيما أباحه له وأمره به فيأتي به، وما حرمه عليه ونهاه عنه فيتركه والى

---

(١) راجع تفسير الآية، والتي بعدها في آخر سورة الأحزاب في كتاب (الميزان في تفسير القرآن) ج١٦ ص٣٧٠ - ص٣٧٦.

هذين القسمين تشير الآية الكريمة بقوله عز من قائل: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الأحزاب: ٤٢-٤٣. فقوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ يعني به ذكره فيما أحل وحرم، وقوله: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ عنى به الذكر باللسان بتسبيحه وتقديسه، والقسم الأول هو المقصود من قول الإمام الباقر (ع) وبكثرة ذكر الله، وهذا الذكر هو الدواء الناجح النافع للإنسان الذي يريد صلاح نفسه ورضا ربّه، وقد يكون إلى هذا القسم من الذكر يشير الشاعر بقوله:

وإذا سقمت من الذنوب فداوها ... بالذكر إنّ الذكر خير دواء

ومن أهم ما يبعث على ذكر الله فيما أحل وحرم هو الصوم والصلاة. وبهما أيضاً عرف الإمام الباقر (ع) الشيعة في حديثه، وحقاً إنهما يبعثان المؤمن على ذكر ربه وتقواه، قال تعالى: في الصوم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٣.

وقال تعالى في الصلاة: ﴿اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت: ٤٥.

واستمر الإمام الباقر (ع) بتعريفه الشيعة وصفاتهم التي كانوا عليها من البر بالوالدين اللذين هما السبب الظاهر في إيجادهم.

وهكذا يعرفون بالتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وقد ورد انه: ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جائع. ويعرفون أيضاً بصدق الحديث الذي هو زينته كما جاء عن النبي (ص) قوله: زينة الحديث الصدق[1].

ويعرفون بتلاوة القرآن. وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وقد ورد: المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، وأنهم كانوا أمناء عشائرهم في الأشياء أي أن

---

(١) راجع (البحار) ج٧١ ص٩ نقلاً عن الأمالي للصدوق ص٢٩٢.

عشائرهم يأتمنونهم على ودائعهم لمعرفتهم بأداء أماناتهم لهم.

وهذه الصفات كلها -في الحقيقة والواقع- قلَّ من اجتمعت فيه من شيعة أهل البيت (ع) ومن هنا قال جابر الجعفي الراوي عن الإمام الباقر (ع) حديثه هذا قال: قلت له: يا بن رسول الله ما نعرف أحداً بهذه الصفة؟ (الصفات) قال لي: يا جابر لا تذهبن بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أحب علياً (ع) وأتولاه؟ فلو قال: إني أحب رسول الله (ص) ورسول الله خير من علي، ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته، ما نفعه حبه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه اتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر ما يتقرب العبد إلى الله تبارك وتعالى إلا بطاعته، ما مَعَنا براءةٌ من النار، ولا على الله لأحد منكم حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوٌّ، ولا تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع.

نعم ولاية أهل البيت (ع) لا تنال إلا بالعمل الصالح والورع عن المحرّمات، ويؤيد ذلك ما ورد عن الإمام الرضا (ع) أنه قال: لا تدعوا العمل الصالح والاجتهاد في العبادة اتكالاً على حب آل محمد (ص) ولا تدعوا حب آل محمد والتسليم لأمرهم اتكالاً على العبادة فإنه لا يقبل أحدهما دون الآخر..الخ[1].

وإذا جمع العبد المؤمن بين حب آل محمد (ص) وبين العمل الصالح فهو الناجي، بل هو الذي تكون له الدرجات العالية والمقامات السامية عند الله ورسوله وأهل بيته، ويكون محبوباً عند أئمته فحينئذٍ يغتمون لغمه ويفرحون لفرحه. يقول إمامنا أبو الحسن الرضا (ع) في حديث له:

من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنهم منا، خلقوا من طينتنا، ومن أحبهم فهو منا، ومن أبغضهم فليس منا، شيعتنا ينظرون بنور الله،

---

(١) راجع (البحار) ح٧٨ ص٣٤٧ نقلاً عن نفقه الرضا (ع) وهو من حديث له طويل.

ويتقلبون في رحمة الله، ويفوزون بكرامة الله، ما من أحد من شيعتنا يمرض إلا مرضنا لمرضه، ولا اغتم إلا اغتممنا لغمه، ولا يفرح إلا فرحنا، ولا يغيب عنا أحد من شيعتنا أين كان في شرق الأرض وغربها، ومن ترك من شيعتنا ديناً فهو علينا، ومن ترك منهم مالا فهو لورثته، شيعتنا الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويحجون البيت الحرام، ويصومون شهر رمضان، ويوالون أهل البيت (ع)، ويتبرؤون من أعدائهم، أولئك أهل الإيمان والتقى، وأهل الورع والتقوى، من رد عليهم فقد رد على الله، ومن طعن عليهم فقد طعن على الله، لأنهم عباد الله حقاً. وأولياؤه صدقاً، والله إن أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر فيشفعه الله تعالى فيهم لكرامته على الله عز وجل[1].

وقال الإمام الصادق (ع) للفضل بن عبد الملك: يا فضل لا تزهدوا في فقراء شيعتنا فإن الفقير منهم ليشفع يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر..الخ[2].

وفي نصٍ عن رسول الله (ص) أنه قال: لا تستخفوا بفقراء شيعة علي بن أبي طالب وعترته من بعده (ع)، فإن الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر.

من أظهر صفات الشيعة موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه:

ومن أظهر صفات شيعة أهل البيت (ع) وأهمها التي توجب لهم النجاة، ويمتازون ويعرفون بها، هي موالاة أهل البيت الذين هم أولياء الله وأحباؤه. والبراءة من أعدائهم، والفرح لفرحهم، والحزن لحزنهم، قال إمامنا أمير المؤمنين (ع) في حديث له: إن الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا[3].

---

(١) (صفات الشيعة) للصدوق، على ما في كتاب علي والشيعة ص١٦٤، ونقله عن الصدوق المجلسي في البحار ج٦٨ ص١٦٧.

(٢) بشارة المصطفى ص٨٧.

(٣) الخصال للصدوق باب ٤٠٠ ص٦٣٥، ونقله المجلسي في البحار ج٤٤ ص٢٧٨.

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بنور ولايتنا، يصيبهم ما أصابنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا.

وقال (ع) في حديث آخر: رحم الله شيعتنا لقد شاركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة على مصاب الحسين[1].

حزن أهل البيت (ع) وشيعتهم في محرم:

نعم شيعة أهل البيت (ع) شاركوا أهل البيت في مصيبتهم بطول الحزن والحسرة على مصاب الحسين (ع) ومن هنا تراهم في أيام عشرة المحرم بالخصوص في غاية الحزن والبكاء حيث أن أئمتهم كانوا كذلك، إذا هل هلال المحرم تراكمت عليهم الهموم والغموم واجتمعت عليهم الأحزان والكروب كما في كثير من الكتب المعتبرة أن الإمام الصادق (ع) كان إذا هل هلال عاشوراء اشتد حزنه وعظم بكاؤه على مصاب جده الحسين (ع) وكان الناس يأتون إليه من كل جانب ومكان يعزونه بالحسين ويبكون وينوحون معه على مصابه.

وفي خبر آخر كان الصادق (ع) إذا هل هلال المحرم لا يرى ضاحكاً، وكذلك إمامنا موسى بن جعفر (ع) كما قال الرضا: كان أبي إذا هل المحرم لا يرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي منه عشرة أيام، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه جدي الحسين.

دخول دعبل على الإمام الرضا (ع):

وكانوا يعقدون مجالس العزاء، ويأمرون من يدخل عليهم من الشعراء بالرثاء والإنشاد، كما في قصة دعبل بن علي الخزاعي حين دخل على الإمام الرضا (ع) في أيام

---

[1] راجع معالي السبطين ص٩٥.

المحرم فرآه وقد عقد مجلس العزاء، وهو جالس جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله كذلك، قال دعبل: فلما رآني مقبلاً قال لي: مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه، ثم إنه وسع لي في مجلسه وأجلسني إلى جنبه، ثم قال لي: يا دعبل أحب أن تنشدني في الحسين شعراً، فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية، يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا، وبكى لما أصابنا من أعدائنا، حشره الله تعالى معنا في زمرتنا، يا دعبل من بكى على مصاب جدي الحسين (ع) غفر الله ذنوبه البتة، ثم إنه نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه، وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين (ع).

ثم التفت إلي وقال: يا دعبل ارثِ الحسين (ع)، فأنت ناصرنا ومادحنا فلا تقصر عن نصرنا ما استطعت ما دمت حياً، قال دعبل فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً ... وقد مات عطشاناً بشط فرات

إذاً للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات

أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرضٍ فلاة

قبور بجنب النهر في أرض كربلاء ... معرسهم فيها بشط فرات[1]

توفوا عطاشى بالعراء فليتني ... توفيت فيهم قبل حين وفاتي

قال دعبل: فجعل الرضا يبكي وتبكي النساء لبكائه، ولما وصلت إلى هذين البيتين وهما:

بنات زياد في القصور مصونة ... وآل رسول الله منتهكات

بنات زياد في الحصون منيعة ... وآل رسول الله في الفلوات

عند ذلك علت أصوات النساء بالبكاء والنحيب وصحن وامحمداه، هذا

---

(١) المعرس -بفتح الراء وتشديدها هو النزول في المكان.

والرضا(ع) يبكي حتى غشي عليه في إنشاد القصيدة مرتين[1].

دخول كوكبة من الشعراء على الإمام الصادق (ع):

وأما الإمام الصادق (ع) فقد كانت له مجالس عديدة لإقامة عزاء جده الحسين (ع) والبكاء عليه، وكلما دخل عليه أحد الشعراء يأمره بالرثاء والإنشاد ويبكي الإمام ويبكي من حوله ثم يخبر الراثي بفضل الرثاء لجده الحسين (ع) وفضل البكاء والتباكي عليه تشجيعاً لهم ليستمروا على ذلك.

وممن دخل عليه من الشعراء الكميت بن زيد الأسدي فالتفت إليه الإمام الصادق(ع) وقال:

يا كميت أنشدني في جدي الحسين فأنشده أبياتاً فبكى الإمام بكاءً شديداً، وبكت النسوة وصحن في حجراتهن، وبينما الإمام ومن معه في البكاء والنحيب، إذ خرجت جارية من خلف الستر من الباب الذي كان مقابل حجرات الحرم وفي يدها طفل صغير رضيع فوضعته في حجر الإمام فاشتد حينئذ بكاؤه غاية الاشتداد وعلا صوته الشريف، وعلت أصوات النساء الطاهرات من خلف الستر[2].

ومعلوم أنه ما كان قصد النساء في إنفاذ ذلك الطفل إلا تشبيهاً بعبد الله الرضيع لتشتد بذلك الرقة في البكاء.

وممن دخل عليه من الشعراء أبو هارون المكفوف، فأمره بالإنشاد، قال: فاشتكى له، فقال (ع): أنشدني كما تنشدون في الرقة، وكما ترثيه، عند قبره، يعني بالطريقة التي تستعملونها عند الإنشاد والتي فيها الرقة والتي توجب التأثير في القلب، لا مجرد

---

(١) راجع قصة دعبل في معالي السبطين ص٩٧، وفي مقتل الحسين للسيد محمد تقي آل بحر العلوم ص٧٤، وغيرهما من المصادر العديدة، ومنها المنتخب للطريحي ص٢٦.

(٢) راجع (معالي السبطين) ص٩٦ نقلاً عن كتاب أسرار الشهادة.

التلاوة قال: فعند ذلك أنشدته:

أمـرر عـلى جـدث الحسـين وقـل لا عظمـه الزكـية
يـا أعظمـاً لا زلـت مـن وطفـاء سـاكبة رويـة
مـا لـذّ عـيش بعـد رضـك بالجـياد الأعوجـية
قـبر تضـمن طيـباً آبـاؤه خـير الـبرية
فـإذا مـررت بقـبره فـاطل بـه وقـف المطـية
وابـك المطهـر والمطهـرة الزكـية
كـبكاء معولـة أتـت يومـاً لواحدهـا المنـية

قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال سر، فمررت، قال: ثم قال: زدني، قال: فأنشدته:

يـا مـريم قومـي اندبـي مـولاك وعـلى الحسـين فأسـعدي بـبكاكِ

فبكى الإمام وتهايج النساء فلما سكتن قال (ع): يا هارون من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد، فقال: من أنشد في الحسين وأبكى واحداً فله الجنة، ثم قال: من ذكره فبكى فله الجنة[1].

وممن دخل عليه من الشعراء أبو عمارة المنشد على ما روي عنه أنه قال: قال لي: يا أبا عمارة أنشدني في الحسين بن علي، قال: فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت انشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار. قال: فقال: يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد

---

(١) راجع دخول ابي هارون على الإمام (ع) كتاب الزيارات لابن قولويه ص١٠٠ وص١٠٤ وثواب الأعمال للصدوق ص٨٣ وممن دخل عليه من الشعراء، وأمره بالإنشاد جعفر بن عفان وقد ذكرنا حديثه في المجلس الأول فراجع.

في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة[1].

والحاصل أن أهل البيت (ع) ما زالوا عاقدين لمجالس العزاء على جدهم الحسين(ع) صارخين معولين خصوصاً في أيام عشرة المحرم، وكذلك شيعتهم، كما ترى المجالس قائمة ليلاً ونهاراً في كل بلد يبكون وينوحون على الحسين من أول يوم من المحرم، والسر في ذلك ما يروى عن الإمام الصادق (ع) أنه قال لمن سأله وقال: إن الميت يجلسون له بالنياحة بعد موته أو قتله، وأراكم أنتم وشيعتكم تجلسون من أول شهر المحرم بالمآتم والعزاء؟ فقال (ع) يا هذا إذا هل هلال المحرم نشرت الملائكة ثوب الحسين(ع) وهو مخرق من ضرب السيوف وطعن الرماح، وملطخ بالدماء، فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا بالبصر فتنفجر لذلك دموعنا.

ومن هنا ترى عيون الشيعة متهيئة للبكاء، والقلوب محزونة، وأي قلب لا يحزن أم أي عين لا تجري دمعتها وقد هل هلال الحزن ونشرت الملائكة ثوب الحسين ؟

هذا المحرم قد أهل هلاله شهر به وتر الحسين وآله

---

(١) راجع أمالي الصدوق مجلس ٢٩ ص٨٦، وثواب الأعمال ص٨٤ ونقله عن المصدرين المجلسي في البحار ج٤٤ ص٢٨٢ وعن كامل الزيارات ص١٠٥ أيضاً.

الفصل الثاني

وفيه خمسة مجالس

امتناع الحسين (ع) عن بيعة يزيد، وما يتعلق بخروجه من المدينة المنورة

المجلس الحادي عشر

هلاك معاوية، ووصيته ليزيد، ورفض الحسين (ع) بيعته وآية الشجرة الملعونة ومفادها

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**وَإِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً**﴾ الإسراء: ٦٠.

الخطاب في هذه الآية الكريمة موجه إلى النبي (ص) والمراد من الرؤيا في الآية رؤيا رآها النبي (ص) في نومه، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي إلهي.

والمراد من الشجرة الملعونة في القرآن الكريم قوم طغاة ملعونون سيظهرون على الناس ويستولون عليهم بالقهر والقوة، ويشيعون فيهم الفساد والظلم.

أما ما هي تلك الرؤيا التي رآها رسول الله (ص) ومن هم الشجرة الملعونة في القرآن بصورة قطعية؟ فهذا ما أبانه النبي (ص) لأهل بيته وأصحابه وأمته، حيث

جاءت الروايات مستفيضة عنه (ص) في تفاسير الشيعة والسنة كالطبري والفخر الرازي وابن كثير الدمشقي وجلال الدين السيوطي، والطبرسي وعشرات غيرهم[1]، عن عدة من الصحابة والتابعين ومن مضامين رواياتهم هي أن رسول الله (ص) رأى في منامه بني أمية وهم ينزون على منبره نزو القردة فساءه ذلك. وأنه (ص) ما استجمع ضاحكاً طيلة حياته حتى قبض، وأخبر: أنهم سيتملكون الناس فيجدونهم أرباب سوء، وأنهم هم الشجرة الملعونة، وأنه (ص) حينما أصبح مهموماً حزيناً قيل له: مالك يا رسول الله ؟ فقال: أني رأيت في المنام كان بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل له: يا رسول الله لا تهتم فإنها دنيا تنالهم، وأنزل الله عليه الآية الكريمة تسلية له من أن الذي رآه من الأمر في نومه إنما هو امتحان يمتحن الله به عباده من هذه الأمة، كما امتحن بمثل ذلك الأمم الماضية، لذلك قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحاطَ بِالنَّاسِ وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ**﴾ أي جعلنا تلك الرؤيا ووجود تلك الشجرة فتنة أي اختباراً وامتحاناً للناس ﴿**وَنُخَوِّفُهُمْ فَما يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْياناً كَبِيراً**﴾ [2].

فبنو أمية هم الشجرة الملعونة في القرآن، وحيث أن النبي (ص) قد جعل القرآن نصب عينيه متعبداً بأوامره وزواجره، مطبوعاً على حكمه وحكمته، يتبع أثره ويقفو سوره، ولإلقاء الحجة على أمته وعلى الناس جميعاً بتعريفه المحق من المبطل لذلك أعلن (ص) في أحاديثه المتواترة لعن جماعة من هؤلاء المتغلبين الطغاة أفراداً وجماعات

---

(١) راجع تفسير ابن جرير الطبري ج١ ص٧٧، وتاريخه ج١١ ص٣٥٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي ج٣ ص٤٩، وتفسير مفاتيح الغيب للرازي ج٥ ص٤٠٩، وتفسير الدر المنثور للسيوطي ج٤ ص١٩١، وتفسير مجمع البيان م٣ ص٤٢٤.

(٢) لنا تحقيق مفصل ومطول حول الآية الكريمة، وحول الأحاديث الواردة في نزولها، وأحاديث أخرى تتعلق بموضوع الاختبار والامتحان في كتابنا الحقائق الكونية ص٦٧-ص١٠٨ ط دار الأضواء فراجع.

الذين سماهم الله بالشجرة الملعونة في القرآن من المنافقين والفراعنة من بني أمية، حيث سجل عليهم رسول الله بلعنه إياهم خزياً مؤبداً، ليعلم الناس أنهم ليسوا من الله ورسوله في شيء فيأمن بذلك على الدين من نفاقهم، وعلى الأمة من عبثهم ومكرهم وخداعهم.

معاوية ودنو أجله:

وممن سجل عليهم رسول الله (ص) لعنته من بني أمية هو معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية، وهو من أعظم بني أمية نصباً وأشدهم عداوة لأهل البيت.

وهو ثاني خلفاء بني أمية، لأن أول من تخلف منهم عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وكانت مدة خلافته اثني عشر سنة إلا أياماً، وقتل بالمدينة يوم الدار سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وله من العمر يومئذٍ اثنان وثمانون سنة وقيل: ثمان وثمانون.

وأما معاوية فقد كانت مدة خلافته تسعة عشر سنة وأربعة أشهر إلا أياماً، ومات في النصف من رجب سنة ستين من الهجرة، وعمره يومئذ ثمانون سنة وقيل أكثر.

ولما تصرمت أيامه وردت عليه كتب من أهل المدينة فوجد فيها رقعة مكتوب عليها:

إذا الرجال ولدت أولادها ... واضطربت من كبر أعضادها

وجعلت أسقامها تعتادها ... فهي زروع قد دنا حصادها

فقال: إن هذه الرقعة تهددني بالموت وتنعى الي نفسي، فما مضت إلا أيام قلائل حتى ابتدأ به المرض والوجع[1]. فلما اشتد عليه مرضه ويئس من برئه ندم على ما فرط

---

(١) راجع معالي السبطين ص١٢٣، للمازندراني نقلاً عن ناسخ التواريخ.

وأنشأ يقول:

فـيا ليـتني لم أعـن في الملـك سـاعة ولم أك في اللـذات أعشـى الـنواظر

وكنـت كـذي طمـرين عـاش بـبلغةٍ مـن الدهـر حـتى زار أهـل المقابـر

وكـان يـبكي في مرضـه فقـال له مروان بن الحكم أتجزع من المرض؟ فقال: لا أبكي وأجزع على نفسي مما ارتكبته وهو قتل حجر بن عدي وأصحابه، وغصب علي حقه ومحاربتي معه، وتوليتي يزيد على أمة محمد (ص)[1].

ولما ثقل حاله وبلغ الناس ذلك، أقبلوا إليه يعودونه فلما علم بهم، قال: أئتوني بأثوابي فأتوه بها، فقام ولبس ثيابه وتزين واكتحل وغسل وجههُ وتطيب، ثم أذن للناس فدخلوا عليه وكان فيهم عبد الله بن عباس، أو رجل آخر من بني هاشم، فلما جلسوا عنده أنشأ معاوية يقول (بعد أن سألوه عن حاله):

بـتجلدي للشـامتين أريهـم أنـي لريـب الدهـر لا أتضعضـع

فأنشأ العلوي يقول:

وإذا المنـية انشـبت أظفارهـا ألفيـت كـل تمـيمة لا تـنفع[2]

عهد معاوية لابنه يزيد بالخلافة، ووصيته له:

وكان معاوية قد أخذ البيعة من الناس لابنه يزيد بالقهر والغلبة، والخداع والمكر، حتى أنه عند أخذه للبيعة لابنه في بعض المواقف- أوقف خطيباً من عملائه، ومما جاء في خطابه قوله:

أمير المؤمنين هذا وأشار لمعاوية، وولي عهده هذا وأشار ليزيد، ومن أبى فهذا وأشار للسيف[3].

ولذلك لما حضرت الوفاة معاوية وأوصى بوصاياه أبان كيف قد مهد له أمر الخلافة من

---

(١) المصدر السابق نقلاً عن كامل التواريخ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع كتاب (مع الحسين في نهضته) للشيخ أسد حيدر ص٥٠ نقلاً عن بعض المصادر.

بعده وإليك ما رواه شيخنا الصدوق في الأمالي مسنداً عن الإمام زين العابدين (ع) قال:

لما حضرت معاوية الوفاة دعا ابنه يزيد فأجلسه بين يديه وقال له: يا بني إني قد ذللت لك الرقاب الصعاب، ووطدت لك البلاد، وجعلت الملك وما فيه لك طعمة، وإني أخشى عليك من ثلاثة نفر يخالفون عليك بجهدهم، وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، فأما عبد الله بن عمر فهو معك فالزمه ولا تدعه، وأما عبد الله بن الزبير فقطعه أن ظفرت إرباً إرباً فإنه يجثو لك كما يجثو الأسد لفريسته ويواربك مواربة الثعلب للكلب[1].

وأما الحسين فقد عرفت حظه من رسول الله، وهو من لحم رسول الله ودمه، وقد علمت لا محالة أن أهل العراق سيخرجونه إليهم، ثم يخذلونه ويضيعونه[2] فإن ظفرت به فاعرف حقه ومنزلته من رسول الله، لا تؤاخذه بفعله، ومع ذلك فإن لنا به خلطة ورحما، وإياك أن تناله بسوء أو يرى منك مكروهاً[3].

إباء الحسين البيعة ليزيد

فلما هلك معاوية وذلك في النصف من شهر رجب سنة ستين من الهجرة، يقول السيد ابن طاووس: كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان -وكان والياً على

---

(١) المراد مؤاربة الثعلب روغانه وعسلانه مكراً وخديعة، والمعنى: إن ابن الزبير يخادعك ويمكر بك، وأخيراً لا يبايعك فالأولى لك إن ظفرت به أن تقتله وتستريح منه.

(٢) علم معاوية بإخراج أهل العراق للحسين اليهم، وخذلانهم له من إخبارات جده رسول الله (ص) الشهيرة والمتواترة بقتل حبيبه الحسين بأرض كربلاء، وان هذا الأمر لابد وأن يقع ولذلك حاول معاوية -في هذا المقام- أن يتظاهر بمعرفته بحق الحسين (ع) ومنزلته من رسول الله (ص) وأنه أمر أن لا يؤاخذه بفعله حتى لا يتهم -أخيراً- بجريمة قتله أو التحريض عليه، وهذا نوع من أنواع مكره وخداعه، ولو كان معاوية يراعي حق الحسين ومنزلته لراعى حق شقيقه الحسن (ع) من قبله، ولما سلط ابنه يزيد على الأمة الإسلامية عامة وعلى الحسين خاصة.

(٣) راجع أمالي الصدوق مجلس (٣٠) ص٩١-٩٢. ونقله عنه المجلسي في البحار ج٤٤ ص٣١٠ -٣١٢.

المدينة- يأمره بأخذ البيعة على أهلها، وخاصة على الحسين ولا يرخص له في التأخير، ويقول له: إن أبى عليك فاضرب عنقه وابعث إلي برأسه[1].

فأحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره في أمر الحسين، فقال: إن الحسين لا يقبل، ولو كنت مكانك لضربت عنقه، فقال الوليد: ليتني لم أك شيئاً مذكوراً.

ثم أنفذ الوليد إلى الحسين في الليل فاستدعاه، فعرف الحسين ما أراد، فدعا بجماعة من أهل بيته ومواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت ولست آمن من أن يكلفني أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون علي، فكونوا معي، فإذا دخلت عليه فاجلسوا على الباب فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عني.

ثم صار الحسين إلى الوليد بن عتبة فوجد عنده مروان بن الحكم، فنعى إليه الوليد معاوية، فاسترجع الحسين (ع)، ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة له، فقال الحسين (ع): إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سراً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلكم الناس، فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين: فتصبح وترى رأيك في ذلك، فقال له الوليد: انصرف على اسم الله تعالى حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان: والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب الحسين (ع) عند ذلك وقال: أنت يا بن الزرقاء تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت.[2]

ثم أقبل الحسين على الوليد وقال: إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة بنا فتح الله، وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، والفجور ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون،

---

(١) راجع البحار ج٤٤ ص٣٢٤ نقلاً عن اللهوف ص١٧.

(٢) البحار ج٤٤ ص٣٢٤ نقلا عن إرشاد المفيد ١٨٢.

وننظر وتنظرون. أينا أحق بالبيعة والخلافة[1].

وقال ابن شهر آشوب: فقام مروان وجرد سيفه وقال: مر سيافك أن يضرب عنقه قبل أن يخرج من الدار ودمه في عنقي، وارتفعت الصيحة، وارتفع صوت الحسين، فهجم تسعة عشر رجل من أهل بيته وقد انتضوا خناجرهم فخرج الحسين معهم[2].

ولما خرج الحسين من عند الوليد قال مروان له: عصيتني لا والله لا يمكنك مثلها من نفسه أبداً، فقال الوليد: ويح غيرك يا مروان إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني ودنياي، والله ما أحب أن لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدنيا وملكها، وإني قتلت حسيناً، سبحان الله أقتل حسيناً ان قال لا أبايع، والله إني لأظن أن امرئً يحاسب بدم الحسين خفيف الميزان عند الله يوم القيامة.

فقال مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا وهو غير الحامد له على رأيه[3].

قال السيد ابن طاووس: فلما أصبح الحسين (ع) خرج من منزله يستمع الأخبار فلقيه مروان بن الحكم فقال له: يا أبا عبد الله إني لك ناصح، فأطعني ترشد، فقال الحسين (ع): وما ذاك؟ قل حتى اسمع، فقال مروان: إني آمرك ببيعة يزيد أمير المؤمنين، فإنه خير لك في دينك ودنياك، فقال الحسين (ع): إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله (ص) يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان، وطال الحديث بينه وبين مروان حتى انصرف مروان وهو غضبان[4].

نعم امتلأ قلبه غيظاً وحقداً على الحسين (ع) وبقي ذلك الغيظ كامناً في قلبه حتى

---

(١) راجع البحار ج٤٤ ص٣٢٥ نقلاً عن اللهوف ص١٨.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ج٤ ص٨٨.

(٣) البحار ج٤٤ ص٣٢٥ نقلاً عن المفيد.

(٤) راجع ما جرى بين الحسين (ع) والوليد، وبينه وبين مروان في كتاب (مقتل الحسين) لأخطب خوارزم ص١٨٠-١٨٥، وغيره من كتب المقاتل والتاريخ من الخاصة والعامة.

قتل الحسين (ع) وجيء برأسه إلى الشام مع الأسارى من آل رسول الله (ص)، هذا وقد خرج أهل الشام رجالاً ونساءً عبيداً أحراراً ويتفرجون على حرائر بيت النبوة، وكان من جملة من خرج مروان بن الحكم، وأخوه عبد الرحمن، فلما نظر مروان إلى رأس الحسين جعل يضحك ويهتز فرحاً وسروراً فالتفت أخوه عبد الرحمن وقال له:

أتضحك والمحمول رأس ابن أحمد ... وتهتز بشراً والسبايا نجائبه

المجلس الثاني عشر

وداع الحسين (ع) لقبر جده وأمه وأخيه وشهادة الرسول (ص) على الناس:

التحريض على طاعة الرسول (ص) والتحذير من مخالفته في آيتين:

قال عز وجل في محكم كتابه المجيد: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَيْكُمْ كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً فَعَصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْناهُ أَخْذاً وَبِيلاً**﴾ المزمل: ١٥-١٦.

الخطاب في هاتين الآيتين الكريمتين من سورة المزمل موجه إلى الأمة الاسلامية، وإلى جميع الناس الموجودين عند بعثة نبينا محمد (ص) من مؤمنين وكافرين، والى يوم القيامة، ينذرهم الله سبحانه بما انتهى إليه أمر فرعون من أخذ الله له أخذاً وبيلاً، أي شديداً ثقيلاً فعلى الناس في هذه الأمة أن يتعظوا، وليأخذوا حذرهم في عدم عصيان رسوله محمد (ص) وإلا فسوف يؤخذون إلى عذاب شديد ثقيل أيضاً عند حضور آجالهم كما أخذ فرعون وآل فرعون، فقوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنا إِلَيْكُمْ رَسُولاً**﴾ فيه بيان للناس بتصديق الله تبارك وتعالى لرسالة نبيه محمد (ص) أي نحن الذين أرسلناه إليكم من قبلنا لا أنه ادعى الرسالة من نفسه لنفسه.

وقوله تعالى: ﴿**شاهِداً عَلَيْكُمْ**﴾ أي أن هذا الرسول سيكون شاهداً عليكم وعلى أعمالكم خيرها وشرها بتحملها في الدنيا، وسيؤدي تلك الشهادة عليكم يوم القيامة.

وقوله: ﴿**كَما أَرْسَلْنا إِلى فِرْعَوْنَ رَسُولاً**﴾ ويعني بالرسول هنا موسى بن

عمران، ولكنه لم يذكر اسمه، وفي عدم ذكر اسمه إشارة إلى أن السبب الموجب لأخذ فرعون أخذاً وبيلا هو مخالفة فرعون أمر رسالة موسى بن عمران، لا نفس موسى بما أنه موسى، فعليكم إذاً الحذر من مخالفة رسالة رسولنا محمد (ص) وإلا فسوف تؤخذون إلى أشد العذاب كما أخذ فرعون وجنوده.

وقوله تعالى: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ أي أن فرعون هذا الذي كان ما كان له من العز الظاهري والعلو في الأرض، والتبجح بكثرة العدد والعدو وسعة المملكة وطولها، ونفوذ الإرادة حتى ادعى الربوبية تكبراً على الله وطغياناً ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ النازعات: ٢٤. فلم يغن عنه من ذلك شيئاً، ولم يدفع عنه عذاب الله الشديد ما أوتي من ملك ونفوذ كبيرين، بل أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾ النازعات: ٢٥. فكيف بالمكذبين والعاصين منكم وأنتم أضعف من ذلك الطاغية، كما أن رسولنا الذي أرسلناه إليكم أشرف وأعظم من موسى، وشريعته أتم وأكمل.

هذا مفاد الآيتين الكريمتين، وهدفهما معاً التحريض على طاعة الرسول (ص) من جهة، والإنذار والتحذير من مخالفته وعصيانه فيما يأمر به ويدعو إليه من جهة ثانية، والإنذار موجه أولاً وبالذات إلى طغاة هذه الأمة وإلى السائرين في ركابهم من سائر الناس ثانياً.

شهادة الرسول (ص) على الناس يوم القيامة:

وهدف الآية الأولى من الآيتين بالخصوص هو بيان أن النبي محمداً (ص) سيكون شاهداً عليكم يوم القيامة، أي يشهد على أمته في ذلك اليوم كما يشهد أيضاً على الناس أجمعين من يهود ونصارى، ومشركين وملحدين، ومؤمنين مطيعين أو عاصين، فيما يعتقدون ويعلمون من إيمان أو كفر، وطاعة أو معصية، يشهد لهم أو عليهم يوم القيامة، حتى يجازى كل بما اعتقد وعمل طبق اعتقاده وعمله، وطبق شهادة

الرسول(ص) له أو عليه.

ومما يلزم إلفات النظر إليه هو أن شهادة الرسول على الناس جميعاً لم تكن منحصرة على أهل زمانه فقط، بل يكون شهيداً على الناس أجمعين في كل الأجيال والأدوار منذ بعث (ص) والى يوم القيامة، والشاهد -قطعاً- يجب أن يكون عالماً بما يشهد به وإلا لا تصح شهادته.

عرض الأعمال علىّ الرسول (ص) والأئمة من بعده:

فإن قيل من أين يحصل للرسول (ص) هذا العلم الواسع الغزير، والإحاطة الكاملة التامة بأعمال الناس جميعاً في حياته وبعد وفاته، وإلى يوم القيامة حتى يشهد بها عليهم؟

فالجواب على ذلك هو:

إن الله الذي هو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، هو الذي يطلعه على أعمال عباده خيرها وشرها ويريها له، وكذلك للأئمة الطاهرين من بعده، يريها لهم بصور خاصة وطرق عديدة، ومنها إطلاعهم جميعاً وإراءتهم لأعمال العباد بواسطة صحائف أعمالهم.

فصحائف الأعمال لكافة العباد تعرض على رسول الله ، وعلى الأئمة الطاهرين من بعده واحداً واحداً، فيرون تلك الأعمال بكاملها ثابتة في تلك الصحائف.

وهذا ما أشار إليه القرآن المجيد بقوله تعالى مخاطباً رسوله الأعظم (ص): ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ التوبة: ١٠٦.

والمراد من رسوله في الآية الكريمة -وبالإجماع- هو نبينا محمد (ص) تعرض عليه أعمال العباد جميعاً في حياته، وبعد وفاته إلى يوم القيامة وهذا لا ريب فيه.

والمراد من المؤمنين في الآية هم الأئمة المعصومون (ع) من بعده أيضاً تعرض عليهم

أعمال العباد، ولذلك يشهدون جميعاً على الناس يوم القيامة بما عملوا وشاهدوا من أعمالهم[1].

هذا ما يستفاد من الآية الكريمة، ويؤيده أيضاً النصوص الكثيرة والصريحة الواردة عن النبي (ص) وأهل بيته في أن أعمال العباد بصحائفها تعرض على رسول الله (ص) والأئمة في أوقات عديدة، ففي بعضها تعرض عليهم كل يوم صباحاً، وفي بعضها تعرض عليهم جميعاً عند انتهاء أجل الإنسان[2].

والذي يستفاد من مجموعها أنها تعرض عليهم في كل هذه الأوقات، ليكونوا دائماً على علم بأعمال الناس. فعلى المؤمنين إذن أن يجتهدوا في الأعمال الصالحة والحسنة، ويجهدوا أنفسهم في ترك الأعمال الطالحة والسيئة، لأن رسول الله (ص) والأئمة إذا رأوا صحائف أعمالنا وفيها الحسنات والأعمال الصالحة والكلام الطيب، فإنهم يسترون بذلك، أما إذا رأوها بالعكس فيها أنواع السيئات والمعاصي والكلام الفاحش البذيء فإنهم يستاؤون بذلك.

ومن هنا ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال لجماعة من أصحابه: ما لكم تسوءون رسول الله (ص) فقال له رجل منهم: جعلت فداك فكيف نسوءه؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوءوا رسول الله وسروه[3].

هذا وقد نشر أهل البيت (ع) شهادة الرسول على الخلق، وشهادتهم عليهم في

---

(١) لنا بحوث ودراسات مفصلة ومطولة بالأدلة القطعية حول شهادة الرسول (ص) والأئمة من بعده، مع ذكر ينابيع علومهم وطرقها: في كتابنا (التحقيق في الأمانة وشؤونها) تحت عنوان.. الطريق الثاني من ينابيع علم الأئمة عرض صحائف الأعمال عليهم ص١٤٢-١٨٢ .

(٢) راجع البحار ج٢٣ باب عرض الأعمال ص٣٣٣-٣٥٣.

(٣) راجع (الكافي) بشرح المظفري ج٣ ص١٥٨، و (البحار) ج٢٣ ص٣٤٩ نقلاً عن (بصائر الدرجات) و(تفسير الصافي) نقلاً عن الكليني.

كثير من أحاديثهم وأدعيتهم وفي الزيارات الواردة عنهم حتى لا يغفل المؤمنون عن هذه الحقيقة، ففي بعض زيارات رسول الله (ص) وأمير المؤمنين الواردة عن الإمام الصادق(ع) وهي المعروفة بزيارة الدورة منها يقول: السلام من الله على محمد رسول الله أمين الله على وحيه (إلى أن يقول): والشاهد على الخلق السراج المنير..الخ وفيها أيضاً:

اللهم صل على الأئمة من ولده القوامين بأمرك من بعده المطهرين، الذين ارتضيتهم أنصاراً لدينك، وحفظة لسرك، وشهداء على خلقك..الخ، ومثل ذلك كثير وكثير في الأدعية والزيارات.

ومن هنا ورد أن الحسين (ع) لما رفض البيعة ليزيد بن معاوية، وعزم على الخروج من المدينة، زار جده رسول الله في قبره الشريف، وودعه وشكا إليه ما ارتكبه ويرتكبه المنحرفون الظالمون من أمته، وأشهده على أفعالهم الجائرة معه، وذلك على ما رواه أرباب السير والمقاتل من الخاصة والعامة بقولهم:

المراسلة بين يزيد ووالية وأمره بقتل الحسين:

لما امتنع الحسين من البيعة ليزيد بن معاوية، كتب الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة كتاباً إلى يزيد يقول فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم) إلى عبد الله يزيد أمير المؤمنين من الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، أما بعد فإن الحسين بن علي لا يرى لك خلافه ولا بيعة فرأيك في أمره والسلام.

فلما ورد الكتاب على يزيد كتب الجواب إلى الوليد:

أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فعجل علي بجوابه وبين لي فيه كل من دخل في طاعتي أو خرج عنها، وليكن مع الجواب رأس الحسين بن علي..الخ[1].

فلما وصل الكتاب إلى الوليد جعل يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

---

(١) الآمالي للصدوق ص١٩٢ المجلس ٣ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٤ ص٣١٢ إلا أنها ذكرا أن الوالي هو عتبة بن أبي سفيان، والذي في غيرهما هو الوليد.

لا والله لا يراني الله أقتل الحسين بن بنت رسول الله ولو جعل لي يزيد الدنيا بما فيها.

تحرز الوليد من قتل الحسين (ع):

وكان الوليد يتحرز من قتل الحسين غاية التحرز، لا خوفاً من الله ولكن لمعرفته بسوء عاقبة قاتله، ولذا لما بلغه خروج الحسين من المدينة قال: الحمد لله الذي أخرجه ولم يبتلني بدمه، هذا ما كان من أمر الوليد[1].

وأما الحسين (ع) فإنه لما علم بذلك عزم على الخروج من المدينة، فخرج ذات ليلة وأقبل إلى قبر جده رسول الله (ص) ليودعه فسطع له من القبر نور[2].

الحسين (ع) يزور جده، ويشكو إليه أمته:

فوقف باكياً قائلاً: السلام عليك يا جدّاه، السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا محمد، أنا الحسين بن فاطمة فرخك وابن فرختك، وسبطك الذي خلفتني في أمتك، فاشهد عليهم يا نبي الله انهم قد خذلوني وضيعوني ولم يحفظوني، وهذه شكواي إليك حتى ألقاك صلى الله عليك.

وفي بعض المقاتل وقف باكياً وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إني خارج من جوارك كرهاً، وفرقوا بيني وبينك حيث إني لم أبايع ليزيد شارب الخمر وراكب الفجور وفاعل الشرور، فإن فعلت كفرت، وان أبيت قتلت، وهاأنا خارج من جوارك على كره مني فعليك السلام يا سيدي.

ثم قام فصف قدميه ولم يزل قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً حتى الصباح، ثم رجع إلى منزله، فلما كانت الليلة الثانية خرج إلى القبر أيضاً فصلى ركعات فلما فرغ من

---

(١) راجع معالي السبطين ج١ ص٢٦نقلاً عن بعض المصادر و(مقتل الحسين) للخوارزمي ج١ص١٨٥.

(٢) الأمالي للصدوق ص٩٢ في حديث عن الإمام زين العابدين (ع) ونقله عنه المجلسي في البحار ج ٤٤ ص٣١٢.

صلاته جعل يقول مناجياً ربه:

اللهم هذا قبر نبيك محمد (ص) وأنا ابن بنت نبيك، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت.

اللهم إني أحب المعروف وأنكر المنكر، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحق القبر ومن فيه إلا اخترت لي ما هو لك رضا ولرسولك رضا.

رؤيا الحسين (ع) لجده، في كتيبة من الملائكة:

ثم جعل يبكي عند القبر حتى إذا كان قريباً من الصبح وضع رأسه على القبر فأغفى، وإذا هو برسول الله (ص) قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين يديه حتى ضم الحسين إلى صدره وقبل ما بين عينيه وقال: حبيبي يا حسين كأني أراك عن قريب مرملاً بدمائك مذبوحاً بأرض كربلاء بين عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى وظمآن لا تروى، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، حبيبي يا حسين إن أباك وأمك وأخاك قدموا علي وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنة لدرجات لا تنالها إلا بالشهادة، فجعل الحسين في منامه ينظر إلى جده ويقول: يا جداه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، خذني إليك وأدخلني في قبرك، يقول الشاعر الدمستاني:

ضمني عندك يا جداه في هذا الضريح ... علني يا جد من بلوى زماني أستريح
ضاق بي يا جد من رحب الفضا كل فسيح ... فعسى طود الأسى يندك بين الدكتين
جد صفو العيش من بعدك بالأكدار شيب ... وأشاب الهم رأسي قبل إبان المشيب
فعلا من داخل القبر بكاء ونحيب ... ونداء بافتجاع يا حبيبي يا حسين
أنت يا ريحانة القلب حقيق بالبلا ... إنما الدنيا أعدت لبلاء النبلا
لكن الماضي قليل بالذي قد أقبلا ... فاتخذ درعين من حزم وعزم سابغين
ستذوق الموت ظلماً ظامياً في كربلا ... وستبقى في ثراها ثاوياً منجدلا...

في هجير الشمس ملقى والنسا بين الملا صارخات معولات نادبات يا حسين

فقال له رسول الله (ص) لابد لك من الرجوع إلى الدنيا حتى ترزق الشهادة، وما قد كتب الله لك فيها من الثواب العظيم، فإنك وأباك، وأخاك، وعمك، وعم أبيك، تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتى تدخلوا الجنة، فانتبه الحسين من نومه فزعاً مرعوباً، ورجع إلى منزله وجمع أهل بيته وقص عليهم رؤياه، فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق ولا مغرب أشد غماً من أهل بيت رسول الله (ص)، ولا أكثر باكٍ ولا باكية منهم[1].

لا أضحك الله سنّ الدهر أن ضحكت وآل أحمد مظلومون قد قهروا

مشردون نفوا عن عقر دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يغتفر

ثم أن الحسين (ع) تهيأ للخروج من المدينة فمضى في جوف الليل إلى قبر أمه فودعها، ثم مضى إلى قبر أخيه الحسن فودعه.

وفي معالي السبطين ص١٣١ نقلاً عن كتاب مهيج الأحزان، لما مضى الحسين إلى قبر أمه فاطمة وقف وقال: السلام عليك يا أماه حسينك جاء لوداعك وهذه آخر زيارته إياك، فإذا النداء من القبر: وعليك السلام يا مظلوم الأمة وياشهيد الأمة ويا غريب الأمة، فاستعبر الحسين باكياً حتى أنه لا يطيق على الكلام من البكاء.

وكانت فاطمة (ع) تعلم بغربة ولدها وشهادته ومظلوميته ولكنها ما رأت حالته بعينها حتى كانت ليلة الحادي عشر من المحرم فرأته بعينها في غاية الغربة... الخ.

---

(١) راجع وداع الحسين لقبر جده (مقتل الحسين) لأخطب خوارزم الحنفي ج١ ص١٨٦ نقلاً عن ابن عم أعثم الكوفي، والبحار ج٤٤ ص٣٢٧-٣٢٩، وغيرها من كتب التاريخ والمقاتل.

المجلس الثالث عشر

المتخلفون عن الخروج مع الحسين (ع) بأعذار شرعية

رحلوا وما رحلوا اهيل ودادي ... إلا بحسن تصبري وفؤادي

ساروا ولكن خلفوني بعدهم ... حزناً أصوب الدمع صوب عهاد

وسرت بقلبي المستهام ركابهم ... تعلو به جبلاً وتهبط وادي

وخلت منازلهم فها هي بعدهم ... قفرى وما فيها سوى الأوتاد

تأوي الوحوش بها فسرب رائح ... بفناء ساحتها وسرب غادي

ولقد وقفت بها وقوف مولَه ... وبمهجتي للوجد قدح زناد

أبكي بها طوراً لفرط صبابتي ... وأصيح فيها تارة وأنادي

يا دار أين مضى ذووك أما لهم ... بعد الترحل عنك يوم معاد

يا دار قد ذكرتني بعراصك ... القفرى عراص بني النبي الهادي

مذ سار عنها ابن النبي محمد (ص) ... بالأهل والأصحاب والأولاد[1]

عدد الذين خرجوا مع الحسين (ع) من أهل بيته:

لما أراد الحسين (ع) الخروج من المدينة إلى مكة، ومنها إلى العراق، أخرج معه جميع أهل بيته وأقاربه ومواليه رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، وعدد الذين خرجوا معه إلى العراق مائة واثنان وعشرون نفر مع الطفل الرضيع، ذكر أسماءهم وبعض

---

(١) هذه أبيات من قصيدة للخطيب الشاعر السيد مهدي الأعرجي.

تراجمهم صاحب كتاب معالي السبطين[1].

فالحسين (ع) خرج بموكب كبير عظيم، تسوده العزة والكرامة، وتعلوه الهيبة والجلالة.

أعذار المتخلفين عن الخروج مع الحسين (ع) من الرجال:

وأما الذين تخلفوا عن الخروج مع الحسين (ع) من أقاربه فهم نفر يسير، وأغلبهم تخلفوا بأعذار شرعية حالت بينهم وبين الخروج مع الحسين والتشرف بالشهادة بين يديه.

فمنهم عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة وعالمها، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب المعروف ببحر الجود، ومحمد بن أمير المؤمنين المعروف بابن الحنفية.

١- عبد الله بن عباس وعذره:

أما عبد الله بن عباس، وهو ابن عم رسول الله (ص) وابن عم أمير المؤمنين فكان السبب في عدم خروجه مع الحسين هو ذهاب بصره.

وكان النبي (ص) قد أخبره بذلك كما روى عنه ابن عبد البر في الاستيعاب أنه قال رأيت مع النبي (ص) رجلاً فلم أعرفه، فسألت النبي عنه فقال (ص): أرأيته؟ قلت: نعم، قال: ذلك جبرائيل، أما إنك ستفقد بصرك، فكان كما أخبر ذهب بصره في أواخر عمره[2].

وهذا الإخبار من دلائل نبوته (ص) وأعلام رسالته الدال على حقيقة ما يخبر به، ووقوعه طبق ما أخبر. وقد أكد (ص) لأصحابه ذهاب بصر ابن عباس قبل موته، حيث قال لهم يوماً: لن يموت ابن عباس حتى يذهب بصره، ويؤتى علماً[3].

---

(١) راجع معالي السبطين ج٢ ص١٣٥-١٤١ للخطيب المازندراني

(٢) راجع الاستيعاب ج٢ ص٣٤٨.

(٣) راجع (المطالعات في مختلف المؤلفات) للعلامة السيد محمد علي الحمامي ج٢ ص٢٣ نقلاً عن سفينة البحار ج١ ص١٥٠.

نعم ذهب بصره وآتاه الله علماً وفهماً، وعقلاً وذكاءً وهو القائل في ذلك:

إن يـأخذ الله مـن عـيني نورهمـا ففـي لسـاني وقلـبي مـنهما نـور

قلـبي ذكـي وعقلـي غـير ذي دخـلٍ وفي فمـي مقـول كالسـيف مشـهور[1]

ولئن لم ينصر ابن عباس الحسين بسيفه فلقد نصره بلسانه، وقد تكون نصرة اللسان أعظم وأشد من نصرة السنان. يقول الشاعر:

جـراحات السـنان لهـا التـئام ولا يلـتام مـا جـرح اللسـان

ويقول المثل العربي: رب قول أنفذ من صول.

ولابن عباس مواقف عديدة في نصرة علي أمير المؤمنين وأهل البيت (ع) عامة، ونصرة الحسين خاصة في كثير من محاجاته ورسائله، وإلى نصرة ابن عباس للحسين بلسانه يشير القائل:

نصرت ابن عباس حسين بن فاطم بحد لسانٍ ما عن السيف ينقص

دعـتك إلـيه شـيمة هاشمـية لعمـرك أنـت الهـاشمي المخلـص

فسبب تخلف ابن عباس عن الحسين (ع) ذهاب بصره.

٢- عبد الله بن جعفر وعذره:

وكذلك عبد الله بن جعفر الطيار، وهو ابن عم الحسين وزوج عقيلة قريش زينب الكبرى، وهو ممن صحب رسول الله (ص) وحفظ حديثه على صغر سنه، ثم لازم عمه أمير المؤمنين والحسنين (ع) وأخذ منهم العلم الكثير[2].

---

(١) راجع المصدر السابق ص١٣٠ نقلاً عن (أسد الغابة) ج٣ ص١٩٥ و(الدرجات الرفيعة) ص١٣٩ و(الشذرات) ج١ ص٧٥، وقد ذكر الحمامي في (المطالعات) بعض محاجات ابن عباس وترجمته في ج٢ من أوله ص١٧-١٤٢.

(٢) ترجمة عبد الله بن جعفر في المصدر السابق للحمامي ص١٤٣-١٦٤ وكتاب (زينب الكبرى) للعلامة الشيخ جعفر النقدي ص١٠٢-١٢٥.

وحضر مع عمه أمير المؤمنين حروبه الثلاثة الجمل، وصفين، والنهروان، ويوم صفين جعله أمير المؤمنين في ميمنة جيشه قائداً من قواده الكبار.

وقيل كان السبب في عدم خروجه مع الحسين هو ذهاب بصره، ولما لم يتمكن من نصرة الحسين بنفسه فقد نصره بلسانه، كما نصره بولديه عون ومحمد، وأمهما العقيلة زينب (ع)، أمرهما أبوهما بالخروج مع الحسين (ع)، والجهاد بين يديه، فخرجا معه ولازماه حتى قتلا بين يديه، ولما بلغه خبر قتل الحسين (ع) ومن معه من أهل بيته، وقتل ولديه جعل الناس يدخلون عليه ويعزونه في ذكر قتل ولديه، فقال بعض غلمانه ويقال له: أبو السلاسل: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين (يعني: لولا الحسين لما قتل ولداك)، فلما سمع عبد الله حذفه بنعله قال: يا بن اللخناء أللحسين تقول هذا؟ والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى اقتل دونه، ويهون علي المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه، وفي نص قال: وإني لأشكر الله الذي وفق ابني عوناً ومحمداً معه، إذا لم أكن وفقت، ثم أنه أقبل على جلسائه وقال: إن لم تكن واست حسيناً يداي فقد واساه ولداي، وفي نص قال: الحمد لله لقد عز علي مصرع الحسين، وإن لم أكن واسيت حسيناً بيدي فقد واسيته بولدي[1].

٣- محمد بن الحنفية وأعذاره:

وأما محمد بن الحنفية وهو أخو الحسين من أبيه، وهو الذي حضر مع أبيه أمير المؤمنين حروبه الثلاثة الجمل وصفين والنهروان، وكان يوم الجمل هو الحامل للواء أبيه، ويوم صفين جعله أمير المؤمنين من قواد جيشه حيث أوقفه على ميسرة الجيش، وكان منقطعاً بولائه لأبيه وأخويه الحسن والحسين.

أما السبب في عدم خروجه مع أخيه الحسين (ع) فهو على ما يستفاد من التاريخ وأقوال أهل السير أمور ثلاثة، أحدها هو أن الحسين (ع) قد أمره بالإقامة في المدينة ليكون عيناً له

---

(١) راجع القصة في كتاب (زينب الكبرى) ص١١٧ نقلاً عن الكامل لابن الأثير (والمطالعات) ج٢ ص ١٦١ نقلاً عن (الدرجات الرفيعة) ص١٧٥ و(مقتل الحسين) للخوارزمي ج٢ ص٧٦ وغيرها من المصادر.

على أهلها حيث قال (ع) في وصيته له بما نصه: وأما أنت يا أخي فلا بأس عليك أن تقيم في المدينة فتكون لي عيناً عليهم، ولا تخف عني شيئاً من أمورهم.

وثانيها ما ورد في بعض الروايات أنه كانت يده شلاء لعين أصابتها في قضية الدرع المشهورة وهي على ما في كتاب المستطرف: أن أباه علياً (ع) اشترى درعاً فاستطالها (أي لما لبسها وجدها طويلة عليه) فأراد (ع) أن يقطع منها الزائد فقال له محمد: يا أبت علم موضع القطع (أي ضع علامة) فعلم موضعاً منها، فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالأخرى على موضع العلامة، ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده أبوه[1].

وكان محمد معروف بالقوة، فيقال: أصابه -حينئذٍ- بعض الحاضرين بنظرة فشلت يده في الوقت، وصار لا يقدر على حمل السلاح[2].

والأمر الثالث الذي يظهر من الأخبار أنه كان مريضاً، وبه أجاب العلامة الحلي[3].

ويقال أنه أصيب بمرض الإغماء وهذا هو الذي منعه من الخروج مع الحسين (ع)، ولما عزم الحسين على الخروج إلى العراق قال له محمد (معتذراً إليه): والله يا أخي إنه ليحزنني خروجك وما أقعدني عن المسير معك إلا ما أجده من المرض الشديد، فوالله يا أخي ما أقدر أن أقبض على قائم سيف ولا كعب رمح، ووالله لا فرحت بعدك أبداً[4].

ومن المعلوم المقطوع به أنه كان يعترف للحسين (ع) بالإمامة، ويعترف بحقه وشرفه وسيادته، بل كان يحب الحسين حباً شديدا.

دخول محمد على أخيه الحسين (ع):

ولذلك يذكر المؤرخون وأهل السير والمقاتل: إن الحسين (ع) لما عزم على الخروج

---

(١) راجع (المستطرف) لشهاب الدين الأبشهي ج١ ص١٩٣.

(٢) أشار إلى شل يده في قضية الدرع الخطيب السيد علي الهاشمي في كتابه (محمد بن الحنفية) ص٦٥، والشيخ جعفر النقدي في كتابه (زينب الكبرى) ص١٢.

(٣) راجع كتاب (زينب الكبرى) للنقدي ص١٢.

(٤) معالي السبطين ج١ ص١٤١.

من المدينة دخل عليه أخوه محمد بن الحنفية وقال له: يا أخي أنت أحب الخلق إلي، وأعزهم علي، ولست والله أدخر النصيحة لأحد من الخلق إلا لك وليس أحد أحق بها منك، لأنك مزاج مائي، ونفسي وروحي، وبصري وكبير أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي، لأن الله شرفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنة.

ثم قال له محمد: يا أخي تنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية، وعن الأمصار ما استطعت، ثم أبعث رسلك إلى الناس، ثم ادعهم إلى نفسك، فإن بايعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك، وان اجتمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك، ولا عقلك، ولا يذهب الله على ذلك، مروءتك، ولا فضلك، وإني أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس فيما بينهم فطائفة معك، وأخرى عليك، فيقتتلون فتكون لأول الأسنة غرضاً، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً.

فقال له الحسين (ع): فأين أذهب يا أخي؟ قال: انزل مكة، فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك، وإن تكن الأخرى خرجت إلى بلاد اليمن فإنهم أنصارك وأنصار جدك وأبيك، وإنهم أرأف الناس وأرقهم قلوباً، وأوسع الناس بلاداً، فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك، وإلا لحقت بالرمال وشعوب الجبال، وجزت من بلد إلى بلد حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين.

فقال له الحسين (ع): يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية، فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكى، وبكى معه الحسين ساعة، ثم قال له: جزاك الله يا أخي خيراً فقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج إلى مكة، وقد تهيأت لذلك أنا وأخوتي وبنو أخي وشيعتي أمرهم أمري، ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا بأس عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تخف عني شيئاً من أمورهم.

ثم دعا الحسين بدواة وبياض وكتب هذه الوصية إلى أخيه محمد:

وصية الحسين (ع) إلى أخيه محمد:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق، وأن الجنة والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين.

وهذه وصيتي لك يا أخي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب[1].

نعم هذه هي أهداف الحسين النبيلة التي من أجلها فجر ثورته الخالدة، فهو لم يخرج أشراً ولا بطراً، ولم يبغ أية مصلحة مادية له أو لأسرته، وإنما خرج (ع) لطلب الصلاح والإصلاح، يريد أن يقيم صروح العدل بين الناس، وما أروع قوله سلام الله عليه:

فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين.

لهذا حدد الإمام خروجه بأنه من أجل إحقاق الحق وإماتة الباطل، ودعا الأمة باسم الحق إلى الالتفاف حوله لتحمي حقوقها وتصون كرامتها وعزتها التي انهارت على أيدي الأمويين، وإذا لم تستجب الأمة لنصرته فسيواصل -مع المخلصين معه-

---

(١) راجع ما دار بين الحسين وأخيه كتب التاريخ والمقاتل ومنها(مقتل الحسين) للخوارزمي ج١ ص ١٨٧، وتاريخ الطبري ج٦ ص١٩١، والبحار ج٤٤ ص٣٢٩، ومعالي السبطين ج١ ص١٣١ وغيرها.

جهاده بصبر وثبات في مناجزة الظالمين والمعتدين حتى يحكم الله بينه وبينهم بالحق وهو خير الحاكمين، كما حدد الإمام سيرته في خروجه بأنه يريد أن يسير على منهاج جده وأبيه، وليس على منهج أي أحد آخر.

وهذه الوصية تعد من البنود المهمة التي يرجع إليها في أسباب نهضته (ع) حيث كتبها، وختمها بخاتمه الشريف ودفعها إلى أخيه محمد لتكون نبراساً لنهضته، ثم ودعه وتهيأ للخروج من المدينة..الخ.

فهؤلاء الثلاثة من الرجال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر، ومحمد بن الحنفية تخلفوا عن الخروج مع الحسين (ع) بما سمعت من أعذارهم.

كتاب الحسين (ع) إلى المتخلفين عن الخروج معه بدون عذر:

وهناك آخرون تخلفوا عن الخروج معه من أقاربه كعمر الأطرف، وهو أحد أخوته من أبيه، وكعبد الله، أو عبيد الله وهو أيضاً أحد أخوته من أبيه، وكزيد بن أخيه الحسن، وهو أكبر أولاده، وكذلك الحسين الأثرم، وطلحة وهما ابنا أخيه الحسن أيضاً، وكعبد الله المكنى بأبي هاشم، وجعفر وعلي وهم من أولاد أخيه محمد بن الحنفية، وآخرون غيرهم، لا نعلم سبب تأخرهم عن الخروج مع الحسين (ع) وهم الذين عناهم الحسين بكتاب كتبه إليهم، على ما رواه الكليني في كتاب الرسائل بسنده عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: إن الحسين (ع) لما فصل متوجهاً (أي لما خرج وتوجه إلى العراق) دعا بقرطاس وكتب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي بن أبي طالب إلى بني هاشم أما بعد فإنه من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف لم يبلغ مبلغ الفتح والسلام[1].

---

(١) راجع (البحار) ج٤٤ ص٣٣٠ نقلاً عن محمد بن أبي طالب عن الكليني في (رسائله) وهو كتاب جمع فيه رسائل الأئمة (ع) كما ذكره الطبري الإمامي في (دلائل الإمامة) ص٧٧ وابن

فهؤلاء ما رزقوا الشهادة بين يدي الحسين، وما بلغوا معه مبلغ الفتح المبين الذي حظي به الحسين ومن معه وهو نصرة دين الله، وشريعة جده رسول الله (ص) وذكراهم الخالدة بكل جميل ومدح وثناء، وهذا هو الفتح الحقيقي، ولكنه غير مقسوم لهم.

أعذار المتخلفين عن الخروج مع الحسين (ع) من النساء:

أما النساء اللواتي تخلفن عن الخروج مع الحسين (ع) بأعذار شرعية من أهل بيته وأقاربه منهن أم سلمة زوجة النبي (ص) وعمته أم هاني، وابنته فاطمة الصغيرة.

١- أم سلمة وعذرها:

أما أم سلمة، واسمها هند بنت حذيفة القرشية المخزومية، وهي من خيار زوجات النبي (ص) بل هي أفضلهن بعد خديجة الكبرى، وهي من السابقات إلى الإسلام، وقد هاجرت الهجرتين الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة، وكانت موصوفة بالعقل الوافر والرأي الصائب، وكانت شديدة المحبة لأهل البيت (ع) عارفة بعظيم شانهم عند الله ورسوله (ص) ولها مواقف في نصرة أهل البيت جليلة[1].

كما أنها كانت شديدة المحبة للحسين خاصة، وكذلك الحسين أيضاً كان يحبها ويعظمها، ويدعوها: يا أماه، وكان يعتمد عليها، ويثق بها، حتى أنه (ع) لما أراد

قولويه في (كامل الزيارات) ص٧٥ ونقله عن هذين المصدرين القرشي في (حياة الإمام الحسين) ج٣ ص٤٤-٤٥، وذكره السيد آل بحر العلوم في (مقتله ص١٨١ عن الكامل و(اللهوف) ث٢٧\)، وتاريخ بن عساكر ج١٣ ص٧١.

(١) راجع ترجمتها في كتاب (المطالعات) للعلامة الحمامي ج٢ ص١٩٨ وراجع بعض مواقفها في نصرة أهل البيت عامة ونصرة علي أمير المؤمنين خاصة، وما ورد عنها من الأحاديث المصدر السابق ص٤٧٥-٥٥١ وهو آخر الجزء.

الخروج من المدينة دفع إليها العلوم المدونة والصحف والوصية، وأمرها أن تدفع ذلك إلى ولده من بعده زين العابدين (ع)[1].

ولعله استودع تلك المواريث عندها لعلمه أن أجلاف أهل الكوفة سيهجمون على خيامه وينهبون ما فيها، فحفظاً على تلك المواريث استودعها عند أم سلمة.

أما السبب في تخلفها عن الخروج مع الحسين (ع) هو أنها كانت امرأة كبيرة لا تقدر على المشي إلا أن تتكئ على عكازة، وكانت قد قاربت التسعين سنة من عمرها ومن أجل هذا تخلفت عن الخروج مع الحسين.

دخول أم سلمة على الحسين (ع) وحديث القارورتين:

ولما بلغها أن الحسين (ع) عازم على الخروج من المدينة أتته أم سلمة وقالت له: يا بني لا تحزني بخروجك إلى العراق فإني سمعت جدك رسول الله (ص) يقول: يقتل ولدي الحسين بأرض العراق، بأرض يقال لها كربلاء، وعندي تربة دفعها إلى جدك، فجعلتها في قارورة، فقال لها: يا أماه وأنا والله اعلم ذلك، وإني مقتول لا محالة، وليس لي من هذا بد، وان لم أخرج إلى العراق يقتلوني، وإني والله لأعرف اليوم الذي اقتل فيه، واعرف من يقتلني، واعرف البقعة التي أدفن فيها، واعرف من يقتل معي من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي.

وإن أردت يا أماه أن أريك حفرتي ومضجعي، ثم أشار بيده إلى جهة كربلاء فانخفضت الأرض حتى أراها مضجعه ومدفنه، وموضع عسكره وموقفه ومشهده، فعند ذلك بكت أم سلمة بكاءً شديداً، وسلمت أمرها إلى الله عز وجل.

فقال لها الحسين: يا أماه قد شاء الله أن يراني مقتولاً مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين ومأسورين مقيدين،

---

(١) راجع البحار ج٤٦ ص١٨-١٩ نقلاً عن (الكافي) ج١ ص٣٠٤ و(اعلام الورى) للطبرسي ص١٥٢ و (غيبة الشيخ الطوسي) ص١٢٨.

وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً.

ثم مد يده إلى جهة كربلاء -وقد قرب الله له البعيد- فأخذ تربة منها فجعلها في قارورة وقال: اجعليها مع قارورة جدي رسول الله (ص) فإذا فاضتا دماً فأعلمي يا أماه إني قد قتلت ثم ودعها الحسين ومضى[1].

قالت أم سلمة فجعلت كل يوم أتفقد القارورتين إلى يوم العاشر من المحرم، فرأيت رسول الله (ص) في منامي مقبلاً وعلى رأسه ولحيته التراب الكثير، تقول أم سلمة:

فجعلت انفض التراب بكمي وأقول: نفسي لنفسك الفداء متى أهملت نفسك هكذا يا رسول الله؟، ومن أين لك هذا التراب؟ فقال: لازلت الليلة أحفر القبور للحسين وآل الحسين، قالت: فانتبهت مرعوبة، ولم أملك نفسي، فدخلت البيت الذي فيه القارورتان فنظرت فإذا تربة الحسين صارت دماً عبيطاً فصحت، واحسيناه واولداه وامهجة قلباه، حتى علا نحيبي ولطخت وجهي من ذلك الدم..الخ[2].

٢- أم هاني وعذرها:

ومن النساء اللواتي تخلفن عن الخروج مع الحسين (ع) عمته أم هاني، واسمها فاختة وكانت جليلة القدر عظيمة الشأن، وكيف لا تكون كذلك وهي بنت أبي طالب شيخ الأباطح، وأخت أمير المؤمنين وشقيقته، وأمها فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين(ع).

وسبب تخلفها عن الخروج مع الحسين كأم سلمة أيضاً أنها كانت امرأة كبيرة محدودبة الظهر تتوكأ على عكازة.

---

(١) راجع معالي السبطين ج١ ص١٣٣ نقلاً عن كتاب (العوالم) و (البحار) ج٤٤ ص٣٣١ نقلاً عن بعض الكتب، و(مقتل الحسين) للعلامة السيد محمد تقي آل بحر العلوم نقلاً عن (مدينة المعاجز) للسيد البحراني ص٢٤٤ ومقتل العوالم لعبد الله البحراني ص٤٧.

(٢) معالي السبطين ج١ ص١٣٣.

دخول أم هاني على الحسين (ع) وتطيرها عليه:

ولما عزم الحسين على الخروج من المدينة أقبلت إليها نساء بني هاشم وقلن لها: يا أم هاني أنت جالسة والحسين مع عياله عازم على الخروج، فأقبلت أم هاني إليه، فلما رآها الحسين سأل عنها قائلاً: هذه عمتي أم هاني؟ قيل له: نعم، فقال: يا عمة ما الذي جاء بك وأنت على هذه الحالة؟ فقالت: وكيف لا آتي وقد بلغني أن كفيل الأرامل ذاهب عني ثم إنها انتحبت باكية وتمثلت بأبيات أبيها أبي طالب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تطوف به الهلاك من آل غالب فهم عنده في نعمة وفواصل

ثم قالت: سيدي وإني متطيرة عليك من المسير هذا لهاتف سمعت البارحة يقول:

وان قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت

فقال لها الحسين: يا عمة لا تقولي من قريش ولكن قولي: (أذل رقاب المسلمين فذلت)، ثم قال: يا عمة كل الذي قدر فهو كائن لا محالة، ثم جعل يقول:

وما هم بقوم يغلبون ابن غالب ولكن بعلم الغيب قد قدر الأمر

ثم خرجت أم هاني من عنده وهي تبكي وتقول:

وما أم هاني وحدها ساء حالها خروج حسين عن مدينة جده

ولكنما القبر الشريف ومن به ومنبره يبكون من أجل فقده[1]

٣- فاطمة الصغرى بنت الحسين وعذرها:

ومن النساء اللواتي تخلفن عن الخروج مع الحسين (ع) ابنته فاطمة الصغرى.

عدد بنات الحسين (ع):

ويظهر لنا من التاريخ، وأقوال بعض المؤرخين أن للحسين من البنات أربع، وهنّ

---

(١) راجع معالي السبطين ج١ ص١٣٢.

١ - الأولى: سكينة وأمها الرباب بنت امرئ القيس وهي شقيقة عبد الله الرضيع، وكانت متزوجة قبل واقعة الطف بابن عمها عبد الله الأكبر بن الحسن، وقد حضرت الطف، مع زوجها عبد الله وقتل عبد الله يوم عاشوراء بين يدي عمه الحسين، وسبيت سكينة فيمن سبي، وهي التي كان الحسين (ع) يخصها بمزيد العناية والعطف، وذلك حين رآها ساعة الوداع منحازة عن النساء وهي تبكي، فأخذها وجعل يسليها وهو يقول: اصبري على قضاء الله، ولا تشكي فإن الدنيا فانية والآخرة باقية، ثم أخذها وضمها إلى صدره ومسح دموعها من عينيها وهو يقول:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذا الحمام دهاني

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني

فإذا قتلت فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

كما أن الحسين (ع) حملها الوصية إلى شيعته بالبكاء عليه، وان يذكروا عطشه عند شربهم الماء على ما رواه الكفعمي في المصباح[١] عن سكينة إنها قالت:

لما مر القوم بالنسوة على القتلى رميت بنفسي على جسد أبي واعتنقته فسمعت صوتاً يخرج من نحره المقدس وأنا مغشي علي يقول:

شيعتي ما أن شربتم عذب ماء فاذكروني

أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني

(وزاد صاحب كتاب الدمعة الساكبة)[٢].

فأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني

وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني

ليتكم في يوم عاشورا جميعاً تنظروني

---

(١) نقل الرواية عن (المصباح) ص١-٣٧ السيد المقرم في كتابه (السيدة سكينة) ص٩٢.

(٢) نقل القصة عن (الدمعة الساكبة) المازندراني في (معالي السبطين) ج٢ ص٣١ وعن المصباح أيضاً.

كـــيف استســـقي لطفلـــي فـــأبوا أن يـــرحموني

وســـقوه ســـهم بغـــي عـــوض المـــاء المعـــين..الخ.

٢- والثانية من بنات الحسين رقية، قال الحمزاوي في كتابه (النفحات)[١] وكانت للحسين بنت تسمى رقية، وأمها شاه زنان بنت كسرى، خرجت مع أبيها الحسين من المدينة وكان لها من العمر خمس سنين.

والظاهر أنها أصغر بنات الحسين (ع) وهي التي توفيت بالشام على رأس أبيها، ذكر قصة وفاتها صاحب كتاب معالي السبطين نقلاً عن مصادر عديدة[٢].

ومجملها أنه كانت للحسين بنت صغيرة يحبها وتحبه تسمى رقية، وكانت مع الأسراء في الشام وكانت تبكي لفراق أبيها ليلها ونهارها، وكانوا يقولون لها: إن أباك في سفر، فرأته ليلة في نومها فلما انتبهت أخذت تبكي وتقول: ائتوني بأبي فقد رأيته الآن في نومي، فحزن أهل البيت وأخذوا بالبكاء والصياح فسمع يزيد بكاءهم فسأل عن الخبر فقيل له: أن بنتاً للحسين صغيرة رأت أباها في نومها وانتبهت وهي تطلبه، فقال: احملوا إليها رأس أبيها، فأتوها بالرأس في طبق مغطى بمنديل ووضعوه بين يديها، فتخيلت أنه طعام، فقالت: ما هذا إني؟ أطلب أبي ولم أطلب الطعام؟ فقالوا: أن هنا أباك، فرفعت المنديل ورأت رأس أبيها، فرفعته وضمته إلى صدرها وهي تقول: يا أبتاه من الذي خضبك بدمائك؟ يا أبتاه من الذي قطع وريدك، يا أبتاه من الذي أيتمني على صغر سني؟ ولم تزل تندب أباها بأشجى ندبة، ثم وضعت فمها على فم

---

(١) نقل قول الحمزاوي في (النفحات) المازندراني في المعالي ج٢ ص١٢٧.

(٢) راجع معالي السبطين ج٢ ص١٠٠ نقلاً عن كتاب نفس الهموم عن (كامل البهائي) وعن (المنتخب للطريحي)، و(الايقاد) للسيد محمد علي الشاه عبد العظيمي نقلاً عن (العوالم) و(مقتل الحسين) للعلامة محمد تقي آل بحر العلوم ص٣٨٦ نقلاً عن (الايقاد) وقد نظم القصة بكاملها في قصيدة له ذكرها في (المقتل).

أبيها وبكت حتى غشي عليها، فلما حركوها وإذا هي ميتة قد فارقت روحها الدنيا، فارتفعت أصوات أهل البيت بالبكاء، وتجدد عليهم الحزن والبكاء، ثم غسلوها وكفنوها ودفنوها بالشام، وقبرها هناك لا يزال مشيداً ويزار للعِبرة والعَبرة.

٣- والثالثة من بنات الحسين فاطمة الكبرى، وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي الذي خرج على أمير المؤمنين محارباً له يوم الجمل مع الزبير وعائشة، وكان من ألد أعداء أمير المؤمنين، ولكن ابنته أم إسحاق بعكسه كانت امرأة صالحة محبة لأهل البيت (ع).

وكانت ابنتها فاطمة هذه من عقائل قريش، وهي في الزهد والورع والعبادة في رتبة عظيمة، وتزوجها ابن عمها الحسن المثنى بن الحسن السبط قبل واقعة الطف، وحضرت الطف مع زوجها، ولثقة الحسين بها فقد أودع عندها بعض مواريث الأئمة التي كانت عنده، على ما روى ذلك علماء الحديث كالكليني في (الكافي) ومحمد بن الحسن الصفار في (بصائر الدرجات) والطبرسي في (إعلام الورى) والمجلسي في اليحار[1].

وعن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال: إن الحسين بن علي لما حضره الذي حضره دعا ابنته فاطمة الكبرى فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وكان علي بن الحسين مبطوناً لا يرون أنه يبقى بعده، فلما قتل الحسين ورجع أهل بيته إلى المدينة دفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين ثم قال الإمام الباقر: ثم صار ذلك والله إلينا.

قال الراوي: فقلت: فما في ذلك الكتاب؟ فقال: فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى أن تفنى الدنيا.

وفاطمة هذه هي التي خطبت في الكوفة بعد أسرها خطبة جليلة في غاية الفصاحة والبلاغة، كما أنها هي التي أشار إليها الشامي في مجلس يزيد قائلاً: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية، فلما سمعت فاطمة ارتعدت فرائصها وأخذت بثياب عمتها وقالت:

---

(١) راجع (البحار) ج٤٦ ص١٧-١٨ فإنه نقل عن تلك المصادر حديث الإمام الباقر (ع) و(بصائر الدرجات) ج٣ باب ١٣ ص١٤٩ و (اعلام الورى) ص٢٥٢ والكافي ج١ ص٣٠٣ وفي شرحه.

أوتمت، وأستخدم؟ فقالت زينب للشامي: والله ما ذلك لك، ولا له. فغضب يزيد وقال: والله إن ذلك لي، ولو شئت أن أفعل لفعلت، قالت: كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا، فاستطار يزيد غضباً وقال: إياي تستقبلين بهذا؟، إنما خرج من الدين أبوك وأخوك، قالت زينب: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وأبوك وأخوك إن كنت مسلماً، فقال: كذبت يا عدوة الله، -فعند ذلك رقت الحوراء زينب- وقالت له: يزيد أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر لسلطانك وأنا أسيرة في مجلسك، ولسان حالها يقول:

لا والـدٌ لـي ولا عـم ألـوذ بـه ... ولا أخ لـي بقـي أرجـوه ذو رحـم

أخـي ذبـيح ورحلـي قـد أبـيح وبـي ... ضـاق الفسـيح وأطفـالي بغـير حَـم

فلما سمع الشامي ما دار بين يزيد والحوراء من الكلام أراد أن يكشف عن الأسراء من هم، وما هو دينهم وملتهم لذلك أعاد طلبته على يزيد فقال له: هب لي هذه الجارية، فقال له يزيد: أعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً، فقال الشامي من هذه الجارية؟ فقال يزيد هذه فاطمة بنت الحسين، وتلك زينب بنت علي، فقال الشامي: الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب؟ قال: نعم، فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك، وتسبي ذريته، والله ما توهمت إلا أنهم سبي الروم، فقال يزيد: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به فضربت عنقه[1].

٤- والرابعة من بنات الحسين هي فاطمة الصغرى، ولعلها هي التي يروي عنها الصدوق حديثاً في فضل أهل البيت عامة، وعلي أمير المؤمنين خاصة حيث روى بسنده في كتابه (الأمالي) ص١١٠ عن جعفر بن محمد (أي الصادق (ع)) عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن علي، عن أمه فاطمة بنت محمد(ص)

---

(١) راجع قصة فاطمة الكبرى في البحار ج٤٥ ص١٣٦-١٣٧ نقلاً عن (الارشاد للمفيد) ص٢٣١، وعن اللهوف لابن طاووس ص١٦٧.

أنها قالت: خرج علينا رسول الله (ص) عشية عرفة، فقال: إن الله تبارك وتعالى باهى بكم، وغفر لكم عامة، ولعلي خاصة، وإني رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي، هذا جبرائيل يخبرني: إن السعيد كل السعيد، حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته، وإن الشقي، كل الشقي حق الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد وفاته[1].

وفاطمة الصغرى هذه هي التي خلفها الحسين بالمدينة لأنها كانت مريضة، قال صاحب كتاب (الحدائق الوردية): فاطمة الصغرى هي أخت عبد الله الرضيع من أمه، وهو الذي ولد في الحرب وقت صلاة الظهر، وقتل في حجر أبيه، وفاطمة الصغرى هي التي خلفها الحسين بالمدينة لمصلحة، أو لأنها كانت مريضة[2].

---

(١) راجع (الامالي) للصدوق، مجلس ٣٤ ص١١٠، وفاطمة هذه التي ينقل حديثها الصادق والباقر وأبوه عن أبيها الحسين، يعبرون عنها (بالصغرى) بينما يعبر الحديث السابق: الذي رواه الكليني والصفار والطبرسي والمجلسي عن الإمام الباقر (ع): إن الحسين لما حضره الذي حضره دعا ابنته فاطمة الكبرى فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ..الخ فالتعبير بهذا الحديث عن فاطمة بوصفها (الكبرى) يدل على أن للحسين فاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى والحديثان معاً يدلان على ذلك، والله اعلم، وحديث فاطمة الصغرى يرويه ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة ص١٠٧ عن كتاب معالم العترة النبوية وعن الطبراني في (معجمه) ويرويه محب الدين الطبري في ذخائر العقبى ص٩٢ مختصراً عن أحمد بن حنبل كما رواه أيضاً في كتابه (الرياض النضرة) ج٢ ص٢٨٥ ونقله عن معجم الطبراني اخطب خوارزم في المناقب ص ٣٧ ط النجف، وص٤٧ ط تبريز، ونقله ابن أبي الحديد في (شرح النهج) ج٢ ص٤٤٩ عن أحمد بن حنبل في (المسند) وفي (الفضائل) ويرويه الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج٢ ص١٣٢ والشيخ علي الهندي الحنفي في (منتخب كنز العمال) بهامش المسند ج٥ ص٤٧ ونقله القندوزي في (ينابيع المودة) ص١٢٧ عن مسند احمد وعن الخوارزمي، ورواه جمال الدين الهروي في (الأربعين حديثاً) ص٦٥، والبدخشي في مفتاح النجا ص٦٠، والشيخ عبيد الله في (أرجح المطالب) ص٥٠٧ و٥١٨ عن عدة مصادر كأحمد، والطبراني، والديلمي، وراجع نصوص أحاديثهم في (تعليقات احقاق الحق) ج٧ ص٢٥٢-٢٥٥.

(٢) نقله عن (الحدائق) المازندراني في (معالي السبطين) ص١٢٧ ج٢.

وفي كتاب مشارق الأنوار نقلاً عن كتاب (درر الأصداف) قال: إن للحسين فاطمة صغرى، وفاطمة كبرى، ثم صرح بأن التي خلفت بالمدينة هي فاطمة الصغرى..الخ[1].

وقال الدربندي في كتابه (أسرار الشهادة) وكانت للحسين بنت تسمى بفاطمة، وكانت حين خروجه من المدينة مريضة، فجعلها عند أم سلمة...الخ[2].

خروج فاطمة الصغيرة خلف الظعن:

ويروى أنه لما خرج الحسين من المدينة بأهل بيته وعياله تبعته ابنته فاطمة وكان الحسين قد خلفها بالمدينة لأنها كانت مريضة، فخرجت خلفهم، تعثر بأذيالها وهي تنادي: يا أبة كيف تمضي عني وأبقى بعدكم وحيدة، وأنا ضعيفة عليلة، وليس معي منكم أحد يؤنسني وكيف أصبر بعدكم ومنازلكم خالية منكم، يا أبة خذني معك فليس لي صبر على فراقكم، ثم بكت بكاءً شديداً حتى وقعت مغشياً عليها فلما رآها الحسين بتلك الحالة ذرفت عيناه الدموع ثم نزل إليها، وجعل يسليها وهو يقول: بني ارجعي إلى منزلك فإني إذا وصلت إلى العراق أرسل إليك أحد اخوتك فيحملك إلينا فطيبي نفساً وقري عيناً، فقالت له: يا أبة أنا مريضة وأخشى أن أموت بعدكم فبالله عليك يا أبةِ إلا ما أمرت بحط الرحال ساعة واحدة لأتزود منكم ثم ارجع إلى منزلي، واصبر حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين، فأمر الحسين بحط الرحال ففعلوا، وأنزلوا بعض العيال فجعلت فاطمة تودعهم، وداع مفارق لا يعود، هذا ودموعها تنحدر على خديها، وعلت أصوات النساء بالبكاء والعويل، ثم قالت: ائتوني بأخي الرضيع لأتسلى به بعدكم فقالت له زينب -وهي مختنقة بعبرتها- بني فاطمة لا صبر له على فراق أمه، فدفعته فاطمة إلى أمه الرباب، وأمر الحسين فأركبوا العيال وركبوا جميعاً

---

(١) المصدر السابق.

(٢) راجع (معالي السبطين) ج١ ص١٣٦.

وساروا.

ورجعت فاطمة إلى منزلها وهي تبكي وتنوح على فراقهم، وبقيت بعد أبيها تنتظر، وهي عليلة نحيلة، ولما طال عليها زمن الفراق اشتغلت بالبكاء والعويل، ولم تزل باكية ومعولة إلى أن قتل الحسين وترك في رمضاء كربلاء مضرجاً بدمائه.

وقد ورد عن الإمام الصادق عن أبيه، عن جده علي بن الحسين أنه قال: لما قتل الحسين جاء غراب فوقع في دمه، ثم تمرغ فيه، ثم طار، فوقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين، وهي الصغرى، فرفعت رأسها إليه فنظرته، فبكت بكاءً شديداً وأنشأت تقول:

نعب الغراب فقلت من ... تنعاه ويحك من غرابْ

قال: الإمام فقلت: من؟ ... قال: الموفق للصوابْ

قلت: الحسين فقال: لي ... حقاً لقد سكت الترابْ

إن الحسين بكربلا ... بين الأسنة والضرابْ

ثم استقل له الجنا ... ح ولم يطق رد الجوابْ

فبكيت مما حل بي ... بعد الدعاء المستجابْ

ثم قال الإمام محمد بن علي الباقر (ع) فنعته لأهل المدينة، فقالوا: جاءت بسحر بني عبد المطلب، فما كان بأسرع من أن جاءهم الخبر بقتل الحسين (ع)..[1].

---

(١) راجع (مقتل الحسين) للخوارزمي الحنفي ج٢ ص٩٢ والبحار للمجلسي ج٤٥ ص١٧١ نقلاً عن كتاب (المناقب) القديم، معالي السبطين ج٢ ص٢٧ نقلاً عن كتاب (مشارق الأنوار) وكتاب (درر الأصداف).

المجلس الرابع عشر

فلسفة حمل الحسين (ع) لعياله

كلامٌ في علوم الأئمة المستمدة من الله:

لا يختلف ولا يرتاب من يعتقد للحسين (ع) بالإمامة الإلهية والخلافة الربّانية، بأن نهضته المقدسة كانت على علم منه بجميع ما انتهى إليه أمره وأمر من معه من القتل والسبي والنهب، أقداراً له من المولى سبحانه، حيث أودع فيه، كما أودع في جميع خلفائه في أرضه وسفرائه الى عباده قوة قدسية تمكنوا - بواسطتها - من استعلام الكائنات، وما وقع، ويقع من حوادث وملاحم، كما قد أخبروا بكثير من ذلك، ووقع كما أخبروا، وهذا باب واسع، وعليه شواهد كثيرة لا حاجة لنا الآن الى ذكرها لشهرتها.

وقد دل على ذلك صحيح الأثر الوارد عن ائمة الهدى (ع) أنهم قالوا ما معناه: إذا ولد المولود منا، وفي نص: فإذا قام بالأمر، جعل الله له عموداً، وفي نص: مصباحاً من نور يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة[1] ويرى أعمال العباد.

وليس المراد من هذا العمود، أو المصباح إلا الإشارة الى تلك القوة المجعولة لهم من مُنشئ كيانهم، ليكونوا أعلاماً لعباده يسلكون بهم الى الرضوان، وبعد كون هذه القوة المجعولة لهم من المهيمن جل وعلا، لا يكون إخبارهم بالغيب مستحيلاً، وأن علم الغيب مختص به الله، إذ أنه ذاتيٌ فيه سبحانه، لأنّ علمه عين ذاته، لا أنه شيء وعلمه شيء

---

(١) الأحاديث في هذا المعنى كثيرة ينقلها جلُّ علمائنا الأعلام، راجع (الكافي) للكليني، كما في شرحه الشافي باب مواليد الأئمة (ع) ج٤ ص٤٧٣-٤٧٨، وتفسير العياشي ج١ ص٣٧٤ تفسير سورة الأنعام وتفسير القمي ص٢١٥.

آخر، بل هو العلم عينه، وهكذا بقية صفاته الذاتية من القدرة والحياة.. الخ.

أما علم الأئمة فإنّه فيهم بالجعل من الله، وعلمهم بلغ ما بلغ فإنه محدود لا محالة كماً وكيفاً وعارض ليس بأزلي، ولهُ بدء ونهاية وليس بسرمدي، ومأخوذ من الله سبحانه ﴿وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلاَّ هُوَ﴾ الأنعام: ٥٩.

ولا غرابة في أن يجعل موجد الخلق فيمن يختاره من عباد قوة نورانية يتمكنون بواسطتها من العلم الشامل لما كان ويكون، والدليل على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ الجن: ٢٦-٢٧.

فإذا جاز جعل تلك القوة من علم الغيب فيمن يرتضيه من رسول، جاز جعلها فيمن يقوم مقامه من أوصيائه وخلفائه، وحيث أن علياً وأولاده المعصومين هم خلفاء النبي(ص) وأوصياؤه من بعده فقد جاز أن يمنحهم الله ما منح نبيه الأعظم (ص) من العلم الشامل لما كان ويكون.

علم الحسين (ع) بما انتهى إليه أمره من القتل والسبي.

فالحسين (ع) وهو ثالث أوصياء النبي (ص) كان عالماً بجميع ما انتهى إليه أمره من قتله، وقتل من معه من أهل بيته وأصحابه، وسبي عياله وأطفاله.

فإن قيل: إذا كان الحسين عالماً بقتله وقتل من معه من أهل بيته وأصحابه فلماذا حمل معه عياله؟ وعرّضهم للهتك والسبي، فنقول: إن الحسين (ع) ولا شك كان غرضه بنهضته إحياء الدين، وإظهار فضائح المنافقين، وقد علم أن غرضه هذا لا يتم، وأن قتلته سوف تذهب ضياعاً لو لم يتعقبها لسان ذرب، وجنان ثابت يعرفان الأمة بضلال المنافقين عامة، والأمويين ويزيد خاصة.

وعرف سيد الشهداء من حرائر الرسالة اللواتي حملهنّ معه الصبر على المكاره وملاقاة الخطوب والدواهي بقلوب أرسى من الجبال، وأنه لا يفوتهن تعريف الملأ المغمور

بالأباطيل والأضاليل نتائج أعمال أولئك المضلين المبطلين، وما يقصدونه من هدم الدين.

كما وقد علم الحسين أيضاً أن بني أمية وأشياعهم سوف يموهون على المسلمين من أن الحسين خارج على إمام زمانه وهو يزيد المنصوب بالنص عليه والاستخلاف من الخليفة الذي قبله وهو أبوه معاوية، فيكون الحسين بخروجه - عندهم - باغٍ، وحكم الباغي القتل، لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ﴾ فتكون هذه الفتيا المزيفة، وهذا التمويه والخداع أعظم على الحسين من قتله.

وهذا الطلاء المبهرج، والتمويه المزيف وإن كان لا يخفى على العارفين والنياقدة الذين يعرفون من هو يزيد؟ ومن أبوه؟ ولكنهم - بالضرورة - خاضعون للسلطة قد شملتهم الذلة وأخملتهم القلة، وألجمهم الخوف والتقية، ولا سيما بعد الفراغ من قتل الحسين، فلا رحمة لأحدٍ بعده ولا حرمة، والناس - كما قال هو سلام الله عليه يوم الطف عنهم وكما هو حالهم اليوم - عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، فمن ذا يقدر أن ينبس بالحقيقة فضلاً عن الإصحار بها؟ وسيوف يزيد، وابن زياد فوق رؤوسهم؟ وأموالهم نصب أعينهم؟

ومعلوم كيف يلعب الرجاء والخوف في النفوس، فحينئذٍ لا يمر حول أو حولان إلا وقد سجل لنا التاريخ الأموي: إن الحسين - وحاشاه - باغٍ عاتٍ، وقد قتل بحكم الشريعة الإسلامية.

ويعضد الناقد فريته هذه بقوله: هلا بايع الحسين كما بايع أخوه الحسن، ودفع عن نفسه وأهله القتل، كيف وقد نقل ابن خلدون في مقدمته ص١٨٩ عن القاضي أبي بكر بن العربي المالكي أنه قال في كتابه الذي سماه بـ (العواصم والقواصم) ما معناه: إن الحسين قتل بسيف شريعة جده.

وهذه عند الحسين - وهو روح الغيرة والإباء - رزية لا رزية فوقها ومصيبة لا مصيبة أعظم منها، لأنه فيها إضلال العباد عن الحق والحقيقة، فعلى من يعتمد الحسين في دفع هذه الغائلة وتفنيد هذه الضلالة وإنقاذ المسلمين من هذه الورطة المهلكة؟ أعلى رجاله

وكلهم سوف يقتلون معه بعلم منه؟ أم على الإمام زين العابدين وهو أسير، مشغول بعلته؟ وقتله أهون عليهم من قتل ذبابة، فمن يقوم للحسين بهذه المهمة بعد قتله؟ ومن ذا يقرع بالحجة و يوضح المحجة؟ ويكشف الحقيقة ويتعقب القضية، ويخطب في النوادي الحاشدة والجوامع الحافلة بتلك الخطب البليغة والحجج الدامغة؟

تصور ذلك العصر المظلم واستوسع التأمل في تلك الأوضاع الجائرة وانظر هل كان من الممكن أن يقوم بشيء من ذلك أكبر رجل باسل؟ وهب أن الممكن أن يفادي رجل بنفسه للحق، وإبداء الحقيقة ولكن هل يمهلونه والى أن يستوفي الغرض ويبلغ الغاية؟.

إنكار عبد الله بن عفيف على بن زياد وشهادته:

أوليس عبد الله بن عفيف الأزدي ذلك البصير الذي ذهبت عيناه واحدة يوم الجمل والأخرى يوم صفين جهاداً بين يدي أمير المؤمنين.

نعم ذهبت عيناه ولكن فتح الله له في قلبه عشرة عيون، وسقط الجهاد عنه بيده وسيفه، ولكنه جاهد بلسانه بعشرة أسياف حتى أحرز الشهادة في هذا السبيل، فإنه لما سمع خطبة ابن زياد على منبر الكوفة بعد قتل الحسين وهو يقول:

الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وأشياعه وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته.. الخ، نهضت به الحمية والحماية للحق، ونادى بنفسه في ذلك الحشد الرهيب، فقام وقطع على ابن زياد خطبته قائلاً له: إن الكذاب بن الكذاب أنت وأبوك ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المسلمين؟ فغضب ابن زياد وقال: من المتكلم؟ فقال: أنا يا عدو الله، أتقتل الذرية الطاهرة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وتزعم أنك على دين الإسلام؟ وا غوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقموا منك ومن طاغيتك اللعين ابن اللعين على لسان رسول رب العالمين؟ فازداد ابن زياد غضباً حتى انتفخت أوداجه، وقال: علي بهذا الأعمى، فقام الجلاوزة ليأخذوه، فقامت الأشراف من عشيرته من الأزد وخلصوه من أيدي الجلاوزة وانطلقوا به إلى منزله، ولكن هل خلص ونجا من ذلك

الطاغية؟ وهل كان آخر أمره إلا أن أحضر بين يديه فضرب عنقه صبراً، وصلب جثمانه بالسبخة[1].

إنكار زيد بن أرقم على ابن زياد، وطرده:

نعم، ما أنكر على ابن زياد إلا عبد الله بن عفيف، وإلا ذلك الصحابي الضعيف وهو زيد بن أرقم، فإنه حين رأى رأس الحسين بين يديه وهو يضربه بعوده، قال له: ارفع عودك عن هاتين الشفتين، فوالله لطالما رأيت رسول الله يقبلهما، ثم بكى زيد، فقال له ذلك الخبيث:

أتبكي لما فتح الله للأمير؟ لولا أنك شيخ قد خرفت، وذهب عقلك، لأخذت الذي فيه عيناك، قم من مجلسنا هذا، فخرج زيد وهو يقول: ملك عبدٌ حراً، أنتم يا معشر العرب عبيد بعد اليوم، قتلتم ابن بنت نبيكم، وأمرتم ابن مرجانة عليكم.. الخ[2].

ولم ينكر على ابن زياد غير هذين الرجلين، وكلماتهما وإن كانت ذا قيمة ثمينة في مثل تلك الأيام العصيبة، والمواقف الرهيبة، ولكن أي شيء لها من التأثير؟ وما مبلغها في تلك التيارات الجارفة والزوابع القاصفة؟ وهل هي إلا كلمات قيلت وذهبت أدراج الرياح؟

وهل كانت تكفي لإيجاد بواعث الثورة؟ وتكوين الانقلاب على بني أمية؟ وتحرير النفوس؟ وتأجيج النار لطلب الثأر؟.

كلا ثم كلا، فإن الأمر يحتاج إلى أكثر من ذلك، يحتاج إلى المثابرة والتعقيب في الخطب الرنانة، والكلمات المهيجة، وإظهار المثالب والمساوئ، ونقد السيئات على تلك الدولة الغاشمة والسلطة الظالمة، والحكومة الجائرة، فإن بهذا ومثله تتكون في الأمة روح ثورة وانفجار يكتسح ظلم الظالمين، ويقتلع جذور الاستبداد.

---

(١) راجع قصة ابن عفيف في (مقتل الحسين) للخوارزمي ٥٢-٥٥ ج٢ و (البحار) ج٤٥ ص١١٩ نقلاً عن اللهوف ص١٤٦ وعن إرشاد المفيد.

(٢) ارجع (مقتل الحسين) للخوارزمي ص٤٦ والبحار ج٤٥ ص١١٦ نقلاً عن الإرشاد ص٢٢٨.

قل لي بربك: أي رجالات ذلك العصر كان يقدر على القيام بتلك المهمة الشاقة؟ ويقوى على النهوض بذلك العبء الثقيل؟ ـ أليس قصارى أمره ـ مهما بلغ من البسالة والجرأة أن يقول الكلمتين أو الثلاث فيقال: خذوه فاقتلوه، واصلبوه في السبخة أو الكناسة.

دفاع الحوراء زينب عن الإمام زين العابدين (ع):

أليس زي العابدين مع أنه عليل، أسير؟ وحكم الأسير أن لا يقتل، ومع ذلك أمر ابن زياد بقتله لجواب خفيف وقول طفيف، فإن ابن زياد لما سأل عنه وقال: من هذا؟ فقيل له: هو علي بن الحسين، فقال: أليس قد قتل الله علياً؟ فقال (ع): كان لي أخ يقال له علي قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال الإمام: ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها**﴾ الزمر: ٤٢، فقال: أوبك جرأة على رد جوابي؟ يا غلمان خذوا هذا العليل واضربوا عنقه، فتعلقت به زينب وقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت، فإنك لم تبق منا أحداً، فإن عزمت على قتله فاقتلني معه، فقال: عجباً للرحم، فوالله لودت أن تموت دونه، اتركوه لما به.

فكانت زينب هي السبب الظاهر في حفظه، ولولاها لقتل، ولعل هذا من الأسباب التي من أجلها حمل الحسين عياله معه، لعلمه أن زينب تكون هي السبب في حفظ الإمام، وإن لها موقفها الباهر في الدفاع والمفاداة عنه، وكل غرضنا من ذكر هذا المقال أن يتجسم لديك كيف كان الحال في اعتقال الألسن، وإرجاف القلوب ومشق الحسام على أقل كلام.

قيام ودائع النبوة من الأسراء بإظهار الحقيقة:

إذن فمن يقوم برد تلك الأمانة؟ ويؤدي تلك الوديعة؟ وديعة الحق وأمانة الصدق؟ والانتصار للحقيقة وإزهاق الباطل؟.

نعم فُمْنَ بكل تلك الوظائف على أوفى ما يرام وأتم ما يحصل به الغرض، قمن به

ودائع النبوة وحرائر الرسالة، نهضن بتلك الأعباء الثقيلة التي يعجز عنها الأبطال وأسود الرجال.

وكان الحسين (ع) قد علم أن بني أمية مهما بلغوا في خرق النواميس، وهتك الحرمات، والتجاوز على الشناشن العربية، والشرائع الإسلامية، ولكنهم لا يقدرون على قتل النساء، لا يقدرون على قتل امرأة مصابة مفجوعة تكلمت بشيء من الكلام تبريداً لغلتها وتسكيناً للوعتها، ويوم الطف وإن قتل حزب بني سفيان بعض النساء، كما قتلوا كثيراً من الأطفال، ولكن الحرب لها أحكام لا تجري في غيرها.

نعم، لا يستطيع يزيد ولا ابن زياد مهما طغى أحدهما وتكبر أن يقتل ساعة السلم امرأة عزلاء، أسيرة بين يديه، لا تحمل من السلاح إلا قلبها ولسانها، ولا يستطيع أن يمد يده إليها فيضربها وإن تجرأت عليه.

إن زينب لما سودت وجه ابن زياد، ولطمته بتلك اللطمة السوداء بقولها: ثكلتك أمك يابن مرجانة، اسودت الدنيا في عينيه حيث عرف، والحاضرون، ما أرادت، فَهَمَّ أن يضربها، ولكن عمرو بن حريث وهو من أكبر القواد في جند ابن سعد، وكان أميراً على الرجالة أنكر عليه وجاءه بحجة: وهي أنها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، فقال ابن زياد أما تراها كيف تجرأت علي؟ فقال: لا تلام على خطل[1]:

فقدت أعزتها وجل سراتها ... وملاذ هيبتها وخير سناد

تصور مجلس ابن زياد في قصر الإمارة وقد أدخلوا عليه السبايا وفيهم الحرة الحوراء زينب الكبرى، وهو سكران بنشوة الفتح والظفر، ورؤوس الأرباع والأسباع ورؤساء القبائل مثول بين يديه، والدنيا مقبلة بكل وجهها عليه.

دخلت عليه العقيلة وجلست ناحية متنكرة، فأبت نفسه الخبيثة أن يصفح صفح الكرام، ويغضي إغضاء الأماجد، أبت نفسه إلا إظهار الشماتة، ولؤم الملكة، وخبث الظفر، وسوء الاستيلاء.

---

(١) الخطل، هو الخطأ.

ابن زياد يسأل عن الحوراء، وجوابها الشافي له:

فسأل ـ ولا شك أنه عرفها، ولكن أراد أن يتحدّاها ـ وقال: من هذه المتنكرة؟ فقيل له: هي زينب بنت علي، فقال لها قول الشامت الشاتم: أرأيت صنع الله بأخيك الحسين والعتاة المردة من أهل بيته؟ فقالت قول الثابت الجنان، والمتدرع بدلاص اليقين والإيمان، بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج، ثكلتك أمك يا بن مرجانة، فلما لطمته بهذه اللطمة السوداء لم يجد سبيلاً للتشفي والانتقام منها إلا بأسوأ الكلام من السباب والشتم، فقال: الحمد الله الذي قتلكم، وفضحكم، وأكذب أحدوثتكم، فقالت غير طائشة ولا مذعورة: إنما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا.

وقفت زينب بنت علي في مجلس ابن زياد، ومعها الخفرات من أهل بيتها، وهم في قيد الأسار، وذل الصغار، لا ترى أمام عينها إلا عدواً شامتاً، أو كاشحاً شاتماً، أو قاتلاً لحماتها وسراتها، والأيامى واليتامى حولها، كل هذه الشؤون والشجون مما تذيب القلب، وتذهل اللب، وتخرس الألسن، وتميت الفطنة، ولا يستطيع أجلد إنسان أن يتفوه بكلمة في مثل تلك الكوارث.

أفهل تخشى ـ لو تصورت مزايا تلك الرزايا لزينب ـ أن تقول: إن موقفها عند ابن زياد كان يضاهي موقف أنصار الحسين عند جند ابن سعد؟ هل أحسست في تلك الساعة الرهيبة من ابنة علي أمام عدوها القاسي الظالم أن تلجلج لسانها؟ أو اضطرب جنانها؟ أو ظهرت عليها ذرة من الذل والاستكانة؟ أو خضعت وانقطعت؟.

حتى أن ابن زياد لما عجم عودتها ورآها لا تعرف للرهبة وللخوف معنى وخشي أن لا تبقي من هتكه وفضحه باقية، غير من خطته، وتنازل عن غلوائه وشدته، فكان آخر كلامه معها بعد أن شفت غليلها منه: لعمري إنها لسجّاعةٌ، ولقد كان أبوها أسجع منها.

وما كانت تلك السجاعة والشجاعة منها في مرة أو مرتين، بل كانت كلما ضاق بها الأمر واشتدت المحنة، وتجمهر المتفرجون عليهم عند دخولهم الكوفة، وعند خروجهم منها، وفي قصر الإمارة، وفي مجلس يزيد وابن زياد، في كل تلك المواقف تتحدى فتدهش،

وتحتج فتفلج، وتخطب فتعجب، تخطب خطبة البليغ الذي تهيأت له كل أسباب الدعة والراحة والفراغ والطمأنينة، فكانت في الواقع المصداق التام للآية الكريمة التي تقول: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨.

دخول الأسارى إلى الكوفة، ومحاجاتهم:

دخل السبي إلى الكوفة، وهن بحال (يذوب الصفا منها ويشجى المحصّب) فجعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون، فقال علي بن الحسين - وقد أنهكته العلة: تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل الخطاب، ثم تعاظمت الفجيعة عند مجيء الرؤوس فصار النساء والرجال يبكون معاً، فقال (ع): أتبكون وتنوحون لنا؟ إذن فمن الذي قتلنا؟.

قال بشير بن خزيم الأسدي: ونظرت إلى زينب بنت علي يومئذٍ فلم أر خفرة قط أنطق منها، كأنما تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا، فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، ثم قالت:

الحمد لله، والصلاة على أبي محمد وآله، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنّة، إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم[1].

واندفعت كالسيل المنحدر - إلى أن قالت: أتبكون وتنتحبون إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة (إلى أن قالت): ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم، وأي كريمة له أبرزتم، وأي دم له سفكتم، وأي حرمة له انتهكتم، إلى أن قالت:

---

[1] تضمين للآية ٩٢ من سورة النحل.

أفعجبتم أن قطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أذل وأخزى، وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإن ربكم لبالمرصاد.

قال بشر بن خزيم: فوالله لقد رأيت الناس يومئذٍ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً يبكي حتى اخضلت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل لا يذل ولا يخزى[1].

وبعد أن فرغت العقيلة من خطبتها اندفعت فاطمة بنت الحسين بالقول الجزل، مع ثبات جأش، وهدوء بال، فكان خطابها كوخز السنان في الحشى، ولم يتمالك الناس دون أن ارتفعت أصواتهم بالبكاء وعرفوا عظيم الجناية والشقاء، فقالوا لها حسبك يابنة الطاهرين، فقد أقرحت قلوبنا، وأنضجت أكبادنا.

وما سكتت حتى ابتدرت أم كلثوم بنت علي فعرّفتْ الحاضرين عظيم ما اقترفوه، فولول الجميع وكثر الصراخ، ولم ير أكثر - إذ ذاك - باكٍ وباكية منهم.

فموقف زينب، وأم كلثوم، وفاطمة، ورباب، وسكينة في الكوفة والشام بل في كل موقف ومقام كان لايقصر - إن لم يتفوق - على موقف حماتهن وسراتهن يوم الطف، وهل تشك وترتاب في أن الحسين (ع) لو قتل هو وأهل بيته وأصحابه، ولم يتعقبهم قيام تلك الحرائر في تلك المقامات، بتللك التحديات، لذهب قتله وقتل من معه جبارى، ولم يطلب به أحد ثاراً، ولضاع دمه هدراً، ولم يكن قتله إلا كقتل عبد الله بن الزبير، وأخيه مصعب وأمثالهما ممن خمد ذكرهم، وضاع وترهم.

نعم لا يرتاب لبيب عارف بأسباب الثورات، وتكوين الانقلابات في الأمم، وتهيج الرأي العام في أن أقوى سببٍ لذلك هو الخطابة، والسحر البياني الذي يؤثر في العقول.

---

(١) راجع الخطبة (في مقتل الحسين) للخوارزمي ج٢ ص٤٠ ونقلها السيّد المقرم في المقتل ص٢٠٢ عن كل من أمالي الطوسي والملهوف لابن طاووس، وعن ابن نما، وابن شهر آشوب والطبرسي وذكرها المجلسي في البحار ج٤٥ ص١٠٨.

وإذا استحضرت واقعة الطف المفجعة وتواليها تعلم حقاً أنه ما قلب الفكرة على بني سفيان وانقرضت دولة يزيد بأسرع زمان إلاّ من جراء تلك الخطب والمقالات التي لم يقدر أي رجل في تلك الأوقات الحرجة على القيام بأدنى شيء منها، فقد تسلسلت الثورات والفتن على يزيد من بعد فاجعة الطف إلى أن هلك يزيد، كنهضة جمعية التوابين، وتلاها قيام المختار لأخذ الثار، وتعقبتها واقعة الحرة التي هلك بعدها يزيد بأيام قليلة، ما كان كل ذلك إلا من أثر تلك المواقف المشهورة لزينب وأخوتها.

فكان الحسين (ع) يعلم أن هذا العمل لابد منه، وأنه لا يقوم به إلا تلك العقائل، فوجب عليه حتماً أن يحملهن معه لتكميل الغرض وبلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد، والمبادرة إلى القضاء عليها قبل أن تقضي على دين الإسلام.

ولقد أجاد السيد جعفر الحلي حيث يقول:

وصان ستر الهدى عن كل خائنة ... ستر الفواطم يوم الطف إذ هتكا

نفسي الفداء لفاد شرع والده ... بنفسه وبأهليه وما ملكا

المجلس الخامس عشر

تشبيه خروج الحسين (ع) من المدينة بخروج موسى بن عمران

ما خلت إن الدهر من عاداته ... تروى الكلاب به ويظمى الضيغم

ويقدم الأموي وهو مؤخر ... ويؤخر العلوي وهو مقدم

مثل ابن فاطمة يبيت مشرداً ... ويزيد في لذاته متنعم

يرقى منابر أحمد متأمراً ... في المسلمين وليس ينكر مسلم

ويضيق الدنيا على ابن محمد ... حتى تقاذفه الفضاء الأعظم

خرج الحسين من المدينة خائفاً ... كخروج موسى خائفاً يتكتم[1]

مثّل هذا الأديب الشاعر السيد جعفر الحلي خروج الحسين (ع) من المدينة بخروج موسى بن عمران (ع)، لأن كلاً منهما خرج من وطنه خائفاً.

السبب في خروج موسى خائفاً

أما موسى فكان السبب في خروجه خائفاً ـ على ما أشار إليه القرآن المجيد في استعراض قصته، وذكره المؤرخون والمفسرون ـ أنه دخل ذات يوم إلى المدينة، وهي مدينة مصر، وكان دخولها إليها على حين غفلة من أهلها، وذلك بين المغرب والعشاء، إذا رأى رجلين يقتتلان ويختصمان في الدين، أحدهما من بني إسرائيل وكان مسلماً على دين

---

(١) أبيات من قصيدة عصماء لشاعرها السيد جعفر الحلي تجدها في (الدر النضيد) ص١٩٢، وهي من قصائده الطوال الغراء.

إبراهيم وأبنائه، والآخر من آل فرعون وكان كافراً قبطياً، وحسب النص القرآني: (هذا من شيعته وهذا من عدوه) أي هذا من أتباعه في دينه، وهذا من مخالفيه وأعدائه.

فلما مر بهما موسى استغاث به الإسرائيلي أي استنصره، وبما أن الأنبياء والصلحاء من شأنهم - في مثل تلك المواقف - الإصلاح فمقتضى الحال أن موسى (ع) قال للفرعوني: دعه وخلِّ سبيله، فأبى أن يخلّي عنه، فغضب موسى، فوكزه، أي دفعه عنه، أو ضربه ضربة تأديب فقضى عليه، ولم يكن قاصداً قتله.

معنى قتل موسى للفرعوني، وأقسام القتل

والظاهر أن قتل موسى للفرعوني كان قتل شبه العمد، حيث أن الفقهاء يقولون ما معناه أن القتل ثلاثة أقسام، قتل العمد، وهو أن يقصد الفعل والقتل معاً كمن طعن آخر بسكين أو ضربه بسيف قاصداً نفس الطعن، أو نفس الضرب بالسيف مع القتل أيضاً، وكذلك إذا قصد الفعل القاتل عادة فقط، أي قصد طعنه في قلبه، أو ضربه بسيفه القاتل ولكنه لم يقصد قتله، فإن هذا من قتل العمد.

والقسم الثاني من القتل قتل الخطأ المحض، بأن يكون مخطئاً في قصده وفعله، كَمَنْ رمى حيواناً ليصيده مثلاً فأصاب إنساناً، فإن الإنسان غير مقصود لا بالرمي ولا بالقتل.

والقسم الثالث قتل شبه العمد، وذلك بأن يكون عامداً في فعله مخطئاً في قصده، وذلك كمن ضرب صبياً للتأديب، أو غير صبي فمات فإن الضرب مقصود، والقتل غير مقصود، وفي قتل الخطأ، وشبه العمد تتعين الدية أو العفو، ولا يجوز القصاص إلا من قتل العمد فقط.

فقتل موسى للفرعوني كان من نوع شبه العمد، لأنه قصد وكزه أي دفعه، أو ضربه، ولم يكن قاصداً قتله، ولكنه مات بتلك الوكزة، ﴿**فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ**﴾.

فبعد ذلك أصبح موسى في المدينة وهو خائف مترقب للأخبار بنتيجة عمله عند

فرعون وقومه، ولما بلغ فرعون الخبر أخيراً أمر السيافين بقتل موسى، فجاء حزقيل، وهو مؤمن آل فرعون إلى موسى وأخبره الخبر، قال: ﴿**يا مُوسى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ**﴾. أي أن الأشراف من آل فرعون يأمر بعضهم بعضاً بقتلك، وحيث أن على المؤمن نصيحة أخيه المؤمن لذا قال ناصحاً له: ﴿**فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**﴾.

فعند ذلك قبل موسى هذه النصيحة، وخرج من المدينة خائفاً مترقباً ﴿**فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾.

وسار حتى انتهى إلى مدينة شعيب، فأمن بها ونجا من فرعون، ولو بقي في مصر ولم يخرج لقتل، فهذا هو السبب في خروج موسى خائفاً.

السبب في خروج الحسين (ع) خائفاً

أما السبب في خروج الحسين (ع) خائفاً هو أنه لما امتنع من بيعة يزيد بن معاوية، وبلغ يزيد ذلك، كتب إلى عامله على المدينة وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان يأمره بقتل الحسين على الفور، وإرسال رأسه إليه، فلما علم الحسين بذلك خرج من المدينة خائفاً حتى انتهى إلى مكة، ولو بقي في المدينة ولم يخرج لقتل.

وكان خروجه من المدينة ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستين من الهجرة، وكان (ع) يتلو عند خروجه هذه الآية: ﴿**فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ ودخل مكة يوم الجمعة الثالث من شعبان دخلها وهو يقرأ: ﴿**وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ**﴾ فإلى هذا يشير السيد جعفر الحلي بقوله:

خرج الحسين من المدينة خائفاً ... كخروج موسى خائفاً يتكتم

الفوارق بين خروج الحسين وخروج موسى

ولكن فرق عظيم بين خروج الحسين وخروج موسى (ع)، لأن موسى خرج من مدينة فرعون وهي مدينة شر خلق الله، مدينة يعبد فيها فرعون من دون الله، فلا أسف

على الخروج منها، والحسين خرج من مدينة جده رسول الله (ص)، وهي مدينة خير خلق الله، مدينة العز والجلالة ومهبط الوحي والرسالة، فيحق التأسف بل الحزن والبكاء على الخروج منها، ولذلك خرج الحسين منها متأسفاً متلهفاً، على كره منه، كما قال (ع) لجده عند وداعه إياه: يا رسول الله إني خارج من جوارك كرهاً، وفرقوا بيني وبينك حيث أني لم أبايع ليزيد، شارب الخمور، وراكب الفجور، وفاعل الشرور، فإن أنا فعلت كفرت، وأن أبيت قتلت، وها أنا خارج من جوارك على كرهٍ مني، فعليك السلام يا سيدي[1].

موسى خرج وحده، خائفاً على نفسه فقط، والحسين خرج ومعه عياله وأهل بيته، وهم جميعاً في غاية الخوف والحزن والاضطراب، حتى ورد عن سكينة أنها قالت: خرجنا من المدينة وما أهل بيت أشد غماً ولا خوفاً من أهل رسول الله[2].

موسى لما وصل إلى مدين أمن ونجا من أعدائه، والحسين لما وصل إلى مكة، وهي حرم الله، وقد جعلها الله أماناً لكل خائف، ومع ذلك لم يأمن من بها، لأن يزيد دسّ مع الحاج في تلك السنة ـ ثلاثين رجلاً من مردة بني أمية وشياطينهم وأمرهم بقتل الحسين أين ما وجدوه، ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

ففرق عظيم بين خروج موسى وخروج الحسين، وأيضاً موسى خرج يتكتم، والحسين لزم الطريق الأعظم حتى قال له ابن عمه مسلم بن عقيل: يا بن رسول الله لو عدلنا عن الطريق وسلكنا غير الجادة كما فعل عبدالله بن الزبير، كان عندي هو الرأي المختار، فإني أخاف أن يلحقنا الطلب، فقال الحسين: لا والله يا بن العم، لا فارقت هذا الطريق أبداً، أو أنظر أبيات مكة أو يقضي الله في ذلك ما يحب ويرضى[3].

ملاقاة عبد الله بن مطيع العدوي للحسين (ع)

وبينما هو يسير إذ لقيه ـ في طريقه ـ عبد الله بن مطيع العدوي فقال له: يا بن رسول

---

(١) معالي السبطين: ج١ ص١٣٠ نقلاً عن بعض المقاتل.

(٢) المصدر السابق ص١٣٧.

(٣) راجع (مقتل الحسين) للخوارزمي ص١٨٩ ومعالي السبطين ج١ ص١٣٧.

الله جعلت فداك إلى أين تريد؟ فقال: أما في وقتي هذا فإني أريد مكة، فإذا صرت إليها فأستخير الله، فقال: خار الله لك، وجعلنا فداك، فإذا أتيت مكة فإياك أن تقرب الكوفة فإنها بلدة مشؤومة بها قتل أبوك، وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، الزم الحرم فإنك سيد العرب في دهرك هذا، لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً، فيتداعى إليك الناس من كل جانب، لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي، فوالله لئن هلكت لنسترقن بعدك[1].

ثم ودعه الحسين ودعا له بالخير، وتصور - في تلك الساعة - مصائب الدهر وفجائعه فأنشأ يقول:

يا نكبات الدهر دولي دولي ... واقصري إن شئت أو أطيلي
رميتني رمية لا مقيل ... بكل خطبٍ فادحٍ جليل
أول ما رزيت بالرسول ... وبعد بالطاهرة البتول
والوالد البر بنا الوصول ... وبالشقيق الحسن النبيل
والبيت ذي التأويل والتنزيل ... مالك عني اليوم من عدول

وحسبي الرحمن من منيل[2].

وصول الحسين إلى مكة، وكتب أهل الكوفة إليه

وسار الحسين (ع) حتى دخل مكة - كما ذكرنا - في الثالث من شعبان، فنزل بها، وأقام فيها بقية شعبان وشهر رمضان وشوال وذي القعدة وثمان ليالٍ من ذي الحجة، وفي هذه المدة كان الناس يختلفون إليه من أهل مكة، ومن كان بها من المعتمرين، وأهل الآفاق.

هذا وقد بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية، وامتناع الحسين من بيعة يزيد، وخروجه إلى مكة فاجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، وهو يومئذٍ من وجوه الشيعة،

---

(١) راجع المصدرين السابقين.

(٢) مالي السبطين ص١٣٧.

فلما تكاملوا قام سليمان فيهم خطيباً، وقال في خطبته بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله (ص): يا معشر الشيعة إنكم قد علمتم بأن معاوية قد هلك، وصار إلى ربه وقدم على عمله وقد جلس في موضعه ابنه يزيد، وهذا الحسين بن علي قد خالفه وصار إلى مكة هارباً من طواغيت آل أبي سفيان، وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الفشل والوهن فلا تغروا الرجل في نفسه.

فأجاب أكثر الحاضرين وقالوا: لا، بل نقاتل عدوه ونقتل أنفسنا دونه، فقال سليمان: اكتبوا إليه، فكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى الحسين بن علي (ع) من سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نخبة، ورفاعة بن شداد البجلي، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فالحمد لله الذي قصم عدوك، وعدو أبيك من قبل، الجبار، العنيد الغشوم الظلوم، الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمر عليها بغير رضىً منها ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولةً بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمودوإنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا على الحق، وأن النعمان بن بشير (وهو الوالي يومئذٍ على الكوفة من قبله) في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا، أخرجناه حتى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام عليك يابن رسول الله وعلى أبيك وأخيك ورحمة الله وبركاته.

ثم سرّحوا الكتاب مع عبد الله بن مسمع الهمداني، وعبد الله بن وال، وأمروهما بالنجا، فخرجنا مسرعين حتى قدما على الحسين بمكة لعشر مضين من شهر رمضان[1].

ثم لبث أهل الكوفة يومين بعد تسريحهم بالكتاب، وأنفذوا قيس بن مسهر الصيداوي ومعه جماعة من أهل الكوفة إلى الحسين (ع) ومعهم نحو مائة وخمسين صحيفة من الرجل

---

(١) راجع (مقتل الحسين) للخوارزمي ج١ ص١٩٣-١٩٥، والبحار ج٤٤ ص٣٣٢-٣٣٤ وغيرهما.

والإثنين والأربعة، وهو مع ذلك يتأنى ولا يجيبهم، وأخذت الكتب تتواتر عليه حتى ورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب، ثم لبثوا يومين آخرين وسرحوا إليه هانئ بن هانئ السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي وكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم إلى الحسين بن علي من شيعته من المؤمنين والمسلمين، أما بعد:

فحيَّ هلا، فإن الناس ينتظرونك، ولا رأي لهم في غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل، والسلام.

ثم كتب إليه شبث بن ربعي وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث بن رويم، وعروة بن قيس وعمرو بن حجاج الزبيدي، ومحمد بن عمرو التميمي: أما بعد فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فإذا شئت فأقبل على جند لك مجندة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى أبيك من قبلك[1].

وهكذا تواترت الكتب عليه حتى اجتمع عنده منها في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب، وحمل معه من تلك الكتب خرجين مملوئين من كتبهم[2].

وفي كتاب (التبر المذاب): كثرت عليه الكتب، وتواترت عليه الرسل، وكتبوا إليه: إنك إن لم تصل إلينا فأنت آثم لوجود الأنصار على الحق، وتمكنك من القيام به، فإنك أصله وعموده وأهله ومعدنه[3].

وفي كتابه (القمقام): إنا قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الصلاة مع الولاة، فأقدم فنحن في مائة ألف، فقد فشى فينا الجور، وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة نبيه، ونرجو أن يجمعنا الله بك على الحق، وينفي عنا بك الظلم، فأنت أحق بهذا الأمر من يزيد وأبيه الذي غصب الأمة فيأها، وشرب الخمور، ولعب بالقردة والطنابير، وتلاعب بالدين[4]، وأجاد

---

(١) راجع البحار ج٤٤ ص٣٣٤ وغيره.

(٢) معالي السبطين ج١ ص١٤٠.

(٣) معالي السبطين ج١ ص١٤٠.

(٤) ما نقلناه عن (التبر المذاب) والقمقام بواسطة معالي السبطين ص١٤٠.

من قال :

قد بايعوا السبط طوعاً منهم ورضاً ... وسيروا صحفاً بالنصر تبتدر

إقدم فإنا جميعاً شيعة تبع ... وكلنا ناصر والكل منتظر

أقبل وعجل قد اخضر الجناب وقد ... زهت بنظرتها الأزهار والثمر

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته ... خلد الجنان إذ النيران تستعر

لا رأي للناس إلا فيك فَأْتِ ولا ... تخشَ اختلافاً ففيك الأمر منحصر

وآثموه إذا لم يأتهم فأتى ... قوماً لبيعتهم بالنكث قد حفروا

فعاد نصرهم خذلاً وخذلهم ... قتلاً له بسيوف للعدى ادخروا

يا ويلهم من رسول الله كم ذبحوا ... ولداً له وكريمات له أسروا

الفصل الثالث:

ما يتعلق بإقامة الحسين (ع) بمكة حتى خروجه منها

المجلس السادس عشر

غدر المجرمين من أهل الكوفة بالحسين (ع)، وعلمه بغدرهم:

إذا ما سقى الله البلاد فلا سقى ... معاهد كوفان بنوء المرازم

أتت كتبهم في طيهن كتائب ... وما رقمت إلا بسم الأراقم

لخير إمام قام في الأمر فانبرت ... له نكبات أقعدت كل قائم

إذا ذكرت للطفل حل برأسه ... بياض مشيب قبل شد الثمائم

أن اقدم إلينا يابن أكرم من مشى ... على قدم من عربها والأعاجم

فكم لك أنصاراً لدينا وشيعة ... رجالاً كراماً فوق خيل كرائم

فودع مأمون الرسالة وامتطى ... متون الرواسي لا الهجان الرواسم

وجشمها نجد العراق تحفه ... مصاليت حربٍ من ذؤابة هاشم

قساورة يوم القراع رماحهم ... تكفلن أرزاق النسور القشاعم

مقلدة من عزمها بصوارم ... لدى الروع أمضى من حدود الصوارم

أشد نزالاً من ليوث ضراغم ... وأجرى نوالاً من بحور خضارم

يلبون من للحرب غير محاربٍ ... كما أنه للسلم غير مسالم

كمي ينحيه عن الضيم معطس ... عليه إباء الضيم ضربة لازم
ومذ أخذت في نينوى منهم النوى ... ولاح بها للغدر بعض العلائم
غدا ضاحكاً هذا وذا متبسماً ... سروراً وما ثغر المنون بباسم
لقد صبروا صبر الكرام وقد قضوا ... على رغبة منهم حقوق المكارم

يقول هذا الأديب الشيخ صالح التميمي في الأبيات المتقدمة:

أتت كتبهم في طيهن كتائب ... وما رقمت إلا بسم الأراقم

تواتر كتب أهل الكوفة على الحسين (ع)

نعم أتتت كتب أهل الكوفة إلى الحسين (ع) بعد قدومه إلى مكة، وتواترت عليه، حتى ورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب، وحتى اجتمع عنده منها، في نوب متفرقة - اثنا عشر ألف كتاب، وجمع منها خرجين مملوءين صحفاً ينادون فيها بصوت واحد:

أن إقدم إلينا يابن أكرم ن مشى ... على قدم من عربها والأعاجم
فكم لك أنصاراً لدينا وشيعة ... رجالاً كراماً فوق خيل كرائم

ولكنه لما حل بين ظهرانيهم غدر به المجرمون منهم، وانقلبوا عليه وشهروا سيوفهم في وجهه ووجوه أهل بيته وأصحابه.

غدر المجرمين بأمير المؤمنين (ع) ليلة الهرير بصفين

وليس هذا بأول غدر من المجرمين من أهل الكوفة بأهل البيت، بل غدروا من قبل بأبيه أمير المؤمنين وسيد الوصيين يوم صفين حين رفع أصحاب معاوية المصاحف على أطراف الرماح، وذلك ليلة الهرير بصفين حيث قتل - في ليلة الهرير ويومه - من أصحاب أمير المؤمنين (ع) أربعة آلاف فارس وراجل، ومن أصحاب معاوية اثنان وثلاثون ألفاً غير الجرحى[1] حتى قيل صارت الدماء تجري على الأرض جري الماء.

---

(١) راجع كتاب (المناقب) لابن شهر آشوب ج٣ ص١٨١.

ولما رأى معاوية ذلك وعاين كثرة القتلى من أصحابه وتضعضع عسكره اضطرب اضطراباً شديداً، فأقبل على عمرو بن العاص وقال له: ويحك يا عمرو، هلم لنا من حيلك ومكائدك فقد هلكنا؟ فقال له عمرو: ليس لنا إلا أمر واحد لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة، قال: وما هو؟ قال عمرو: تأمر الجيش من كان معه مصحف يرفعه على رأس الرمح، وينادون جميعاً: هذا كتاب الله بيننا وبينكم يحكم بالحق، فإنك بالغ به حجتك في القوم، وإني لم أزل أواخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه، فقال معاوية: صدقت، وإنه لنعم الرأي.

فلما أصبح أمر أصحابه برفع المصاحف على أطراف الرماح، فكثر في الجيش رفع المصاحف، قال ابن أبي الحديد: وكان عددها خمسمائة مصحف، ومصحف جامع دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح[1]. وهم ينادون: هذا كتاب الله بيننا وبينكم يحكم بالحق، ومن لثغور الشام بعد أهل الشام، ومن لثغور العراق بعد أهل العراق، ومن لجهاد الروم والترك والكفار.. الخ.

فعند ذلك غدر الجاهلون والمجرمون من أهل الكوفة بأمير المؤمنين (ع) حتى اقبل إليه زهاء عشرين ألفاً منهم مقنعين بالحديد شاهرين سيوفهم على عواتقهم فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين: يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فوا الله لنفعلنها إن لم تجبهم.

فقال (ع) لهم: ويحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، وإني إنما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونقضوا عهده ونبذوا كتابه.

ثم قال: أيها الناس إني أحق من أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية، وعمرو بن العاص وابن أبي معيط، وابن أبي سرح، وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم صحبتهم صغاراً ورجالاً فكانوا شر صغار وشر رجال، ويحكم إنها كلمة

---

(١) راجع تفاصيل (ليلة الهرير) في (شرح النهج) لابن أبي الحديد ج١ ص١٨٣ وما بعدها.

حق يراد بها باطل، وإنهم لا يعرفونها ولا يعلمون بها، وما رفعوا المصاحف إلا للخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

فلم يقبلوا قوله، بل قالوا له: أجب القوم إلى كتاب الله وإلا سلمناك إلى معاوية، فهذا غدرهم بأمير المؤمنين (ع).

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

غدر المجرمين بالحسن الزكي بعدما بايعوه

ثم غدروا من بعده بابنه الحسن الزكي، وذلك لما قبض أمير المؤمنين (ع) بايعه أهل الكوفة جميعاً على أن يحاربوا من حارب ويسالموا من سالم، وقالوا له: أنت خليفة أبيك ووصيه، ونحن السامعون المطيعون، وأعطوه بذلك العهد والميثاق، ولكن الكثير منهم كذبوا في مقالتهم، ونقضوا عهودهم ومواثيقهم، لأنه لما بلغ الحسين (ع) أن معاوية أقبل إلى العراق في عسكر عظيم عازماً على الحرب استنهضهم لقتاله وذكر لهم عهودهم ومواثيقهم، وأمرهم بالخروج معه، فلم يخرج معه إلا القليل، حتى أنه (ع) عسكر بالنخيلة عشرة أيام فلم يحضر عنده إلا أربعة آلاف، وكان قد بايعه - على رواية - اثنان وتسعون ألفاً.

وكان الحسن (ع) قد بعث بالكتيبة الأولى من جيشه بقيادة ابن عمه عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وعددها اثنا عشر ألفاً، والتي كانت هي عمدة الجيش فسار بها حتى وصل إلى مسكن ونزل بها، وقابل فيها معاوية وجيشه وجهاً لوجه، وقد قام معاوية بدوره بعمليات التخريب والإفساد بكل وسيلة للقضاء على أصالة هذه الكتيبة وتمزيق وحدتها، وإماتة نشاطها العسكري فنشر بها المخاوف والأراجيف، وبث فيها العصيان والتمرد، من بث الجواسيس بالدعايات الكاذبة من أن الحسن يكاتبه على الصلح وأمثال ذلك من الدعايات، ومن شراء الضمائر الرخيصة من قادة الجيش وزعمائه ببذل الأموال

الضخمة، ووعدهم بالوضائف والمراتب، وإغرائه لعبيد الله بأن الحسن قد راسله في الصلح، وبعث إليه بإعطائه ألف ألف درهم، وأن يعطيه نصفها معجلاً والنصف الآخر مؤجلاً إن هو ترك الجيش والتحق به.

بهذه المواعيد الكاذبة والأراجيف وغيرهما التحق من تلك الكتيبة ثمانية آلاف بمعاوية، والتحق معهم أخيراً عبيد الله نفسه، وكتب بعض الباقين إلى معاوية كتباً ضمنوا فيها الفتك بالحسن عند دنوه من معسكره، وقد أرسل معاوية إلى الحسن تلك الكتب، وأطلعه بنيات أصحابه بغدرهم به، وآخر ما صنعوا معه قبل الصلح من الغدر أنهم أغاروا على رحل الحسن وانتهبوا كل ما في فسطاطه، وطعنوا بالخنجر فخذه، وأرادوا تسليمه إلى معاوية قبضا باليد، وحتى قال له بعضهم: أشركت يا حسن كما أشرك أبوك من قبل.

وهكذا غدروا من بعده بأخيه الحسين (ع) كما سمعت والسبب في غدر الكثير من الناس من أهل الكوفة ومن غيرهم بأهل البيت (ع) هو - باختصار - أن أهل البيت مع الحق والصدق، وطبيعة الكثير من الناس كره الحق والصدق كما قال تعالى في محكم كتاب المجيد: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ الزخرف: ٧٩.

علم الإمام المستمد من الله تعالى

ولم يكن يخفى على الحسين (ع) غدر الغادرين به من أهل الكوفة بل كان عالماً بغدرهم، لأنه إمام من الله على عباده بعد جده وأبيه وأخيه، بشهادة النبي (ص) وله ولأخيه الحسين حيث قال: (ص) لهما: أنتما الإمامان ولأمكما الشفاعة[1].

وقوله (ص) في الحسين: هذا إمام، ابن إمام، وأخو إمام، وأبو أئمة تسعة[2].

ومما اشتهر بين المسلمين قوله (ص): الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا.

---

(١) نقل هذا الحديث القرشي في كتابه (الإمام الحسين بن علي) ج١ ص١٠٢ عن (نزهة المجالس) ج٢ ص٨٤ للصفوري الشافعي الإتحاف بحب الأشراف ص١٢٩ للشبراوي الشافعي.

(٢) راجع (منهاج السنة) لابن تيمية ج٤ ص٢١٠ على ما نقل عنه القرشي في الإمام الحسين بن علي ج١ ص١٠٢ وراجع (مقتل الحسين) للخوارزمي ص١٤٦، وينابيع المودة ص٢٥٨.

وفي نص: الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا[1].

والمعلوم أن الإمام إذا سقط من بطن أمه جعل الله له عموداً أو مصباحاً من نور يبصر به ما يعمل أهل كل بلد، والإمام يعلم بما كان وما يكوةن وما هو كائن إلى يوم القيامة، ويستمد الإمام علمه هذا من الله بواسطة صحائف الأعمال وبواسطة العلم الإلهامي، ومن جده رسول الله (ص)، وإذا كان ذلك كذلك وهو الواقع إذن كيف يخفى على الحسين غدرهم به، والحال كان سائر الناس قد علموا بأن أهل الكوفة سيغدرون بالحسين لما شاهدوا من غدرهم بأمير المؤمنين وابنه الحسن.

نصيحة جماعة من أقارب الحسين (ع) له بعدم المسير إلى الكوفة

ولذا لما عزم الحسين (ع) على المسير إليهم نصحه جماعة من أقاربه وأخصائه بعدم المسير إليهم، فقد دخل عليه عبد الله بن عباس وقال له: يابن العم بلغني أنك تريد العراق وإنهم أهل غدر، وإنما يدعونك للحرب، فلا تعجل وأقم بمكة، ودخل أخوه محمد بن الحنفية وقال له: يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم ومكرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم بمكة فإنك أعز من في الحرم المشرف وأمنعه.

ودخل عليه أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي وقال له: يا بن عم إن الرحم يظأرني عليك، (أي يدفعني عليك بالعطف والحنو)، وةلا أدري كيف أنا في النصيحة لك، فقال له الحسين (ع): يا أبا بكر ما أنت من يستغش ولا يتهم، فقل، فقال: كان أبوك أقدم سابقة، وأحسن في الإسلام أثراً، وأشد بأساً، والناس له أرجى، ومنه أسمع وعليه أجمع، فسار إلى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام، وهو أعز منه، فخذلوه وتثاقلوا عنه، حرصاً على الدنيا، وضناً بها، فجرعوه الغيظ، وخالفوه حتى صار إلى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه، ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا،

---

(١) راجع (البحار) للمجلسي ج٤٣ ص٢٧٨ والإمام الحسن بن علي ج١ ص١٠٢.

وقد شهدت ذلك كله ورأيته، ثم أنت تريد أن تسير إلى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعدّ منك وأقوى، والناس منه أخوف، وله أرجى، فلو بلغهم مسيرك إليهم لاستطغوا الناس بالأموال، وهم عبيد الدنيا، فيقاتلك من وعدك أن ينصرك، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره، فاذكر الله في نفسك، فقال له الحسين: جزاك الله خيراً يا بن عم فقد أجهدت رأيك، ومهما يقضي الله يكن، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبك يا أبا عبد الله[1].

إخبار الحسين (ع) عن مصرعه ومصرع أصحابه وأهل بيته

والحاصل أنه كان سائر الناس قد علموا بأن أهل الكوفة سيغدرون بالحسين، فالحسين (ع) من باب الأولى أن يكون عالماً بغدرهم به، وإنما سار إليهم لأنه أراد أن يضحي بنفسه ونفوس أصحابه وأهل بيته إحياء لدين جده.

وقد أخبر (ع) بمصرعه ومصارعهم مراراً عديدة، ومن ذلك ما رواه السيد ابن طاووس في (اللهوف) نقلاً عن أبي جعفر الطبري (الإمامي) بسنده عن أبي محمد الواقدي، وزرارة بن صالح قالا:

لقينا الحسين قبل خروجه إلى العراق بثلاثة أيام فأخبرناه بهوى الناس بالكوفة، وإن قلوبهم معه، وسيوفهم عليه، فأومأ بيده إلى الملائكة، ولكني أعلم علماً يقيناً أن هناك مصرعي، ومصارع أصحابي وأهل بيتي لا ينجو منهم إلا ولدي علي[2].

ويعني به ولده علياً زين العابدين (ع)، وكان الأمر كما أخبر، قتل معه جميع أصحابه وأهل بيته، ما عدا علياً زين العابدين فإن الله أنجاه من القتل، حيث أراد أعداؤه قتله مراراً ولكن الله حال بينهم وبين ما يريدون لأنه هو الإمام القائم بعد أبيه (ع).. الخ.

---

(١) راجع (مروج الذهب) للمسعودي ج٣ ص٥٦، ونقله عن (مروج الذهب) وعن (تاريخ الطبري) ج٦ ص٢١٦ القرشي في حياة الإمام الحسين ج٣ ص٢٨-٢٩ وراجع (معالي السبطين) ج١ ص١٥٣.

(٢) راجع البحار ج٤٤ ص٣٦٤ فيما نقل عن ابن طاووس، وراجع (دلائل الإمامة) للطبري الإمامي ص٧٤.

المجلس السابع عشر

رسائل الحسين (ع) إلى زعماء البصرة

يدعوهم إلى طاعته ونصرته

لما خرج الحسين (ع) من المدينة المنورة ونزل بمكة المشرفة كاتب جماعة من أشراف البصرة ورؤسائها على يد مولى له اسمه سليمان، ويكنى أبا رزين، يدعوهم برسائله إلى بيعته ونصرته ولزوم إطاعته، التي ألزمهم الله تعالى بها، وألزم غيرهم من سائر عباده المؤمنين في آية أولي الأمر وهي قوله عز من قائل:

آية أولي الأمر، ومن هم؟.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ النساء: ٦٠.

لنقف قليلاً عند هذه الآية الكريمة ونتدبر مفادها ثم نعود إلى موضوعنا الذي ابتدأنا به فنقول: نرى أن الله عز وجل قد أمرنا في هذه الآية الكريمة بإطاعة أولي الأمر بعد إطاعته وإطاعة رسوله (ص) ولكن من هم أولوا الأمر؟ فالمفسرون مختلفون فيهم، ويذكرون أقوالاً عديدة في تفسير المراد من أولي الأمر.

فمنهم من يقول: إنهم الخلفاء الراشدون الأربع.

ومنهم من يقول: أنهم خلفاء المسلمين، وأمراء السرايا.

ومنهم من يقول: هم العلماء الذين يفتون الناس في الأحكام الشرعية.

ومنهم من يقول: هم اصحاب رسول الله (ص).

ومنهم من يقول: هم أهل الحل والعقد.

ومنهم من يقول: أن أولي الأمر يعم كلاً من الخلفاء والسلاطين والعلماء والصحابة وأهل الحل والعقد، هذا مختصر أقوال أهل السنة، ومفسريهم، حسب آرائهم التي يذكرونها.

وأما الشيعة الإمامية فمجمعون على أن المراد من أولي الأمر انهم الأئمة المعصومون الاثنا عشر، وهم علي والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين (ع) فقط، وقد يشمل أيضاً من يعينونه هم من ولاتهم وسفرائهم الخاصين، ووكلائهم العامين بشرائط معينة تبعاً لإطاعتهم المأمور بها في الآية.

وهنا لما حصل الاختلاف في المراد من أولي الأمر يلزمنا أن نرجع إلى الدليل القاطع من كتاب ربنا وسنة نبينا (ص) لقوله تعالى في الآية الكريمة نفسها: ﴿**فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾.

الرجوع إلى الدليل من الآية الكريمة والإجماع

ونرجع - في هذا الموضوع - أول ما نرجع إلى الدليل من الآية الكريمة نفسها في معرفة أولي الأمر، وفيها البيان الشافي والكافي، فنرى أن الله تبارك وتعالى قد أمر المؤمنين أولاً بإطاعته المطلقة بقوله: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله) ثم قال ثانياً: (وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) فنقول في هذا النص الثاني: أولاً قوله تعالى: (منكم) من هنا أما للتبعيض، أي أن أولي الأمر بعض المؤمنين لا كلهم، أو للجنس، أي أنهم من جنسكم بشر من المؤمنين، ولكن لهم مزية خاصة أهلتهم لتصدي هذا المنصب العظيم وهو وجوب الطاعة المطلقة لهم.

ثانياً: إن هذا البعض، أو هذا الجنس من المؤمنين سماه بأولي الأمر، أي أنهم هم

أهل الأمر الحقيقي والواقعي الذين يجب أن يطاعوا دون غيرهم، أو أنهم هم أهل الشأن الذين يطاعون، وهذا القول الثاني هو الأقرب إلى الحقيقة.

ثالثاً: إن الله أمر بإطاعتهم على سبيل الجزم والقطع المطلق، من دون أي قيد أو شرط، وكل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع المطلق يجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، وثبت بهذا أن أولي الأمر المذكورين في هذه الآية الكريمة معصومون، وبالإجماع أن ما عدا الأئمة الاثني عشر من أئمة الهدى، وفاطمة بضعة رسول الله (ص) غير واجبي العصمة، أو غير المعصومين، فتعين المراد من أولي الأمر الأئمة الأطهار الذين أنزل الله فيهم آية التطهير، وآية المودة، وآية المباهلة، وغيرها من الآيات الكثيرة النازلة فيهم، والدالة على عصمتهم، وطاعة غيرهم من ولاتهم وسفرائهم إنما تكون تبعاً لهم، فالآية ـ خاصة فيهم فقط ـ.

رابعاً: ويؤيد هذا المفهوم كله هو أن الله قرن إطاعة أولي الأمر بإطاعة الرسول (ص) تماماً وكمالاً من دون أي فرق حيث ذكر لهما معاً طاعة واحدة، وبأمر واحد فقال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ والرسول معصوم، فلابد إذن أن يكون أولوا الأمر معصومين أيضاً وهم الأئمة الطاهرون من عترة رسول الله (ص).

الرجوع إلى الدليل من السنة النبوية

فهذا دليل الكتاب، ومن الآية نفسها، والإجماع، أما دليل السنة النبوية فنقول: هؤلاء الأئمة الطاهرون من عترة رسول الله (ص) هم الذين قرنهم رسول الله (ص) في حديث الثقلين والخليفتين ـ بالكتاب العزيز الذي: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) فصلت: ٤٣، فقال (ص): إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

وهذا هو الحديث المتواتر عند جميع المسلمين في لفظه ومعناه، والذي رواه عن

النبي(ص) أكثر من خمس وثلاثين صحابياً في نصوص عديدة[1].

وقد روته الصحاح والسنن والمسانيد، وكتب التفسير والفضائل والمناقب والتاريخ.

وهم أيضاً الذين مثلهم النبي (ص) بسفينة نوح التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هل وقد أجاد من قال:

هم السفينة فاز الراكبون بها ومن تخلف عنها صار في تيه

وحديث السفينة من الأحاديث النبوية الشهيرة والمتواترة بل تجاوز حد التواتر، ورواه عن النبي (ص) أكثر من ثمانية من القرابة والصحابة ويستند - في مصادره - إلى رؤساء المذاهب وأهل الصحاح والسنن والمسانيد، وأئمة التفسير والتاريخ والحديث والفضائل والمناقب.

وهم أيضاً الذين ذكرهم النبي (ص) بأسمائهم واحداً بعد واحد، وعينهم أئمة وخلفاء من بعده على أمته، في أحاديث شهيرة مروية بوضوح من طرق أهل السنة[2] ومتواترة من طرقنا.

ومن تلك الأحاديث ما ورد عنه (ص) في خصوص تفسير الآية الكريمة المبحوث عنها، فقد روى الصدوق في (إكمال الدين) والخزازفي (كفاية الأثر) وابن شهر آشوب في (المناقب) والمجلسي في (البحار) والشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) وغيرهم

---

(١) راجع كتابنا (قبس من القرآن) ص٣٣٧-٣٤٥ تحت هذه العناوين: حديث الثقلين وبعض نصوصه، القرآن يرجع الأمة إلى أهل البيت (ع) لا يمكن التمسك بالعترة دون الكتاب ولا العكس، وصية النبي (ص) الأخيرة بالثقلين.

(٢) راجع (مقتل الحسين) للخوارزمي ج٩ ص٩٥ و (فرائد السمطين) مخطوط للحموييني و (ينابيع المودة) للشيخ سليمان الحنفي ص٤٨٦ نقلاً عن المصدرين السابقين، عن سليمان راعي إبل رسول الله (ص) وراجع (ينابيع المودة) ص٤٤٠ فيما نقل عن (فرائد السمطين) بسنده عن ابن عباس في سؤال يهودي اسمه (نعثل) عن وصيه وذكر له أوصياءه الاثني عشر بأسمائهم، وفي (الينابيع) ص٤٤٣ حديث آخر عن جابر بن عبد الله الأنصاري في سؤال يهودي آخر اسمه جندل وقد سأله عن أوصيائه وذكرهم باسمائهم نقلاً عن المناقب وص٤٤٣ عن أبي الطفيل.. الخ.

رووا مسنداً عند جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد(ص): ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟.

فقال (ص): هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي.

أولهم علي بن ابي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان.

قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال(ص): إي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجللها سحاب.. الخ[1].

وروى العياشي في (تفسيره) ج١ ص٢٥٣ عن سلايم بن قيس الهلالي أنه قال في

---

(١) راجع (إكمال الدين) ص٢٤٦ و (كفاية الأثر) في النصوص على الأئمة الاثني عشر ص٧ لعلي بن محمد الخزار، ونقله عنهما المجلسي في (البحار) ج٣٦ ص٢٤٩، والمناقب لابن شهر آشوب ج١ ص٢٨٢ (وينابيع المودة) للشيخ سليمان ص٤٩٤، وجاء في آخر الحديث أن جابر التقى بالإمام الباقر (ع) وأقرأه السلام عن رسول الله (ص) وقال له: يا مولاي إن رسول الله (ص) بشرني بالبقاء إلى أن ألقاك، وقال لي:

إذا لقيته فأقرئه مني السلام، فرسول الله يا مولاي يقرأ عليك السلام، فقال أبو جعفر (ع) يا جابر على رسول الله السلام وعليك يا جابر كما بلغت السلام.. الخ.

رواه الطبرسي في (إعلام الورى) ص٣٧٥، ونقله عنه وعن (المناقب) لابن شهر آشوب المجلسي في (البحار) ج٢٣ ص٢٨٩.

حديث له :

سمعت علياً (ع) يقول : ما نزلت على رسول الله (ص) آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها عليَّ فأكتبها بخطي ، وعلمني تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علماً أملاه عليَّ فكتبته بيدي على ما دعا لي ، وما ترك شيئاً علمه الله من حلال ولا حرام ، أو أمر أو نهي ، أو طاعة أو معصية مما كان أو يكون إلى يوم القيامة إلا وقد علمنيه ، وحفظته فلم أنس منه حرفاً واحداً ، ثم وضع يدهُ على صدري ودعا لي أن يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمة ونوراً ، وأن يعلمني فلا أجهل ، وأن يحفظني فلا أنسى ، فقلت له ذات يوم : يا رسول الله أتتخوف عليّ النسيان فيما بعد؟

فقال : لست أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً ، وقد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك ، فقلت : يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال : الذين قرنهم الله بنفسه وبي معه ، والذين قال في حقهم : ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ وهم الأئمة ، فقلت : يا رسول الله ومن هم؟ فقال : الأوصياء مني إلى أن يردوا علي الحوض ، كلهم هادٍ ومهتدٍ لا يضرهم من خذلهم ، هم مع القرآن والقرآن معهم ، لا يفارقهم ولا يفارقونه بهم تنصر أمتي ، وبهم يمطرون ، وبهم يدفع عنهم ، وبهم يستجاب دعاؤهم.

فقلت : يا رسول الله سمهم لي ، فقال : ابني هذا ووضع يده على رأس الحسن ، ثم ابني هذا ووضع يده على رأس الحسين ، ثم ابن له اسمهُ : علي ، وسيولد في حياتك فأقرئه مني السلام ثم ابن له على اسمي محمد ، باقر علمي ، وخازن وحي الله ، ثم تكملة الاثني عشر إماماً من ولد محمد ، فقلت له : بأبي أنت وأمي أنت سمهم ، فسماهم لي رجلاً رجلاً ، فيهم والله يا أخا بني هلال مهدي أمة محمد (ص) ، والذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، والله إني لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام ، وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم .. الخ.

هذا ما ذكره العياشي في تفسيره نقلاً عن سليم بن قيس، وقد اختصره، وهو موجود في كتابه مطولاً ص ٨٣ – ٨٧ [١].

وروى الشيخ الطوسي في (الأمالي) بسنده عن هشام ابن حسان قال سمعت أبا محمد الحسن بن علي (ع) يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر فقال: نحن حزب الله الغالبون وعترة رسوله الأقربون وأهل بيته الطيبون الطاهرون، وأحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله(ص) في أمته، والثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالمعول علينا في تفسيره لانتظنّأ تأويله بل نتيقن حقائقه، فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله عز وجل ورسوله مقرونة، قال الله عز وجل: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**﴾ ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ النساء: ٨٤.

وأحذركم الإصغاء لهتاف الشيطان فإنه لكم عدو مبين، فتكونوا أولياءه الذين قال لهم ﴿**لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ**﴾ الأنفال: ٤٩.

فتلقون إلى الرماح وزراً والى السيوف جزراً وللعمد حطماً وللسهام غرضاً، ثم ﴿**لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً**﴾ الأنعام: ١٥٩ [٢].

وروى شيخنا الصدوق في (الخصال) بسنده عن أبان بن عياش عن سليم بن قيس

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ج٢ ص٣٠٢.

(٢) ونقل هذا الحديث أيضاً عن سليم بن قيس الصدوق في (إكمال الدين) ص٢٧٨ بسنده، ونقله عن الصدوق المجلسي في (البحار) ج٣٦ ص٢٥٦، ويذكر المجلسي في (البحار) أحاديث نصوص الله تعالى ونصوص الرسول (ص) على الأئمة في الجزء ٣٦ ص١٩٢-٣٧٣ والصدوق في (إكمال الدين) ص٢٤٣-٢٨٢، والطبرسي في (أعلام الورى) من طرق الخاصة والعامة ص٣٦١-٣٩٢، وراجع تعليقات إحقاق الحق ج٣ ص٤٢٤-٤٢٦.

الهلالي قال سمعت أمير المؤمنين علياً (ع) يقول: احذروا على دينكم ثلاثة، رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رأيت عليه بهجته اخترط سيفه على جاره ورماه بالشرك، فقلت: يا أمير المؤمنين أيهما أولى بالشرك؟ قال: الرامي، ورجلاً استخفته، الأحاديث كلما حدثت أحدوثة كذبٍ مدها بأطول منها، ورجلاً آتاه الله عز وجل سلطاناً فزعم أن طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله، وكذب لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، لا ينبغي للمخلوق أن يكون حبه لمعصية الله، فلا طاعة في معصيته، ولا طاعة لمن عصى الله إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر، وإنما أمر الله عز وجل بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر، لا يأمر بمعصية الله، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصية[1].

والأحاديث عن النبي (ص) وأهل بيته الأطهار في أن أولي الأمر إنما هم الأئمة الاثنا عشر من آل محمد كثيرة ومتواترة.

فالإمام الحسين (ع) هو ثالث هؤلاء الأئمة الأطهار وقد أمر الله عباده المؤمنين بإطاعته لإلقاء الحجة عليهم، حتى لا يقول أحد: ما سمعنا وما علمنا.

والأشراف والرؤساء الذين كاتبهم الحسين (ع) منهم مالك بن مسمع البكري، ومسعود بن عمرو الأزدي، وقيس بن الهيثم السلمي والمنذر بن الجارود العبدي، والأحنف بن قيس التميمي، ويزيد بن مسعود النهشلي وغيرهم.

وكل هؤلاء كتب إليهم الحسين كتباً بنسخةٍ واحدة وصورتها على ما في تاريخ الطبري.

نص كتاب الحسين (ع) لرؤساء البصرة.

أما بعد فإن الله اصطفى محمداً (ص) على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه

---

(١) الخصال ج١ ص١٧٩ ونقله عن المجلسي في (البحار) ج٩٢ ص١٧٩.

وورثته، وأحق الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فأغضينا كراهيةً للفرقة ومحبةً للعافية، ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه.

وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) فإن السنة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت، فإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

ثم دفع الحسين (ع) الكتب إلى مولاه سليمان فأوصلها إلى أهلها، فأما مالك بن مسمع البكري، ومسعود بن عمرو الأزدي، وقيس بن الهيثم السلمي فإنهم كتموا الكتب ولم يصنعوا شيئاً، وأما المنذر بن الجارود العبدي، فيقال أنه خاف أن يكون الكتاب دسيساً من ابن زياد فجاء بالرسول والكتاب إليه، فأخذ ابن زياد الرسول وصلبه، وكان ذلك في الليلة التي أراد ابن زياد الخروج من البصرة في صبيحتها إلى الكوفة، وكانت ابنة المنذر واسمها بحرية زوجة ابن زياد.

وأما الأحنف بن قيس فإنه كتب إلى الحسين كتاباً يصبره فيه ويرجيه النصرة، حيث كتب إليه بهذه الآية: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ الروم: ٦٠.

استجابة يزيد بن مسعود، وخطبته

وأما يزيد بن مسعود النهشلي فهو الوحيد الذي استجاب للحسين دعوته ودعا إليها، حيث عقد مؤتمراً عاماً ودعا إليه بني تميم، وبني حنظلة، وبني سعد، فلما حضروا عنده قام فيهم خطيباً ووجه خطابه أولاً إلى بني تميم فقال لهم:

يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم، وحسبي منكم؟ فقالوا: بخ بخ أنت والله فقرة الظهر، ورأس الفخر حللت في الشرق وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً، أي تقدماً، فقال: إني

---

(١) تاريخ الطبري ج٦ ص٢٠٠ (البحار) ج٤٤ ص٣٤٠ نقلاً عن ابن نما، و (إبصار العين) للسماوي ص ٥، وذخيرة الدارين ص٧١، وحياة الإمام الحسين (ع) للقرشي ج٢ ص٣٢٢ نقلاً عن الطبري.

قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه، فقالوا: إنا والله نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأي فقل نسمع ونصغ، فقال:

إن معاوية قد هلك، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن به أنه قد أحكمه، وهيهات الذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور، يدعي الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضاً منهم، مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق موطأ قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين.

وهذا الحسين بن علي وابن رسول الله (ص) ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، (أو الأصيل، أي العظيم)، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا (أي لا تتعسفوا وتتمادوا) في وهدة الباطل، وقد كان صخر بن قيس الخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ونصرته، فوالله لا يقصر اليوم أحد عن نصرته إلا أورثه الله الذل في ولده، والثقلة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وادرعت لها بدرعها، ومن لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله رد الجواب.

فتكلمت بنو حنظلة فقالوا: يا أبا خالد نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى شدة إلا لقيناها، ننصرك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا إذا شئت.

وتكلمت بنو سعد بن يزيد، أو ابن زيد: فقالوا: يا أبا خالد إن أبغض الأشياء إلينا خلافك، والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال فحمدنا أمرنا وبقي عزنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ويأتيك رأينا.

فقال: والله يا بني سعد لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

جوابه للإمام (ع)

ثم كتب إلى الحسين (ع) كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فقد وصل إلي كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني له، من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وإن الله لن يخلي الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرعتم من زيتونة أحمدية، هو أصلها وأنتم فرعها[1].

فأقدم سعدت يا سعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها، وقد ذللت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزنٍ حين استهل برقها فلمع.

ثم دفع الكتاب إلى الحجاج بن بدر السعدي، فجاء به إلى الحسين (ع) وهو إذ ذاك بكربلا، فلما قرأ الحسين الكتاب جعل يقول: مالك يابن مسعود آمنك الله يوم الخوف، وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر.

ولما تجهز ابن مسعود للخروج إليه بلغه أن الحسين (ع) قد استشهد فجزع لانقطاعه عنه، وعدم تشرفه بالشهادة بين يديه[2].

وتأسف تأسفاً شديداً وكأني به وهو يقول:

أسفاً وهل يجد الكئيب تأسفاً ... إن لم أكن يوم الطفوف لك الفدا

وا لهفتاه عليك يا بن محمد (ص) ... تقضي بعرصة كربلاء مبددا

---

(١) اشار بقوله: هو أصلها وانتم فرعها، إلى حديث الشجرة الطيبة، وقد ذكرنا نصوصه عن الصادق الأمين (ص) ورواته في كتابنا الحقائق الكونية: ج٢ ص٦٤-٦٩.

(٢) (اللهوف) للسيد ابن طاووس ص١٦، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٤ ص٣٣٧، والمازندراني في (معالي السبطين) ج١ ص١٥٥، والقرشي في (حياة الإمام الحسين) ج٢ ص٣٢٤، والسيد محسن الأمين في (لواعج الأشجان) ص٤٠.

المجلس الثامن عشر

تشريع الأمان في البيت الحرام، والحسين (ع) لم يأمن فيه

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ البقرة: ١٢٦.

أشار الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة من سورة البقرة إلى تشريع الحج، وتشريع الأمن في البيت، وهو بيت الله الحرام، والكعبة المقدسة، وسمي بالبيت الحرام لأن الله حرم على المشركين أن يدخلوه لحرمته، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هذا﴾ التوبة: ٢٩.

وجعل سبحانه وتعالى الكعبة قبلةً للمسلمين إلى يوم القيامة تعظيماً لها ولحرمتها..

وقوله تعالى: (مثابةً للناس) ذكر المفسرون فيه وجوهاً، فقيل معناه: إن الناس يثوبون إليه، أي يرجعون إليه كل عام، فهو مرجع يرجع إليه مرة بعد أخرى، وقيل معناه: يحجون إليه فيثابون، أي يحصل لهم بذلك الأجر والثواب، وقيل: (مثابة) أي معاذاً وملجأً للناس، ولا مانع من الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بأن يكون البيت الحرام مرجعاً يرجع إليه دائماً وأبداً، ويحصل لهم بذلك الأجر والثواب، وهو بالفعل ملجأ ومعا لمن لجأ إليه واستعاذ به خصوصاً للخائفين.

وقوله تعالى: (وأمنا) أي أنه موضع أمنٍ وأمان وطمأنينةٍ وسلام لمن أمه والتجأ إليه

من الخائفين، يأمنون فيه على أنفسهم وأموالهم، ولعظم حرمته أنه لا يقام - في الشرع - الحد على من جنى جناية فالتجأ إليه والى حرمه، ولكن يضيق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشراء حتى يخرج منه، فإذا خرج منه يقام عليه الحد، وإلا فلا.

وكان قبل الإسلام يرى الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض إليه، وهذا شيء قد توارثوه من دين إسماعيل، وبقوا عليه إلى أيام نبينا محمد (ص) وبعد بعثه ما زاده الله إلا حرمةً وتعظيماً وأمناً لكل خائف من المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى**﴾ المصلى اسم مكان مأخوذ من الصلاة بمعنى الدعاء، قال الحسن وقتادة والسدي - وهم من مفسري العامة -: المراد هو الصلاة عند مقام إبراهيم (ع) أمرنا الله بالصلاة عنده بعد الطواف، وهذا هو المروي عن الإمام الصادق (ع) وهو الظاهر من النص القرآني، لأن مقام إبراهيم إذا أطلق لا يفهم منه إلا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام أن نتخذه مصلى لنا بعد الطواف.

وقو له تعالى: ﴿**وَعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ العهد هنا هو الأمر، أي أمرنا إبراهيم الخليل وولده إسماعيل بتطهير البيت، والمعنى من تطهيره وتنزيهه أما أن يخلصا بيتي لعبادة العباد لي من الطائفين حوله، والمعتكفين فيه، والراكعين والساجدين.

وقوله: (الركع السجود) جمع لراكعٍ وساجد، والمراد به المصلون، وذلك هو تطهيره أي تخليصه لهم دون غيرهم من المشركين، وأهل الكفر والإلحاد، وأما أن يراد بتطهيره تنظيفه من الأقذار والكثافات العارضة عليه، أو المراد، كلا المعنيين مع منع إدخال المجنب والحائض والنفساء إليه لحرمته وهو الأولى.

وخلاصة الآية الكريمة أن الله جعل البيت الحرام وما حوله مكاناً لعبادته وأداء المناسك فيه، ومكاناً للأمن والأمان والطمأنينة والسلام، وتطهيره من كل ما ينافي حرمته حتى أن إبراهيم (ع) سأل ربه أن يجعل البلد كله، وهو مكة بلداً آمناً، فقال تعالى بعد هذه الآية مباشرة ﴿**وَإِذْ قالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَراتِ مَنْ**

﴿آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ واستجاب الله دعاءه، فجعل مكة كلها أماناً للخائفين والملتجئين إليها[1].

نعم إلا الحسين (ع) الذي هو خليفة الله في أرضه) وعزيز رسول الله (ص) وريحانته فإنه ما أمن بها، وذلك أنّ يزيد بن معاوية لما علم باستقرار الحسين بمكة، وعرف أن واليه الأول على الحجاز لا ينفذ أوامره بالحسين وهو الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وإن كان ابن عمه، وحميمه الأدنى ورحمه الأقرب ولكن فيه لين عريكة، وسمه إنصاف فلم يرض له يزيد بذلك حتى عاجله بالعزل، وأبدله على الفور بالمارد المتكبر جبار بني أمية عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق، فإنه حين ولاه يزيد على الحجاز ودخل المدينة رقى المنبر النبوي الشريف وخطب خطبة قاسية، ثم قال بعدها:

اركبوا كل بعير بين السماء والأرض واطلبوا الحسين[2].

ثم دس مع الحاج ثلاثين رجلاً من بني أمية في صفة الحاج وأمرهم - عن أمر يزيد - بقتل الحسين أينما كان وحيثما وجد ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فخاف الحسين (ع) أن تهتك حرمة الحرم الآمن بقتله فيه، وقد قال (ع): لئن أقتل خارجاً عن الحرم بباع خير من أقتل دانياً إليه بذراع، ولذلك عجلّ (ع) في خروجه منها قبل أداء مناسك الحج.

هذا فعل يزيد، وهذا عامله وهذه جواسيسه كلهم قد صمموا - في الخفاء - على اغتيال الحسين وقتله ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، ولكنهم - نفاقاً منهم - يتظاهرون بإعطاء الأمان له.

قلق يزيد، ومراسلته لابن عباس

فهذا يزيد بعد أن بلغه أن الحسين (ع) قد نزل في مكة، وأن أهل الكوفة يرسلون إليه الرسل والرسائل، وهم يدعونه إلى القدوم إليهم ليبايعونه، قلق واضطرب كأشد ما يكون

---

(١) راجع تفسير الآيتين (مواهب الرحمن) ج٢ ص٢١-٣٤.

(٢) راجع (بطل العلقمي) للمظفري ج١ ص٣٣١.

من القلق والاضطراب، فمن جهة كما سمعت أمر باغتياله أين ما كان، ومن جهة أخرى أرسل كتاباً إلى ابن عباس يمني فيه الحسين بالأمان والكرامة الواسعة، وهذا نص كتابه إلى ابن عباس:

(أما بعد فإن ابن عمك حسيناً، وعدو الله ابن الزبير التويا ببيعتي ولحقا بمكة، مرصدين للفتنة، ومعرضين أنفسهما للهلكة، فأما ابن الزبير فإنه صريع الفناء وقتيل السيف غدا، وأما الحسين فقد احببت الإعذار إليكم أهل البيت مما كان منه، وقد بلغني أن رجالاً من شيعته من أهل العراق يكاتبونه، ويكاتبهم، ويمنونه الخلافة، ويمنيهم الإمرة، وقد تعلمون ما بيني وبينكم من الوصلة وعظيم الحرمة ونتائج الأرحام، وقد قطع ذلك الحسين وبته، وأنت زعيم أهل بيتك، وسيد بلادك، فالقه وارددْه عن السعي في الفتنة، فإن قبل منك وأناب فله عندي الأمان، والكرامة الواسعة، وأجري عليه ما كان أبي يجريه على أخيه، وإن طلب الزيادة فأضمن له، وأنفذ ضمانك[1].

وأقوم له بذلك ولهُ علي الأيمان المغلظة والمواثيق المؤكدة، بما تطمئن به نفسه، ويعتمد في كل الأمور عليه، عجل بجواب كتابي، وبكل حاجة لك قبلي والسلام؟

جواب ابن عباس ليزيد

وأجابه ابن عباس: أما بعد فقد ورد كتابك تذكر فيه لحاق الحسين وابن الزبير بمكة، فأما ابن الزبير فرجل منقطع عنا برأيه وهواه، ويكاتمنا مع ذلك أضغاناً يسرها في صدره يوري علينا وري الزناد فرأيك في أمره.

وأما الحسين فإنه لما نزل مكة وترك حرم جده ومنازل آبائه، سألته عن مقدمه فأخبرني أن عمالك بالمدينة أساءوا إليه، وعجلوا عليه بالكلام الفاحش، فأقبل إلى حرم الله، مستجيراً به، وسألقاه فيما أشرت إليه، ولن أدع النصيحة فيما يجمع الله به الكلمة،

---

(١) دلت هذه العبارة على غباوة يزيد فقد حسب أن الإمام يطلب المال والثراء في خروجه عليه ولم يعلم أنه إنما ناهضه لا يبغي بذلك إلا الله، والتماس الأجر في الدار الآخرة.

ويطفئ به النائرة، ويخمد به الفتنة، ويحقن به دماء الأمة.

ثمّ إن ابن عباس أخذ بوعظه وتحذيره فقال: فاتق الله في السّر والعلانية، ولا تبيتنّ ليلة وأنت تريد لمسلم غائلة، ولا ترصده بمظلمة، ولا تحفر له مهواة، فكم من حافر لغيره حفراً وقع فيه، وكم من مؤمل أملا لم يؤت أمله، وخذ بحظك من تلاوة القرآن، ونشر السنة، وعليك بالصيام والقيام لا تشغلك عنهما ملاهي الدنيا، وأباطيلها فإن كل ما اشتغلت به عن الله يضر ويفنى وكل ما اشتغلت به من أسباب الآخرة ينفع ويبقى والسلام[1].

دخول ابن عباس على الحسين (ع) وما دار بينهما من الكلام

ثم إن ابن عباس جاء إلى الحسين (ع) وكان قد عزم على الخروج من مكة إلى العراق، فلما دخل التفت إليه الحسين (ع) قائلاً له سائلاً منه: يا بن عباس ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله (ص) من داره وقراره، وحرم رسوله، ومجاورة قبره ومسجده، وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً، لا يستقر في قرار، ولا يأوي إلى جوار، يريدون في ذلك قتله وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله شيئاً ولا اتخذ من دونه ولياً، ولم يرتكب منكراً ولا إثماً ولم يغير عما كان عليه رسول الله (ص)؟ فأجابه ابن عباس مؤيداً كلامه قائلاً:

ما أقول فيهم إلا أنهم كفروا بالله ورسوله ﴿**وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ وَلا إِلى هؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾ وقد أشار إلى الآيتين ١٤٢-١٤٣ من سورة النساء.

وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى، وأما أنت يا بن رسول الله فإنك رأس الفخار ابن رسول الله وابن وصيه، وفرخ الزهراء نظيرة البتول، فلا تظن يا بن رسول الله أن الله

---

(١) راجع (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي ص٢٤٨-٢٥٠ و (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج٢ ص٣١٣-٣١٥ نقلاً عن (التذكرة) وعن (تاريخ ابن عساكر) ج١٣ ص٧٠ و (معالي السبطين) للمازندراني ص١٥٠ نقلاً عن (الناسخ).

غافل عما يعمل الظالمون، وأنا أشهد أن من رغب عن مجاورتك ومجاورة نبيك، وطمع في محاربتك فما له في الآخرة من خلاق فقال الحسين (ع): اللهم نعم[1].

وفي رواية أن ابن عباس أشار إلى الحسين (ع) بصلح بني أمية حفظاً عليه من بطشهم به وبأهل بيته، فأجابه الإمام قائلاً: هيهات يابن عباس إن القوم لن يتركوني، وإنهم يطلبونني أين ما كنت حتى أبايعهم كرهاً ويقتلوني، والله إنهم ليعتدون علي كما اعتدت اليهود في يوم السبت، وإني ماض في أمر رسول الله (ص) حيث أمرني وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال: يا بن العم بلغني أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر وإنما يدعونك للحرب، فلا تعجل، وأقم بمكة، فقال (ع): لئن أقتل بالعراق أحب إلي من أن أستحل بمكة، وهذه كتب أهل الكوفة ورسلهم، وقد وجب علي إجابتهم، وقام لهم العذر علي عند الله سبحانه، فعندها بكى ابن عباس حتى بلت لحيته، وقال: وا حسيناه وا أسفاه على حسين.

الحسين (ع) يذكر الأسباب الموجبة لمسيره، وحمل نسائه

ولما علم ابن عباس بتصميم الحسين على الخروج إلى العراق قال له: جعلت فداك يا حسين إن كان ولا بد من المسير إلى الكوفة فلا تسر بأهلك ونسائك، فو الله إني لخائف أن تقتل وهن ينظرن إليك، فقال: يابن العم، إني رأيت رسول الله (ص) في منامي، وقد أمرني بأمر لا أقدر على خلافه، وإنه أمرني بأخذهن معي، وإنهن ودائع رسول الله ولا آمن عليهن أحداً، وهن لا يفارقنني.

ذكر الحسين (ع) أسباباً في مسيره إلى الكوفة، وحمل نسائه معه، وهي:

أولاً: أن رسول الله (ص) قد أمره بذلك المسير، كما أمره بحمل نسائه معه، فيجب عليه إذن امتثال أمره، ولا يجوز له مخالفته، ولا يستطيع ذلك وهو سبطه وريحانته المقتفي

---

(١) راجع (حياة الإمام الحسين) للقرشي ص٣١٨-٣١٩، و (مقتل الحسين) لأخطب خوارزم الحنفي ج١ ص١٩١.

لأثره والمتبع لأوامره.

ثانياً: أنهن ودائع رسول الله (ص)، ولا يأمن عليهن من الأعداء لو تركهن في مكة أو المدينة، وهذه حقيقة ناصعة، فإن الحسين (ع) لو سار إلى العراق وترك نساءه، وأخواته، وبناته في الحجاز لكبس عليهن الأعداء خدورهن واعتقلوهنّ عندهم، فحينئذٍ إذا علم الحسين بذلك وهو حي موجود، وهو صاحب الغيرة، والإباء، يلزمه إما أن يأتي إليهم، ويضع يده في أيديهم، ويعطيهم ما يريدون منه من بيعتهم، وقد يقتلونه غيلة بعد تعرضهم إلى مخدراته، كما قتلوا أخاه الحسن بالسم بعد مصالحته لهم.

وما أن يتركهن بأيديهم يفعلون بهن ما شاءوا من قتل أو اعتقال، وهن ودائع رسول الله (ص) عنده.

ثالثاً: أنهن لا يفارقنه، أي كانت إرادة نسائه أن يسرن معه، وهذا ما صرحت به الحوراء زينب كما جاء في الخبر: إن ابن عباس سمع بكاء من ورائه وقائلة تقول له: يا بن عباس أتشير على شيخنا وسيدنا أن يخلفنا ههنا ويمضي وحده، وهل أبقى الزمان لنا غيره، لا والله بل نحيى معه، ونموت معه، فبكى ابن عباس بكاء شديداً وجعل يقول: يعز والله علي فراقك يا بن العم.

ومضى الحسين (ع) إلى العراق، وبقي ابن عباس في الحجاز ينتظر الخبر حتى صار يوم عاشوراء، فنام ابن عباس ورأى في منامه رسول الله (ص) وفي يده قارورة مملؤة دما، وهو أشعث أغبر، فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله مالي أراك متغير اللون، وما هذه القارورة، وما هذا الدم؟ فقال: هذا دم ولدي الحسين لقد قتلوه في هذا اليوم[1].

قتلوه بعد علمٍ منهم أنه خامس أصحاب العبا..

---

(١) راجع (معالي السبطين) ج١ ص١٥٢.

المجلس التاسع عشر

خطبة الحسين (ع) بمكة، وشرحها

لما عزم الحسين (ع) على الخروج من مكة إلى العراق، قام خطيباً في المسجد الأعظم في مجمع حاشد من الناس من مختلف الطوائف، فقال في خطبته: الحمد لله، وما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على رسوله وآله وسلم، خط الموت على ولد آدم، مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته، وهي مجموعة له في حضيرة القدس تقرُّ بهم يوضع فراغ عينه، وينجز لهم وعده، ألا ومن كان باذلا فينا مهجته، موطنا على لقاء الله نفسه ليرحل معنا، فإني راحل مصبحا إن شاء الله[1].

مقدمة الشرح

يقال: كلام الملوك ملوك الكلام، والحقيقة أن ملوك الدنيا والآخرة الحقيقيين إنما هم - في هذه الأمة - محمد وأهل بيته الأطهار سلام الله عليهم، فهم أمراء الكلام، وملوك الخطب والخطباء.

وهذه الخطبة للإمام الثالث من أئمة الهدى والإرشاد إمامنا الحسين (ع) هي معجزة الخطابة، لنقف وننظر فيها نظر الاعتبار فيما تضمنته كلماتها الوجيزة، وما اشتملت عليه

---

(١) راجع الخطبة في (البحار) للمجلسي ج٤٤ ص٣٦٦ نقلاً عن كتاب (اللهوف) للسيد بن طاووس ص٥٢، وذكرها بشرحها العلامة الشيخ عبد الواحد المظفر في (بطل العلقمي) ج١ ص٣٩٥ نقلاً عن البحار وعن (مفتاح الأفكار) للشيخ أحمد مفتاح من أهل السنة ص١٤٨ ط مصر و (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج٣ ص٤٧ بشرحها، وقد نقلها عن (الحدائق الوردية) ج١ ص١٧، و (مفتاح الأفكار) ص٨ و(كشف الغمة) للأربلي ج٢ ص٢٤١، ونقلها المازندراني في (معالي السبطين) ج١ ص١٥٤ عن (اللهوف) وذكرها العلامة آل بحر العلوم في (مقتله) ص١٩١ نقلاً (كشف الغمة) و (اللهوف).

عباراتها البارعة.

فقد جمع الحسين فيها - على قصرها - كثيراً من فنون العلم والحكمة، كالفصاحة والبلاغة، والكناية والاستعارة والتشبيه، كما جمع فيها الوعظ والإرشاد، والاستبشار بما سيصير إليه من النعيم المقيم والإخبار عما سيجري عليه من المحن والمصائب، ثم استنهض الناس فيها لنصرته كي يبذلوا الأرواح النفيسة في سبيل رضا الله العظيم.

كيف أن الموت زينة لبني آدم؟

فقال (ع): بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة على رسوله (ص): (خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة) أراد (ع) أن الموت محيط بابن آدم كما تحيط القلادة بالجيد، أي الرقبة.

ولا يعني بذلك الموت لابد منه ولا محيص عنه فقط، لأن هذا المعنى مرتكز بالنفوس، ومعلوم بالبداهة لدى الجميع قال تعالى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرامِ﴾ الرحمن: ٢٧-٢٨.

ولكنه أراد أن ينبه الناس أيضاً إلى أن الموت قد جعله الله زينة لبني آدم، كما أن القلادة زينة لجيد الفتاة وحلية لها، وهذا المعنى شاهِدهُ الوجدان ودليله العيان، فإن الإنسان إذا كبر سنه وشاب رأسه ذهبت محاسنه، وبدت للناس معائبه، فيكون الموت حينئذٍ زينة له وحلية لأنه يستر عليه عيوبه قبل أن تظهر عليه.

ومعلوم أن الموت والحياة مخلوقان لله تعالى، والله لا يخلق شيئاً عبثاً، بل لحكمة، أو حكم عديدة، قال عز من قائل: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ❖ تَبارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ تبارك: ١-٣.

فأبان الله سبحانه الحكمة في خلق الموت والحياة في الدنيا، وهي الابتلاء والاختبار لعباده في أعمالهم، فأيهم أحسن عملا يكون هو الإنسان الرابح في الدنيا والآخرة، وإلا يكون إنساناً خاسراً بأعماله السيئة، هذه هي الحكمة في خلق الموت والحياة في هذه الدنيا.

وبما أن الدنيا - في طبيعتها - مشوبة بالأحزان والأكدار، والأمراض والأسقام، إلى غير

ذلك من تقلباتها الكثيرة، فالشاب يكون هرماً، والقوي يصير ضعيفاً، والصحيح يعود سقيماً، لذلك اقتضت الحكمة الإلهية إيجاد الموت فيها، ليكون ساتراً للإنسان على عيوبه قبل ظهورها واستفحالها، بخلاف الجنة في الآخرة، فإنها لما كانت سالمة من هذه العوارض والتقلبات لذلك تقتضي الحكمة عدم إيجاد الموت فيها، ولذلك ورد أن أهل الجنة ينادون فيها: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويقول الله تعالى: ﴿**وأما الذين وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ**﴾ هود: ١٠٩.

(أي غير منقطع) والذي يوضح لك هذا المعنى ما ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: إن قوماً أتوا نبياً لهم، فقالوا: يا نبي الله ادع لنا ربنا يرفع عنا الموت، فأجابهم إلى ذلك، فدعا فرفع الله تبارك وتعالى الموت عنهم حتى كثروا، وضاقت بهم المنازل، وكثر النسل، وكان الرجل يصبح فيحتاج أن يطعم أباه، وأمه، وجده، وجد جده، ويوصيهم ويتعاهدهم بما يحتاجون إليه، ولذلك شغلوا عن طلب المعاش، و أخيراً جاءوا إلى نبيهم قائلين: سل ربك أن يردنا إلى آجالنا التي كنا عليها، فسأل ربه عز وجل فردهم إلى آجالهم[1].

وعلى كلٍّ فإنَّ الموت لبني آدم في هذه الحياة الدنيا زينة لهم.

اشتياق الحسين (ع) إلى اللحوق بأسلافه الطاهرين

وخصوصاً إذا كان الموت في سبيل الدين ونصرة الحق فإنه يكون أيضاً زينة وحلية إضافية للإنسان لأن ذلك يكسبه حمد الدنيا وثناءها، وسعادة الآخرة وجزاءها.

ولذلك أخبر الحسين (ع) في خطبته هذه أنه مشتاق إلى تلك الموتة الحميدة، واللحوق بأسلافه الطاهرين من جده المصطفى وأبيه المرتضى وأمه الزهراء وأخيه المجتبى وعمومته

---

(١) راجع (أمالي الشيخ الصدوق) المجلس ٧٧ ص٣٠٥، و (التوحيد) له أيضاً ص٢٨٨، وينقله المجلسي في (البحار) ج١٤ عن (فروع الكافي) ج١ ص٧٢.

الشهداء كحمزة أسد الله وأسد رسوله وجعفر الطيار ذي الجناحين، الذين استشهدوا في سبيل الله قبله، وأنه شديد الوله والشوق إلى لقائهم، لذلك يقول: وما أولهني (أي ما أشوقني وأشد ولهي) إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وقد كانت مدة الفراق بين يوسف ويعقوب أربعين سنة، ومعنى هذا أن الحسين (ع) بعد قتله وشهادته في سبيل الله سيلتحق بهؤلاء الأطهار ويعيش معهم في أعلى مقام في الجنان ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ آخر سورة القمر.

وهكذا كل مؤمن صالح إذا مات يلحق بسلفه الصالح، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**﴾ الطور: ٢٢، وكل المؤمنين من هذه الأمة من السلف والخلف يلتحقون بمحمد وآله الأطهار المخلصين لله في عبادته، قال تعالى: ﴿**يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾ آخر سورة الفجر: ٢٨-٣٠.

إخبار الحسين (ع) بمصرعه وانه باختيار إلهي

ثم أخبر (ع) بما سيلاقيه من مصرعه وتقطع أوصاله، وأن ذلك لم يكن باختيار اختاره هو، ولا رأي رآه، ولكنه اختيار إلهي، وتدبير رباني أوحاه الله إلى جده رسول الله(ص) يخبره بأن شرعه المستقيم ستقاومه الدولة الأموية الظالمة الفاجرة المبتدعة، وأنها لا تزال على مقاومته حتى يصبح الشرع المستقيم سقيماً من ظلمهم وفجورهم وبدعهم، وأنه تعالى قد اختار لمقاومتهم سبطه الحسين (ع) وأن مصرعه المختار له سيكون ماحياً لما اختلقته تلك الدولة الظالمة، ومجدداً لما طمسته من تعاليمه وآثاره القيمة، لذا قال (ع): وخير لي مصرع أنا لاقيه، ثم قال:

تعيين الحسين (ع) مكان تقطع أوصاله، بتعيين عن الله تعالى.

كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفا، وأجربة سغبا، والعسلان هي الذئاب، ولا يعني الذئاب هي التي تقطع

أوصاله، وتملأ أكراشها الواسعة وأجربتها الساغبة، أي الجائعة منه حقيقة، لأن لحوم بني فاطمة محرمة على السباع والذئاب، ولكنه (ع) حمل المخاطبين على المتعارف والمعتاد من أن الإنسان إذا قتل في فلاة من الأرض، سكانها الوحوش الضارية ونزالها السباع العادية، ولم يبق لذلك القتيل فئة ولا أنصار يحمون أشلاءه المتوزعة، وأعضاءه المتقطعة، كان معرضا لأن تنتهب السباع والذئاب تلك الأشلاء الموزعة المقطعة، فكأنه (ع) يخبرهم أنه قد وطن نفسه على تلك الحالة طاعة لله وتوصلا إلى مرضاته، وأنّهُ يُتركُ كذلك بالعراء.

وقيل: أنه (ع) شبه أهل الكوفة بالذئاب، وأنهم هم الذين يقطعون أوصاله بسيوفهم ورماحهم.

وعين موضع تقطع أوصاله بقوله: بين النواويس وكربلاء، النواويس هي موضع قبر الحر، وكربلاء على شاطئ الفرات، ومنها موضع قبره الشريف، فكان كما أخبر (ع) قطعت أوصاله بهذا المكان، فإن قيل: من أين علم الحسين (ع) مكان مصرعه، وتقطع أوصاله، والله سبحانه يقول: ﴿**وَما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ لقمان: ٣٥.

الجواب أن معنى قوله تعالى: ﴿**وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً**﴾ أي أن كل نفس ما تدري ماذا تكسب غدا من نفسها بنفسها حتى نفوس الرسل والأنبياء، كما أن كل نفس ما تدري بأي أرض تموت من نفسها بنفسها، ولكن الله العليم الخبير إذا شاء أن يُعلم من شاء من خلقه من رسل وأنبياء وأوصياء فله أن يُعْلِمَهم، قال تعالى: ﴿**وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاّ بِما شاءَ**﴾ البقرة: ٢٥٦، وقال تعالى: ﴿**عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً**﴾ الجن: ٢٧-٢٨.

فقضيّة الحسين (ع) ومصرعه في أرض كربلاء مما أطلع الله تعالى نبيه محمد (ص) عليها، وأطلع النبي أيضا عليها أهل بيته، وبعض أصحابه عامة، والحسين (ع) خاصة.

فالحسين أخبر بما أخبر به عن مصرعه وتقطع أوصاله بإخبار عن الله، وبواسطة جده

رسول الله (ص).

مصائب الحسين (ع) مما قضاه الله وقدره

ولذا قال بعد أخباره عن مصرعه وتقطع أوصاله: لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا اجور الصابرين.

بين (ع) بأن ما يجري عليه من أعدائه من المحن والمصائب قد قدره الله وقضاه، وخطه بالقلم في لوحه المحفوظ، فلابد من وقوعه، ولا محيص منه، وأنه (ع) راض بقضاء الله، صابر على بلائه، وأن الله سيوفيه ومن معه أجور الصابرين لقوله تعالى: ﴿**إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ**﴾ الزمر: ١١.

ومما سيجزيه على صبره أن يجمعه وسائر أهل بيته مع جده رسول الله (ص) في أعلى مقام في الجنان، لذا قال: لن تشذ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حضيرة القدس، تقر بهم عينه، وينجز لهم وعده.

وفي هذه البيانات كلها ظهرت الحقيقة لمستمعي خطابه من أهل مكة وغيرهم من أن الحسين (ع) قادم على الموت، لا على امتلاك العراق وسلطنته، وحتى لا يقول بعض من لا بصيرة له من متبعيه: خدعنا أو غرنا، وقد كنا نحسب أن السلطان له فأتبعناه.

ولما كشف الحقيقة وأبان الواقع من أنه مقتول في سبيل نصرة الدين، ندب حينئذٍ طلاب الدين وعشاق الشهادة، ومن يروم لقاء الله ببذل مهجته تقرباً إليه فقال (ع): ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته، موطناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله.

ولهذا لم يتبعه إلا الخلص من أهل بيته، والخواص من شيعته.

تأثر محمد بن الحنيفة بخروج الحسين من مكة، ودخوله عليه

وفي (معالي السبطين) ١٥٤ نقلاً عن المنتخب للطريحي أن محمد بن الحنفية لما بلغه الخبر أن أخاه الحسين (ع) خارج من مكة يريد العراق، كان بين يديه طشت يتوضأ فيه،

فجعل يبكي بكاء شديداً حتى سمع وكف دموعه في الطشت مثل المطر، وفي الصواعق المحرقة ص١١٧: كان بين يديه طشت يتوضّأ فيه فبكى حتى ملأه من دموعه، وزاد في (التبر المذاب): ثم نادى وا أخاه وا حسيناه، وا خليفة الماضين وثمال الباقين، أي: غياث الباقين.

ثم أنه صلى المغرب وصار إلى أخيه الحسين فقال: يا أخي إن أهل الكوفة قد عرفت غدرهم ومكرهم بأبيك وأخيك من قبل، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم بمكة فإنك أعز من في الحرم المشرف وأمنعه، فقال الحسين: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، الذي تستباح به حرمة هذا البيت، فقال ابن الحنيفة: فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن، أو بعض نواحي البر، فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك فقال: والله يا أخي لو كنت في حجر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني منه حتى يقتلوني.

ثم قال له الحسين (ع): يا أخي سأنظر فيما قلت، فلما كان السحر ارتحل الحسين، فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه وأخذ بزمام ناقته، وكان قد ركبها، فقال له: يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك، قال: بلى، قال: فما الذي حملك على الخروج عاجلاً، قال: يا أخي اتاني رسول الله (ص) بعدما فارقتك، وقال: يا حسين اخرج إلى العراق، فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً، مخضباً بدمائك، فقال محمد: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك؟ وأنت تخرج على مثل هذه الحالة؟ فقال: يا أخي وقد قال لي جدي: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا في أسر الذل، وهن أيضاً لا يفارقنني ما دمت حيا[1].

أأخي إن الله شاء بأن يرى ... جسمي بفيض دم الوريد خضيبا
ويرى النساء على الجمال جواسرا ... أسرى وزين العابدين سليبا
فاكفف فقد خط القضاء بأنني ... أمسي بعرصة كربلاء غريبا

(١) راجع (مقتل الحسين) لآل بحر العلوم ص١٩٨ نقلاً عن اللهوف ص٢٦ والدر المسلوك ج١ ص١٠٩

فبكى محمد بكاء شديداً، وجعل يقول: أودعتك الله يا حسين، في دعة الله يا حسين، ثم مضى الحسين لشأنه، ورجع محمد وبقي ينتظر خبره ويترقب أثره، وهو إذ ذاك مريض، فاشتد عليه المرض، ولم يزل حتى رجع زين العابدين بعماته وأخواته، وارتجت المدينة بأهلها وارتفعت الصيحة من الرجال والنساء، فسمع محمد، فقال: ما جرى في مدينة الرسول؟ فلم يقدر أحد أن يخبره خوفاً عليه من الموت، لأن المرض قد أنحله وأثقل حاله، فألح بالسؤال، فكأني ببعض غلمانه قال له: جعلت فداك يابن أمير المؤمنين أظن أن أخاك الحسين قدم المدينة، وأن أهل الكوفة غدروا به، وقتلوا ابن عمه مسلم، فرجع عنهم فقال: إذنْ لِمَ لا يدخل علي أخي، قال: لعله ينتظر قدومك، فقال: علي بفرسي، وكأني به قام ليركب فسقط، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأحس قلبه بالشر، فقال: إن فيها لمصائب آل يعقوب، ثم قال: أين أخي؟ أين ثمرة فؤادي؟ فقيل له في الموضع الفلاني فركب فرسه وقد حفّت به غلمانه، فلما خرج خارج المدينة كأني به ولم ير إلاّ أعلاماً سوداً والناس بين صارخ وصائح ونائحة وباكية، فقال: ما هذا البكاء والصراخ؟ وما هذه الأعلام السود؟ فعلها بنو أمية، قتل والله أخي الحسين (ع)، وخر مغشياً عليه، فأسرع بعض غلمانه إلى زين العابدين وقال له: سيدي أدرك عمك قبل أن تفارق روحه الدنيا، فأقبل إليه وأخذ رأسه ووضعه في حجره وعيناه تهملان دموعاً، فسقطت قطرات دموعه على وجه محمد فأفاق من غشوته، نظر إليه، وقال: أعلي هذا؟ قال: نعم يا عم أتيتك وليس معي إلا نساء باكيات وللمحامي فاقدات، فقال: قص علي يابن أخي، قال: يا عم لو ترى أخاك الحسين يستغيث فلا يغاث ويستجير ولا يجار حتى قتلوه عطشاناً والماء يشربه كل حيوان، وبينما محمد كذلك إذ مرت عليه زينب فنظر إليها وقال: كأنها زينب الهاشمية؟ كأني بها أجابته بلسان الحال: لا تقل زينب الهاشمية ولكن قل: زينب المسبية...

أأسبى ولا ذاك الحسام بمنتضى ... أمامي ولا ذاك اللواء بخافق

أقلب طرفي لا حمي ولا حمى ... سوى هفوات السوط من فوق عاتقي

المجلس العشرون

الحكم بمشيئة الله تعالى في قتل الحسين (ع)

إخبار الحسين (ع) بأن الله قد شاء أن يراه مقتولا

قال إمامنا الحسين (ع) لأم سلمة عند خروجه من المدينة إلى مكة، يا أماه قد شاء الله أن يراني مقتولا مذبوحاً ظلماً وعدواناً، وقد شاء أن يرى حرمي ورهطي ونسائي مشردين، وأطفالي مذبوحين، ومأسورين مقيدين، وهم يستغيثون فلا يجدون ناصراً ولا معيناً[1].

صرح الحسين (ع) بقوله هذا لأم سلمة بأن الله تعالى قد شاء أن يراه مقتولاً، وشاء أن يرى حرمه ورهطه ونساءه مشردين، وأطفاله بين مذبوحين ومأسورين مقيدين.

وصرح الحسين (ع) بهذا المعنى أيضاً لأخيه محمد بن الحنفية حين جاءه بعد خروجه من مكة، وأخذ بزمام ناقته وقد ركبها، وقال له محمد فيما قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال (ع): أتاني رسول الله (ص) بعدما فارقتك، فقال: يا حسين اخرج إلى العراق فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً، قال ابن الحنفية: إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك؟ وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟

---

(١) راجع (البحار) للمجلسي ج٤٤ ص٣٣١ نقلاً عن بعض الكتب و (معالي السبطين) للمازندراني ج ١ ص١٣٣ نقلاً عن مقتل (العوالم) لعبد الله البحراني و (مقتل الحسين) للعلامة السيد محمد تقي آل بحر العلوم ص١٩٩ نقلاً عن (مدينة المعاجز) للسيد هاشم البحراني ص٢٤٤ و (مقتل العوالم) ص٤٧.

فقال الحسين (ع) إن الله شاء أن يراهن سبايا [1]، وتصريحات الحسين بهذا المعنى كثيرة، وقد تكون متواترة.

معنى المشيئة الإلهية

وهنا يتساءل عن معنى المشيئة الإلهية وما المراد منها؟ فالجواب على ما صرحت به كتب اللغة، والتفسير، وصرح به الأئمة الطاهرون (ع) إن المشيئة هي الإرادة، والإرادة هي المشيئة، كلمتان مترادفتان ومعناهما واحد، فقولنا: شاء الله ذلك، أي أراده، وما أراد الله وقوعه من مخلوقٍ وقع لا محالة، وما لم يرد وقوعه منهم لم يقع قطعاً، سواء أكان ما أراده المخلوق خيراً أم شراً، إيماناً أو كفراً، طاعة أو معصية، عدلاً أو ظلماً، كلياً أو جزئياً.

ارتباط مشيئة الإنسان بمشيئة الله تعالى

ذلك لأن الإنسان وإن كانت له إرادة ومشيئة، وهو غير مجبور، بل مختار مريد، ولكنه جل وعلا جعل إرادته ومشيئته هي المهيمنة والمسيطرة على إرادة الإنسان ومشيئته، فبمشيئة الله يقدر المخلوق على كل شيء، وبدونها يعجز عن كل شيء ولا يقدر على تحريك أنملة، والى هذا المعنى تشير بل تصرح عدة آيات من القرآن المجيد منها قوله تعالى: (**وَما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ**) آخر سورة التكوير، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً**﴾ الدهر: ٣٠، وجاء عن النبي (ص) في بعض أدعيته التي علمها علياً أمير المؤمنين (ع) وأوله: ما شاء الله كان وما

---

(١) راجع (اللهوف) ص٥٣، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٤ ص٣٦٤ عن الإمام الصادق (ع) ونقله عن اللهوف العلامة آل بحر العلوم في (مقتل الحسين) ص١٩٩ كما نقله عن (الدر المسلوك) للعاملي ج١ ص١٠٩، ونقله المازندراني في (معالي السبطين) ج١ ص١٥٤ عن (المنتخب) للطريحي.

لم يشأ لم يكن، إلى آخر الدعاء[1].

تقسيم المشيئة الإلهية بالنسبة إلى ما يصدر من الإنسان إلى قسمين

والجدير بالذكر الذي يلزم إلفات النظر إليه لزيادة الإيضاح نقول: إن مشيئة الله وإرادته ـ بالنسبة لما يصدر من الإنسان ـ تنقسم إلى قسمين: الأول مشيئة وإرادة مقترنة بحب الله ورضاه بما يصدر من الإنسان، وهذا فيما إذا صدر منه فيما يرجع إلى نوعي الإيمان والطاعة، إذ ان الله يأمر بهما ويحث العباد عليهما، ويحبهما ويرتضيهما، ووقعتا من الإنسان باختياره، مع مشيئة الله وإرادته وتوفيقه ولذلك نقول: اللهم وفقنا للإيمان والطاعة.

والثاني مشيئة وإرادة مقترنة بالسخط منه تعالى وعدم رضاه وهذا فيما إذا صدر منه فيما يرجع إلى نوعي الكفر والمعصية، إذ أن الله ينهى عنهما، ويحذر العباد منهما، ولا يحبهما ولا يرتضيهما، وقد وقعتا من الإنسان باختياره أيضاً، مع مشيئة الله وإرادته وخذلانه.

ويكون معنى الإرادة الإلهية في هذا القسم الثاني هو أن الله قادر على منع الإنسان من اقتراف الكفر والمعصية الصادرين منه باختياره ولكنه تعالى قد يشاء أن لا يمنعه ولا يحول بينه وبين ما يصدر منه من ذلك.

وقد يشاء أن يمنعه ويحول بينه وبين ما يريد من اقتراف الكفر والمعصية وحينئذٍ لا يقعان منه قطعاً، قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ الأنفال: ٢٥.

وذلك كله من المنع وعدمه، طبق الحكم التي يعلمها الله جل وعلا، وهذا المعنى هو المراد بقوله تعالى: ﴿**وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ يوسف: ٢٢.

وبقوله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا**

---

(١) راجع (مفتاح الجنات) للسيد محسن الأمين العاملي ج١ ص٢٨٠.

﴿يَحْكُمُونَ﴾ العنكبوت : ٥.

ومعنى هاتين الآيتين أن الإنسان لو كان مستقلاً بمشيئته عن مشيئة ربه فيما يصدر منه من المخالفات والسيئات لكان بذلك قد غلب ربه وسبقه، وهيهات ذلك، بل الله هو الغالب على أمره والسابق له، ولكن الله جل وعلا هو الذي شاء بحكمته أن يجعل الإنسان مختاراً فيما يريد، وجعل اختياره ومشيئته مرتبطة بمشيئته تعالى، حتى لا يكون العبد هو الغالب لمولاه، ولحِكَمٍ أخرى قد تخفى علينا نحن، وقد ندرك بعضها، ولذلك نسأل الله يجنبنا أن يجنبنا خذلانه ومعاصيه.

وبعد هذا البيان الموجز عن المشيئة والإرادة[1] نقول إن قول الحسين (ع) قد شاء الله أن يراني مقتولاً.. الخ، واضح المعنى: أي أن الله أراد أن يراني مقتولاً، ولكن هل إن هذه الإرادة من الله عز وجل مقرونة بالرضا لما صدر من أعداء الحسين وقاتليه؟ قطعاً لا، بل مقترنة بكل سخط وغضب عليهم بما ارتكبوه مع الحسين الذي هو وجده وأبوه وأمه وأخوه خير خلق الله وصفوتهم، بل ما خلق الخلق كله إلا لأجلهم، فكيف يرضى بظلم أعدائه وإيذائهم له ولهم، ولكنّ الله شاء أن يرى الحسين (ع) قتيلاً مصاباً بتلك المصائب العظام التي لم يصب أحد بمثلها لحكم كثيرة الله أعلم بها.

فمنها أنه (ع) بتحمله لتلك المصائب يكون إحياء الدين وإبقاء شريعة جده سيد المرسلين وإلا لما بقي للدين وللشريعة عين ولا أثر، كما يكون بذلك إظهار قبائح المنافقين

---

(١) لنا في هذا الموضوع الخطير (موضوع المشيئة) تحقيق مهم، مفصل ومطول في كتابنا: (الحقائق الكونية) ج١ بعنوان (إيضاح حقيقة المشيئة الإلهية والمشيئة الإنسانية) وتليه هذه العناوين: (١- ارتباط مشيئة الإنسان بمشيئة الله عز وجل، ٢- معنى المشيئة، ٣- الإنسان، مخير لا مسخر والفرق بينهما، ٤- الإنسان مزود بالعقل والشرع، ٥- لا استقلال للإنسان في مشيئته عن مشيئة ربه، ٦- لا جبر ولا تفويض، ٧- تقسيم المذاهب الباطلة إلى ثلاثة، ٨- المذهب الوسط السليم المستقيم، ٩- تقسيم المشيئة الإلهية بالنسبة لما يصدر من الإنسان إلى قسمين) وتستند هذه البحوث على أدلة العقل، وعلى عشرات الآيات والأحاديث الصحيحة، فما أجدر بالباحثين عن الحقائق بالرجوع إليها، والى تفاصيلها في كتاب الحقائق من أوله إلى ص٩٠.

وظلمهم لأهل بيت نبيهم، وخبث نفوسهم وتمردهم على الله عز وجل.

وبهذا وذاك يعرف الناس أولياء الله من أعدائه حتى يوالوا أولياءه ويعادوا أعداءه هذا في الدنيا، وبذلك يستحق أعداؤه مضاعفة العذاب في الدنيا، وشدته والخلود فيه في الآخرة.

وهناك حكم أخرى في إرادة الله بأوليائه وما أصيبوا به من محن ومصائب قد أشار إليها الحسين بن روح (رض) النائب الثالث عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في جواب من سأله، وإليك السؤال والجواب مع الإيضاح.

كلام الحسين بن روح في الحكم بجعل أولياء الله غالبين ومغلوبين

وقد رواه شيخنا الصدوق وغيره [1]، مسنداً عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني قال: كنت عند الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح (قدس سره) مع جماعة فيهم علي بن عيسى القصري، فقام إليه رجل وقال له: أريد أن أسألك عن شيء، فقال: سل عما بدا لك، فقال الرجل، أخبرني عن الحسين بن علي أهو ولي الله؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن قاتله أهو عدو الله؟ قال: نعم، قال الرجل: فهل يجوز أن يسلط الله عدوه على وليه؟ فقال له أبو القاسم: إفهم عني ما أقول لك:

اعلم أن الله عز وجل لا يخاطب الناس بشهادة العيان، ولا يشافههم بالكلام.

أشار بقوله: إن الله لا يخاطب الناس بشهادة العيان، إلى استحالة مشاهدة البارئ ورؤيته بالعيان، إذ أنه لا يشاهد لخلقه مطلقاً لا دنيا ولا آخرة كما قال تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ الأنعام: ١٠٣، وأشار بقوله: (ولا يشافههم بالكلام)، إلى قوله تعالى: ﴿**وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾

---

(١) راجع (إكمال الدين) للصدوق ص٤٧١، و (علل الشرائع) له ج١ ص٢٤١ باب ١٧٧، و (الاحتجاج) للطبرسي) ج٢ ص٢٨٥، ونقله عن هذه المصادر الثلاثة المجلسي في (البحار) ج٤٤ ص٢٢٧.

الشورى: ٥١، ثم قال:

ولكنه عز وجل بعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم، ولم يقبلوا منهم.

وهذا المعنى أشار إليه القرآن المجيد، لما قالت قريش لِمَ لمْ يبعث الله إلينا ملكاً رسولا؟ فرد الله عليهم بقوله: ﴿**لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ**﴾ (الأنعام: ٩)، ثم قال:

فلما جاءُوهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا فلا نقبل منكم حتى تأتونا بشيء نعجز أن نأتي بمثله، فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه؟ فجعل الله عز وجل لهم المعجزات التي يعجز الخلق عنها، فمنهم مَنْ جاء بالطوفان بعد الإنذار والإعذار فغرق جميع من طغى وتمرد، ومنهم من أُلقي في النار فكانت عليه برداً وسلاماً، ومنهم من اخرج من الحجر الصلد ناقة وأجرى في ضرعها لبناً، ومنهم من فلق له البحر، وفجر له العيون وجعل له العصا اليابسة ثعباناً فتلقف ما يأفكون ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص، وأحيى الموتى بإذن الله عز وجل، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ومنهم من انشق له القمر، وكلّمه البهائم مثل الذئب والبعير، وغير ذلك، فلما أتوا بمثل هذه المعجزات، وعجز الخلق من أممهم على أن يأتوا بمثلها، كان من تقدير الله عز وجل، ولطفه بعباده، وحكمته، أن جعل أنبياءه مع هذه المعجزات في حال غالبين، وفي حال أخرى مغلوبين، وفي حال قاهرين، وفي حال مقهورين، ولو جعلهم سبحانه في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم لاتخذهم الناس آلهة من دون الله عز وجل.

نعم هذه هي الحكمة الأولى في جعل الله حججه على عباده ـ من رسل وأنبياء وأئمة ـ في حال قاهرين وفي أخرى مقهورين، وفي حال غالبين وفي أخرى مغلوبين، وأنه لو جعلهم غالبين وقاهرين في كل الأحوال دائماً وأبداً لاتخذهم الناس آلهة من دون الله، ويكون ذلك سبباً في إضلال الناس، لأن القاهرية المطلقة الدائمة صفة خاصة لله عز وجل

لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام: ١٨.

وكذا الغالبية المطلقة ايضاً هي من صفات الله عز وجل وإليها يشير قوله تعالى: ﴿وَاللهُ غالِبٌ عَلى أَمْرِهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ يوسف: ٢٢، ثم قال الحسين بن روح: ولما عُرِف فضل صبرهم على البلاء والمحن والاختبار، ولكنه تعالى جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، ويكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين.

وهذه الحكمة الثانية وهي قوله: ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن.. الخ وهي حكمة حقيقية لأنه لو لم يبتلهم الله، بمحن ومصائب عظام لما عرف الناس فضيلة صبرهم، وإذن لقالوا: لو أن الأنبياء أصيبوا بمثل مصائبنا لما صبروا عليها، ولكن لما كانوا أكثر الناس محناً ومصائب وقد صبروا عليها صبراً جميلاً اتباعاً لرضا الله تعالى كما قال الحسين (ع) في خطبته التي خطبها عند خروجه من مكة: رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين. الخ.

وقد صبر الحسين بالفعل على كل ما أصيب به مما عرف الناس منه عظيم صبره الذي استحق به أن يكون في طليعة من قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾ الزمر: ١١، ثم قال:

وليعلم العباد ان لهم إلهاً هو خالقهم ومدبرهم فيعبدوه ويطيعوا رسله.

وهذه الحكمة الثالثة، وهي حكمة بالغة حيث أن الناس لما شاهدوا منهم المعجزات التي عجز جميع الناس عن الإتيان بمثلها والتي تغلبوا بها على غيرهم من أعدائهم، وأقاموا بها الحجة عليهم علموا أن ذلك من قدرة الله الخالق المتعال، وأنه هو المدبر لهم، والذي أمكنهم على الإتيان بمثلها لا أنهم تمكنوا من أنفسهم عليها ثم قال:

وتكون حجة الله تعالى ثابتة على من تجاوز الحد فيهم وادعى لهم الربوبية، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل.

انقسام الناس ـ بالنسبة إلى حجج الله ـ إلى ثلاثة أقسام

وهذه الحكمة الرابعة وهي من أبلغ الحكم، وبيان ذلك هو أن الناس انقسموا بالنسبة إلى حجج الله ـ إلى ثلاثة أقسام، قسم منها آمن بهم لعلمهم أن الله ارتضاهم حججاً على عباده فاتبعوهم وأطاعوهم كل بمقدار ما أوتي من حظ.

وقسم ثانٍ قد غالى بهم بأنواع المغالاة كاليهود الذين قالوا عزير ابن الله، وكالنصارى الذين قالوا المسيح ابن الله، وقد حكى الله قولهما في كتابه بقوله تعالى: ﴿**وَقالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَما أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ التوبة: ٣٠ ـ ٣١.

كما أن قسماً من هذه الأمة قد غالى أيضاً في علي (ع) وأنزله بغير منزلته من العبودية لله، فقال من قال منهم: إنه هو الإله، أو أن الإله قد حل فيه إلى ما هنالك من أقوال المغالين فيه.

وقسم ثالث من الناس قد عاند أولئك الحجج وخالفهم وجحد نبوتهم أو إمامتهم وحاربهم وقد أشار النبي (ص) إلى ذلك كله بقوله لعلي (ع): إن فيك مثلاً من عيسى أحبه قوم فهلكوا فيه (أي النصارى) وأبغضه قوم فهلكوا فيه (أي اليهود) فقال المنافقون: أما رضي له مثلاً إلا عيسى بن مريم، فأنزل الله على رسوله هذه الآية: ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ**﴾ الزخرف: ٥٨[1].

فالله سبحانه يحتج يوم القيامة على من غالى فيهم بأنكم كيف اتخذتموهم أرباباً من دوني؟ أما علمتم أنهم كانوا في الدنيا مقهورين ومغلوبين؟ فتكون حجة الله ثابتة عليهم، وهكذا يحتج على من عاندهم وأبغضهم وجحد نبوتهم أو إمامتهم، بأنكم كيف

---

(١) روى هذا المعنى أو النص العشرات من أئمة المذاهب، وأصحاب الصحاح والسنن والتفسير وكتب الفضائل والمناقب من الخاصة والعامة، راجع (تعليقات إحقاق الحق) ج٣ ص٣٩٧-٤٠١.

جحدتموهم وأبغضتموهم وعاندتموهم؟ أما علمتم أني قد أيدتهم بالمعجزات التي يعجز عنها جميع الناس، وبذلك تكون أيضاً حجة الله ثابتة عليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الأنعام: ١٥٠.

ثم ختم الحسين بن روح تلك الحكم بقول الله عز وجل حيث قال: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال: ٤٣[1].

ومعنى هذه الحكمة الإلهية، وهي الخامسة، أن الله سبحانه أبان الحق وأهله، وأبان الباطل وأهله، فمن اتبع الباطل وأهله فقد هلك، ومن اتبع الحق وأهله فقد نجا وحصلت له الحياة الطيبة: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بأقوال وأفعال الفريقين الهالكين والناجين، فاعتبروا يا أولي الألباب.

التقاء الحسين (ع) بأفواج من الملائكة والجن في طريقه

نعم هذا هو الواقع، وهو إن الله شاء أن يختبر عباده - فيما يختبرهم به - بأوليائه

---

(١) قال الراوي لهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن إسحاق: فعدت إلى الشيخ أبي القاسم من الغد وأنا أقول في نفسي: أتراه ذكر ما ذكر يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدأني فقال لي: يا محمد بن إبراهيم لئن أخر من السماء فتخطفني الطير، أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحب إلي من أن أقول في دين الله تعالى برأيي، ومن عند نفسي، بل ذلك عن الأصل، ومسموع عن الحجة صلوات الله عليه.

أقول: ومعلوم أن قول الحسين بن روح: بل ذلك عن الأصل ومسموع عن الحجة (ع) عنى بالأصل أي مأخوذ عن الله عز وجل الذي شرع لعباده. بتقديره وقدرته ولطفه بعباده وحكمته. كل ما فيه صلاحهم وإصلاحهم للروح والجسم، في الدنيا والآخرة، وعنى بالحجة الحجة المهدي من آل محمد (ص) الذي استودعه الله ما شاء من أسراره وحكمته، وهو الذي ادخره الله عز وجل لإحياء العباد والبلاد في آخر الزمان، ويورثه والصالحين من أصحابه الأرض وبه وبهم يملؤها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجورا، قال تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور ن بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) الأنبياء: ١٠٦.

وأعدائه بعدما أوضح لهم حال الطرفين، وبهذا صرح الحسين (ع) كما ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: لما سار الحسين من مكة لقيته أفواج من الملائكة المسومين والمردفين في أيديهم الحراب، على نجب من نجب الجنة، فسلّموا عليه وقالوا: يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه، إن الله عز وجل، أمد جدك رسول الله بنا في مواطن كثيرة، وإن الله أمدك بنا، فقال لهم: الموعد حفرتي وبقعتي التي استشهد فيها وهي كربلاء، فإذا وردتها فأتوني، فقالوا: يا حجة الله إن الله أمرنا أن نسمع لك ونطيع، فهل تخشى من عدو يلقاك فتكون معك؟ فقال: لا سبيل لهم علي ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلى بقعتي[1].

وأتته أفواج من مؤمني الجن فقالوا له: يا مولانا نحن شيعتك وأنصارك، فمرنا بأمرك وما تشاء فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك، فجزاهم الحسين خيراً وقال لهم: أو ما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي رسول الله (ص) في قوله تعالى: ﴿**أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ**﴾ النساء: ٧٨.

وقال سبحانه: ﴿**قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ آل عمران: ١٥٥.

فإذا أقمت بمكاني فبماذا يمتحن هذا الخلق المتعوس؟ وبماذا يختبرون؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء؟ وقد اختارها الله لي يوم دحا الأرض، وجعلها معقلاً لشيعتنا ومحبينا، تقبل أعمالهم وصلواتهم ويجاب دعاؤهم، وتسكن إليها شيعتنا فتكون لهم أماناً في الدنيا والآخرة، ولكن تحضرون يوم السبت، وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل، ولا يبقى بعدي مطلوب من أهل بيتي ونسبي وإخواني، ويسار برأسي إلى يزيد بن معاوية.

فقالت الجن: نحن والله يا حبيب الله وابن حبيبه لولا أن أمرك طاعة، وأنه لا يجوز لنا

---

(١) راجع (معالي السبطين) ج١ ص١٥٣ نقلاً عن (اللهوف) للسيد ابن طاووس والبحار للمجلسي ج ٤٤ ص٣٣٠ نقلاً عن كتاب محمد بن أبي طالب، وعن (الإرشاد) للمفيد عن الإمام الصادق (ع) إلا أنه قال: لما سار أبو عبد الله من المدينة .. الخ.

مخالفتك، لخالفناك وقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك، فقال لهم الحسين (ع): ونحن والله أقدر عليهم منكم، ولكن ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ (١).

نعم والله، لقد كان الحسين (ع) قادراً - بإذن الله - على قتل أعدائه، وهو أقدر عليهم من الجن والملائكة ولكن شاء الله أن يقتل الحسين مظلوماً لتلك الحكم التي أشرنا إليها، والى غيرها، والتي منها أن جعله الله سبباً لنجاة المؤمنين من أمة جده بما يتحمل في طريق شهادته في سبيل الله ولسان حاله يقول:

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني

---

(١) راجع المصادر السابقة.

الإسلام واتباع أهل البيت (عليهم السلام)

الحلقة (١٢)

المجالس الحسينية

دراسات موضوعية في الإمام الحسين [ع] وعشرة محرم
وهي حصيلة ٧٠ عاماً في خدمة المنبر الحسيني

الجزء الثاني

تأليف

العلامة الخطيب الشيخ عبد اللطيف البغدادي

مؤسسة البلاغ

الفصل الرابع

توجّه الحسين (ع) من مكة إلى العراق، والحوادث التي جرت له في الطريق، حتى نزوله كربلاء، ومن التحق به.

المجلس الحادي والعشرون

خروج الحسين (ع) من مكة قبل موسم الحج مخافة اغتياله في الحرم.

تكوين الأشياء كلها بقضاء وقدر إلهي

سـلم الأمـر إلى رب البشـر واتـرك الهـمَّ ودع عـنك الفكـر
لا تقـل فـيما جـرى كـيف جـرى كـلّ شـيء بقضـاء وقـدر

نعم لا يكون شيء ولا يقع شيء في هذا الكون الواسع بسمائه وأرضه، من كلي أو جزئي، من خيرٍ أو شر، من عدلٍ أو ظلم، من إيمان أو كفرٍ، من طاعة أو معصية، مما يكون من الله عز وجل مباشرةً، أو يصدر من الإنسان، أو من غير الإنسان إلا بقضاء مقضي من الله، وقدر مقدر منه تعالى، فما شاء الله وقوعه مما قضاه وقدره من فعله الحكيم، أو من أفعال مخلوقاته المختلفة يقع لا محالة، ومالم يشأه ولم يقضه ويقدره لا يكون أصلاً، لأن تدبير الكون بيده وهو رب العالمين.

الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة:

وهذه حقيقة ثابتة بالعقل السليم ومؤيدة بالعديد من الآيات القرآنية، ومن الأحاديث الصحيحة الثابتة عن نبينا وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم.

فمن الآيات القرآنية المطلقة في القضاء، الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَإِذا قَضى أَمْراً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ (البقرة: ١١٨) [1].

ومنها قوله تعالى: ﴿**وَقَضَيْنا إِلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً**﴾ (الإسراء: ٥).

ومن الآيات المطلقة في القدر قوله تعالى: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً**﴾ (الفرقان: ٣).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ بالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ (الطلاق: ٤) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى.

أما الأحاديث الواردة عن نبينا وأهل بيته الثابتة عنهم (ع) فهي كثيرة جداً، فمن تلك الأحاديث ما قاله النبي (ص) في بعض خطبه، وهي الخطبة التي خطبها عند تزويجه فاطمة الزهراء من علي (ع) وقد ذكرها الخاص والعام جاء فيها ما فيه محل الشاهد: وأمر الله تعالى يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب ﴿**يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ**﴾..الخ (الرعد: ٤٠).

ومنها ما ورد عن الإمامين الباقرين الصادقين من عدة طرق رواه أجلاء علمائنا كالكليني في (الكافي) والبرقي في (المحاسن) وغيرهما بأسانيدهم عن أبي جعفر الباقر، وابنه أبي عبد الله الصادق (ع) أنهما قالا: لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع: بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب،

---

(١) راجع تفسيرها في (مواهب الرحمن) ج١ ص٤٠٥ للسبزواري.

وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقض واحدة منهن فقد كفر[1].

وفي حديث آخر مسند عن أبي الحسن موسى بن جعفر(ع) أنه قال: لا يكون شيء في السموات ولا في الأرض إلا بسبع: بقضاء، وقدر، وإرادة، ومشيئة، وكتاب، وأجل، وإذن، فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله، أو ردَّ على الله عز وجل[2].

وفي حديث آخر مسند عن أبي الحسن موسى بن جعفر أيضاً أنه قال من جملة حديث له: لا يكون شيء إلا ما شاء الله، وأراد، وقدّر، وقضى..الخ[3].

وفي حديث آخر مسند عن يونس بن عبد الرحمن أنه قال: قلت لأبي الحسن الرضا (ع): لا يكون شيء إلا ما شاء الله، وأراد، وقضى؟ فقال (ع): لا يكون شيءٌ إلاّ ما شاء، وأراد، وقدّر، وقضى... الخ.

وإلى تلك الآيات القرآنية الكريمة، وهذه الأحاديث الشريفة، وغيرها أشار هذا الشاعر الحكيم العارف بقوله:

سلّم الأمر إلى رب البشر ... واترك الهم ودع عنك الفكر

لا تقل فيما جرى كيف جرى ... كل شيء بقضاء وقدر

علاقة القضاء والقدر بالعباد، وعدم الجبر على الأفعال:

ولكن مما يجب إلفات النظر إليه هو أن لا يتوهم الإنسان بأن معنى كل شيء بقضاء وقدر أن الخلق مجبورون على كل فعل يفعلونه سواء كان خيراً أم شراً، أو أن الحوادث التي يلاقونها، أو تصدر منهم في أطوار حياتهم من قتل وجور وظلم خلقها الله وفعلها فيهم، لا، لأن هذا ينافي العدل الإلهي، بل المراد من علاقة القضاء والقدر بالعباد هي كما يلي:

من جهة علاقة علمه تعالى بما سيكون من أمرهم، وما كتبه في لوحه المحفوظ مما

---

(١) راجع (الشافي) في شرح الكافي للمظفري، م٢ ص٢٢١ عن الصادق، و المحاسن للبرقي ص١٩٠ عن الباقر (ع).

(٢) راجع (الخصال) للصدوق ص٣٥٩ والكافي كما في شرحه م٢ ص٢٢٢.

(٣) الكافي م٢ ص٢٢٣، والمحاسن ص١٩١.

سيقع عليهم وما سيلاقونه فكتب على هذا أنه سعيد لأنه سبحانه علم بسابق علمه الذاتي أنه سيتجه بما خلق فيه من قوة الفعل إلى فعل الخير فيسعد، وكتب على الآخر أنه شقي لأنه سبحانه علم أنه سيتجه بما خلق فيه من قوة الفعل إلى فعل الشر فيشقى.

وتوضيح ذلك نقول: إن الله أودع في العبد قوة الفعل، أي القدرة على الأعمال، وبين له من طريقي العقل والشرع، الطريقين: الخير والشر، قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ (الشمس ٨-٩) وقال: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ البلد: ١١، أي بينا له طريقي الخير والشر، وبعد أن منحه قوة التوجه والعمل، وبين له الطريقين، ترك له حرية الاختيار قال تعالى ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾ (الدهر: ٤). فتكون قوة فعل الخير والشر مخلوقة في الإنسان. ومن أمر الله وقدرته، ويكون الاختيار للإنسان فيما يريد.

ومثال ذلك أن في اليد قوة الحركة، وعضو اليد سبب فاعل لها، وهذا من خلق الله وقدرته، ولكن هل تتحرك اليد للإحسان أو للإساءة، للنفع أو للضرر، للخير أو للشر هذا متروك للعبد نفسه، والله علم بسابق علمه ما سيتجه إليه العباد في أطوار حياتهم، وما يلاقونه من رخاء وبلاء، وسعادة وشقاء، وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ، هذا من جهة. ومن جهة أخرى إن علاقة القضاء والقدر بالعباد هي أنهم وإن كانوا مختارين غير مجبورين يفعلون ما يريدون من خير أو شر ليكون الجزاء لهم طبق ما صدر منهم، ولكن لا يقع منهم إلا بمقدار ما قدره الله وقضاه، مما شاءه وأراد وقوعه.

مثلاً قد يشاء الإنسان أن يفعل بعض الجرائم ولكن الله جل وعلا لا يشاء وقوعها فيحول بينه وبين ما يريد القيام به من تلك الجرائم فلا تقع منه قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ (الأنفال: ٢٥).

وقد يشاء الإنسان أن يفعل بعض الجرائم، ويشاء الله وقوعها فتقع منه بالفعل. والسر في ذلك كله هو أنّ مشيئة الله المتعال هي المهيمنة على مشيئة العبد والسابقة لها

كما قال عز من قائل: ﴿وَما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (الدهر: ٣٠) وقال تعالى: ﴿وَما تَشاؤُنَ إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُّ الْعالَمِينَ﴾ آخر سورة التكوير.

فما شاء الله وقوعه بالفعل سواء كان مما كونه الله تعالى أو شرعه، أو مما فعله الإنسان وصنعه من خيرٍ أو شرٍ وقع، وهو مسجل عند الله في لوحه المحفوظ قبل خلق الخلق، وإلى ذلك تشير عدة آيات من القرآن المجيد ومنها قوله تعالى: ﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد: ٢٣)[1].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلاَّ ما كَتَبَ اللهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: ٥١).

وجوب الرضا بقضاء الله وقدره:

ومما يلزمنا لفت النظر إليه أيضاً هو أنا يجب أن نرضى عن الله في كل قضائه وقدره، سواءً كان مما نحب أو مما نكره، ومما يصيبنا أو مما يصيب غيرنا، وان لا نعترض على الله عز وجل فيما يدبر به عباده مما قضى وقدر لهم. وفي نفس الوقت الذي نرضى به عن الله وعن قضائه وقدره يجب أن لا نرضى بما يفعل الكافرون والظالمون من أنواع الكفر والظلم، إذ أن الله لا يحبهما ولا يرتضيهما قال تعالى: ﴿وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ﴾ (الزمر: ٨).

ولكنه جل شأنه شاء أن يمهل الكافرين والظالمين استدراجا لهم، وابتلاء وامتحانا للمؤمنين، والعاقبة الحسنة أخيراً تكون للمؤمنين المتقين من الصابرين والشاكرين المجاهدين قال تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ

---

(١) لنا حول هذه الآية الكريمة بحوث إضافية، استعرضنا فيها موضوع القضاء والقدر بصورة أوسع، في كتابنا الشفاء الروحي والجسمي في القرآن. من ص٢٩٦ إلى ص ٣٠٦.

وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (الأعراف: ١٢٩).

القضاء والقدر فيما أصيب به الحسين (ع):

ومما أصيب به العالم الإسلامي كله ما أصيب به الحسين (ع) من محنٍ ومصائبٍ عظام قد قدرها الله وقضاها وخطها بالقلم على لوحه المحفوظ ووقعت كما خطت، وصبر عليها صبراً جميلاً حتى لحق بربه وبأسلافه الطاهرين وإلى ذلك أشار الحسين (ع) في خطبته التي خطبها بمكة قبل خروجه منها، قال (ع): لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين ..الخ.

ملاقاة الفرزدق للحسين (ع):

وأشار (ع) إلى ذلك أيضاً فيما دار بينه وبين الفرزدق الشاعر من الكلام حين التقى بالحسين (ع) خارجاً من مكة وذلك يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة الذي كان الناس فيه يخرجون إلى منى أو عرفات للحج، والحسين (ع) تارك الحج وخارج فيه من مكة إلى العراق بمن معه من أهل بيته ومن انضم إليه من شيعته، وعجّل في خروجه مخافة أن يؤخذ ويقتل هناك.

روى ذلك الفرزدق نفسه، ونقل عنه المؤرخون أنه قال: حججت بأمي في سنة ستين، فبينما أنا أسوق بعيرها حتى دخلت الحرم إذ لقيت الحسين (ع) خارجاً من مكة، ومعه أسيافه وتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟ فقيل للحسين بن علي، فأتيته وسلمت عليه، وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب، بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ قال (ع): لو لم أعجّل لأخذت، ثم قال لي: من أنت؟ قلت: رجل من العرب، ولا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك.

ثم قال لي: أخبرني عن الناس خلفك؟ فقلت: الخبيرُ سأَلتَ، قلوب الناس معك وأسيافهم عليك والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء، قال: صدقت، وفي

نصّ وبررت، لله الأمر من قبل ومن بعد، وكل يوم ربنا هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من كان الحق نيته، والتقوى سريرته. فقلت له: أجل بلغك الله ما تحب وكفاك ما تحذر، ثم أنشأ الإمام الحسين (ع) يقول:

لئن كانت الدنيا تعدّ نفيسة ... فدار ثواب الله أعلى وأنبل
وإن كانت الأبدان للموت أنشئت ... فقتل امرئٍ بالسيف في الله أفضل
وإن كانت الأرزاق قسماً مقدّراً ... فقلة سعي المرء في الرزق أجمل
وإن كانت الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل[1]

ثم سألته عن أشياء من نذرٍ ومناسك فأخبرني بها، وحرّك راحلته وقال السلام عليك، ثم افترقنا[2].

وقد نظم الفرزدق التقاءه بالإمام قرب مكة بمكان يسمى (الصفاح) بقوله:

لقيت الحسين بأرض الصفاح ... عليه السيلامق والدرق[3]

كتاب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب للحسين (ع) وتخوفه عليه

ولما بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب خروج الحسين (ع) من مكة كتب إليه كتابا مع ولديه عون ومحمد يقول فيه:

---

(١) وسيلة المال ص١٨٨ والصراط السوي ص٨٦ ونقل الأبيات عنهما القرشي في كتابه حياة الإمام الحسين ج٣ ص٦١.

(٢) النص المذكور نقلناه عن (البحار) ج٤٤ من ص ٣٦٥ نقلاً عن الإرشاد للمفيد ص٢٠١ ويذكر ملاقاة الفرزدق بالحسين (ع) كثير من المؤرخين ونقله العلامة بحر العلوم في مقتل الحسين ص٢٢٣ عن كل من الطبري في تاريخه ج٥ ص١٦٦، وابن الأثير في الكامل ج٣ ص٢٧٦ وابن كثير في البداية والنهاية ج٨ ص١٦٦، وابن حجر في (لصواعق المحرقة) ص١١٧ وعن (الصراط السوي) ص٨٦ لمحمود القادري والخوارزمي في (مقتل الحسين) ج١ ص٢٢٣، والبلاذري في الأنساب ج٣ ص١٦٥. كما يذكر للفرزدق ترجمة وجيزة في المقتل المذكور.

(٣) نقله القرشي في (حياة الإمام الحسين) ج٣ ص٦٠ عن (معجم البلدان) ج٣ ص٤١٢.

أما بعد فإني أسألك بالله لما انصرفت حتى تنظر في كتابي هذا، فإني مشفق (أي خائف) عليك من هذا التوجه الذي توجهت له، أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك وإن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنك علم المهتدين، ورجاء المؤمنين، ولا تعجل بالسير فإني في أثر كتابي والسلام.

وصار عبد الله إلى عمرو بن سعيد بن العاص (وهو عامل يزيد على مكة يومئذ) وسأله أن يكتب إلى الحسين كتابا يمنيه فيه البر والصلة والإحسان، ويسأله الرجوع لعله يطمئن إلى ذلك فيرجع[1].

كتاب عمرو بن سعيد بن العاص إلى الحسين (عليه السلام):

فكتب إليه عمرو كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي، أمّا بعدُ، فإني أسأل الله أن يصرفك عما يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنك قد توجّهت إلى العراق، وإني أعيذك بالله من الشقاق، فإني أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر، ويحيى بن سعيد، فأقبل إليّ معهما، فإن لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار، ولك الله عليّ بذلك شهيد وكفيل ومراعٍ ووكيل، والسلام عليك.

ودفع الكتاب إلى أخيه يحيى بن سعيد، ولحقه يحيى مع عبدالله بن جعفر فدفعا إليه الكتاب.

جواب الحسين (ع) إلى عمرو بن سعيد

فكتب الحسين (ع) في جوابه يقول:

أمّا بعد فإنه لم يشاق الله رسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحاً وقال: إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن

---

(١) البحار ج٤٤ ص٣٦٦ نقلاً عن الإرشاد للمفيد ص٢٠٢ ومعالي السبطين ج١ ص١٥٧.

يؤمن الله في الآخرة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنت نويت بالكتاب صلتي وبري فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة.

وانصرف يحيى بن سعيد ومعه عبد الله بن جعفر بعد أن جهدا به في الرجوع فأبى، وقال لهما: إني رأيت رسول الله في منامي وقد أمرني بأمر أنا ماضٍ فيه، فقالا له: وما تلك الرؤيا؟ فقال (ع): ما حدثت أحداً بها، ولا أنا محدث أحداً حتى ألقى ربي، فلما يئس منه عبد الله بن جعفر أمر ابنيه عون ومحمد بلزومه والجهاد بين يديه، ورجع عبد الله مع يحيى إلى مكة[1].

نزول الحسين (ع) الثعلبية، وما جرى له فيها:

وسار (ع) حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة، فوضع رأسه فرقد، ثم استيقظ فقال: رأيت في المنام هاتفاً يقول: أنتم تسرعون، والمنايا تسرع بكم إلى الجنة[2].

وفي رواية: وسار الحسين فهومت عيناه بالنوم ساعة ثم انتبه وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فأقبل عليه ولده علي الأكبر وقال له: يا أبة لِمَ استرجعت لا أراك الله سوءً فقال (ع): يا ولدي خفقت خفقةً فرأيت فارساً وهو يقول: القوم يسيرون، والمنايا تسير بهم، وفي نص: إلى الجنة، يقول الشيخ كاظم الازري مشيراً إلى هذا المعنى:

أفدي القروم الألى سارت ركائبهم ... والموت خلفهم يسري على الأثر

وقال السيد جعفر الحلي أيضاً:

رهط حجازيون بين رحالهم ... تسري المنايا أنجدوا أو أتهموا

ويقول الدمستاني أيضاً:

بينما السبط بأهليه مُجِدٌّ بالمسير ... وإذا الهاتف ينعاهم ويدعو ويشير

---

(١) راجع المصدرين السابقين.

(٢) البحار: ج٤٤ ص٣٦٧ ومعالي السبطين ج١ ص١٦٠.

أن قـدام مطايـاهم مـناياهم تسـير ساعة إذ وقف المهر الذي تحت الحسين

فقال ابنه البار علي الأكبر: يا أبة أفلسنا على الحق؟ فقال: بلى يا بني والذي إليه مرجع العباد، فقال وهو يلقي على الأجيال أروع صور الإيمان والتضحية في سبيل الله: يا أبة إذن لا نبالي بالموت، وحين وجد الحسين (ع) في ولده خير عون على أداء رسالته الكبرى، شكره على ذلك قائلاً له: جزاك الله يا بني خير ما جزى به ولداً عن والده[1].

ثم بات (ع) في ذاك الموضع أعني الثعلبية، فلما أصبح إذا برجل من أهل الكوفة يكنى أبا هرة الأزدي، قد أتاه فسلم عليه ثم قال له: يابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك محمد (ص)، فقال له الحسين (ع): ويحك يا أبا هرة إن بني أمية أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسنهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً، وليسلطن عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ، إذ ملكتهم امرأة منهم فحكمت في أموالهم ودمائهم[2].

مجيء الحوراء زينب إلى الحسين (ع) تقص عليه سماع هاتف:

وسار (ع) حتى نزل الخزيمية، وهي إحدى منازل الحجيج فأقام بها يوماً وليلة ليستريح من جهد الطريق، فلما أصبح أقبلت إليه أم المصائب زينب وهي حزينة كئيبة،

---

(١) راجع المصدرين السابقين، ومقاتل الطالبين لأبي الفرج ص ٨١، ومقتل الحسين للخوارزمي الحنفي ص٢٢٦ ج١ ونقل القصة القرشي في (حياة الإمام الحسين) ج٣ ص٧٢ عن مقاتل الطالبين وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٣٤٦ والدر المسلوك للحر العاملي ن ١٠٩ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٢٣.

(٢) البحار ج٤٤ ص٣٧٦ نقلاً عن اللهوف لابن طاووس ص٦٠ وذكر سماع الحوراء الهاتف، وملاقاة الأزدي اخطب خوارزم في مقتله ص٢٢٥-٢٢٦. وذكر سماع الهاتف المجلسي في البحار ج ٤٤ ص٣٧٢ نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب ج٤ ص٩٥.

فقالت له: يا أخي ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة؟ فقال الحسين (ع): وما ذاك؟ فقالت: خرجت في بعض الليل فسمعت هاتفاً يهتف يقول:

ألا يـــا عـــين فاحـــتفلي بجهـــد ... فمـــن يـــبكي عـــلى الشـــهداء بعـــدي

عـــلى قـــوم تســـوقهم المـــنايا ... بمقـــدارٍ إلى إنجـــاز وعـــدي

فقال لها أبيٌّ الضيم: يا أختاه كل الذي قضى فهو كائن.

التقاء الحسين (ع) برجل أسدي بذات عرق:

وسار (ع) حتى بلغ ذات عرق، وهو موضع يبعد عن مكة بمرحلتين أو ليلتين، لقيه فيها رجل من بني أسد يقال له بشر بن غالب، فقال له الحسين (ع): ممن الرجل؟ قال: من بني أسد، قال: فمن أين أقبلت؟ قال: من العراق، قال: فكيف خلّفت أهل العراق؟ فقال: يابن رسول الله خلفت القلوب معك، والسيوف مع بني أمية، فقال له الحسين (ع): صدقت يا أخا بني أسد، إن الله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فقال له الأسدي: يابن رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ**﴾ (الإسراء: ٧٢).

فقال الحسين (ع): نعم يا أخا بني أسد. هما إمامان إمام هدى دعا إلى هدى، وإمام ضلالة دعا إلى ضلالة، فهذا ومن أجابه إلى الهدى في الجنة، وهذا ومن أجابه إلى الضلالة في النار[1].

وسار الحسين (ع) متوجهاً إلى العراق لا يلوي إلى شيء.

كتاب الوليد بن عتبة إلى ابن زياد يحذره أن يأتي الحسين بسوء

هذا وقد اتصل الخبر بالوليد بن عتبة بن أبي سفيان أن الحسين قد توجه إلى العراق

---

(١) راجع مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٢١، ويذكره المجلسي ج٤٤ ص٣٦٧ عن اللهوف لابن طاووس ص٦٠ ومثير الأحزان لابن نما ص٢١. ونقله عنهما بحر العلوم في مقتله ص٢٢٤ مختصراً.

وكان الوليد والياً على المدينة من قبل معاوية، وأقره يزيد عليها أولاً، ثم عزله، وما كان في بني أمية مثله. في أصالة رأيه وعمق تفكيره، وكان يعلم بغرور يزيد، وطيش ابن زياد، لذلك رفع إلى ابن زياد - بعد توجهه إلى الكوفة، وتوجه الحسين إليها- رسالة يحذره فيها من أن ينال الإمام بسوء، وان ذلك يعود بالأضرار البالغة على بني أمية، وهذا نص رسالته إليه:

من الوليد بن عتبة إلى عبيد الله ابن زياد، أما بعد:

فإن الحسين بن علي قد توجه نحو العراق، وهو ابن فاطمة، وفاطمة بنت رسول الله (ص) فاحذر يابن زياد أن تأتي إليه بسوء، فتهيج على نفسك وقومك أمراً في هذه الدنيا لا يسده شيء، ولا تنساه الخاصة والعامة أبداً ما دامت الدنيا والسلام[1].

فلم يلتفت ابن زياد إلى كتاب الوليد بل مضى سادراً في غيه وطيشه، فأرسل الحصين بن نمير التميمي في أربعة آلاف فارس حتى نزل القادسية، وبعث الحر مقدمة في ألف فارس للقبض على الحسين.

ولما أقبل إمام الحرمين ومليك النشأتين بمحامله وحموله، وشبابه وكهوله استقبلوه بأسنة كأنها اليعاسيب، ورايات كأنها أجنحة الطير، فأرهبوا العيال وأرعبوا الأطفال حتى أنزلوه بالعراء. وحالوا بينه وبين الماء، وأقبلت إلى قتاله وقتال من معه من أهل بيته وأصحابه كتائب الضلال ألوفاً مؤلفة.

نـــزلوا بأكـــناف الطفـــوف ضـــحىً ... والى الجـــــنان عشـــــية رحلـــــوا

رحلـــوا وكـــل يشـــتكي عطشـــاً ... بـــين الضـــلوع بهـــا لـــه شـــعل

---

(١) راجع معالي السبطين ج١ ص١٥٧ نقلاً عن (نفس المهموم) ونقل الكتاب القرشي في حياة الإمام الحسين ج٣ ص٥٧ عن الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٢١-١٢٢، ونقله عن ابن أعثم أخطب خوارزم في مقتله ج١ ص٢٢١.

المجلس الثاني والعشرون

زهير بن القين وموفقيته بالتحاقه بالحسين (ع)

احتياج المؤمن إلى ثلاث خصال

قد يسعد المرء بغير جهد ... فيرتقي أقصى مراقي المجد
وقد ينال ساعة من دهره ... ما لم ينله المرء طول عمره
يسوقه التوفيق للنجاح ... حتى ينال غاية الفلاح
ينال في الدنيا جميل الذكر ... فخراً وفي الأخرى جليل الأجر

قال الإمامان أبو عبد الله الصادق وأبو جعفر الجواد (ع): المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله عز وجل، وواعظ من نفسه، وقبول ممن ينصحه[1].

حقاً إنّ المؤمن يحتاج إلى هذه الخصال الثلاث، وترتبط هذه الثلاث بعضها ببعض فلا تحصل واحدة منهن بدون الأخرى كما سيتضح لك ذلك.

وأولاهن التوفيق من الله عز وجل، قال تعالى حاكيا على لسان نبيه شعيب ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ (هود: ٨٩).

الهداية وأقسامها الثلاثة:

والمراد من توفيق الله للمؤمن هو هدايته الخاصة له بسبب إيمانه، وإنما قلنا هدايته

---

(١) راجع المحاسن ص٤٩٥ للبرقي بسنده عن الإمام الصادق (ع) والبحار للمجلسي ج٧٨ ص ٣٥٨ نقلاً عن تحف العقول لابن شعبة ص٤٥٥، عن الجواد (ع) وكذا المجالس السنية للسيد محسن الأمين ج٥ ص٤٢٤.

الخاصة، لأن الهداية من الله على ثلاثة أقسام، هداية تكوينية عامة، وهي التي أوجدها الله وأودعها في طبيعة كل مخلوق مطلقاً، كل بحسب ما يحتاجه، وما فيه كماله الذي خلق من أجله، وإليها تشير عدة آيات من القرآن المجيد، ومنها قوله تعالى ﴿**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**﴾ (الأعلى: ٤) ولها أنواع كثيرة مناسبة لكل مخلوق.

ومن أنواع هذه الهداية التكوينية العامة ما هدى الله به الإنسان تمييزاً له على سائر الحيوان، وهو العقل الذي خلقه في الإنسان وأودعه فيه ليميز به بين الحسن والقبيح، والفضيلة والرذيلة، والحق والباطل، والنافع والضار، وهو حجة الله الباطنة فيه، وهو أعلى أنواع الهداية التكوينية.

والقسم الثاني من الهداية هي الهداية التشريعية العامة، وهي الهداية التي هدى الله فيها جميع البشر بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، وبما جعل لهم من أوصياء وخلفاء يقومون بعدهم مقامهم، وبما جعل لرسله وخلفاءه في أرضه من معجز باهر وبرهان قاهر يدل على صدقهم في دعوة الأمم إلى هدايتهم إلى الطريق المستقيم من الاعتقادات الحقة بدلائلها، والأعمال الصالحة التي بها سعادتهم إلى ما هنالك من الأمور التشريعية المتضمنة للأمر والنهي، والبعث والزجر، ووعد جل وعلا الأخذ بها ثوابا في الدنيا والآخرة، وتوعد على تركها عقاباً في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ (الإسراء: ١٦).

وهذه الهداية التشريعية هي حجة الله الظاهرة على الإنسان بعد حجته الباطنة عليه من طريق العقل، قال الإمام موسى بن جعفر (ع) في وصيته لهشام بن الحكم: يا هشام إن لله على الناس حُجتين: حجة ظاهرة، وحُجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول...الخ[1].

---

(١) راجع الوصية في (الشافي) للمظفري، في شرح الكافي ج١ ص٣٦-٧٣. مع شرحها والعبارة المذكورة ص٦٤.

وبهاتين الهدايتين العامتين أتم الله جل وعلا الحجة على النوع الإنساني قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الأنعام: ١٥٠).

والقسم الثالث من الهداية هي الهداية التكوينية الخاصة، وإنما وصفت بالخاصة حيث أن الله يخص بها بعض عباده دون بعض حسب ما تقتضيه حكمته من المقدار، والوقت، والكيفية.

ومن أولئك البعض الذين يخصهم الله بهذه الهداية؟ نعم إنما هم المؤمنون الذين إذا عرفوا - بما أوتوا من الهدايتين العامتين العقلية والتشريعية -شيئاً من الحق عملوا به، وعلم الله منهم حب الحق والعمل به فهؤلاء تقتضي حكمته أن يهديهم ويوفقهم إلى ما فيه صلاحهم، وإلى فتح طريق الحق أمامهم، وكأنها جزاء لهم على إيمانهم، وعملهم بمقتضاه.

وإلى هذه الهداية الخاصة تشير عدة آيات من القرآن المجيد منها قوله تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ٢١٤).

وإلى هذه الهدايات الثلاث أشار الإمامان الصادق والجواد (عليهما السلام) بقولهما: (المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال: توفيق من الله عز وجل)، وهو الهداية التكوينية الخاصة، والتوفيق الذي يخص به من يشاء من عباده المؤمنين، (وواعظ من نفسه)، وهو العمل بهداية العقل بأن يرجع إليه ويستنير بنور هدايته ويسير على ضوئه، وإليه يشير بعض الأدباء بقوله:

لا تنتهي الأنفس عن غيها ... ما لم يكن منها لها زاجرٌ

(وقبول ممن ينصحه) وهو قبول هداية من يهديه إلى الحق من رسل وأنبياء وأوصياء، ومن سائر الناصحين الذين يدعون إلى ما دعوا إليه رسل الله وسائر حججه.

ومن هنا يتضح لك ارتباط هذه الخصال الثلاث بعضها ببعض حيث أن التوفيق من

الله لا يحصل إلا للمؤمن الذي يهتدي بهداية عقله، وحيث أن العقل وحده لا يكفي لتحصيل الهداية التامة، فتأتي معه الهداية من حجج الله على خلقه التي شرعها لهم ولأممهم، وممن دعا بدعوتهم ومن سائر الناصحين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

وإنما قدم الإمامان هداية التوفيق من الله لأنها هي الأساس للمؤمنين بعد الهدايتين العامتين، والتابعة لهما، إذ من لم يهتد بعقله، ولم يقبل نصيحة الناصحين له لا يهديه الله ولا يوفقه للخير، لأنه لا يستحق تلك الهداية الخاصة، والتوفيق الخاص.

وهذه الهداية هي التي نسألها من الله تعالى دائماً وأبداً في صلواتنا كلها الواجبة منها والمستحبة فنقول: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ❖ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ❖ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ❖ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ❖ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ❖ اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ ❖ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ❖ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**﴾، كما نسألها بالدعاء أيضاً فنقول: اللهم اهدنا من عندك، وأفض علينا من فضلك..الخ.

وإلى تلك الهداية أشار العالم الأديب الشيخ هادي كاشف الغطاء بالأبيات التي ابتدأنا بها بقوله[1]:

قد يسعد المرء بغير جهد ... فيرتقي أقصى مراقي المجد

وقد ينال ساعة من دهره ... ما لم ينله المرء طول عمره

يسوقه التوفيق للنجاح ... حتى ينال غاية الفلاح

ينال في الدنيا جميل الذكر ... فخراً وفي الأخرى جليل الأجر

والذين ساقهم التوفيق إلى السعادة الأبدية، ونالوا به جميل الذكر في الدنيا، وجليل الأجر في الآخرة كثيرون ومنهم البطل المجاهد العظيم زهير بن القين رضوان الله عليه، الذي كان أول أمره عثمانياً أموياً في اتجاهه، ولكن التوفيق الإلهي ساقه أخيراً إلى

---

(١) المقبولة الحسينية ص١٧.

السعادة الدائمة وانتقل علوياً حسينياً متفانياً في سبيل الحق ونصرته.

ترجمة زهير، وسبب التحاقه بالحسين (ع):

وإليك ما جاء في ترجمة زهير، وسبب التحاقه بالحسين (ع)، قال أرباب السير والمقاتل: زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي كان رجلاً شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، وكان شجاعاً مقداماً، وله في المغازي الإسلامية مواقف مشهورة ومواطن مشهودة، وكان أولاً عثمانياً منحرفاً عن أهل البيت ولكنه حج سنة ستين من الهجرة فهداه الله تعالى فصار علوياً محبا مخلصاً.

وقد روى المؤرخون وأرباب السير والمقاتل قصة التحاقه بالحسين(ع) وسببه عن رجل من فزارة كان معه قال: كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين (ع) فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن ننازله في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتى نزلنا يوماً في منزل لم نجد بداً من أن ننازله.

فبينا نحن جلوس نتغذى من طعام لنا إذا أقبل رسول الحسين حتى سلم ثم دخل وقال: يا زهير إن أبا عبد الله الحسين (ع) بعثني إليك لتأتيه، قال: فطرح كل إنسان منا ما في يده من الطعام، حتى كأنّ على رؤوسنا الطير: أي أصابتهم بهتة صاروا بها كجامدين غير متحركين، ولم يجب أحد منهم بشيء.

وهنا قالت زوجة زهير، وكانت معه خلف حجاب مخاطبة له:[1]

يا زهير أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه -سبحان الله- لو أتيته فسمعت كلامه ثم انصرفت.

نعم هكذا كانت نصيحتها لزهير نصيحة واقعية، وحيث كان له واعظ من نفسه وهو العقل واستنار به لذا استجاب لنصيحتها بالفعل وقبلها.

يقول الراوي: فقام زهير وأتى إلى الحسين (ع) فما لبث أن عاد مستبشراً وقد تهلل

---

(١) واسمها ديلم بنت عمرو، وبعض يسميها دلهم بدل ديلم.

وجهه وأشرق، وأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فقوض وحمل إلى الحسين (ع) ثم قال لزوجته: أنت طالق فالحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا الخير، فقد عزمت على صحبة الحسين لأفديه بروحي وأقيه بنفسي ثم أعطاها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها فقامت إليه وبكت وودعته قائلة: خار الله لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين.

ماذا أسر ريحانة رسول الله لزهير حتى جعله يتغير هذا التغير؟ هل وعده بمالٍ أو مغنم؟ ولو وعده بذلك لما طلق زوجته، ولا ودع أصحابه الوداع الأخير، نعم بشره بالشهادة والفوز بالجنة، وذكره بحديث طالت عليه الأيام فنسيه... وهو الحديث الذي حدث به زهير أخيراً أصحابه قائلاً لهم: من أحب منكم أن يتبعني، وإلا فهو آخر العهد، وإني سأحدثكم حديثاً إنا غزونا (بلنجر)[1]. ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان الفارسي: أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟ فقلنا: نعم، فقال لنا: إذا أدركتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه مما أصبتم اليوم من الغنائم، وأنا أستودعكم الله قال الراوي: ثم والله ما زال أول القوم مع الحسين حتى قتل بين يديه[2].

---

(١) بلنجر: بالباء الموحدة واللام المفتوحتين، والنون الساكنة، والجيم المفتوحة، والراء المهملة، وهي مدينة في الخزر عند باب الأبواب، فتحت في زمن عثمان بن عفان على يد سلمان بن ربيعة الباهلي، وهو قائد الجيش وكان من ضمن الجيش سلمان الفارسي (رض) والظاهر أن سلمان الفارسي هو الذي حدث بقوله أفرحتم بما فتح الله عليكم..الخ، كما عليه ابن الأثير، والخوارزمي، والفتال، والمفيد، وغيرهم، وهو الأصح من حيث اطلاع سلمان الفارسي بالخصوص على بعض المغيبات التي يخبر به النبي (ص) خواص أصحابه، وهذا الخبر من المغيبات التي تناسب الفارسي لا الباهلي وبعضهم يطلق لفظ سلمان من دون أن يعينه والله اعلم.

(٢) تاريخ الطبري ج٥ ص٣٩٧ و كامل ابن الأثير ج٣ ص٢٧٨ ومقتل الخوارزمي ج١ ص٢٢٥. وروضة الواعظين للفتال ص٢٧٨ وأنساب البلاذري ج٣ ض١٦٨ وإرشاد المفيد ص٢٠٥ والدر

مواقف زهير في التفاني دون الحسين (ع) ونصرته:

نعم ما زال زهير أول القوم المبادرين لنصرة الحسين (ع) والمتفانين دونه في المواقف الحرجة كلها، وإليك بعض تلك المواقف التي تفوق بها على بقية أنصار الحسين (ع).

١- موقفه عند معارضة الحر للحسين (ع) في الطريق:

قال أبو جعفر الطبري، وغيره من المؤرخين: لما عارض الحر بن يزيد الرياحي الحسين (ع) في الطريق، وأراد أن ينزله حيث يريد، وأبى الحسين عليه، ثم إنه سايره، فلما بلغ ذا حُسَم قام (ع) خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت. واستمرت جذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، وإلى الباطل لا يتناهى عنه. ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما.

فأول من قام من أصحابه معرباً عن ثباته هو زهير، حيث قام وقال لأصحابه: أتتكلمون أم أتكلم؟ قالوا: لا بل تكلم أنت، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا بن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها، فدعا له الحسين (ع) وقال له خيراً..الخ[1].

٢- موقفه عند نزول الحسين (ع) كربلاء:

وقال أهل السير وأرباب المقاتل: أن الحر لما ضايق الحسين (ع) بالنزول، وأتاه أمر

النظيم ليوسف بن حاتم الشامي ص١٦٧ والبحار ج٤٤ ص٣٧١ نقلاً عن المفيد وابن طاووس في اللهوف ص٦٢ وغيرهم باختلاف بسيط بينها.

(١) نقل هذا الموقف لزهير الشيخ محمد السماوي في (أبصار العين) ص٩٥ عن أبي محنف، والسيد عبد المجيد في ذخيرة الدارين ص١٨٢ عن الطبري والمجلسي في البحار ج٤٤ ص٣٨١ نقلاً عن اللهوف لابن طاووس وغيرهم من المؤرخين كثير.

ابن زياد أن ينزل الحسين على غير ماء، ولا في قرية، فقال له الحسين (ع) دعنا ننزل في هذه القرية يعني نينوى، أو هذه القرية يعني الغاضرية، أو هذه القرية يعني شفية، فقال له الحر: لا والله ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث إلي عيناً.

فقال زهير للحسين: يابن رسول الله إن قتال هؤلاء البغاة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به، فقال له الحسين(ع): ما كنت لأبدأهم بالقتال، فقال له زهير: سر بنا إلى هذه القرية حتى ننزلها فإنها حصينة، وهي على شاطئ الفرات فإن منعونا قاتلناهم، فقتالهم أهون علينا من قتال من يجيئ من بعدهم، فقال له الحسين: وأية قرية هي؟ قال: العقر، فتشاءم الحسين منها وقال: اللهم إني أعوذ بك من العقر، وفي (المناقب) فقال له زهير: فسر بنا حتى ننزل بكربلاء فإنها على شاطئ الفرات، فنكون هنالك، فإن قاتلونا قاتلناهم واستعنا الله عليهم، قال: فدمعت عينا الحسين (ع) ثم قال: اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء.

ثم سار الحسين (ع) -والحر يسايره ويمانعه- حتى إذا وصلوا كربلاء، قال لأصحابه: أهذه كربلاء؟ قالوا: نعم يا بن رسول الله.

قال: (هذا موضع كرب وبلاء) انزلوا، هاهنا محط رحالنا، ومناخ ركابنا، ومقتل رجالنا، ومسفك دماءنا، وهنا محل قبورنا، بهذا حدثني جدي رسول الله[1].

٣- موقفه يوم التاسع من محرم:

قال أرباب السير: لما كان يوم الخميس التاسع من المحرم بعد العصر، وزحف الأعداء نحو الحسين واقتربوا من الخيام، قال الحسين (ع) لأخيه العباس: اركب إليهم حتى تسألهم عما جاء بهم، فركب العباس في عشرين فارسا منهم حبيب بن مظاهر، وزهير بن القين، فسألهم العباس عن مجيئهم، فقالوا: جاء الأمر من الأمير بالنزول

---

(١) راجع المصادر السابقة وكتاب (المناقب) لابن شهرآشوب ج٤ ص٩٦-٩٧ و (روضة الواعظين) للفتال ص١٨٠ وغيرها.

على حكمه، أو المنازلة: فقال لهم العباس: لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، وذهب العباس راجعاً، وبقي أصحابه، فقال حبيب لزهير: كلم القوم إن شئت، فقال زهير: أنت بدأت بهذا فكلمهم أنت، فكلمهم حبيب ووعظهم، فرد عليه عزرة بن قيس قائلاً له: يا حبيب إنك لتزكي نفسك ما استطعت، فأجابه زهير قائلاً له: إن الله قد زكاها وهداها، فاتّق الله يا عزرة فإني لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية، فقال عزرة: يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، وإنما كنت عثمانياً، قال: أفلا تستدل بموقفي هذا على أني منهم، أما والله ما كتبت إليه كتابا قط، ولا أرسلت إليه رسولاً قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بيني وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله (ص) ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم، فرأيت أن أنصره وان أكون من حزبه، وأن أجعل نفسي دون نفسه حفظاً لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله.

قال الرواة: وأقبل العباس وسألهم أن يمهلوهم تلك العشية، وأخيراً أمهلوهم[1].

٤- موقفه ليلة العاشر من المحرم:

وروى أهل السير والمقاتل عن الضحاك بن عبد الله المشرقي، وغيره: انه لما كانت ليلة العاشر، وخطب الحسين أصحابه، وقال في كلامه لهم: هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فإن القوم إنما يطلبونني، وأجابه أهل بيته، وأصحابه بثباتهم معه، ثم قام زهير وقال: والله لوددت أني قتلت، ثم نشرت ثم قتلت هكذا حتى أقتل ألف قتلة، وان الله يدفع بذلك القتل

---

(١) راجع ابصار العين للسماوي ص٩٦، نقلاً عن ابي مخنف (وذخيرة الدارين) للسيد عبد المجيد ص٨٣ نقلاً عن الطبري. ومقتل الحسين للخوارزمي ص٢٥٠ وغيرهم.

عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك[1].وهو القائل للحسين (ع) -كما في زيارة الناحية المقدسة- وقد أذن له الحسين في الانصراف: لا والله لا يكون ذلك أبداً اترك ابن رسول الله أسيراً في يد الأعداء وأنجو؟ لا أراني الله ذلك اليوم[2].

٥- موقفه في الوعظ والانذار، قبل اشتباك النزال:

قال أهل السير والمقاتل: لما زحف الأعداء يوم عاشوراء لقتال الحسين (ع) ومن معه خرج زهير بن القين على فرس له ذنوب، وهو شاك بالسلاح فقال[3]:

يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله نذار، إن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة وعلى دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وكنتم أمة.

إن الله ابتلانا وإياكم بذرية نبيه لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصرهم، وخذلان الطاغية يزيد، وعبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا السوء، عمر سلطانهما كله، إنهما يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه.

فسبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له، وقالوا: لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به إلى عبيد الله بن زياد سِلْما.

فقال زهير: عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد فلعمري انه ليرضى

---

(١) المصادر السابقة والبحار ج٤٤ ص٣٩٣ نقلاً عن إرشاد المفيد ص٢١٣ عن الإمام زين العابدين(ع).

(٢) راجع (ذخيرة الدارين) ص١٨١ و (البحار) ج٤٥ ص٧١.

(٣) الذنوب بالفتح هو الفرس الوافرة الذنب، وشاك السلاح أي لابس السلاح الكامل (ونذار) أي تخويفي لكم من عذاب الله تخويفا.

من طاغيتكم بدون قتل الحسين (ع) فرماه الشمر بسهم، وقال: إسكُتْ أسكَتَ الله نامتك، أي صوتك، فقد أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال زهير: يابن البوال على عقبيه، ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم، فقال الشمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، فقال زهير: فبالموت تخوفني فو الله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم، ثم أقبل على القوم رافعاً صوته وقال: عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فو الله لا تنال شفاعة محمد (ص) قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحاب الحسين: إن أبا عبد الله يقول لك: أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح قومه وأبلغ في الدعاء فلقد نصحت هؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ، فاستجاب لإمامه الحسين (ع) ورجع إليه[1].

٦- موقفه في الدفاع عن فسطاط عيالات الحسين (ع)

وقال أرباب السير والمقاتل نقلاً عن حميد بن مسلم أنه قال: حمل شمر بن ذي الجوشن حتى طعن فسطاط الحسين (ع) برمحه وهو يضم عقائل بيت النبوة وحرائر الوحي، وما اكتفى بذلك الإجرام، بل نادى: علي بالنار لأحرق هذا البيت على أهله.

فصاحت النساء وخرجن من الفسطاط، وقد اختطف الرعب قلوبهن فخرجن وهن مرعوبات مذعورات، فعندها صاح الحسين به: يا بن ذي الجوشن أنت تحرق بيتي على أهلي؟ أحرقك الله بالنار.

وفي تلك الحالة حمل زهير بن القين في عشرة من أصحابه، فشد على الشمر

---

(١) المصادر السابقة، ونقل هذا الموقف العلامة بحرالعلوم في مقتل الحسين ص٥٠١ عن تاريخ الطبري ج٥ ص٤٢٦، وكامل ابن الأثير ج٣ ص٢٨٨ وجمهرة الخطب لأحمد زكي ج٢ ص٤٧ وغيرها.

وأصحابه حتى كشفهم جميعاً عن البيوت، وقتل زهير أبا عزة الضبابي من أصحاب الشمر وذوي قرباه، وتكاثرت الجيوش على أصحاب الإمام فقتل منهم من قتل، ثم عاد الباقون مع زهير سالمين[1].

٧- موقفه الجهادي الأخير حتى شهادته:

قال أرباب السير والمقاتل: لما صفّ الحسين (ع) أصحابه للقتال، وإنما هم زهاء السبعين، جعل زهيراً على الميمنة، وحبيباً على الميسرة، ووقف هو في القلب وأعطى الراية لأخيه العباس ولما استمر القتال، وصار وقت الظهر، وصلى الحسين (ع) بأصحابه صلاة الخوف تقدم أمامه زهير بن القين، وسعيد بن عبد الله الحنفي يدافعان عنه حتى فرغ من صلاته.

وبعد أن فرغ الحسين من الصلاة تقدم زهير للقتال بين يدي الحسين، وجعل يقاتل قتالاً شديداً لم ير مثله قط ولم يسمع بشبهه. هذا وهو يرتجز ويقول:

أنا زهير وأنا ابن القين ... أذودكم بالسيف عن حسين
أن حسيناً أحد السبطين ... من عترة البر التقي الزين
ذاك رسول الله غير المين ... أضربكم ولا أرى من شين

فقاتل حتى قتل مائة وعشرين رجلاً[2] ثم رجع ووقف أمام الحسين (ع) يخاطبه:

فدتك نفسي هادياً مهدياً ... اليوم ألقى جدك النبيا
وحسناً والمرتضى عليا ... وذا الجناحين الفتى الكميا

وأسد الله الشهيد الحيا

---

(١) المصادر السابقة، وغيرها.

(٢) البحار ج٤٥ ص٢٥ نقلاً عن محمد بن أبي طالب وبعض المصادر السابقة ومقتل المقرم ص ١٥٧.

وأجابه الحسين: وأنا ألقاهم على أثرك. فكأنه ودعه، وعاد يقاتل، وأخيراً شد عليه كثير بن عبد الله الشعبي، ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه، فقال الحسين (ع) حيث صرع ووقف على مصرعه:

لا يبعدك الله يا زهير، ولعن الله قاتلك، لعن الذين مسخوا قردة وخنازير، وفي ذلك يقول: السماوي[1]

لا يبعدنك الله من رجل ... وعظ العدى بالواحد الأحد

ثم انثنى نحو الخميس فما ... أبقى لدفع الضيم من أحد

---

(١) ابصار العين للشيخ محمد السماوي.

المجلس الثالث والعشرون

الشهداء مع الحسين (ع) من أهل البصرة

فضل الشهداء في سبيل الله، وشهداء أصحاب الحسين (ع)

يـــا فـــرو قومـــي واندبـــي خـــير الـــبرية في القـــبور
وابكـــي الشـــهيد بعـــبرةٍ مـــن فـــيض دمـــعٍ ذي درور
وارثـــي الحســـين مـــع الـــتفجُّع والـــتأوه والـــزفيرِ
قـــتلوا الحـــرام مـــن الأئمـــة في الحـــرام مـــن الشـــهور
وابكـــي يـــزيد مجـــدلاً وابنـــيه في حـــر الهجـــير
مـــتزملين دمـــاؤهم تجـــري عـــلى لبـــب الـــنحور
يـــا لهـــف نفســـي لم تفـــز معهـــم بجـــنات وحـــور

الشهداء في سبيل الله، وفي نصرة دينه وأوليائه مآلهم الجنة، ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ (آخر سورة القمر) ولكن إذا كانوا مخلصين في جهادهم لله عز وجل وفي سبيل إحياء دينه ونصْرة أوليائه، وهذا لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه.

وإن من أفضل الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله هم أصحاب أبي عبد الله الحسين(ع).

كما قال الشيخ صالح الكواز:

هـم افضـل الشـهداء والقتـلى الألى مدحـوا بوحـيٍ في الكـتاب مـبين

وقال الآخر:

في خـــير أنصـــارٍ بـــراهم ربهـــم للديـــن أول عـــالم الـــتكوين

ويؤيد هذا المعنى ما جاء في حديث أم أيمن، عن رسول الله (ص) أن جبرائيل قال له: وإن سبطك هذا- وأومأ بيده إلى الحسين (ع)- مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك، وأخيار من أمتك، بضفة الفرات بأرض يقال لها كربلاء..الخ.

شهادة سبعة من البصريين من أصحاب الحسين (ع):

وإن من جملة من تشرف بالشهادة بين يدي الحسين (ع) رجال من أهل البصرة، مؤمنين مخلصين، منهم يزيد من ثبيط العبدي من عبد القيس، الذي كان من رجال الشيعة في البصرة ومن أصحاب أبي الأسود وكان شريفاً في قومه، وقد تشرف بالشهادة بين يدي الحسين مع ولديه عبد الله، وعبيد الله، وكان لهم ذكر في الحروب والمغازي وكذا سيف بن مالك العبدي، والأدهم بن أمية العبدي، وعامر بن مسلم العبدي، ومولاه سالم، وهم جميعاً من رجال الشيعة في البصرة أيضاً.

هؤلاء السبعة خرجوا معاً من البصرة متوجهين إلى نصرة الحسين، والتحقوا به بالأبطح من مكة، ذكر قصتهم المؤرخون وأرباب السير والمقاتل كالطبري وغيره، وقالوا: اجتمع جماعة من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية بنت سعد، وقيل بنت منقذ، وكانت تتشيع ومنزلها كان مأوى ومألفاً للشيعة، يجتمعون فيه ويتحدثون بما يشاؤون.

فقال يزيد بن ثبيط في بيت تلك المرأة لرجال من الشيعة مجتمعين فيه من عشيرته: إني قد أزمعت على الخروج إلى الحسين، وأنا خارج فمن يخرج منكم معي متقدماً؟ فقيل له: إنا نخاف عليك من أصحاب ابن زياد، وكان ابن زياد قد كتب إلى عامله في البصرة أن يضع المراصد والعيون، ويأخذ بالطرق كلها، فقال يزيد: إني والله لو قد استويت على فرسي لهان علي طلب من يطلبني، ثم التفت إلى بنيه وهم عشرة وقال

لهم: أيكم يخرج معي؟ فأجابه اثنان منهم، وهما عبد الله، وعبيد الله، وأجابه من أصحابه سيف بن مالك العبدي، والأدهم بن أمية العبدي، وعامر بن مسلم العبدي، ومولاه سالم، فخرجوا معه مجدين السير حتى انتهوا إلى الحسين (ع) وهو يومئذٍ بالأبطح من مكة، وحين التقى يزيد بالحسين استر سروراً بالغاً وتلا قول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (يونس: ٥٩).

ثم قال: السلام عليك يا بن رسول الله، ثم سلم عليه وجلس إليه، وأخبره بالذي جاء له، فدعا له الحسين بخير، ثم ضم رحله إلى الحسين هو ومن معه، وما زالوا مع الحسين في طريقه حتى قتلوا كلهم بين يديه[1].

وقد جاء ذكرهم جميعاً، والسلام عليهم في زيارة الناحية المقدسة.

وفي رثاء الحسين ورثاء يزيد، وولديه يقول ولده عامر، وهو يتحسر على عدم تشرفه بالشهادة بين يدي الحسين في الأبيات التي ابتدأنا بها هذا المجلس:

يا فرو قومي واندبي ... خير البرية في القبور

وابكي الشهيد بعبرةٍ ... من فيض دمع ذي درور

وارثي الحسين مع التفجـ ... ـع والتأوه والزفير

قتلوا الحرام من الأئمـ ... ـة في الحرام من الشهور

وابكي يزيد مجدلاً ... وابنيه في حرّ الهجير

متزملين دماؤهم ... تجري على لبب النحور

يا لهف نفسي لم تفز ... معهم بجنات وحور[2]

---

(١) راجع (أبصار العين) للمساوي ص١١٠، نقلاً عن الطبري و (ذخيرة الدراين) ص٢٢٤.

(٢) ذكر هذه الأبيات للعامر بن يزيد العلامة السماوي في أبصار العين ص١١١ نقلاً عن أبي العباس الحميري وغيره من المؤرخين.

شهادة الحجاج بن بدر السعدي

فهؤلاء السبعة كلهم من أهل البصرة، وقد فازوا بالشهادة بين يدي الحسين (ع)، ومن الذين فازوا بالشهادة بين يدي الحسين من أهل البصرة الحجاج بن بدر السعدي التميمي، أو الحجاج بن زيد كما في بعض الكتب، وقد جاء ذكره والسلام عليه في زيارة الناحية، وهو الذي جاء بكتاب يزيد بن مسعود النهشلي إلى الحسين، وكان متهيئاً للمسير إلى الحسين بعد ما سار إليه جماعة من العبديين، فدفع إليه يزيد بين مسعود كتابه إلى الحسين (ع)، فسار به حتى وصل إلى الحسين (ع) وهو إذ ذاك بكربلاء وسلمه الكتاب، وبقي معه حتى قتل بين يديه، قال صاحب (الحدائق): قتل مبارزة بعد الظهر، وقال غيره: قتل في الحملة الأولى قبل الظهر[1].

شهادة قعنب بن عمرو النمري

ومن الذين فازوا بالشهادة بين يدي الحسين (ع) من أهل البصرة قعنب بن عمرو النمري، وجاء ذكره في زيارة الناحية والسلام عليه، قال صاحب الحدائق: كان قعنب رجلاً بصرياً من الشيعة الذين بالبصرة، ولما جاء الحجاج بن بدر السعدي بكتاب يزيد بن مسعود إلى الحسين (ع) كان معه قعنب، فانضم إلى الحسين وبقي عنده إلى يوم الطف، فلما شبّ القتال تقدم بين يدي الحسين (ع) وجاهد حتى استشهد في الحملة الأولى مع من استشهد (رض) وقال غيره قتل مبارزة[2].

شهادة شبيب بن عبد الله النهشلي

ومن الذين فازوا بالشهادة بين يدي الحسين (ع) من أهل البصرة شبيب بن عبد الله

---

(١) راجع المصدر السابق ص١٢٢-ص١٢٤، وذخيرة الدارين ص٢١٩، إلا انه قال: انه الحجاج بن زيد السعدي، وذكر له ترجمته، وأنه وفد على معاوية، وجرى بينهما كلام طويل، فيه ما يدل على أنه كان مع علي أمير المؤمنين يوم صفين.

(٢) راجع (أبصار العين) ص١٢٥ و (ذخيرة الدارين) ص٢٢٦.

النهشلي، وجاء ذكره في زيارة الناحية والسلام عليه، قال أبو علي في رجاله: شبيب بن عبد الله النهشلي من أصحاب الحسين بن علي قتل معه بكربلاء، وفي (المناقب) ج٤ ص ٧٨ لابن شهر آشوب، قال: ومن أصحابه (أي الذين قتلوا معه بالطف) شبيب بن عبد الله النهشلي البصري، وقال علماء السير: شبيب بن عبد الله النهشلي كان تابعياً من أصحاب أمير المؤمنين (ع) وحضر معه في حروبه الثلاثة، وبعده انضم إلى الحسن بن علي (ع)، ثم إلى أخيه الحسين (ع) وكان من خواص أصحابه، ولما خرج الحسين من المدينة إلى مكة خرج معه وكان مصاحباً له إلى أن ورد إلى كربلاء، ولما كان يوم الطف تقدم إلى القتال، واستشهد في الحملة الأولى قبل الظهر، وفي رواية: استشهد مبارزة والله اعلم[1].

شهادة الهفهاف بن المهند الراسبي بعد شهادة الحسين (ع)

ومن الذين فازوا بالشهادة بعد شهادة الحسين (ع) من يوم العاشر من المحرم الهفهاف بن المهند الراسبي البصري، وراسب بطن من الأزد، وهو من رؤسائهم، ذكر ترجمته وكيفية شهادته صاحب (الحدائق الوردية) قال:

كان الهفهاف بن المهند الراسبي فارساً شجاعاً بصرياً من الشيعة المخلصين لأمير المؤمنين وأهل البيت (ع)، له ذكر في المغازي والحروب، وحضر مع أمير المؤمنين (ع) حروبه الثلاثة الجمل وصفين والنهروان، ولما عقد أمير المؤمنين الألوية يوم صفين ضم تميم البصرة إلى الأحنف بن قيس، وأمر على بني حنظلة البصرة أعين بن ضبيعة، وعلى ذهل البصرة خالد بن المعمر، وعلى أزد البصرة الهفهاف بن المهند الراسبي الأزدي، وكان ملازماً لعلي (ع) إلى أن قتل شهيداً في محرابه، فانضم بعده إلى ابنه الحسن ثم إلى الحسين.

ولما سمع بخروج الحسين (ع) من مكة إلى العراق خرج من البصرة، وسأل في

---

(١) راجع (ذخيرة الدارين) ص٢١٩.

طريقه عن الحسين فأخبر أنه قد نزل بكربلاء، فسار يجد السير حتى وصل كربلاء بعد صلاة العصر من يوم عاشوراء، ورأى العسكر، فسأل منهم عن الحسين، فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا الهفهاف بن المهند، جئت لنصرة الحسين، فقالوا له: قد قتلنا الحسين وأصحابه وأهل بيته وكل من لحق به وانضم إليه: أما ترى هجوم العسكر على مخيمه، وسلبهم لعياله، فلما سمع الهفهاف ورأى ذلك جرّد سيفه وحمل على عسكر عمرو بن سعد وشد فيهم كليث العرين يضربهم بسيفه وجعل يقتل كل من دنا إليه من عيون الرجال حتى قتل من القوم جمعاً كثيراً، ولقد كانت الرجال لتشد عليه، فيشد عليهم بسيفه فينكشفون عنه انكشاف المعزى إذا حل فيها الذئب، حتى قال علي بن الحسين(ع) ما رأى الناس في ذلك اليوم شجاعاً-بعد أهل البيت- كهذا الرجل، وكان يقاتل وهو يرتجز ويقول:

يا أيها الجند المجند أنا الهفهاف بن المهند

أحمي عيالات محمد

ولما رأى عمر بن سعد عظيم شجاعته صاح بقومه: الويل لكم، احملوا عليه من كل جانب، فحمل عليه جمعٌ وأحاطوا به من كل جانب حتى عقروا فرسه، وحمل عليه خمسة عشر نفر واحتوشوه حتى قتلوه رضوان الله عليه شهيداً مجاهداً[1].

نصروا ابن بنت محمد طوبى لهم نالوا بنصرته مراتب سامية

قد جاوروه ها هنا بقبورهم وقصورهم يوم الجزا متحاذية

---

(١) راجع شهادة الهفهاف في (ذخيرة الدارين) ص٢٥٧ نقلاً عن (الحدائق الوردية) لحميد بن احمد.

المجلس الرابع والعشرون

سخاء الحسين (ع) أثناء ملاقاته الحر، وأصحابه

إنّ السخاء على العباد فريضةٌ ... لله يقرأ في كتاب محكم

وعد العباد الأسخياء جنانه ... وأعد للبخلاء نار جهنم

من كان لا يندي نداه بنائلٍ ... للمعوزين فليس ذاك بمسلم[1]

السخاء خلق من أخلاق الله عز وجل، وأخلاق أنبيائه (ع)

السخاء من الأخلاق الحسنة والحميدة، وهو خلق من أخلاق الله عز وجل، وأخلاق أنبيائه وأوصيائهم (ع) ولا سيما نبينا محمد (ص) وأهل بيته الأطهار (ع)، فإن عادتهم السخاء والكرم، وسجيتهم الإحسان والنعم، وإذا ذكر الخير كانوا أهله ومعدنه، ومأواه ومنتهاه.

إيثار أهل البيت (ع) بالطعام والمال

ولقد بلغ بهم الأمر -في سخائهم- أنهم كانوا يصومون ويطوون ويؤثرون بزادهم، ولذلك انزل الله فيهم سورة كاملة، وهي سورة (هل أتى) والتي منها قوله تعالى[2] ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً إِنَّما نُطْعِمُكُمْ**

---

(١) الأبيات منسوبة للحسن بن علي (ع) راجع (المناقب) لابن شهر آشوب ج٤ ص١٨ ونقلها عنه المجلسي في البحار ح٤٣ ص٣٤٣، ونقلها عن البحار المازندراني في معالي السبطين ج١ ص١٤.

(٢) ذكر نزول السورة، وخصوصاً قوله تعالى: (ويطعمون الطعام) في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) جمع غفير من المفسرين والمحدثين وأهل كتب المناقب من العامة فضلاً عن

﴿لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ (الإنسان: ٩-١٠).

ولقد أجاد الإمام الشافعي إمام الشافعية حيث يقول في نزول السورة بعلي وأهل البيت (ع):

إلى مَ إلى مَ وحتى متى؟ أعاتب في حب هذا الفتى؟
وهل زوجت فاطم غيره؟ وفي غيره هل أتى هل أتى؟[1]

وقال آخر:

وسائلٍ هل أتى نص بحق علي؟ أجبته (هل أتى) نصّ بحق علي

نعم أهل البيت فاقوا جميع العالم بكل فضل وفضيلة، وآتاهم الله من الفضل والعلم ما لم يؤت أحداً من العالمين، وذلك لعظيم أعمالهم وإخلاصهم بها لوجه الله تعالى.

فبالنسبة إلى السخاء، تراهم سلكوا أعلى مصاديقه وهو الإيثار على النفس بالطعام، والمال كما شهد لهم القرآن المجيد بالآيات الكثيرة، والتي منها غير ما تقدم، ما ذكر المفسرون والمحدثون من الخاصة والعامة.

إن علياً أمير المؤمنين (ع): لم يكن يملك -ذات يوم- إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سراً، وبدرهم علانية، فأنزل الله فيه ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥)[2].

الخاصة، وقد جمع بعض تلك المصادر بصحائف مرقمة السيد شهاب الدين في تعليقاته على (إحقاق الحق) ج٣ ص١٥٧-١٧٠ وفي ج٩ ص١١٠-١٢٣ فراجع.

(١) ذكر الآلوسي هذين البيتين المنسوبين للإمام الشافعي في تفسيره (روح المعاني) ج٢٩ ص ١٥٧ على ما نقل عنه المرعشي في (تعليقات إحقاق الحق) ج٣ ص١٦٨.

(٢) روى نزول الآية الكريمة في علي (ع) عدة كثيرة من أكابر العامة فضلاً عن الخاصة راجع (تعليقات إحقاق الحق) لشهاب الدين ج٣ ص٢٤٦-٢٥٢.

إيثار علي نفس رسول الله (ص) بنفسه

ولم يقتصر علي (ع) على الإيثار بالطعام والمال، بل آثر رسول الله (ص) بنفسه حينما بات على فراشه ليلة الهجرة وكانت الأعداء من قريش قد صممت على قتله ووقاه علي بنفسه في سبيل اله وطاعته.

وانظر إلى جزاء الله جل وعلا له على ذلك الإيثار بالنفس، يروي الخاصة والعامة من المفسرين والمحدثين[1]. ومنهم الغزالي في (إحياء العلوم) ج٣ ص١٧٧، وهذا نص عبارته قال: وبات علي كرم الله وجهه على فراش رسول الله (ص) فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل (ع) أني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وأحباها، فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمد (ص) فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه، فكان جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرائيل يقول: بخ بخ من مثلك؟ والله تعالى يباهي بك الملائكة، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ**﴾ (البقرة: ٢٠٨).

ومن المعلوم أن الإيثار بالنفس في سبيل الله وطاعته وابتغاء مرضاته هو منتهى كمالها، وبلوغ غاية السخاء الذي ليس بعده سخاء.

سخاء أهل البيت (ع) يعمّ حتى أعداءهم

كما لم يقتصر علي وأهل بيته (ع) في سخائهم على أحبائهم ومواليهم، بل عمّ حتى أعداءهم ومناوئيهم، فهذا علي كان يكرم عدوه الألد، وقاتله عبد الرحمن بن

---

(١) ذكر نزول الآية في علي عظماء المفسرين والمحدثين من أهل السنة كما ذكر الكثير منهم مباهاة الله به راجع (تعليقات إحقاق الحق) ج٣ ص٢٤-٣٨ وج٦ ص٤٧٩ وراجع (أمالي الشيخ الطوسي) ج٢ ص٨٣.

ملجم المرادي ويؤثره في العطاء على غيره مع علمه انه قاتله لا محالة، وقد أخبر مراراً عديدة بأنه سيقتله حتى قيل:

فكم أبد معروفاً وما زال محسناً إلى من جزاه بالإساءة والغدر

وهذا شبله أبي الضيم الحسين (ع) قد اقتدى بأبيه حينما سقى أصحاب الحر بن يزيد الرياحي الماء مع العلم أنهم أعداؤه وقد جاءوا للقبض عليه، وإليك البيان:

الحسين (ع) يأمر فتيانه باستقاء الماء بكثرة من شراف

لما بلغ ابن زياد توجه الحسين (ع) إلى العراق بعث الحصين بن تميم التميمي[1] صاحب شرطته في أربعة آلاف فارس حتى نزل القادسية، فنظّم الخيل ما بين القادسية إلى خفان وما بين القادسية إلى القطقطانية، وأخذ ما بين واقصة إلى طريق الشام، وإلى طريق البصرة فلا يدعون أحداً يلج، ولا أحداً يخرج إلا فتشوه.

وبعث الحر مقدمة في ألف فارس، هذا والحسين (ع) يسير متوجهاً إلى الكوفة، فلما نزل (شراف) أمر فتيانه باستقاء الماء والإكثار منه، وكانت في شراف آبار كثيرة، وفيها ماء عذب، فاكثروا من حمل الماء امتثالا لأمر الحسين (ع) وهم لا يعلمون السرّ في ذلك، قال الراوي:

ثم ساروا مصبحين حتى انتصف النهار، فبينما هم يسيرون، إذ كبر رجل من أصحاب الحسين، فقال الحسين (ع): الله أكبر لم كبرت؟ قال: رأيت النخل، فقال جماعة من أصحابه: ما رأينا في هذا المكان نخلة واحدة فقال (ع): إذن ما ترون؟ قالوا: نرى والله أسنة الرمح وآذان الخيل فقال الحسين (ع): وأنا والله أرىٰ ذلك، ما لنا ملجأ نلجأ إليه فنجعله خلف أظهرنا ونستقبل القوم بوجه واحد؟ فقالوا له: بلى، هذا ذو حسم- وهو جبل كان النعمان بن المنذر يصطاد فيه- إلى جنبك فمل إليه عن يسارك،

---

(١) ضبطه بهذا العلامة السماوي في (ابصار العين) ص١٦، وقال: ويمضي في بعض الكتب انه الحصين بن نمير السكوني وهو غلط فإن ذلك شامي لم يكن له في حرب الكوفة يد..الخ.

فإن سبقت إليه فهو كما تريد، فأخذ إليه ذات اليسار، ومال معه أصحابه قال الراوي: فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي الخيل، أي أعناقها، فتبيّناها وعدلنا عن الطريق فعدلوا إلينا، كأن أسنتهم اليعاسب، وكأن راياتهم أجنحة الطير، فاستبقنا إلى ذي حسم فسبقناهم إليه.

وأمر الحسين (ع) بأبنيته فضربت، وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر بن يزيد الرياحي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين، وأصحابهم معتمون متقلدون أسيافهم، فقال الحسين لفتيانه اسقوا القوم وأرووهم من الماء، ورشفوا الخيل ترشيفاً، أي اسقوها قليلاً قليلاً فإن ذلك اسكن للعطش، فاقبلوا يملؤون القصاع والطاس من الماء ثم يدنونها من الفرس فإذا عبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقوا آخر، حتى سقوها كلها.

قال عليّ بن الطعان المحاربي: كنت مع الحر يومئذ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه فلما رأى الحسين (ع) ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية، والراوية عندنا السقاء فلم أفهم، ثم قال: يا بن الأخ أنخ الجمل فأنخته، فقال: اشرب، فجعلت كلما اشرب سال الماء من السقاء، فقال الحسين: أخنث السقاء، أي اعطِفْه، فلم أدر كيف أفعل، فقام الحسين بنفسه وخنث لي السقاء بيده فشربت وسقيت فرسي.

ما اعظم هذا العطف والحنان واللطف والإحسان من أبي الظيم، يسقي ذلك الجمع الغفير، ألف فارس وألف فرس، في تلك البيداء المقفرة التي تعز فيها الجرعة الواحدة مع أنهم أعداؤه وقد جاءوا للقبض عليه، ويسقي هذا الرجل علي بن الطعان المحاربي بنفسه ويعطف له السقاء بيده بعد أن كان الماء يسيل على أشداقه وثيابه لشدة عطشه، ويخاطبه: يا بن الأخ.

فأي سخاء، هذا السخاء؟ وأي نفس تلك النفس، نعم.

هي نفس من معدن اللطف صيغت ... جعل الله كل نفس فداها

على انه (ع) كان عالماً باحتياجه الماء، وان دونه ستذهب النفوس الغالية، وتراق الدماء الزكية، ولكن العنصر النبوي، والسخاء العلوي لم يتركا صاحبهما إلا أن يجوز الفضل.

ولقد أجاد من قال مخاطباً له:

أحشاشة الزهراء بل يا مهجة الـ ... كرار يا روح النبي الهادي
عجباً لهذا الخلق هلاّ اقبلوا ... كل إليك بروحه لك فاد
لكنهم ما وازنوك نفاسةً ... أنى يقاس الذر بالأطواد

نعم كما لا يقاس الذر الحقير الصغير بالطود الضخم الكبير، فكذا لا يقاس بين أجلاف أهل الكوفة وبين الحسين (ع)، الحسين يسقيهم الماء في بادية قحلاء وصحصحان أجرد والماء فيه حينئذ أعز من الذهب، وهم يمنعون عنه الماء، وهو يجري إلى جنبهم، والحسين يسقي حتى دوابهم وخيولهم، وهم يمنعون الماء عن طفله الرضيع..الخ.

ولم يزل الحر مواقفاً للحسين حتى حضر وقت صلاة الظهر، فأمر الحسين الحجاج بن مسروق الجعفي أن يؤذن، فأذن ثم قال (ع) للحر: أتريد أن تصلي بأصحابك؟ فقال الحر: لا، بل تصلي أنت ونصلي نحن بصلاتك، فصلى بهم الحسين صلاة الظهر، فلما فرغ قام ودخل خيمته واجتمع إليه أصحابه، ودخل الحر خيمة نصبت له واجتمع إليه بعض أصحابه، وعاد الباقون إلى صفوفهم، وأخذ كل منهم بعنان دابته وجلس في ظلها.

فلما صار وقت العصر أمر الحسين بالتهيؤ للرحيل ونادى بالعصر، وقام وصلّى، فلما سلّم أقبل عليهم بوجهه الشريف خاطباً فيهم:

خطبة الحسين (ع) في أصحاب الحر، وجوابه

فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنكم أن تتقوا الله وتعرفوا

الحق لأهله، يكن رضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمد (ص) أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أبيتم إلا الكراهة لنا، والجهل بحقنا، وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمت عليّ به رسلكم انصرفت عنكم.

فقال له الحر: أنا والله مَا أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر؟ فقال الحسين(ع) لعقبة بن سمعان، وهو مولى للرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين: يا عقبة اخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إلي، فاخرج عقبة خرجين مملوءين صحفاً، فنشرت بين يديه، فقال له الحر: لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك، وقد أمرنا إذا لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد.

فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك، ثم قال لأصحابه: قوموا واركبوا، فركبوا وانتظر حتى ركبت نساؤه، فقال لأصحابه: انصرفوا فلما ذهبوا لينصرفوا، حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين (ع) للحر: ثكلتك أمك ما تريد؟ فقال له الحر: أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل هذه الحال التي أنت عليها، ما تركت ذكر أمه بالثكل كائناً من كان، ولكن والله مالي إلى ذكر أمك من سبيل إلا بأحسن ما نقدر عليه.

فقال له الحسين (ع) فما تريد؟ قال: أريد أن انطلق بك إلى الأمير عبيد الله بن زياد، فقال: إذن والله لا اتبعك، فقال: إذن والله لا أدعك، فترادّا القول ثلاث مرات فلما كثر الكلام بينهما قال له الحر: إني لم أؤمر بقتالك إنما أمرت أن لا أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك إلى المدينة حتى يكون بيني وبينك نصفاً، حتى اكتب إلى الأمير عبيد الله بن زياد، فلعل الله أن يرزقني العافية من أن ابتلى بشيء من أمرك فخذ ها هنا.

فتياسر الحسين عن طريق العذيب والقادسية، وسار، وسار الحر في أصحابه

يسايره، وهو يقول له: يا حسين إني أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، فقال الحسين له: أفبالموت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ ما أدري ما أقول لك، وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله(ص) فخوفه ابن عمه وقال له: أين تذهب فإنك مقتول؟ فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وودع مجرما

فإن عشت لم أندم وان مت لم أُلَمْ ... كفى بك ذلاً أن تعيش وتندما

ثم اقبل الحسين (ع) على أصحابه وقال: هل فيكم أحد يعرف الطريق على غير الجادة؟ فقال الطرماح بن عدي الطائي: نعم يا بن رسول الله أنا أخبر الطريق، فقال الحسين (ع) فسر بين أيدينا، فسار الطرماح واتبعه الحسين وأصحابه، وجعل الطرماح يرتجز ويقول:

يا ناقتي لا تذعري من زجري ... وامضي بنا قبل طلوع الفجر

بخير فتيان وخير سفر ... آل رسول الله آل الفخر

السادة البيض الوجوه الزهر ... الطاعنين بالرماح السمر

الضاربين بالسيوف البتر ... يا مالك النفع معاً والضر

أيد حسيناً سيدي بالنصر ... على الطغاة من بقايا الكفر

على اللعينين سليلي صخر ... يزيد لا زال حليف الخمر

وابن زياد العهر ابن العهر[1].

وإنما حدا الطرماح بذلك، لتسير الإبل سيراً سهلاً على عادتها في صوت الحداء ولتسكن روعات الفواطم إذا سمعن بمدح عميدهن الحسين ومن معه من آل الرسول.

---

(١) قصة ملاقاة الحسين (ع) للحر، ذكرتها عشرات المصادر، ونحن نقلناها عن (البحار) ج٤٤ ص٣٧٤-٣٧٩.

فسارت الضعائن في غاية العز والجلالة تسوقها غلمان بني هاشم، والطرماح يحدو أمامها بمدح الحسين (ع) وهنّ في الهوادج والمحامل المستورة بالديباج والحرير، وكلما رفعن رؤوسهن رأين العباس، وعليا الأكبر، والقاسم وسائر بني هاشم حافين بهن شاهرين السيوف دونهن، وانعكس الأمر يوم الحادي عشر من المحرم فسيق بهنّ بضرب المتون، يحدو بهن شمر ويسوقهن زجر، وهن على أقتاب الجمال...الخ.

المجلس الخامس والعشرون

خطبة الحسين (ع) على أصحابه بعد معارضة الحر له، وشرحها

لما ضايق الحر إمامنا الحسين (ع) وأنزله ومن معه بمكان قرب كربلاء، قام (ع) خطيباً في أصحابه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: فإنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء، وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه، فليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما.

مصادر الخطبة:

هذه الخطبة الرنانة الحماسية العجيبة، التي تقطر كل فقرة منها حماساً، وتتفجر كل لفظة منها بسالة، قد رواها جماعة من علماء أهل السنة كالطبراني وابن عساكر والذهبي وأبي نعيم وابن الصباغ المالكي وابن طلحة الشافعي وآخرين كثيرين، كما رواها علماؤنا كالمفيد وابن طاووس والمجلسي وغيرهم كثير[1].

---

(١) نقل الخطبة القرشي في (حياة الإمام الحسين) ج٣ ص٩٨ عن (معجم الطبراني) (من مصورات مكتبة أمير المؤمنين) و(تاريخ ابن عساكر) ج١٣ ص٧٤، و(تاريخ الإسلام) للذهبي ج٢ ص٣٤٥ و(حيلة الأولياء) ج٢ ص٣٩، ونقلها الشيخ عبد الواحد المظفر في بطل العلقمي ج١ ص ٣٨١ عن مصادر أخر ونقلها المجلسي في البحار ج٤٤ ص٣٨١ عن اللهوف لابن طاووس ص٦٩.

أهداف الحسين (ع) منها

ولقد أدلى أبو عبد الله الحسين (ع) بهذا الخطاب العظيم عما نزل به وبمن معه من المحن والبلوى وقد وجه الخطاب فيها لأصحابه ليشاركوه المسؤولية في إقامة الحق الذي آمن به واختاره قاعدة صلبة لنهضته الخالدة، وأراد به التسلية لنفسه ولسالكي سبيله من أصحابه، حيث أبان لهم أن هذه الدنيا لا تساوي شيئاً له قيمة، وعلى المؤمن أن يزهد فيها وفي هذا العمر القصير الذي لم يبق منه إلا اليسير، وقد جعل الموت في سبيل الله هو الأمل المسعد الذي لا يضارعه أي أمل.

تقسيمها إلى ثلاثة أقسام

وتقسم فقرات هذه الخطبة الوجيزة إلى ثلاثة أقسام بالنسبة لطالبي السعادة الخالدة.

القسم الأول: التسلية عن دنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، أما التغير فبظهور المنكرات، والتجاهر بالفسوق والفجور الذي يأنف الغيور من الحياة مع مشاهدته وهو لا يستطيع تغييراً له.

وأما التنكر فعبارة عن اقتران العيش بضروب من الذلة والهوان مما يصعب على الحر الكريم استمرار الحياة في مقاساته، وان خف احتماله على الوضعاء والسفلة الساقطين.

وأما ادبار المعروف فيها فهو كناية عن تقديم الأذناب وتأخير الرؤوس، وتأمير الوضعاء وعزل العظماء، إلى هذا المعنى يشير الشاعر بقوله:

دع الدنيا وزينتها لوغدٍ ... وجانبها إذا كنت الرشيدا

اترجو الخير من دنياً أهانت ... حسين السبط واختارت يزيدا

وقال فيلسوف الشعراء أبو العلاء المعري:

أرى الأيام تفعل كل نكر ... وما أنا في النوائب مستزيد

وتلك قريشكم قتلت حسيناً ... وكان على خلافتكم يزيد

وقال آخر:

عتبت على الدنيا بتقديم جاهلٍ ... وتأخير ذي فضل فأبدت لي العذرا

بـنو الجهـل أبـنائي لـذاك تقدمـوا بـنو الفضـل أبـناء لضـرتي الأخـرى

وإذا كانت الدنيا هذا شأنها فعلى الإنسان المؤمن بالله واليوم الآخر أن يزهد فيها وفيما بقي من عمره الذي قد انقضى كثيره، ولم يبق منه إلا كالصبابة التي هي الماء القليل الباقي في الإناء بعد الشرب، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، لأن العيش إذا كان آخر العمر يكون أخس أوقات الحياة الدنيا للبشرية، لأنه يصادف الكبر والهرم وانحلال القوى بواسطة الشيخوخة، فليست لذته كلذة الشباب، فالأيام الباقية من ذلك العمر القليل من جهة هي مقدار صبابة الإناء، وهذا هو أجمل تعبير عرفته العرب لهذا المعنى، ومن جهة أخرى إنها أيام خسيسة كالمرعى الوبيل، وهو التالف الذي أتلفه الرعي فلم يبق منه إلا أصوله، وهو مما يزهد فيه الرعاة فيطلبون غيره من المراعي الجميلة ذات النبات الملتف المونق، فكذلك الباقي من هذا العمر فإنه لا خير ولا لذة فيه، ويجب على صاحبه العاقل أن يزهد فيه ويرغب فيما هو أحسن وأجمل وهو الجنة.

فليس يصلح للمؤمن العاقل أن يؤثر ما تبقى من عمره القصير على نصرة الدين، والذبّ عنه والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا هو القسم الثاني مما تضمنته هذه الخطبة الوجيزة، وهو الدعوة إلى تغيير المنكر والباطل، وإحياء العدل والاحسان، وذلك لما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا الجبابرة على أعمالهم المنكرة، بل يجب عليهم مقاومتهم، وجهادهم بكل ما يتمكنون عليه من الجهاد بالقلب واللسان وسائر الجوارح. قال إمامنا أمير المؤمنين (ع): من رأى عدواناً يُعمل به، ومنكراً يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين[1].

---

(١) راجع كتابنا (القبس) ص١٧٢ الفصل الرابع، وقد نقلناه عن عدة مصادر كالمستدرك والوسائل والبحار وغيرها.

وهذا المعنى صرح به سيد الشهداء في خطبته التي خطبها على الحر وأصحابه بمكانٍ يسمى (البيضة) حيث قال (ع) بعد حمد الله والثناء عليه:

أيها الناس أن رسول الله (ص) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله (ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله.

ألا إن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله، وأنا أحق ممّن غيّر، وقد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني، ولا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (ص)، نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم، ولكم فيّ أسوة وان لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي، فلعمري ما هي لكم بنكر، ولقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم، فالمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) وسيغني الله عنكم والسلام[1].

وأول شيء استعرضه الحسين (ع) في هذه الخطبة هو ما أشار إليه في القسم الثاني من خطبته التي خطبها على أصحابه وهو إعلان الثورة على الظالمين الجائرين ووجوب مقاومتهم وجهادهم بكل ما يتمكنون عليه من الجهاد بالقلب واللسان وسائر الجوارح.

وأيد (ع) هذا المعنى بحديث جده رسول الله (ص) في وجوب مناهضتهم، وان من لم يستجب لجهادهم يكون مشاركاً لما يقترفونه من الظلم والجور.

---

(١) نقل هذه الخطبة القرشي في (حياة الإمام الحسين) ج٣ ص٨٠ نقلاً عن الطبري في تاريخه وابن الأثير في (كامله) ج٣ ص٢٨١. كما نقلها السيد المقرم في (مقتله)ص٦٩١ عن (تاريخ الطبري) ج٦ ص٢٢٩، ونقلها السيد عبد المجيد في (ذخيرة الدارين) ص١٩٤ عن أبي مخنف، وذكرها أخطب خوارزم في (مقتله) ج١ ص٢٣٤ وأن الحسين (ع) أرسلها في كتاب كتبه إلى أشراف الكوفة، وكذلك المجلسي في البحار ج٤٤ ص٣٨١-٣٨٢.

والقسم الثالث من الخطبة -التي هي موضوع بحثنا- التصميم على الجهاد حتى التضحية والتفاني دون الحق حيث أنه (ع) يرى الموت في سبيله هو السعادة الخالدة، والحياة مع الظالمين سأماً وبرما.

فالجدير إذن بكريم النفس حر الفعال أن يعد الحياة مع أولئك الظالمين المستبدين، والمستعبدين للأحرار مقتاً، والموت في مقاومتهم سعادة.

بلى والله هي السعادة الخالدة والحياة الباقية دنيا وآخرة.

قال أبو فراس الحمداني:

هو الموت فاختر ما علا لك ذكره ولم يمت الإنسان ما حيّ ذكره

أصحاب الحسين (ع) يشاركونه بالتضحية والفداء

ولما أنهى الإمام الحسين (ع) خطابه هبّ أصحابه جميعاً وهم يضربون أروع الأمثلة للتضحية والفداء من أجل العدل والحق وكان أول من تكلم من أصحابه زهير بن القين الذي هو من أفذاذ الدنيا، حيث قام وقال لأصحابه: أتتكلمون أم أتكلم؟ قالوا: لا، بل تكلم أنت، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: قد سمعنا هداك الله يا بن رسول الله مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك، لأثرن النهوض معك على الإقامة فيها.

وهكذا انبرى بطل آخر من أصحابه، وهو بربر بن خضير الذي أرخص حياته في سبيل الله فخاطب الإمام قائلاً: يا ابن رسول الله لقد منَّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، فتقطع فيك اعضاؤنا، ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.

وقام نافع بن هلال الجملي فقال: يا بن رسول الله أنت تعلم أن جدّك رسول الله(ص) لم يقدر أن يشرب الناس محبته، ولا أن يرجعوا إلى أمره ما أحب، وقد كان منهم منافقون يعدونه بالنصر ويضمرون له الغدر، يلقونه بأحلى من العسل ويخلفونه بأمرٍ من الحنظل، حتى قبضه الله إليه، وان أباك علياً كان في مثل ذلك فقوم قد أجمعوا

على نصره وقاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين حتى أتاه أجله فمضى إلى رحمة الله ورضوانه، وأنت اليوم عندنا في مثل تلك الحالة، فمن نكث عهده، وخلع بيعته فلن يضر إلا نفسه، والله مغن عنه، فسر بنا راشداً معافىً، مشرقاً إن شئت أو مغرباً، فو الله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربنا وإنّا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك[1].

وتكلم بعض أصحاب الإمام بمثل هذا الكلام، وقد شكرهم الإمام على هذا الإخلاص والتفاني في سبيل الله.

ثم إنّ الحسين (ع) ركب وسار بمن معه، وكلما أراد السير يمنعونه تارة ويسايرونه أخرى حتى بلغ كربلاء، وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم، فأقبل (ع) على أصحابه.

نزول الحسين بكربلاء، ونعيه لنفسه وأهل بيته

وقال: الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قل الديانون.

ثم قال: هذه كربلاء؟ فقالوا: نعم يا ابن رسول الله، فقال: هذا موضع كرب وبلاء هاهنا مناخ ركابنا، ومحط رحالنا، ومقتل رجالنا، ومسفك دمائنا.

وفي نصٍ: وهاهنا هتك حريمنا، وهاهنا ذبح أطفالنا، وهاهنا والله تزار قبورنا وبهذه التربة وعدني جدي رسول الله (ص) ولا خلف لقوله:

حطوا الرحال بها يا قوم وانصرفوا ... عني فما لي عنها قط ترحال

فيها يراق دمي فيها ترى حرمي ... حسرى عليهن ثوب الذل سربال

ثم نزل (ع) وأمر أهل بيته أن يضربوا فسطاطهم، وينصبوا خيمهم، ففعلوا ما

---

(١) راجع أجوبة أصحابه في (البحار) ج٤٤ ص٣٨١-٣٨٣، وفي (مقتل السيد المقرم) ص١٠٦ و(مقتل العوالم) لعبد الله البحراني ص٧ و(ابصار العين) للسماوي ص٨٧، وفي (مقتل الخوارزمي) ص٢٣٦ و(ذخيرة الدارين) للسيد عبد المجيد ص٢٠٦.

أمرهم به الحسين وأنزلوا العيال والأطفال.

قال السيد ابن طاووس في اللهوف: لما نزلوا بكربلاء جلس الحسين (ع) في خيمته يصلح سيفه ويقول:

يا دهر أفٍ لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل؟
من طالبٍ وصاحبٍ قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حيٍّ سالك السبيل ... ما أقرب الوعد من الرحيل
وإنما الأمر إلى الجليل ... سبحانه جلّ عن المثيل

مجيء الحوراء إلى الحسين باكية بعد نعيه لنفسه

قال الراوي: فسمعت زينب ذلك، فجاءت إلى الحسين (ع) وهي باكية وقالت: يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل، فقال: نعم يا أختاه، فقالت: واثكلاه ينعى الحسين إلي نفسه، وبكت النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب، وجعلت أم كلثوم تنادي: وامحمداه واعلياه واحسناه واحسيناه واضيعتاه بعدك يا أبا عبد الله، فعزاها الحسين (ع) وقال لها: يا أختاه تعزي بعزاء الله فإن سكان السموات يفنون، وأهل الأرض كلهم يموتون وجميع البرية يهلكون، ثم قال (ع):

يا أختاه يا أم كلثوم وأنت يا زينب وأنت يا فاطمة وأنت يا رباب انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليَّ جيباً ولا تخمشن عليّ وجهاً.

قال: وروي من طريق آخر أن زينب لما سمعت مضمون الأبيات وكانت في موضع منفرد مع النساء والبنات، خرجت حاسرة تجر ثوبها حتى أتت اليه، وهي باكية، فنظر إليها الحسين (ع) وقال: يا أختاه لا يذهبن بحلمك الشيطان، فقالت بأبي وأمي أستقتل؟ نفسي لك الفداء.

قالت: أتقتل نصب عيني جهرة ... ما الرأي في وما لدي خفير
فأجابها: قل الفدا كثر العدى ... قصر المدى وسبيلنا محصور

فردت عليه غصته وترقرقت عيناه بالدموع، ثم قال:

يا أختاه لو ترك القطا ليلاً لنام، فقالت: يا ويلتاه أفتغتصب نفسك اغتصاباً فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي، ثم أهوت إلى جيبها فشقته وخرت مغشية عليها، فقام(ع) وصب عليها الماء حتى أفاقت، ثم عزاها بجهده وذكّرها المصيبة بموت أبيه وجده[1].

مصائب أسعرت بالقلب نار جوىً ... يزيدها مستمر الذكر تسعيرا

---

(١) (معالي السبطين) نقلاً عن (اللهوف) ويذكر ذلك أيضاً أخطب خوارزم في (مقتله) ج١ ص٢٣٧ عن الإمام زين العابدين.

المجلس السادس والعشرون

إرسال ابن زياد عمر بن سعد إلى كربلاء، لقتال الحسين

كتاب ابن زياد للحسين (ع) وعدم جوابه له

لما بلغ ابن زياد نزول الحسين (ع) بكربلاء، كتب إليه كتاباً يقول فيه: أما بعد يا حسين فقد بلغني نزولك بكربلاء، وقد كتب إلي أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسد الوثير، ولا أشبع من الخمير، أو ألحقك باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية والسلام.

لما ورد كتابه هذا على الحسين (ع) وقرأه رماه من يده، ثم قال: لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فقال له الرسول: جواب الكتاب يا أبا عبد الله، فقال: ما له عندي جواب لأنه حقت عليه كلمة العذاب، فرجع إلى ابن زياد فأخبره بذلك، فغضب عدو الله من ذلك أشد الغضب، والتفت إلى عمر بن سعد وأمره بقتال الحسين، وكان قد ولاه الري قبل ذلك، فاستعفى عمر من ذلك، فقال له ابن زياد فاردد إلينا عهدنا، فاستمهله، ثم قبل بعد يومٍ خوفاً من أن يعزله عن ولاية الري[1].

اختيار ابن زياد عمر بن سعد لقتال الحسين.

وفي رواية: أن عبيد الله بن زياد كان قد بعث عمر بن سعد على أربعة آلاف ليسير

---

(١) راجع البحار ج٤٤ ص٣٨٣.

بهم إلى دستبي، و هي تقارب التسعين قرية بين همدان وقزوين، وكان الديلم قد خرجوا إليها وغلبوا عليها، وقد كتب ابن زياد عهداً بولاية الري، وكان عمر بن سعد قد عسكر بالناس في حمام أعين.

فلما كان من أمر الحسين ما كان أعاد ابن زياد عمر، وقال له: سر إلى الحسين الآن، فإذا فرغنا منه سرت إلى عملك، فاستعفاه، فقال: نعم، اردد عهدنا، فلما قال له ذلك، قال: أمهلني اليوم حتى انظر، فأمهله.

فجمع عمر بن سعد قومه وأصدقاءه واستشارهم وكلهم نهوه عن ذلك[1].

تحذير حمزة بن المغيرة لعمر بن سعد من المسير لقتال الحسين

ودخل عليه حمزة بن المغيرة بن شعبة، وهو ابن أخته فقال له: أنشدك الله يا خالي أن تسير إلى حرب الحسين، فتأثم عند ربك، وتقطع رحمك، فو الله لأن تخرج من دنياك، ومالك، وسلطان الأرض كلها لو كان ذلك لك لكان خيراً لك من أن تلقى الله بدم الحسين.

فقال ابن سعد: أفعل إن شاء الله، وبات تلك الليلة مفكراً في أمره وسُمع وهو يقول:

---

(١) راجع (معالي السبطين) ج١ ص١٨٥ نقلاً عن (نفس المهموم) للشيخ عباس القمي و(مقتل المقرم) ص١٠٨ نقلاً عن الطبري وغيره.

فـــو الله مـــا أدري وإنـــي لحائـــر ... أفكـــر في أمـــري عـــلى خطـــرين
ءأتـرك ملـك الـري والـري منـيتي ... أم ارجـــع مأثومـــاً بقـــتل حســـين
حسـين ابـن عمـي والحـوادث جمـة ... لعمـــري ولـــي في الـــري قـــرة عـــين
يقولـــون أنّ الله خـــالق جـــنةٍ ... ونـــار وتعذيـــب وغـــل يديـــن
فـإن صـدقوا فـيما يقولـون إنـني ... أتـــوب إلى الـــرحمن مـــن ســـنتين
وإن كذبـــوا فـــزنا بدنـــيا عظـــيمة ... وملـــك مقـــيم دائـــم الحجلـــين
وإن إلـــه العـــرش يغفـــر زلـــتي ... ولـــو كنـــت فـــيها أظـــلم الـــثقلين
إلا إنمـــا الدنـــيا بخـــير معجـــل ... ومـــا عـــاقل بـــاع الوجـــود بديـــن

إخبار أمير المؤمنين (ع) له في تخير نفسه بين الجنة والنار

ولم يزل تلك الليلة مفكراً في أمره، مخيراً نفسه بين الجنة والنار، قال سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص٢٥٧، قال محمد بن سيرين:

قد ظهرت كرامات علي بن أبي طالب (ع) في هذا، فإنه لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب، فقال له: ويحك يا بن سعد كيف بك إذا قمت يوماً مقاماً تخير فيه بين الجنة والنار فتختار النار.

ولقد اشتهر هذا الخبر بين أصحاب أمير المؤمنين بحيث إذا رأوا عمر بن سعد يذكرون ما قال أمير المؤمنين، يقول الراوي: فلقد رأيت عمر بن سعد أوان بلوغه وكلما دخل المسجد (يعني مسجد الكوفة) ونظر إليه أصحاب علي (ع) جعلوا يشيرون إليه ويقولون: هذا قاتل الحسين حتى سمع اللعين ذلك، فأقبل يوماً إلى الحسين وقال: يا أبا عبد الله إن السفهاء من الناس يزعمون أني أقتلك، فقال له الحسين: إنهم ليسوا سفهاء، ولكنهم حلماء عقلاء، أما انه تقر عيني أن لا تأكل من بر العراق إلا يسيراً،

فلما سمع ذلك سكت، وكان ينكر ذلك أشد الإنكار حتى ظهر ما أخبر به أمير المؤمنين والحسين (ع)[1].

تحذير كامل له من المسير لقتاله

وما قبل اللعين عمر بن سعد نصيحة الناصحين، ولا تحذير المحذرين له من قتل الحسين (ع) والسر في ذلك هو أن حب الدنيا وأموالها، ورئاستها قد سيطر على نفسه الأمارة بالسوء ولذلك لا يجديه أي تحذير.

ومن المحذرين له أشد التحذير رجل يقال له (كامل) ذكر قصته شيخنا المجلسي في (البحار) قال بما نصه:

وجدت في بعض مؤلفاته المعاصرين: انه لّما جمع ابن زياد قومه لحرب الحسين كانوا سبعين ألفاً، فقال ابن زياد: أيها الناس، من منكم يتولى قتل الحسين وله ولاية أي بلد شاء؟ فلم يجبه أحد منهم، فاستدعى بعمر بن سعد وقال له: يا عمر أريد أن تتولى حرب الحسين بنفسك، فقال له: اعفني من ذلك، فقال ابن زياد: قد أعفيتك يا عمر فاردد علينا عهدنا الذي كتبناه إليك بولاية الريّ، فقال عمر، أمهلنا الليلة، فقال له: قد أمهلتك.

فانصرف عمر بن سعد إلى منزله، وجعل يستشير قومه وأخوانه ومن يثق به من أصحابه فلم يشر عليه أحد بذلك وكان عنده رجل من أهل الخير يقال له كامل، وكان

---

(١) راجع (معالي السبطين) ج١ ص١٧٨، ومنتخب الطريحي ص٣٣٢، ولقد أخبر الحسين (ع) عن قتله على أيدي طغاة بني أمية وقائدهم عمر بن سعد أيام حياة النبي (ص) على ما روى الطبري في كتابه (دلائل الإمامة) بسنده عن الأعمش قال: سمعت أبا صالح التماريقول: سمعت حذيفة يقول: سمعت الحسين بن علي يقول: والله لتجتمعن على قتلي طغاة بني أمية ويقدمهم عمر بن سعد وذلك في حياة النبي (ص) فقلت له: أنبأك بهذا رسول الله (ص)؟ فقال: لا، فأتيت النبي (ص) فاخبرته فقال: علمي علمه، وإنا لنعلم بالكائن قبل كينونته (دلائل الإمامة) ص٧٥.

صديقاً لأبيه من قبله فقال له: يا عمر مالي أراك بهيئة وحركة، فما الذي أنت عازم عليه؟ وكان كامل كاسمه ذا رأي وعقل ودين كامل.

فقال له ابن سعد: إني وقد وليت أمر هذا الجيش في حرب الحسين، وإنما قتله عندي وأهل بيته كأكلة آكل، أو كشربة ماء، واذا قتلته خرجت إلى ملك الري، فقال له كامل: أفٍّ لك يا عمر تريد قتل الحسين ابن بنت رسول الله؟ أفٍّ لك ولدينك، يا عمر أسفهت الحق وضللت الهدى، أما تعلم إلى حرب من تخرج؟ ولمن تقاتل؟ إنا لله وإنا إليه راجعون فو الله لو أعطيت الدنيا وما فيها على قتل رجل واحدٍ من أمة محمد (ص) لما فعلت، فكيف تريد أن تقتل الحسين ابن بنت رسول الله؟ وما الذي تقول غداً لرسول الله إذا وردت عليه وقد قتلت ولده وقرة عينه وثمرة فؤاده وابن سيدة نساء العالمين وابن سيد الوصيين، وهو سيد شباب أهل الجنة من الخلق أجمعين، وانه في زماننا هذا بمنزلة جدّه في زمانه، وطاعته فرض علينا كطاعته، وانه باب الجنة والنار، فاختر لنفسك ما أنت مختار، وأني أشهد بالله إن حاربته أو قتلته أو أعنت عليه أو على قتله لا تلبث في الدنيا إلا قليلا، فقال عمر: فبالموت تخوفني وإني إذا فرغت من قتله أكون أميراً على سبعين ألف فارس، وأتولى ملك الري، فقال له كامل: إني أحدثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة أن وفقت لقبوله.

اعلم إني سافرت مع أبيك سعد إلى الشام فانقطعت بي مطيتي عن أصحابي وتهت وعطشت، فلاح لي دير راهب فملت إليه ونزلت عن فرسي، وأتت إلى باب الدير لأشرب ماء، فأشرف علي الراهب من ذلك الدير وقال: ما تريد؟ فقلت له: إني عطشان، فقال لي: أنت من أمة هذا النبي الذين يقتل بعضهم بعضا مكالبة على حب الدنيا، ويتنافسون فيها على حطامها؟ فقلت له: أنا من الأمة المرحومة أمة محمد (ص) فقال: إنكم أشر أمة فالويل لكم يوم القيامة وقد عدوتم على عترة نبيكم تسبون نساءه وتنهبون أمواله، فقلت له: يا راهب نحن نفعل ذلك؟ قال: وإنكم إذا فعلتم ذلك

عجّت السموات والأرضون، والبحار والجبال، والبراري والقفار، والوحوش والأطيار، باللعنة على قاتله، ثم لا يلبث قاتله في الدنيا إلا قليلا، ثم يظهر رجل يطلب بثاره، فلا يدع أحداً شرك في دمه إلا قتله وعجل الله بروحه إلى النار.

ثم قال الراهب: إني لأرى لك قرابة من قاتل هذا الابن الطيب، والله إني لو أدركت أيامه لوقيته بنفسي من حر السيوف، فقلت: يا راهب إني أعيذ نفسي أن أكون ممن يقاتل ابن بنت رسول الله، فقال: أن لم تكن أنت فرجل قريب منك، وان قاتله عليه نصف عذاب أهل النار، وإنّ عذابه أشد من عذاب فرعون وهامان، ثم ردم الباب في وجهي ودخل يعبد الله تعالى، وأبى أن يسقيني الماء.

قال كامل: فركبت فرسي ولحقت بأصحابي، فقال لي أبوك سعد: ما أبطأك عنا يا كامل؟ فحدثته بما سمعت من الراهب، فقال لي: صدقت.

ثم أن سعداً أخبرني انه نزل بدير هذا الراهب مرّة من قبلي فأخبره انه هو الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول الله، فخاف أبوك وخشي أن تكون أنت قاتله فأبعدك عنه وأقصاك، فاحذر يا عمر أن تخرج عليه فيكون عليك نصف عذاب أهل النار.

قال: فبلغ الخبر ابن زياد، فاستدعى بكامل وقطع لسانه، فعاش يوماً أو بعض يوم ومات رحمه الله[1].

وما انتفع هذا الخبيث الوضيع عمر بن سعد بموعظة كامل، وما ارتدع عن غيه بل خرج بالفعل إلى قتال الحسين وتولى قيادة حربه حتى نزل على الشرائع ومنع الحسين وعياله وأطفاله أن يذوقوا من ماء الفرات قطرة واحدة.

نداءات عمر بن سعد القاسية

وهو الذي أوقف منادياً ينادي -كل وقت لإرهاب العيال والأطفال-: يا حسين

---

(١) راجع (البحار) ج٤٤ ص٣٠٥-٣٠٨، ونقله عنه السيد عبد المجيد في (ذخيرة الدارين) ص١١٣، والمازندراني في (معالي السبطين) ج١ ص١١٩.

ألا ترى إلى ماء الفرات يجري كأنه بطون الحيات والله لا تذوق منه قطرة واحدة.

وهو الذي نادى عشيّة الخميس ليلة الجمعة: يا خيل الله اركبي وابشري بالجنة، وعلى أثر هذا النداء، زحف الظالمون نحو خيام الحسين وأرعبوا بنات الرسالة.

وهو الذي نادى يوم عاشوراء حين اصطفت الصفوف لحرب أبي عبد الله: احملوا عليهم بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة، فحملوا بأجمعهم على أصحاب الحسين وقتل منهم من قتل. وهو الذي نادى: يا دريد أدنِ رايتك، فأدناها ثم أخذ سهماً فوضعه في كبد قوسه ورمى به نحو عسكر الحسين، وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى، واقتدى به المجرمون من أصحابه وأقبلت سهامهم نحو عيالات النبوة وصحبهم كقطر المطر، حتى لم يبق من أصحاب الحسين أحد إلا أصابه من سهامهم، فقال الحسين (ع) لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بد منه، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم..الخ.

وهو الذي نادى حين أفرد الحسين: الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون، هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتال العرب، احملوا عليه بأجمعكم، فحملوا على إمامنا الحسين ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح، ورمياً بالسهام والحجارة.

وهو الذي سلب درع الحسين بعد قتله، ونادى علي بالنار لأحرق بيوت الظالمين، فهجم الأجلاف على خيام العيال والأطفال واحرقوها بالنار، وسلبوا بنات رسول الله.

وهو الذي نادى: من ينتدب للحسين فيوطئ الخيل صدره وظهره، فانتدب له عشرة فوارس يقدمهم الأخنس وداسوا صدر ريحانة رسول الله بحوافر خيولهم، حتى قال الأخنس: والله لقد هشمت أضلاع أبي عبد الله..الخ.

المجلس السابع والعشرون

زحف الجيوش المجرمة لقتال الحسين (ع)

إخبار أمير المؤمنين (ع) بملك يزيد، وتأميره لابن زياد

خطب أمير المؤمنين (ع) ذات يوم بالكوفة، فقال: ويح الفرخ فرخ محمد وريحانته وقرة عينه الحسين من ملك متمرد جبار يملك بعد أبيه.

فقام إليه الأحنف بن قيس وقال: ما اسمه يا أمير المؤمنين؟ قال: يزيد بن معاوية، يُؤَمِّر عبيد الله بن زياد لحربه، فينزل الكوفة، فلا يزال يرسل إليه بالعساكر، وتكون وقعتهم غربي الفرات بنهر كربلاء.

فكأني أنظر إلى مناخ ركابهم، ومحط رحالهم، وإحاطة جيوش أهل الكوفة بهم، وإعمال سيوفهم ورماحهم في جسومهم ودمائهم، وقتل الشيوخ والكهول والشباب والأطفال، وسبي أولادي وذراري رسول الله (ص) وحملهم على شر من الأقتاب.

فقام الأشعث بن قيس الكندي، واعترض عليه كما ستسمع.

خبث الأشعث ونفاقه

وكان هذا الخبيث الأشعث بن قيس من رؤوس المنافقين بالكوفة.

والمنافق هو الذي يظهر خلاف ما يبطن في الدين، وقد كان الأشعث كذلك، ومن نفاقه أنه كان يظهر حب أمير المؤمنين ويبطن بغضه، وقد خرج معه إلى صفين مظهراً نصرته ومحبته ولكنه كان خاذلاً له ومبغضاً.

وقد غدر به عند رفع أصحاب معاوية المصاحف على أطراف الرماح، بحيث كان

يخذل الناس عن القتال معه.

ولما أراد أمير المؤمنين (ع) المسير إلى النهروان لقتال الخوارج تخلّف أولاً عنه هذا الخبيث مع نفر من المنافقين ثم التحقوا به، ذكر قصتهم الصدوق في (الخصال) والسيد هاشم البحراني في (مدينة المعاجز) وغيرهما ومجملها.

قصة الأشعث، وسبعة معه من المنافقين

أن أمير المؤمنين (ع) لما أراد المسير إلى النهروان لقتال الخوارج، وكان (ع) قد أمر جيشه أن يعسكروا بالمدائن قرب بغداد، تخلف عن الخروج معه نفر من المنافقين الذين كانوا بايعوه وكانوا يتظاهرون بحبه ونصرته، وهم على ما في (مدينة المعاجز): شبث بن ربعي، والأشعث بن قيس الكندي، وجرير بن عبد الله البجلي، وعمرو بن حريث، مع مواليهم، أما رواية شيخنا الصدوق عن الأصبغ بن نباته يقول: تخلف عمرو بن حريث في سبعة نفر ولم يذكر أسماءهم.

فسألهم أمير المؤمنين: لم تتخلفون؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين إن لنا حوائج نقضيها ثم نلحق بك، فقال (ع) لهم: والله ما لكم من حاجة تتخلفون عليها، ولكنكم تتخلفون لتخلعوا بيعة أخي رسول الله وابن عمه وصهره، وتنقضوا ميثاقه الذي أخذه الله ورسوله عليكم، فقالوا: يا أمير المؤمنين ما نريد إلا قضاء حوائجنا ونلحق بك.

ثم مضى أمير المؤمنين إلى معسكره، وخرج هؤلاء النفر في اليوم التالي إلى الخورنق في الحيرة للنزهة وهيأوا طعامهم وشرابهم، وجلسوا يأكلون ويشربون الخمر، وبينما هم كذلك إذ مر بهم (ضب) وهو حيوان بري، فأمروا غلمانهم فصادوه، وجاءوا به إليهم، فقالوا: يا ضب أنت أحب إلينا من علي بن أبي طالب.

وفي (الخصال): قال عمرو بن حريث: بايعوا هذا الضب فهذا أمير المؤمنين، وبسط لهم كفه فبايعه السبعة وعمرو ثامنهم، ثم ارتحلوا متوجهين إلى المدائن، وقدموها يوم الجمعة وأمير المؤمنين (ع) يخطب في المسجد، فدخلوا اليه، فلما نظر إليهم

أمير المؤمنين قال أثناء خطابه:

أيها الناس سمعت رسول الله (ص) يقول: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليأت كل قوم بمن يأتمون به في الحياة الدنيا، وذلك في قول الله عزَّ وجلَّ (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم)[1].

وكأني أنظر يوم القيامة إلى قوم يحشرون وإمامهم ضب يسوقهم إلى النار.

وفي (الخصال) إنّ أمير المؤمنين قال حين دخلوا باب المسجد وهو يخطب: يا أيها الناس إن رسول الله (ص) أسرّ إلي ألف حديث، وفي كل حديث ألف باب، لكل باب ألف مفتاح، وإني سمعت الله عز وجل يقول: (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم)، وإني أقسم لكم بالله ليبعثن يوم القيامة ثمانية نفر يُدعَون بإمامهم، وهو ضب، ولو شئت أن أسميهم لفعلت.

وفي (مدينة المعاجز) أنّ أمير المؤمنين (ع) قال لهم: فبعداً لكم وسحقاً، لئِن كان مع رسول الله منافقون فإن معي أيضاً منافقين.

أما والله يا شبث بن ربعي، وأنت يا عمر بن حريث، ومحمد ابنك يا أشعث لتقتلن ابني الحسين، هكذا حدثني حبيبي، فالويل لمن كان خصمه رسول الله يوم القيامة[2].

فهذا الخبيث المنافق الأشعث بن قيس هو أحد هؤلاء الثمانية الذين بايعوا الضب، وهو إمامهم يوم القيامة، وكان أيضاً ممن شارك ابن ملجم وأعانه على قتل أمير المؤمنين.

---

(١) لنا حول هذه الآية والتي بعدها من سورة الإسراء بحوث ضافية وتحقيقات مهمة في كتابنا (التحقيق في الإمامة وشؤونها) من ص٦-٢٠.

(٢) راجع قصة هؤلاء المنافقين في كتابنا (التحقيق في الإمامة وشؤونها) وقد نقلناها عن المصادر الآتية (شجرة طوبى) للمازندراني ج٢ ص٤٩ نقلاً عن (مدينة المعاجز) للسيد البحراني و(الخصال) للصدوق بسنده باب ما بعد الألف ص٦٤٤ و(الاختصاص) للمفيد ص٢٧٧ و(ينابيع المودة) للحنفي بسنده ص٧١ نقلاً عن (المناقب) نقلها عن الينابيع المرعشي في (إحقاق الحق) ج ٧٠ ص٥٥٨.

بيت الأشعث وخبثه

كما أن ابنته جعدة سمت الحسن بن علي، وابنه قيس بن الأشعث حارب الحسين(ع) وهو الذي استلب قطيفته، وعيّرته العرب بقيس القطيفة، وابنه الآخر محمد كان ممن شارك في قتل مسلم بن عقيل، وشارك في قتل حجر بن عدي، وشارك أيضاً في قتل الحسين، وحفيده عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، كان جاسوساً على مسلم بن عقيل، وأشار على مصعب بن الزبير بقتل أصحاب المختار فذبح منهم أربعة آلاف صبراً بعد أن أعطاهم الأمان.

فبيت الأشعث كله بيت خبث وشقاوة ملعون هو وأولاده، وأحفاده.

فهذا المنافق الخبيث الأشعث لما سمع إخبار أميرالمؤمنين (ع) بملك يزيد، وتأميره لابن زياد لحرب الحسين، وإحاطة جيوش أهل الكوفة بهم، وقتلهم له ولأهل بيته، قام وأظهر ما كمن في قلبه من البغض والنفاق وقال: يا بن أبي طالب ما ادعى رسول الله(ص) ما تدعيه من العلم، فمن أين لك هذا الخبر؟ فقال (ع): ويلك يا أشعث وإن ابنك محمد والله من قوادهم وكذلك شمر بن ذي الجوشن، وشبث بن ربعي، وعمرو بن الحجاج، وعمرو بن حريث فقال اللعين: يا بن أبي طالب ما يساوي كلامك هذا عندي تمرتين.

فقام الناس ومدوا أعناقهم نحو أمير المؤمنين ليأذن لهم في قتله، فقال (ع) لهم: مهلاً يرحمكم الله، والله إني لأقدر على قتله منكم، ولكن لابد أن تحق كلمة العذاب على الكافرين..الخ[1].

ولعمري قد صدق أمير المؤمنين (ع) في مقالته، وما مضت الأيام والليالي حتى ظهر ما أخبر به من ملك يزيد بعد أبيه معاوية، فأمّر عبيد الله بن زياد لحرب الحسين، فنزل الكوفة، ولما بلغه نزول الحسين بكربلاء جعل يرسل إليه بالعساكر، وأول من

---

(١) راجع (شجرة طوبى) للمازندراني ج١ ص٤٤ عن (مدينة المعاجز) للسيد هاشم البحراني.

أرسله عمر بن سعد، فعقد له راية على أربعة آلاف فارس وأمره بالمسير لحرب الحسين[1].

خطبة ابن زياد في التحريض على قتال الحسين (ع)

ثم إنّ الطاغية عبيد الله بن زياد أمر الناس بالاجتماع في جامع الكوفة، وهرعوا كالأغنام خوفاً من بطشه حتى امتلأ الجامع منهم، فقام فيهم خطيباً وقال:

أيها الناس: إنكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبون، وهذا أمير المؤمنين يزيد قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة، محسناً إلى الرعية، يعطي العطاء في حقه، وقد آمنت السبل على عهده، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد يكرم العباد ويغنيهم بالأموال وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلى حرب عدوه الحسين فاسمعوا له وأطيعوا[2].

ثم نزل عن المنبر، ووفر للناس العطاء وأمرهم أن يخرجوا إلى حرب الحسين، ويكونوا عوناً لابن سعد على حربه.

الألوف المتجهة إلى حرب الحسين (ع)

فأول من خرج من الكوفة بعد عمر بن سعد، شمر بن ذي الجوشن الضبابي في أربعة آلاف فارس فصار ابن سعد في تسعة آلاف، ثم اتبعه بيزيد بن ركاب الكلبي في ألفين والحصين بن نمير التميمي في أربعة آلاف، وفلان المازني في ثلاثة آلاف، ونصر بن حرشة في ألفين، فذلك عشرون ألفاً[3].

وبعث عزرة بن قيس الأحمسي في أربعة آلاف، ثم سنان بن أنس النخعي في أربعة آلاف ثم خولي بن يزيد الأصبحي في ثلاثة آلاف[4].

---

(١) (البحار) ج٤٤ ص٣٨٤ نقلاً عن (إرشاد المفيد).

(٢) المصدر السابق ص٣٨٥، نقلاً عن محمد بن أبي طالب.

(٣) المصدر السابق ص٣٨٦.

(٤) معالي السبطين ص١٩١.

تمارض شبث ين ربعي وتلونه

ثم أرسل ابن زياد إلى شبث بن ربعي أن أقبل إلينا فإنا نريد أن نوجه بك إلى حرب الحسين، وكان هذا الخبيث من المتلونين الذين لا مبدأ لهم ولا عقيدة راسخة، لأنه كان ممن ارتد عن الإسلام مع سجاح بنت الحرث الدجالة التي ادعت النبوة بعد رسول الله(ص) وكان يؤذن لها، ثم راجع الإسلام وشهد صفين مع أمير المؤمنين، ثم تحول خارجياً، ثم راجع ظاهراً واعتقد الخارجية باطناً.

وهو شريك الأشعث بن قيس، وعمرو بن حريث، وعبد الله البجلي في مبايعة الضب وخلع بيعة أمير المؤمنين، ثم خرج إلى حرب الحسين، ثم حارب المختار، فهو يتقلب في الضلال أولاً وأخيراً، ولما جهز ابن زياد العساكر لحرب الحسين (ع) اختفى هذا الخبيث في داره، وحاول عدم الخروج لقتال الحسين، وتظاهر بالمرض تصنعاً، فلما أرسل إليه ابن زياد يقول: إنا نريد أن نوجه بك إلى حرب الحسين، ادعى انه مريض، وأراد أن يعفيه ابن زياد، فأرسل إليه ثانياً يقول:

أما بعد فإن رسولي أخبرني بتمارضك، وأخاف أن تكون من الذين (إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شيطانهم قالوا: إنا معكم إنما نحن مستهزؤن) البقرة: ١٥. فإن كنت في طاعتنا فأقبل إلينا مسرعاً.

فاقبل إليه بعد العشاء لئلا ينظر إلى وجهه فلا يرى عليه اثر العلة، فلما دخل عليه رحب به وقرب مجلسه، وقال: احبّ أن تشخص إلى قتال الحسين عوناً لابن سعد، فقال: أفعل أيها الأمير، وأرسله في ألف فارس[١].

وما زال ابن زياد يرسل إليه بالعساكر حتى تكامل عند عمر بن سعد ثلاثون ألفاً بين فارس وراجل، ثم كتب إليه ابن زياد إني لم اجعل لك علة في كثرة الخيل والرجال، فانظر لا أصبح ولا أمسي إلا وخبرك عندي غدوة وعشية[٢].

---

(١) راجع المصدرين السابقين وغيرهما من المصادر الكثيرة.

(٢) راجع المصدرين السابقين وغيرهما من المصادر الكثيرة.

ثم انه أمر المنادي أن ينادي بالكوفة ألا برئت الذمة ممن وجد في الكوفة ولم يخرج لحرب الحسين، وقيل له: إن الناس يكرهون قتل الحسين فيرجعون عن حربه سراً وينهزمون، قال: إن ظفرتم بأحد منهم أئتوني به.

فرُئي رجل غريب من أهل الشام قد رجع من الحرب فأحضر عند ابن زياد، فسأله، فقال: إني رجل غريب من أهل الشام جئت لدين لي في ذمّة رجل من أهل العراق، فقال: اقتلوه، ففي قتله تأديب لمن لمْ يخرج بعد، فقتل[1].

وهكذا ألقت الشرطة القبض على رجل من همدان قدم الكوفة يطلب ميراثاً له، فأتي به إلى ابن زياد فأمر بقتله، ولما رأى الناس ذلك خافوا وهرعوا إلى الحرب[2].

عدد المخرجين لحرب الحسين (ع)

وقد وقع الاختلاف بين أرباب السير والمقاتل في تعداد الجنود والعساكر التي خرجت لحرب الحسين (ع) فقال السيد ابن طاووس: اجتمع عند عمر بن سعد إلى ست ليالٍ خلون من المحرم عشرون ألف فارس[3].

وقال ابن شهر آشوب: جهز ابن زياد خمساً وثلاثين ألفاً[4].

وفي شرح الشافية: هم خمسون ألف فارس[5].

وفي مقتل أبي مخنف أنهم كانوا ثمانين ألفا كلهم من أهل الكوفة ليس فيهم شامي ولا حجازي ولا بصري.

وقيل من اليوم الثالث من المحرم إلى يوم السادس منه كان سوق الحدادين بالكوفة

---

(١) راجع (معالي السبطين) ص١٩٢ للمازندراني.

(٢) (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج٣ ص١١٧.

(٣) راجع (مقتل السيد المقرم) ص١١٢ نقلاً عن اللهوف وابن نما.

(٤) (المناقب) لابن شهر آشوب ج٤ ص٩٨.

(٥) (شرح الشافية) ص١٣٥.

قائماً على ساق، ولهم وهج ورهج ووجبة وجلبة، فكل من تراه إما يشتري سيفاً، أو رمحاً أو سهماً أو سناناً، ويحددها عند الحداد، وقد ينقعها بالسم، لإراقة دم ريحانة الرسول وقرة عين الزهراء البتول، وبعض السهام له شعبة واحدة، وبعضها له شعبتان، وبعضها له ثلاث شعب.

ولقد شبهت العساكر- بكثرتها- بالسيل المقبل، والليل المظلم، والجراد المنتشر، والرمال المنتشر، ولقد ضاقت أقطار أرض كربلاء من كثرة الخيل والرجال، وآفاق السماء من كثرة الألوية، والرايات، حتى قيل: لو أن أحداً صعد على مرتفع من الأرض ونظر مدّ بصره لرأى الخيل والرجال والسيوف والرماح والألوية والرايات، وأنشد بعضهم[1].

ملأوا القفار على ابن فاطمة ... جند ومِلءُ قلوبهم ذحل

جاءت وقائدها العمى وإلى ... حرب الحسين يقودها الجهل

بعساكر بالطف أولها ... وأخيرها بالشام متصل

---

(١) راجع (معالي السبطين) ص١٩٢.

الفصل الخامس

ما يتعلق بشؤون مسلم بن عقيل (ع) وأولاده، وإخوانه

المجلس الثامن والعشرون

ترجمة مسلم بن عقيل (ع) وعظيم سفارته

لنعم السفير سفير الحسين ... لأهل العراق ونعم البطل
ونعم الفتى مسلم ذو العلا ... وشبل عقيل الشريف الأجل
رآه الحسين فتىً حازماً ... عظيم السياسة سامي المحل
فرشحه السبط حين اجتباه ... لمنصب فخر عليه اتّكل
وإن السفارة في رتبة ... تحاكي الوزارة عند الدول
غدا ثقة السبط سبط الرسول ... عليه من الفضل ثوباً سدل

ولادته وعمره

ولد مسلم بن عقيل (ع) في المدينة المنورة، في دارهم المعروفة بدار عقيل التي صارت أخيراً مقبرة لآل أبي طالب، وهي في أول البقيع.

ولم يضبط المؤرخون سنة ولادته تحقيقاً، ولأرباب المقاتل اختلاف في تقدير سنه

يوم قتل، وأشهر ما قيل في تقدير سنه يوم قتله ثمان وثلاثون سنة، فعلى هذا تكون ولادته سنة اثنين وعشرين من الهجرة، ويكون قد بقي مع عمه أمير المؤمنين (ع) ثمانية عشر سنة، ومع ابن عمه الحسن عشر سنين، ومع ابن عمه الحسين عشر سنين، فيكون المجموع ثمان وثلاثين سنة، وربما كان قد تجاوز الأربعين من عمره.

أمه أم ولد، واسمها علية، وكان عقيل قد اشتراها من الشام بأربعين ألف درهم وتزوجها فولدت له مسلماً، وتزوج مسلم رقية الصغرى بنت عمه أمير المؤمنين (ع) وأمها أم ولد، وقد شهدت كربلاء وسبيت مع من سبي، ثم تزوج أيضاً بجارية،

أولاده الذكور والإناث

وأعقب مسلم من البنين أربعاً وبنتاً واحدة، والبنون الأربعة هم عبد الله بن مسلم وأمه رقية الصغرى، ومحمد بن مسلم وأمه أم ولد، وقد استشهدا بين يدي الحسين بعد أن حاربا جيش آل أبي سفيان، وظهرت منهما شجاعة فائقة، وبالأخص عبد الله الذي أمه رقية بنت أمير المؤمنين، فإن موقفه يوم الطف كان موقفاً لا نظير له بالنسبة إلى صغر سنه، والآخران وهما أحمد وإبراهيم، وهما الغلامان اللذان ذبحا على شاطئ الفرات، قتلهما الحارث بن عروة ورمى بجسديهما في الفرات فغاصا فيه، وجاء برأسيهما إلى ابن زياد.

وأما البنت فهي حميدة، وهي الطفلة التي مسح الحسين رأسها حينَ أتاه نعي أبيها مسلم

حضوره صفين، وقيادته

وقد حضر مسلم مع عمّه أمير المؤمنين (ع) حرب في صفين، وعمره يومئذ - يقدر- بستة عشر سنة. وكان من قوّاده، على ما ذكر ابن شهر آشوب في (المناقب)[1].

---

(١) (المناقب) لابن شهر آشوب ج٣ ص١٦٨.

والمجلسي في (البحار): أن أمير المؤمنين لما عبأ عسكره جعل على ميمنته الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، ومسلم بن عقيل. وعلى الميسرة محمد بن الحنفية، ومحمد بن أبي بكر، وقيل محمد بن جعفر الطيار، لأن محمد بن أبي بكر لم يحضر صفين، وهاشم بن عتبة المرقال، وكان بيده لواء أمير المؤمنين. وعلى القلب عبد الله بن العباس، والعباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ومالك الأشتر، وعلى الجناح سعيد بن قيس الهمداني، ورفاعة بن شداد البجلي، وعدي بن حاتم الطائي وعبد الله بن بديل بن وزقاء الخزاعي. وعلى الكمين عمار بن ياسر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وعامر بن وائلة الكناني.

ومن هنا تظهر لك عظمة مسلم في شجاعته حيث أن أمير المؤمنين (ع) وهو الذي لا يحابي أحداً، ولا يعطي القيادة إلا لمن يستحقها، وهو الذي يقسم بالسوية، ويعدل في الرعية، تراه يعتمد عليه وهو شاب فيوقفه في صفوف الأمراء والقواد من عظماء الهاشميين كالحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر، وغير الهاشميين من شجعان أصحابه كعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وهاشم بن عتبة المرقال ومالك الأشتر.

فلو لم يكن مسلم مقارباً لهؤلاء الشجعان ومماثلاً لهم لما أوقفه أمير المؤمنين معهم، على أنه كان ممن لم يشهد حرباً قبل حرب صفين، ولم ينازل قرناً، ولكنه كان من نسل ذلك البطل العظيم الذي يقول فيه رسول الله (ص): رحم الله عمي أبا طالب لو ولد الناس كلهم لكانوا شجعاناً، نعم آل أبي طالب لا يحتاجون إلى تمرين في الحروب، لأن شجاعتهم وراثية يرثها الأبناء من الآباء.

علمه وتربيته وثقافته

وأما علم مسلم، وتربيته وثقافته فمعلوم انه قد تربى في أحضان الإمامة وحجور الولاية، وتثقف بثقافة ورّاث النبوّة، وتعلم العلوم من تلك البحور الزاخرة بالمعارف

الإلهية والمتلاطمة أمواجها بالحكميات الربانية والعلوم السماوية القدسية.

لأنه (ع) قد صحب عمّه باب مدينة العلم، أمير المؤمنين، وصاهره ولازمه، وصحب سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين اللذين ورثهما رسول الله (ص) علمه وسخاءه، وهيبته، وسؤدده، ومن صحب مثل هؤلاء الأفذاذ، وتتلمذ على أيديهم لجدير أن يتخرج أستاذاً ماهراً وعلامة بكل الفنون، فهو يستمد من أهل العصمة والإمامة العلوم الإلهية، والثقافة الروحية التي نزل بهما أمين الوحي جبرئيل على النبي(ص) واستودعهما عند سلالته الطاهرة، ولقد أحسن العلامة الشيخ عبد الواحد المظفري حيث يقول:

مدينة العلم على أنواعه ... محمد والآل هم أبوابها

ووحي ذي الجلال فيها نازل ... في كل وقت قدست أعتابها

جل جلال الله قد أودعهم ... علومه فاتفقت أسبابها

وحي والهام بلى مواهب ... عز على كل الورى طِلابها

وفيهم برهانه ونوره ... وسرّه الذي حوى كتابها

ومسلم علومه من عندهم ... لأنها قد نجحت طلابها

ويضاف إلى ذلك ما كان يستمده مسلم من العلوم العربية من أبيه العلامة النسابة عقيل بن أبي طالب، فإنه كان العالم الفذ في أنساب العرب وأخبارهم، وقد امتاز على غيره من علماء النسب بإحاطته بالمحاسن والمساوئ وعلمه بالمناقب والمثالب، ومسلم ابنه يستمد منه تلك العلوم التي لها الأهمية الكبرى في ذلك العصر.

وعلى كل مكانة مسلم العلمية مكانة سامية، ومنصبه الثقافي منصب راق عظيم.

سفارته عن الإمام الحسين (ع)

ومن هنا اعتمد عليه الحسين (ع) ورشحه للسفارة، فأرسله ممثلاً عنه في خلافته الظاهرية والباطنية، ونائباً عنه في ذلك الشعب الراقي شعب العراق الذي أربى بشجاعته

على الأمم فدّوخها بانتصاراته العديدة، وتفوق بأفكاره الثاقبة على سائر الشعوب حتى أدهشها بفنونه ومعارفه.

نعم الشعب الذي خصصه الحسين (ع) لسفارة مسلم، وعيّنه ممثلاً فيه إمامته العظمى، هو أعظم الشعوب الإسلامية حضارة ورقياً وقد حوى الفضائل.

فهو شعب حربي من جهة يحتاج ما تحتاجه سائر الشعوب الحربية من أمير ماهر بفنون الحرب، ليتخذ التحوطات العسكرية اللازمة دفاعاً وهجوماً.

وشعب علمي من ناحية أخرى، لأنه قد تربى بتربية أمير المؤمنين باب مدينة العلم، فهو يحتاج ما تحتاجه العواصم العلمية من سفير جامع للفنون، مستطيع على تقوية الثقافة والتهذيب ونشرهما بين أبنائها، مستعد للجواب على ما توجه إليه من الأسئلة المختلفة.

وشعب سياسي من ناحية ثالثة لأنه قد حوى من متباين العناصر الخارجية، والنزعات المذهبية ما لم يحوه غيره من سائر الشعوب.

أما العناصر الخارجية فترى فيه النبطي، والفارسي، والتركي، والرومي، وغيرها من سائر العناصر، وهؤلاء يطلق عليهم اسم الموالي، ولا يستهان بهم فإن لهم المشاهد المشكورة في حروب الإسلام، وكانوا في حرب المختار لأخذ الثار أقوى سيوفه، وجل اعتماده عليهم لأن أثرهم في المناصحة على خلاف طبائع أهل الكوفة الغدارة.

وأما النزعات المذهبية فترى فيه الناصبي، والخارجي، والمغالي، والمجوسي، والمجبري، والحشوي، والمرجئي، والقدري، والمفوضي، والشيعي.

فإذا استبانت لك عظمة هذا الشعب تيقنت عظمة تلك السفارة، وجلالة قدر ذلك السفير الذي يقول فيه الحسين (ع) في منشور سفارته:

إني باعث إليكم أخي، وابن عمي، وثقتي، والمفضل عندي من أهل بيتي.

وما عسى أن يقول القائل في الثناء عليه بعد قول الحسين فيه: أخي وابن عمي

وثقتي.

وهذه اللفظة الأخيرة (ثقتي) عظيمة جداً خصوصاً من الإمام المعصوم، فإنه لا يقول: ثقتي، إلا لمن خلص وتمحص ولاؤه وإيمانه، وهذه اللفظة عليها اعتماد الحفاظ وحملة الحديث فإنهم إذا وجدوا حافظاً من الحفاظ أو فقيهاً من الفقهاء قال في محدث: إنه ثقة، اتخذوا الحجة القاطعة لأعذار المشككين، فما ظنك بمن يقول فيه الحسين، (ثقتي) فذلك حجة الحجج وآية من آيات العظمة.

وإذا نظرت في الجملة الأخرى وهي قوله: والمفضل عندي من أهل بيتي، وجدتها أعظم وأجل من الأولى، وتفيد أن مسلماً كان أفضل عند الحسين من بقية أهل بيته خصوصاً أو عموماً، فإن أراد العموم يكون مسلم -على هذا- أفضل من جميع أهل بيته، وتكون منزلته دون منزلة المعصومين وفوق منزلة غيرهم من أصحاب المقامات العالية، وان أراد الخصوص يعني المفضل عنده من آل عقيل مثلاً، وهو الظاهر، فيكون مميزاً عليهم فحسب.

ولأي المعنيين أراد (ع) فقد أفادنا معنىً جليلاً في ابن عمه، وأثبت له رتبة سامية ومنزلة رفيعة تنحط عنها الرتب العالية والمنازل السامية العظيمة.

توجهه إلى محل سفارته

أقبل ذلك البطل العظيم والسفير الأوحد يحمل بين جوانحه الشجاعة والعلم، والسياسة والحزم والوفاء والإباء، والعدل والسخاء، وتصحبه الصلابة في إيمانه، والبصيرة في دينه، والنصيحة والرضا، والتسليم والصبر.

سار من مكة يؤم محل سفارته الكوفة، ولم يصحب معه جيشاً ولا أعدَّ قوة دفاعية، ولا اتخذ عدة للحرب، ولا أهبة للكفاح، نعم إنما كانت عدته الصبر على الإصلاح، وقوته المثابرة على الإرشاد، وجنده العزم والحزم، وسلاحه الإيمان بالله والتوكل عليه، والاعتصام به.

نزوله في دار المختار، والترحيب به

حل ضيفاً في دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، فرحّب به الكوفيون ترحيب الإخلاص، وأقبلوا يتحفزون لتقبيل يده، ويتحشدون للتسليم عليه وتقديم واجب الطاعة والانقياد له، وامتلأت الدار على سعتها بالمزدحمين من مختلف الطبقات رافعين شعار التهاني والابتهاج بقدومه وتشريفه هذا ومسلم يتلو عليهم منشور سفارته كتاب الحسين اليهم، يأمرهم فيه بإقامة السنن الإسلامية وإحياء العدل والشرع، ويحثهم فيه على التعاون والتعاضد في سبيل الإصلاح.

وبعد الفراغ من قراءته قام عابس بن أبي شبيب الشاكري، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال:

بيعة الكوفيين له، وانقلاب المجرمين منهم عليه

أما بعد فإني لا أخبرك عن الناس، وما أعلم ما في نفوسهم، وما أغرك منهم، والله أحدثك عما أنا موطن نفسي عليه، والله لأجيبنكم إذا دعوتم، ولأقاتلن معكم عدوكم ولأضربن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، ولا أريد بذلك إلا ما عند الله.

وقام حبيب بن مظاهر الأسدي إلى عابس وقال له: يرحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو على مثل ما هذا عليه.

ثم اندفع سعيد بن عبد الله الحنفي فأيّد مقالة صاحبيه وقال بقولهم، ولم تنته هذه الجلسة إلا بموافقة الحضور جميعاً على نصرة الدين والعدل، وقد قدموا بيعتهم له على ذلك، ولم تمض سوى أيام قليلة حتى ضمّ ديوانه ودفتر سجله ثمانية عشر ألف مبايع، وكلهم يظهر له الإخلاص في المحبة والتفاني في الولاء، ويدعي الوفاء له بهذه البيعة.

وهذا هو الذي دعا ذلك الحازم أن يكتب للحسين بتعجيل القدوم إلى مصر الكوفة، ويخبره بعدد المبايعين له. ولكن سرعان ما انقلب أهل الغدر منهم عليه،

فأسلموه وخذلوه، ثم حاربوه وقتلوه، حتى أحاطوا به من جهاته الخمس، فأمامه وخلفه كتائب الخيالة تطارده، ويمينه وشماله، أفواج المشاة تنازله، وفوقه من أعالي السطوح يرمى بالحجارة وتقذف عليه النيران الملتهبة في أطناب القصب.

ولم يكتفوا بمحاربته من هذه الجهات الخمس حتى احتالوا عليه من الجهة السادسة وهي جهة التحت، فحفروا له حفيرة عميقة في وسط الطريق وأخفوا رأسها بالدغل والتراب، هذا ومسلم يشد عليهم شدّة الليث وهم منهزمون أمامه حتى سقط في تلك الحفيرة.

فتراجعوا إليه وأحاطوا به هذا يضربه بسيفه وهذا يطعنه برمحه، وضربه محمد بن الأشعث على محاسن وجهه بالسيف، ثم أوثقوه كتافاً وأخذوه أسيراً.

فعند ذلك دمعت عينه وبكى، فقال له عبيد الله بن العباس السلمي: إن من يطلب مثل الذي طلبت إذا نزل به مثل الذي نزل بك، لم يبك، فقال له: ويلك إني والله ما لنفسي بكيت ولكن أبكي لأهلي المقبلين عليّ أبكي لحسين وآل الحسين.

بكى وهو في الأسر مستعبد ... يسيل الدموع بوبل وطل
فقال له فاجر من سليم ... وكان الخبيث عديم الخجل
أتطلب قد جئت ملك العراق ... وتبكي لأيسر خطب نزل
فقال له ويك ما رقتي ... لنفسي وان كان خطبي جلل
ولكن بكيت لأجل الحسين ... إذا حلّ فيه الذي فيّ حل

المجلس التاسع والعشرون

خروج مسلم من مكة حتى دخوله الكوفة، وبيعة أهلها له

رسل وصحف أهل الكوفة إلى الحسين (ع)

لما بلغت كثرة رسل أهل الكوفة إلى الحسين الغاية، وتجاوزت صحف ذوي المكر والغدر منهم النهاية، حتى ورد على الحسين (ع) من صحفهم وكتبهم في يوم واحد ست مائة كتاب[1].

وحتى اجتمع عنده منها -في نوب متفرقة- اثنا عشر ألف كتاب[2].

وحتى جمع الحسين منها خرجين مملوءين صحفاً، وبعض تلك الصحف قد وقّع بها المئات منهم، أو العشرات، وفي كلها يسألونه القدوم عليهم وينادون فيها بصوت واحد:

أن اقدم إلينا يا بن أكرم من مشى ... على قدمٍ من عربها والأعاجم

فكم لك أنصاراً لدينا وشيعة ... رجالاً كراماً فوق خيل كرائم

التحقيق في من كاتب الحسين (ع) ومن قاتله؟ مع الجواب

وبهذه المناسبة أذكر شبهة قد يلقيها بعض المغرضين أو المنافقين ممن يدعي

---

(١) (البحار) للمجلسي نقلاً عن (اللهوف) لابن طاووس ص١٥ و(حياة الإمام الحسين) للقرشي ج٢ ص٣٣٦ عن (الدر المسلوك) الحر العاملي ج١ ص١٠٧ وغيرها من الصادر العديدة.

(٢) نفس المصادر السابقة.

الإسلام، يلقيها في أذهان الجهلاء من الناس لتفريق كلمتهم وتمزيق وحدتهم وهي -كما سمعناها مراراً من البعض- يقول ما معناه: أن شيعة الحسين هم الذين كاتبوه وبايعوه، وهم الذين غدروا به ثم هم الذين قاتلوه، وأخيراً الذين يبكون عليه، ونحن بريؤن من ذلك كله.

والجواب على هذه الشبهة مجملاً نقول:

أما الذين كاتبوا الحسين، ثم بايعوه على يد مسلم بن عقيل فهم أكثر أهل الكوفة، ولا ينكر أن أول من كاتبه هم شيعته وشيعة أبيه المخلصون كسليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد البجلي، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وأمثالهم، وقد وفوا للحسين (ع) بكل ما استطاعوا من الوفاء، ثم كاتبه سائر الجماهير من مختلف الطبقات، حتى كاتبه أناس انتهازيون متلونون لا يؤمنون بمبدأ ولا عقيدة راسخة، كشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجاج الزبيدي وأمثالهم من المجرمين الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا عقيدة، وأناس آخرون من شيعة آل أبي سفيان السائرين في ركابهم. وهم الذين خاطبهم الحسين يوم عاشوراء بعد أن هجموا على خيامه وعياله قائلاً: يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فارجعوا إلى انسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون..الخ.

عقيدة الشيعة بأهل البيت (ع)

أما شيعة الحسين (ع) فهم الذين يعتقدون أنه مع جده وأبيه وأمه وأخيه خيرة خلق الله وصفوته منهم على الإطلاق، وهم حجج الله على عباده وخلفاؤه في أرضه بعد رسول الله (ص) ومحاربتهم على حدّ محاربة الله ورسوله.

وإذا كانت هذه عقيدتهم فكيف يقدمون على محاربته ومحاربة أهل بيته وأصحابه، والله سبحانه يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً ❖ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ مَا**

﴿اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾ الأحزاب: ٥٨-٥٩.

فهذا جزاء من يؤذي الله ورسوله، ويؤذي المؤمنين فكيف بمن حاربهم وقاتلهم.

مواقف الشيعة في واقعة الطف، وهي ستة

وإليك مواقف الشيعة خصوصاً من أهل الكوفة في هذه الواقعة وهم كثيرون ومواقفهم عديدة:

١- فمنهم من استطاع بجهده وجهاده أن يصل إلى الحسين (ع) ويكون من خيار أنصاره وبالفعل وصلوا إليه ولازموه، حتى قتلوا جميعاً شهداء بين يديه، وأكثر الشهداء الذين قتلوا بين يديه من أهل الكوفة.

٢- ومنهم وهم الأكثر عدداً قد استولى عليهم الطاغية ابن زياد بعد استيلائه على الكوفة بكاملها، فأودعهم في السجون والمعتقلات، وهم الذين خرجوا أخيراً طالبين بثأر الحسين في واقعتي (التوابين) و (نهضة المختار) وتتبعوا قتلة الحسين فقتلوهم جميعاً إلا قليلا ممن فر من بين أيديهم.

٣- ومنهم من قتلهم ابن زياد قبل قدوم الحسين إلى كربلاء وهم كثيرون حتى أنه في يوم واحد قتل منهم عشرة وصلبهم في ذلك اليوم على الأخشاب وجذوع النخل، وهم ميثم التمار مع تسعة آخرين، وقد أخبر بذلك أمير المؤمنين ميثم أيام حياته ثم وقع كما أخبر (ع)[1].

وكان قتلهم قبل قدوم الحسين العراق بعشرة أيام، وهكذا ما زال ابن زياد يتتبعهم ويقتلهم على الظنة والتهمة.

٤- ومنهم من استطاع الهرب من الكوفة إلى أماكن أخر، أو اختفى فيها.

---

(١) راجع (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج١ ص٢١٠، ونقله عنه السيد شهاب الدين في تعليقاته على إحقاق الحق ج٨ ص١٥٨-١٦٠ وعن مصادر أخر، كما ذكره السيد عبد المجيد في (ذخيرة الدارين) ص٩٨-١٠٣ عن مصادر عديدة، وراجع (رجال الكشي) ص٧٤-٨١.

٥- ومنهم من أخرجه ابن زياد بالقوة والقهر مع الجيش لقتال الحسين ولكنهم كانوا يفرون من وحداتهم ويهربون من حرب سبط رسول الله وريحانته، وهم الأكثرية الساحقة، يقول البلاذري في كتابه (أنساب الأشراف): أن القائد يكون على ألف مقاتل، ولكن لا يصل إلى كربلاء إلا ومعه ثلاثمائة أو أربعمائة أو أقل من ذلك، ثم يقول: فقد كانوا يفرون كراهة منهم لهذا الوجه[١]

٦- وبعضهم أخرج وأحضر بالفعل مع الجيش مقهوراً ومجبوراً ولكنه التحق أخيراً بالحسين وقتل بين يديه شهيداً، حتى أن ليلة العاشر من المحرم فقط عبر من جيش ابن سعد إلى جيش الحسين اثنان وثلاثون رجلاً[٢].

على ما ذكر السيد ابن طاووس في (اللهوف) وقال ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه (العقد الفريد) ج٤ ص٣٧٩: وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً من أهل الكوفة، فقالوا: يعرض عليكم ابن بنت رسول الله (ص) ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئاً فتحولوا مع الحسين فقاتلوا..الخ وآخرون منهم هربوا أثناء الواقعة حذراً من أن يشاركوا غيرهم في قتاله (ع).

شيعة أهل البيت لم يقاتلوا أهل البيت

وعلى كلٍّ شيعة أهل البيت لم يقاتلوا أهل البيت قطعاً، وإنما قاتلهم المجرمون الانتهازيون الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا عقيدة حقة اتباعاً لهوى النفس الأمارة بالسوء، وركوناً للدنيا الفانية، واستجابة للطواغيت والشياطين وحزبهم الظالمين، وأما المكاتبون للحسين فكما علمت هم أكثر أهل الكوفة من مختلف طبقاتهم واتجاهاتهم الحقة أو الباطلة.

وأما الحسين الذي كاتبته تلك الجماهير الكثيرة فإنه (ع) ما توثق بهم ولا اعتمد

---

(١) راجع (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج٣ ص١١٨.

(٢) (البحار) ج٤٤ ص٣٩٤ نقلاً عن (اللهوف) وغيرها من المصادر.

على مجرد مكاتبتهم، بل قام وصلى ركعتين بين الركن والمقام، وسال الله الخيرة، ثم دعا ابن عمه مسلم بن عقيل وأطلعه على الحال.

إيفاد مسلم إلى العراق ومكانته السامية

وكان مسلم مبرزاً من بين أقرانه بالشجاعة والسخاء، ومميزاً بمزيد العلم، ووفور العقل، وحسن التدبير، وهو من أفذاذ التاريخ، ومن أمهر الساسة والقواد الملتزمين.

لذا اختاره الحسين لسفارته، وأمره بالمسير إلى الكوفة ليأخذ له البيعة عليهم، وكتب معه جواب كتبهم:

بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد:

فإن هاني بن هاني السبيعي وسعيد بن عبد الله الحنفي قدما علي بكتبكم وكانا آخر من قدم عليَّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلكم أنه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى.

وأنا باعث إليكم أخي، وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي -وفي نص أيضاً-: والمفضل عندي من أهل بيتي مسلم بن عقيل فاسمعوا له وأطيعوا[1] فإن كتب إلي بأنه قد اجتمع رأي ملأكم وذوي الحجى -أي العقل- والفضل منكم، على مثل ما قدَمتْ به علي رسلكم وقرأت في كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكاً، أي قريباً، إن شاء الله، ثم قال مشيراً إلى ما يجب أن يتصف به الإمام: فلعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، والقائم بالقسط، والدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله والسلام[2].

---

(١) نقل هذا النص الإضافي عن منتخب الطريحي وغيره، السيد آل بحر العلوم في (مقتله) ص ٢٧٥ والشيخ عبد الواحد المظفري.

(٢) نقلناه عن المجلسي في (البحار) ج٤٤ ص٣٣٤ ورواه بهذا النص أو بتغيير يسير كثير من المؤرخين، وأرباب المقاتل كالطبري في (تاريخه) وابن الأثير في (كامله) والخوارزمي في (مقتله) وغيرهم كثير.

ثم رفع الكتاب إلى مسلم بن عقيل، وأمره بتقوى الله، وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوثقين عجل إليه بذلك، وسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي.

فلما أراد مسلم الخروج ودع الحسين وقبل يديه ورجليه وبكى وقال: جعلت فداك أرى هذا آخر اللقاء والملتقى يوم القيامة، فبكى الحسين وضمه إلى صدره وتعطف عليه.

وخرج مسلم وهو يبكي في طريقه، فسئل: ما هذا البكاء؟ فقال: لحرقة قلبي، لأن الدهر فرق بيني وبين الحسين، وأبعد بيني وبينه[1].

وكان خروج مسلم في النصف من شهر رمضان، فأقبل حتى دخل الكوفة في الخامس من شوال فنزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان من زعماء الشيعة في الكوفة، كما أن المختار كان زوجاً لابنة النعمان بن بشير والي الكوفة يومئذٍ، وذلك مما يوجب الاطمئنان وغض النظر عن تحركاته، باعتباره صهراً له، وقد دل ذلك على إحاطة مسلم بالشؤون الاجتماعية، ومعرفته بالسياسة.

وفتح المختار أبواب داره لمسلم وقابله بكل حفاوة وتكريم، وأقبل أهل الكوفة يختلفون إليه ويبايعونه، وكلما اجتمع منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين (ع) وهم يبكون، وبايعه منهم ثمانية عشر ألفاً، فكتب إلى الحسين كتاباً يقول فيه:

كتاب مسلم للحسين (ع) يخبره بعدد المبايعين له

أما بعد فإن الرائد لا يكذب أهله، وإن جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي هذا والسلام عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته[2].

---

(١) راجع (معالي السبطين) ج١ ص٤١ نقلاً عن (الناسخ).

(٢) نقل هذا الكتاب كثير من المؤلفين عن (تاريخ الطبري) ج٦ ص٢٢٤، راجع (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج٢ ص٣٤٨، ونقله السيد آل بحر العلوم ص٢٧٩ عن الطبري وعن (الأنساب للبلاذري) ج٣ ص١٦٧.

وكثر اختلاف الناس إليه بعد ذلك حتى ظهر أمره، وبلغ ذلك النعمان بن بشير وكان والياً على الكوفة من قبل معاوية، وأقره يزيد عليها، وكان من الصحابة ومن الانصار، وقد حضر مع معاوية حرب صفين وهو من أتباعه.

وعلى أثر ظهور اختلاف الناس إلى مسلم، وبيعتهم للحسين على يده، خرج النعمان حتى صعد المنبر وخطب في الناس، وحذرهم الفتنة، ولان في كلامه.

فكتب عبد الله الحضرمي حليف بني أمية كتاباً إلى يزيد يقول فيه:

رسائل حلفاء بني أمية إلى يزيد بضعف الوالي

أما بعد: فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة وبايعته الشيعة للحسين بن علي، وفي نص فبايعه أهلها، فإن تكن لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك ويعمل مثل عملك في عدوك، وإن النعمان بن بشير رجل ضعيف أو هو يتضاعف.

وكتب عمارة بن عقبة بن أبي معيط، وهو أخو الوليد[1].

وعمر بن سعد بنحو ذلك، فلما وصلت الكتب إلى يزيد فزع وأخذ يفكر فيمن يوليه على الكوفة وأخيراً

استشارة يزيد لسرجون في من يوليه؟

استشار سرجون الرومي، وهو من نصارى الشام، وكان معاوية يستخدمه في مصالح دولته، فدعاه يزيد وعرض عليه فيمن يوليه على العراق، فقال له سرجون: أرأيت لو نشر لك معاوية حياً كنت آخذاً برأيه؟ قال: نعم.

فأخرج سرجون عهد معاوية إلى ابن زياد على الكوفة، وقال له: هذا رأي معاوية

---

(١) راجع ترجمته في (الإصابة) للعسقلاني ج٢ ص٥٠٩، وفي بعض المقاتل: أنه عمارة بن الوليد بن عقبة والظاهر أنه اشتباه.

وقد أمر بهذا الكتاب فضم إليه الكوفة مع البصرة، فقال له يزيد: أفعل[1].

كتاب يزيد لابن زياد، يوليه الكوفة مع البصرة

ثم كتب يزيد كتاباً إلى ابن زياد يقول فيه:

أما بعد فقد وليتك المصرين الكوفة والبصرة، فخذ بالرأي السديد واعمل النصح، ثم قد بلغني أن مسلم بن عقيل دخل الكوفة فبايعه أهلها، وأني لا أجد سهماً أرمي به عدوي أجرأ منك، فإذا قرأت كتابي هذا فسر من وقتك وساعتك وإياك والإبطاء والتواني، واجتهد ولا تتقِ من نسل آل أبي طالب، واطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة فاقتله وأبعث إلي برأسه والسلام.

وفي نص أما بعد: فإنه كتب إلي شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه، أو تقتله، أو تنفيه، والسلام[2].

ثم دعا يزيد بمسلم بن عمرو الباهلي ودفع إليه الكتاب فسار به حتى قدم البصرة، ودفعه إلى ابن زياد فتجهز للمسير من وقته، واستخلف أخاه عثمان على البصرة.

وخرج ومعه مسلم بن عمرو الباهلي، وشريك بن الأعور الحارثي، وهو من أخلص أصحاب الإمام الحسين، وقد صحبه ليكون عيناً عليه، ومعه جماعة من خاصته وأهل بيته، ومواليه.

دخول ابن زياد الكوفة متزيّ بزي الحسين

فسار مجدّاً في السير حتى دخل الكوفة مما يلي النجف، وعليه ثياب بيض يمانية وعمامة سوداء متشبهاً بالحسين، وهو متلثم ليوهم من رآه أنه الحسين، وكان دخوله

---

(١) راجع (مقتل السيد آل بحر العلوم) ص٢٨٢، والمقاتل الأخرى وهي كثيرة.

(٢) (البحار) نقلاً عن (إرشاد المفيد) ص١٧٨ وتاريخ الطبري في حوادث سنة ستين وغيرها.

ليلاً، وقيل كان دخوله يوم الجمعة وقد انصرف الناس من الصلاة، وهم يتوقعون قدوم الحسين، فلما رأوه ظنوا أنه الحسين لتشبهه به لباساً، فقالت امرأة لما نظرت إليه: ابن رسول الله ورب الكعبة، وتصايح الناس وقالوا: إن معك أكثر من أربعين ألفاً، وازدحموا عليه، وأخذ لا يمر بجماعة إلا قالوا له: مرحباً بك يا بن رسول الله قدمت خير مقدم.

فرأى من تباشرهم بالحسين ما ساءه، وأقبل نحو القصر والناس من حوله، فسد النعمان بن بشير باب القصر، فلما دنا ابن زياد من القصر، أشرف عليه النعمان وهو يظن أنه الحسين فقال له: أنشد الله إلا تنحيت فما أنا مسلّم إليك أمانتي وما لي في قتالك من إرب، فصاح به ابن زياد: افتح لا فتحت فقد طال ليلك، وفي نص: حصنت قصرك وضيعت مصرك.

وأسفر ابن زياد عن وجهه، وصاح مسلم بن عمرو الباهلي بالناس: تأخروا عن وجه الأمير فليس هو طلبتكم فسمع صوته جماعة فعرفوه، فصاحوا: انه ابن مرجانة ورب الكعبة وتفرقوا عنه.

وفتح النعمان باب القصر فدخل فيه هو ومن معه، وضربوا الباب في وجوه الناس وانفضوا.

خطبة ابن زياد، وتهديده

فلما أصبح أمر أن ينادى في الناس (الصلاة جامعة) فلما اجتمع الناس خرج إليهم وخطب فيهم فقال:

أما بعد فإن أمير المؤمنين يزيد قد ولاني مصركم وثغركم وفيأكم، وأمرني بأنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذ فيكم عهده، وأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البر الشفيق، وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليبق امرؤ

على نفسه، الصدق ينبئ عنك لا الوعيد[1].

وعمد ابن زياد إلى نشر الإرهاب، وإذاعة الخوف، ويقول بعض المؤرخين: إنه لما أصبح صال وجال، وأرعد وأبرق، وأمسك جماعة من أهل الكوفة فقتلهم في الساعة[2].

وفي نص: فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً.

انتقال مسلم من دار المختار إلى دار هاني

ولما بلغ مسلم تهديد ابن زياد وتوعيده الناس بالقتل والتنكيل، وخطبته خرج ليلاً من دار المختار حتى جاء الى دار هاني بن عروة المرادي فسأله الاستجارة والنزول عنده، فقال له هاني: انزل على بركة الله، فقد وجب علي ذمامك، فأدخله داره، وجعلت الشيعة تختلف إليه على تستر واستخفاء من ابن زياد وتواصوا بالكتمان.ثم إن ابن زياد وضع العيون، والجواسيس والمراصد على مسلم حتى علم أنه في دار هاني، فأحضره وطلب منه مسلم فأبى أن يسلمه إليه حتى ضربه بالقضيب على وجهه وأمر بحبسه.

ثورة مسلم، ومحاصرته لقصر ابن زياد

ولما علم مسلم ما جرى على هاني بادر بإعلان الثورة على ابن زياد، وجمع الناس من أصحابه المقربين منه وكانوا أربعة آلاف فرتبهم مراتبهم، وما لبثوا إلا قليلاً حتى امتلأ المسجد والسوق بالناس وجعلوا يتواثبون على ابن زياد وهو في قصره، حتى خاف منهم خوفاً شديداً، وما كان معه في القصر إلا ثلاثون رجلاً من الشرطة، وعشرون من أشراف الناس، وجعل أصحاب مسلم يرمونهم بالأحجار ويشتمون ابن زياد وأمه، وأخذ جيش مسلم بالتزايد.

فعند ذلك دعا ابن زياد بعض الأشراف من أصحابه أن يخرجوا، ويخذلوا الناس

---

(١) البحار: ج٤٤ ص٣٤١، ومقاتل الطالبين ص٦٩.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ ص١٦٧ ونقله عن (وسيلة المال) ص١٨٦ القرشي ج٢ ص٣٦٠.

عن مسلم وأبقى جماعة من الناس عنده في قصره، فخرج إلى الناس من خرج وجعلوا يخوفون أصحاب مسلم، ويعلمونهم بإقبال جنود من الشام، ويحذرونهم من الخلاف بأنواع من التحذير.

والباقون عند ابن زياد في قصره، أشرفوا على الناس من أصحاب مسلم، وأخذوا يخذلونهم ويخوفونهم بأنواع من الأراجيف والأكاذيب ومنهم كثير بن شهاب فإنه تكلم حتى كادت الشمس أن تغيب، فكان مما قاله يومئذٍ:

كلام كثير بن شهاب في تحذيره لأصحاب مسلم

أيها الناس الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشر، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإن هذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت من الشام، وقد أعطى الله الأميرُ عهداً لئن بقيتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم هذه أن يحرم ذريتكم العطاء، ويفرق مقاتليكم في مغازي أهل الشام، وأن يأخذ البريء منكم بالسقيم، والشاهد بالغائب حتى لا تبقى له بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جنت أيديها.

وتكلم الأشراف بنحو ذلك [1] كشريح القاضي وأمثاله

فلما سمع الناس مقالتهم وتحذيرهم أخذوا يتفرقون عن مسلم، حتى كانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول له: انصرف الناس يكفونك فينصرف، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه ويقول له: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشر؟ انصرف، ويذهب به وينصرف، وما زالوا يتفرقون حتى أمسى مسلم وصلى المغرب في المسجد وما معه إلا ثلاثون رجلاً، فلما رأى ذلك، خرج من المسجد فلم يبلغ الأبواب إلا ومعه عشرة، فلما خرج من الباب التفت وإذا ليس معه إنسان يدله على الطريق ولا من يواسيه بنفسه إن عرض له عدو.

---

(١) (البحار) ج٤٤ ص٣٤٩ و(تاريخ الطبري) ج٦ ص٢٠٨ و(الكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٧٢، وغيرها من عامة كتب السير والتاريخ.

أمسى غريباً ما له من منجد ولا أمرؤ به الطريق يهتدي

فسار حتى جاء باب طوعة وقد عرته حيرة وروعة

المجلس الثلاثون

ترجمة هاني بن عروة، ومواقفه المشرفة

كان هاني بن عروة من أشراف الكوفة وقرائها وأعيان الشيعة ومخلصيها، وهو شيخ بني مراد وكان جليل القدر عظيم المنزلة في عشيرته، كما كانت له ألطاف وأياد بيضاء على أسرته مما جعلهم يكنون له أعمق الود والإخلاص.

ومن جلالة قدره، وعظمته في عشيرته ما ذكره المؤرخون ومنهم المسعودي في مروج الذهب: أنه كان يركب في أربعة آلاف دارع، وثمانية آلاف رجل، فإذا تلاها أحلافها من كندة ركب في ثلاثين ألف دارع.

وكان هانياً صحابياً هو وأبوه عروة• أدرك النبي (ص) وتشرف بصحبته، وكان يفتخر بإسلامه ويعتز به، كما كان هو وأبوه من وجوه الشيعة، وقد شهدا معاً مع أمير المؤمنين (ع) حروبه الثلاث، وهو القائل يوم الجمل:

يـــالك حـــرباً حـــثها جمالهـــا يقودهـــــا لنقصـــــها ضـــــلالها

هذا علي حوله اقبالها

وكان من المعمرين حيث كان عمره يوم قتل شهيداً بضعاً وتسعين سنة، وكان يتوكأ على عصاً بها زج، وهي التي ضربه بها ابن زياد.

ولا شك أنه كان من السعداء والصلحاء، ويحشر في زمرة الشهداء، وقد ترحم عليه الحسين (ع) وذلك لما أخبر بشهادة مسلم، وهاني استرجع الحسين وجعل يقول:

رحمة الله عليهما، يردد ذلك مرارا.

ويكفي في شرفه وفضله وعلو مقامه ودرجته أنه أجار مسلم بن عقيل في داره، وقام بأمره وبذل النصرة له، وجمع الرجال والسلاح في الدور حوله، وامتنع من تسليمه لابن زياد، واختار القتل على التسليم حتى أهين وحبس، وقتل صبراً[1].

التجسس على مسلم

وذلك بعد أن دخل ابن زياد الكوفة، ووضع العيون والمراصد على مسلم، ولما خفي عليه مكانه، دعا مولىً له يقال له (معقل) وكان من صنائعه، وتربى في كنفه، وكان فطناً ذكياً، فقال له: خذ هذه ثلاثة آلاف درهم واطلب مسلم بن عقيل والتمس أصحابه، فإذا ظفرت بواحد منهم أو جماعة فأعطهم هذه الثلاثة آلاف درهم وقل لهم: استعينوا بها على حرب عدوكم، وأعلمهم أنك منهم، فإنك لو قد أعطيتهم إياها لاطمأنوا إليك ووثقوا بك، ولم يكتموك شيئاً من أمورهم وأخبارهم، ثم اغد عليهم ورح حتى تعرف مستقر مسلم، وتأتيني بأخبارهم.

فمضى (معقل) بتحقيق مهمته، وأقبل ودخل المسجد فرأى مسلم بن عوسجة يصلي فيه، فسأل عنه، فقيل له: هذا يبايع للحسين بن علي، فجاء وجلس إلى جنبه حتى إذا فرغ من صلاته، سلم عليه وأظهر له أنه رجلٌ، من أهل الشام، وأنه مولى لذي الكلاع الحميري.

وكانت الصفة السائدة على الموالي هي الإخلاص لأهل البيت (ع) ولذلك انتسب إليهم ليوهم مسلم بن عوسجة، وينفي عنه الشك والريب.

ثم قال له: إني رجل ممن أنعم الله عليه بحب أهل البيت (ع) وحب من أحبهم، وتباكى له، وقال: عندي ثلاث آلاف درهم وأريد بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله فكنت أريد لقاءه فلم أجد أحداً يدلني عليه، ولا

---

(١) راجع (أبصار العين) للسماوي ص٨١ و(ذخيرة الدارين٩ للسيد عبد المجيد ص٢٧٨ و(مقتل السيد آل بحر العلوم) ص٢٨٦ وغيرها.

أعرف مكانه، فإني جالس في المسجد الآن إذ سمعت نفراً من المؤمنين يقولون: هذا رجل له علم بأهل هذا البيت، وإني أتيتك لتقبض مني هذا المال، وتدخلني على صاحبك، فإني أخٌ من إخوانك، وثقة عليك، وإن شئت أخذت بيعتي له قبل لقائه، فاغتر ابن عوسجة بذلك، فقال له ابن عوسجة، احمد الله على لقائك إياي فقد سرني ذلك، لتنال الذي تحب، ولينصرن الله بك أهل بيت نبيه (ع)، ولقد ساءني معرفة الناس بهذا الأمر قبل أن يتم مخافة هذا الطاغية وسطوته، فقال له معقل: لا يكون إلا خيراً، خذ البيعة علي.

فأخذ بيعته وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليناصحن وليكتمن، فأعطاه من ذلك ما رضي به ثم قال له: اختلف إلي أياماً في منزلي فإني طالب لك الإذن على صاحبك، ثم أخذ له الإذن ودخل على مسلم، وبايعه، وأمر أبا ثمامة الصائدي بقبض المال منه، وهو الذي كان يقبض الأموال، ويشتري به السلاح. وكان بصيراً وفارساً من فرسان العرب، ووجوه الشيعة واقبل معقل يختلف إليهم حتى انه كان أول داخل وآخر خارج حتى فهم كل ما احتاج إليه ابن زياد من أمرهم، وكان يخبره وقتاً فوقتاً.

إلقاء القبض على هاني بخديعة مدبّرة

وخاف هاني من ابن زياد على نفسه، وانقطع عن حضور مجلسه وتمارض، فقال ابن زياد لجلسائه: ما لي لا أرى هانياً؟ فقالوا: هو شاك (أي مريض) فقال: لو علمت بمرضه لعدته، ثم دعا محمد بن الأشعث، واسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانت رويحة بنت عمرو زوجة لهاني، وهي أم يحيى بن هاني، الذي اختفى بعد قتل أبيه ثم لحق بالحسين (ع) واستشهد بين يديه يوم عاشوراء [1].

وحين دعاهم ابن زياد قال لهم: ما يمنع هاني من إتياننا؟ فقالوا: ما ندري وقد قيل إنه يشتكي قال: قد بلغني أنه قد بريء وأنه يجلس على باب داره، فالقوه ومروه أن

---

(١) راجع (ذخيرة الدارين) ص٢٥٦.

لا يدع ما عليه من حقنا، فإني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

فأتوه حتى وقفوا عليه عشية وهو جالس على بابه، وقالوا له: ما يمنعك من لقاء الأمير؟ فإنه قد ذكرك وقال: لو أعلم أنه شاك لعدته، فقال لهم: الشكوى تمنعني، فقالوا: قد بلغه أنك تجلس كل عشية على باب دارك وقد استبطأك، والإبطاء والجفاء لا يحتمله السلطان، أقسمنا عليك لما ركبت معنا.

فدعا هاني بثيابه فلبسها ثم دعا ببغلته فركبها حتى إذا دنا من القصر، كأن نفسه أحست ببعض الذي كان، فقال لحسان بن أسماء بن خارجة، والظاهر أن حسان كان مع أبيه أسماء، يا بن الأخ إني والله لخائف من هذا الرجل (أي ابن زياد) فما ترى؟ فقال: يا عم والله ما أتخوف عليك شيئاً ولم تجعل على نفسك سبيلاً وأنت بريء؟ ولم يكن حسان يعلم في أي شيء بعث إليه ابن زياد.

موقف هاني بين يدي ابن زياد

ثم دخل القوم على ابن زياد، وهاني معهم، فلما رآه قال: أتتك بحائن رجلاه تسعى[1] فلما دنا من ابن زياد وعنده شريح القاضي التفت إلى شريح وانشد بيت عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فقال له هاني: وما ذاك أيها الأمير؟ فقال ابن زياد إيه يا هاني؟ ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك، وظننت أن ذلك يخفى عليّ؟ فقال هاني: ما فعلت ذلك، وما مسلم عندي فقال ابن زياد، بلى قد فعلت فقال: ما فعلت أصلح الله الأمير، ولما طال النزاع بينهما، دعا ابن زياد بمعقل الذي كان عينه على

---

(١) حائن بالحاء المهملة من الحين، وهو الهلاك، وهو مثل معروف وقد يقرأ بالخاء المعجمة كما في بعض الكتب.

أخبارهم، فجاء حتى وقف بين يديه، فقال له ابن زياد: أتعرف هذا؟.

قال: نعم، وعلم هاني عند ذلك أنه كان عيناً عليهم، وأنه قد أتاه بأخبارهم، فأسقط في يده ساعة، (أي بهت) ثم راجعته نفسه، فقال لابن زياد: اسمع مني، وصدق مقالتي فو الله لا أكذب.

والله الذي لا إله غيره ما دعوته إلى منزلي، ولا علمت بشيءٍ من أمره، ولكن جاءني مستجيراً يسألني النزول فاستحييت من رده ودخلني من ذلك ذمام، فأدخلته داري وضيفته وآويته، وقد كان من أمره ما بلغك، فأما إذا قد علمت فخلِ عني حتى أنطلق إليه فآمره، أن يخرج من داري إلى حيث شاء من الأرض فأخرج بذلك من ذمامه وجواره.

فقال له ابن زياد: والله لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به، قال: والله لا آتيتك به، أجيئك بضيفي حتى تقتله، قال: والله لتأتيني به، قال والله لا آتيتك به.

فلما كثر الكلام بينهما قام مسلم بن عمرو الباهلي، وهو من خدام السلطة الغاشمة، وقال لابن زياد: أصلح الله الأمير خلني وإياه حتى أكلمه، ثم قام وخلا به ناحية من ابن زياد وهما منه بحيث يراهما، وإذا رفعا أصواتهما سمع ما يقولان.

فقال له الباهلي: يا هاني أنشدك الله أن تقتل نفسك، وأن تدخل البلاء في عشيرتك، فو الله لانفسُ بك عن القتل، إن هذا الرجل (يعني مسلم بن عقيل) ابن عم القوم وليسوا قاتليه ولا ضائريه، فادفعه إليهم فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنما تدفعه إلى السلطان.

فقال هاني: والله إن عليَّ بذلك الخزي والعار أن أدفع جاري وضيفي ورسول ابن رسول الله وأنا حيّ صحيح أسمع وأرى شديد الساعد، كثير الأعوان، والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه، وأخذ يناشده، وهو يقول: والله لا أدفعه أبداً.

فسمع ابن زياد ذلك فقال: أدنوه مني فأدنوه منه، فقال: والله لتأتيتن به أو لأضربن عنقك.

فقال هاني: إذن والله تكثر البارقة حول دارك (أي السيوف اللامعة) يقول هذا وهو يظن أن عشيرته سيمنعونه، فقال ابن زياد: وا لهفاه عليك أ بالبارقة تخوّفني؟.

ابن زياد يضرب هاني ويأمر بحبسه

ثم قال: أدنوه مني، فأدنوه منه، فاستعرض وجهه بالقضيب، فلم يزل يضرب به أنفه وجبينه وخده حتى كسر أنفه وسالت الدماء على ثيابه، ووجهه ولحيته، ونثر لحم خده وجبينه على لحيته حتى كسر القضيب، وضرب هاني يده على قائم سيف شرطي كان إلى جنبه فجاذبه الرجل وامتنع عليه.

ثم إن ابن زياد أمر بهاني أن يؤخذ ويحبس، فحبس في بيت وأغلقوا عليه بابه، وقال: اجعلوا عليه حرساً ففعل ذلك به.

فعند ذلك قام حسان بن أسماء بن خارجة، أو أبوه أسماء وقال لابن زياد: ارسل غدر سائر اليوم؟ أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتى إذا جئناك به هشمت أنفه ووجهه وسيّلت دماءه على لحيته، وزعمت أنك تقتله؟ فقال ابن زياد: وإنك لها هنا؟ ثم أمر به فلُهِزَ وتُعْتِعَ وأُجلِسَ ناحية.

أما الخبيث بن الخبيث محمد بن الأشعث فإنه قال وهو يُسمِع ابن زياد قوله: رضينا بما رأى الأمير لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدب.

جموع مذحج تطوق القصر، وابن زياد يخدعهم

وبلغ عمرو بن الحجاج -الذي كانت ابنته تحت هاني- أن هانياً قد قتل فأقبل في مذحج حتى أحاطوا بالقصر ونادى عمرو: أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة وقد بلغهم أن صاحبهم قد قتل، فأعظموا ذلك.

فلم يعر ابن زياد أي اهتمام لكلامه هذا، الذي ما فيه لا المسالمة للسلطة، سوى أنه التفت إلى شريح القاضي فقال له: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم اخرج إليهم فأعلمهم، أنه حي لم يقتل، وأنك قد رأيته.

فدخل شريح على هاني، فلما رآه هاني قال: يا الله يا للمسلمين أ هلكت عشيرتي، أين أهل الدين أين أهل المصر، هذا والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الضجة على باب القصر، فقال: إني أظنها أصوات مذجح وشيعتي من المسلمين، إنه إن دخل عليَّ عشرة منهم أنقذوني.

فلما سمع كلامه شريح لم يعتن به، بل خرج إلى عشيرته وقال لهم: إن الأمير لما بلغه كلامكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول عليه، فأتيته ونظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأعرفكم أنه حي، وأن الذي بلغكم من قتله باطل.

فقال عمرو بن الحجاج وأصحابه: أما إذا لم يقتل فالحمد لله، ثم انصرفوا وهم يصحبون معهم العار والخزي الأبدي، وظلوا مثالاً للخيانة والجبن على امتداد التاريخ، حيث رضوا بالذل والهوان، ولم ينقذوا شيخهم من أيدي الظالمين.

شهادة هاني بعد مسلم، وجرهما في الأسواق

وبقي هاني في الحبس حتى قتل مسلم، فأمر ابن زياد أن يخرج هاني إلى السوق وتضرب عنقه، فأخرجوه إلى موضع من السوق تباع فيه الغنم -وهو مكتوف اليدين- فجعل ينادي: وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم، فلما رأى أن أحداً لا ينصره نزع يده من الكتاف وهو يقول: أما من عصاً أو سكين أو حجر يدافع به الرجل عن نفسه؟ فوثبوا عليه وشدوه وثاقاً، وقالوا له: امدد عنقك، فقال: ما أنا بها سخي وما أنا معينكم على نفسي.

فانبرى إليه مولى تركي لعبيد الله بن زياد يقال له (رشيد التركي) فضربه بالسيف ضربةً لم يصنع بها شيئاً، فقال هاني: إلى الله المعاد والمنقلب، اللهم إلى رحمتك

ورضوانك، اللهم اجعل هذا اليوم كفارة لذنوبي فإني إنما غضبت لابن بنت نبيك محمد(ص).

ثم ضربه ضربةً أخرى فقتله رحمه الله وهو يومئذٍ ابن تسع وتسعين سنة، ومضى شهيداً. ثم أمر ابن زياد بمسلم وهاني أن يسحبا بالحبال من أرجلهما في الأسواق، ففعلوا ذلك بهما طول ذلك النهار يقول الشاعر:

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... إلى هاني في السوق وابن عقيل

إلى بطلٍ قد هشم السيف وجهه ... وآخر يهوي من طمار قتيل..

المجلس الحادي والثلاثون

الغرباء، وغربة مسلم، وجهاده، وشهادته

صفات المعمرين للمساجد في القرآن:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسى أُولئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾ التوبة: ١٨.

دلت هذه الآية الكريمة من سورة التوبة على غاية عناية الله تعالى وعظيم رعايته بالمساجد، حيث أثنى الله على الذين يسعون في عمارتها، ووصفهم بخمس صفات من صفات العقائد الحقة والعبادات الخالصة له جل شأنه.

الصفة الأولى والثانية الإيمان به، وباليوم الآخر، قال تعالى: ﴿**إِنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ ومعنى الإيمان بهما هو الاعتقاد والتصديق بوحدانية الله، بحيث يعتقد ويصدق جازماً بأن الله واحدٌ لا شريك له، وفرد لا ثاني معه، وأنه هو الإله ولا إله غيره، وهو الخالق المتعال ولا خالق على الحقيقة سواه فلا يشرك به أبداً، ويعتقد ويصدق أيضاً باليوم الآخر، أي أن الله تبارك وتعالى هو الذي يعيد يوم القيامة أبدان الخلائق بعد موتها وفنائها، ويردها بعد إعدامها وتفرق أجزائها إلى هيأتها الأولى مع الأرواح، ليجازي هناك المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته، قال تعالى: ﴿**وَلِلّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُا بِما عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾ النجم: ٣٢.

واقتصر جل وعلا -بالنسبة إلى أصول العقائد الخمس- على ذكر الإيمان به، وباليوم الآخر فقط، ولم يذكر بقية تلك الأصول التي هي العدل، والنبوة، والإمامة، وذلك لأن هذه الأصول الثلاثة الوسطية من المعلوم أنها تابعة للأصلين الأول والثاني.

لأن من آمن بالله إيماناً حقيقياً، وآمن بالمعاد يوم القيامة، والجزاء ثوابا وعقاباً يلزمه أن يكون أيضاً مؤمناً بعدلِه تعالى، وعدم جوره في عباده، وغناه عن ظلمهم وجورهم، كما يلزمه الإيمان ببعثة الرسل والأنبياء، وبعثة خاتمهم وسيدهم رسول الله(ص) أولئك الرسل و الأنبياء الذين شرع الله لهم ولأممهم الدين الذي به منافعهم ومصالحهم دنيا وآخرة.

ثم يلزمه أيضاً الاعتقاد بخلفاء الرسول الإثني عشر القائمين مقامه على أمته من بعده، المبلغين لشريعته والحافظين لها والداعين إليها، والقرآن لم يغفل هذه الأصول الثلاثة بل استعرضها في موارد عديدة كما هو معلوم.

وعلى كل ذكرت الآية الكريمة من أصول العقائد الخمس اثنين هما الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر اللذان هما الأساس الأول والأخير، وبقية الأصول تابعة لهما، وقد جاء هذا النص، ﴿مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ في خمس آيات[1].

والصفة الثالثة والرابعة اللتان ذكرهما الله في الآية الكريمة لمن يحق له عمارة المساجد هما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فقال تعالى: ﴿وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ أي يقيم الصلاة التي افترضها الله عليه إقامة معتدلة تامة، ويؤتي الزكاة، ، أي يعطيها إن وجبت عليه إلى مستحقيها.

وإنما خصّ سبحانه وتعالى ذكر الصلاة والزكاة فقط دون غيرهما من بقية فروع الدين وأركانه كالصوم والحج والجهاد، ليشعر العباد أنهما الركنان المفضلان، على بقية الأركان والفروع، حتى يحافظوا عليهما أكثر من غيرها من بقية الفروع التي ذكرها جل

---

(١) راجع (المرشد) ص٣٩.

وعلا في موارد أخرى من القرآن.

والصفة الخامسة التي وصف الله بها القائمين بعمارة المساجد الخشية، وهي الخوف منه جل وعلا دون غيره، لذا قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ أي لم يخف أحداً من المخلوقين سوى الله، لأن الخشية من أحد غير الله لون من ألوان الشرك الخفي.

والظاهر أن المراد من هذه الخشية هو العبادة الخالصة له المقترنة بالخوف والخشية منه، ويكون المعنى -والله أعلم- ولم يعبد- في كل عقائده وعباداته- من الآلهة سوى الله وحده بكل ما للعبادة من معنى، ومن موارد.

وقد تحصّل من الآية الكريمة أن عمارة مساجد الله، وهي بيوته المهيأة لعبادته، لا تحق لغير المسلم المتصف بهذه الصفات الخمس من الإيمان بالله واليوم الآخر وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والعبادة الخالصة لله وحده، والتي تعم بقية العقائد والعبادات ما ذكر منها في الآية وما لم يذكر، فهؤلاء لهم الحق في عمارة مساجد الله دون غيرهم من المشركين والكافرين، ولذلك جاء بلفظة (إنما) التي تفيد الحصر، ليثبت الحق بعمارة مساجد الله للمؤمنين فقط دون غيرهم من سائر الكافرين على اختلاف اتجاهاتهم في الكفر والشرك.

وقوله تعالى: ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ أي أولئك الذين آمنوا بالله واليوم الآخر، ولم يعبدوا أحداً غير الله يرجى في حقهم أن يكونوا من المهتدين، الذين ينالون الجنة وثوابها، وهذا الرجاء قائم بأنفسهم، وأما هو تعالى فمن المستحيل أن يقوم به الرجاء الذي لا يتم إلا مع الجهل بتحقق الأمر المرجو الحصول.

المراد من عمارة المساجد، وفضل زائريها

بقي من بحوث الآية الكريمة أن نعرف المراد من عمارة مساجد الله ما هو؟ فقيل: المراد هو تعميرها أي بناؤها، وترميم ما استرم منها، وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وإقامة المأذنة، فيها، وسائر إصلاحاتها، وقيل: المراد زيارتها وإقامة العبادات لله فيها،

كما يقال: مجلس فلان عامر بالزائرين.

والظاهر أن المراد كلا المعنيين، فعمارة المساجد هي بناؤها وترميمها وسائر إصلاحاتها من جهة، وزيارتها وإقامة العبادات فيها من جهة أخرى، وهما معاً حق خاص للمؤمنين دون المشركين.

وقد جاء في بعض الأحاديث القدسية المروية عن النبي (ص) أنه قال: قال الله تعالى: (إن بيوتي في الأرض المساجد، وان زواري فيها عمارها، طوبى لعبدٍ تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره)[1].

والأخبار الواردة من طرق الفريقين الشيعة والسنة في فضل عمارة المساجد من بنائها وسائر إصلاحاتها، ومن السعي إليها والصلاة فيها كثيرة جداً، رواها الثقات عن النبي (ص) وأهل بيته الهداة وأصحابه الكرام.

ومن تلك الأحاديث ما رواه شيخنا الصدوق في كتاب (عقاب الأعمال) ص٢٩١ عن النبي (ص) أنه قال في خطبة له طويلة: ومن مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات، وتمحى عنه عشر سيئات، وترفع له عشر درجات، ومن حافظ على الجماعة حيث ما كان مر على الصراط كالبرق اللامع في أول زمرة مع السابقين ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر. وكان له بكل يوم وليلة يحافظ عليها ثواب شهيد..الخ[2].

ولقد أجاد العلامة الكبير السيد مهدي بحر العلوم حيث يقول في منظومته الفقهية الشهيرة المسماة بـ(الدرة النجفية):

عليك بالصلاة في المساجد ... خير بيوت راكعٍ وساجد

---

(١) راجع تفسير (الكشاف) للزمخشري ص٢٤٥ ج٢، و (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي ج٤ ص ٤٠٧، و(إحياء العلوم للغزالي) ج١ ص١١١، ونقله المازندراني في شجرة طوبى ج١ ص١١ عن الخصائص الحسينية.

(٢) راجع الخطبة في آخر كتاب (عقاب الأعمال) ص٢٨٠-٢٩٥.

ومما يلزم إلفات النظر إليه: أن من الحقوق اللازمة على كل مسلم -يأتي المساجد- أن يعظمها، خصوصاً بترك المعاصي وعدم ذكر حديث الدنيا فيها، لأن المساجد بيوت الله، وقد وضعت لعبادته وذكره، وتعليم العلوم الدينية وتدريسها، لا للمعاصي وذكر ما لا ينبغي ذكره من الأحاديث المتعلقة بالدنيا، فقد جاء عن النبي (ص) أنه قال: يأتي في آخر الزمان أناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة[1].

وللمسجد حق على أهله ومجاوريه أن يأتوه ويقيموا الصلاة وسائر العبادات فيه لا أنهم يهجرونه ويتركونه خراباً، لأنه إذا هجر سمي غريباً من الغرباء.

الغرباء أربعة، والشاكون إلى الله ثلاثة

وقد يقال: الغرباء أربعة: الأول المسجد إذا كان في بلد لا يصلى فيه، لأن من حقه السعي إليه والصلاة فيه لا تركه وهجره.

والثاني من الغرباء القرآن إذا كان في بيت لا يقرأ فيه، لأن من حقه قراءة آياته وتلاوة سوره، والعمل بأحكامه، والاعتبار بقصصه لا تركه وهجره.

والثالث من الغرباء العالم إذا كان ما بين جهال لا يعرفون له قدراً ولا منزلة، فهو ما بينهم غريب، وهو لا يستأنس بهم ولا بحديثهم.

وهؤلاء الثلاثة يشكون إلى الله يوم القيامة ممن هجرهم وأعرض عنهم، كما ورد في حديث يرويه الصدوق في كتابه (الخصال) ص١٤٢ بسنده عن أبي عبد الله الصادق(ع) أنه قال:

ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه غبار لا يُقرأ فيه.

---

(١) (إحياء العلوم) للغزالي ج١ ص١١١ و(شجرة طوبى) ج١ ص١١ نقلاً عن (جامع الأخبار).

والرابع من الغرباء الرجل المسلم إذا كان في بلد الكفرة والمجرمين، لأنهم لا يعرفون له قدراً ولا منزلة، يؤيد ذلك ما ورد عن النبي (ص) أنه قال: يكون الغرباء في الدنيا أربعة، قرآن في جوف ظالم، ومسجد بين قوم لا يصلون فيه، ومصحف في بيت لا يقرأ فيه، ورجل صالح في قوم سوء..الخ[1].

ويروى أنه جاء رجل إلى النبي (ص) وقال له: يا رسول الله أنا رجل غريب، فقال: يا هذا ما تقول؟ المسلم في بلد الكفرة يكون غريباً، وأما في بلد المسلمين فلا يكون غريباً، وذلك لأن المسلمين يرعون حق غربته من نصرته، وضيافته وإرشاده إلى الطريق.

سوّد الله وجوه المجرمين من أهل الكوفة إذ هم لم يراعوا لمسلم بن عقيل حق الغربة، وقد أمسى في بلدهم غريباً متحيراً لا يدري إلى أين يتوجه، حتى أنه ما حصل له أحد يضيفه تلك الليلة، ولا أحد يرشده إلى الطريق، ودخلوا منازلهم وأغلقوا عليهم الأبواب وتركوا مسلماً وحيداً، فريداً، متلدداً في أزقة الكوفة، أي ينظر يميناً وشمالاً لا يدري إلى أين يذهب.

مسلم على باب طوعة:

وأخيراً مضى على وجهه حتى انتهى إلى باب دار امرأة يقال لها (طوعة) وهي أم ولد، كانت مملوكة للأشعث بن قيس فأعتقها فتزوجها رجل يقال له (أسيد الحضرمي) فولدت له ولداً سماه بلالاً، وكان بلال هذا قد خرج مع الناس وأمه قائمة على الباب تنتظره، ولما رآها مسلم واقفة سلّم عليها، فردّت عليه السلام: فاستسقاها ماء فسقته ثم جلس على الباب، فأدخلت طوعة الإناء ثم خرجت فرأته جالساً على الباب، فقالت: يا عبد الله ألم تشرب الماء؟ قال: بلى، قالت: فاذهب إلى أهلك، فسكت، ثم أعادت عليه القول فسكت، فقالت في الثالثة: سبحان الله، يا عبد الله قم عافاك الله إلى

---

(١) راجع كتاب (الاثني عشرية) ص١٦٠ باب الأربعة.

أهلك فإنه لا يصلح لك الجلوس على باب داري، ولا أحله لك فقام وقال: يا أمة الله ما لي في هذا المصر أهل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف ولعلي مكافئك بعد هذا اليوم؟ قالت: يا عبد الله من أنت؟ وما ذاك؟ قال: أنا مسلم بن عقيل كذبني هؤلاء القوم، وغروني وأخرجوني من داري ثم خذلوني.

قالت: أنت مسلم؟ قال: نعم، قالت: ادخل، فأدخلته بيتاً في دارها غير البيت الذي تكون فيه وفرشت له، وعرضت عليه العشاء فلم يأكل.

ولم يكن بأسرع من أن جاء ابنها، فرآها تكثر الدخول في ذلك البيت والخروج منه، فقال لها: والله إنه ليريبني كثرة دخولك إلى هذا البيت والخروج منه، إن لك شأناً، قالت: يا بني إله عن هذا؟ قال: والله لتخبريني وأخذ يلح عليها، قالت: يا بني لا تخبرن أحداً من الناس بشيء مما أخبرك به، وأخذت عليه الأيمان المغلظةَ فحلف لها، فأخبرته، فاضطجع على فراشه وسكت.

فلما أصبح بلال غدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأخبره بمكان مسلم، وأقبل عبد الرحمن إلى أبيه وهو عند ابن زياد فسارّه، فقال ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أن ابن عقيل في دار من دورنا، فقال ابن زياد: قم وأتْني به الساعة، ولك ما بذلت من الجائزة الكبرى والحظ الأوفى، ثم بعث معه عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس.

وفي رواية ذكرها الخوارزمي الحنفي في مقتله، ص٢٠٨: أن ابن زياد أمر أن يبعث مع محمد بن الأشعث ثلاثمائة رجل من صناديد أصحابه.

وعلى كلٍّ أتى الجيش الكثير إلى مسلم، وهو في الدار وحده، فلما سمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنهم قد أتوا إليه، فالتفت إلى طوعة وقال لها: رحمك الله وجزاك خيراً، وقد أديت ما عليك من البر والإحسان وأخذت نصيبك من شفاعة رسول الله (ص) سيد الإنس والجان، ولقد رأيت البارحة عمي أمير المؤمنين في

المنام وهو يقول لي: أنت معي غداً[1].

ثم إن مسلم ركب فرسه ولبس درعه وتقلد سيفه هذا والقوم يرمون الدار بالحجارة ويلهبون النار بأطنان القصب ثم يرمونها عليه، ثم اقتحموا عليه الدار.

شجاعة مسلم أمام الجموع الحاشدة

فشد عليهم مسلم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فشد عليهم حتى أخرجهم، واختلف هو وبكر بن حمران بضربتين، فضرب بكر فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع السيف في السفلى وسقطت ثنيتاه، وضربه مسلم على رأسه ضربة شديدة منكرة، وثناه بالأخرى على حبل العاتق كادت تطلع إلى جوفه.

ثم خرج عليهم مصلتاً سيفه وجعل يقاتلهم في السكة وهو يقول:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع ... فأنت بكأس الموت لا شك جارع

فصبراً لأمر الله جل جلاله ... فحكم قضاء الله في الخلق ذائع

وجعل يحصد فيهم الرؤوس حتى ضجت الجموع من كثرة من قتل منهم، فقد قال ابن شهرآشوب وغيره أنه قتل منهم واحداً وأربعين رجلاً غير المجروحين[2].

وكان من قوته أنه يأخذ الرجل بيده ويرمي به فوق البيت[3] ولم يزل يقاتلهم مقاتلة الأبطال العظام وهو يرتجز ويقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً ... وإن رأيت الموت شيئاً نكرا

كل امرئ يوماً ملاقٍ شرا ... أخاف أن أخدع أو أغرا

أضربكم ولا أخاف ضرا ... ضرب همامٍ قطُّ لن يفرا

---

(١) راجع (مقتل السيد آل بحر العلوم) ص٣٠٤ نقلاً عن (نفس المهموم) للشيخ عباس القمي ص٥٦.

(٢) (مناقب شهرآشوب) ج٤ ص٩٣ و(لواعج الأشجان) للامين ص٦٢.

(٣) مقتل السيد آل بحر العلوم ص٣٠٥ نقلاً عن (نفس المهموم) ص٥٧ و (البحار) ٤٤ ص٣٥٤.

فقال له محمد بن الأشعث إنك لا تكذب ولا تخدع ولا تغر. وإن القوم بنو عمك وليسوا بقاتليك ولا ضائريك، فلم يعبأ مسلم بكلامه بل كرّ عليهم حتى قتل منهم مقتلة عظيمة.

ابن الأشعث يستمد القوة من ابن زياد

حتى إن محمد بن الأشعث أرسل إلى ابن زياد يطلب منه أن يمده بالخيل والرجال، فمده ابن زياد بما أراد، وأرسل إليه يقول:

إنا بعثناك إلى رجل واحد لتأتينا به فثلم في أصحابك هذه الثلمة العظيمة، فكيف إذا أرسلناك إلى غيره؟ ويعني به الحسين (ع).

فأرسل إليه ابن الأشعث يقول: أيها الأمير أتظن أنك بعثتني إلى بقال من بقالي الكوفة، أو إلى جرمقاني من جرامقة الحيرة، أو لم تعلم أنك بعثتني إلى أسد ضرغام، وبطل همام، في كفه سيف حسام من آل خير الأنام.

فأرسل إليه ابن زياد: أن اعطه الأمان فإنك لا تقدر عليه إلا به[1].

فدنا منه ابن الأشعث وناداه: يابن عقيل لك الأمان لا تقتل نفسك وأنت في ذمتي، فقال مسلم: أُأْسر وبي طاقة؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً، وأي أمان للغدرة الفجرة؟ ثم حمل على ابن الأشعث فهرب منه، ثم رجع إلى موضعه وهو يقول: اللهم إن العطش قد بلغ مني.

فصاح ابن الأشعث بأصحابه: إن هذا لهو العار والشنار أن تجزعوا من رجل واحد هذا الجزع؟ احملوا عليه بأجمعكم حملةً واحدة، فحملوا عليه من كل جانب وجعلوا يرمونه بالنبال والحجارة فقال مسلم: ويلكم ما لكم ترمونني بالأحجار كما ترمى

---

(١) راجع (مقتل الخوارزمي) ص٢٠٩ و(الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٣ و (البحار للمجلسي) ج٤٤ ص٣٥٤ و (منتخب الطريحي) ص٢٨٩، والجرامقة قوم من العجم صاروا إلى الموصل والواحد جرمقاني راجع (مقتل آل بحر العلوم ص٣٠ نقلاً عن صحاح الجوهري.

الكفار وأنا من أهل بيت النبي المختار، ويلكم أما ترعون حق رسول الله، وحق قرباه[1].

هذا وقد أثخنته الجراحات وأعياه نزف الدم، وقد اشتد عليه العطش وضعف عن القتال، فأسند ظهره إلى باب دار من تلك الدور، فجاء إليه لعين من القوم فطعنه من خلفه فسقط إلى الأرض صريعاً ورجع إليه القوم وأسروه.

وقوع مسلم أسيراً بأيدي الأعداء

وقيل أن محمد بن الأشعث لما أعطاه الأمان أولاً، أعاد إليه القول ثانياً: لك الأمان، وأنت في ذمتي، ودمك في عنقي، فقال مسلم للقوم الذين معه: ألي الأمان؟ قالوا: بلى، قال مسلم: أما لو لم تؤمنوني ما وضعت يدي في أيديكم[2].

وأتي إليه ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله وانتزعوا منه سيفه، فكأنه عند ذلك يأس من نفسه فدمعت عيناه، ثم قال: هذا أول الغدر، فقال له ابن الأشعث إني لأرجو أن لا يكون عليك بأس، قال مسلم: ما هو إلا الرجاء، فأين أمانكم، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم جيء به إلى باب قصر الإمارة، وكان قد اشتد به العطش، وعلى الباب جماعة يريدون الدخول على ابن زياد.

مسلم يطلب الماء، ولا يشربه لامتلاء القدح دماً من فمه.

فالتفت إلى باب القصر، فإذا عليه قلة ماء مبردة، فقال: اسقوني من هذا الماء؟.

فقال له مسلم بن عمرو الباهلي: أتراها ما أبردها؟ لا والله لا تذوق منها قطرة أبداً

---

(١) راجع (مقتل الخوارزمي) ص٢٠٩ ومناقب (ابن شهر آشوب) ج٤ ص٢٠٩ وغيرهما.

(٢) راجع (تاريخ الطبري) وابن الأثير، وإرشاد المفيد، والبحار على ما نقل عنهم السيد آل بحر العلوم في مقتله ص٣٠٨.

حتى تذوق الحميم في نار جهنم.

فقال له مسلم ويحك من أنت؟ قال: أنا من عرف الحق إذ أنكرته، ونصح لإمامه إذ غششته، وسمع وأطاع إذ عصيته، أنا مسلم بن عمرو الباهلي، فقال له مسلم: لأمك الثكل ما أجفاك وأفظك وأقسى قلبك وأغلظك، أنت يابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني.

ثم استند إلى حائط القصر، وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فجاءه بقلة ماء بارد عليها منديل ومعه قدح، فصب فيه الماء ثم ناولَه لمسلم، فأخذ مسلم كلما أراد أن يشرب امتلأ القدح دماً من فمه، لضربة بكر بن حمران له على فمه، فيمتنع من الشرب، فعل ذلك مرتين فلما ذهب في الثالثة ليشرب سقطت ثنيتاه في القدح، فقال: الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته.

إدخال مسلم على ابن زياد

ثم أدخل على ابن زياد، فلم يسلم عليه بالأمرة، فقال له الحرس: ألا تسلم على الأمير؟ فقال له مسلم: ويحك ما هو لي بأمير حتى أسلم عليه، فقال ابن زياد: لا عليك سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول، فقال مسلم: إن قتلتني فقد قتل من هو شر منك من هو خير مني.

كثرة المشادة الكلامية بين مسلم وابن زياد، ومسلم يرده بقوة

ثم قال ابن زياد: يا عاق يا شاق خرجت على إمامك وشققت عصا المسلمين، وألقحت الفتنة، فقال مسلم: كذبت يا بن زياد إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأما الفتنة فإنما ألقحها أنت وأبوك زياد بن عبيد -عبد بني علاج من ثقيف- وأنا أرجو أن يرزقني الله الشهادة على يدي شر بريته. فقال له ابن زياد: منتك نفسك أمراً حال الله دونه وجعله لأهله، فقال مسلم: ومن -يا بن مرجانه- أهله؟ فقال: أهله يزيد

بن معاوية، فقال مسلم: الحمد لله رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم.

فقال ابن زياد: أ تظن أن لك في الأمر شيئاً؟ فقال مسلم: والله ما هو الظن، ولكنه اليقين.

ثم أقبل ابن زياد على مسلم وقال له: إيه يا بن عقيل لماذا أتيت أهل هذا البلد وأمرهم جمع بينهم، وكلمتهم واحدة، فأردت أن تفرق عليهم أمرهم وتحمل بعضهم على بعض؟.

فقال مسلم: ليس لذلك أتيت ولكن أهل هذا المصر زعموا أن أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وأن معاوية حكم فيهم ظلماً بغير رضى منهم، وغلبهم على ثغورهم التي أفاء الله بها عليهم، وأن عاملهم يتجبر ويعمل أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى الحكم بالكتاب إذ كنا أهله، ولم تزل الخلافة لنا وإن قهرنا عليها، رضيتم بذلك أم كرهتم، لأنكم أول من خرج على إمام الهدى، وشق عصا المسلمين، ولا نعلم لنا ولكم مثلاً إلا قول الله تعالى: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾ آخر سورة الشعراء[1].

ولما أبان مسلم هذه الحقائق أمام ابن زياد وجلسائه لم يجد ابن زياد طريقاً لإطفاء غضبه سوى السب للعترة الطاهرة، فأخذ يشتم علياً والحسن والحسين وعقيلاً، فقال مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتم والسب فاقض ما أنت قاض يا عدو الله فنحن أهل بيتٍ موكل بنا البلاء.

وظل مسلم حتى الرمق الأخير من حياته عالي الهمة، ومثالاً للشجاعة والبطولات النادرة.

وبعد أن أدى مسلم رسالته بأمانة وإخلاص، قال ابن مرجانه: أين هذا الذي ضرب ابن عقيل رأسه بالسيف؟ فدعي إليه بكر بن حمران الأحمري.

---

(١) راجع (مقتل الخوارزمي) ص٢١٣.

ابن زياد يأمر بضرب عنقه ورميه إلى الأرض

فقال: اصعد واضرب عنقه بيدك ليكون ذلك أشفى لصدرك، ثم أتبع رأسه جسده، فصعد به إلى أعلى القصر، وهو يسبح الله ويستغفره، ويقول:

اللهم احكم بيننا وبين قومٍ عزونا وخذلونا، وأشرف به من أعلى القصر على موضع الحذائين وضرب عنقه فأهوى رأسه إلى الأرض، وأتبع جسده رأسه، حتى تكسرت عظامه..الخ.

سل ما جرى جملاً ودع تفصيله ... فقليله لم يحصه التفصيل

قتلوه ثم رموه من أعلى البنا ... وعلى الثرى سحبوه وهو قتيل

ربطوا برجليه الحبال ومثلوا ... فيه فليت أصابني التمثيل[1]

---

(١) أبيات من قصيدة عامرة للخطيب العلامة السيد صالح الحلي (ره).

المجلس الثاني والثلاثون

بكاء النبي (ص) والحسين وأهل بيته على مسلم (ع)

عين جودي لمسلم بن عقيل ... لرسول الحسين سبط الرسول
لشهيد بين الأعادي وحيدٍ ... وقتيل لنصر خير قتيل
ابك من قد بكاه أحمد شجواً ... قبل ميلاده بعهدٍ طويل
وبكاهُ الحسين والآل لما ... جاءهم نعيه بدمع همول
تركوه مع الهياج وحيداً ... لعدوٍ مطالبٍ بذحول
ثم ساقوه بينهم يتهادى ... لِلعَّينِ الرذيل وابن الرذيل
طاوياً ظامياً جريحاً عليلاً ... طالباً منهم رواء الغليل

هذا الأديب في هذه الأبيات يخاطب عينه ويحثها على البكاء على رسول الحسين(ع) وسفيره الأوحد مسلم بن عقيل لاستشهاده وقتله وحيداً بين الأعداء في نصرة سيد الشهداء فيقول:

عين جودي لمسلم بن عقيل ... لرسول الحسين سبط الرسول
لشهيد بين الأعادي وحيدٍ ... وقتيل لنصر خير قتيل

ثم يقول:

إبك من قد بكاه أحمد شجواً ... قبل ميلاده بعهد طويل

نعم بكى عليه رسول الله (ص) قبل ميلاده بكثير حتى جرت دموعه على صدره

الشريف، على ما رواه الصدوق في (الأمالي) بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: قال علي أمير المؤمنين (ع) يوماً لرسول الله (ص): يا رسول الله إنك لتحب عقيلاً؟ قال: أي والله إني لأحبه حبين حباً له، وحباً لحب (عمي) أبي طالب له، وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون.

ثم بكى رسول الله (ص) حتى جرت دموعه على صدره، ثم قال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي[1].

حب النبي (ص) لعقيل من ناحيتين

نرى في هذا الحديث أن أمير المؤمنين (ع) حينما يسأل رسول الله (ص) قائلاً: يا رسول الله إنك لتحب عقيلاً؟ يجيبه: إي والله إني أحبه حبين، حباً له، وحباً لحب عمي أبي طالب له.

وهذا النص كان (ص) يقوله أيضاً لعقيل نفسه، على ما رواه الخاصة والعامة، أن رسول الله (ص) كان يقول لعقيل: إني لأحبك يا عقيل حبين، حباً لك، وحباً لحب أبي طالب لك.

وفي نص ابن أبي الحديد في شرح النهج وابن عبد البر في الاستيعاب قال (ص): إني أحبك حبين حباً لقرابتك مني، وحباً لما كنت أعلم من حب عمي إياك[2].

---

(١) راجع أمالي الشيخ الصدوق (المجلس) ٢٧ص٨٩، ونقله عنه السيد المقرم في كتابه (العباس بن أمير المؤمنين) ص٣٥ والمظفري في (بطل العلقمي) ج١ ص٢٢٤ عن الصدوق وعن الوحيد البهبهاني في (التعليقة) وابي علي الرجالي، والفاضل المجلسي، وغيرهم.

(٢) راجع (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج٣ ص٨٢ و (الاستيعاب) ج٣ ص١٥٧، و(الخصال) للصدوق ص٧٦ و (البحار) للمجلسي ج٤٢ ص١٥، وص ١١٠ نقلاً عن الصدوق، وابن أبي الحديد، و (مجمع الزوائد)، ج٩ ص٢٨٣ نقلاً عن الطبراني، وكتاب (العباس بن أمير المؤمنين) للمقرم ص٣٥ نقلاً عن كتاب (نكت الهميان) ص٢٠٠ و(السيرة الحلبية) ج١ ص٣٠٤ و(تذكرة الخواص) ص١٥ و(الخصال) و(بطل العلقمي) للمظفري ج١ ص٢١٨-٢١٩، نقلاً عن

ومعنى هذا أن رسول الله (ص) كان يحب عقيلاً من ناحيتين الأولى يحبه لذاته لأنه هو يستحق المحبة، وما ذاك إلا لإيمانه، وقرابته منه لأنه ابن عمه، ولما اتصف به من الخصال الحميدة التي تستوجب حبه من العلم والفضل والشجاعة وغيرها من سائر الصفات الحسنة.

ومن أهم ما اتصف به عقيل واشتهر به بعد الإيمان، والقرابة من رسول الله (ص) أنه كان عارفاً بأنساب العرب وأخبارها، ويمتاز على غيره من علماء النسب بإحاطته بالمحاسن والمساوئ، وعلمه بالمناقب والمثالب.

وكان المجرمون من قريش يبغضونه لعلمه بمساوئهم ومساوئ أنسابهم المطعون بها ونشرها بين الناس، وقد يجابه بها بعضهم، كما أنه كان مفوهاً منطيقاً سريع البديهة، حاضر الجواب، ولسانه أمضى من سنانه، وجوابه أحدّ من شفرة سيفه، وقد ذكر له المؤرخون من الأجوبة الحاسمة والمسكتة الشيء الكثير[1].

كما أنه كان بطلاً شجاعاً طوالاً، وكان أحد العشرة الذين طولهم عشرة أشبار بشبر نفسه، وقد شهد غزوة مؤتة مع أخيه جعفر، كما شهد بعدها مع رسول الله (ص)

الحفاظ الثلاثة ابن عبد البر، وابن الأثير، والعسقلاني في كتب الصحابة، وغيرهم، وراجع (عمدة الطالب) في أنساب آل أبي طالب، للسيد جمال الدين ص٣١.

(١) من أجوبته المسكتة ما ورد، أن عقيل دخل يوماً على معاوية، ورحب به قائلاً له: مرحباً بمن عمه أبو لهب، فأجابه على الفور وأهلاً بمن عمته (حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد فقال له معاوية: يا أبا يزيد أين مكان عمك أبو لهب من النار؟ قال: إذا دخلتها فخذ على يسارك تجده مفترشاً عمتك حمالة الحطب، أفناكح في النار خير أم منكوح، قال: كلاهما شر والله.

ودخل عقيل مرة أخرى على معاوية بعد أن كف بصره، فأجلسه معاوية على سريره، ثم قال له: ما لكم - يا بني هاشم - تصابون في أبصاركم؟ فأجابه على الفور ولكنكم -يا بني أمية- تصابون في بصائركم، والله سبحانه يقول: (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (الحج: ٤٧) راجع ما شئت من المصادر السابقة وغيرها.

غزوة حنين وهو من الثابتين فيها على ما رواه الزبير بن بكار عن الحسن بن علي (ع)[1].

فمن هذه الناحية أحبه رسول الله (ص).

والناحية الثانية أحبّه لحب عمه أبي طالب له، وهذا يدل دلالة واضحة على حب النبي (ص) لعمه أبي طالب بحيث كان يحبه ويحب من يحبه، كما أنه واضح الدلالة على إيمان أبي طالب، إذ لو لم يكن أبو طالب مؤمناً لما أحبه رسول الله (ص) وأحب من يحبه.

ومن الأدلة الواضحة على إيمان أبي طالب من القرآن المجيد. ومن إجماع الأمة الإسلامية هو: أن الله سبحانه وتعالى يقول في سورة الأنفال: ﴿**وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ الأنفال: ٧٥.

وأجمع المفسرون أن قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آوَوْا**﴾ أي آووا رسول الله (ص) ﴿**وَنَصَرُوا**﴾ أي نصروا رسول الله (ص) وأجمع أهل القبلة جميعاً أن أبا طالب هو أول من آوى رسول الله (ص) ونصره وما زال على ذلك ناصراً ومدافعاً عنه إلى أن لحق بربه فهو إذا مؤمن حقاً بحسب نص القرآن المجيد.

ولكن أعداء أمير المؤمنين هم الذين يدعون كفره ووجدوا شبهة تؤيدهم، وهي أنه ما كان يتظاهر بالإسلام أمام قريش، بل يكتم إيمانه عنهم لغرض حمايته لرسول الله(ص) ولذلك عرف أبو طالب بـ(مؤمن قريش) كما كان يعرف حزقيل بـ(مؤمن آل فرعون) وهو الذي يقول الله تعالى فيه: ﴿**وَقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ المؤمن: ٢٩.

---

(١) راجع (الإصابة) لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٤٨٧ و(بطل العلقمي) ص٢١٩ ج١ و(ذخيرة الدارين) ص ١٣٤.

وهكذا كان أبو طالب (ع) يكتم إيمانه، والأدلة القطعية الكثيرة تدل على إيمانه، ومنها أن النبي سمى عام وفاته عام الحزن، ومنها حب النبي (ص) له ولمن يحبه.

أبناء أبي طالب الأربعة، واسمه

ولأبي طالب من الأبناء أربعة وهم طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي أمير المؤمنين(ع)، وكل واحدٍ من هؤلاء أكبر من الآخر بعشر سنين، وأكبرهم طالب وبه كُني أبوه، واسمه على الأشهر عبد مناف، وقيل عمران، ولكنه يعرف بكنيته أكثر مما يعرف باسمه، حتى أن بعضهم يرى انه اسمه (أبو طالب) ولكن الصحيح أن الظاهر لنا اسمه عمران، وكنيته أبو طالب، ولقبه كلقب جده عبد مناف، ولكنه اشتهر بكنيته، ولقبه اكثر ممّا اشتهر باسمه.[1]

ويقول المؤرخون أن طالب أكبر من عقيل بعشر سنين، وعقيل أكبر من جعفر بعشر سنين وجعفر أكبر من علي بعشر سنين، فعلي (ع) أصغرهم سناً ولكنه أجلهم وأعظمهم عند الله وعند رسوله والمؤمنين شأناً وقدراً[2].

بل هو أعظم شأناً وقدراً من جميع خلق الله بعد رسول الله (ص).

ومن المعلوم المقطوع به أن أبا طالب كان يحب عقيلاً، وهذا لا ريب فيه.

ومما يستدل به أيضاً على حب أبي طالب لعقيل هو أنه لما أصاب الناس القحط والمجاعة في بعض السنين، وذلك قبل بعثة النبي (ص) بأربع سنين، وجاء النبي مع عمه العباس إلى أبي طالب ليخففا عنه من عياله، قال أبو طالب لهما: أن تركتما لي عقيلاً فخذا من شئتما، فأخذ العباس جعفراً وضمه إليه، وأخذ النبي (ص) علياً فضمه إليه..الخ.

ومن هذا وذاك قد يتصور أن أبا طالب كان يحب عقيلاً أكثر من بقية بنيه ومن ضمنهم علي أمير المؤمنين ولكن الحقيقة والواقع أن أبا طالب ما كان يحب عقيلاً أكثر من علي.

---

(١) راجع تفصيل ترجمته في كتابنا (دراسات موضوعية في بحوث رمضانية) وسيقدم بعون الله تعالى إلى الطبع والنشر.

(٢) راجع المصادر السابقة و(الخصال) للصدوق ص١٨١.

ولعل طلبه إبقاء عقيل له حيث أن عقيلاً كان هو الملتزم بشؤون بيت أبيه وإدارته له، لأن علياً يومئذٍ عمره ست سنين، وجعفر ستة عشر سنة، وعقيل عمره ست وعشرون سنة، فأبقاه أبوه لإدارته لشؤون بيته وما يحتاجه، وإلا ما كان أبو طالب يحب عقيلاً أكثر من أخيه علي، بل الأمر بالعكس يحب علياً أكثر من جميع أبنائه من عقيل وغيره.

وكيف يقدم أبو طالب أحداً بالحب على علي وهو ذلك المؤمن البصير العارف الذي شاهد عناية الله الخاصة به والتي منها أن:

ولادة علي أمير المؤمنين في بيت الله الحرام، وسط الكعبة

جعل الله بيته لعلي ... مولداً يا له علاً لا يضاهى
لم يشاركه في الولادة فيه ... سيد الرسل لا ولا أنبياها
ما ادعى مدعٍ لذلك كلا ... من ترى في الورى يروم ادعاها
فاكتست مكة بذاك افتخاراً ... وكذا المشعران بعد مناها[1]

وولادة علي (ع) في بيت الله الحرام، وسط الكعبة المقدسة من جهة أنها حقيقة ناصعة، قد اتَّفق على إثباتها الفريقان السنة والشيعة، وتضافرت بها الأحاديث وطفحت بها الكتب، وقد نصَّ جمع من أعلام أهل السنة على تواترها، واشتهارها.

حتى قال السيد محمود الآلوسي صاحب التفسير الكبير في كتابه (سرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية) لعبد الباقي العمري ص١٥ عند قول الناظم:

أنت العلي الذي فوق العلا رفعا ... ببطن مكة عند البيت إذ وضعا

وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا، وذكر في كتب الفريقين، السنة والشيعة -إلى أن قال-: ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما

---

(١) ابيات من قصيدة طويلة للشيخ حسين نجف راجع (الغدير) ج٦ ص٢٦.

اشتهر وضعه، بل لم تتفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين[1].

هذه جهة، ومن جهة أخرى إن ولادته وسط الكعبة لم تكن من باب الصدف، بل بإرادةٍ وعناية خاصة من الله عز وعلا.

وذلك أن أمه فاطمة بنت أسد لما جاءت إلى بيت الله الحرام -أثناء حملها بوليدها- لتطوف في البيت وتدعو الله في أن يسهل عليها ولادتها، وبالفعل دعت الله عز وجل أثناء طوافها قائلة: رب إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، ومصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل وأنه بنى البيت العتيق، فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت علي ولادتي.

وأرادت أن ترجع إلى بيتها، وإذا ببيت الله قد انفتح لها عن ظهره وكأن منادياً يناديها: ادخلي، ودخلت فاطمة فيه، يقول الراوي:

وغابت عن أبصارنا والتزق الحائط وعاد كما كان، فقمنا ورمنا أن نفتح قفل الباب فلم ينفتح فعلمنا أن ذلك من أمر الله عز وجل، ومكثت داخل البيت ثلاثة أيام ثم خرجت يوم الرابع وبيدها أمير المؤمنين (ع) وهي تقول:

إني فضلت على من تقدمني من النساء لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سراً في موضع لا يحب الله أن يعبد فيه إلا اضطراراً، وأن مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطباً جنياً، وأني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار

---

(١) راجع موضوع ولادة أمير المؤمنين (ع) في البيت وسط الكعبة المعظمة واثباتها في (الغدير) لفضيلة العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأميني ج٦ ص١٩-٣٥ فقد ذكر تواترها ورواتها وشعراءها من الفريقين الشيعة والسنة.

الجنة وأوراقها[1] وفي نصٍ: وأرزاقها.

فلما أردت الخروج هتف بي هاتف: يا فاطمة سميه علياً فهو علي والله العلي الأعلى يقول: إني شققت له اسماً من اسمي وأدبته بأدبي وأوقفته على غامض علمي، وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي، وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ويقدسني ويمجدني، فطوبى لمن أحبه وأطاعه، وويل لمن أبغضه وعصاه[2].

فهذه العناية الربانية سمعها أبو طالب من زوجته فاطمة، وعلمها، كما قد علمها سائر أهل مكة.

سماع أبي طالب هاتفاً يأمره أن يسمي وليده علياً

ومما شاهده أبو طالب بنفسه ما رواه الكنجي الشافعي في كتابه (كفاية الطالب) ص٢٦٠ بسنده في حديث قال: فلما كانت الليلة التي ولد فيها علي، أشرقت

---

(١) من المعلوم انه لا يجوز دخول الحائضة والنفساء إلى أي مسجد من مساجد الله، فكيف إذن ببيت الله الحرام ووسط الكعبة المشرفة -تدخلها فاطمة بنت أسد- وتلد فيها؟ ثم تبقى ثلاثة أيام في الكعبة، وبطبيعة الحال تأكل وتشرب وتبول وتتغوط، فكيف يحل هذا الإشكال؟ الجواب: قولها: وإني دخلت بيت الله فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها. ومعلوم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولايبولون ولا يتغوطون، بل يخرج منهم العرق الطيب الطاهر بدلاً عن البول والغائط، فمعناه انها ما كانت تبول ولا تتغوط لأن طعامها من طعام أهل الجنة هذا من جهة. ومن جهة أخرى أنها ولدت وليدها طاهراً مطهراً من الدم الذي يكون عادة عند النساء أثناء الولادة. ومن هنا خرجت وهي تقول: إني فضلت على من تقدمني من النساء.. الخ.

(٢) راجع (أمالي الصدوق) مجلس ٢٧ ص٨٠ و(معاني الأخبار) ص٥٩، وعلل الشرائع له أيضاً وروضة الواعظين للفتال ج١ ص٧٦، وبشارة المصطفى للطبري ص٩، وكشف الحق للعلامة الحلي المطبوع مع دلائل الصدق ج٢ ص٣٢٧، وكشف الغمة للاربلي ج١ ص٩٠، والبحار ج٣٥ نقلاً عن كتب الصدوق الثلاثة وروضة الواعظين، وكشف اليقين للحلي، وكشف الحق له، وبشارة المصطفى ونقله المرعشي في احقاق الحق ج٥ ص٥٦.

الأرض، فخرج أبو طالب وهو يقول: أيها الناس ولد في الكعبة ولي الله عز وجل، فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يـــا رب هـــذا الغســـق الدجـــي والقمـــــر المنبـــــلج المضـــــي
بـــين لـــنا مـــن أمـــرك الخفـــي إذا تـــرى لـــي في اســـم ذا الصـــبي

قال: فسمع صوت هاتف يقول:

يـــا أهـــل بيـــت المصـــطفى الـــنبي خصصـــــتم بـــــالولد الـــــزكي
إن اسمـــه مـــن شـــامخ العلـــي علـــــي اشـــــتق مـــــن العلـــــي

فالذي يشاهد مثل هذه العنايات الإلهية بهذا المولود المبارك هل يمكن أن يقدم أحداً آخر على حبه؟ كلاّ وألف كلا، نعم كان أبو طالب يحب عقيلاً حباً خاصاً ولكنه لا يقدمه في الحب على علي.

والآن نعود إلى حديثنا السابق أن أمير المؤمنين (ع) حين يسأل من رسول الله(ص): أنك لتحب عقيلاً؟ يقول: أي والله إني أحبه حبين حباً له، وحباً لحب عمي أبي طالب له.

وحيث جاء ذكر عقيلٍ، هنا أطلع النبي (ص) علياً على أمر غيبي تلقاه عن الله عز وجل فقال: وإن ولده لمقتول في محبة ولدك، فتدمع عليه عيون المؤمنين، وتصلي عليه الملائكة المقربون: والظاهر المقطوع به أنه (ص) عنى بولد عقيل، مسلم بن عقيل بالخصوص، لميزته على بقية أولاده، وعظيم مصيبته، وأنه هو المقتول في محبة ولد علي، وهو الحسين بن علي دون غيره من أولاده، فكان ما قال (ص).

مسلم أول غريب وشهيد في محبة الحسين (ع)

ومسلم هو أول غريب وأول شهيد وأول قتيل في محبة الحسين ونصرته فيحق لعيون المؤمنين أن تدمع وتبكي على مصيبته ـ التي هي من أعظم المصائب ـ مواساة لرسول الله(ص) حيث أنه لما تذكر ما سيجري عليه من المحن والمصائب العظام بكى رسول

الله(ص) حتى جرت دموعه على صدره وقال: إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي.

فبكاؤنا على مسلم فيه المواساة والتأسي بنبينا محمد (ص)، يقول الله عز من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾ الأحزاب: ٢٢. ولذلك يقول هذا الأديب:

ابك من قد بكاه أحمد شجوا قبل ميلاده بعهد طويل

وصول نبأ قتل مسلم وهاني إلى الحسين (ع)

ثم يقول:

وبكاه الحسين والآل لما جاءهم نعيه بدمع همول

نعم بكى الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه وذلك حين بلغ خبر قتله، وقتل هاني بن عروة في مكان يسمى الثعلبية بقرب زرود، وترحم عليهما، على ما روى الطبري، والمفيد وغيرهما عن عبد الله بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديين قالا: لما قضينا حجنا لم تكن لنا همة إلا اللحاق بالحسين في الطريق لننظر ما يكون من أمره وشأنه، فاقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزرود، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين، ووقف الحسين كأنه يزيده ثم تركه ومضى، ومضينا نحوه، فقال أحدنا لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا لنسأله فإن عنده خبر الكوفة فمضينا حتى انتهينا إليه، فسلمنا عليه، فرد علينا السلام، فقلنا له: ممن الرجل؟.

فقال أسدي: قلنا له: ونحن أسديان، فمن أنت؟ قال: أنا بكر بن فلان، فانتسبنا له، ثم قلنا له: اخبرنا عن الناس وراءك، قال: نعم، لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة ورأيتهما يجران بأرجلهما في السوق.

فاقبلنا حتى لحقنا بالحسين فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً فجئناه، حين نزل فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا له: يرحمك الله إن عندنا خبراً إن شئت حدثناك به

علانية وان شئت سراً، فنظر إلينا وإلى أصحابه، ثم قال: ما دون هؤلاء سر، فقلنا له: أرأيت الراكب الذي استقبلته عشيّ أمس؟ فقال: نعم قد أردت مسألته، فقلنا، قد والله استبرأنا لك خبره وكفيناك مسألته، وهو امرؤ منا ذو رأي وصدقٍ وعقلٍ، وإنه حدثنا، إنه لم يخرج من الكوفة حتى قتل مسلم وهاني ورآهما يجران في السوق بأرجلهما.

فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون رحمة الله عليهما يردد ذلك مراراً.

فقلنا له: ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلا انصرفت من مكانك هذا، وأنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة، بل نتخوّف أن يكونوا عليك، فنظر إلى بني عقيل فقال: ما ترون فقد قتل مسلم؟ فقالوا: والله ما نرجع حتى نصيب ثأرنا أو نذوق ما ذاق مسلم، فأقبل علينا الحسين (ع) فقال: لا خير في العيش بعد هؤلاء، فعلمنا انه قد عزم رأيه على المسير، فقلنا له: خار الله لك، ..الخ[1].

وقال السيد ابن طاووس: ثم سار الحسين (ع) حتى بلغ زبالة فاتاه فيها خبر قتل مسلم بن عقيل فعرف بذلك جماعة ممن تبعه، فتفرق عنه أهل الأطماع والارتياب وبقي معه أهله وخيار الأصحاب ثم إن الحسين تأمل قتل مسلم وان أهل الكوفة هم الذين أعانوا على قتل أمير المؤمنين ونهب الحسن وضربه بالخنجر على فخذه، فبكى بكاءً شديداً حتى اخضلت لحيته بالدموع، وأما أولاد مسلم فإنهم لما علموا بقتل أبيهم تنفسوا الصعداء وبكوا بكاءً شديداً ورموا بعمائمهم إلى الأرض ونادوا وامسلماه وابن عقيلاه.

قال السيد ابن طاووس: وارتج الموضع بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل وسالت الدموع عليه كل مسيل.

---

(١) راجع (البحار) ج٤٤ ص٢٧٣ نقلاً عن (الإرشاد) للمفيد ص٢٠٤ ومقتل السيد بحر العلوم، ص٢٣٠ نقلاً عن المفيد والطبري.

يتيمة مسلم حميدة

ثم إن الحسين (ع) قام من مجلسه وجاء إلى خيم النساء ودعا بابنة مسلم، واسمها حميدة لها من العمر سبع سنين، وقيل أحد عشر سنة، فقربها من مجلسه وجعل يلاطفها ويعطف عليها، ويمسح بيده على رأسها كما يصنع بالأيتام، فأحست البنت بالشر، فقالت: يا عم ما رأيتك قبل هذا اليوم تفعل بي مثل ذلك، أظن أنه قد استشهد والدي؟ فلم يتمالك الحسين دون أن بكى، وقال: يا بنية لا تحزني، أنا أبوك وبناتي أخواتك، فعند ذلك صاحت ونادت وا أبتاه وا مسلماه[1].

لم يبكها عدم الوثوق بعمها ... كلا ولا الوجد المبرح فيها

لكنها تبكي مخافة أنها ... تمسي يتيمة عمها وأبيها..

---

(١) راجع (مقتل السيد آل بحر العلوم) ص٣٢٢ نقلاً عن (أسرار الشهادة) للدربندي) ومعالي السبطين ص١٦٣ نقلاً عن بعض كتب المقاتل وكتاب (سفير الحسين) مسلم بن عقيل للعلامة المظفري ص١٤ نقلاً عن الطريحي في (مقتله).

المجلس الثالث والثلاثون

أبناء عقيل وأحفاده المستشهدون يوم الطف وبعده

عـــين جـــودي بعـــبرة وعويـــل واندبـــي إن ندبـــت آل الرســـول
تســـعة كـــلهم لصـــلب علـــي قـــد أبـــيدوا وتســـعة لعقـــيل

هـذان البيـتان لـنائحة مـن نوائـح آل عقـيل رثـت بهمـا اخوتهـا وأبـناء عمهـا أمـير المؤمنين(ع)، عـلى مـا نـص عـلى ذلـك الحافظ المقريزي في كتابه (النزاع والتخاصم) بين بـني أمـية وبـني هاشـم، ص١٣ عند ذكره لأعمال بني أمية وأفعالهم الذميمة مع آل أبي طالـب، قـال مـا هـذا لفظه: وقتلوا لصلب علي بن أبي طالب تسعة، ولصلب عقيل بن أبي طالب تسعة، ولذلك قالت نائحتهم:

عـــين جـــودي بعـــبرة وعويـــل واندبـــي إن ندبـــت آل الرســـول
تســـعة كـــلهم لصـــلب علـــيٍ قـــد أبـــيدوا وتســـعة لعقـــيل

ثـم قال: هذا وهم يزعمون أن عقيلاً أعان معاوية على علي (ع) فإن كانوا كاذبين فمـا أولاهـم بـالكذب وإن كانوا صادقين فما جازوه خيراً إذ ضربوا عنق مسلم بن عقيل صبراً، وقتلوا معه هاني بن عروة لأنه آواه ونصره..الخ[1].

نعـم استشـهد من صلب علي (ع) يوم الطف تسعة وعاشرهم سيدهم وإمامهم أبو عبد الله الحسين سيد شباب أهل الجنة.

---

(١) راجع (بطل العلقمي) ج١ ص٢١٨-٢٢٧.

واستشهد في ذلك اليوم بين يديه من صلب عقيل أيضاً تسعة وعاشرهم وفقيههم مسلم بن عقيل شهيد الكوفة.

كما قد قتل يوم الطف من أحفاد عقيل، أي أولاد أولاده أربعة، واثنان قُتلاً بعد واقعة الطف، فيكون شهداء آل عقيل أولاداً وأحفاداً ستة عشر ولداً.

نعم وقد خلت دور آل عقيل هجرة مع الحسين رجالاً ونساءً، حتى لم يبق منهم أحد في المدينة إلا بعض النساء عند أزواجهن.

من نجا من أحفاد عقيل من القتل، ومنه العقب المتصل

وأما الذكور فلم يبق أحد منهم، وما نجا منهم من القتل سوى عبد الله بن محمد بن عقيل، وأمه زينب الصغرى بنت علي أمير المؤمنين (ع) وهو يومئذ طفل صغير.

وبعد واقعة الطف بمدة تزوج بابنة عمه حميدة بنت مسلم بن عقيل، وأعقب منها، ومنه بقي لعقيل عقب متصل فيهم علماء محدثون وأدباء عظام، قد بارك الله فيهم وحفظهم.

وعبد الله نفسه كان فقيهاً محدثاً جليلاً، وقد عده الشيخ الطوسي من رجال الإمام الصادق (ع) وأصحابه وكفاه بذلك فضلاً وتقدماً.

كما أنه كان ثقةً صدوقاً حتى عند العامة من أهل الصحاح والسنن والمسانيد يروون عنه ويوثقونه[1].

وهو الوحيد الذي نجا من القتل يوم الطف، ويقول بعض المؤرخين المعاصرين: ولم نعرف داراً في الإسلام قد خلت من أهلها هجرة على الدين فبقيت فارغة إلا دار جحش بن رئاب الأسدي.

فإنهم هاجروا كلهم مع النبي (ص) وآل عقيل هاجروا كلهم مع الحسين فلم يبق إلا النساء عند الأزواج. ثم يقول:

---

(١) راجع (عمدة الطالب) للسيد جمال الدين ص٣٢، والتعليقة في الحاشية.

ولكن نجد الفرق الجلي بين آل جحش، وآل عقيل، وأن آل جحش استشهد منهم رجل واحد وهو عبد الله بن جحش استشهد يوم أحد ودفن هناك إلى جنب حمزة بن عبد المطلب، والباقون من آل جحش سلموا.

وآل عقيل بالعكس استشهدوا كلهم مع الحسين (ع) يوم الطف، ولم يبق منهم أحد سوى عبد الله بن محمد بن عقيل[1] الذي منه كان العقب المتصل.

تسلية الحسين (ع) لآل عقيل وتصبرهم

ولهذا كان الحسين (ع) يقول عندما يقتل منهم أحد: اللهم اقتل قاتل آل عقيل، ويقول لمن بقي منهم: صبراً آل عقيل فموعدكم الجنة، كما كان جده رسول الله (ص) يقول لآل ياسر: صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة، فإنه لم يبق منهم إلا عمار، وقتل المشركون من أهل مكة أباه ياسر، وأمه سمية وأخاه عبد الله.

فالحسين (ع) سلّى آل عقيل بتلك التسلية: صبراً آل عقيل فموعدكم الجنة، ونعم العوض عن الدنيا الجنة.

إيثار علي بن الحسين (ع) لآل عقيل وبرهم

ولهذا أيضاً كان الإمام زين العابدين بعد واقعة الطف يؤثر آل عقيل ويبرهم أكثر من غيرهم، قال الفاضل المجلسي: كان علي بن الحسين يميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى ولد عمك هؤلاء دون ولد جعفر، فقال (ع) إني لأذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي (ع) فأرق لهم[2].

الشهداء من بني عقيل التسعة

والشهداء التسعة لصلب عقيل هم: الأول أبو سعيد بن عقيل وهذا اسمه، وأمه

---

(١) راجع (بطل العلقمي) للمظفري ج١ ص٢٢٨.

(٢) (البحار) ج٤٦ ص١١٠ نقلاً عن (كامل الزيارة) لابن قولوية ص١٠٧، ونقله عن المجلسي العلامة المظفري في (بطل العلقمي) ج١ ص٢٢٨.

الخوصاء الكلابية بنت عمرو بن عامر الكلابي، وكان أبو سعيد هذا متكلماً سريع الجواب لسناً مفوهاً يشبه أباه عقيل في حسن البديهة وسرعة الجواب، وله كلام مع عبد الله بن الزبير بمحضر معاوية أفحمه فيه راجعْهُ في كتاب (ماذا في التاريخ) ج٤ ص٣٣٥ نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١١ ص٣٠. وقد نص على شهادته يوم الطف علامة المؤرخين والمحققين المعاصر الشيخ عبد الواحد المظفري[١].

والثاني شقيقه وخليصه جعفر الأكبر، وأمه الخوصاء الكلابية، وكان قد تزوج أم الحسن بنت عمه أمير المؤمنين (ع)، وجاء ذكره والسلام عليه في زيارة الناحية المقدسة، وذكر قاتله ولعنه[٢].

وذكر أهل السير والمقاتل أنه برز جعفر الأكبر يوم عاشوراء وهو يقول:

أنا الغلام الأبطحي الطالبي ... من معشرٍ في هاشم من غالب

ونحن حقاً سادة الذوائب ... هذا حسين أطيب الأطائب

من عترة البر التقي الثاقب

فقتل خمسة عشر فارساً، ثم قتله بشر بن خوط القابضي.

والثالث والرابع عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر وأمهما أم ولد، نص على شهادتهما بين يدي الحسين (ع) أبو الفرج الأصبهاني في (مقاتل الطالبين) ص٦٥ وص٦٦، وغيره من أهل السير والمقاتل[٣].

والخامس عبد الرحمن، وأمه أم ولد، وكان قد تزوج خديجة بنت عمه أمير المؤمنين (ع) وجاء ذكره والسلام عليه، وذكر قاتله ولعنه في زيارة الناحية المقدسة[٤].

---

(١) نص العلامة المظفري على شهادة (أبو سعيد) في كتابيه (بطل العلقمي) ج١ ص٢٢٨ و(سفير الحسين) ص١٦.

(٢) راجع كتاب (ذخيرة الدارين) للسيد عبد المجيد ص١٥٦.

(٣) راجع المصدر السابق ص١٦٢ ١٣٤.

(٤) راجع (الذخيرة) ص١٥٧.

وقد برز في جملة آل أبي طالب وهو يرتجز ويقول:

أبـــي عقـــيل فاعـــرفوا مكـــاني مـــن هاشـــم وهاشـــم أخوانـــي
كهـــول صـــدق ســـادة الأقـــران هـــذا حســـين شـــامخ البنـــيان

وسيد الشيب مع الشبان

وقاتل حتى قتل من القوم سبعة عشر فارساً، ثم احتوشوه وتولى قتله عثمان بن خالد الجهني.

والسادس موسى بن عقيل، وأمه أم البنين بنت أبي بكر بن كلاب العامري، وقد تقدم إلى القتال بين يدي الحسين (ع) وهو يرتجز ويقول:

يـــا معشـــر الكهـــول والشـــبان أضـــربكم بالســـيف والســـنان
أحمـــي عـــن الفتـــية والنســـوان وعـــن إمـــام الإنـــس ثـــم الجـــان

ثم حمل على القوم يضربهم بسيفه حتى قتل منهم ثلاثين فارساً سوى من جرح، ثم كمن له عمرو بن صبيح فطعنه برمحه وكبا به جواده فأرداه إلى الأرض صريعاً، فأحاط به القوم واحتزوا رأسه رضوان الله عليه[1].

والسابع على الأكبر بن عقيل، وأمه أم ولد، وكانت أمه معه، وله ذكر في بعض المغازي وبرز يوم عاشوراء وقاتل حتى قتل من القوم ثلاثة فوارس، وثمانية عشر راجلاً، وقتل مع جملة من فتيان بني هاشم، رضوان الله عليه[2].

والثامن عون بن عقيل وأمه أم ولد، ونص على شهادته يوم الطف ابن شهرآشوب في المناقب ج٤ ص١١٢ وكذا الشيخ عبد الواحد المظفري في (سفير الحسين) ص١٧ وفي (بطل العلقمي) ج١ ص٢٢٩ نقلاً عن ابن شهرآشوب والله أعلم.

والتاسع محمد بن عقيل، وأمه أم ولد، وكان فقيهاً وكان قد تزوج أم كلثوم

---

(١) راجع (الذخيرة) ص١٦٢.

(٢) راجع (الذخيرة) ص١٦٢ -١٦٣، و(مقاتل الطالبين) ص٦٧.

الصغرى بنت عمه أمير المؤمنين (ع)، ومنه كان عقب عقيل ليس إلا وكان عقبه من ابنه عبد الله وهو الذي نجا من آل عقيل، وقد نص على شهادة محمد بن عقيل يوم الطف العلامة المظفري في كتابه (سفير الحسين) ص١٧ وبطل العلقمي ج١ ص٢٢٨.

فهؤلاء تسعة لصلب عقيل كلهم قتلوا بين يدي الحسين يوم العاشر من المحرم، وعاشرهم شهيد الكوفة السفير الأوحد مسلم بن عقيل. وهو أفضلهم جميعاً بكل ما للفضل والفضيلة من معنى.

قصة شجية ليتيمة عقيلية

والكثير من هؤلاء العشرة من أولاد عقيل خلفوا أطفالاً لهم ونساء سبين في من سبي، وهم الذين كان الإمام زين العابدين يميل إليهم ويرق لحالهم.

وكانت من هؤلاء طفلة صغيرة أثرت على عواطف أبي عبد الله الحسين فأبكته، وأبكت العيال، وذلك ما نقل: أنه لما جاء الحسين لوداع عياله وأطفاله، وخرجت النساء والأطفال وأحدقن بركابه وأحطن يمنة ويسرة صارخات معولات، هذه تقول: إلى أين يا حمانا وتلك تقول: إلى أين يا رجانا، نظر الحسين في تلك الحال إلى تلك الطفلة العقيلية في جملة الأطفال وهي تجود بنفسها من العطش، فقال الحسين (ع): علي بهذه الطفلة فحملوها إليه، فأجلسها بين يديه، وجعل يسليها ويعزيها، فقالت له: يا عم كاد قلبي أن يتفطر من العطش، وإنّ أبي وعمي بكرا إلى الماء ليأتيانا به، وقد أبطآ عليَّ، وكان أبوها وعمها وبقية أعمامها كلهم قد قتلوا، فقال لها الحسين: بني أنا ماضٍ إليهما وأخبرهما بعطشك، فقالت: يا عم لا صبر لي على العطش فلم لا تحملني معك إليهما، فبكى الحسين وقال: إذا حملتك إليهما من يردك إلى الخيمة، فتصايحت النساء وأخذنها من يد الحسين وقلن لها لقد أقرحت قلب سيدنا[1].

---

(١) قصة هذه اليتيمة من المسموعات، ولم أعثر على مصدرٍ لها فيما لدينا من المصادر وعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، ولا يبعد صحتها والله العالم.

والتفت الحسين إلى أخته العقيلة وجعل يوصيها بحفظ العيال والأطفال.

الشهداء من أحفاد عقيل الستة

وأما أحفاد عقيل فقد قتل منهم يوم الطف أربعة، واثنان قتلا بعد واقعة الطف. والأربعة أولهم أحمد بن محمد بن عقيل، وأمه أم ولد، برز وهو يقول:

اليوم أتلو حسبي وديني بصارم تحمله يميني

أحمي به عن سيدي وديني ابن علي طاهرٍ أمين

ثم حمل على القوم يضربهم بسيفه حتى قتل منهم جماعة كثيرة، وجرح آخرين، ثم أحاطوا به من كل جانب فقتلوه في حومة الميدان بعد ما عقروا فرسه رضوان الله عليه[1].

والثاني من الأحفاد محمد بن أبي سعيد بن عقيل، وأمه أم ولد، وقتل بعد مصرع الحسين وكان عمره سبع سنين.

وذلك لما هجم القوم على المخيم، وأضرموا النيران فيها، وتصايحت النساء، خرج هذا الغلام من تلك الخيام، مذعوراً، وجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وفي أذنيه قرطان يتذبذبان على خديه كلما التفت، وبينما هو واقف مذعور، إذ رماه لقيط بن إياس (أو ابن ياسر) الجهني بسهم فقتله به، وأمه واقفة كالمدهوشة تنظر إليه.

وقد جاء ذكره والسلام عليه، واللعنة على قاتله في زيارة الناحية المقدسة[2].

والثالث والرابع محمد وعبد الله ولدا مسلم بن عقيل، أما عبد الله وأمه رقية بنت أمير المؤمنين (ع) وكانت معه يوم الطف، وكان فارساً شجاعاً كما كان أبوه مسلم أشجع أولاد عقيل، تقدم إلى خاله الحسين بعد قتل ولده علي الأكبر واستأذنه في البراز، فقال له الحسين: أنت في حلٍ من بيعتي حسبك قتل أبيك مسلم، خذ بيد أمك

---

(١) راجع (ذخيرة الدارين) ص١٦٣.

(٢) راجع (الذخيرة) ص١٦٠.

واخرج من هذه المعركة.

وكأن الحسين أراد اختباره بذلك حتى يظهر للأجيال ما كان يتصف به من ثبات وإيمان وتضحية في سبيل الحق، ولذلك أجابه عبد الله قائلاً له:

لست والله ممن يؤثر دنياه على آخرته[1].

فعند ذلك أذن له الحسين فبرز وهو يرتجز ويقول معرباً عن صميم عقيدته الحقة فيما يلاقي المؤمن بعد الموت:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي ... وفتية بادوا على دين النبي

ليسوا بقوم عرفوا بالكذب ... لكن خيار وكرام النسب

من هاشم السادات أهل الحسب

فقاتل قتال الأبطال العظام حتى قتل من القوم -على صغر سنه- ثمانية وتسعين رجلاً في حملات ثلاث.

وبينما هو يجدل الفرسان إذ رماه عمرو بن صبيح بسهم في جبهته، فاتقاه بكفه، فسمر السهم كفه إلى جبهته حتى لم يستطيع تحريكها، وما اكتفى اللعين بذلك حتى رماه بسهم آخر وقع على قلبه ففلق قلبه وأرداه صريعاً.

ولما قتل عبد الله بن مسلم حمل آل أبي طالب حملة واحدة فصاح بهم الحسين، صبراً على الموت يا بني عمومتي، فوقع منهم في تلك الحملة عبد الله الأكبر بن عقيل الذي مر ذكره، ومحمد بن مسلم بن عقيل، وأمه أم ولد، قتله أبو مرهم الأزدي، وهو الرابع من أحفاد عقيل. وقد جاء ذكره وذكر أخيه عبد الله والسلام عليهما، واللعنة على قاتلهما في زيارة الناحية المقدسة[2].

وعشرة قتلوا لصلبه، فهؤلاء أربعة عشر.

---

(١) معالي السبطين نقلاً عن الناسخ ص٢٤٦ للمازندراني.

(٢) راجع (الذخيرة) ص١٥٨- ١٦٠.

طفلا مسلم المقتولان بعد واقعة الطف

والاثنان اللذان قتلا بعد واقعة الطف وهما جعفر وإبراهيم، أو محمد وإبراهيم، ولدا مسلم بن عقيل، وهما الغلامان اللذان ذبحا على شاطئ الفرات، قتلهما خبيث من خبثاء الكوفة ومجرم من مجرميها ويقال اسمه (الحارث بن عروة) قتلهما ورمى بجسديهما في الفرات فغاصا فيه، وجاء برأسيهما إلى ابن زياد، وكانا قد هربا من سجنه.

يروي قصتهما مفصلة شيخنا الصدوق في (الأمالي) وجاء في آخر قصتهما أن قاتلهما لما جاء برأسيهما إلى ابن زياد، قال له:

الويل لك أين ظفرت بهما؟ قال: أضافتهما عجوز لنا: قال: ما عرفت لهما حق الضيافة؟ قال: لا، قال: فأي شيء قالا لك؟ قالا: يا شيخ اذهب بنا إلى السوق فبعنا فانتفع بأثمانا، ولا ترد أن يكون محمد (ص) خصمك يوم القيامة، قال: فأي شيء قلت لهما؟ قال: قلت لا، ولكن أقتلكما وأنطلق برأسيكما إلى عبيد الله بن زياد، وأأخذ جائزة ألفي درهم، قال: فأي شيء قالا لك؟ قال: قالا أئت بنا إلى عبيد الله بن زياد حتى يحكم فينا بأمره، قال: فأي شيء قلت؟ قال: قلت: ليس إلى ذلك سبيل إلا التقرب إليه بدمكما، قال: فهلا جئتني بهما حيين أضعف لك الجائزة؟ وأجعلها أربعة آلاف درهم؟ قال: ما رأيت إلى ذلك سبيلاً إلا التقرب إليك بدمهما، قال: فأي شيء قالا لك؟ قال: قالا: يا شيخ احفظ قرابتنا من رسول الله، قال: فأي شيء قلت لهما؟ قال: قلت ما لكما من رسول الله من قرابة.

قال ويلك فأي شيء قالا لك؟ أيضاً؟ قال: قالا يا شيخ ارحم صغر سننا، قال: فما رحمتهما؟ قال: قلت: ما جعل الله لكما من الرحمة في قلبي شيئاً، قال: ويلك فأي شيء قالا لك؟ قال: قالا: دعنا نصلي ركعات، فقلت: فصليا ما شئتما إن نفعتكما الصلاة، فصلى الغلامان أربع ركعات، قال: فأي شيءٍ قالا في آخر صلاتهما؟ قال: رفعا طرفيهما إلى السماء وقالا:

يا حي يا حكيم يا أحكم الحاكمين أحكم بيننا وبينه بالحق. قال عبيد الله بن زياد: إن أحكم الحاكمين قد حكم بينكم، مَنْ للفاسق؟ فانتدب له رجل من أهل الشام فقال: أنا له، قال: فانطلق به إلى الموضع الذي قتل فيه الغلامين فاضرب عنقه، ولا تترك أن يختلط دمه بدمهما، وعجل برأسه.

ففعل الرجل ذلك وجاء برأسه فنصبه على قناة فجعل الصبيان يرمونه بالنبل والحجارة وهم يقولون: هذا قاتل ذرية رسول الله (ص)[1].

ولكن هذا لا يشفي غليلنا ولا يجدينا بعد أن أقرح اللعين قلب أمهما وقلوب المؤمنين ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ والعاقبة للمتقين.

---

(١) راجع (الأمالي) لشيخنا الصدوق مجلسي ١٩ص٥١-٥٩، ونقلها عنه المجلسي (البحار) ج٤٥ ص١٠٠-١٠٥، وقد رواها الصدوق بسنده عن شيخ لأهل الكوفة يكنى أبا محمد، ونقلها أيضاً المازندراني في (معالي السبطين)ج٢ ص٤٥-٤٨، كما نقلها أيضاً عن (ناسخ التواريخ) بصورة فيها بعض التغييرات ومروية في عدة كتب أخرى باختلاف يسير والله العالم.

الفصل السادس

ما يتعلق بشؤون بعض أصحاب الحسين (ع) ومواقفهم الدفاعية عن الدين وأهله:

المجلس الرابع والثلاثون

شهادة مسلم بن عوسجة، وآخرين من أصحاب الحسين (ع)

تحقيق في آية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ﴾ فيمن نزلت، وفيمن تجري؟

قال عز من قائل في محكم كتابه المجيد: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ الأحزاب: ٢٤.

هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب نزلت في أفراد من سادات المؤمنين وخواصهم من الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله، والموفين بعهده.

وهي تجري فيمن بعدهم ممن كان على شاكلتهم في الإيمان والتضحية، والوفاء بالعهد لله عز وجل. أما من هم أولئك الذين نزلت فيهم الآية؟ فالمفسرون وإن كانوا مختلفين في آرائهم ورواياتهم فيمن نزلت فيهم، ولكننا نختار الروايات التي روتها الخاصة والعامة، والتي يمكن تطبيقها على نصوص الآية الكريمة وضوابطها.

الروايات في نزول الآية الكريمة ومفادها

فمن تلك الروايات ما رواه ابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة) وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) والشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار) وغيرهم:

إن علياً أمير المؤمنين (ع) سئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ**﴾ الآية، فقال (ع): اللهم غفراً (أو اغفر) هذه الآية نزلت فيّ، وفي عمي حمزة، وفي ابن عمي عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، فأما عبيدة فقد قضى نحبه شهيداً يوم بدر، وأما عمي حمزة فإنه قضى نحبه يوم أحد، وأما أنا فانتظر أشقاها يخضب هذه من هذا، وأشار إلى لحيته الكريمة ورأسه الشريف، عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسم[1].

وفي رواية ثانية روتها الخاصة والعامة. ومنهم الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل) والشيخ الطوسي في (التبيان) وغيرهما عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ**﴾ أنه قال: يعني علياً، وحمزة، وجعفراً، ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ**﴾ يعني: علياً، ثم قال ابن عباس: كان ينتظر أجله، والوفاء لله بالعهد، والشهادة في سبيل الله، فو الله لقد رزق الشهادة[2].

وفي رواية ثالثة عن ابن عباس أيضاً رواها الطبرسي في (مجمع البيان) وغيره أنه

---

(١) (الصواعق المحرقة) لابن حجر ص٨٠ (والفصول المهمة) لابن الصباغ ص١١٣ و(نور الأبصار) ص٩٨. ونقله عن هذه المصادر الفيروزآبادي في (الفضائل الخمسة) ج١ ص٢٨٧، وأشار إليها أخطب خوارزم في المناقب ص١٩٧. والترمذي في (مناقب مرتضوي) ص٦٣، وحاشية (شواهد التنزيل) ج٢ص٢ نقلاً عن صاحب كتاب (سمط النجوم) ج٢ ص٤٦٩، نقلاً عن الحافظ الذهبي. راجع الحديث في إحقاق الحق وتعليقاته ج٨ ص١٢٣.

(٢) (شواهد التنزيل) للحسكاني ج٢ ص٢ و(التبيان) للشيخ الطوسي م٨ ص٣٢٩. وأشار إليها القمي في تفسيره ج٢ ص١٨٨-١٨٩ ونقلها عنه المجلسي في البحار ج٣٥ ص٤٠٩ و(تفسير الصافي) عند تفسير الآية.

قال: من قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب، ومن قتل معه، وأنس بن النضر وأصحابه[1].

وأنس بن النضر هو عم أنس بن مالك، وقد قتل شهيداً يوم أحد، وقد وجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم.

وفي رواية رابعة رواها الخاصة والعامة ومنهم الحافظ أبو نعيم، والشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) وابن مردويه في (المناقب) وغيرهم عن ابن عباس، والإمامين الباقر والصادق (ع) أنهم قالوا: قال علي (ع): كنّا عاهدنا الله ورسوله أنا وحمزة، وجعفر، وعبيدة بن الحارث، على أمر ووفينا به لله ورسوله (ص) فتقدمني أصحابي وخلفت بعدهم، فأنزل الله سبحانه فينا (رجال صدقوا ما عادهوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه) وهم حمزة، وجعفر، وعبيدة، ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ أنا المنتظر وما بدلت تبديلا[2].

وفي رواية خامسة رواها الخاصة والعامة عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: فينا نزلت ﴿**رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ**﴾ فأنا والله المنتظر، وما بدلت تبديلا[3].

---

(١) مجمع البيان للطبرسي م٤ ص٣٥٠ والاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص٤٣.

(٢) راجع (ينابيع المودة) للشيخ سليمان الحنفي باب ٢٣ ص٩٦ نقلاً عن الحافظ أبي نعيم، عن ابن عباس، وعن الإمامين الباقر والصادق (ع) وأشار إليها علي بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة) ج١ ص٣٠٨، والمظفري في (دلائل الصدق) ج١ ص١٦٤ والعلاّمة ابن مردويه في (المناقب) ورواها الصدوق في (الخصال) باب السبعة ص٣٧٦، ونقلها عنه الفيض في (تفسير الصافي) ونقلها المجلسي في (البحار) ج٣٥ ص٤٠٨ عن أبي الورد، عن الباقر (ع) وعن (كنز جامع الفوائد) ص٤١٠.

(٣) رواها الحاكم في (شواهد التزيل) ج٢ ص١، ونقلها عنه الطبرسي في (مجمع البيان) م٤ ص٣٥٠ ونقلها عنه العلاّمة الطباطبائي في (الميزان) ج١٦ ص٣٢١، ورواها المجلسي في (البحار) نقلاً عن أبي إسحاق ص٤٠٨ ج٣٥ ورواها سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص٢٠-٢١.

والذي يستفاد من مجموع هذه الروايات أن الآية أما أن تكون نازلة في شهداء بني هاشم فقط، وهم الذين استشهدوا أيام رسول الله (ص) وهم عبيدة شهيد بدر، وحمزة شهيد أحد، وجعفر شهيد مؤتة، والمنتظر وهو علي أمير المؤمنين (ع) وهو الذي قتل شهيداً في محرابه بالكوفة على يد ابن ملجم، وأما أن تكون فيهم، وفي الشهداء المخلصين والثابتين مع رسول الله (ص) يوم أحد من أصحابه، وحينئذ تشمل معهم أنس بن النضر وأصحابه الثابتين والمستشهدين في ذلك اليوم، ولا يبعد ذلك.

وبعد أن عرفنا فيمن نزلت الآية الكريمة، سوف نعرف فيمن تجري من بعدهم، وعلى من تنطبق نعم لا ريب أنها لا تجري إلا فيمن كان على شاكلتهم من أصحاب الإيمان العميق الثابت، والتضحية في سبيل الله، والوفاء بعهده حتى يقضي نحبه على ذلك.

وهذه المعاني والصفات هي التي حددتها الآية الكريمة في نصوصها وضوابطها لمعالم الأشخاص الذين نزلت فيهم، والذين سوف تنطبق عليهم - في المستقبل- وتجري فيهم فتدبرها.

التدبر لنصوص الآية الكريمة وضوابطها

يقول تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ لفظة (من) في قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تبعيضية، والمعنى بعض المؤمنين، ومن هنا نعلم أن الآية لم تنزل، ولم تجر في جميع المؤمنين، فضلاً عن غيرهم من الفاسقين والمجرمين والمنافقين، وإنما نزلت، وتجري في بعض المؤمنين، وأن هذا البعض رجال لا نساء، وأن هؤلاء كانوا قد عاهدوا الله على أمرٍ، ووفوا به، وذلك الأمر هو ما ذكرته بعض الروايات، ويذكره المفسرون من أن هؤلاء كانوا قد عاهدوا الله ورسوله أن لا يفروا عند ملاقاة العدو.

ويؤيد ذلك أن الآية جاءت بعد آيات وصفت بها المنافقين، وضعفاء الإيمان بالفرار

من الجهاد في واقعة الأحزاب، وعدم الثبات على ما كانوا عاهدوا الله عليه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلاً قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ الأحزاب: ١٦-١٧.

فجاء وصف تلك النخبة من المؤمنين بعكس ما وصف الله به الفارين من الجهاد خوف الموت أو القتل، فهذا النموذج من الرجال الصادقين الثابتين في مقابل نموذج الرجال الفارين والمولين الأدبار يوم الخندق في واقعة الأحزاب، فهم خواص المؤمنين وخيرتهم لانفرادهم بهذه الفضيلة الكاشفة عن زيادة المعرفة والإيمان والتفاني في ذات الله عز وجل.

ثم تقول الآية: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ﴾ والنحب هنا كما يقول المفسرون واللغويون: النذر والعهد المحكوم بوجوب الوفاء به، وأنه يعبر بذلك عمن قضى أجله بموت أو قتل في سبيل الله وهو على عهده.

وقوله: (ومنهم من ينتظر) أي بعضهم ينتظر ذلك (وما بدلوا تبديلا) أي ما بدلوا شيئاً مما كانوا عليه من قول وعهد تبديلاً لا كثيراً ولا قليلاً.

وهذا النص الأخير: ﴿وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ أما أن يكون وصفاً لمجموع من نزلت الآية فيهم، وأما أن يكون وصفاً لمن ينتظر فقط. وهو الذي نصت عليه الروايات السابقة، وهو الأقرب والأصوب، ومن هنا كان أمير المؤمنين (ع): يقول: وأنا والله المنتظر وما بدلت تبديلاً، ولم يقل: وما بدلنا تبديلا.

إذ أن هذا الوصف يدل على أن المنتظر هو خلاصة الخاصة من المؤمنين المجاهدين الثابتين وهو علي أمير المؤمنين (ع) ويجري هذا النص بعده في أبنائه المعصومين فقط، وهو يدل على عصمتهم (ع) وإمامتهم.

استشهاد الحسين (ع) بالآية الكريمة في موارد

وقد استشهد الحسين (ع) بالآية الكريمة في موارد عديدة منها ما رواه ابن شهرآشوب في (المناقب) وغيره أن أصحاب الحسين (ع) كان كل من أراد منهم الخروج والجهاد بين يديه يأتيه ويودعه ويقول: السلام عليك يا بن رسول الله فيجيبه بقوله: وعليك السلام، ونحن خلفك، ثم يقرأ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1].

موقف فذٍّ لقيس بن مسهر قبل استشهاده

ومنها استشهاده بالآية حينما وصل إليه -وهو في الطريق- خبر قتل ابن زياد لقيس بن مسهر الصيداوي (رض) وكان الحسين (ع) قد أرسله بكتاب إلى أهل الكوفة وقبض عليه الحصين بن تميم، أو الحصين بن نمير التميمي في الطريق، وهو صاحب شرطة ابن زياد، وبعث به أسيراً إلى أميره فسأله ابن زياد عن الكتاب فقال: خرقته، قال: ولم؟ قال: لئلا تعلم ما فيه، قال: إلى من؟ قال: إلى قومٍ لا أعرف أسماءهم، قال: إن لم تخبرني فاصعد المنبر وسب الكذاب ابن الكذاب (يعني الحسين وأباه) فأجابه إلى ذلك.

فصعد المنبر وقد اجتمع له الناس، فقال: أيها الناس إن الحسين بن علي (ع) خير خلق الله، وابن فاطمة بنت رسول الله (ص)، وأنا رسوله إليكم، وقد فارقته بالحاجر من بطن الرمة فأجيبوه، ثم لعن عبيد الله بن زياد، وصلى على أمير المؤمنين (ع) فأمر به ابن زياد فأصعد القصر ورمي به من أعلاه فتقطع قطعاً وقضى نحبه شهيداً.

وكان قتله بعد قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وحينما وصل خبر قتله إلى الحسين في عذيب الهجانات، واخبر بموقفه الجهادي الثابت واستشهاده ترقرقت عينا الحسين (ع) وقال: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ ثم قال: اللهم

---

(١) راجع المناقب لابن شهرآشوب ج٤ ص١٠٠ ونقلها عنه الفيض في (تفسير الصافي) وذكرها السيد المقرم في (مقتل الحسين) ص٥٦ نقلاً عن (مقتل العوالم) لعبد الله البحراني ص٨٥.

اجعل لنا ولهم الجنة منزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك ورغائب مذخور ثوابك[1].

ومن الموارد التي استشهد فيها بالآية الكريمة عندما وقف يوم عاشوراء على مصرع مسلم بن عوسجة، وفيه رمق من الحياة فقال له: رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ [2]

ترجمة مسلم بن عوسجة، ومواقفه الجهادية

ومسلم بن عوسجة، وما أدراك ما مسلم؟ وإليك ترجمته بإيجاز، هو مسلم بن عوسجة بن سعد الأسدي، كان رجلاً شريفاً رفيعاً، عابداً متنسكاً، قال ابن سعد في (طبقات الصحابة): كان مسلم بن عوسجة صحابياً ممن رأى رسول الله (ص) وروى عنه الشعبي وكان فارساً شجاعاً له ذكر في المغازي والفتوح الإسلامية.

وشهد في حقه ومواقفه الإسلامية العدو فضلاً عن الصديق، يقول شبث بن ربعي بعد ما قتل مسلم بن عوسجة يوم الطف وتباشر بقتله أصحاب عمر بن سعد، قال:

ثكلتكم أمهاتكم إنما تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلون أنفسكم لغيركم، أتفرحون أن يقتل مثل مسلم بن عوسجة؟ أما والذي أسلمت له، لربَّ موقف له قد رأيته في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم آذربايجان قتل ستة من المشركين قبل أن تلتأم خيول المسلمين، أفيقتل منكم مثله وتفرحون.

وقال أهل السير والمقاتل: إنه كان ممن كاتب الحسين من الكوفة وقد وفى له، وممن أخذ له البيعة عند مجيء مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وكان وكيل مسلم في قبض

---

(١) راجع ترجمة قيس في (أبصار العين) للسماوي ص٦٤، و(ذخيرة الدارين) للسيد عبد المجيد ج٢ ص٢٠٩.

(٢) راجع (مقتل الحسين) لاخطب خوارزم ج٢ ص١٥، و(البحار) ج٤٥ ص٢٠ وغيرهما ن المصادر الآتية.

الأموال، وشراء الأسلحة وأخذ البيعة من الناس.

ولما قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة اختفى مدة، ثم فرّ بأهله إلى الحسين (ع) فوافاه بكربلاء وفداه بنفسه.

تعظيم الإمام المهدي (عج) له ولمواقفه المشرفة

وقد جاء ذكره والسلام عليه، وتعظيم شأنه في مواقفه في الزيارة التي خرجت من الناحية المقدسة (أي ناحية الإمام المهدي (ع)) حيث جاء فيها:

السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي، القائل للحسين (ع) وقد أذن له في الانصراف: أنحن نخلي عنك، وبم نعتذر عند الله من أداء حقك؟ لا والله حتى اكسر في صدورهم رمحي هذا، واضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ولم أفارقك حتى أموت معك، ثم يقول (ع):

وكنت أول من شرى نفسه، وأول شهيد شهد لله وقضى نحبه، ففزت ورب الكعبة، شكر الله استقدامك ومواساتك إمامك، إذ مشى إليك وأنت صريع، فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجة، وقرأ: ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ لعن الله المشتركين في قتلك: عبد الله الضبابي، وعبد الله بن خشكارة البجلي، ومسلم بن عبد الله الضبابي[1].

ومن مواقفه الدفاعية موقفه مع الشمر

على ما رواه شيخنا المفيد في (الإرشاد) أن الحسين (ع) لما أضرم النار في الخندق وأخذت تضطرم بالحطب والقصب الذي ألقي فيه، والذي عمله خلف البيوت لئلا تصل إليها الأعداء، مر شمر بن ذي الجوشن فلما رأى النار تضطرم نادى بأعلى صوته: يا حسين أتعجلت بالنار قبل يوم القيامة؟ فقال الحسين: من هذا كأنه شمر بن

---

(١) راجع (البحار) ج٤٥ ص٦٩ و (ذخيرة الدارين) ص١٧٤.

ذي الجوشن؟ فقالوا: نعم فقال له: يابن راعية المعزى أنت أولى بها صليا، وهنا رام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين (ع) من ذلك، فقال له: دعني أرميه فإن الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبارين وقد أمكن الله منه، فقال له الحسين لا ترمه فإني أكره أن أبدأهم بقتال[1].

مبالغته في قتال الأعداء حتى شهادته

ولقد بالغ في قتال الأعداء وصبر على أهوال البلاء، قال أهل السير وأرباب المقاتل: لما التحم القتال، حملتْ ميمنة عمر بن سعد على ميسرة الحسين (ع) وفي ميمنة ابن سعد عمرو بن الحجاج الزبيدي، وفي ميسرة الحسين زهير بن القين. وكانت حملتهم من نحو الفرات فاضطربوا ساعة (أي اقتتلوا) وكان مسلم بن عوسجة في الميسرة فقاتل قتالاً شديداً لم يسمع بمثله، وكان يحمل على القوم وسيفه مصلت بيمينه ويقول:

إن تسألوا عني فإني ذو لبد ... وإن بيتي في ذرى بني أسد

فمن بغاني حائد عن الرشد ... وكافر بدين جبار صمد

ولم يزل يضرب فيهم بسيفه حتى عطف عليه جماعة من المجرمين واشتركوا في قتله(رض) ووقعت -لشدة الجلاد- غبرة عظيمة، فلما انجلت إذا هم بمسلم بن عوسجة صريعاً.

فمشى إليه الحسين (ع) ومعه حبيب بن مظهر أو مظاهر، فإذا به رمق من الحياة، فقال له الحسين (ع): رحمك الله يا مسلم ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾.

وصيته لحبيب بنصرة الحسين (ع)

ثم دنا منه حبيب وقال له: عز علي مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة، فقال له

---

(١) إرشاد المفيد ص٢١٧ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٥ ص٥.

مسلم قولاً ضعيفاً بشرك الله بخير، فقال له حبيب: لولا أني أعلم أني في أثرك ولاحق بك من ساعتي هذه، لأحببت أن توصي إلي بكل ما أهمك حتى أحفظك في كل ذلك، بما أنت أهل من الدين والقرابة، فقال له مسلم: بلى أوصيك بهذا رحمك الله (وأومأ بيده إلى الحسين) أن تموت دونه، فقال حبيب له: أفعل ورب الكعبة[1].

وفي نص قال لأنعمنّك عينا، ثم فاضت نفسه الزكية، وأحسن من قال:

نصروه أحياء وعند وفاتهم ... يوصي بنصرته الشفيق شفيقا

أوصى ابن عوسجة حبيباً قال: قا ... تل دونه حتى الحمام تذوقا

شهادة شاب صغير، وجهاد أمه

وبرز شاب صغير من أصحاب الحسين (ع) ونقل العلامة الشيخ عباس القمي في كتابه (نفس المهموم) عن كتاب (روضة الأحباب) و (روضة الشهداء) أن هذا الشاب هو ابن مسلم بن عوسجة، أما المجلسي في (البحار) فقد نقل عن محمد بن أبي طالب في (مقتله) أنه قال: ثم خرج شاب قتل أبوه في المعركة، وكانت معه أمه، قال له: اخرج يا بني وقاتل بين يدي ابن رسول الله، فخرج فقال الحسين (ع): هذا شاب قتل أبوه ولعل أمه تكره خروجه، فقال الشاب: أمي أمرتني بذلك.

وفي (الناسخ) قال الحسين: يا فتى قتل أبوك، ولو قتلت فإلى من تلتجئ أمك في هذا القفر؟ فأراد أن يرجع فجاءته أمه وقالت له: يا بني تختار سلامة نفسك على نصرة ابن بنت رسول الله، فلا أرضى أبداً حتى تجاهد بين يديه، فبرز الشاب وقاتل قتال الأبطال، وأمه خلفه تنادي: أبشر يا بني ستسقى من يد ساقي الكوثر[2].

وكل مبارز من أصحاب الحسين إذا برز يرتجز، ويذكر اسمه واسم أبيه، أو نسبه وعشيرته، ولكن هذا الشاب لم يذكر اسمه واسم أبيه، وما انتمى إلى عشيرته بل انتمى

---

(١) راجع ترجمة مسلم في (أبصار العين) للسماوي ص٦١ و (ذخيرة الدارين) ص١٧٤ وغيرهما.

(٢) معالي السبطين للمازندراني عن (ناسخ التواريخ).

إلى الحسين (ع) فبرز يقول:

أمـــيري حســـين ونعـــم الأمـــير ســـرور فـــؤاد البشـــير الـــنذير

علـــــي وفاطمـــــة والـــــداه فهـــل تعـــلمون لـــه مـــن نظـــير

لـــه طلعـــة مـــثل شمـــس الضـــحى لـــه غـــرة مـــثل بـــدر المـــنير

ولم يزل يقاتل حتى قتل ثلاثين فارساً وراجلاً، ثم قتل رضوان الله عليه، وحز رأسه، ورمي به إلى عسكر الحسين فأخذت أمه رأسه وقالت: أحسنت يا بني يا سرور قلبي ويا قرة عيني، ثم رمت رأس ابنها رجلاً فقتلته، وأخذت عمود الخيمة وحملت على الأعداء وهي تقول:

أنـــا عجـــوز ســـيدي ضـــعيفة خاويـــــة بالـــــية نحـــــيفة

أضـــــربكم بضـــــربة عنـــــيفة دون بـــــني فاطمـــــة الشـــــريفة

وضربت رجلين فقتلتهما، فأمر الحسين (ع) بصرفها ودعا لها.

نصـروا ابـن بنـت نبـيهم طوبـى لهـم نـــالوا بنصـــرته مراتـــب ســـامية

قـــد جـــاوروه هاهـــنا بقـــبورهم وقصـــورهم يـــوم الجـــزا مـــتحاذية

المجلس الخامس والثلاثون

ترجمة حبيب بن مظاهر، وجهاده، وشهادته

إن يهد الحسين قتل حبيب ... فلقد هد قتله كل ركن
بطل قد لقى جبال الأعادي ... من حديد فردها كالعهن
لا يبالي بالجمع حيث توخى ... فهو ينصب كانصباب المزن
أخذ الثار قبل أن يقتلوه ... سلفاً من منيّة غير منّ
قتلوا منه للحسين حبيباً ... جامعاً في فعاله كل حسن

من مشاهير أصحاب الحسين (ع) اللامعين، وعظمائهم الأفذاذ حبيب بن مظاهر الأسدي (رض) الذي كان كما قال فيه هذا الأديب الشيخ محمد السماوي في الأبيات المتقدمة: (جامعاً في فعاله كل حسن).

نعم كان حبيب جامعاً لمحاسن الأخلاق وفضائل الصفات وقد روي مرسلاً[1]. إن أمير المؤمنين (ع) قال يوماً لحبيب وكان واقفاً بين يديه: يا حبيب ما أفضل خصال المرء؟ قال: ثلاث: العلم، والكرم، والشجاعة. فقال (ع): لقد جمعت فيك يا حبيب، وستزيد عليها رابعة، قال: وما هي؟ قال: الشهادة. لنقف قليلاً عند هذا الحديث فنقول: من المعلوم أن أمير المؤمنين (ع) كان كما قال فيه رسول الله (ص) في بعض أحاديثه القصيرة في ألفاظها، الكبيرة في معانيها: علي أعلم الناس بالله والناس[2]. كما أنه كان باباً لمدينة

---

(١) لم أعثر لهذا الحديث على مصدر، وهو من المسموعات وقد تلقيته عن بعض المؤمنين، ولا تبعد صحته، والله أعلم.

(٢) راجع كتاب (حياة أمير المؤمنين) للعلامة السيد محمد صادق الصدر ص٨ ط الأولى نقلاً عن (منتخب كنز العمال) للشيخ علي المتقي الهندي الحنفي ج٥ ص٣٣ مطبوع مع (المسند) مسنداً عن سلمان الفارسي.

علمه لقوله (ص) فيه: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه[1].

وإذا كان كذلك وهو كذلك، فإنّ سؤاله (ع) لحبيب: يا حبيب ما أفضل خصال المرء؟ من باب (وكم سائل عن أمره وهو عالم) فهو يسأله لهدفٍ وغرضٍ له في هذا السؤال، وكأنه يريد أن يبين له وللأجيال أنه جامع للمحاسن والفضائل الإنسانية، كما يريد أن ينبئه عن أمر غيبي تلقاه عن رسول الله (ص)، فحبيب أجاب علياً (ع) عن سؤاله.

أفضل خصال المرء ثلاث

قال: ثلاث العلم، والكرم، والشجاعة، وفي الحقيقة إن أفضل ما يتصف به الإنسان ويكسبه بعد الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر.

١- العلم:

أولاً أن يكون عالماً غير جاهل، لأن الجهل في الإنسان هو الداء الأكبر الفتاك المتعس والمشقي له في دنياه وأخراه، بعكس العلم الذي هو فيه بمنزلة النور الذي يبصر به طريقه، والدواء الناجع والنافع له فيما يصلحه روحاً وجسماً، دنياً وآخرة.

وثمرة هذه الفضيلة في الإنسان أن يكون عاملاً بها، لا أنه يعرف ويعلم ولا يعمل بما يعرف ويعلم، وحينئذٍ يكون علمه وبالاً عليه، كما قال أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه: وإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم[2].

٢- الكرم:

والثانية أن يكون كريماً سخياً غير بخيل، ولا سيما في الحقوق الواجبة التي افترضها

---

(١) جمع شيخنا الأميني لهذا الحديث في (الغدير) ج٦ ٥٤-٩٦ مائة وواحداً وأربعين مصدراً من مصادر أهل السنة فراجع.

(٢) (شرح النهج) لابن أبي الحديد م٢ ص٢٣٧.

الله سبحانه على عباده، مما نسب لإمامنا الحسن بن علي (ع).

إن السخاء على العباد فريضة ... لله يقرأ في كتاب محكم

وعد العباد الأسخياء جنانه ... وأعد للبخلاء نار جهنم

من كان لا يندي نداه بنائل ... للمعوزين فليس ذلك بمسلم

العلة في عدم التساوي في الأرزاق

وقد شاءت حكمة الله أن لا يساوي بين العباد في الأرزاق، والعلة في ذلك واضحة جلية، ويشير إليها القرآن المجيد بقوله عز من قائل: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ**﴾ الزخرف: ٤٣.

فعلة عدم التساوي بين الناس في الأرزاق هي أن يقضي بعضهم أشغال البعض الآخر، الغني يقضي للفقير أشغاله التي يحتاجها، والفقير يقضي حاجيات الغني التي يريدها، وهكذا يتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، قال بعض الأدباء مشيراً إلى هذا المعنى:

الناس للناس من بدو ومن حضر ... بعض لبعضٍ وإن لم يشعروا خدم

فالحكمة الإلهية تقتضي عدم التساوي بين الناس في الأرزاق، وان يكون هناك غني ومتوسط وفقير، ولكن الله تعالى لا يريد-في تشريعاته الحكيمة- أن يكون الفقير بحيث لا يجد ما يأكل ويشرب، وما يلبس ويسكن وما يحتاج إليه في سائر حاجياته الأخر.

ولذلك جعل الله للفقراء حقوقاً على الأغنياء لسد حاجاتهم التي تكفيهم، وحفظاً لانتظام الإنسان في معاشه، ومن هنا ورد عن رسول الله (ص) أنه قال: إن الله افترض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر ما يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم، ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً، ويعذبهم عذاباً أليماً.

والبخل بالحقوق الواجبة، وغير الواجبة لا أنه يؤدي إلى إعواز الفقير وإجهاده

فقط، بل قد يؤدي أيضاً إلى أن الفقير يمرض، يجهل، بجرم، يكفر، كما قيل: إذا ذهب الفقر إلى بلد قال الكفر خذني معك.

فأكثر الأدواء في المجتمع الإنساني سببها حبس الحقوق الواجبة والبخل بها، ثم السخاء صفة حسنة بذاتها جميلة مزينة للإنسان حيث يكسب صاحبها العزة والكرامة بين الناس بعكس البخل ولقد أحسن من قال:

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري ... فليس إليه ما حييت سبيل

أرى الناس أخوان الكرام ولا أرى ... بخيلاً له في العالمين خليل

لذا يقول حبيب أن أفضل خصال المرء: ثلاث، العلم، والكرم، والشجاعة.

٣- الشجاعة:

ثم يقول: والشجاعة، أي يكون شجاعاً غير جبان، والشجاعة صفة حسنة في الإنسان بلا ريب، كما أن الجبن صفة سيئة فيه، ولكن على المؤمن العاقل المحب لنفسه أن يبذل شجاعته وقوته مجاهداً في سبيل الله بنفسه، بأمواله، بلسانه مما يستطيعه ويقدر عليه لكي يحظى بالفوز العظيم، والكرامة الدائمة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ التوبة: ١١٢.

ولما سمع أمير المؤمنين (ع) جواب حبيب عن أفضل خصال المرء أقره على جوابه وأخبره أن هذه الخصال المميزة قد جمعت فيه، وأنه سيزيد عليها رابعة، قال: ما هي؟ قال (ع): الشهادة.

يقال: بقي حبيب يترقب الشهادة بين يدي أمير المؤمنين (ع)، وقد حضر معه حروبه الثلاثة الجمل، وصفين، والنهروان، وكان في هذه الحروب كلها في طليعة

المجاهدين بين يديه ومن أحسنهم بلاء، ولكنه ما استشهد، في حين استشهد كثير من أصحابه.

تذمر أمير المؤمنين (ع) من الحياة بعد انقضاء حرب النهروان

وبعد انقضاء حرب النهروان كان أمير المؤمنين يعلن للناس مرة بعد أخرى تذمره من الحياة، وجزعه من ذلك الخلق المتعوس الذي ملأ قلبه قيحاً وشحن صدره غيظاً، فكان ينعى نفسه دائماً وأبداً.

يصعد المنبر أمام الجماهير العامة فيضع يده على كريمته ويقول: متى يبعث أشقاها فيخضبها من دم رأسي.

استمع إلى هذا الدعاء الذي دعا فيه أمير المؤمنين (ع) ومنه تعرف مقدار جزعه من ذلك الخلق، ورغبته في لقاء ربه ونعيه لنفسه يقول (ع):

اللهم إني سرت فيهم بما أمرني رسولك وصفيك فظلموني، وقاتلت المنافقين كما أمرتني فجهلوني، وقد مللتهم وملوني، وأبغضتهم وأبغضوني، ولم يبق شيء أنتظره إلا المرادي، اللهم فعجل له الشقاء وتغمدني بالسعادة، اللهم وقد وعدني نبيك أن تتوفاني إليك إذا سألتك، اللهم وقد رغبت إليك في ذلك.

ما كان ذنب أمير المؤمنين مع أولئك المخلوقين الذين ملهم وملوه، وأبغضهم وأبغضوه؟ نعم ذنبه الوحيد عندهم هو أنه على الحق، والحق معه (وأكثرهم للحق كارهون) فهم لا يريدون حاكماً يقسم بالسوية ويعدل في الرعية ويقيم فيهم حدود الله كما شرعها، ولذلك أبغضوه، فحبيب كان يسمع من أمير المؤمنين (ع) نعيه لنفسه، وانتظاره للقاء ربه ومن هنا علم قرب أجله وتحقيق شهادته، فيقال أنه سأل منه قال: يا أمير المؤمنين إنك وعدتني أن أرزق الشهادة، ولم أرزقها بين يديك؟ فقال: إنك سترزق الشهادة بين يدي من الشهادة بين يديه أفضل من الشهادة بين يدي، قال: ومن هو؟ قال: ولدي الحسين.

فضل أصحاب الحسين (ع) ومميزاتهم

وهنا ربما تسأل كيف تكون الشهادة بين يدي الحسين أفضل، والحال من المعلوم المقطوع به أن أمير المؤمنين (ع) هو أفضل من الحسين بل هو أفضل خلق الله بعد رسول الله (ص) على الإطلاق.

وهذا لا ريب فيه ولا إشكال وقد صرح الصادق الأمين بتفضيل أمير المؤمنين على الحسن والحسين بقوله الشهير، والمتفق عليه: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما[1].

إذن لِمَ تكون الشهادة بين يدي الحسين أفضل؟ نعم هناك أسباب وعلل خاصة تخصّ أصحاب الحسين (ع)، منها كثرة أصحاب أمير المؤمنين وقلة أصحاب الحسين، كان مع أمير المؤمنين الألوف المؤلفة، فقد كان عددٌ أصحابه يوم الجمل خمساً وعشرين ألفاً، ويوم صفين كان معه مائة وخمسون ألفاً، أما الحسين (ع) فكان أمام جيش من الأعداء لا يقل عن ثلاثين ألف مقاتل أو أكثر بكثير، وما معه ناصر غير أهل بيته وحوالي سبعين من أصحابه، يقول الشاعر السيد سليمان الحلي:

ولاقى خميساً يملأ الأرض رجفة ... بعزم له السبع الطباق تميد

وليس لديه ناصر غير فتيةٍ ... وسبعين ليثاً ما هناك يزيد

ومنها أن أصحاب أمير المؤمنين وإن جاهدوا بين يديه ولكن لهم أمل بالحياة والنجاة من القتل، لأن كل مبارز منهم حينما يبرز له ظهير يخلصه من القتل إذا ضايقه العدو.

أما أصحاب الحسين فليس لهم ظهير، وما لهم أمل بالحياة حيث أنهم قد وطنوا أنفسهم على القتل بين يديه، لا بل علموا علم اليقين أنهم سيقتلون بأجمعهم بين

---

(١) راجع كتاب (مقام أمير المؤمنين) للعسكري ص٤٧-٦٤، وتعليقات (إحقاق الحق) للمرعشي ج١٠ والأمالي للصدوق ص٤٧.

يديه، ومع ذلك ثبتوا معه ووقفوا مواقفاً -في الشجاعة والبسالة- لا نظير لها في التاريخ وقد اعترف بمواقفهم الجبارة أعداؤهم ومقاتلوهم، فهذا عمرو بن الحجاج الزبيدي لما رأى مواقفهم تلك صاح بأصحابه قائلاً: ويحكم -يا حمقاء- أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين لا يبرز إليهم أحد منكم إلا قتلوه -على قلّتهم-..الخ[1].

نعم لقد توفرت فيهم جميع الفضائل الإنسانية من العقل الراجح الذي عرفوا به الحق من الباطل، والشجاعة الفائقة، والشرف الرفيع، والإيمان العميق، والصبر على الأهوال. وبذلك وغير ذلك من محاسن صفاتهم وجهادهم امتازوا على غيرهم من الشهداء، وقد جاء في أحاديث عديدة ذكر فضلهم وتفضيلهم. ذكرهم علي أمير المؤمنين(ع) حين مروره بكربلاء وقال: هنا والله مناخ ركّاب، ومصارع عشّاق، ومدفن شهداء لا يسبقهم بالفضل من كان قبلهم، ولا يلحقهم من كان بعدهم[2].

ولقد أجاد الشيخ صالح الكواز حيث يقول:

هم أفضل الشهداء والقتلى الألى مدحوا بوحيٍ في الكتاب مبين

وأصحاب الحسين وأهل بيته وإن كانوا بمجموعهم أفضل الشهداء ولكن فيما بينهم يفضل بعضهم على بعض لزيادة إيمانهم وعلومهم ومعارفهم.

فضل حبيب وتفضيله

والظاهر أن أفضلهم بعد أهل بيته هو حبيب بن مظاهر، أو على الأقل هو من أفضلهم لأن حبيباً أدرك النبي (ص) وهو أحد أصحابه الذين رأوه وتشرفوا بلقياه وصحبته، ثم صحب أمير المؤمنين (ع) ولازمه، وهو أحد شرطة الخميس في جيشه،

---

(١) راجع (تاريخ الطبري) ج٥ ص٢٣ و (مقتل الخوارزمي) ج٢ ص١٥ و(أنساب البلاذري) ج٣ ص ١٩٢ على ما في (مقتل الحسين) ص٥٣٣ لآل بحر العلوم.

(٢) راجع (معالي السبطين) للمازندراني ص١١٧ ج١.

وحضر معه حروبه الثلاثة، وكان من خاصته وحملة علومه، ثم صحب الحسن (ع) وهو من خيار أصحابه ثم صحب الحسين (ع) حتى قتل بين يديه شهيداً.

وذكر أهل السير وأرباب المقاتل: أن حبيباً كان ممن كاتب الحسين مع من كاتبه، ووفى له حتى قتل بين يديه ولما ورد مسلم بن عقيل الكوفة ونزل دار المختار، وأخذت الشيعة تختلف إليه قام فيهم جماعة من الخطباء يعربون عن ثباتهم معه، تقدمهم أولاً عابس بن أبي شبيب الشاكري، وثناه حبيب فقام وقال لعابس بعد خطبته: رحمك الله قد قضيت ما في نفسك بواجز من قولك، ثم قال: وأنا والله الذي لا إله إلا هو لعلى مثل ما أنت عليه.

قالوا: وجعل حبيب ومسلم بن عوسجة يأخذان البيعة للحسين في الكوفة، حتى إذا دخل عبيد الله بن زياد الكوفة وخذل أهلها عن مسلم وتفرق عنه أنصاره، حبستهما عشيرتاهما، وأخفتهما حتى إذا ورد الحسين كربلاء خرجا إليه متخفيين يسيران الليل ويكمنان النهار حتى وصلا إليه ليلة السابع من المحرم.

سروره واستبشاره بالشهادة

وفرح الحسين (ع) وأصحابه بقدومهما فرحاً بالغاً، كما أن حبيباً كان من أشد أصحاب الحسين سروراً وغبطة بالتحاقه به، والتشرف بالشهادة بين يديه، بل كان- لنفوذ بصيرته وصلب إيمانه- يضحك سروراً بما سيصير إليه من النعيم الخالد في الجنة، يروي لنا (الكشي في رجاله) ص٧٤ قال: خرج حبيب بن مظاهر الأسدي- يوماً من أيام الطف- وهو يضحك، فقال له يزيد بن حصين الهمداني[1] وهو أحد أصحاب الحسين (ع) وكان يقال له سيّد القرّاء: يا أخي ليست هذه بساعة ضحك، قال له حبيب: فأي ساعة، أو وقال: أي موضع أحق من هذا بالسرور؟ والله ما هو إلا أن

---

(١) راجع ترجمته في (ذخيرة الدارين) ص١٧٩، وهو ممن ذكره الإمام (عج) في زيارته وأثنى وسلم عليه. وراجع البحار ج٤٥ ص٧٠.

تميل علينا هذه الطغاة بسيوفهم فنعانق الحور العين.

تحذير المهاجر بن أوس له من القتل، ورده الحازم عليه

ويقال: كان أصحاب الحسين (ع) بكربلاء يجتمعون إلى حبيب ويجلسون عنده ويأتمرون بأمره، وبينما هو ذات ليلة جالس في خيمته وأصحابه حافون به، وهو يقرأ القرآن إذ أقبل المهاجر بن أوس، وهو من أصحاب عمر بن سعد حتى وقف عليه وقال له:

يا حبيب جئتك ناصحاً مشفقاً (أي خائفاً عليك) ما لك في صحبة هذا الرجل من حاجة، وان كنت ترجو أن القوم تاركوه فلا والله حتى ينجلي هذا السواد المتراكم (وأشار إلى الجيش الجرار) وقد أمدنا الأمير هذه الليلة بأضعافنا، فإن كنت نائماً فاستيقظ؟ واحفظ نفسك، ولا تفجع عشيرتك؟ فلما سمع حبيب ذلك قام ووجه كلامه لأصحابه قائلاً: أصحابي أسمعتم كلام هذا الجاهل المتمادي في غيّه المباهي في عدوه، زعم أنا راقدون وهم المستيقظون، لا والله هم بالغفلة أحرى، ثم قال مخاطباً له:

ويلك إذا كنت وأصحابك أجلافا لا لدين تركنون ولا لشيمٍ ترتكبون، هب إنا لا دين لنا، ولكن ما تقول الناس إذا أسلمنا الحسين بن بنت رسول الله، وتلك الأطناب الممدودة على بنات فاطمة وعلي وحرائر رسول الله (ص) تتناهب رحالهم وتهتك خدورهم عتاتكم. ثم سل سيفه من غمده وقال:

لا وعز ديننا إن غيرة الإسلام تأبى لي ولأصحابي هؤلاء إلا أن استبدل عن غمد سيفي رقابكم أو تقطع عنقي وأعناق فتيان أنا أضعفهم عزماً.

وإني قد استبدلت عن أهلي أهلاً، وعن صبيتي صبية، وعن عشيرتي عشيرة، وعن داري داراً، أترى لا أم لك؟ أن أدع أهلي تسبى وصبيتي تؤسر وعشيرتي تقتل وداري يسكنها غيري لأنجو بنفسي؟ إذن ثكلت حبيباً أمه إن أرهبه عديدكم أو أزعجه

وتيدكم، ألا وإن القتل مع الحق أقر لعيني من الحياة معكم على الباطل، ولا غضاضة إن أمسى المساء ونحن على ربّ كريم وافدون، وأنتم على سقر واردون. فلما سمع المهاجر ذلك انصرف وهو يقول: أشهد أن الحق معكم وفيكم.

علي الأكبر يَختَبِرَه وأصحابه ليظهر ثباتهم

ويقال أيضاً أن الحوراء زينب قالت لابن أخيها علي الأكبر: يابن أخي إن أباك الحسين خطب أصحابه وأذن لهم بالتفرق عنه، وقد تهابطوا في منزل حبيب، والقوم يابن أخي أجانب، والموت مرٌّ لعلهم اغتنموا فرصة الإذن من أخي، فهل لك أن تتعرف ما عند حبيب فإنه موئل رأيهم ومركز عزمهم؟ فأجابها إلى ذلك وأقبل إلى حبيب وقال له: يا عم يا حبيب إنك تعلم أن أهل الكوفة قد تألبوا لقتال أبي واستلوا سيوفهم عليه، ونحن أسرة قليلة لا ننهض بالدفاع عنه، ولا عن سلامته، ولو أن أبي يسلم ما بالينا الموت دونه، ولكن يا عم يقتل أبي، ونقتل نحن، فالله الله بهذه النسوة إذا جنّهنّ الليل وهن من غير وليٍّ ولا حمي (وكأنه يريد بذلك اختباره ليظهر إخلاصه وثباته مع أصحابه، وبالفعل أظهر حبيب ذلك) وقال له: والآن ما تريد يا بن سيدنا بكلامك هذا؟ قال: يا عم تشير على أبي بالرجوع إلى المدينة، فقال: هيهات هيهات يابن سيدنا قد جرى في علم الله ما تحاذر، وأنا على علمٍ من ذلك، ولأجل أبيك طلقنا حلائلنا وهجرنا أوطاوننا وأعرضنا عن زهرة دنيانا، لكي نفديكم بأنفسنا وما أشوقني يابن سيدنا إلى أن أكون أول قتيل بين أيديكم ولا أرى هاشمياً مضرجاً بدمه، أما عمك حبيب فشيخ كبير قد أدبر عنه النعيم الفاني، أو ما تحب أن يرحل إلى النعيم الباقي.

فقال له علي الأكبر: يا عم أما أنت فليث وغاها وقطب رحاها، ونحن بالموت أأنس من الطفل بمحالب أمه، وأنا إنما استعملت خبرك بكلامي معك لأجد ما في عزمك كي أواجه به عمتي زينب فإنها دعتني وقالت لي: يابن أخي إن أباك الحسين خطب أصحابه وأذن لهم بالتفرق عنه وقد تهابطوا في منزل حبيب، والقوم يابن أخي أجانب،

والموت مر وكريه مطعمه، فلعلهم اغتنموا فرصة الإذن من أخي فهل لك أن تتعرف ما عند حبيب فإنه موئل رأيهم ومركز عزمهم، فكان ما هو الظن بك يا عم.

يقال: لما سمع حبيب ذلك انحنى على علي الأكبر فاعتنقه وقال له: أقرأ عمتك عني السلام وقل لها: يقول عبدك حبيب لأنعمنك عيناً يا بنت الصفوة.

ويقال أيضاً: أقبل حبيب يوم العاشر من المحرم حتى جلس بإزاء خيم النساء واضعاً رأسه بين ركبتيه وهو يبكي، ثم رفع رأسه وقال: آهٍ آهٍ لوجدك يا زينب يوم تحملين على بعير أعجف يطاف بك البلدان ورأس أخيك الحسين أمامك، وكأني برأسي هذا معلق بعنق الفرس تضربه بيديها، فلما سمعت زينب ذلك بكت وقالت: بهذا أخبرني أخي البارحة.

وكأني بحبيب يحمل يوم عاشوراء ويقاتل ويرجع إلى الحسين وهو يبكي، فيقول له الحسين: ما هذا البكاء فيقول: أبكي على هذه وأخواتها، ويشير إلى بنات الرسالة، ولم يزل يقاتل ويحامي عن زينب وعن مخدرات أمير المؤمنين (ع) وكذلك أصحابه بيض الله وجوههم...

جادوا بأنفسهم عن نفس سيدهم والجود بالنفس أقصى غاية الجود

المجلس السادس والثلاثون

إخبارات علي (ع) الغيبية، وما يتعلق بميثم التمار وحبيب بن مظاهر

كلام لأمير المؤمنين (ع) يعرب به عن علمه بشؤون أصحابه، وشرحه

من كلام لأمير المؤمنين (ع) قال: والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيَّ برسول الله (ص)، ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يُؤمَن ذلك منه، والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما أنطق إلا صادقاً، ولقد عهد إلي بذلك كله، وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني، وأفضى به إلي[1].

يقول (ع): والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت.

يقسم بالله العظيم أنه لو شاء (أي لو أراد) أن يخبر كل واحد منهم من أين خرج وكيفية خروجه، وأين يلج أي يدخل وكيفية ولوجه، ويخبره بجميع شأنه أي من مطعمه ومشربه وما عزم عليه من أفعاله وأقواله، وما ادخر في بيته، وما أكنه في صدره وغير ذلك من شؤونه وأحواله كلها لفعل؟ أي لأخبره بها، وهذا كقول المسيح عيسى بن مريم لقومه كما حكى الله تعالى ذلك عنه بقوله: ﴿**وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا**

---

(١) راجع الخطبة في (ينابيع المودة) للشيخ سليمان الحنفي ص٦٦، ونقلها عنه السيد المرعشي في (تعليقات إحقاق الحق) ج٧ ص٥٩٨.

﴿تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ٥٠.

فكان إخبار عيسى بذلك لقومه آية له ودليلاً على نبوته ورسالته، وأمير المؤمنين(ع) كان ذلك دليلاً على إمامته وخلافته عن رسول الله (ص).

ظهور المعجزات من حجج الله دليل صدقهم

ذلك لأن النبوة والإمامةلا تثبت للنبي والرسول والإمام إلا بعد ظهور المعجزات وخوارق العادات على أيديهم التي يجريها الله عز وجل لهم لتكون دليلاً على صدقهم فيما يدعون من مقامهم المجعول لهم من الله تعالى.

ومن جملة المعجزات التي تدل على صدقهم إخبارهم عن الأمور الغيبية التي يستمدونها عن الله وهو عالم الغيب لا غير قال تعالى: ﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ الجن: ٢٨-٢٩.

فإخبار أمير المؤمنين (ع) عن أمور غيبية إنما استمدها عن رسول الله (ص) وهو قد استمدها عن الله، كما صرح (ع) بذلك في كلامه هذا على ما سيأتي.

ثم قال (ع): ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله (ص) يعني لو أخبرتكم بجميع هذه التفاصيل بهذا المجلس العام لخفت عليكم أن تغالوا في أمري وتفضلوني على رسول الله (ص)، أو أن تدّعوا فيّ الألوهية كما ادعت النصارى في المسيح (ع) لما أخبرهم بالأمور الغيبية، ثم قال: ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه، أي مفضٍ بهذا العلم ومودع إياه خواص أصحابي وثقاتي الذين آمن منهم الغلو وأعلم أنهم لا يكفرون فيّ برسول الله (ص) لعلمهم أن ذلك من دلائل إمامتي.

فكان (ع) يكتم العامة من الناس كثيراً من علومه لئلا يغالوا فيه، كما أن رسول الله (ص) قد كتم كثيراً من فضائله العظام لهذه الغاية.

كتمان النبي (ص) لبعض فضائل علي (ع) حذراً من المغالاة فيه

كما قد صرح (ص) بذلك فيما رواه الكثير من علماء الخاصة والعامة بأسانيدهم عن علي أمير المؤمنين (ع) وعن جابر بن عبد الله أن النبي (ص) قال يوم فتح خيبر: يا علي لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر على ملأ من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك ليستشفوا ويتبركوا به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، يا علي أنت تؤدي عني وتقاتل على سنتي، حربك حربي وسلمك سلمي، وعلانيتك علانيتي، وسريرة صدرك كسريرة صدري، وأنت باب علمي (إلى أن قال): وإن الحق معك، والحق على لسانك وفي قلبك وبين عينيك، الإيمان مخالط لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي..الخ[1].

فرسول الله (ص) حسب منطوق هذا الحديث الشريف ومفهومه الذي ذكرنا محل الشاهد منه، يدل على أنه (ص) قد كتم عظيم فضائله التي لو ذكرها لغالت فيه طوائف من أمته، وكذلك علي (ع) قد كتم العامة كثيراً مما علمه حذراً من أن يكفروا فيه برسول الله (ص).

أقوال المغالين في علي (ع) وتأويلاتهم الفاسدة، والرد عليهم

ومع ذلك فقد غالى فيه من غالى، وكفر فيه كثير برسول الله (ص) لمقتضى ما

---

(١) راجع هذا الحديث في (المناقب) للخوارزمي الحنفي ص٧٥-٧٦، وذكره مختصراً في ص٩٦ و(كفاية الطالب) للكنجي الشافعي ص١٣٥ (ومجمع الزوائد) للهيثمي ج٩ ص١٧٣ مختصراً، و(ينابيع المودة) للشيخ سليمان الخنفي ص٦٣ وص١٣٠ و(در بحر المناقب) للموصلي ص٥٨ مخطوط و(انتهاء الإفهام) للمولوي البصري ص٢٠٨ وغيرهم كثير وراجع (تعليقات إحقاق الحق) للمرعشي ج٤ ص٤٨٣-٤٨٦.

شاهدوا من معجزاته وإخباراته الغيبية المنافية لقوى البشر المعتادة.

فبعضهم ادعى فيه النبوة، وبعض ادعى أنه شريك الرسول في الرسالة، وبعض قالوا: إن الجوهر الإلهي قد حل فيه، وقال آخرون: إنه هو الإله، وهو الذي بعث محمداً إلى الناس وقال في ذلك شاعرهم:

إنما خالق الخلائق من زعـ ـزع أركان حصن خيبر جذبا
قد رضينا به إماماً ومولىً وسجدنا له إلهاً وربا

وقال بعض شعرائهم أيضاً:

ومن أهلك عاداً وثموداً بداوهيه ومن كلم موسى فوق طورٍ ويناديه
ومن قال على المنبر يوماً وهو راقيه سلوني أيها الناس فحاروا في معانيه

ولا يخفى أن هؤلاء الضالين الذين قالوا: بأنه هو الإله، أو أن الجوهر الإلهي قد حل فيه استدلوا على ذلك بتأويلات فاسدة وتعلقوا بشبه لم يعرفوا مغزاها الحقيقي.

فمنها إخباره بالمغيبات حالاً بعد حال، وظهور المعجزات الباهرة على يديه، قالوا: أن ذلك لا يمكن أن يكون إلا من الله، ومن حل الجوهر الإلهي في جسده لأن البشر بأسرهم لا يقدرون على ذلك، ومنها قول علي (ع): والله ما قلعت باب خيبر بقوةٍ جسدانية بل بقوة إلهية[1].

قالوا: وهذا القول منه يدل على أن الجوهر الإلهي قد حلّ في جسده، وأنه قلع الباب بتلك القوة التي حلت فيه.

ومنها قول رسول الله (ص) يوم الأحزاب في واقعة الخندق: لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، قالوا: والذي هزم الأحزاب وحده هو علي بعد أن قتل فارسهم وشجاعهم عمرو بن عبد ود بحيث أصبحوا بعد قتله هاربين مغلوبين.

---

(١) راجع الحديث في تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي ج٥ ص٤٦٢ وله على الحديث تعليق جيد.

ولعمري إنه (ع) لا يقدر على ذلك كله إلا بإقدار الله له، ولا يلزم من إقدار الله له على ذلك أن يكون هو الإله، أو أن الجوهر الإلهي قد حلّ فيه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ولكن الشيطان قد استحوذ عليهم فأنساهم دلائل الله لخاصة خلقه.

إخبار النبي (ص) بهلاك المغالين بعلي (ع) والمبغضين له.

وكان رسول الله (ص) قد أخبر علياً بظهور هؤلاء المغالين فيه، وبهلاكهم، مع أناس آخرين يبغضونه حيث روى أحمد بن حنبل في (مسنده) والبزار، وأبو يعلي، والحاكم وغيرهم كثير، بأسانيدهم عن علي (ع) أنه قال: قال لي رسول الله (ص): يا علي إن فيك مثلاً من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذي ليس له. وقال علي (ع): ألا وإنه يهلك فيّ اثنان محب مفرط يفرطني بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني[1].

وروى أخطب خوارزم الحنفي في (المناقب) والشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) وغيرهما مسنداً عن علي (ع) أنه قال: قال رسول الله (ص): يا علي مثلك في أمتي مثل المسيح عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق فرقة مؤمنة وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا من الإيمان وهم النصارى.

وإن أمتي ستفترق فيك ثلاث فرق، فرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة أعداؤك وهم الناكثون، وفرقة غلوا فيك وهم الجاحدون الضالون، فأنت يا علي وشيعتك في الجنة، ومحبو شيعتك في الجنة، وعدوك، والغالي فيك في النار[2].

فكان كما أخبر (ص) أحبه أناس واستقاموا على حبه واتباعه وهم المؤمنون من شيعته، وأبغضه أناس وعادوه حتى سبوه وشتموه على المنابر بعد أن حاربوه وقاتلوه

---

(١) روى هذا النص وهذا المعنى العشرات من أئمة المذاهب وأصحاب الصحاح والسنن والتفسير وكتب الفضائل والمناقب من الخاصة والعامة، راجع (تعليقات إحقاق الحق) ج٣ ص٣٩٧-٤٠١.

(٢) المناقب للخوارزمي ص٢٦٦ و(الينابيع ص١٠٩).

وهم الناكثون وأتباعهم، وغالى فيه أناس فأفرطوا فيه حتى عبدوه من دون الله، وهم الضالون.

وهاتان الفرقتان المبغضة لعلي (ع) والمغالية فيه هالكتان وعاقبتهما النار والعياذ بالله.

والفرقة الناجية هي الفرقة التي علمت أنه أول حجج الله على عباده بعد رسوله(ص) وخليفته في أمته، فأحبته واستقامت على حبه واتباعه بلا إفراط، ولا تفريط فهي الناجية وعاقبتها الجنة.

قال علي (ع) في حديثه للحارث الهمداني: ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط[1].

ولقد أجاد من قال:

إمام الهدى وغياث الورى ... وسيدها الحاكم المقسط

إمام به هلك المبغضون ... وفي حبه هلك المفرط

كلا الجانبين عدو له ... وشيعته النمط الأوسط

فمعجزات الإمام علي (ع) وإخباراته الغيبية هي التي علم منها شيعته المستقيمون أنها مستمدة من الله وبواسطة رسول الله (ص) وأنها دليل على إمامته وخلافته.

وغالى فيها أناس حتى جعلوها -بزعمهم- دليلاً على ألوهيته أو حلول الجوهر الإلهي فيه.

وجحدها آخرون، أو نسبوها إلى السحر، أو اتهموا علياً أنه يكذب على رسول الله (ص) وبعض هؤلاء واجهوه بالشك والتهمة فيما يخبر به عن النبي عداوة ونفاقاً في الدين.

ومن هنا كان (ع) في كثير من كلامه يؤكد لهم صدقه فيما يخبر به عن النبي،

---

(١) يروي الحديث بكامله الشيخ الطوسي في (أماليه) ج٢ ص٢٣٨. والطبري الإمامي في (بشارة المصطفى) ص٤ وغيرهما كثير.

ويقسم لهم بالله العظيم أنه لا ينطق إلا صادقاً كقوله في بعض خطبه:

أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والله لأنا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه[1].

وكقوله في هذه الخطبة: والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما أنطق إلا صادقاً، ولقد عهد إلي بذلك كله، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر. أي عهد إلي رسول الله بمخرج أحدكم وموالجه وجميع شأنه.

بمهلك من يهلك، يعني من الصحابة وغيرهم من الناس، وبمنجى من ينجو منهم، ومآل هذا الأمر، أي أمر الخلافة في عهد إليّ أنها لمن تكون وإلى من تنتقل، ومن المحق فيها ومن المبطل. ثم قال (ع):

وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني، وأفضى به إلي.

نعم أفضى إليه رسول الله (ص) بجميع تلك الحوادث وكل الأسئلة التي سيسأل عنها مع أجوبتها بل أفضى إليه رسول الله (ص) كافة علومه التي استمدها من الوحي الإلهي إليه، وقد أمره الله تعالى بذلك.

كما جاء في محاجات الإمام الباقر (ع) مع هشام بن عبد الملك أنه (ع) قال له: أوحى الله إلى نبيه أن لا يبقي في غيبه وسره ومكنون علمه شيئاً إلا يناجي به علياً، وأنه أنزل الله تعالى بذلك قرآناً في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ الحاقة: ١٢.

فقال رسول الله (ص) بين أصحابه: سألت الله أن يجعلها إذنك يا علي، ولذلك قال علي بالكوفة: علمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب..الخ[2].

---

(١) راجع (شرح النهج) لابن أبي الحديد ج١ ص٢٠٧.

(٢) راجع محاجة الإمام الباقر (ع) مع هشام - فإنها مهمة- في كتاب (دلائل الإمامة) للطبري الإمامي ص١٠٤ و(البحار) ج٤٦ ص٣٠٦ وغيرهما من المصادر.

وقال ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة): لقد امتحنا إخباراته الغيبية فوجدناها موافقة لقوله فاستدللنا بذلك على صدقه، كإخباره عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب لحيته، وإخباره عن قتل الحسين ابنه عليهما السلام، وما قاله في كربلاء حيث مر بها، وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده، وإخباره عن الحجاج أي ابن يوسف الثقفي وأعماله، وما أفضى به إلى خواص أصحابه بقتل من يقتل منهم وصلب من يصلب (ثم أخذ يعدد كثيراً من إخباراته الغيبية من ص١٧٥ من ج٢ -ص١٧٦) إلى أن قال: (وكم له من الأخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى مما لو أردنا استقصاءه لكرسنا له كراريس كثيرة، وكتب السير تشتمل عليها مشروحة).

ومن جملة إخباراته الغيبية ما أشار إليه ابن أبي الحديد في إخباره خواص أصحابه بقتل من يقتل منهم، وصلب من يصلب، ومن أولئك الخواص رشيد الهجري، وميثم التمار، وحبيب بن مظاهر، حيث كان أمير المؤمنين يخرج بهم خارج الكوفة ويبث لهم أنواع العلوم وأخبار الغيب، ويخبرهم بما سيجري من بعده.

وكان كل واحد من هؤلاء يعلم بما سيجري على الآخر، ومن هنا يروي لنا المؤرخون والرجاليون ومنهم الكشي في رجاله بسنده.

التقاء حبيب بميثم، وإخبار أحدهما بما يجري على الآخر

عن فضيل بن الزبير قال: مر ميثم التمار على فرس له فاستقبله حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد، فتحادثا حتى اختلفت عنقا فرسيهما، ثم قال حبيب: لكأني بشيخ أصلع ضخم البطن، يبيع البطيخ عند دار الرزق، قد صلب في حب أهل بيت نبيه فتبقر بطنه على الخشبة، فقال ميثم: وإني لأعرف رجلاً أحمر له ضفيرتان يخرج لنصرة ابن بنت نبيه فيقتل ويجال برأسه في الكوفة، ثم افترقا.

فقال أهل المجلس: ما رأينا أكذب من هذين، قال: فلم يفترق المجلس حتى أقبل رشيد الهجري فطلبهما، فقالوا: افترقا وسمعناهما يقولان كذا وكذا، فقال رشيد:

رحم الله ميثماً نسي، ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس (أي رأس حبيب) مائة درهم، ثم أدبر، فقال القوم: هذا والله أكذبهم.

قال الراوي فما ذهبت الأيام والليالي حتى رأينا ميثماً مصلوباً على باب عمرو بن حريث، وجيء برأس حبيب وقد قتل مع الحسين (ع) ورأينا كل ما قالوا[1].

إخبار علي (ع) بقتل ابن زياد لميثم وصلبه

وكان قتل ميثم وصلبه قبل مجيء الحسين (ع) إلى العراق بعشرة أيام، قتله ابن زياد لا لذنبٍ اقترفه ولا لجرم ارتكبه سوى حبه وولائه الخالص لعلي أمير المؤمنين (ع) وكان أمير المؤمنين قد أخبره مفصلاً بما يجري عليه من ابن زياد من القتل والصلب، وما يصيبه بسبب ذلك من النزيف الدموي من منخريه وفمه حتى تخضب لحيته، وطعنه وهو مصلوب حتى تبقر بطنه، وأخبره أيضاً بالموضع الذي يصلب فيه، وأنه يلجم بلجام كما يلجم الفرس.

فكان كما أخبره (ع) فعل به ابن زياد جميع ذلك على ما رواه الكثير من المؤرخين وأرباب السير والمقاتل من الخاصة والعامة.

موقف ميثم بين يدي ابن زياد، وما دار بينهما

وجاء في آخر قصته أنه: لما دخل ابن زياد الكوفة والياً عليها من قبل يزيد، وجعل يتتبع شيعة علي (ع) أخذ ميثم وأدخل عليه وقيل له: هذا من أأثر الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم هذا الأعجمي؟ قالوا: نعم، فقال له ابن زياد: أين ربك؟؟ قال: بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة، قال: لقد بلغني اختصاص أبي تراب معك؟ قال: قد كان بعض ذلك فما تريد؟ قال: وإنه ليقال إنه أخبرك بما ستلقاه؟ قال: نعم إنه

---

(١) راجع (رجال الكشي) لمحمد بن عمرو بن عبد العزيز الكشي ص٧٣، ونقله عنه السماوي في (أبصار العين) ص٥٦، والسيد عبد المجيد في الذخيرة ص١٨٨ والمجلسي في (البحار) ج٤٢ ص٩٢.

أخبرني، قال: ما الذي أخبرك أني صانع بك؟ قال: أخبرني انك ستصلبني عاشر عشرة؟ أنا أقصرهم خشبة وأقربهم إلى المطهرة، يعني الأرض، قال: لأخالفنه قال: ويحك كيف تخالفه: فو الله إنه إنما أخبر عن رسول الله (ص) وأخبر رسول الله عن جبرائيل عن الله عز و جل فكيف تخالف هؤلاء؟ أما والله لقد عرفت الموضع الذي أصلب فيه أين هو من الكوفة، وإني لأول خلق الله ألجم في الإسلام كما يلجم الفرس.

فأعرض ابن زياد عن قتله في الوقت وحبسه وحبس معه جماعة منهم المختار بن أبي عبيد الثقفي، فقال ميثم للمختار وهما في حبس ابن زياد: إنك ستفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين فتقتل هذا الجبار الذي نحن في حبسه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخديه.

نجاة المختار من القتل؟ وشهادة ميثم

فلما أخرج ابن زياد المختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إليه يأمره بتخلية سبيله فخلاه، وسبب ذلك أن أخت المختار كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فسألت بعلها أن يشفع له عند يزيد بتخليته فشفع له وأمضى شفاعته، وكتب إلى ابن زياد بتخلية سبيله فأطلقه.

أما ميثم فأخرج بعده من الحبس وأمر ابن زياد بصلبه وقال: لأمضين حكم أبي تراب فيه، ولما رفع على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمر بن حريث، فقال عمرو والله لقد كان يقول لي: أني مجاورك فأحسن جواري؟ فكان يأمر جاريته أن تكنس تحت خشبته كل عشية وترشه وتجمّر بالمجمرة تحته.

فجعل ميثم وهو مصلوب على الخشبة يحدث بفضائل بني هاشم ومخازي بني أمية، فقيل لابن زياد: قد، فضحكم هذا العبد، فقال: ألجموه فألجم فكان أول خلق الله ألجم في الإسلام، فلما كان اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دماً خضبت منه لحيته،

فلما كان اليوم الثالث طعن بحربة وقضى نحبه شهيداً مظلوماً رحمه الله[1].

وبذلك تحقق كل ما أخبر به أمير المؤمنين (ع) وأخبر به حبيب ميثماً، كما تحقق أيضاً ما أخبر ميثم حبيباً من خروجه إلى نصرة ابن بنت نبيه وقتله بين يديه وحمل رأسه يجال به في الكوفة.

التحاق حبيب بالحسين (ع) ونصرته له حتى الشهادة

فقد التحق حبيب بالحسين (ع) حيث خرج من الكوفة بعد اختفائه يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى وصل إلى كربلاء، وكان من ألمع أصحابه وأكثرهم مواقفاً في نصرته.

يقول (الكشي في رجاله): وكان حبيب من الرجال السبعين الذين نصروا الحسين(ع) ولقوا جبال الحديد، واستقبلوا الرماح بصدورهم، والسيوف بوجوههم، وهم يعرض عليهم الأمان والأموال فيأبون ويقولون: لا عذر لنا عند رسول الله (ص) إن قتل الحسين ومنا عين تطرف حتى قتلوا حوله[2].

ولقد جاهد حبيب بين يدي الحسين (ع) جهاد الأبطال العظام، وحمل على الأعداء يقاتلهم قتال المشتاقين إلى الشهادة وهو يرتجز ويقول:

أنا حبيب وأبي مظاهر ... فارس هيجاء وحرب تسعر

وأنتم منا لعمري أكثر ... ونحن أوفى منكم وأصبر

ونحن أعلى حجة وأظهر ... حقاً وأبقى منكم وأعذر

لقد عرفهم بنفسه الكريمة وبما يتمتع به من الصفات الرفيعة، فهو بطل الحرب والفارس الذي لم يختلج في قلبه خوف ولا رعب، وأعلن أنه بالرغم من كثافة عدد

---

(١) راجع (شرح النهج) لابن أبي الحديد ج١ ص٢١٠، و(البحار) للمجلسي ج٤٤ ص١٢٤ نقلاً عن (إرشاد المفيد) و(رجال الكشي) ص٧٤.

(٢) رجال الكشي ص٧٤.

جيش ابن سعد إلا أن أصحاب الحسين -على قلتهم- يمتازون عليهم بالوفاء والصبر وعلو الحجة وظهور الحق فيهم، فهم بهذه الصفات أحق بالخلود وأجدر بالبقاء، ولم يزل يقاتل حتى قتل -على كبر سنه- فيما يقول بعض المؤرخين اثنين وستين رجلاً، ثم قتل رضوان الله عليه وصعدت روحه الطاهرة إلى ربها راضية مرضية، وقد هدّ مقتله الحسين (ع) ووقف على جثمانه العظيم وهو حزين متأوه قال: عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي...الخ.

إن يهد الحسين قتل حبيب فلقد هد قتله كل ركن

المجلس السابع والثلاثون

الحر بن يزيد الرياحي وتوبته النصوح حتى الشهادة

التوبة النصوح في الكتاب والسنة

قال عز من قائل في محكم كتابه المجيد: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ**﴾ التحريم: ١٠.

أمرنا الله سبحانه وتعالى بهذه الآية الكريمة من سورة التحريم بالتوبة النصوح، فقال: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**..﴾ ومعنى التوبة إلى الله الرجوع إليه بترك معاصيه والعمل بطاعته. ومعنى النصح هو تحري الإصلاح للنفس بالأفعال والأقوال التي فيها صلاح صاحبها، ويأتي أيضاً بمعنى الإخلاص كما يقال: نصحت له الود، أي أخلصت له الحب.

فالتوبة النصوح إذن من جهة هي التي يصلح بها الإنسان نفسه مما علق بها من أدران ورواسب الذنوب والمعاصي.

ومن جهة أخرى أن يخلص بها العبد بالرجوع الحقيقي والواقعي إلى الله تعالى، فينوي جازماً أن لا يعود إلى ما تاب عنه أبداً.

ومن هنا ورد عن ابن عباس أنه قال: قال معاذ بن جبل لرسول الله (ص): يا رسول الله ما التوبة النصوح؟ قال: أن يندم العبد على الذنب الذي أصاب فيعتذر إلى

الله ثم لا يعود إليه كما لا يعود اللبن إلى الضرع[1].

وفي (الكافي) لشيخنا الكليني بإسناده عن أبي الصباح الكناني قال: سألت أبا عبد الله، -أي الصادق (ع)- عن قول الله عز وجل: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً**﴾ قال: يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه، وسأل أيضاً محمد بن الفضيل أبا الحسن موسى (ع) فأجاب بمثل ما أجاب به أبوه، والروايات في هذا المعنى كثيرة من الفريقين[2].

أما جزاء هذه التوبة النصوح فمن جهة هو تكفير السيئات أي محوها من صحائف الأعمال، وسترها على صاحبها وحطها عنه، ومن جهة أخرى أن صاحبها يستحق أن يدخله الله الجنات التي تجري من تحتها الأنهار. لذا قال تعالى: ﴿**عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ**﴾.

وعسى من الله واجبة، أي إذا كانت التوبة توبة نصوحاً بشرائطها فإنه يجب على الله -بما أوجب هو على نفسه- أن يكفر عنه سيئاته، وأن يدخله جناته.

بل قد يزيده على ذلك بأن يوسع عليه في دنياه، ويدر عليه الرزق بأنواعه العديدة كما قال تعالى: ﴿**اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْراراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهاراً**﴾ نوح: ١١-١٣.

شرائط إكمال التوبة

وجاء في حديث لعلي أمير المؤمنين (ع) يذكر فيه شرائط التوبة والاستغفار، حيث قال لمن استغفر بحضرته: ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معان، أولها الندم عل ما مضى، والثاني العزم على

---

(١) (الدر المنثور) ج٦ ص٢٤٥. ونقله عنه الطباطبائي في الميزان ج١٩ ص٣٩٦.

(٢) راجع المصدرين السابقين (الدر المنثور) و (تفسير الميزان) و (تفسير ابن كثير الدمشقي) ج ٤ ص٣٩٢.

ترك العود عليه أبداً والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت (أي الحرام) فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ منها لحم جديد، والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله[1].

ويظهر لنا من هذا الحديث ومن نصوصه أن شرائط التوبة النصوح والاستغفار الكامل الحقيقي ستة.

الأول الندم على ما مضى بأن يحزن ويتأثر ويلوم نفسه على ما صدر منه من الذنوب التي خالف فيها أوامر الله عز وجل واتبع فيها أوامر نفسه الأمارة بالسوء التي هي العدو الأول للإنسان كما قال رسول الله (ص): أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك[2].

أو اتبع فيها الشيطان الذي هو العدو الثاني للإنسان قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّما يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحابِ السَّعِيرِ**﴾ فاطر ٧و٨. أو اتبع فيها رؤساء الكفر والضلال فأطاعهم فيما خالف به ربه، فيندم على كل ما مضى منه من تلك الذنوب على اختلافها واختلاف دواعيها.

الثاني العزم على ترك العود عليه أبداً. يعني أنه يعقد في قلبه أن لا يعود إلى ما تاب عنه من الذنوب أبداً ما دام حياً، ولا يرتكب معاصي جديدة أخر، وإذا غلبته نفسه أو شيطانه أو غيرهما من دواعي المعصية يجدد التوبة والاستغفار بنفس الشرطين السابقين.

الثالث أن يؤدي إلى المخلوقين حقوقهم التي اغتصبها، وهي أما في المال أو في النفس أو في العرض أو في غير ذلك، فيحاول بقدر ما يتمكن عليه أن يرجع إليهم تلك

---

(١) راجع (جامع السعادات) لمحمد مهدي النراقي ج٣ ص٧٩.

(٢) مجمع البحرين: مادة جهد ص١٩٣ و(البحار) ج٧ ص٦٤ نقلاً عن (عدة الداعي).

الحقوق أو يرضيهم إن كانوا إحياء وإلا فلورثتهم، وإن لم يكن لهم وارث أو لم يعرفهم يرجع إلى الحاكم الشرعي فيدفع إليه تلك الحقوق وهي المسماة بـ(رد المظالم) فإرضاء الخصوم يكون مع الإمكان، وبدونه يتصدق عنهم إن أمكنه ذلك ويكثر من الاستغفار لنفسه ولهم والرجوع إلى الله مرة بعد أخرى بالتضرع والابتهال ليرضيهم عنه يوم القيامة.

الرابع أن يعمد إلى كل فريضة ضيعها فيؤدي حقها، أي يقضي ما فاته من الفرائض كالصلاة والزكاة والخمس والحج والصوم وغيرها من سائر الفرائض والواجبات عند الإمكان، ويحافظ على الحواضر منها، ويوصي بما هو مطلوب به من تلك الفرائض التي لا يمكنه تأديتها بنفسه أن تخرج نيابة عنه بعد الموت، وهذه الشرائط الأربعة هي شرائط صحة التوبة بحيث لا تصح التوبة بدونها.

والخامس أن يعمد إلى اللحم الذي نبت على الحرام أن يذيبه بالأحزان، أي يكثر من البكاء من خشية الله ويتذكر ما فرّط به أيام حياته دائماً وأبداً حتّى يعلم الله منه صدق التوبة والإخلاص بها إليه.

والسادس أن يذيق جسمه ألم الطاعة كما أذاقه حلاوة المعصية، أي يكثر من الطاعات الإلهية بأنواعها من تهجد ودعاء واستغفار وسائر الأذكار لتكون دواءً لأسقامه من أدواء الذنوب كما قال بعض الأدباء.

وإذا سقمت من الذنوب فداوها ... بالذكر أن الذكر خير دواء

ويقال: إن أفضل الذكر أن تذكر الله تعالى في كل ما أحل وحرم.

فهذه هي التوبة النصوح التي يصلح بها الإنسان نفسه، ويخلص بها إلى ربه، وهي التي يسميها القرآن بالإنابة ويسمي صاحبها بالمنيب.

والمنيب هو الذي يرجع عن كل شيء مما سوى الله، ويقبل عليه وحده، بالسر والعلن، والفعل والقول، قال تعالى: ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ**

﴿يَأْتِيَكُمُ الْعَذابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ الزمر: ٥٥.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آياتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً وَما يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ ❖ فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ﴾ المؤمن: ١٤-١٥.

وهذان الشرطان هما من كمال التوبة النصوح.

إنابة الحر إلى الله، وترجمته

وممن تاب إلى الله توبةً نصوحا، وأناب إنابةً تامة كاملة الحر بن يزيد الرياحي، اليربوعي رضوان الله عليه، فهو المنيب الذي قد ضحى بنفسه في سبيل الله، وفي نصرة ابن بنت رسول الله، وأجهد نفسه في الجهاد بين يديه بالقول والفعل ليكفر عن كل ما مضى من ذنوبه.

شهادة الحسين وابنه (ع) في حقه

ويكفيه فخراً شهادة الحسين (ع) في حقه قال له: أنت الحر كما سمتك أمك، وأنت الحر في الدنيا والسعيد في الآخرة، ويتلوها شهادة ابنه علي زين العابدين، أو علي الأكبر في حقه حينما قال:

لنعم الحر حر بني رياح ... صبور عند مشتبك الرماح

ونعم الحر إذ واسى حسيناً ... وجاد بنفسه عند الكفاح

وهذا المدح ليس فيه مبالغة الشعراء الذين يمدحون الشخص بما يزيد على ما يستحق من المدح، بل هو شعر صادق مصيب وصف به الحر من دون زيادة في الإطراء ولا غلو في الثناء.

وقد نوه به من جهات ثلاث أحدها شخصيته الفذة بقوله: لنعم الحر، والثانية من حيث مركزه الحربي بقوله: صبور عند مشتبك الرماح، والثالثة مواساته الحسين (ع)

بنفسه بقوله: وجاد بنفسه عند الكفاح.

مدحه من جهات ثلاث

أما الجهة الأولى فلا خفاء في شرف الحر من حيث نفسه، ومن حيث أسرته حيث جاء في ترجمته: انه كان شريفاً في قومه جاهليةً وإسلاما.

أما شرفه هو فقد كان رئيساً من رؤساء الأرباع بالكوفة يرأس أعظم القبائل وأكثرها عدداً، كما انه كان قائداً من أعظم القواد خبرة ومهارة في الحرب مع التفوق بالنجدة والشجاعة والكرم.

أما من حيث أسرته فإن لآبائه ردافة آل المنذر ملوك الحيرة، وجده عتاب كان رديف النعمان ملك الحيرة، والردافة تشبه الوزارة معنى لأن رديف الملك يجلس على يمينه، ويخلفه في مجلس الحكم إذا غاب.

أما الجهة الثانية فالحر في عصره أشجع أهل الكوفة، ولذلك يقول له المهاجر بن أوس حينما رآه وقد أخذه مثل الأفكل وهي الرعدة من خشية الله قال: والله لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك...الخ، وقد ظهرت شجاعته بين يدي الحسين (ع) حتى قال بعض من شهد الواقعة فو الله ما رأيت أحداً يفري فريه.

أما الجهة الثالثة وهي مواساته ونصرته للحسين (ع) فقد قلل من أهميتها كثير ممن لم يستعمل دقة النظر في الوقائع التاريخية، فزعم بعض أن الحر كان من أعوان الظالمين، ، وممن يدين لهم بالولاء ويذهب إلى القول بإمامتهم ، وينحرف عن الحسين(ع) وحزبه، ثم ندم على تلك العقيدة الضالة وصار في حيز حزبه أخيراً.

وهذا كلام مبني على مظاهر الحر في خروجه لمعارضة الحسين، وكونه قائداً من قواد ابن زياد، والحقيقة هي أن تلك المظاهر اقتضتها ظروفه وسياسته، باعتباره كان رئيساً عظيماً، وكان محط نظر الأمراء فهو يجاملهم لأجل المحافظة على منصبه الرئاسي، ولما ابتلي بإخراج ابن زياد له لمعارضة الحسين، خرج وهو يعتقد أن الحسين سوف لا

يُقتل ولا يظلم لأنه ابن رسول الله وسيد المسلمين، وان السلطة تتظاهر بالتضييق عليه طمعاً في أن يسالمهم، وربما يقع بينه وبينهم الصلح هذا كان رأيه، ولذلك كانت جميع مواقفه مع الحسين مواقف تبجيل واحترام لا يرد عليه قولاً ولا يؤاخذه بالعنف ولا يترك الصلاة خلفه مع شدة المراقبة عليه، وهذه ليست أعمال مبغضٍ ولا أفعال عدو بل أعمال محبٍ مخلصٍ عارفٍ بمقامه.

ولذلك لما بان له الجور والعدوان من السلطة، وان لا غرض لهم إلا قتل الحسين وسفك دمه ودماء من معه من أهل بيته وأصحابه، وقد ردوا عليه ما عرضه عليهم من مواد الصلح والمهادنة عزم على نصرة الحسين (ع) ومواساته له بنفسه.

فجاد بالنفس إذ ظن الجواد بها والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وعلى كلٍّ كانت عاقبته حسنة، ومآله الجنة، وقد بشر بها منذ خروجه لمعارضة الحسين (ع) على ما روى ذلك الصدوق في الأمالي ص٩٣، والشيخ محمد بن نمافي (مثير الأحزان) ص٣١: أن الحر لما أخرجه ابن زياد لمعارضة الحسين وخرج من القصر نودي من خلفه: يا حر أبشر بالجنة، وعلى رواية الصدوق انه نودي بذلك ثلاثاً، فالتفت فلم ير أحداً، فقال في نفسه: والله ما هذه بشارة وأنا أسير إلى حرب الحسين، وما كانت تحدثه نفسه في الجنة، فلما صار مع الحسين قصَّ عليه الخبر، فقال له الحسين(ع): لقد أصبت أجراً وخيرا.

التحاق الحر بالحسين (ع) وتوبته على يده

ولما رأى الحر أن عمر بن سعد زحف بجيشه نحو الحسين وأنهم مصممون على قتاله، وسمع نداء الحسين واستغاثته وهو يقول: أما من مغيث يغيثنا لوجه الله، أما من ذاب يذب عن حرم رسول الله، أقبل الحر على عمر بن سعد وقال له: أمقاتل أنت هذا الرجل؟ فقال: أي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي، قال: أفمالك في واحدة من الخصال التي عرض عليكم رضا؟ فقال: أما والله لو كان الأمر لي

لفعلت، ولكن أميرك قد أبى، فعلم من كلامه هذا انه عابد لأميره من دون الله، فتركه، وأقبل حتى وقف من الناس موقفاً وأخذ يدنو من الحسين قليلاً قليلاً.

فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد أن تصنع يا بن الرياحي أتريد أن تحمل؟ فسكت، وأخذه مثل الأفكل وهي الرعدة، فقال له: إن أمرك لمريب، وما رأيت منك في موقف قط مثل هذا الموقف الآن، ولو قيل لي من أشجع أهل الكوفة رجلاً لما عدوتك فما هذا الذي أرى منك؟ قال: إني والله أخير نفسي بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه ولحق بالحسين (ع) واضعاً يده على رأسه وهو يناجي ربه ويقول: اللهم إليك أنبت فتب علي فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك، ولما دنا من الحسين (ع) قلب ترسه، ونكس رأسه، فقال له الحسين: من أنت أرفع رأسك، قال: جعلني الله فداك يا بن رسول الله، أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان.

وما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضته عليهم أبداً، ولا يبلغون بك هذه المنزلة والله الذي لا اله إلا هو لو علمت أنهم ينتهون بك إلى ما أرى ما ركبت منك مثل الذي ركبت، وأنا تائب إلى الله فيما صنعت فترى لي في ذلك توبة؟ فقال (ع): نعم يتوب الله عليك ويغفر لك فانزل. قال: أنا لك فارساً خير لك مني راجلاً، أقاتلهم على فرسي ساعة والى النزول ما يصير آخر أمري، قال: أصنع ما بدا لك.

خطبة الحر وتأنيبه للقوم على محاصرتهم للحسين (ع)

فاستقدم أمام أصحابه ثم قال مخاطباً لأصحاب عمر بن سعد: أيها القوم ألا تقبلون من الحسين (ع) خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله؟ فقالوا: هذا الأمير عمر بن سعد فكلمه، فكلمه الحر ثانية بمثل ما كلمه به من قبل، وبمثل ما كلم به أصحابه، فقال عمر: قد حرصت، لو وجدت إلى ذلك سبيلاً فعلت، فالتفت الحر إلى القوم وقال:

يا أهل الكوفة لأمُّكم الهبل والعبر (أي الثكل والبكاء)، أدعوتم هذا العبد الصالح ابن رسول الله حتى إذا أتاكم أسلمتموه، وزعمتم أنكم قاتلو أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه.

دعوتمـــوه فـــلما حـــل ســـاحتكم ثـــرتم إلى قـــتله خـــيلاً ورجلانـــا

أمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه (أي ضيقتم عليه الطريق) واحتطم به من كل جانب لتمنعوه التوجه إلى بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً، وحلأتموه، (أي منعتموه) ونساءه وصبيته وأصحابه عن ماء الفرات الجاري الذي تشربه اليهود والنصارى والمجوس، وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه، وهاهم قد صرعهم العطش بئس ما خلفتم محمداً(ص) في ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ الأكبر إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه من يومكم هذا في ساعتكم هذه.

فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل، فأقبل حتى وقف أمام الحسين (ع) وقال له:

يا بن رسول الله كنت أول خارج عليك فأذن لي بالبراز لأكون أول قتيل بين يديك وأول من يصافح جدك رسول الله (ص)، فأذن له الحسين، فبرز إلى القوم وهو يرتجز ويقول:

إنـــي أنـــا الحـــر ومـــأوى الضـــيف أضـــرب في أعـــناقكم بالســـيف

عـن خـير مـن حـل بـأرض الخـيف أضـــربكم ولا أرى مـــن حـــيف

ثم أخذ يقاتل القوم هو وزهير بن القين قتالاً شديداً فكان إذا شد أحدهما واستلحم (أي تضايق) شد الآخر حتى يخلصه ففعلا ذلك ساعة.

وروي عن أيوب بن مشرح الخيواني انه كان يقول:

جال الحر على فرسه فرميته بسهم فوقع في أحشاء فرسه فما لبث إذ أرعد الفرس واضطرب وكبا، فوثب عنه الحر كأنه ليث والسيف في يده وهو يقول:

إن تعقـروا بـي فأنـا ابـن الحـر أشـجع مـن ذي لـبدٍ هزبـر

قال: فو الله ما رأيت أحداً قط يفري فريه، وجعل يقاتل راجلاً وهو يقول:

آليـت لا أُقْـتَلُ حـتى أُقْـتَلا ولـن أصـاب اليـوم إلا مقـبلا
أضـربهم بالسـيف ضـرباً معضـلاً لا نـاكلاً فـيهم ولا مـبدلا

أفدي الحسين الماجد المؤمّلا

ولم يزل يقاتل حتى قتل نيفاً وأربعين رجلاً[1].

وقيل اكثر من ذلك، ثم اثخن بالجراح، وشد عليه رجال فصرعوه، فجاء أصحاب الحسين وحملوه ووضعوه أمام الفسطاط الذي يقاتلون دونه، ووقف عليه الحسين (ع) وكان به رمق من الحياة فجعل يمسح عنه الدم وهو يقول: أنت الحر كما سمتك أمك وأنت الحر في الدنيا والسعيد في الآخرة، ثم انشأ يقول، وقيل ولده علي، أو بعض أصحابه:

لـنعم الحـر حـر بـني ريـاح صـبور عـند مشـتبك الـرماح
ونعـم الحـر إذ واسـى حسـيناً وجـاد بنفسـه عـند الكفـاح[2]

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج٤ ص١٠٠، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٥ ص١٥ والسيد المقرم في (مقتله) ص١٥٤ وغيرهم، ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ج٨ ص٨٣ ونقله عنه القرشي في (حياة الإمام الحسين)ج٣ ص٢٢٢، وفي (مقتل الخوارزمي) ج٢ ص١١ وقتل أربعين فارساً وراجلاً، ونقله عنه السيد بحر العلوم في مقتله ص٥٣٧.

(٢) نسب البيتين إلى الإمام الحسين (ع) الصدوق في (الأمالي) ص٩٧ وكذلك القتال في (روضة الواعظين) ص١٨٦، وبعض ينسبها إلى بعض أصحاب الحسين، أو ابنه علي كما في (مقتل الخوارزمي) ج٢ ص١١، والمجلسي في (البحار) ج٤٥ ص١٤ نقلاً عن (إرشاد المفيد) ص٢٢٢، و(مقتل السيد المقرم) ص١٥٥ نقلاً عن (مقتل العوالم) ص٨٥ و (مقتل السيد آل بحر العلوم) ص٥٣٨ وغير هؤلاء.

المجلس الثامن والثلاثون

وصية أمير المؤمنين (ع) بشأن الصلاة، وترجمة وهب الكلبي

الوصية وشرحها:

من كلام لإمامنا علي أمير المؤمنين (ع) كان يوصي به أصحابه: تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها، فإنها ﴿**كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً**﴾.

ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ﴿**ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ❖ قالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ**﴾ المدثر: ٤٣-٤٤. وانها لتحت الذنوب حت الورق، وتطلقها إطلاق الربق.

وشبهها رسول الله (ص) بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدرن، وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولدٍ ولا مال، يقول الله سبحانه: ﴿**رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ**﴾ النور: ٣٨، وكان رسول الله (ص) نَصِباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها**﴾ طه: ١٣٢ فكان يأمر بها أهله، ويصبر عليها نفسه..الخ[1].

---

(١) راجع الوصية بطولها في طبعات النهج وفي شرح ابن أبي الحديد ج٢ ص٥٦٩.

تعاهدوا أمر الصلاة

أوصى (ع) أولاً بالتعاهد لأمر الصلاة ومعنى تعاهدت الشيء (أي جددت به عهداً) وهو القيام عليه وملاحظته، ومثال ذلك كمن له ضيعة (أي بستان) كيف يتعاهدها ويلاحظ ما تحتاج إليه من حرث وبذر وسقي وحراسة وما إلى ذلك من أنواع التعاهد لها.

وهكذا كل صاحب حرفةٍ من معمل أو حانوت أو سيارة أو غير ذلك تراه يلاحظها ويكمل كل نقصان فيها، هكذا يجب على المصلي أن يتعاهد أمر صلاته فيتعرف على ما يتعلق بها من أحكام وشرائط ومقدمات، وان يتقن صحة قراءاتها إذا كان غير عارف بقواعد النحو حتى تكون صلاة صحيحة معتنى بها، وحينئذٍ يستحق الأجر والثواب عليها، إذ هي عمود دينه (إن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رُدَّ ما سواها) حسب نص نبينا محمد الصادق الأمين (ع).

ولكنا -ويا للأسف- نرى الكثير من المصلين فضلاً عن غيرهم يعتنون الاعتناء البالغ الكبير بأمور دنياهم وأنواع حرفهم، ولا يعتنون بأمر دينهم وصلاتهم التي هي عموده، ومما نسب لأمير المؤمنين في هذا المعنى:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

ما بال دينك ترضى أن تدنسه ... وثوب لبسك مغسول من الدنس

فتعاهدوا أيها المؤمنون أمر صلاتكم امتثالاً لأمر إمامكم.

وحافظوا عليها

امتثالاً لأمر ربكم حيث أمر جل وعلا عباده بذلك في قوله سبحانه: ﴿**حافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطى وَقُومُوا للهِ قانِتِينَ**﴾ البقرة: ٢٣٩. فقد أمرنا في هذه الآية الكريمة بالمحافظة على الصلوات عامة والصلاة الوسطى خاصة، والصلاة الوسطى هي الظهر على أظهر الأقوال، قال السيد مهدي بحر العلوم:

حـافظ علـيهن وخـص الوسـطى ظهـراً عـلى الأظهـر فـيها ضـبطا

ومن أهم مصاديق المحافظة عليها- بعد شدة الاعتناء بإقامتها- هو اجتناب الظلم بانواعه، بأن لا تعتدوا ولا تغشوا ولا تخونوا ولا تكذبوا ولا تستغيبوا إذ تكونون بارتكاب هذه الجرائم وأمثالها قد ضيعتم أجر صلاتكم فإنه: ﴿**إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ المائدة: ٢٨.

واستكثروا منها وتقربوا بها

فإنه كما جاء في الخبر: الصلاة خير موضوع فمن شاء استكثر ومن شاء استقل[١].

ولأن الصلاة تقرب العبد إلى ربه فهي كصلة بينه وبين الله عز وجل تقربه إليه زلفى، ويؤيد هذا المعنى ما رواه الكليني بسنده عن الإمام الرضا (ع) انه قال: اقرب ما يكون العبد من الله عز وجل وهو ساجد وذلك قوله عز وجل، واستشهد الإمام بآية الأمر بالسجود والتقرب به إلى الله، وهي آخر آية من سورة العلق[٢].

وروى عنه (ع) أيضاً انه قال: الصلاة قربان كل تقي[٣].

فبالصلاة يتقرب العبد إلى ربه ويوصل حبله بحبله، وإذا ترك العبد الصلاة فمعناه قطع صلته بالله عز وجل، ولكن الله تعالى -من لطفه ورأفته بعبده- لا يقطع صلته عنه في الدنيا، فيرحمه ويرزقه لأن الله تكفل بالرزق لعباده كافة، المؤمن منهم والكافر، والمطيع والعاصي، والذكر والانثى، والكبير والصغير بل ﴿**وَما مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُها وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها وَمُسْتَوْدَعَها كُلٌّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ**﴾ هود: ٧.

وهكذا رحمة الله تشمل الجميع في الدنيا حتى ابليس، ولكن لو بقي العبد قاطعاً صلته بالله كافراً بنعمه، تاركاً لصلاته التي هي أهم الفرائض وأفضلها، ربما يقطع الله

---

(١) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء ج٢ ص٩٣.

(٢) من آيات السجدة الواجبة ولذلك لم نذكرها، والحديث في الكافي، ج٣ ص٢٦٤و٢٦٥.

(٣) المصدر السابق ونقل الحديثين عن الكافي صاحب نهج السعادة المحمودي.

عنه رحمته يوم القيامة ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء: ٨٩-٩٠. ثم بين أمير المؤمنين (ع) بوصيته هذه أن الصلاة فريضة عينية لازمة -لزوماً اختيارياً- على جميع المؤمنين لابد من إقامتها ولا محيص لأحد عنها، واستدل على ذلك بآية من القرآن المجيد فقال (ع):

﴿فإنها كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً﴾

وهذا اقتباس من الآية (١٠٤) من سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً﴾ فقوله: (كتاباً) أي فرضاً واجباً كما في قوله تعالى ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الأنعام: ٥٥، أي أوجب الله على نفسه الرحمة لعباده، وكقوله سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة: ١٨٤، أي فرض عليكم الصيام كما فرض على الذين من قبلكم.

وقوله تعالى: (موقوتا) تأكيداً على لزوم هذا الفرض وثبوته، أو المراد (موقوتاً) أي منجماً ومؤقتا[1].

ولما كانت الصلاة فريضة قد أوجبها الله وأثبتها على عباده، بل هي من أهم الفرائض واعظم الأركان لذا يستحق تاركها دخول النار، وقد بين أمير المؤمنين في وصيته هذه أن ترك الصلاة من الأسباب الموجبة لدخول النار، واستدل على ذلك بآية أخرى من القرآن المجيد فقال (ع):

(ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ما سلككم في سقر)؟.

قالوا: لم نك من المصلين

والسائلون لأهل النار بهذا السؤال هم أهل الجنة حيث يطلعهم الله تعالى الذي هو

---

(١) راجع ما حققناه حول الآية في كتابنا (حول الصلاة والجمع بين فريضتين) في الشبهة الثانية، وما اثبتناه من النصوص عن أهل البيت (ع) وغيرهم في تفسيرها ص ١٧٤-١٧٩.

على كل شيء قدير على أهل النار فيرونهم في العذاب، ويوجهون إليهم هذا السؤال ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾؟ فأول سبب يذكرونه لاستحقاقهم العذاب، ودخول النار هو ترك الصلاة قالوا: لم نك من المصلين).

وجاءت آية أخرى تصرح أيضاً بأن من يضيّع صلاته، ويتبع شهواته يلق غيا، والغي كما يقول الكثير من المفسرين: إنه وادٍ في جهنم قال تعالى بعد مدح قسمٍ من عباده من رسل وأنبياء ومن ذريتهم الصالحين المهتدين بهديهم قال: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَواتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ثم استثنى منهم التائبين فقال: ﴿إِلاَّ مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ مريم ٦٠-٦١.

فهذه الآيات الكريمة تدل بوضوح على أن تارك الصلاة المصر على تركها بلا ندم ولا توبة إلى أن يموت يكون مآله النار والعذاب والعياذ بالله.

وبهذا المعنى صرح النبي (ص) حيث قال في بعض أحاديثه، لا تضيعوا صلاتكم فإن من ضيع صلاته حشر مع قارون وهامان وكان حقاً على الله أن يدخله النار مع المنافقين[1].

ولا تستغرب من هذا الحديث، لأن المنافق هو الذي يظهر خلاف ما يبطن في الدين، كمن يظهر الإسلام ويبطن الكفر، ويظهر الطاعة ويبطن المعصية، ويظهر الحب ويبطن البغض وهكذا.

فالذي يترك أفضل الأعمال الدينية ويضيعها وهي الصلاة، ثم يدعي الإسلام فهو لا ريب منافق ومآل المنافقين النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ❖ إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً

---

(١) حديث شهير نقلناه عن أجوبة المسائل الدينية ج٣ و٤ من المجلد ١٤.

عَظِيماً﴾ النساء: ١٤٦-١٤٧.

وهذه الآية الكريمة تذكر شرائط من تاب عن النفاق، وهكذا من تاب عن دين غير دين الإسلام كالكتابيين من يهود أو نصارى أن تكون توبتهم مقرونة بالإصلاح لأنفسهم، والاعتصام بالله، والإخلاص بدينهم لله، فحينئذٍ يكونون مع المؤمنين، وسوف يستحقون أن يؤتيهم الله الأجر العظيم.

وقد قال رسول الله (ص): التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له[1].

إسلام وهب وأمه وجهادهما

وممن تاب، وأصلح نفسه وأهله، واعتصم بالله، واخلص دينه له من أصحاب الحسين (ع) وهب بن عبد الله بن حباب، أو جناب الكلبي.

وكان -كما يذكر بعض أهل السير والمقاتل- نصرانياً وأسلم على يد الحسين (ع) هو وأمه في الطريق، وكانت معهما زوجته، واتبعوه إلى كربلاء وبقي مع الحسين هو وأمه وزوجته إلى أن جاء يوم عاشوراء واشتد القتال أقبلت عليه أمه وقالت له: قم يا بني فانصر ابن بنت رسول الله، فقال: أفعل يا أماه ولا أقصر إن شاء الله، ثم برز وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي ... سوف تروني وترون ضربي

وحملتي وصولتي في الحرب ... أدرك ثأري بعد ثأر صحبي

وأدفع الكرب بيوم الكرب ... ليس جهادي في الوغى باللعب

ثم حمل فلم يزل يقاتل حتى قتل جماعة فرجع إلى أمه وامرأته فوقف عليهما، فقال: يا أماه أرضيت عني؟ فقالت: ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين (ع) ابن بنت رسول الله، فقالت له امرأته: أسألك بالله أن لا تفجعني بنفسك، فقالت له أمه: يا بني لا تقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله ليكون غداً شفيعك عند ربك

---

(١) جامع السعادات للنراقي ج٣ ص٦٥.

فرجع وتقدم قائلاً:

إنـــي زعـــيم لـــك أم وهـــب بـــالطعن فـــيهم تـــارة والضـــرب
ضـــرب غـــلام مؤمـــن بالـــرب حـــتى يـــذوق القـــوم مـــر الحـــرب
إنـــي امـــرؤ ذو مـــرةٍ وعصـــب ولســـت بـــالخوار عـــند النكـــب

حسبي الهي من عليمٍ حسبي

فلم يزل يقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً واثني عشر راجلاً، ثم قطعت يمينه فلم يبال، وجعل يقاتل حتى قطعت شماله، يقول المجلسي في البحار:

فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله، فأقبل كي يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت: لن أعود أو أموت معك، فقال الحسين: جزيتم من أهل بيتي خيراً فارجعي إلى النساء رحمك الله.

قيل: فقال لها وهب: كنت تنهينني عن القتال والآن أتيت تقاتلين معي، فقالت: يا بن العم لا تلمني إن الحسين قد كسر قلبي سمعته ينادي: أما من معين فيعيننا، أما من ناصر فينصرنا، وفي نص قالت: يا وهب لقد عفت الحياة وتركت الدنيا منذ سمعت نداء الحسين وهو ينادي: واغربتاه واقلّة ناصراه وا جدّاه أما من مجير يجيرنا فقال لها وهب: ارجعي إلى الخيام فإن الجهاد مرفوع عن النساء، فأبت أن ترجع فأتى إليها الحسين وقال لها: جزيتم من أهل بيتي خيراً ارجعي إلى النساء بارك الله فيك فإنه ليس عليكن قتال، قالت سيدي: دعني أقتل خيراً من أن أكون أسيرة مسبية، فقال لها: حالك كحال أهل بيتي، وردها.

أسر وهب وشهادته، وموقف أمه البطولي

وأسر وهب وجيء به أسيراً إلى عمر بن سعد وهو مقطوع اليدين فقال له: ما أشد صولتك، ثم أمر بضرب عنقه، فضرب عنقه ورمي برأسه إلى عسكر الحسين فأخذت أمه الرأس فقبلته ووضعته في حجرها وجعلت تمسح الدم والتراب عن وجهه وهي

تقول: الحمد لله الذي بيض وجهي بشهادتك يا ولدي بين يدي أبي عبد الله الحسين، ثم قالت: يا أمة السوء أشهد أن اليهود في بِيعِها، والنصارى في كنائسها خير منكم، ثم رمت برأس ولدها نحو القوم فأصابت به الذي قتل ولدها فقتلته ثم شدّت بعمود الفسطاط فقتلت رجلين، فقال لها الحسين: ارجعي يا أم وهب أنت وابنك مع رسول الله، وإن الجهاد مرفوع عن النساء.

فرجعت وهي تقول: إلهي لا تقطع رجائي، فقال لها الحسين (ع): لا يقطع الله رجاءك يا أم وهب[1].

طوبى لها بذلت للقتل أنفسها ... وعندها أن ذاك القتل يحييها

تسابقت للفدا في ذات سيدها ... واستبدلت بجوارٍ عند باريها..الخ

شهادة عبد الله بن عمير الكلبي، وزوجته

وممن تسابق للشهادة والفداء في ذات الله وفي نصرة الحسين بن بنت رسول الله(ص) من آل الكلبي عبد الله بن عمير بن عباس بن عبد قيس بن عليم بن جناب الكلبي العليمي الجنابي، المكنى (أبو وهب) وكانت معه زوجته المكناة (أم وهب) وقد

---

(١) شهادة وهب وحضوره الطف مع أمه وزوجته ذكرها جملة من أهل السير والمقاتل منهم الخوارزمي في (مقتله) ج٢ ص١٢-١٣، ونقل عن مجد الأئمة السرخسكي أنه كان نصرانياً وأسلم على يد الحسين (ع) هو وأمه، وكذلك المجلسي في (البحار) ج٤٠ ص١٦-١٧، وكذلك صاحب ناسخ التواريخ على ما نقل عنه المازندراني في (معالي السبطين) ج١ ص٢٣٧-٢٣٨/، وروى الصدوق في (الأمالي) ص٩٧ انه وهب بن وهب، وانه كان نصرانياً وأسلم هو وأمه على يد الحسين (ع) واستشهد بين يديه. ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٤ ص٣٢٠، ونص على شهادته السيد ابن طاووس في اللهوف ص٤٤-٤٥ وانه كانت معه أمه وزوجته، ونقله عن ابن طاووس السيد آل بحر العلوم في (مقتله) ص٥٢٨-٥٣٠، كما ذكر شهادته ابن شهر آشوب في (المناقب) ج٤ ص١٠١ وذكر شهادته السيد محسن العاملي في (لواعج الأشجان) ص١٤٧-١٤٨، وانه كان نصرانياً وأسلم على يد الحسين وكانت معه أمه وزوجته.

استشهدت بعده أيضاً.

وقصتهما لها شبه من جهات عديدة مع قصة وهب بن عبد الله بن حباب الكلبي، من تقارب واتحاد في الكنى والنسب، وكيفية الجهاد لهما ولزوجتيهما، وكذلك في رجزهما كما سيتضح لك ذلك، وإليك ترجمة ابن عمير وزوجته، ولحوقهما بالحسين(ع).

قال أهل السير، وأرباب المقاتل: كان عبد الله بن عمير بطلاً شجاعاً شريفاً، قد نزل الكوفة واتخذ بها داراً عند بئر الجعد -وهو موضع قرب الكوفة عند النخيلة- فنزلها ومعه زوجته من بني النمر بن قاسط، ويقال لها أم وهب، وسبب لحوقهما بالحسين(ع)، على ما ذكروا: أنه لما رأى عبد الله القوم بالنخيلة يعرضون ليسرحوا إلى قتال الحسين (ع)، فسأل عنهم: لمن يسرحون؟ فقيل له: يسرحون إلى قتال الحسين بن فاطمة بنت رسول الله، فقال: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً، وأنّني لأرجو أن لا يكون جهادي لهؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أيسر ثواباً عند الله إياي في جهاد المشركين.

ثم جاء ودخل على امرأته فاخبرها بما سمع، واعلمها بما عزم عليه من نصرة الحسين والجهاد معه.

فقالت له: أصبت أصاب الله بك أرشد أمورك افعل، وأخرجني معك.

قالوا: فخرج بها ليلاً متخفياً حتى أتى الحسين بكربلاء ليلة الثامن من محرم فأقام معه إلى يوم العاشر.ولما دنا عمر بن سعد ورمى بسهم نحو خيام الحسين، قال: اشهدوا لي عند أمير المؤمنين أني أول من رمى، ورمى أصحابه حتى لم يبق من أصحاب الحسين أحد إلا أصابه من سهامهم، فقال الحسين (ع) لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بد منه فإن هذه السهام رسل القوم اليكم، فحمل أصحابه جميعاً حملة واحدة، واقتتلوا ساعة وقتل في تلك الحملة عدد كبير من أصحاب الحسين.

وبعد هذه الحملة خرج يسار مولى زياد بن أبيه، وسالم مولى عبيد الله بن زياد فطلبا البراز وقالا: من يبارز، ليخرج إلينا بعضكم؟ فوثب حبيب بن مظاهر، وبرير بن خضير ليبرزا إليهما فقال لهما الحسين: إجلسا ولم يأذن لهما.

وانبرى إليهما هذا البطل الشهم عبد الله بن عمير الكلبي فقال: يا أبا عبد الله إئذن لي لأخرج إليهما، فرأى الحسين منه رجلاً حازماً ذو تجارب وبهاء، طويلاَ شديد الساعدين بعيد ما بين المنكبين، فقال (ع): إني لأحسبه للأقران قتالاً، أُخرج إن شئت فخرج اليهما، فقالا له: من أنت؟ فانتسب لهما، فقالا: لا نعرفك ليخرج إلينا زهير بن القين، أو حبيب بن مظاهر، أو برير بن خضير.

هذا ويسار متقدم أمام سالم وقريب منه، فقال له الكلبي: يابن الزانية أو بك رغبة في مبارزتي، ثم شد عليه شدة الليث فضربه بسيفه، وبينما هو مشتغل بقتله إذ شد عليه سالم فصاح أصحاب الحسين: قد رهقك العبد، فلم يعبأ به ولم يبال: فضربه سالم بالسيف فاتقاها عبد الله بيده اليسرى فأطار أصابعها، ثم مال عليه عبد الله فقتله أيضاً، وعجل الله بروحيهما إلى النار، ثم أقبل عبد الله راجعاً إلى الحسين بعد قتلهما معاً وأصابعه مقطوعة، وهو يرتجز أمامه ويقول:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي ... حسبي بيتي في عُليم حسبي

إني امرؤ ذو مرة وعصب[1] ... ولست بالخوار عند الحرب

إني زعيم لك أم وهب ... بالطعن فيهم مقدماً والضرب

قالوا: وأخذت امرأته أم وهب عموداً ثم أقبلت نحوه تشجعه على القتال وهي تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد (ص)، فأراد أن يردها إلى الخيمة فلم تطاوعه، وأخذت تجاذب ثوبه وتقول: لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها

---

(١) المرة بكسر الميم أي صاحب القوة والعصب الشديد والخوار الضعيف والواقع انه كان قوياً في بدنه وعقله ودينه، كما كان سديداً في جهاده وصلابته ومنطقه (رض).

الحسين (ع): جزيتم عن أهل بيت نبيكم خيراً إرجعي إلى الخيمة فإنه ليس على النساء قتال فرجعت.

ورجع الكلبي إلى قتال القوم، وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل رجالاً آخرين، فحمل عليه هاني بن ثبيت الحضرمي وبكير بن حي التميمي فقتلاه.

وخرجت امرأته تمشي إلى زوجها حتى جلست عند رأسه تمسح التراب عنه وتقول: هنيئاً لك الجنة، أسأل الله الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك، وبصر بها الخبيث شمر بن ذي الجوشن فقال لغلامه رستم: إضرب رأسها بالعمود، فضرب رأسها فشرخه فماتت شهيدة مكانها في المعركة[1]. ويقول المؤرخون: إنها أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين في المعركة، ومعنى ذلك أن هناك نساء غيرها من نساء أصحاب الحسين قد استشهدن في المعركة، وبذلك انتهكت سنن القتال التي كانت سائدة في الجاهلية والإسلام من تحريم قتل النساء والأطفال.

نعم أشياع آل أبي سفيان المجرمين ما تركوا جريمة من الجرائم المخالفة للعرف وللإنسانية والإسلام إلا ارتكبوها مع آل الرسول، حتى أنهم بعد قتل الحسين هجموا على النساء والأطفال، وأشعلوا النيران في الخيام، وجعلوا ينتزعون الملاحف من على ظهور الفاطميات وهن يلذن بعضهن ببعض وينادين: وامحمداه واعلياه واحسناه واحسيناه.

وحائرات أطار القوم أعينها ... رعباً غداة عليها خدرها هجموا

---

(١) راجع شهادة عبد الله بن عمير وزوجته في كل من تاريخ الطبري وابن الأثير، على ما نقل عنهما القرشي، في (حياة الإمام) ج٣ ص٢٠٤ و٢١٤ و(أبصار العين) للسماوي ص١٠٦-١٠٧ و (ذخيرة الدارين) ح٢٠٣ -٢٠٥، و(لواعج الأشجان) ص١٤٢ و (مقتل السيد آل بحر العلوم) ص ٢٥٨ وغيرها من المصادر.

المجلس التاسع والثلاثون

بقية بحوث الصلاة، وصلاة الحسين (ع) وأصحابه

تقسيم تارك الصلاة إلى قسمين جاحدٍ ومتكاسل

خسر الذي ترك الصلاة وخابا ... وأبى معاداً صالحاً ومآبا

إن كان يجحدها فحسبك أنه ... أضحى بربك كافراً مرتابا

أو كان يتركها لنوع تكاسل ... غطى على وجه الصواب حجابا

قسم هذا الأديب تارك الصلاة إلى قسمين الأول الذي يتركها جاحداً ومنكراً لوجوبها من الله على عباده. وهذا كافر بالله جاحد لأهم الفرائض والأركان الإسلامية وحكمه في الشرع - إن بقي مصراً على إنكار وجوبها بلا ندم ولا توبة -القتل، لأنه يعتبر مرتداً عن الدين منكراً لضرورية من ضرورياته.

وإن مات على ذلك لا يجوز دفنه في مقابر المسلمين، ويكون مخلداً في النار والعياذ بالله.

والقسم الثاني تارك الصلاة الذي يتركها تكاسلاً عن أدائها والالتزام بإقامتها كما هو شأن الكثير من الناس، وأهل هذا القسم -بلا ريب- ضالون جاهلون، وان استمروا على تركها يستحقون العذاب ودخول النار، أيضاً، فالخسران حاصل للقسمين معاً، وهو في القسم الأول أوكد وأكثر بلا ريب لذا قال هذا الأديب:

خسر الذي ترك الصلاة وخابا ... وأبى معاداً صالحاً ومآبا[1]

---

(١) الأبيات في (المستطرف) لشهاب الدين ج١ ص٧.

فعلى العاقل الذي يحب نفسه ويروم لها النجاة، وعدم الخسران والعذاب أن يندم ويتوب إلى الله توبة صادقة، ويقيم الصلاة بإخلاص فإن الله يقبل توبته، ويعفو عن سيئاته قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئاتِ وَيَعْلَمُ ما تَفْعَلُونَ**﴾ الشورى: ٢٦.

من فوائد الصلاة غفران الذنوب الصغائر

وإن الله سبحانه أوجب الصلاة على المؤمنين بالخصوص لما فيها من الفوائد والمعطيات الكثيرة لهم والتي منها أنها توجب غفران الذنوب وتكفير السيئات والمعاصي، قال أمير المؤمنين (ع) في وصيته بشأن الصلاة مبيناً هذا المعنى: وإنها لتحت الذنوب حت الورق، وتطلقها إطلاق الربق.

الحت لغة: هو تناثر الورق وسقوطه عن الشجر، والمعنى أن الله عز وجل يسقط الذنوب عن الإنسان ببركة الصلاة كما يسقط الورق عن الشجر، والربق هو الحبل الذي يربق به الحيوان أو يكتف به الإنسان، والمعنى أن الإنسان كالمربق والمكتف بذنوبه فإذا أقام الصلاة أطلقه الله تعالى من رباقه وكتافه بغفرانه له ببركة الصلاة، فيا لها من رحمة رحم الله بها عباده.

وقد أقام أمير المؤمنين (ع) على هذا المعنى شاهداً من السنة النبوية حيث قال:

(وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدرن).

الحمة هي كل عين تنبع بالماء الحار التي يستشفي بها الأعلاء والمرضى.

والدرن: الوسخ، والمعنى كما أن من اغتسل في اليوم والليلة خمس مرات في الماء الحار، لا يبقى على بدنه درن ووسخ، فكذا من واضب على الصلوات الخمس لا يبقى عليه من درن الذنوب شيء، قال ابن أبي الحديد: وهذا الخبر من الأحاديث الصحاح، قال صلى الله عليه وآله: أيسرُّ أحدكم أن تكون على بابه حمة يغتسل منها كل يوم

خمس مرات فلا يبقى عليه من درنه شيء؟ قالوا: نعم، قال: فإنها الصلوات الخمس.

الإشارة إلى أوقات الصلوات، وأنها ثلاثة

وكون الصلاة تُسقط الذنوب عمن أقامها، معنى يشير إليه القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ ذلِكَ ذِكْرى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود-١١٥)، وهذه الآية الكريمة من جهة أنها تستعرض أوقات الصلوات الخمس، وان أوقاتها ثلاثة: (طرفي النهار) الطرف الأول من النهار لصلاة الصبح، والطرف الثاني منه لصلاتي الظهر والعصر، ﴿وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ وهو وقت لصلاتي المغرب والعشاء.

وهكذا استعرض الله عز وجل أوقات الصلوات الخمس في سبع سور من القرآن، في إحدى عشرة آية، راجع تفاصيلها في كتابنا (حول الصلاة والجمع بين فريضتين)، وفيها الدلالة الواضحة على أن أوقات الصلوات المكتوبة ثلاثة لا خمسة[1].

وراجع فيه موضوع (الجمع بين الصلاتين مطلقاً في السنة النبوية والإجماع) حيث ذكرنا فيه تواتر الأحاديث تواتراً قطعياً في أن رسول الله (ص) نفسه جمع بين الصلاتين ظهراً وعصراً، ومغرباً وعشاءً، جمع تقديم وجمع تأخير، في الحضر وبدون عذر، كما جمع في السفر، وروت تلك الأحاديث واعترفت بها -مفصلاً ومجملاً- أئمة المذاهب الأربعة، وأصحاب الصحاح الستة وسائر أصحاب المسانيد والسنن وكتب الأحاديث والتفاسير والتاريخ من طرق الفريقين حتى بلغت الإجماع، ذكرنا ذلك بالتفاصيل الكافية والملزمة ص١٣١-١٦٩.

كما ذكرنا (الشبه والتأويلات حول أحاديث الجمع المطلقة ونقضها) وهي ستة شبه، وستة تأويلات، ونقضناها كلها بالأدلة القطعية، وتصريحات أهل السنة أنفسهم،

---

(١) راجع الفصل الثاني من الكتاب.

إلى غير ذلك مما يتعلق بأوقات الصلوات، والجمع بين الصلاتين، والكتاب يحتوي على ٢٨٠ صفحة فراجع.

والآن نعود إلى الآية الكريمة من سورة هود التي ذكرت من جهة أوقات الصلوات الثلاثة بقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾.

ومن جهة ثانية أشارت إلى أن الصلاة تسقط السيئات عن المصلين، بقوله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات) والمراد من الحسنات إنما هي الصلوات الخمس، وأنها تذهب السيئات وتسقطها، كما صرحت بذلك الأحاديث في الصحاح والسنن من الشيعة والسنة.

وإن مثل الصلوات الخمس كمثل النهر الجاري الذي يغتسل منه في اليوم خمس مرات، (ذلك ذكرى للذاكرين) والجدير بالذكر -الذي يلزم التنبيه عليه- أن الذنوب التي تسقطها الصلوات الخمس هي الصغار منها لا الكبائر كما صرح بذلك الصادق الأمين نبينا محمد (ص) حيث قال: الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما لم تجتن الكبائر.

أجل فائدة للصلاة نهيها عن الفحشاء والمنكر، وتحقيقه

وأجل فائدة للصلاة وأنفع ثمرة لها هو ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ﴾ العنكبوت: ٤٦.

ومن هنا قال السيد بحر العلوم (قدس سره) في منظومته الفقهية:

تنهى عن المنكر والفحشاء ... اقصر فهذا منتهى الثناء

وهنا يأتي سؤالٌ يدور على ألسن الكثير من الناس فيقولون: نرى كثيراً من الناس يصلون ولم تنههم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر؟ فالجواب: إن الإنسان لو أقام الصلاة وهو مؤمن بالله عز وجل صادق في إيمانه، وكانت صلاته كما شرعها الله، وكما هي

ثابتة عن النبي (ص) وأهل بيته الأطهار (ع) أي جامعة لشرائط الصحة، وجامعة أيضاً لشرائط القبول من إحضار القلب فيها والتدبر لمعاني ما تضمنته الصلاة من الذكر والقراءة والتسبيح وغير ذلك، لعلم أن الصلاة حقاً تنهى عن الفحشاء والمنكر. فالصلاة -في الحقيقة- هي اعتراف عملي بالإيمان بالله وصفاته ونعمه الذي هو أوكد من الاعتراف القولي، كما أن مطلق الأعمال الصالحة أوكد من الأقوال بها من دون تطبيق لها، ولذلك ورد: أدبوا الناس بأعمالكم قبل أن تؤدبوهم بأقوالكم.

فكل فرد إذا تذكر كل يوم خمس مرات أن هناك رباً له بالمرصاد سميعاً عليماً، وانه المنعم عليه المستحق للحمد والمعبود، الذي لا يعبد غيره ولا يستعان إلا به، وان هناك يوماً يحاسب فيه وتناقش فيه أعماله، ويسأل عن أداء فرائضه ووظائفه كيف يتصور صدور المخالفة عنه، أو يغفل عن حقوق أبناء مجتمعه. وبذلك يظهر له -بوضوح- تفسير الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ وهذا كله بعد المعرفة والإيمان بالله عز وجل وثبوته في قلبه عقيدة صادقة، وإلا لم تنهه صلاته وإن صلى بتدبر لأن الإيمان بالله هو أصل الأصول والأساس الأول لصحة الأعمال وقبولها، قال تعالى: ﴿**قالَتِ الأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ الحجرات: ١٥. ومن هنا لما سأل معاوية بن وهب الإمام الصادق (ع) عن افضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم وأحب ذلك إليه؟ فقال: ما أعلم شيئاً بعد المعرفة افضل من هذه الصلاة، ألا ترى العبد الصالح عيسى بن مريم قال: ﴿**وَأَوْصانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكاةِ ما دُمْتُ حَيًّا**﴾ مريم: ٣٢[1].

أما صلاة هي مجرد لقلقة لسان، وحركات وسكنات خالية من الإيمان الصادق، وغير جامعة للشرائط فهذه ليست إقامة للصلاة الحقيقية بل هي صلاة جاهل مغرور غير عارف تعود عليها، ولذلك فهي لا تنهاه عن فحشاء ولا منكر.

---

(١) راجع (فروع الكافي) ج٣ ص٢٦٤ رقم ١.

أما صلاة المؤمنين الصادقين العارفين فإن صلاتهم تنهاهم عن الفحشاء والمنكر وهما مِنْ كبائر الذنوب، وتُسقط عنهم الصغائر وتكفرها لأنهم لا يصرون عليها، وهم غير معصومين -غالباً- عنها ومن هنا قال أمير المؤمنين (ع) في وصيته: (وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال) يقول الله سبحانه: ﴿**رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ**﴾.

فالمؤمنون هم الذين يعرفون حق الصلاة وأهميتها وعظيم فوائدها وينتفعون بها في دينهم ودنياهم، ولو لم يكن من فضلها إلا ما ورد في الكتاب العزيز من تكرار ذكرها وتأكيد الوصاية بها والمحافظة عليها لكان بعضه كافياً، كيف وقد ذكرها الله في القرآن بلفظ (الصلاة) غير ما ذكرها بلفظ التسبيح والذكر أو غير ذلك - في مائة مقام أو أكثر، ولما كان رسول الله هو أعرف خلق الله بالله لذا كان (ص) تعباً في الصلاة، كما قال أمير المؤمنين (ع): (وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصباً بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها**﴾، فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه.

إقامة أمير المؤمنين وابنه الحسين (ع) الصلاة في أحرج الأوقات:

وفي طليعة أهله الذين كان رسول الله (ص) يأمرهم بالصلاة عليٌّ أمير المؤمنين الذي هو نفسه في آية المباهلة، والمسارع إلى اقتفاء أثره، فقد أقام الصلاة في أحرج الظروف في ليلة الهرير بصفين. يقول ابن أبي الحديد في شرح النهج: وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه وتمر على صماخيه يميناً وشمالاً فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته..الخ[1]

---

(١) راجع شرح النهج م١ ص٩.

وهذا سبط رسول الله وريحانته الحسين (ع) يقتدي بأبيه ويستجيب لجده (ص) فيقيم الصلاة يوم عاشوراء، والأعداء محيطون به من كل جانب، ومع ذلك يصلي بأصحابه صلاة الخوف كما شرعها الله في كتابه، فيا شيعة علي والحسين حافظوا على صلواتكم واقتدوا بأئمتكم إن كنتم شيعة لهم.

أبو ثمامة الصائدي والصلاة

انظروا إلى هذا البطل المتفاني في سبيل الله، المقتدي بعلي وابنه الحسين (ع) واهتمامه بالصلاة في الظروف الحرجة وهو أبو ثمامة الصائدي الهمداني أحد أصحاب الحسين المستشهدين بين يديه، والذي كان من فرسان العرب ووجوه الشيعة ومن أصحاب أمير المؤمنين (ع)، وقد شهد معه مشاهده كلها الجمل وصفين والنهروان، ثم صحب الحسن بعده.

وهو ممن كاتب الحسين يطلب منه القدوم إلى الكوفة، ولما جاء مسلم بن عقيل قام معه وصار يقبض الأموال بأمر مسلم فيشتري بها السلاح وهو بصير في ذلك، وما زال معه حتى تفرق الناس عنه فاختفى أبو ثمامة عند قومه، ثم خرج من الكوفة متخفياً حتى لحق بالحسين في الطريق قبل أن يصل إلى كربلاء.

وبقي معه ملازماً إلى أن صار يوم عاشوراء، وقتل من أصحاب الحسين(ع)، يقول أرباب السير والمقاتل: ولما رأى أبو ثمامة الشمس قد زالت وان الحرب قائمة جاء إلى الحسين (ع) قائلاً له: يا أبا عبد الله نفسي لنفسك الفداء أن أرى هؤلاء الأعداء قد اقتربوا منك ولا والله لا تقتل حتى أُقتل دونك إن شاء الله، ولكني أُحب أن ألقى الله ربي وقد صليت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها، فرفع الحسين (ع) رأسه، ثم اقبل عليه قائلاً: ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين.

نعم هذا أول وقتها، ثم قال الحسين لأصحابه سلوا القوم أن يكفوا عنا حتى نصلي لربنا فسألوهم فلم يستجيبوا لهم، فصاح الحسين بعمر بن سعد: يا بن سعد

أنسيت شرائع الإسلام أقصر عن الحرب حتى نصلي وتصلي بأصحابك ونعود إلى ما نحن إليه من الحرب، فاستحى ابن سعد أن يجيبه، فناداه الحصين بن نمير: صل يا حسين ما بدا لك فإن الله لا يقبل صلاتك، فأجابه حبيب بن مظاهر: ثكلتك أمك لا تقبل صلاة ابن رسول الله وتقبل منك يا حمار، أو قال: وتقبل منك يا خمّار.

وأخيراً تقدم الحسين (ع) إلى الصلاة وقال لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي: تقدما أمامي حتى أصلي الظهر، فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه وصلى بهم صلاة الخوف.

دفاع سعيد بن عبد الله الحنفي عن الحسين (ع) في الصلاة حتى الشهادة

وتقدم سعيد أمام الحسين فاستهدفوه يرمونه بالسهام وكلما جاءت السهام نحو الحسين يميناً وشمالاً، قام بين يديه يتلقى النبال بنحره وصدره حتى اثخن بالجراح، وما أن فرغ الحسين من صلاته حتى سقط على الأرض صريعاً وهو يقول: اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللهم ابلغ نبيك عني السلام وابلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت بذلك ثوابك في نصرة ذرية نبيك محمد (ص) ثم التفت إلى الحسين قائلاً: أوفيت يا بن رسول الله؟

قال الحسين: نعم أنت أمامي في الجنة، فقضى نحبه (رض) شهيداً وقد تخرق جسده من السهام والرماح والسيوف، حيث وجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح، وهذا هو الوفاء الذي لا يبلغه الإطراء والثناء[1].

---

(١) راجع ترجمة ابي ثمامة وما يتعلق بالصلاة (أبصار العين) للسماوي ص٦٩ و (ذخيرة الدارين) ص٢٤٥ و (مقتل السيد بحر العلوم) ص٥٣٣ نقلاً عن تاريخ الطبري وابن الأثير وغيرهما ومقتل الخوارزمي ج٢ ص١٧ وسائر كتب السير والمقاتل.

الحسين (ع) يحرض بقية أصحابه على الشهادة

ولما فرغ الحسين (ع) من الصلاة قال لبقية أصحابه: يا كرام، هذه الجنة قد فتحت أبوابها، واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها، وزينت قصورها، وتألّفت ولدانها وحورها، وهذا رسول الله (ص) والشهداء الذين قتلوا معه في سبيل الله يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم وهم مشتاقون إليكم، فحاموا عن دين الله، وذبوا عن حرم رسول الله(ص)، ثم صاح بأهله ونساءه، فخرجت حرائر الرسالة وبنات الزهراء من خيامهن وصحن: يا معشر المسلمين ويا عصبة المؤمنين حاموا عن دين الله ودين نبيه، وذبوا عن حرم رسول الله وعن إمامكم وابن بنت نبيكم فقد امتحنكم الله بنا فأنتم جيراننا وفي جوار جدنا والكرام علينا وأهل مودتنا، فدافعوا بارك الله فيكم عنا، فعند ذلك بكى الحسين وقال: يا أمة القرآن هذه الجنة فاطلبوها، وهذه النار فاهربوا منها.

فأجابوا بالتلبية وضجوا بالبكاء والنحيب، قالوا: أنفسنا دون أنفسكم ودماؤنا دون دمائكم، فوالله لا يصل إليكم أحد بمكروه وفينا عرق يضرب.

مصرع أبي ثمامة

وأوّل من برز -بعد صلاة الظهر- أبو ثمامة، فقد جاء إلى الحسين ووقف أمامه وقال: يا أبا عبد الله أني قد هممت أن الحق بأصحابي وكرهت أن أتخلف وأراك وحيداً من أهلك قتيلاً. فقال له الحسين تقدم فإنّا لاحقون بك عن ساعة، فتقدم أمام الحسين فقاتل حتى أثخن بالجراح، ثم قتل شهيداً رضوان الله عليه.

وجعل أصحاب الحسين يسارعون إلى القتل بين يديه واحداً بعد واحد حتى قتلوا بأجمعهم

بنفسي كراماً سخت بالنفوس ... بيوم سمت فيه أمثالها

وخفوا سراعاً لنصر الحسين ... وقد أبدت الحرب أثقالها

إلى أن أبيدوا بسيف العدى ... ونال السعادة من نالها

الإسلام واتباع أهل البيت (عليهم السلام)

الحلقة (١٣)

المجالس الحسينية

دراسات موضوعية في الإمام الحسين [ع] وعشرة محرم
وهي حصيلة ٧٠ عاماً في خدمة المنبر الحسيني

الجزء الثالث

تأليف

العلامة الخطيب الشيخ عبد اللطيف البغدادي

مؤسسة البلاغ

الفصل السابع

ما يتعلق بشؤون أبي الفضل العباس (ع) وأولاده، وأخوته، وأمهاتهم

المجلس الأربعون

ترجمة العباس (ع) وأشقائه الثلاثة، وأمهم .

أحـــق الـــناس أن يُـــبكى علـــيه ... بدمـــع شـــابه علـــق الدمـــاء

بجنـــب العلقمـــي ســـريّ فهـــر ... فـــتى أبكـــى الحســـين بكـــربلاء

أخـــوه وابـــن والـــده علـــي ... هزَبْـــر الملـــتقى رب اللـــواء

صـــريعاً تحـــت مشـــتبك المواضـــي ... أبـــو الفضـــل المضـــرج بالدمـــاء

ومـــن واســـاه لا يثنـــيه شـــيء ... مـــن ابـــن المصـــطفى عـــند الـــبلاء

وقـــد ملـــك الفـــرات فـــلم يذقـــه ... وجـــاد لـــه عـــلى عطـــشٍ بمـــاء[1]

---

(١) ثلاثة من هذه الأبيات وهي الأصل للفضل بن محمد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب يرثي بها جده العباس (ع)، وقد شطرها الأديب البارع الشيخ محمد علي الأردبادي على ما ذكر شيخنا الأميني في (الغدير) ج٣ ص٥، ونص العلامة آل بحر العلوم في (المقتل) ص٤٠٢ أن الأبيات الثلاثة الأصل نسبها إلى الفضل كل من الأميني في (الغدير) والعمري صاحب (المجدي) و(عيون الأخبار في فنون الآثار) ص١٠١، كما ذكر الأبيات أبو الفرج في (مقاتل الطالبيين) ص٥٩ من دون تصريح بقائلها.

ولادته، ونسبه الوضاء

ولد أبو الفضل العباس (ع) في المدينة المنورة، يوم الجمعة في الرابع عشر من شعبان[1] سنة ست وعشرين من الهجرة[2].

أبوه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأفضل خلق الله بعد رسول الله خاتم النبيين (ص)، وأمه - وأم أشقائه - فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر - المعروف بالوحيد - بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وأمها ثمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب، فهي كلابية عامرية من جهة الأب والأم.

وكانت تكنى بأم البنين قبل تزويجها بأمير المؤمنين (ع) لأنها من بيت (أم البنين العامرية) وليس في العرب أشجع من آبائها وسائر قومها كما ذكر عامة المؤرخين، وهي من بيت كرم وشجاعة وفصاحة ومعرفة، وآباؤها من سادات العرب وزعمائهم وشعرائهم.

مدح عقيل لآباء أمه أم البنين في الشجاعة

وقد تزوجها أمير المؤمنين (ع) بإشارة من أخيه عقيل على ما روى علماء التاريخ والنسب أن أمير المؤمنين علياً (ع) قال لأخيه عقيل وكان نسابة عالماً بأنساب العرب وأخبارهم: انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلاماً فارسا.

وفي نص: أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والنسب والحسب والشجاعة لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا، (وأشار إلى

---

(١) راجع كتاب (زينب الكبرى) للنقدي ص١٠، و(بطل العلقمي) للمظفري ج٢ ص٦، و(العباس بن أمير المؤمنين) للمقرم ص٧٤.

(٢) (عمدة الطالب) ص٣٥٦ للسيد الداوودي وغيره، وهو المشهور، أن عمره يوم الطف ٣٤ سنة، فتكون ولادته سنة ٢٦ هجرية.

الحسين) يواسيه في طف كربلاء[1].

فقال له: أين أنت - يا أخي - عن فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها ولا أفرس، وفي آبائها يقول لبيد للنعمان بن المنذر ملك الحيرة:

نحن بنو أم البنين الأربعة ونحن خير عامر بن صعصعة

الضاربون الهام وسط المعمعة

فلا ينكر عليه أحد من العرب، ومن قومها ملاعب الأسنّة أبو براء الذي لم يعرف في العرب مثله في الشجاعة، والطفيل فارس قرزل، وابنه عامر فارس المزنوق.

فتزوجها أمير المؤمنين (ع) وولدت له وأنجبت[2].

أعلمية أبيه أمير المؤمنين (ع) بكل علم

وهنا قد يُتساءل ويقال: لم رجع أمير المؤمنين (ع) إلى أخيه عقيل واعتمد عليه في أن يختار له امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب؟ وهل كان عقيل أعلم منه في علم الأنساب حتى يرجع إليه؟ في حين هو الذي يقول فيه رسول الله الصادق الأمين (ص): علي أعلم الناس بالله والناس[3].

وعلي هو الذي كان يقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإن عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب، ومولد الإسلام ومولد الكفر، وأنا

---

(١) راجع (بطل العلقمي) للمظفري ج١ ص٩٧ نقلاً عن (أسرار الشهادة) للدربندي ص٣١٨ والعباس للمقرم ص١٠٧ عن (الكبريت الأحمر) ج٣ ص١٤٤. و(أسرار الشهادة).

(٢) راجع كتاب (عمدة الطالب) للسيد الداوودي ص٣٥٦ و(أبصار العين) للسماوي ص٢٦، و(ذخيرة الدارين) للسيد عبد المجيد ص١٤٢ وغيرها كثير.

(٣) راجع كتاب (حياة أمير المؤمنين) للعلامة السيد محمد صادق الصدر ص٨ نقلاً عن (منتخب كنز العمال) للشيخ على المتقي الهندي الحنفي ج٥ ص٣٣ مطبوع مع (المسند) مسنداً عن سلمان الفارسي.

صاحب الميسم، وأنا الفاروق الأكبر ودولة الدول، فاسألوني عما يكون إلى يوم القيامة وعما كان قبلي وعلى عهدي وإلى أن يعبد الله[1].

ويؤيد قوله، وقول النبي (ص) فيه قول الله عزوجل مخاطباً رسوله (ص): ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة: ١٠٥.

والمراد من (المؤمنون) في هذه الآية الكريمة ـ بالقطع واليقين ـ انما هم علي والأئمة الأحد عشر من بعده (ع) حيث تعرض عليهم صحائف الأعمال بأسرها خيرها وشرها. وبذلك يعرفون جميع العباد خيارهم من شرارهم، إذ هم الذين اختارهم الله بعد رسوله (ص) فجعلهم خلفاءه في أرضه وحججه على عباده، وشهداء على خلقه يوم القيامة[2].

وأولهم وأفضلهم هو علي أمير المؤمنين (ع) فهو ـ بلا ريب ـ أعلم من أخيه عقيل وغير عقيل بكل علم ومنه علم الأنساب.

الحِكَم في رجوع أمير المؤمنين (ع) لأخيه لاختيار من يتزوجها

ولكن علياً (ع) رجع إلى أخيه عقيل في أن يختار له امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأسباب وحكم.

منها انه (ع) يعلم أن عقيلاً ـ وهو الخبير بعلم الأنساب ـ سوف لا يختار له إلا المرأة التي هو يريدها في نفسه، ويعرف نسبها وبطولة آبائها دون غيرها. وبذلك يثبت للناس اختصاص أخيه عقيل بعلم الأنساب حتى لا يطعنوا فيه وفيما يدعيه ويقوله من معارفه

---

(١) راجع (مناقب ابن شهر آشوب) ج٢ ص٣٩.

(٢) لنا بحوث إضافية مفصلة حول هذه الآية الكريمة، وغيرها من الآيات التي تتعلق بشهادة النبي (ص) والأئمة (عليهم السلام) من بعده على الناس وينابيع علومهم المنوعة في كتابنا (التحقيق في الإمامة وشؤونها).

بمناقب أنسابهم ومثالها، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى كأنه أراد (ع) أن يبين للناس ويرشدهم - إرشاداً عملياً - إلى أن الرجل إذا أراد التزويج ينبغي له أن يختار المرأة الشريفة، ومن بيت شريف، وأن يتعرف على ذلك من طريق أهل الخبرة لأن للزوجة الأثر التام في نجابة أولادها.

ومن هنا ورد عن النبي (ص) أنه قال: إياكم وخضراء الدمن. قيل له: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء[1].

والدمن هو مجمع الأرواث والأبعار والأبوال حيث قد تنبت فيه بقلة خضراء، وأصل هذه البقلة من هذه الأرواث، فكذلك المرأة الحسناء إذا كانت من بيت غير شريف مثلها كمثل البقلة الخضراء النابتة في الدمن.

ومن ذلك أيضاً قوله (ص): اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين[2].

وفي حديث ثالث قال (ص): الناس معادن، والعرق دساس، وأدب السوء كعرق السوء[3].

إلى غير ذلك من الأحاديث الأخر. وأصل ذلك كله في القرآن المجيد حيث يقول الله عز من قائل: ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَباتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً**﴾ الأعراف/٥٨.

ومن جهة ثالثة لعل أمير المؤمنين (ع) رجع إلى أخيه عقيل في أن يختار له امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب حتى إذا اختار له التي هو قد اختارها في نفسه يكلفه بأن يكون هو الخاطب لها من أبيها وأهلها، كما جاء في بعض النصوص أنه (ع) قال له:

---

(١) راجع (بطل العلقمي) ج١ ص١٨٧ للمظفري نقلاً عن (فروع الكافي) للكليني ج٢ ص٥ بأسناده ونقله عن الكليني الحر العاملي في (وسائل الشيعة) ج٣ ص٦.

(٢) راجع المصادر السابقة.

(٣) (بطل العلقمي) ج١ ص١٨٦ نقلاً عن (تذكرة الحفّاظ) للذهبي ج٢ ص٥٧.

أريد منك أن تخطب لي امرأة ..الخ. وبالفعل خطبها عقيل لأخيه، واستر بذلك أبوها وأهلها سروراً بالغاً بمصاهرة أمير المؤمنين لهم..

ولما تزوجها ازدادت شرفاً على شرفها حتى أصبحت من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل البيت (ع) مخلصة في ولائهم ومحبتهم، وكان لها عندهم الجاه الوجيه والمحل الرفيع، كما أنها كانت فصيحة بليغة لسنة، ذات زهد وورع وتقى وعبادة، ولإكبارها وجلالتها زارتها زينب الكبرى بعد منصرفها من واقعة الطف، كما كانت تزورها أيام العيد[1].

وبلغ من عظمتها ومعرفتها وتبصرها بمقام أهل البيت (ع) انها لما أدخلت على أمير المؤمنين (ع) وكان الحسنان مريضين أخذت تلاطفهما بالقول وتلقي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع القلوب، وما برحت على ذلك تحسن السيرة معهما وتخضع لهما، وترق عليهما كالأم الحنون[2].

ولابدع في ذلك حيث صارت ضجيعة شخص الإيمان، قد استضاءت بأنواره وربيت في روضة أزهاره، واستفادت من معارفه وتأدبت بآدابه، وتخلقت بأخلاقه، وقد أنجبت له من الأولاد الذكور أربعة.

قال الحجة الشيخ هادي آل كاشف الغطاء فيها وفي أبنائها وآبائها.

أم البنين طابت الأبناء ... منك كما قد طابت الآباء

أم الأسود من بني عمر العلا ... أم الحماة والأباة النبلا

أم أبي الفضل وأم جعفر ... وأم عبد الله شبل حيدر

وأم عثمان الذي سماه ... باسم ابن مضعون الأب الاواه

---

(١) كتاب (زينب الكبرى) للنقدي ص١٤. و(العباس بن أمير المؤمنين) للسيد المقرم ص٧٢ نقلاً عن مجموعة الشهيد الأول.

(٢) السيد المقرم في المصدر السابق ص٧٣.

وأول أبنائها وأجلهم هو أبو الفضل العباس الذي ما تزوج أمير المؤمنين بأمه إلا لأجله، إذ هو المقصود بقوله (ع) لأخيه عقيل: أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذي البيوت والشجاعة لكي أصيب منها ولداً شجاعاً وعضداً ينصر ولدي الحسين بطف كربلاء.

ولما ولدته جاء أمير المؤمنين إلى الدار وقد أحضر ولده المحبوب عنده فأجرى له مراسيم السنة النبوية فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، وسماه العباس لعلمه (ع) بشجاعته وسطوته، وعبوسته في قتال الأعداء ومقابلة الخصماء.

وفي اللغة: عباس كشداد اسم للأسد الضاري.

إخبار أمير المؤمنين (ع) بقطع يديه في نصرة أخيه

وذكر صاحب (كتاب قمر بني هاشم) ص٢١: - أن أم البنين رأت أمير المؤمنين في بعض الأيام أجلس أبا الفضل (ع) على فخده وشمر عن ساعديه وقبلهما وبكى، فأدهشها الحال لأنها لم تكن تعهد صبياً بتلك الشمائل العلوية ينظر إليه أبوه ويبكي من دون سبب ظاهر، ولما سألت عن سبب ذلك أوقفها أمير المؤمنين على غامض القضاء وما يجري على يديه من القطع في نصرة أخيه الحسين (ع) فعندها بكت وأعولت، وشاركها من في الدار بالحسرة والزفرة، غير أن سيد الأوصياء بشرها بمكانة ولدها العزيز عند الله جل شأنه وما حباه عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة، كما جعل ذلك لعمه جعفر بن أبي طالب (ع) فعندها قامت وهي تحمل بشرى الأبد والسعادة الخالدة[2].

---

(١) المقبولة الحسينية ص٥١.

(٢) راجع كتاب (العباس بن أمير المؤمنين) للسيد المقرم ص٧٥.

نشأته في ظل أبيه وأخويه الحسنين (ع)

نشأ أبو الفضل العباس في بيت الإمامة الإلهية وترعرع في أكنافها، وتربى في مدرسة أبيه أمير المؤمنين (ع) الذي هو باب مدينة علم الرسول الأعظم (ص) وظل ربيب ذلك البيت الرفيع مع أبيه طيلة أربعة عشر عاماً، في ذلك البيت الذي يقول فيه العلامة السيد محمد حسين كيشوان (رهَ) في بعض قصائده العصماء:

بيتٌ علا سمك الضراح رفعة ... فكان أعلى شرفاً وأمنعا

أعزه الله فما تهبط في ... كعبته الأملاك إلا خضعا

بيت من القدس وناهيك به ... محط أسرار الهدى وأرفعا

وكان مأوى الملتجى والمرتجى ... فما أعز شأنه وأمنعا[1]

روي أن أباه علياً أمير المؤمنين (ع) دعاه يوماً وهو صغير فأجلسه في حجره وقال له: يا بني قل: (واحد) فقال: واحد، فقال له: قل (اثنين) فامتنع عن ذلك، وقال: يا أبا إني أستحي أن أقول: اثنين بلسان قلت به واحد[2].

وقد أشار بذلك أن الوحدانية لا تليق إلا بفاطر السماوات والأرضين، وأني لا أشرك به أبداً، وهو القائل ﴿**لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتا**﴾ الأنبياء: ٢٣.

وبعد وفاة أبيه لازم الحسن الزكي طيلة عشر سنوات تقريباً ينهل من فيض علومه الزاخرة، ثم لازم أخاه الحسين الشهيد طيلة عشر سنوات أخر أو إحدى عشرة سنة يقتبس منه أنواع العلوم والمعارف، ويتحلى بالسؤدد والإباء حتى آخر يوم من عمره الشريف يوم عاشوراء فكان عمره يوم شهادته أربعاً وثلاثين سنة.

وناهيك بمن يولد وينشأ في حجر وكنف أمير المؤمنين وسيد الوصيين، ويعايش

---

(١) راجع المصدر السابق ص٩١، و(مقتل السيد آل بحر العلوم) ص٤٠٨.

(٢) المصدرين السابقين نقلاً عن خاتمة المستدرك للعلامة النوري ج٣ ص٨١٥ نقلاً عن مجموعة الشهيد الأول، ويرويه أيضاً أخطب خوارزم الحنفي في (مقتل الحسين) ج١ ص١٢٢.

حياة سيدي شباب أهل الجنة. ويتتلمذ على يديهما السخيتين بالعطاء والمعرفة، وينتهل من علمهما الذي ينبع من معدن النبوة. ومهبط الوحي المبين.

ومن هنا ورد في حقه عن أبيه أمير المؤمنين وعن الإمام الصادق (عليهما السلام): أن العباس بن علي زق العلم زقا[1].

أولاده وأحفاده

وتزوج العباس (ع) بزوجتين الأولى لبابة المكناة بأم الفضل بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، والثانية أم ولد.

وأعقب من الأولاد الذكور - على ما يستفاد من أقوال بعض المؤرخين - خمسة وهم: عبيد الله، والفضل وأمهما لبابة[2].

والحسن[3] والقاسم ومحمد وأمهم أم ولد[4].

واتفق عامة المؤرخين وأرباب النسب والمقاتل أن عقب العباس المتصل والباقي منحصر في ابنه عبيد الله الذي أمه لبابة.

وكان عبيد الله هذا طفلاً صغيراً بقي عند أمه في المدينة، ورباه الإمام زين

---

(١) (راجع مقتل آل بحر العلوم) ص٤٠٩ نقلاً عن (أسرار الشهادة) للدربندي ص٣٢٤، وكذلك في (مقتل الحسين) للمقرم ص٩٤.

(٢) ذكر الفضل صاحب (ناسخ التواريخ) والعزيزي في هامش (مقاتل الطالبيين) راجع (المصدرين السابقين).

(٣) ذكرة الفتوني في (حديقة النسب) وابن قتيبة في (المعارف) ص٩٦ راجع (مقتل آل بحر العلوم) ص٤١٥ (ومقتل المقرم) ص١٩٥.

(٤) القاسم، ومحمد استشهدا بطف كربلاء ونص على شهادتهما أبو إسحاق الأسفرائيني في (نور العين) ص٢٠ والنسابة صاحب (مطلوب كل طالب) والقائني في (الكبريت الأحمر) راجع (بطل العلقمي) للمظفري ج٣ ص٤٣٣. كما نقل شهادة محمد عن كل من ابن شهر آشوب في (المناقب) ص١١٢. والمجلسي في (البحار) والدربندي في (أسرار الشهادة)..

العابدين(ع) وكانت له منزلة كبيرة ومقام سام، وقد اعتنى بتثقيفه حتى صار رجلاً جليلاً فاضلاً وزوجه الإمام ابنته خديجة، كما زوجه أيضاً بثلاث حرائر من بنات الأشراف لتنمية نسله كرامة لعمه العباس (ع) ولمواقفه يوم الطف.

وأعقب عبيد الله أولاداً، وانحصر عقبه بولده الحسن بن عبيد الله بن العباس الذي عاش ٦٧ عاماً.

وأعقب الحسن هذا من الأولاد الذكور خمسة، وهم الفضل، وحمزة، وإبراهيم، والعباس، وعبيد الله، وكلهم علماء فقهاء، وأجلاء أدباء، يذكر لهم المؤرخون والنسابون تراجم تدل على تفوقهم على كثير من أهل زمانهم في العلم والأدب.

وهكذا بقي عقب العباس خالداً ما خلد الدهر منتشراً في الأقطار والأمصار من العراق. واليمن، والهند، وطبرستان، والشام، ومصر وغيرها من البلدان الإسلامية.

أشقاؤه الثلاثة وشهادتهم يوم الطف

أما أشقاؤه الثلاثة عبد الله، وعثمان، وجعفر، فلم يكن لهم عقب، وكلهم استشهدوا يوم الطف بين يدي أخيهم الحسين (ع).

وأكبرهم بعد العباس (ع) هو عبد الله، ولد بعد أخيه بنحو سبع سنين، بقي مع أبيه حوالي خمس سنين، ومع أخويه الحسن والحسين حوالي عشرين سنة، فكان عمره يوم الطف خمساً وعشرين سنة.

وقد جاء ذكره والسلام عليه، وعظيم موقفه يوم الطف في الزيارة التي وردت عن الإمام المهدي حيث قال (عجل الله فرجه) : السلام على عبد الله بن أمير المؤمنين مبلي البلاء، والمنادي بالولاء في عرصة كربلاء والمضروب مقبلاً ومدبراً، لعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرمي.

وأما عثمان فقد ولد بعد أخيه عبد الله بنحو سنتين وبقي مع أبيه حوالي ثلاث

سنين، ومع أخويه الحسن والحسين حوالي عشرين سنة، فكان عمره يوم الطف ثلاث وعشرين سنة.

وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: سميته عثمان باسم عثمان بن مضعون أخي، وعثمان بن مضعون هو أحد أصحاب النبي (ص) المخلصين المجاهدين.

وقد جاء ذكر عثمان بن أمير المؤمنين، والسلام عليه، وأنه سميٌّ عثمان بن مضعون في الزيارة التي وردت عن الإمام المهدي حيث قال (عجل الله فرجه): السلام على عثمان بن أمير المؤمنين سمي عثمان بن مضعون، لعن الله راميه بالسهم خولي بن يزيد الأصبحي.

وأما جعفر فقد ولد بعد أخيه عثمان بنحو سنتين وبقي مع أبيه حوالي السنة، ومع أخويه الحسن والحسين (عليهما السلام) حوالي عشرين سنة، فكان عمره يوم الطف نحو إحدى وعشرين سنة.

وروي أن أمير المؤمنين سماه باسم أخيه جعفر الطيار لحبه إياه، وقد جاء ذكره والسلام عليه وعظيم موقفه يوم الطف في الزيارة التي وردت عن الإمام المهدي حيث قال (عجل الله فرجه): السلام على جعفر بن أمير المؤمنين الصابر بنفسه محتسباً، والنائي عن الأوطان مغترباً، المستسلم للقتال، المستقدم للنزال، المكثور بالرجال، لعن الله قاتله هاني بن ثبيت الحضرمي.

دعوته لهم إلى الشهادة

وهؤلاء الثلاثة دعاهم أخوهم أبو الفضل العباس إلى الشهادة، والقتال بين يدي أخيهم الحسين (ع) واحداً بعد واحد ليحتسبهم عند الله تعالى وليرى نصيحتهم لله ورسوله (ص) قائلاً: تقدموا أمامي يا بني أمي حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله فإنه لا ولد لكم[1].

---

(١) (الإرشاد للمفيد) ص٢٥٥، و(مثير الأحزان) لابن نما، و(إعلام الورى للطبرسي) ص٢٤٣.

وفي نص قال: تقدموا بنفسي أنتم وحاموا عن سيدكم حتى تموتوا دونه، فتقدموا جميعاً فضاربوا أمام الحسين (ع) بوجوههم ونحورهم حتى قتلوا[1].

وآخر مَن قتل منهم جعفر، وقد قال له أبو الفضل: تقدم إلى الحرب حتى أراك قتيلاً كأخويك فأحتسبك كما احتسبتهما فإنه لا ولد لكم.

أم البنين ورثاؤها لأبنائها

وكانت أم البنين فاطمة بنت حزام تخرج إلى البقيع كل يوم بعد واقعة الطف، وتحمل معها عبيد الله بن العباس فترثي أولادها الأربعة وتندبهم بأشجى ندبة وأحرقها ويجتمع لسماع رثائها أهل المدينة وفيهم العدو اللدود لأهل البيت مروان بن الحكم ويبكون لشجيّ الندبة ورقيق الرثاء[2].

ومن رثائها لأبنائها قولها:

يا من رأى العباس كرّ ... على جماهير النقد
ووراه من أشبال حيْ ... دَر كل ليث ذي لبد
أنبئت أن ابني أُصيـ ... ـب برأسه مقطوع يد
ويلي على شبلي أما ... ل برأسه ضرب العمد
لو كان سيفه في يدي ... ـه لما دنا منه أحد

وقولها:

لا تدعوني ويك أم البنين ... تذكريني بليوث العرين
كانت بنون لي أدعى بهم ... واليوم أصبحت ولا من بنين
أربعة مثل نسور الربى ... قد واصلوا الموت بقطع الوتين

---

(١) راجع (بطل العلقمي) ج٢ ص١٨٦ نقلاً عن (الأخبار الطوال) لأحمد بن داود الدينوري ص٢٥٤.

(٢) راجع (مقاتل الطالبيين) ص٦٠، و(البحار) ج٤٥ ص٤٠.

تـــنازع الخرصـــان أشـــلائهم فكـــلهم أمســـى صـــريعاً طعـــين

يـــا ليـــت شـــعري أكمـــا أخـــبروا بـــأن عباســـاً قطـــيع الـــيمين[1]

(١) (أبصار العين) للسماوي ص٣٢، ونقلها عنه السيد آل بحر العلوم في (مقتل الحسين (ع) ص٤٢٨.

المجلس الحادي والأربعون

العباس (ع) والعلم، وشهادات أهل البيت في حقه

هـــذب الـــنفس بـــالعلوم لترقـــى ... وتـــرى الكـــل فهـــي للكـــل بيـــت

إنمـــا الـــنفس كالـــزجاجة والـــ ... عقـــل ســـراج وحكمـــة الله زيـــت

فـــإذا أشـــرقت فـــإنك حـــي ... وإذا أظلمـــت فـــإنك ميـــت[1]

أفضلية العلم والعلماء بالأدلة

ثبت عند كل ذي لبٍ وعقل أن العلم أشرف وأفضل من كل شيء مدرك بالعقل، واستدلوا على ذلك من الطرق الثلاثة العقل، والكتاب، والسنة.

أما تفضيله من جهة العقل فإن المدركات به تنقسم إلى قسمين، إلى موجود ومعدوم، ولا ريب أن الموجود أشرف وأفضل من المعدوم لترتيب الأثر عليه، والموجود ينقسم إلى حساس وغير حساس، ولا ريب أن الحساس أفضل وأشرف لكونه واجداً للحساسية، والحساس ينقسم إلى عاقل وغير عاقل، ولا ريب أن العاقل أشرف وأفضل لكونه واجد العقل، والعاقل ينقسم إلى عالم وجاهل، ولا ريب أن العالم أشرف وأفضل لكونه واجد العلم.

فصار العالم - بسبب العلم - أشرف وأفضل من كل شيء مدرك بالعقل.

ولعل إلى هذا الدليل يشير القرآن المجيد بقوله عز من قائل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

---

(١) الأبيات لابن سينا.

﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾ الزمر/ ١٠.

والجدير بالذكر الذي يلزم التنبيه عليه هو:

إن المقصود من العالم العاقل المفضل على المدركات كلها إنما هو الإنسان المستضيء بنور عقله، العامل بمفاد علمه، أما إذا كان الإنسان ـ بالعكس ـ مُخلّفاً عقله وراء ظهره، وتاركاً للعمل بمفاد علمه فهذا لا قيمة له ولا قدر، بل هو أقل قدراً من البهيمة، والى أمثال هؤلاء يشير بل يصرح القرآن المجيد بقوله عز من قائل ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ الفرقان/ ٤٥.

ويقول فيهم الشاعر الحكيم:

قالوا فلان عالم فاضل ... فأكرموه مثل ما يقتضي

فقلت لما لم يكن عاملاً ... تعارض المانع والمقتضي

ويقول إمامنا أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه:

وان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم[1].

فهذه أدلة العقل على تفضيل العلم.

وأما تفضيله من الكتاب فقد جعل الله نعمة العلم مقترنة بنعمة الإيجاد في سورة العلق في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ❖ خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ❖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ❖ عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾ العلق/ ١-٦.

وهذا أول ما نزل من الكتاب على النبي (ص) فانظر كيف افتتح سبحانه وتعالى

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد م٢ ص٢٣٧.

كتابه العزيز بذكر نعمة الإيجاد وأتبعها بذكر نعمة العلم ليبين للإنسان أن العلم هو النعمة الكبرى المقترنة بنعمة الإيجاد، فذكر تعالى أولاً حالة الإنسان وهي كونه في مبدأ أمره علقة، والعلقة دويبة سوداء شبه الدودة، فهو بمكان من الخساسة والضعة، وأخر حالته وهي صيرورته عالماً، وذلك غاية الكمال والرفعة.

ويكفينا برهاناً على شرف العلم وعظمته أن الله أمر نبيه محمد (ص) بزيادة طلب العلم مع ما أعطاه الله من العلم والحكمة فقال سبحانه وتعالى مخاطباً له ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ طه/ ١١٥.

وأما السنة فهي تابعة للكتاب والعقل في تفضيل العلم والعلماء، قال (ص): أفضل الناس المؤمن العالم الذي إن احتيج إليه نفع، وإن استغني عنه أغنى نفسه.

وقال (ص): خير الناس من نفع الناس، ولا ريب أن العالم الناطق أنفع للناس من غيره فصار بسبب ما عنده من العلم ونطقه به خير الناس. وقال (ص): العلم يزيد الشريف شرفاً. ويرفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك.

وقال أمير المؤمنين (ع): الجاهل صغير وإن كان شيخاً، والعالم كبير وإن كان حدثاً[1].

وقد أخذ هذا المعنى المأمون العباسي فنظمه شعراً فقال:

تَعلّم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

فان كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

وقال أمير المؤمنين (ع) أيضاً: قيمة كل إمرئ ما يحسنه، والناس أبناء ما يحسنون.

وقال أبو الأسود الدؤلي: ليس شيء أعز من العلم، الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

وقال بعض العلماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم، وأي شيء فاته

---

(١) (البحار) ج١ ص١٨٣.

من أدرك العلم . وأوصى بعض العلماء ولده فقال له : يا بني عليك بالعلم فإنك إن افتقرت كان لك مالا ، وإن استغنيت كان لك جمالا ، وإن جمال العلم هو الجمال الحقيقي قال بعض الأدباء :

ليس الجمال بأثواب مزينة ... بل الجمال جمال العلم والأدب

تفاوت العلم في الكمال، ووجوب التحصيل وعدمه

والعلم وإن كان كله جمالاً للإنسان وكمالاً له إلا أن فنونه متفاوتة في الكمال والجمال ، ووجوب التحصيل وعدمه ، فإن بعضها كالطب ، والصنعة ، والهندسة ، والعروض الذي يعرف به صحيح أوزان الشعر من سقيمها. والفيزياء والكيمياء مما يرجع جل فائدته إلى الدنيا لا يحصل بها مزيد بهجة وسعادة في العقبى. لذا عدت من علوم الدنيا دون الآخرة ، ولا يجب تحصيلها. وربما وجب تحصيل بعضها كفاية ، وأما علم الآخرة فهو واجب التحصيل على كل فرد من أفراد المسلمين ، لذا قال رسول الله(ص) : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ألا إن الله يحب بغاة العلم ، أي طلابه[1].

وفي نص : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.. الخ[2].

العلم الذي يجب تحصيله

وعلم الآخرة الواجب التحصيل ثلاثة أنواع :

الأول هو العلم الإلهي المعرف لأصول الدين الخمسة التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد ـ يوم القيامة ـ.

والثاني علم الفقه المعرف لكيفية العبادات والمعاملات.

والثالث علم الأخلاق المعرف لمنجيات النفس ومهلكاتها.

---

(١) راجع (البحار) ج١ ص١٧٢، وص١٧١ نقلاً عن (أمالي الشيخ) و(بصائر الدرجات).

(٢) المصدر السابق ج٧٠ ص٦٨ نقلاً عن مصباح الشريعة ص٤ وغيره.

أما الاجتهاد بها فهو واجب كفائي إن قام ، ، البعض سقط عن الآخرين وهذه المرتبة من علم الدين هي التي شرف الله أهلها العاملين بما عملوا وفضلهم على من عداهم قال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾.

وأما أخذها إجمالاً فهو واجب عيني على كل فرد من أفراد المسلمين.

وكيفية تحصيلها مختلفة. فعلم الأخلاق يجب أخذه على ما بينته الشريعة، وأوضحه علماء الأخلاق.

وأما علم الفقه فيجب أخذه إما بالدليل والاجتهاد، أو التقليد لمجتهد حي، والتارك لأحد الطريقين غير معذور، ولذا ورد الحث الأكيد على التفقه في الدين، قال الإمام الصادق (ع): تفقهوا في دين الله ولا تكونوا أعرابا، فإنه من لم يتفقه في الدين لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكي له عملا[1].

وقال (ع) لا يقبل الله عملاً إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، فمن عرف دلته المعرفة على العمل، ومن لم يعمل فلا معرفة له، إن الإيمان بعضه من بعض[2].

وقال (ع) أيضاً: العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا تزيده سرعة السير من الطريق إلا بعدا[3].

وقال (ع): إن آية الكذاب أن يخبرك خبر السماء والأرض والمشرق والمغرب، فإذا سألته عن حلال الله وحرامه لم يكن عنده شيء.

وأما أصول العقائد فيجب أخذها من العقل والشرع، وهما متلازمان لا يختلف مقتضى أحدهما عن مقتضى الآخر، إذ العقل هو حجة الله الواجب امتثاله. والحاكم

---

(١) راجع (البحار) ج٧ ص٢٢٣ نقلاً عن (المحاسن) للبرقي ص١٧٧.

(٢) (البحار) ج١ ص٢٠٦ نقلاً عن (المحاسن) ص١٥٢، و(الأمالي) للصدوق ص٢٥٣.

(٣) (البحار) ج١ ص٢٠٦ نقلاً عن (المحاسن) ص١٥٢، و(الأمالي) للصدوق ص٢٥٣.

العدل الذي يطابق حكمه الواقع ونفس الأمر وحكمه لا يرد، ولولاه لما عرف الشرع ولذا ورد: ما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه أمره، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل[1].

فالعقل والشرع متعاضدان متلازمان وما يحكم به أحدهما يحكم به الآخر، والعقل هو الشرع الباطن والنور الداخل، والشرع هو العقل الظاهر والنور الخارج.

وما يتراءى في بعض المواضع من التخالف بينهما إنما هو إما لقصور العقل، أو لعدم ثبوت ما ينسب إلى الشرع، فإنه ليس كل عقل تاماً سليماً ولا كل ما ينسب الى الشرع ثابتاً، وإنما المناط في التلازم بين العقل الصحيح التام وما ثبت قطعاً من الشرع.

وأصح العقول وأقواها وأمتنها وأصفاها سلامة عقل صاحب الشرع وهو نبينا محمد (ص) فإنه يدرك بعقله ما لا سبيل لأمْثال عقولنا إلى إدراكه، وكذلك أهل بيته(ع) من بعده فإنهم يدركون بعقولهم ما لا سبيل لأمثال عقولنا إلى إدراكه، وكيف لا وقد آتاهم الله من العقل والعلم ما لم يؤت أحداً من العالمين.

فأهل البيت (ع) هم أعقل الناس على الإطلاق، وأغزرهم علماً على التحقيق.

وأعقل الناس وأغزرهم علماً بعدهم الملازمون لهم، الآخذون العلم والتدبير منهم مباشرة، أو عنهم بالواسطة وهم كثيرون من علماء الصحابة والتابعين وغيرهم.

ملازمة العباس (ع) لأبيه وأخويه (عليهم السلام)

وفي طليعة من لازمهم وأخذ العلم منهم مباشرة هو أبو الفضل العباس (ع) الذي لازم أباه أمير المؤمنين ـ باب مدينة العلم ـ ثم لازم أخويه الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص) ملازمة الظل للشاخص.

وكانوا (ع) يخصونه بأنواع العلوم والمعارف الإلهية حتى جاء في المأثور عن

---

(١) راجع (المحاسن) للبرقي ص١٤٨.

المعصومين أن العباس بن علي زق العلم زقا[1].

وهذه الكلمة تروى عن أمير المؤمنين، وعن الإمام الصادق (عليهما السلام).

العباس (ع) في نظر المعصومين

وقد وردت شهادات عالية ومنازل سامية في حق أبي الفضل العباس عن أهل بيت العصمة والإمامة الذين لا يحابون أحداً، ولا يقولون إلا الحق، ولا ينطقون إلا بالصدق، ولا يعطون المنزلة إلا لمن يستحقها.

ومن تلك الشهادات في حقه ما ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاء حسناً ومضى شهيداً[2].

قولِه (ع): نافذ البصيرة، أي انه متعمق بالعلم والمعرفة وواصل إلى أعلى منازلها وخبير بحقائقها بحيث ينظر الى جملة الأحوال والتصرفات ببصيرة نافذة تخرق الحجب وتبصر ما وراءها من الأسرار والخبايا والعواقب.

وقولِه: صلب الإيمان، أي أنه قوي في إيمانه ومستحكم في دينه وثابت عليه لا يحيد عنه قيد أنملة.

ويقول (ع) في زيارته التي رواها عنه أبو حمزة الثمالي: أشهد أنك لم تهن ولم تنكل، وانك مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين، ومتبعاً للنبيين... الخ.

ثم ذكر الإمام الصادق (ع) في حديثه السابق جهاده مع الحسين (ع) لأعداء الله وتنكيله بهم حتى الشهادة في سبيل الله ونصرة دينه فقال: جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاء حسناً ومضى شهيداً.

---

(١) (أسرار الشهادة) للدربندي ص٣٢٤، والكلمة تروى عن أمير المؤمنين، وعن الإمام الصادق(عليهما السلام) راجع مقتل آل بحر العلوم ص٤٠٩.

(٢) (عمدة الطالب) للسيد الداوودي ص٣٥٦ نقلاً عن أبي نصر البخاري.

منزلته في الشهادة أعلى منزلة

نعم مضى شهيداً، ولكن شهادته لا تقاس بأي شهيد آخر - غير المعصومين - حتى الشهداء الذين قتلوا مع الحسين (ع) من أهل بيته وأصحابه الذين يقول الإمام الصادق(ع) في زيارتهم: وأنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة[1].

والذين يقول فيهم أمير المؤمنين (ع) لا يسبقهم بالفضل من كان قبلهم ولا يلحقهم من كان بعدهم[2]. وأحدهم أبو الفضل العباس.

ولكن لشهادته منزلة أعلى من منازلهم، ومنازل غيرهم من سائر الشهداء السابقين واللاحقين.

ويؤيد ذلك ما رواه شيخنا الصدوق في (الأمالي) و(الخصال) بسنده عن ثابت بن أبي صفية ويعني به - أبا حمزة الثمالي - انه قال: نظر سيد العابدين علي بن الحسين (ع) إلى عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب فاستعبر ثم قال:

ما من يوم أشد على رسول الله (ص) من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال (ع): ولا يوم كيوم الحسين (ع) ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عزوجل بدمه، وهو يذكرهم بالله فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً، ثم قال (ع):

رحم الله عمي العباس فلقد آثر، وأبلى، وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة[3].

---

١) راجع (البحار) ج١٠١ ص١٤٩، ونقله عن السيد المقرم في (المقتل) ص١٢٤.

٢) (المصدر السابق) و(معالي السبطين) للمازندراني ج١ ص١١٧.

٣) راجع (الأمالي) للصدوق ص٢٧٧، و(الخصال) له ص٦٨، ونقله عن الأمالي المظفري في (بطل العلقمي) ج٢ ص١٠٨ وغيره كثير.

وأنت ترى في هذا الحديث الشريف أن السجاد (ع) بعد أن ذكر إيثار العباس، وبلاءه، وفداءه لأخيه بنفسه حتى قطعت يداه، بعدها ساوى بقطع يديه قطع يدي عمه جعفر الطيار، وأن كلاً منهما قد أبدله الله عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة.

ثم أثبت له منزلة كبرى لم ينلها غيره من الشهداء بقوله: وأن للعباس عند الله منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة.

ولفظ الجميع يشمل حتى مثل حمزة وجعفر وغيرهما ما عدا المعصومين (ع) فكل الشهداء يغبطونه أي يتمنون منزلته، التي لم يصل إليها أحد سواه، يقول المظفري:

وفي الحسن لم يُعطى شهيدٌ عطاءه ... لذا صار مغبوطاً وهذا له سر

شكاية الزهراء إلى الله بكفيه، وادخارهما للشفاعة

ولعظيم منزلته عند الله وعند أهل بيت العصمة أن الصديقة فاطمة الزهراء لا تبتدئ بالشكاية إلى الله يوم القيامة بأي ظلامة من ظلامات آل محمد - وهي لا تحصى كثرة - إلا بكفي أبي الفضل العباس المقطوعتين في سبيل الله، وقد ادخرتهما من أهم أسباب الشفاعة يوم يقوم الناس لرب العالمين[1].

حيث ينقل الدربندي عن بعض كتب المقاتل: أنه إذا كان يوم القيامة واشتد الأمر على الناس بعث رسول الله أمير المؤمنين إلى فاطمة لتحضر مقام الشفاعة، فيقول أمير المؤمنين (ع):

يا فاطمة ما عندك من أسباب الشفاعة وما أدخرت لأجل هذا اليوم الذي فيه الفزع الأكبر؟

فتقول فاطمة: يا أمير المؤمنين كفانا لأجل هذا المقام اليدان المقطوعتان من ابني

---

(١) راجع (العباس) للسيد المقرم ص١٢٩ نقلاً عن (الأسرار) ص٣٢٥ وجواهر الإيقان ص١٩٤.

العباس[1].

ومن شهادات المعصومين في أبي الفضل العباس، ومقاماته السامية يوم القيامة ما رواه صاحب كتاب (عدة الشهور) أنه لما كانت ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان، وأشرف علي (ع) على الموت أخذ ولده العباس وضمه إلى صدره الشريف وقال: ولدي ستقر عيني بك في يوم القيامة ولدي إذا كان يوم عاشوراء ودخلت المشرعة إياك أن تشرب الماء وأخوك الحسين عطشان[2].

ومن شهادات المعصومين في حق أبي الفضل العباس ثناء حجة آل محمد الإمام المهدي (عجل الله فرجه) عليه في عظيم مواساته لأخيه الحسين (ع) حيث جاء عنه في زيارة الناحية:

السلام على أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين، المواسي أخاه بنفسه، الآخذ لغده من أمسه، الفادي له، الواقي الساعي إليه بمائه، المقطوعة يداه، لعن الله قاتله يزيد بن الوقاد الجهني، وحكيم بن الطفيل الطائي[3].

عظيم منزلته عند أخيه الحسين (ع)

أما منزلته عند أخيه الحسين (ع) فقد كانت منزلة عظيمة جداً، ومكانة سامية راقية ومحلاً رفيعاً ومميزاً، وكيف لا يكون كذلك وهو العارف بفضل أخيه أبي الفضل وقوة بأسه، ورباطة جأشه.

اختصاصه بحمل راية أخيه، وانتدابه له في مهماته

ومن هنا نراه قد خصه بحمل لوائه دون غيره، واللواء هو الراية العظمى أو العلم

---

(١) راجع (معالي السبطين) ج١ ص٢٧٦ نقلاً عن (الأسرار) للدربندي.

(٢) (المصدر السابق) ص٢٦٧ عن (عدة الشهور).

(٣) (البحار) ج٤٥ ص٦٦ نقلاً عن (الاقبال) للسيد ابن طاووس.

الأكبر الذي لا يحمله إلا الرئيس والشجاع الشريف في العسكر.

ومن المعلوم أن أهل بيت الحسين (ع) الذين قتلوا معه كانوا جميعاً في أعلى درجة من الشجاعة إلا أن العباس كان ـ بلا ريب ـ أشجعهم وأفضلهم، ولذلك خصه برايته كما جاء عن الإمام الصادق (ع) أنه قال:

لما عبأ الحسين أصحابه أعطى رايته أخاه العباس بن علي[1].

فهو صاحب رايته، ومركز ثقله وهيبة عسكره، وكان الحسين (ع) كثيراً ما ينتدبه لمهماته العائلية، والعسكرية منذ خروجه من المدينة والى آخر لحظة من حياته المقدسة.

ففي اليوم السادس من المحرم لما عقد الحسين الاجتماع بينه وبين عمر بن سعد، وكان ابن سعد في عشرين من أصحابه، والحسين (ع) في مثل ذلك، وحينما التقيا أمر الحسين أصحابه بالتنحي عنه وأبقى معه أخاه العباس وابنه علي الأكبر، وأمر ابن سعد أصحابه فتنحّوا عنه وبقي معه ابنه حفص وغلام له.

وفي اليوم السابع من المحرم كان العباس هو المنتدب لجلب الماء من الفرات إلى المخيم بعدما ضيّق ابن سعد على المشرعة غاية التضييق، وقام بهذه المهمة العظيمة بأحسن قيام حتى جاء بالماء إلى عيالات رسول الله (ص)، بعد جهاد عظيم لأعداء الله وأعداء رسوله.

وعصر اليوم التاسع من المحرم حينما زحف الجيش على مخيم الحسين ندبه الحسين(ع) للتفاوض مع القوم في تأخير المناجزة إلى غداة غد حيث قال له: اركب بنفسي أنت يا أخي حتّى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم.

وفي ليلة العاشر من المحرم لما خطب الحسين في أهل بيته وأصحابه، وأذن لهم بالتفرق عنه كان أول من قام إلى الحسين هو أبو الفضل العباس قام وقال له: ولم نفعل ذلك لنبقى بعدك؟ لا أرانا الله ذلك أبداً.

---

(١) (مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج ص٦٠ وغيره.

وكان العباس (ع) في كل ليلة من ليالي كربلاء هو المضطلع بأمر أخيه الحسين بحراسة المخيم ورفع الوحشة والرعب عن عائلة النبوة والإمامة، وكانت عيونهم قريرة بوجوده.

كما كان يوم عاشوراء هو المنتدب الوحيد لأخيه الحسين في الملمات، وكلما أحيط بأصحابه المبارزين يندبه لإنقاذهم من أيدي القوم.

وكلما سمع الحسين بكاء النسوة ولمس اضطرابهن من تأزم الموقف يوم عاشوراء كان يرسل إليهن العباس وولده علي الأكبر، ويقول لهما: سكتاهن فلعمري ليكثر بكاؤهن. فيأتيان إليهن ليطمنا نفوسهن ويسكتاهن.

ولقد كانت راية العباس (ع) طوال أيام كربلاء مركوزة أمام المخيم لتلقي الأوامر من أخيه الحسين فيما يهمه من المهمات.

ولذلك كان العباس آخر من قتل من أهل بيته وأصحابه إذ لم يسمح له الحسين بالرخصة للمبارزة، وكان يقول ـ كلما تقدم لطلب الرخصة منه ـ : أنت حامل لوائي، وإذا مضيت تفرق عسكري، ولم يأذن له.

مجيؤه لأخيه يطلب الرخصة منه للبراز

حتى إذا قتل جميع أصحابه وأهل بيته وأخوته عاد إليه العباس يطلب منه الرخصة والاذن للبراز قائلاً:

(يا أخي قد ضاق صدري، وسئمت الحياة، وأريد أن آخذ ثاري من هؤلاء المنافقين، فقال له الحسين: إذن فاطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء.

فذهب العباس إلى القوم ووعظهم وحذرهم غضب الجبار، وطلب منهم شيئاً من الماء للأطفال، فقالوا: لو كان تمام وجه الأرض ماءً وكان تحت تصرفنا لم نسقكم منه قطرة إلا أن تبايعوا ليزيد وتدخلوا في طاعته فرجع العباس (ع) إلى أخيه وأخبره بمقالة القوم[1].

---

(١) راجع (البحار) ج٤٥ ص٤١، و(مقتل العوالم) للبحراني ص٩٤، و(تظلم الزهراء) على ما نقل عنهم آل بحر العلوم في (المقتل) ص٤١٨.

فطأطأ الحسين برأسه وبكى بكاءً شديداً، وبينما العباس في ذلك ونحوه إذ سمع الأطفال - ومعهم سكينة بنت الحسين - ينادون العطش العطش. فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي، أريد أن أعتد بعدتي، وأملأ لهؤلاء الأطفال قربة من الماء.

توجهه إلى الميدان، وجهاده لجلب الماء

ثم ركب فرسه وحمل سيفه ورمحه والقربة، وقصد الفرات، فأحاط به أربعة آلاف فارس، وهم الذين كانوا موكلين بالفرات، وأخذوا يرمونه بالنبال، فلم يعبأ بجمعهم ولا راعته كثرتهم، بل كشفهم عن طريقه وقتل منهم على ما روي ثمانين فارساً[1].

هذا وهو يرتجز ويقول:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا ... حتى أوارى في المصاليت لقى

نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا ... إني أنا العباس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشر يوم الملتقى

ومازال يقاتلهم أشد القتال حتى وصل إلى المشرعة ودخل الفرات مطمئناً غير هياب لذلك الجمع الغفير.

مواساته في العطش لأخيه، وأهل بيته

ثم اغترف من الماء غرفة، وأدناها من فمه ليشرب، فتذكر عطش أخيه الحسين وعطاشى أهل بيته وأطفاله فرمى الماء من يده وقال: والله لا أشرب وأخي الحسين وعياله وأطفاله عطاشى لا كان ذلك أبداً، ثم جعل يخاطب نفسه، ويهون عليها قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني

هذا حسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين

---

(١) (المصادر السابقة).

تـــالله مـــا هـــذا فعـــال ديـــني ولا فعـــال صـــادق الـــيقين

ثم ملأ القربة وحملها على كتفه الأيمن، وركب جواده وتوجه نحو الخيام، فقطعوا عليه الطريق وأحاطوا به من كل جانب وتكاثروا عليه، ففرقهم جميعاً وأخذوا يهربون من بين يديه يميناً وشمالاً حتى إذا قارب المخيم كمن له يزيد أو زيد بن رقاد الجهني من وراء نخلة فضربه على يمينه فقطعها، فأخذ السيف بشماله وحمل القربة على كتفه الأيسر وهو يرتجز ويقول:

والله إن قطعـــــتمُ يمـــــيني إنـــي أحـــامي أبـــداً عـــن ديـــني

وعـــن إمـــام صـــادق الـــيقين نجـــل الـــنبي المصـــطفى الأمـــين

وقاتل ـ سلام الله عليه ـ حتى ضعف عن القتال، فكمن له حكيم بن الطفيل من وراء نخلة وضربه على شماله فقطعها من الزند فقال يشجع نفسه:

يـــا نفـــس لا تخشـــي مـــن الكفـــار وأبشـــــري بـــــرحمة الجـــــبار

مـــع الـــنبي المصـــطفى المخـــتار قـــد قطعـــوا ببغـــيهم يســـاري

فأصلهم يا رب حر النار

فعند ذلك وقع السيف من يده، وأخذ القربة بأسنانه وجعل يسرع لعله يستطيع إيصال الماء إلى المخيم.

إتيان السهام إليه كالمطر حتى الشهادة

فلما نظر ابن سعد إلى شدة اهتمامه بالقربة، صاح بقومه: ويلكم ارشقوا القربة بالنبل، فوالله إن شرب الحسين الماء أفناكم عن آخركم، فقطعوا عليه طريقه وأتته السهام كالمطر من كل جانب، فأصاب القربة سهم فأهرق ماؤها، وجاءه سهم آخر فأصاب صدره، وسهم آخر أصاب أحدى عينيه فأطفأها، وجمدت الدماء على عينه الأخرى فلم يبصر بها، وضربه لعين من القوم على أم رأسه فانقلب عن ظهر جواده وخر إلى الأرض صريعاً، يخور بدمه، فقطعه القوم بأسيافهم، فعند ذلك نادى برفيع

صوته : أخي عليك مني السلام يا أبا عبد الله.

وهـــوى بجنـــب العلقمـــي فليـــته للشـــاربين بـــه يـــداف العلقـــم

المجلس الثاني والأربعون

كنى العباس (ع) وألقابه، وأسبابهما

للشـــوس عـــباس يـــريهم وجهـــه ... والوفـــد يـــنظر باسمـــاً محـــتاجها

بـــاب الحوائـــج مـــا دعـــته مـــروعة ... في حاجـــــة إلا ويقضـــــي حاجهـــــا

بـأبي أبـا الفضـل الـذي مـن فضـله ... السـامي تعلمـت الـورى مـنهاجها

لأبي الفضل العباس كنى وألقاب شهيرة تدل على عظيم مقامه ورفعة شأنه.

تعريف الكنية واللقب

والكنية ـ عند النحويين ـ ما بدأ بأب وأم، مثاله: أبو طالب وأبو علي في الرجال، وأم هاني وأم كلثوم في النساء، وقد تكون الكنية مشتقة من صفات في الإنسان، أو صفات تتوسم فيه فيكنونه بها من الصغر تفاؤلاً مثل ما يقال: أبو المكارم وأبو الفضل وأبو المساكين... الخ.

أما اللقب ـ على ما يعرفه النحويّون ـ فهو ما يشعر برفعة الملقب ومدحه، أو ما يشعر بضعته وذمه، ومثال المشعر بالمدح كصياد الفوارس وجذل الطعان، أو كالكاظم والمجتبى والصادق... الخ.

ومثال ما يشعر بالذم كالأعشى والأعمش، أو كالبخيل والمجرم والكذاب... الخ.

وأجمع المسلمون أن أهل البيت (ع) ليس لهم ألقاب غيرما يشعر بمدحهم والثناء عليهم، فألقابهم كلها ألقاب مدح وثناء، لأن الله عزوجل قد نزههم من كل عيب كما طهرهم من كل ذنب ورجس.

ولقد أجاد أبو نواس حيث يقول:

مطهـــرون نقـــيات ثـــيابهم ... تجري الصلاة عليهم أين ما ذكروا

مـن لم يكـن علويـاً حـين تنسـبه ... فمالـه في قديـم الدهـر مفـتخر

فـالله لمـا بـرا خلقـاً فأتقـنه ... صـفاكم واصـطفاكم أيهـا البشـر

فأنـتم المـلأ الأعـلى وعـندكمُ ... علم الكتاب وما جاءت به السور

فالعباس (ع) اشتهر بكنى وألقاب بعضها كانت ثابتة له من قبل واقعة الطف وبعضها الآخر اشتهر بها بعدها، وكناه المعروفة ثلاثة أبو الفضل، وأبو القاسم، وأبو قربة.

كنيته بأبي الفضل

وأشهرها أبو الفضل، وقد بلغت من الشهرة أنه لا يكاد يعرف إلا بها، وسبب كنيته بأبي الفضل أما بأحد أولاده وهو الفضل الذي هو شقيق عبيد الله، وأمهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، ذكره صاحب ناسخ التواريخ وغيره.

وقيل: إن كل من سمي بعباس من بني هاشم كُنِّيَ بأبي الفضل كالعباس بن عبد المطلب، والعباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وغيرهما.

ولكن الظاهر أن هذه الكنية قد اشتقت له من فضائله، حيث قد توسموا فيه سمات الفضل منذ الصغر فكنوه بها.

ولعل أباه أمير المؤمنين (ع) هو الذي كناه بها، لعلمه بما سيكون عليه من الفضل وعظيم الشأن، كما سماه العباس لعلمه بشجاعته وسطوته وعبوسته في قتال الأعداء ومقابلة الخصماء لأن (العباس) اسم من أسماء الأسد الضاري.

وعلى كلٍ كنيته الشهيرة أبو الفضل، وكان حرياً بها فإن فضله لا يخفى ونوره لا يطفأ بكل ما للفضل من معنى.

ولقد أكثر الشعراء قديما وحديثاً ذكره (ع) بهذه الكنية، وممن ذكره بها حفيده

الفضل بن محمد بن الحسن بن عبيد الله بن العباس حيث قال في رثائه:

أحق الناس أن يبكي عليه ... فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده علي ... أبو الفضل المضرج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء ... وجاد له على عطش بماء

وذكره بهذه الكنية شاعر أهل البيت الكميت بن زيد الأسدي في قصيدته التي يستهلها بقوله:

من لقلب متيم مستهام ... غير ما صبوة ولا أحلام

إلى أن قال:

وأبو الفضل ان ذكرهم الحلو ... شفاء النفوس في الأسقام
قتل الأدعياء إذ قتلوه ... أكرم الشاربين صوب الغمام

ويشير إليها شارح ميمية أبي فراس بقوله:

بذلت أيا عباس نفساً نفيسة ... لنصر حسين عز بالنصر عن مثل
أبيت التذاذ الماء دون التذاذه ... فحسن فعال المرء فرع عن الأصل
فأنت أخو السبطين في يوم مفخر ... وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضل

وقال الآخر:

أبا الفضل يا من أسس الفضل والإبا ... أبى الفضل إلا أن تكون له أبا

وقال الآخر:

أبا الفضل أنت الباب للسبط مثلما ... أبوك علي كان باباً لأحمدا

وقال الخطيب المفوه السيد صالح الحلي في الأبيات المتقدمة:

بأبي أبا الفضل الذي من فضله الـ ... سامي تعلمت الورى منهاجها

كنيته بأبي القاسم

أما كنيته بأبي القاسم فالظاهر أنه كُنِّيَ بها لأن أحد أولاده اسمه القاسم، وأمه أم

ولد على ما ذكره الإسفراييني في كتابه (نور العين في مشهد الحسين) والنسابة صاحب (مطلوب كل طالب) وغيرهما.

وأبو القاسم هي كنية نبينا محمد (ص) كني بها بابنه القاسم، وهو أول مولود ولد له من الذكور.

وخاطب العباس بهذه الكنية الصحابي الجليل العارف بمقام أهل البيت جابر بن عبد الله الأنصاري حينما زار الحسين في أربعينه، ثم زار العباس فقال مخاطباً له: السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا عباس بن علي ... الخ.

كنيته بأبي قربة

أما كنيته بأبي قربة، وقد كُنِّيَ بها بعد واقعة الطف فقد ذكرها له كثير من أرباب السير والمقاتل وكتب الأنساب[1].

وهذه الكنية (أبو قربة) مشتقة من حمله القربة، ومحافظته عليها خصوصاً يوم عاشوراء. فإنه مازال يحافظ عليها ليوصلها إلى أخيه الحسين وأهل بيته وعياله حتى قطعت دونها يمينه وشماله، فأخذ القربة بأسنانه وجعل يركض ليوصل الماء إلى المخيم، ولكن شاء القدر المحتوم أن يأتي إلى القربة سهم من يد عدو لدود، ويراق ماؤها، ويقتل بعدها شهيداً مجاهداً دون الدين وأهله، فهذه كناه التي عرف بها وأسبابها.

أما ألقابه الشريفة فهي كثيرة، منها قديمة ومنها مستحدثة استحدثها الناس أخيراً بعد واقعة الطف واشتقوها له من صفاته وفضائله كقمر بني هاشم وباب الحوائج، والسقا، وبطل العلقمي، وبطل المسناة، وحامل اللواء، وكبش الكتيبة، والعميد، وحامي الضعينهْ، والعبد الصالح وغيرها، وكل هذه الألقاب مشهورة معروف بها،

---

(١) راجع (مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج ص٥٩، و(السرائر) لابن إدريس، و(أنوار النعمانية) للجزائري، و(تاريخ الخميس) ج٢ ص٣١٧ لأبي الحسن الديار بكري وغيرهم كثير.

وهي مشتقة من أفعاله الكريمة وصفاته الفائقة.

لقبه بقمر بني هاشم

وأشهرها عند علماء التاريخ والسير قمر بني هاشم، وباب الحوائج، والسقا.

أما لقبه بقمر بني هاشم، وقد يقال له: (قمر العشيرة) وقد لقب بهذا اللقب لوضاءته وجمال هيأته، فقد كان (ع) من أحسن الناس خلقة وشكلا، وأتمهم بدناً ومحاسناً، ويعد من رجال بني هاشم المتميزين بصفاتهم الجسمانية من الجسامة وطول القامة، والجمال الباهر.

ومن هنا وصفه المؤرخون وأرباب المقاتل: أنه كان رجلاً وسيماً جميلاً جسيماً يركب الفرس المطهم ورجلاه يخطّان في الأرض. فهو ممن زاده الله بسطة في العلم والجسم، وفيه يقول السيد جعفر الحلي:

بطل إذا ركب المطهم خلته جبلاً أشم يخف فيه مطهم

لقبه بباب الحوائج

ومن ألقابه (ع) ما اشتهر به بين العامة والخاصة بأنه سلام الله عليه (باب الحوائج)، عرف بهذا اللقب لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات للمتوسلين به إلى الله والمستشفعين به إليه، تلك الكرامات التي لا نعدو الحقيقة لو قلنا: إنها لا تعد ولا تحصى وليس بمقدور أي إنسان أن يضبط كل الوقائع التي تتجدد مع الأيام، لذلك عرف بباب الحوائج أي هو الطريق إلى الله في قضائه لحوائج عباده. ويكنيه بعض العوام: بأبي فرجة، لكثرة ما يفرج عنهم الكربات إذا توسلوا به إلى الله تعالى وأقسموا عليه بحقه، وهذا مما يدل دلالة واضحة على عظيم مقامه عند الله عزوجل ولذلك أكرمه وأكرم به من يشاء من عباده في تنفيس كرباتهم وقضاء حوائجهم. وقد أكثر الشعراء ذكر هذا المعنى في كرامات ظهرت منه خاصة وعامة. فيقول العلامة الشيخ

عبد الواحد المظفري:

أبو الفضل ابن داحي الباب أعلى ... إله العرش في الدنيا مقامه
وكم من معجزات باهرات ... له قد عرفوها بالكرامة
حباه الله فيها منه فضلاً ... كذا فرع النبوة والإمامة
فكم من لائذ فيه حماه ... وكم من خائف أضحى عصامه
وكم من معدم لاقى غناه ... وكم ذي عاهة داوى سقامه
وكم قد حفت الأخطار شخصاً ... فلما جاءه لاقى السلامة[1]

وقال الآخر[2]:

كم فرج الله عنا كل معضلة ... كرامة منه للعباس شبل علي
ورحمة الله خصتنا بفضلهم ... عند الصعاب وعمت فيه كل ولي

وقال الفاضل ميرزا عباس الكرماني:

أبا الفضل إني جئتك اليوم سائلاً ... لتيسير ما أرجو فأنت أخو الشبل
فلا غرو إن أسعفت مثلي بائساً ... لأنك للحاجات تدعى أبا الفضل

وقال الخطيب السيد صالح الحلي:

باب الحوائج ما دعته مروعة ... في حاجةٍ إلا ويقضي حاجها

لقبه بالسقا

أما لقبه بالسقا، أو ساقي عطاشى كربلاء، وهو لقب شهير لأبي الفضل العباس(ع)، اختص به بحيث إذا أطلق انصرف إليه دون غيره، وإن شاركه فيه أبوه علي(ع) وبعض أسلافه الكرام كما هو معلوم.

---

(١) راجع (بطل العلقمي) ج٣ ص٤٢٥.

(٢) (المصدر السابق) ج٢ ص١٠.

والسقاية هي إرواء العطاشى من البشر وغيرهم، وهي قسمان سقاية في السلم، وسقاية في الحرب، والسقاية الحربية أجل أنواع السقايات وأفضلها لما فيها من المخاطرة بالنفس وتعريضها للتلف، وقد اختص بها أمير المؤمنين (ع) وأنجاله دون غيرهم من سائر الناس.

سقي أمير المؤمنين (ع) أصحاب النبي (ص) يوم بدر

فقد سقى أمير المؤمنين أصحاب رسول الله (ص) الماء يوم بدر، على ما روى علماء التأريخ والحديث من الخاصة والعامة كأحمد بن حنبل، وابن أبي الحديد، والشيخ سليمان الحنفي وغيرهم كثير[1].

انهم قالوا:

لما كانت ليلة بدر قال رسول الله (ص): من يسقي لنا ماء؟ فأحجم الناس، فقام علي فاحتضن قربة ثم أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة فانحدر فيها فأوحى الله إلى جبرئيل وميكائيل وإسرافيل: ان تأهبوا لنصرة محمد (ص) وأخيه وحزبه، فهبطوا من السماء في ثلاثة آلاف من الملائكة، ولهم لغط يذعر من يسمعه، فلما حاذوا البئر سلموا عليه من عند آخرهم إكراماً له وإجلالاً، والى ذلك يشير السيد الحميري:

أقسم بالله وآلائه ... والمرء عما قال مسؤول
إن علي بن أبي طالب ... على التقى والبر مجبول
وإنه كان الإمام الذي ... له على الأمة تفضيل
يقول بالحق ويعني به ... ولا تلهيه الأباطيل
كان إذا الحرب مرتها القنا ... وأحجمت عنها البهاليل

---

(١) شرح (نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج٢ ص٤٥٠ نقلاً عن الإمام أحمد بن حنبل في (فضائل علي (ع))، ونقله عنه الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص٣١٤. ورواه ابن شهر آشوب في (المناقب) ج٢ ص٢٤١ نقلاً عن أحمد، والنطنزي في (الخصائص العلوية من طرق).

مشـــى إلى المـــوت وفي كفـــه أبـــيض ماضـــي الحـــد مصـــقول
مشـــي العفـــرنى بـــين أشـــباله أبـــرزه للقـــنص الغـــيل
ذاك الـــذي ســـلم في لـــيلة علـــيه مـــيكال وجـــبريل
جـــبريل في ألـــف ومـــيكال في ألـــف ويـــتلوهم ســـرافيل
لـــيلة بـــدر مـــدداً أنـــزلوا كـــأنهم طـــير أبابـــيل
فســـلموا لمـــا أتـــوا حـــذوه وذاك أعظـــام وتبجـــيل[1]

سقي أمير المؤمنين (ع) أصحاب النبي (ص) يوم الحديبية

وهكذا سقى أمير المؤمنين (ع) أصحاب رسول الله (ص) يوم الحديبية على ما روى المفيد في (الإرشاد) بإسناده إلى عبد الله بن سالم قال: لما خرج رسول الله (ص) في عمرة الحديبية ونزل الجحفة لم يجد بها ماءً فبعث سعد بن مالك يعني (ابن أبي وقاص) بالروايا حتى إذا سار غير بعيد رجع بالروايا، وقال: يا رسول الله ما أستطيع أن أمضي وقد وقفت قدماي رعبا من القوم، فقال له النبي (ص): أجلس، ثم بعث رجلاً آخر فخرج بالروايا حتى إذا كان بالمكان الذي انتهى إليه الأول رجع، فقال له رسول الله(ص) لم رجعت؟ فقال: يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبياً ما استطعت أن أمضي رعبا. فدعا رسول الله (ص) أمير المؤمنين (ع) فأرسله بالروايا وخرج معه السقاة وهم لا يشكون في رجوعه لما رأوا من رجوع من تقدمه، فخرج (ع) بالروايا واستقى، ثم أقبل بها إلى النبي (ص) فلما دخل كبر (ص) ودعا له بخير[2].

سقي الحسين لأصحاب أبيه أمير المؤمنين (ع) يوم صفين

وسقى الحسين (ع) أصحاب أبيه أمير المؤمنين الماء يوم صفين، وذلك أن معاوية

---

(١) راجع أبيات الحميري في (أمالي الشيخ الطوسي) ج١ ص٢٠١، ونقلها عنه الأميني في (الغدير) ج ٢ ص٢٤٣ في ترجمة الحميري.

(٢) نقله عن (الارشاد) العلامة المظفري في (بطل العلقمي) ج٢ ص٣٩.

نزل بأصحابه على شريعة الفرات قبل مجيء أمير المؤمنين بأصحابه.

وأمر معاوية أبا الأعور السلمي أن ينزل على الماء ويحول بينه وبين أصحاب أمير المؤمنين، وقد صف أبو الأعور على الماء الخيل والرجال المدججين بالسلاح، وأجمعوا أن يمنعوا الماء عنهم، حتى بقي أصحاب أمير المؤمنين يوماً وليلة بغير ماء، وكان ما كان بين الفريقين من الاحتجاج.

فعندها قام الحسين (ع) وقال لأبيه: يا أبة أنا أمضي إلى الفرات، فقال (ع): نعم امض إليه وبعث معه الفرسان، وكان معه أبو الفضل العباس عوناً وعضداً له، فحملوا بأجمعهم والحسين يقدمهم حتى هزم أبا الأعور عن الماء ودخل المشرعة وبنى خيمة له على المشرعة ووضع بعض الفوارس، ثم أقبل إلى أبيه وبشره بفتح الفرات[1]. وبقي الماء بحيازتهم طيلة الحرب ببركة الحسين (ع).

سقي أبي الفضل العباس (ع) لعطاشى كربلاء مراراً حتى الشهادة

وسقى أبو الفضل العباس الماء عطاشى كربلاء يوم الطف، ومن أجل ذلك لقب بالسقا، أو ساقي عطاشى كربلاء.

ولقد اهتم (ع) الاهتمام البالغ بسقي عطاشى بيت النبوة وعيالات أخيه الحسين وأصحابه مراراً عديدة، ويحمل القربة على عاتقه المقدس منذ حلولهم بأرض كربلاء، إلى أن وقع صريعاً شهيداً يوم عاشوراء على نهر العلقمي.

وبالخصوص في اليوم السابع من المحرم بعد أن ضيق الأعداء على الحسين وأهل بيته وأطفاله، ومنعوا إيصال الماء إلى المخيم وذلك على أثر ورود كتاب من ابن زياد إلى عمر بن سعد يوم السادس من المحرم يأمره فيه بالتضييق على الحسين وأهل بيته فضبط ابن سعد جانب المشرعة بالعدة والسلاح والرجال.

---

(١) راجع (شجرة طوبى) للمازندراني ج٢ ص٨٧، و(المنتخب) للطريحي ج٢ ص٣٠٦.

قال المؤرخون: منع الماء في الطف على الحسين (ع) فاشتد عليه وعلى أصحابه العطش - قبل يوم عاشوراء بثلاثة أيام - فدعا الحسين أخاه العباس (ع) فبعثه في ثلاثين فارساً، وعشرين راجلاً وأصحبهم عشرين قربة، فجاءوا ليلاً حتى دنوا من الماء بعد أن كشفوا عنه الخيل والرجال. واستقدم أمامهم باللواء نافع بن هلال الجملي. فصاح بهم عمرو بن الحجاج الزبيدي وكان في خمسمائة فارس موكلين على المشرعة: من الرجل؟ قال: أنا نافع بن هلال، فقال ما جاء بك؟

قال: جئنا لنشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه. قال: اشرب هنيئاً، قال: لا والله لا أشرب منه قطرة والحسين عطشان هو وأهل بيته وصحبه، فقال: لا سبيل إلى سقي هؤلاء إنما وضعنا في هذا المكان لنمنعهم الماء، ثم قال نافع لرجاله: املأوا قربكم، فملأوها، فثار عليهم عمرو بن الحجاج بخيله ورجاله، فعندها حمل عليهم العباس (ع) بمن معه من الخيالة فكشفهم، فعاد عمرو وأصحابه وقطعوا عليهم الطريق. فكر عليهم العباس (ع) بمن معه من الخيالة فكشفهم. فعاد عمرو وأصحابه وقطعوا عليهم الطريق، فكر عليهم العباس ثانية فقاتلهم حتى ردهم عن الطريق وقد قتلوا منهم رجالاً وانصرفوا راجعين إلى المخيم بالماء سالمين[1].

وهكذا تكررت السقاية من أبي الفضل العباس (ع) وكان هو القائد لأهل بيت الحسين وأصحابه المتقدم أمامهم لسقي عيالاتهم من يوم السابع من المحرم إلى ليلة التاسع ويومه، وليلة العاشر منه ويومه.

وأخيراً لما بقي وحيداً مع أخيه الحسين، وسمع صراخ العائلة وضجيجها وهي تنادي العطش العطش، لم يستطع صبراً دون أن أقبل إلى أخيه الحسين وأستأذنه في

---

(١) راجع (مقتل الحسين) لآل بحر العلوم ص٤٠٦ نقلاً عن عدة مصادر منها (تاريخ الطبري) ج٥ ص٤١٢، و(تاريخ ابن الأثير) ج٣ ص٢٨٣، و(الأخبار الطوال) للدينوري ص٥٣، و(أعيان الشيعة) للسيد الأمين ج٤ قسم ١ ص٢٤١ وغيرها.

البراز قائلاً: يا أخي قد ضاق صدري وسئمت الحياة وأريد أن آخذ ثاري من هؤلاء المنافقين، فقال له الحسين: إذن أطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء... الخ.

أوتشتكي العطش الفواطم عنده وبصدر صعدته الفرات المفعم

لو سد ذي القرنين دون وروده نسفته همته بما هو أعظم

المجلس الثالث والأربعون

العباس (ع) ورفضه لأمان الظالمين، وملازمته للصديقين

الركون إلى الظالمين وسوء عاقبتهم في الدارين

﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾ هود/١١٤.

نهانا الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة من سورة هود نهياً صريحاً عن الركون إلى الظالمين، وأبان لنا سوء عاقبتهم وعاقبة الذين يركنون إليهم دنيا وآخرة.

تعريف الظالمين

والمراد من الظالمين - في هذه الآية - إنما هم الجبارون الطغاة من أصحاب القوة والنفوذ في الأرض الذين يقهرون الناس ويتسلطون عليهم بقوتهم وأنواع خداعهم ومكرهم، ويحكمون بغير ما أنزل الله، من أعداء الله وأعداء رسله وأعداء المؤمنين من عباده الذين يفتنونهم عن دينهم، سواء كانوا كافرين وثنيين وملحدين، أو من أهل الكتاب مشركين ومعاندين كاليهود والنصارى الذين نهانا الله من اتخاذهم أولياء لنا بقوله عز من قائل: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة/ ٥٢.

أو كانوا ممن يدعي الإسلام من هذه الأمة وهم طغاة ظالمون جائرون، فكل هؤلاء الجبابرة المفسدون في الأرض ينهانا الله عن الركون إليهم.

والمراد من الركون المنهي عنه هو الميل إليهم والاعتماد عليهم والموالاة لهم والتعاون معهم، مثل معاهدات الحماية والدفاع والتحالف بالصداقة والحب، وهكذا كل صورة يتحقق فيها اعتماد المسلمين على أهل الظلم ومساعدتهم وعونهم على ظلمهم، مما يصدق عليه مفاد الركون إليهم المنهي عنه في الآية، سواء كانوا أفراداً أو دولاً وجماعات، ومهما كان في أيديهم من القوة والسلطان والمال، إلا إذا كان شيئاً من ذلك تقيّة من بطشهم، ودفعاً لظلمهم قال تعالى: ﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ**﴾ آل عمران/٢٩.

فقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقاةً**﴾ استثناء لمن والى الكافرين بلسانه في الظاهر اضطراراً وخوفاً من بطشهم به، لأن الاتقاء في الأصل أخذ الوقاية للخوف.

ثم يخبرنا الله ـ في الآية من سورة هود بسوء عاقبة من ركن إليهم باختياره من جهات ثلاث.

الأولى: بأنهم تمسهم النار التي هي مصير الظالمين بلا ريب، وكذلك يكون مصير الراكنين إليهم المساعدين لهم والموالين، لأنه كما جاء في الحديث: من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم.

ويقول الله تعالى في سورة الصافات: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْواجَهُمْ وَما كانُوا يَعْبُدُونَ ❖ مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلى صِراطِ الْجَحِيمِ ❖ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ**﴾ إلى أن يقول ﴿**فَأَغْوَيْناكُمْ إِنَّا كُنَّا غاوِينَ ❖ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذابِ مُشْتَرِكُونَ**﴾ ٢٣-٢٥ و٣٣-٣٤.

والجهة الثانية والثالثة من سوء عاقبتهم هي: أن لا ولاية لهم من دون الله، ثم لا

ينصرون، ذلك لأن الراكنين إلى الظالمين إنما اتخذوهم أولياء لهم من دون الله لينتصروا بهم بزعمهم في حين أن الظالمين ليسوا بأولياء لهم في الحقيقة، ولا هم ناصرون لهم، وإنما يدعونهم لينتصروا بهم ويخدعونهم ليضلوهم معهم ولذلك يكون نصيبهم جميعاً الخيبة والخذلان في الدنيا والآخرة جزاء ركونهم إلى الظالمين.

وقد جاء في الحديث: من اعتز بغير الله ذل. وفي حديث آخر: من أعان ظالماً على ظلمه سلطه الله عليه.

الكون مع الصادقين وحسن عاقبتهم في الدارين

وكما نهانا الله عن الركون إلى الظالمين، وأبان لنا العاقبة السيئة لذلك الركون الضال، أمرنا في آية أخرى أن نكون مع الصادقين ملازمين لهم ملازمة اتباع واقتداء مهتدين بهداهم مقتفين لآثارهم، فقال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ التوبة/ ١١٩.

نعم هكذا توجه الآية الكريمة الخطاب إلى المؤمنين خاصة، وتأمرهم أولاً بتقوى الله، وهو الخوف منه تعالى بامتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه، ثم تأمرهم بأن يكونوا مع الصادقين.

تعريف الصادقين

وهم الذين صدقوا في عقيدتهم، فلا يعتقدون إلا الحق، وصدقوا في أعمالهم فلا يعملون إلا طبق عقيدتهم الحقة، وصدقوا في أقوالهم فلا يقولون إلا حقاً ولا ينطقون إلا صدقاً. فهؤلاء الذين صدقوا بكل ما للصدق من معنى أمرتنا الآية بأن نكون معهم، وهي - بلا ريب - تدل على عصمة هؤلاء الصادقين.

والمعية معناها المصاحبة، والمراد منها هنا هي مصاحبتهم بالاتباع لهم في عقيدتهم وأعمالهم وأقوالهم بعد معرفتهم سواء التقوا بهم شخصياً أو لم يلتقوا بهم.

نزول آية الصادقين في محمد (ص) وأهل بيته

أما من هم أولئك الصادقون حقاً؟ فالجواب:

إنما هم الذين نزلت الآية الكريمة فيهم وهم نبينا محمد (ص) المعروف - عند الجميع من أحبائه وأعدائه - بالصادق الأمين، وأخوه وابن عمه علي أمير المؤمنين (ع) الذي لقبه رسول الله (ص) بالصديق الأكبر، وكريمته سيدة نساء العالمين وهي الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء.

صديقة خلقت لصديق شريف في المناسب اختاره واختارها طهرين من دنس المعائب

وريحانتاه من الدنيا سيدا شباب أهل الجنة وهما الصديقان الشهيدان الحسن والحسين (ع)، وبقية أهل بيته الأئمة التسعة المعصومين من ذرية الحسين (ع) فهم:

الناطقون الصادقون السابقون إلى الرغائب

فهؤلاء هم أصحاب هذه الآية الكريمة التي نزلت فيهم على ما روى ذلك جمع غفير من المفسرين والمحدثين في كتب التفسير والفضائل والمناقب من العامة والخاصة مسنداً ومرسلاً عن ابن عباس وابن عمر، وجابر بن يزيد الجعفي عن الإمامين الباقر والصادق وعن الإمام الرضا (ع) بنصوص وطرق عديدة.

فمن نصوص تلك الروايات عن عبد الله بن عمر أنه قال حول الآية: أمر الله أصحاب محمد (ص) بأجمعهم أن يخافوا الله، ثم قال لهم: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ يعني محمد وأهل بيته[1].

---

(١) راجع (شواهد التنزيل) للحاكم الحسكاني ج١ ص٢٦٢، ورواه ابن شهر آشوب (المناقب) ج٢ ص ٢٨٨ عن تفسير أبي يوسف يعقوب بن سفيان، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٢٤ ص٣٣ ونقله المعلق على (شواهد التنزيل) عن (المناقب) وعن (تفسير البرهان) للعلامة البحراني ج٢ ص١٨٣ ط٢.

وفي نصٍ عن ابن عباس قال: الصادقون في هذه الآية محمد وأهل بيته[1].

وفي نصٍ عن أبي جعفر الباقر (ع) قال: مع محمد وآل محمد (ص)[2].

راجع (إحقاق الحق) ج٣ ص٢٩٧.

وفي نصٍ عن الباقر والرضا (ع) قالا: الصادقون هم الأئمة من أهل البيت (ع)[3].

وفي نصٍ عن الإمام الصادق (ع) قال: مع محمد وعلي[4].

وفي نصٍ عن ابن عباس انه قال: مع علي وأصحاب علي[5].

وفي نص: مع علي بن أبي طالب[6].

وفي نص عن ابن عباس أنه قال: نزلت في علي بن أبي طالب خاصة[1].

---

(١) (ينابيع المودة) ص١١٩ للشيخ سليمان الحنفي نقلاً عن موفق بن أحمد الخوارزمي، وعن الحافظ أبي نعيم والحموييني، وعن أبي نعيم عن الصادق (ع) ونقله عن الينابيع السيد شهاب الدين في تعليقات إحقاق الحق ج٣ ص٢٩٩.

(٢) (شواهد التنزيل) ص٢٦١، ونقله الطبرسي في (المجمع) ج٣ ص٨١.

(٣) (الينابيع) ص١١٩ نقلاً عن أبي نعيم، وصاحب (المناقب)...

(٤) (شواهد التنزيل) ص٢٥٩.

(٥) راجع (شواهد التنزيل) ج١ ص٢٦٠، وينقله المعلق في (الحاشية) عن (فرائد السمطين) للحمويني الشافعي في الباب ٦٨، كما ينقله الحسكاني في (شواهد التنزيل) ص٢٦١ عن تفسير فرات بن إبراهيم، وهو الحديث ١٧٣ من تفسيره ص٥٣، و(البحار) ج٤ ص٣٠ ورواه الثعلبي في (تفسيره) مخطوط ص٢١٩ ونقله عنه وعن (مناقب مرتضوي) للعلامة الكشفي ص٤٣ السيد شهاب الدين في (تعليقات إحقاق الحق) ج٣ ص٢٩٧ وص٢٩٨ وينقله الطبرسي في مجمع البيان م٣ ص٨١ عن الكليني بسنده.

(٦) راجع (شواهد التنزيل) ص٢٦٢، و(كفاية الطالب) للكنجي الشافعي ص١١١ نقلاً عن ابن عساكر في تاريخه بطرق و(الدر المنثور) للسيوطي ج٣ ص٢٩٠ عن ابن مردويه عن ابن عباس، وعن ابن عساكر عن أبي جعفر الباقر (ع) ونقله عن السيوطي العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في (تفسيره الميزان) ج٩ ص٤٣٢، والشيخ الأميني في (الغدير) ج٢ ص٢٧٥، ونقله المظفري في (دلائل الصدق) ج٢ ص١٤٠.

وتدلنا مجموع هذه النصوص أن المعنيين بالصادقين - في هذه الآية - إنما هم محمد(ص) وأهل بيته المعصومون الطاهرون (ع) دون غيرهم، وربما كان نزولها في محمد(ص) وعلي، أو في علي خاصة كما في بعض النصوص المتقدمة، ولكنها تجري بعده في الأئمة من أبنائه المعصومين حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قال سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص٢٠: قال علماء السير: معناه كونوا مع علي (ع) وأهل بيته، ثم قال: قال ابن عباس: علي (ع) سيد الصادقين.

الإمام الحسين (ع) من سادات الصادقين

ومن سادات الصادقين بعد علي أمير المؤمنين هو ابنه الإمام الثالث الحسين (ع) الذي تمثل فيه الصدق الكامل بكل ما له من معنى في العقيدة والأعمال والأقوال من مبدأ أمره حتى شهادته في سبيل الله، وتضحياته الغالية لإحياء دينه وشريعة جده رسول الله (ص).

معية أهل بيته وأصحابه في الطليعة

وفي طليعة من كان معه بكل ما للمعية من معنى هم أهل بيته وأصحابه الذين قدموا نفوسهم الزكية فداء له ولأهدافه السامية من إحياء دين الله وشريعة نبيهم رسول الله (ص).

باعوا نفوساً لهم قد غلت وأرخصوا من سعرها المثمنا

مظاهر إيمان أبي الفضل العباس في مواقفه

وفي الطليعة من أهل بيته المتفانين دونه هو أخوه أبو الفضل العباس الذي يقول بعدما قطع الظالمون يمينه:

---

(١) راجع (شواهد التنزيل) ص٢٥٩-٢٦٠ و(المناقب) لاخطب خوارزم ص١٩٨.

والله إن قطعتمُ يميني إني إحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

وهذا مظهر جلي من مظاهر إيمانه وصلابة عقيدته وهو في أخريات حياته.

ومن مظاهر إيمانه ومواقفه الفدائية المشرفة أنه حينما ملك الشريعة يوم الطف ـ وهو في أشد حالة من العطش ـ أبى أن يشرب الماء مواساة لعطش أخيه الحسين وأهل بيته وأطفاله، وجعل يخاطب نفسه ويهوّن عليها قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعينِ؟

والله ما هذا فعال ديني

ومن مظاهر إيمانه وثباته عليه أنه ـ هو وأشقاؤه الثلاثة حينما جاءهم الشمر ـ يوم التاسع من المحرم بكتاب الأمان لهم من ابن زياد، ووقف بإزاء أصحاب الحسين ونادى: أين بنو أختنا؟ أين العباس وأخوته؟ فأعرضوا عنه ولم يجيبوه، فقال لهم الحسين (ع): أجيبوه ولو كان فاسقاً فإنه بعض أخوالكم، فقالوا له: ما شأنك؟ وما تريد؟ قال: يا بني أختي أنتم آمنون، لا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد بن معاوية، فقال له العباس: تبت يداك يا شمر، ولعنك الله ولعن أمانك يا عدو الله، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟ وتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟ فرجع الشمر إلى عسكره خائباً مغضباً[1].

وفي (الكبريت الأحمر) و(أسرار الشهادة)، وغيرهما أنه لما رجع العباس وأخوته إلى الحسين (ع) وأخبره العباس بما عرض عليهم الشمر وما أجابه به أتى زهير بن القين

---

(١) راجع (مقتل آل بحر العلوم) ص٤١٠-٤١١ نقلاً عن (تاريخ الطبري) و(كامل ابن الأثير) في حوادث سنة ٦١ هـ، و(أعلام النبوة) للماوردي ص١٤٠، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٢٥٩، و(مقتل الخوارزمي) ج١ ص٢٤٦، و(اللهوف لابن طاووس) ص٣٧.

إلى عبد الله بن عقيل فقال له: يا أخي ناولني الراية، فقال له عبد الله أفيّ قصور، فقال: لا، ولكن لي بها حاجة، فدفعها إليه فأخذها زهير وأتى بها العباس بن علي(ع) وقال له: يا ابن أمير المؤمنين أريد أن أحدثك بحديث، فقال: حدث فقد حلا وقت الحديث

حدث ولا حرج عليك فإنما ... تروي لنا متتابع الإسناد

فقال له: اعلم يا أبا الفضل أن أباك أمير المؤمنين (ع) لما أراد أن يتزوج بأمك أم البنين بعث إلى أخيه عقيل وكان عارفاً بأنساب العرب فقال له: يا أخي أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوي البيوت والنسب والحسب والشجاعة لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدي هذا، وأشار إلى الحسين (ع) يواسيه في طف كربلاء، وقد ادخرك أبوك لمثل هذا اليوم فلا تقصر عن حلائل أخيك وعن أخواتك، فارتعد العباس وغضب، وقال له: يا زهير تشجعني هذا اليوم فوالله لأرينك شيئاً ما رأيته[1].

ولقد وفى أبو الفضل العباس بما قال حيث جاهد يوم عاشوراء جهاداً لم ير مثله من قبله، فجدل أبطالاً ونكس رايات في وقت لم تكن همته القتال للأعداء ولا منازلة الخصماء وإنما كانت همته القصوى إيصال الماء إلى أخيه الحسين وعيالاته، ومع ذلك لما قام الأعداء بمنعه من الوصول إلى المشرعة قام بما قام به من الشجاعة النادرة التي قتل فيها منهم ـ على ما في بعض الروايات ـ ثمان مائة فارس أو أكثر[2]. وهو يرتجز ويقول:

أقاتل القوم بقلب مهتدِ ... أذب عن سبط النبي أحمد

أضربكم بالصارم المهند ... حتى تحيدوا عن قتال سيدي

إني أنا العباس ذو التودد ... نجل علي المرتضى المؤيد

---

(١) راجع (بطل العلقمي) ج١ ص٩٧ نقلاً عن (أسرار الشهادة) و(العباس بن أمير المؤمنين) للمقرم ص١٠٧ نقلاً عن (الكبريت الأحمر) ج٣ ص١٤٤، و(أسرار الشهادة) ص٣٨٧.

(٢) راجع (معالي السبطين) ج٢ ص٢٦٨.

ولم يزل روحي فداه يقاتل أعداء الله وأعداء رسوله حتى قطعت يداه فانكب على السيف بفيه وأخذ الراية بساعديه وهو يقول: هكذا أحامي عن حرم رسول الله، يقول السيد جعفر الحلي:

قسماً بصارمه الصقيل وإنني ... في غير ساعقة السما لا أقسم

لولا القضا لمحا الوجود بسيفه ... والله يقضي ما يشاء ويحكم

حسمت يديه المرهفات وإنه ... وحسامه من حدهن لأحسم .. الخ

المجلس الرابع والأربعون

الأخوّة، والأخ الشفيق، وعظيم فقده

أشـدد يديـك عـلى أخـيك تجـد بـه ... في كـــل أمـــرٍ ترتجـــيه نصـــيرا
لـــو لم يكـــن بـــأخٍ أخٌ مـــتأيداً ... لم يـــتخذ موســـى أخـــاه وزيـــرا

إنّ من أفضل ما يستفاد به من هذه الدنيا ويستعان به على الدهر ونكباته، وتسكن إليه النفس وتطمئن به هو الأخ الشفيق، فإنه مستودع سر أخيه، ومحطّ شكواه ومساعده في نكبته وبلواه، وأنه العضد الذي يعقد المرء به نظامه ولا يقوم أحد مقامه.

سؤال موسى ربه أن يجعل أخاه هارون وزيراً له

وكفاك على ذلك شاهداً ودليلاً من القرآن المجيد قوله تعالى على لسان نبيه وكليمه موسى بن عمران: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ❖ هارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ❖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ❖ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ❖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً ❖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً ❖ قالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسى**﴾ طه / ٣٠- ٣٧.

وقوله تعالى مخاطباً موسى ﴿**قالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُما سُلْطاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُما بِآياتِنا أَنْتُما وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغالِبُونَ**﴾ القصص/٣٦.

وإلى هذا اشاد بعض الشعراء حيث يقول:

أشـدد يديـك عـلى أخـيك تجـد بـه ... في كـــل أمـــر ترتجـــيه نصـــيرا
لـــو لم يكـــن بـــأخٍ أخٌ مـــتأيداً ... لم يـــتخذ موســـى أخـــاه وزيـــرا

سؤال نبينا (صلّى الله عليه وآله) ربه أن يجعل أخاه علياً وزيراً له

وكما سأل موسى بن عمران ربه أن يجعل أخاه هارون وزيراً له ليشد به أزره ويشركه في أمره وآتاه الله سؤله، كذلك نبينا محمد (صلّى الله عليه وآله) سأل ربه أن يجعل أخاه علياً وزيراً له ليشد به أزره ويشركه في أمره وآتاه الله سؤله، على ما جاء في حديث رواه كثير من العامة فضلاً عن الخاصة كأحمد بن حنبل في «مسنده» والثعلبي في تفسيره، والحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» والفخر الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب... وغيرهم كثير.[1]

إن النبي (صلّى الله عليه وآله) رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال ﴿**رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، هارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي**﴾ فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾. اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي أشدد به أزري.

قال الراوي: فوالله ما استتم رسول الله الكلام حتى نزل عليه جبرئيل من عند الله وقال: هنيئاً لك ما وهب لك في أخيك علي. قال: وماذا يا جبرئيل؟ قال: أمر الله أمتك بموالاته إلى يوم القيامة، وأنزل عليك، أو قال اقرأ ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ**﴾ المائدة/ ٥٦.

وكان علي (عليه السلام) قد تصدق بخاتمه على السائل وهو راكع.

---

(١). راجع الحديث بكامله في «شواهد التنزيل» ج١، ص١٧٨. ونقله الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين في «المراجعات» ص١٧٠، عن الثعلبي في تفسيره، والبلخي عن «مسند أحمد» ونقله الشبلنجي الشافعي في «نور الأبصار» ص٧٠، عن الثعلبي، ورواه الرازي في تفسيره ج٣، ص٤١٧، وراجع «تعليقات احقاق الحق» ج٣، ص٣٩٩-٤٠٨ في نزول الآية.

فالله تعالى جعل علياً وزيراً للرسول (صلّى الله عليه وآله) وعضداً له يشد به أزره ويشركه في أمره كما جعل هارون وزيراً لموسى وعضداً له يشد به أزره ويشركه في أمره، وقد تواتر عن النبي (صلّى الله عليه وآله) قوله لعلي (عليه السلام): يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي بعدي[1].

وإنما سأل موسى ربه أن يجعل أخاه هارون وزيراً له دون غيره لأن مقام الأخ مقام عظيم لا يمكن الاستغناء عنه، ولا يقوم أحد مقامه.

ويؤيد ذلك ما ورد عن النبي (صلّى الله عليه وآله) انه قال من جملة حديث له: ما استفاد امرئ فائدة بعد فائدة الإسلام مثل أخٍ يستفيده في الله عزّ وجلّ.[2]

وورد في حديث آخر: الرجل كثير بأخيه.[3]

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما ورد عنه: الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين.

ومثّل بعض الشعراء الأخ بالنسبة إلى أخيه أو إخوانه كالكف بالنسبة إلى الساعد فقال:

وما المرء إلاّ بإخوانه ... كما يقبض الكف بالمعصم

فلا خير بالكف مقطوعة ... ولا خير بالساعد الأجذم

وإن أحظى الناس في الدنيا من رزقه الله تعالى أخاً حاذقاً صادقاً في إخائه فإن المعين بثقل أعبائه والسلاح الذي يصول به على أعدائه. قال الشاعر:

أخاك أخاك إن من لا أخاً لَه ... كساعي إلى الهيجا بغير سلاح

---

(١). راجع حديث المنزلة في مفاده، ومسنده ومصادره «المراجعات» للامام السيد عبد الحسين شرف الدين، ص١٥٢-١٦٥، وراجع الميزان في تفسير القرآن، ج١٤، ص١٧٢، في تحقيق دعاء موسى، ودعاء النبي (صلّى الله عليه وآله) ومفادهما.

(٢). راجع الحديث في «بشارة المصطفى» للطبري الإمامي، ص٨٧.

(٣). وفي نص: المرء كبير بأخيه وابن عمه. «شرح ابن أبي الحديد» ح٣، ص٤٠٧.

الأخوّة السببية والنسبية

والأخوّة ـ كما لا يخفى ـ تنقسم أولاً إلى قسمين سببية ونسبية، والسببية تنقسم أيضاً إلى قسمين: الأول: الأخوّة التي تكون بسبب الرضاع، فإذا رضع صبيان من ثدي واحد ـ بشرائط مذكورة في كتب الفقه والرسائل العملية ـ صارا أخوين بسبب الرضاع، والمرضعة صارت أماً لمن أرضعته بلبنها، وبذلك يحرم نكاح أحدهما الآخر ولكن لا يرث أحدهما الآخر.

والثاني من الأخوة السببية هي أخوة المؤمنين بعضهم مع بعض، وبها صرح القرآن الكريم بقوله عزّ من قائل ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ الحجرات/ ١١.

التدبر لمفاد آية أخوّة المؤمنين

لنقف قليلاً عند هذه الآية الكريمة من سورة الحجرات لنتدبر مفادها. يقول تعالى ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ ولفظة «إنما» أداة حصر، أي إنها تحصر الشيء في جهة دون غيرها، ومعنى هذا أن المؤمن أخو المؤمن، ولكنه لم يكن أخاً للكافر، ولا للفاسق المتجاهر بالفسق، ولا للمجرم المعروف بالاجرام، لأن الجامع لهذه الأخوّة في الآية هو الإيمان لا غير، ولذلك يفرق القرآن بين المؤمنين والكافرين في الموالاة فيقول تعالى: ﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ آل عمران/ ٢٩.

كما يفرق بين المؤمن والفاسق بقوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ**﴾ السجدة/ ١٩.

ويفرق بين المسلمين والمجرمين بقوله تعالى: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ القلم ٣٥-٣٦.

وهكذا قوله تعالى: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**

﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ص/٣٩.

ومن هنا ورد عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال: المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه. ثم يقول الإمام: وذلك إن الله تبارك وتعالى خلق المؤمنين من طينة السماوات، وأجرى فيهم - أي في المؤمنين - من روح رحمته، - وفي نص: من ريح روحه - فلذلك هو أخوه لأبيه وأمه.[1]

وفي حديث آخر يروى عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنه قال: المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، أبوهما النور وأمهما الرحمة. أي أبوهما نور الإسلام، وأمهما الرحمة الإلهية.

ولما كان المؤمن أخو المؤمن كان على أحدهما حقوق اجتماعية للآخر تشير إليها عدة روايات منها ما رواه الكليني في الكافي بإسناده عن علي بن عقبة عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشّه ولا يعده عدة فيخلفه.

ومنها: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يغتابه.[2]

ومنها: المؤمن مرآة أخيه المؤمن. إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة، كقولهم: من غشنا فليس منا.

ومن تلك الحقوق الاجتماعية بين المؤمنين ما ذكرته الآية الكريمة التي هي موضع بحثنا وهو الإصلاح بين الطائفتين، أو بين المؤمنين اللذين يختصمان أو يقتتلان فحينئذ يجب على المؤمنين الآخرين أن يسعوا في إصلاح ما بينهما، لذلك قال بعد إخباره بأخوّة المؤمنين ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

---

(١). راجع «المحاسن» للبرقي، ص١٠١، وينقله عنه العلامة الطباطبائي في تفسيره «الميزان» ج١٨، ص٣٤٧.

(٢). راجع «تفسير الميزان» ج١٨، ص٣٤٧.

نعم هكذا قال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ ولم يقل: فأصلحوا بين الأخوين، ذلك ليبيّن أن المؤمنين الآخرين هم أخوة للطائفتين المتخاصمتين، ولذلك يجب عليهم السعي في الإصلاح بينهما وهو من أوجز الكلام وألطفه.

ثم أبان لنا المصلحة العائدة علينا بهذا الإصلاح بقولِه ﴿وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي إن التقوى والإصلاح يكونان سبباً لرحمتكم ووحدتكم.

وقد جاء ـ في الشريعة الإسلامية الغراء ـ الحث البالغ الأكيد على الإصلاح، ولو لم يرد من ذلك غير ما جاء في وصيّة أمير المؤمنين للحسن والحسين ليلة وفاته لكفى. يقول (عليه السلام):

الله الله في الإصلاح فإني سمعت جدكما رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام.

قولِه: عامة الصلاة والصيام، إمّا أن يريد به تفضيل الإصلاح وزيادة أجره على مطلق الصلاة والصيام الواجب منهما الذي لابدّ من أدائه والمستحب، أو يريد تفضيله على المستحب منهما فقط، وعلى كلٍّ، فمن الأخوة السببية أخوة المؤمنين عامة بعضهم مع بعض.

مؤاخاة النبي (صلّى الله عليه وآله) للمسلمين قبل الهجرة وبعدها واتخاذه علياً (عليه السلام) أخاً له كلا المرتين.

وقد يتخذ فردٌ من المؤمنين أخاً لَه مؤمناً ويؤاخيه في الله أخوة خاصة بهما فيكونان أخوين يعاضد وينصر ويواسي أحدهما الآخر، وذلك اقتداء بالنبي (ص) الذي آخى بين المسلمين من المهاجرين بمكة قبل هجرته منها، فجعل كلّ واحد منهما أخاً للآخر، واتخذ هو (صلّى الله عليه وآله) لنفسه أخاً وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ثم لّما هاجر (ص) إلى المدينة وهاجر أخيراً معه الآخرون من المسلمين، واصبحوا فرقتين مهاجرين وأنصار، آخى (صلّى الله عليه وآله) بينهما مؤاخاة ثانية فجعل لكل

مهاجري أخاً من الأنصار، ولكل أنصاري أخاً من المهاجرين، أمّا هو (صلّى الله عليه وآله) فلم يتخذ له أخاً سوى علي أمير المؤمنين (عليه السلام) مع أن كل واحد منهما مهاجري، فمقتضى هذه القاعدة أن يتخذ النبي (صلّى الله عليه وآله) أخاً له من الأنصار، وأن يتخذ لعلي أيضاً أخاً له من الأنصار، ولكن لما لم يكن أحد مثل النبي(صلّى الله عليه وآله) غير علي أمير المؤمنين (عليه السلام) لذا اتخذه أخاً له دون غيره في كلا المرتين، وما اكتفى بذلك حتى قال له: أنت أخي في الدنيا والآخرة.[1]

فكان علي أخاه في المنزلة والمؤاخاة، وهذه المؤاخاة أيضاً سببية إسلامية، ولكنها مؤاخاة خاصة بين الاثنين، إضافة إلى الأخوّة العامة بين المؤمنين أجمعين.

وبسبب تلك المؤاخاة قد يكون أحدهما اكثر معاضدة ونصرة ومواساة للآخر من الأخ النسبي لأخيه.

ومن هنا قيل: أخاك بالنشب لا أخاك بالنسب. أي أن أخاك الحقيقي الواقعي هو الذي يواسيك في ماله عند الحاجة إليه، ويقول الشاعر مشيراً إلى هذا المعنى:

كم من أخٍ لك لم يلده أبوكا ... وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا

والناس ما استغنيت كنت أخاهم ... وإذا افتقرت إليهمُ رفضوكا

صاف الكرام إذا أردت إخاءهم ... واعلم بأن أخا الحفاظ أخوكا

وقال الآخر:

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

---

(١). انظر «المراجعات» للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين، من ص١٦١-١٦٨ في كيفية المؤاخاة ومصادرها، وتفضيل علي فيها على غيره.

وقوف أمير المؤمنين (عليه السلام) على مصرع عمّار، ورثاؤه له

وقد وقف أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم صفين على مصرع أخ سببي وهو عمّار بن ياسر ولما رآه مزملاً بدمائه تنفس الصعداء وبكى وهو الصبور، ونعاه نعياً صارخاً وهو الوقور وقال:

ألا أيها الموت الذي ليس تاركي ... أرحني فقد أفنيت كل خليل

أراك بصيراً بالذين أحبهم ... كأنك تنحو نحوهم بدليل

نعم، الأخ الحقيقي يجد لفقد أخيه مصيبة ويتمنى الموت عند فقده، هذا بالنسبة إلى الأخ السببي، وأما الأخ النسبي ولا سيما الحاذق الصادق في إخائه فإنه لا يعدله شيء ولا يماثل بأحد من الأهل والأقارب والعشيرة حتى الولد الذي هو فلذة الكبد.

فقد الأخ من قواصم الظهر

ويؤيد ذلك ما روي أن لقمان الحكيم عاد من سفر له طويل فلقي غلاماً له في بعض الطريق فسأله لقمان عن أبيه ما فعل؟ قال الغلام: مات أبوك، قال: ملكت أمري، قال: ما فعلت أمي؟ قال: ماتت، قال: استرحت من عقوقها، قال: ما فعلت زوجتي؟ قال: ماتت، قال: جُدّد فراشي، قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت، قال سترت عورتي، قال: ما فعل ولدي؟ قال: مات، قال يجيء غيره، قال: ما فعل أخي؟ قال مات، قال لقمان: الآن انكسر ظهري.

وقوف الحسين (عليه السلام) على مصرع أخيه العباس

وإذا كان فقد أخٍ واحد يكسر الظهر ويقصمه فكيف حال الحسين (عليه السلام) وقد فقد يوم عاشوراء تسعة من إخوته، وبقيةأبنائه وأهل بيته، واثنين وسبعين من أحبته رآهم كلهم صرعى مجزرين كالأضاحي على الرمال، سائلة دماؤهم مقطعة أعضاؤهم.

ولكن كان أعظمهم مصيبة على الحسين مصرع أخيه أبي الفضل العباس وهو ـ على

الظاهر ـ آخر من قتل من اخوته وأهل بيته، وحين وقف عليه صريعاً رآه مقطوع اليدين مرضوض الجبين، المخ سائل على الكتفين، السهم نابت في العين، العلم إلى جنبه مخرق، القربة حوله ممزقة، عند ذلك بكى بكاء شديداً ونادى: الآن انكسر ظهري، الآن قلّت حيلتي، الآن شمت بي عدوي.

ومشى إليه السبط ينعاه كسرت الآ ن ظهـــري يـــا أخـــي ومعـــيني

ثم نادى: وا أخاه، وا عباساه، وا مهجة قلباه، ثم قال: جزاك الله من أخ خير لقد جاهدت في الله حق الجهاد، يعز والله عليّ فراقك، وبينما هو يخاطبه إذ شهق العباس شهقة وفارقت روحه الدنيا. فقام الحسين من عنده محني الظهر يكفكف الدموع بكمه، ثم حمل على القوم وجعل يضرب فيهم يميناً وشمالاً وهم يفرون من بين يديه وهو يقول: إلى أين تفرون وقد قتلتم أخي، إلى أين تفرون وقد قتلتم عضدي.

ثم أقبل متوجهاً جهة الخيام فاستقبلته سكينة وأخذت بعنان جواده وقالت: يا أبتاه هل لك علم بعمي العبّاس أراه بطأ؟ وقد وعدني بالماء، وليس له عادة أن يخلف وعده، فهل شرب الماء وبلّ غليله ونسي ما وراءه؟ أم هو يجاهد الأعداء؟ فعندها بكى الحسين وقال: يا بنتاه إن عمك العباس قد قتل وبلغت روحه الجنان، فصرخت ونادت وا عماه وا عبّاساه.

ولّما سمعت زينب بقتله صرخت ونادت وا أخاه وا عباساه و قلة ناصراه، وا ضيعتاه من بعدك. فقال الحسين: إي والله من بعده وا ضعيتاه وانقطاع ظهراه، وجعلن النساء يبكين ويندبن والحسين يبكي معهن وأنشأ يقول: أو لسان حاله.

أخـي يـا نـور عـيني يـا شـقيقي فلـي قـد كنـت كالـركن الوثـيق
أيـا ابـن أبـي نصـحت أخـاك حـتى سـقاك الله كأسـاً مـن رحـيق
أيـا قمـراً مـنيراً كنـت عونـي عـلى كـل النوائـب في المضـيق
فـبعدك لا تطيـب لـنا حـياة سـنجمع في الغـداة عـلى الحقـيق
ألا لله شـكوائي وصـبري ومـا ألقـاه مـن ظمـأ وضـيقِ[1]

(١). راجع «معالي السبطين» من ٢٦٩، وص٢٧٤.

المجلس الخامس والأربعون

العبّاس (عليه السلام) وأخوته من قُتل منهم ومن لم يقتل، وأمهاتهم

روى الكليني في «أصول الكافي» والمجلسي في «البحار» نقلاً عن «الخرائج» عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه قال:

جمع أمير المؤمنين بنيه عند وفاته وهم اثنا عشر ولداً ذكراً، فقال لهم: إن الله أحب أن يجعل فيّ سنة من يعقوب، إذ جمع بنيه وهم اثنا عشر ذكراً، فقال لهم: إني أوصي إلى ولدي يوسف فاسمعوا له وأطيعوا، وأنا أوصي إلى الحسن والحسين فاسمعوا لهما وأطيعوا، وفي نص الكليني: قال علي: ألا إنّ هذين ابنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فاسمعوا لهما وأطيعوا، وآزروهما فإني قد ائتمنتهما على ما ائتمنني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ممّا ائتمنه الله عليه من خلقه ومن غيبه، ومن دينه الذي ارتضاه لنفسه.... الخ.[1]

ظاهر هذا الحديث الشريف أنّ أبناء أمير المؤمنين الذين أعقبهم بعده وأوصى إليهم بهذه الوصية كانوا اثني عشر ولداً، ولكن الذي يستفاد من التاريخ وأقوال المؤرخين أن أبناءه الذين أعقبهم بعده أربعة عشر، واثنان ماتا في حياته فيكون مجموع أبنائه ستة عشر.

ويمكن أن يوجه هذا الحديث بأن يكون أبناء أمير المؤمنين الذين أحضرهم عنده وأوصى عليهم كانوا اثني عشر، وان اثنين منهم كانا رضيعين، والرضيع في حجر أمه، ولا يفهم الوصية حتى يوصى إليه.

وعلى كل يذكر بعض المؤرخين أن أبناء أمير المؤمنين كانوا ستة عشر، وقد ذكر

---

(١). راجع «البحار»، ج٤٢، ص٨٧، نقلاً عن «الخرائج» للقطب الراوندي، واصول الكافي في شرحه الشافي للمظفري، ج٣، ص٣٠٤، ونقله عن الكافي الشيخ محمد باقر المحمودي في «نهج السعادة»، ج٢، القسم ٢، ص٣٩٦ من طريقين.

ذلك الطبري في تاريخه والشبلنجي في «نور الأبصار» نقلاً عن كتاب الأنوار، لأبي القاسم وغير هؤلاء[1] وقيل أكثر من ذلك.

١-٢-٣ الحسن والحسين والمحسن، وأمهم فاطمة (عليها السلام)

وأولاده الستة عشر: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وهما الإمامان بعد أبيهما اللذان نص رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على إمامتهما، كما نص أبوهما أمير المؤمنين (عليه السلام) أيضاً على إمامتهما من بعده، وأوصى بوجوب إطاعتهما وشقيقهما السقط الذي سمّاه رسول الله ـ وهو حمل ـ محسناً.[2]

وأمهم جميعاً الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

لم يتزوج علي (عليه السلام) على فاطمة، والحكم في تعدد الزوجات

وهي أول زوجاته، ولم يتزوج عليها حتى توفيت. كما أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يتزوج على أمها خديجة حتى توفيت، ذلك أن الله سبحانه شرع تعدد الزوجات لحكم عديدة منها انه ربما تكون الزوجة الأولى عقيم لا تلد، أو أنها ناقصة في كمالها، أو جمالها أو غير ذلك من الأسباب والحكم.

ومع ذلك اشترط احراز العدالة من الزوج بين زوجاته، وأنه إن خاف أن لا يعدل فليس له أن يتزوج إلاّ واحدة، قال تعالى ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامى**

---

(١). راجع كتاب «محمدَ بن الحنفية» للخطيب السيدعلي الهاشمي، ص٣٤، نقلاً عن تاريخ الطبري.

(٢). «نور الأبصار» للشبلنجي، ص٩٤، نقلاً عن كتاب «الأنوار».

أثبت المحسن علماء الفريقين، راجع «بطل العلقمي» ج٣، ص٤٧٣-٤٧٦، إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سمى أولاد علي وفاطمة بأسماء أبناء هارون.

فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَواحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ ذلِكَ أَدْنى أَلاَّ تَعُولُوا﴾ النساء/ ٤.

أما إذا كانت الزوجة كفاطمة سيدة نساء العالمين وكخديجة سيدة نساء عالمها كله، وقد حازتا كل كمال وجمال في الخلق والخلق، وكل منهما ودود ولود فحينئذ لا حاجة للزواج وإدخال الأذى عليها، ومقارنتها بمن هي دونها.

٤. محمد بن الحنفية، وأمه خولة، والمحامدة الأربعة

والرابع من أولاده (عليه السلام) محمد الأكبر المعروف بابن الحنفية، وأمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة، وهو أكبر أبناء أمير المؤمنين بعد الحسن والحسين، ومن أورع الناس وأتقاهم بعد أئمة الدين.

وهو أحد المحامدة الأربعة الذين أبوا أن يعصوا الله عزّ وجلّ، شهد لهم بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث رواه الكشي في رجالِه بسنده عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) انه قال:

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: إن المحامدة تأبى أن تعصي الله عزّ وجلّ، قال الراوي قلت: ومن المحامدة؟ قال: محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد بن أمير المؤمنين.

حبس معاوية لمحمد بن أبي حذيفة، وموقفه الحازم بين يديه

وكان محمد بن أبي حذيفة ـ وهو أحد المحامدة الأربعة ـ ابن خال معاوية لأن أباه أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة ـ وهو أخو هند أم معاوية ـ ولكنه كان ممّن أخلص الولاء لأمير المؤنين.

قال الكشي في رجاله: كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مع علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومن أنصاره وأشياعه، وكان ابن خال معاوية، وكان رجلاً من

خيار المسلمين، فلما توفي علي (عليه السلام) أخذه معاوية وأراد قتله فحبسه في السجن دهراً ثم قال معاوية ذات يوم ـ لأصحابه ـ: ألا نرسل إلى هذا السفيه محمد بن أبي حذيفة فنبكته ـ أي نوبخه ـ ونخبره بضلالته ونأمره أن يسب علياً، قالوا: نعم، قال: فبعث إليه معاوية وأخرجه من السجن وقال له: يا محمد بن أبي حذيفة أما آن لك أن تبصر ما كنت عليه من الضلالة بنصرتك علي بن أبي طالب؟ ألم تعلم أن عثمان قتل مظلوماً؟ وأن عائشة وطلحة والزبير خرجوا يطلبون بدمه؟ قال محمد بن أبي حذيفة: إنك لتعلم إني أمس القوم بك رحماً وأعرفهم بك؟ قال: أجل، قال: فوالله الذي لا اله غيره إني لأعلم أنك ممن شرك في دم عثمان وألب الناس عليه حيث استعملك ـ ومن كان مثلك ـ والياً على المسلمين. فسأله المهاجرون والأنصار أن يعزلك فأبى، ففعلوا به ما بلغك.

ووالله ما أحد اشترك في قتله بدءاً وأخيراً إلاّ طلحة والزبير وعائشة، فهم الذين شهدوا عليه بالعظيمة ـ أي الجريمة ـ وألبّوا عليه الناس، وشركهم في ذلك عبد الرحمن بن عوف، وابن مسعود، وعمّار، والأنصار جميعاً. قال معاوية سائلاً قد كاّن ذلك؟ قال: إي، ثم قال: فوالله إني لأشهد أنك منذ عرفتك في الجاهلية والإسلام لعلى خلق واحد، ما زاد الإسلام فيك لا قليلاً ولا كثيراً، ،وعلامة ذلك فيك لبيّنة حيث أنك تلومني على حبي علياً، وقد خرج معه كل صوّام قوام، مهاجري وأنصاري، وخرج معك أبناء المنافقين والطلقاء والعتقاء خدعتهم عن دينهم، وخدعوك عن دنياك، والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت، وما خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلّوا أنفسهم سخط الله بطاعتك. ثم قال أخيراً:

والله إني لا أزال أحب علياً لله ولرسوله، وأبغضك في الله ورسوله أبداً ما بقيت، قال معاوية: إني أراك على ضلالك بعد، ردوه، فارجع إلى السجن حتى مات فيه

شهيداً محتسباً.[1]

هذا ثالث المحامدة الأربعة، والرابع هو محمد بن الحنفية وهو الرابع من أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام).

٥. محمد الأوسط، وأمه أمامة

والخامس من أولاد أمير المؤمنين محمد الأوسط، وأمه أمامة بنت زينب بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) والظاهر أنها أوّل امرأة تزوج بها أمير المؤمنين بعد سيدة النساء فاطمة (عليها السلام).

وكانت قد أوصته بتزويجها، حيث قالت في وصيتها حين حضرتها الوفاة: يابن العلم أن الرجال لابدّ لهم من النساء، فإذا أردت التزويج بعدي فعليك بابنة أختي أمامة فإنها تكون لولدي مثلي، يا أبا الحسن اجعل لزوجتك يوماً وليلة ولأولادي يوماً وليلة، وأوصيك يا أبا الحسن بولدي الحسن والحسين لا تصح في وجهيهما فيصبحان يتيمين غريبين منكسرين، بالأمس فقدا جدهما واليوم يفقدان أمهما، فالويل لمن يقتلهما ويبغضهما.

فلما قبضت تزوج أمير المؤمنين بأمامة، وولدت له محمداً الأوسط، وهو الخامس من أولاده وقد حضر الطف مع أخيه الحسين وقتل شهيداً بين يديه.

على ما ذكر ذلك صاحب «ذخيرة الدارين» وغيره.[2]

---

(١). راجع المصدر السابق، نقلاً عن بعض رواة العامة عن محمد بن إسحاق.

(٢). محمد الأوسط الذي أمه أمامة ذكره الكثير من المؤرخين، راجع مصادر من ذكره منهم كتاب «بطل العلقمي» للمظفري، ج٣، ص٤٩١ ونص على شهادته السيد عبد المجيد في «ذخيرة الدارين» ص١٦٧ ويذكر شهادته أيضاً على قول: الشيخ جعفر النقدي في كتابه «زينب» ص١٦. كما ذكره المازندراني في معالي السبطين، ج٢، ص٣٣٩.

٦. محمد الأصغر، وأمه أم ولد

والسادس من أبنائه محمد الأصغر وأمه أم ولد وقد حضر الطف وقتل بين يدي أخيه الحسين (عليه السلام)، وهو الثالث ممّن سمّاهم أمير المؤمنين بمحمد، فالأكبر ابن الحنفية، والأوسط الذي أمه أمامة، والأصغر الذي أمه أم ولد، وقد ذكره كثير من المؤرخين ونصوا على شهادته يوم الطف.[1]

٧-٨. عون ويحيى، وأمهما أسماء بنت عميس

والسابع والثامن عون وشقيقه يحيى وأمهما أسماء بنت عميس الخثعمية، هذه المرأة الطاهرة التي أخلصت الولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، وكانت من السابقات إلى الإسلام.

أولاد أسماء الستة من أزواج ثلاثة

وكان لها من الأولاد ستة - على ما هو المشهور - من أزواج ثلاثة، وقد أنجبت بجميع أولادها وكأن فيها يقول الشاعر:

لا عـذب الله أمّـي انهـا شـربت ... حـب الوصـي وغذتنـيه بـاللبن

وأزواجها الثلاثة الأول جعفر بن أبي طالب شقيق أمير المؤمنين، وهو المعروف بجعفر الطيار، وكانت زوجته أسماء قد هاجرت مع زوجها إلى الحبشة، وأولادها هناك من البنين ثلاثة. الأول عبد الله المعروف ببحر الجود، وهو زوج العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين.

والثاني محمد وهو أول المحامدة الأربعة الذين أبوا أن يعصوا الله وكان من قواد عمّه أمير المؤمنين يوم صفين على ما ذكر بعض المؤرخين - وقد استشهد بين يديه

---

(١). راجع كتاب «بطل العلقمي» للمظفري، ج٣، ص٤٩٢-٤٩٥، فيمن ذكر محمداً الأصغر وذكر شهادته يوم الطف.

بصفين.[1]

والثالث عون، وهو زوج أم كلثوم بنت عمه أمير المؤمنين، وقد استشهد بين يدي الحسين، وهو اكبر هاشمي استشهد بين يديه، كان عمره مقارباً لعمر الحسين، ذكر شهادته جمع من المؤرخين.[2]

فهؤلاء الثلاثة من أولاد أسماء من زجها الأول جعفر، وبعد قتله شهيداً في غزوة مؤتة وانقضاء عدّتها، تزوجها أبو بكر بن أبي قحافة، فأولدها محمداً ابنه فقط، وهو الثاني من المحامدة الأربعة، وكان من خواص أصحاب أمير المؤمنين، ومن حواريه الأربعة.

حواريو أمير المؤمنين الأربعة وشهادتهم

حواريّو أمير المؤمنين الأربعة هم على ما روى الكشي في رجاله، بسنده عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) أنه قال في حديث طويل: إنه إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ أين حواريو علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبد الله رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟ فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمّار، وأويس القرني... الخ[3]

وهؤلاء الحواريون الأربعة كلهم قتلوا واستشهدوا في سبيل حبهم وولائهم لأمير المؤمنين (عليه السلام) ودفاعاً عن الحق والدين.

أما عمرو بن الحمق الخزاعي فقد قتله معاوية بن أبي سفيان على يد المجرمين من أصحابه بالموصل، وكان قد هرب إليها، واختفى هناك، وهو من خيار الصحابة، وكان

---

(١). نص على شهادته بصفين الداوودي في «العمدة» ص٣٦ وغيره ومنهم السيد علي خان في «الدرجات الرفيعة» ص١٨٥.

(٢). راجع ترجمته مفصلاً واستشهاده في «ذخيرة الدارين» ص١٦٧-١٦٩، وذكره صاحب «معالي السبطين» ص٢، ص١٤٠.

(٣). راجع «رجال الكشي» ص١٥ في أحوال سلمان الفارسي.

بحيث قد أبلته العبادة، ورأسه أول رأس حمل في الإسلام من الموصل إلى الشام.

وكانت زوجته ـ واسمها آمنة بنت الشريد ـ قد حبسها معاوية بدمشق، فلما جيء إليه برأس زوجها أمر أن يحمل إليها ويجعلوه في حجرها، وحين نظرت إليه وعرفته أخذت بالنوح والعويل وهي تقول: وا حزناه وا ضيعتاه، نفيتموه عني طويلاً وأهديتموه اليّ قتيلاً... الخ.[1]

وأما محمد بن أبي بكر فقد كان والياً من قبل أمير المؤمنين (عليه السلام) على مصر، وبعث إليه معاوية جيشاً كبيراً بقيادة عمرو بن العاص، ومعه من قواده معاوية بن خديج، وأبو الأعور السلمي فقاتلهم محمد بمن معه من أصحابه.

وأخيراً استولى أصحاب عمرو على محمد، وقتلوه وهو إذ ذاك صائم عطشان، ثم وضعوه في جلد حمار وأحرقوه بالنار، فلم يحترق جسده.

ولما بلغ أمير المؤمنين (عليه السلام) قتله حزن عليه حزناً شديداً، حتى رؤي ذلك في وجهه وبان عليه، وخطب في الناس، وأخبرهم بان مصر قد افتتحها الفجرة أولوا الظلم والجور.

وأخبرهم قائلاً: إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحتسبه... الخ.[2]

وروى المدائني إنه قيل لعلي (عليه السلام): لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً، فأجاب: وما يمنعني إنه كان لي ربيباً، وكان لبنيّ أخاً، وكنت له والداً، واعدّه ولداً.[3]

---

(١). راجع ترجمة عمرو بن الحمق في كتاب «مراقد المعارف» للبحاثة الشيخ حرز الدين، ج٢، ص ١٢٢-١٢٧، والدرجات الرفيعة للسيد علي خان ص٤٣١-٤٣٧، والغدير للأميني، ج١١، ص٤١-٤٥، وقد فصل كيفية قتله، ما يتعلق به من الحاجات.

(٢). «الغدير» ج١١، ص٦٨، للأميني نقلاً عن «تاريخ الطبري» ج٦ ص٦٢، وكامل ابن الأثير، ج٣، ص١٥٥.

(٣). «مراقد المعارف» للعلامة محمد حرز الدين، ج٢، ص٢٤٧، نقلاً عن «مروج الذهب» للمسعودي، ج٢، ص٤٢٠، والكامل لابن الأثير، ج٣، ص١٨٠.

وبعد قتله كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) كتاباً إلى ابن عباس يقول فيه:

أما بعد فإن مصر قد افتتحت، ومحمد بن أبي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولداً ناصحاً، وعاملاً كادحاً، وسيفاً قاطعاً، وركناً دافعاً.. الخ.[1]

وإنما عبّر عنه بالولد الناصح لأن محمداً كان ربيب أمير المؤمنين وخرّيج مدرسته وجارياً عنده مجرى أولاده، قال ابن أبي الحديد في «شرح النهج»: وكان محمد ربيبه وخريجه وجارياً عنده مجرى أولاده، رضع الولاء والتشيع مذ زمن الصبا فنشأ عليه فلم يكن يعرف له أباً غير علي (عليه السلام) ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره، حتى قال علي (عليه السلام) محمد ابني من صلب أبي بكر... الخ.[2]

والى محمد بن أبي بكر تنسب هذه الابيات:

يا أبانا قد وجدنا ما صلح ... خاب من أنت أبوه وافتضح

إنما اخرجني منك الذي ... أخرج الدر من الماء الملح

يا بني الزهراء أنتم عدتي ... وبكم في الحشر ميزاني رجح

وإذا صحّ ولائي لكمُ ... لا أبالي أيّ كلب قد نبح[3]

والثالث من حواريي أمير المؤمنين ميثم بن يحيى التمّار، وقد قتله الدعي بن الدعي عبيد الله بن زياد، وصلبه على خشبة مع تسعة آخرين من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل مجيء الحسين إلى العراق بعشرة أيّام.[4]

والرابع من حواريي أمير المؤمنين أويس بن عامر القرني وقد قتل شهيداً يوم صفين

---

(١). «شرح النهج» لابن أبي الحديد، ج٤، ص٥٤.

(٢). «شرح النهج» ج٢، ص٢١، ونقله عنه المجلسي في «البحار» ج٤٢ ص١٦٢.

(٣). تجد الأبيات في كتاب «ماذا في التاريخ» ج٤، ص٥٢٣ نقلاً عن منهاج البراعة، ج٥، ص١٠٤.

(٤). راجع ترجمة ميثم وشهادته في «رجال الكشي» ص٧٤-٨١، وفي «مراقد المعارف» لحرز الدين، ج ٢، ص٣٤٠-٣٤٤.

بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام).[1]

وبجهاد هؤلاء المؤمنين المخلصين وأمثالهم كان بقاء الدين خالداً إلى يوم القيامة، حيث أنهم والوا الحق وأهله، وعادوا الباطل وأهله تقرباً إلى الله وجهاداً في سبيله حتى الشهادة، ومنهم محمد بن أبي بكر الذي ربّاه أمير المؤمنين (عليه السلام) لأنه هو الذي تزوّج بأمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبيه أبي بكر، وقام بتربيته وأولدت لأمير المؤمنين كما مرّ ولدين عون ويحيى.

ويحيى مات في حياة أبيه، وأمّا عون فقد قتل يوم الطف بين يدي أخيه الحسين على ما رواه صاحب الناسخ.[2]

والشهداء بالطف ممّن يسمى عوناً من آل أبي طالب أربعة، عون بن جعفر الطيار وأمه أسماء وعون بن أمير المؤمنين (عليه السلام) وأمه أيضاً أسماء، وعون بن عبد الله بن جعفر وأمه الحوراء زينب، وعون بن عقيل وأمه أم ولد، وكلهم دفنوا مع بقية الشهداء، من أهل بيت الحسين (عليه السلام) في كربلاء.

التحقيق في القبر المنسوب لعون قرب كربلاء ومن هو؟

وأما القبر المنسوب لعون بين سدة الهندية وكربلاء فعلى الظاهر أنه غير أحد هؤلاء الذين قتلوا مع الحسين، بل هو حسني، وهو عون بن عبد الله بن جعفر بن مرعي من ذرية الحسن الزكي، وبينه وبين الحسن إثنا عشر ظهراً.

كان سيداً جليلاً مقيماً في الحائر الحسيني، وكانت له مزرعة على ثلاثة فراسخ من كربلاء توفي فيها ودفن هناك.

وحيث أن اسمه عون بن عبد الله بن جعفر لذلك يتصور البعض إنه عون بن عبد

---

(١). ترجمة اويس وشهادته في المصدرين السابقين، الكشي، ص٩١-٩٣، وفي المراقد، ج١ ص١٦٣-١٤٦٨.

(٢). راجع «معالي السبطين» ج١ ص٢٦٢، وبطل العلقمي ج٣ ص٥٢٨ نقلاً عن الناسخ.

الله بن جعفر الطيار، وبعض يظن أنه عون بن علي وهوكلا الرأيين غير صحيحين.

٩-١٠ أبو بكر، وعبيد الله وأمهما ليلى بنت مسعود

والتاسع والعاشر من أبناء أمير المؤمنين أبو بكر وشقيقه عبيد الله وأمهما ليلى بنت مسعود النهشلية، وأبو بكر قتل شهيداً يوم الطف مع أخيه الحسين (عليه السلام).[١]

وأما عبيد الله فلم يحضر الطف، وهو الذي وفد على المختار بن أبي عبيد الثقفي يطلب الرفد منه فلم يصله بشيء، وقيل: جاء إلى المختار يريد البيعة منه إليه، فقال له المختار: لست هناك، أي لا تستحق البيعة. فتركه والتحق بمصعب بن الزبير وصار من قوّاده، وجاء معه محارباً للمختار، فلما وصل المذار من سواد البصرة وجد في فسطاطه مذبوحاً ولم يعلم قاتله.

وكان أبوه أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أخبره بذلك حين حضرته الوفاة وجمع بنيه عنده ونصّ على إمامة الحسن والحسين من بعده ووجوب إطاعتهما.

قال له عبيد الله: يا أبة أتوصي إلى الحسن والحسين دون محمد (يعني محمد بن الحنفية) فقال (عليه السلام): أجرأة عليّ في حياتي؟ كأني بك قد وجدت مذبوحاً في فسطاطك لا يدرى من قتلك فكان كما أخبر (عليه السلام)، وهو العاشر من أولاد أمير المؤمنين.[٢]

---

(١). راجع «بطل العلقمي» للمظفري، ج٣ ص٥٢٥ نقلاً عن مصادر عديدة وذكر مبارزته ورجزه وشهادته ابن شهر آشوب في «المناقب» ص١٠٧ ج٤، كما ذكره المازندراني الحائري في «معالي السبطين» ج٢ ص١٣٩.

(٢). راجع «البحار» ج٤٢ ص٨٧، نقلاً عن «الخرائج» للقطب الراوندي، ص١٩٠، ونقله عنه العلامة المظفري في «بطل العلقمي» ج٣ ص٥٠٢، وقد ترجمه وذكر قبره من ص٥٠١-٥٠٧. وكذلك ترجمه حرز الدين في «مراقد المعارف» ج٢ ص٤٨-٥١.

١١. عمر الأكبر وأمه الصهباء التغلبية

والحادي عشر من ابناء أمير المؤمنين عمر الأكبر، الملقب بالأطرف، وأمه الصهباء، التغلبية، المكناة بأم حبيب، ولم يحضر الطف مع أخيه الحسين بل تخلف عنه، وعمّر عمراً طويلاً، قيل خمساً وثمانين سنة، وقيل خمساً وسبعين، ولقب بالأطرف ـ على ما في «عمدة الطالب» ـ بعد ولادة عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أخو زيد الشهيد لأمه، فإنه لقب بالأشرف لجمعه الشرف من ولادة علي وفاطمة (عليهما السلام).

والأطرف حاز الشرف من طرف أبيه فقط، وكان لسناً ذا فصاحة وجودة وعفّة.[1]

ولما امتنع الحسين (عليه السلام) من البيعة ليزيد دخل عليه أخوه عمر الأكبر وقال له: حدثني أخوك أبو محمد الحسن عن ابيه (عليه السلام) ثم بكى حتى علا شهيقه، فضمّه الحسين إليه وقال: حدثك إني مقتول؟ قال عمر: حوشيت يا بن رسول الله، فقال له: بحق ابيك أبقتلي أخبرك؟ قال: نعم، ولو بايعت لكان خيراً لك، فقال (عليه السلام): حدثني أبي أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أخبره بقتله، وقتلي، وإن تربتي تكون قرب تربته، أتظن أنك علمت ما لم أعلم؟ وإني لا أعطي الدنيّة من نفسي أبداً، ولتلقّين فاطمة أباها شاكية مما لقيت ذريتها من أمته، ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريتها.[2]

فهذا الحادي عشر من أبناء أمير المؤمنين (عليه السلام).

١٢. عمر الأصغر وأمه أم ولد

والثاني عشر من أبنائه (عليهم السلام) عمر الأصغر، والظاهر أن أمه أم ولد،

---

(١). راجع ترجمته في «عمدة الطالب» ص٣٦١، وترجمة عقبه وكذلك «مراقد المعارف» ج٢ ص ١٠٧، وفي ص١١١ ترجمة عمر الأشرف ويذكره مفصلاً المظفري في «بطل العلقمي» ج٣ ص٥١٥-٥٢٣.

(٢). راجع «اللهوف» لابن طاووس ص١٢ ونقله عنه «مقتل آل بحر العلوم» ١٧١.

وقد حضر الطف مع أخيه الحسين وبارز الابطال وناضل الرجال حتى قتل. نص على ذلك ابن شهر آشوب في «المناقب» والمجلسي في «البحار» وأخطب خوارزم في «مقتله» وغيرهم.[1]

فهؤلاء اثنا عشر.

١٣-١٤-١٥-١٦. العباس وأشقاؤه، وأمهم أم البنين

والعباس وأشقاؤه عبد الله وجعفر وعثمان أربعة وأمهم جميعاً فاطمة بنت حزام بن خالد الكلابية المكناة بأم البنين، وقتلوا كلهم يوم الطف بين يدي أخيهم الحسين فهؤلاء ستة عشر أولاد أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومجموع من قتل منهم بالطف تسعة، محمد الأوسط، ومحمد الأصغر، وأبو بكر، وعمر الأصغر، وعون، والعباس وأشقاؤه عبد الله، وعثمان، وجعفر.

قال الحافظ المقريزي في كتابه «النزاع والتخاصم» بين بني أميّة وبني هاشم، عند ذكر أعمال بني أميّة وأفعالهم الذميمة بما لفظه:

وقتلوا لصلب علي بن أبي طالب تسعة، ولصلب عقيل بن أبي طالب تسعة ولذلك قالت نائحتهم:

عين جودي بعبرة وعويل ... واندبي أن ندبت آل الرسول
تسعة كلهم لصلب علي ... قد أبيدوا وتسعة لعقيل[2]

تعزية أمير المؤمنين (عليه السلام) وتهنئته بأشباله

وما أدري أهنئ أمير المؤمنين (عليه السلام) بأشباله أم أعزيه بهم؟ أعزيه بهم لأنهم

---

(١). راجع «المناقب» لابن شهر آشوب ج٤ ص١٩٧، و«البحار» ج٤٥ ص٣٧، و«مقتل الحسين» للخوارزمي ج٢ ص٢٩، و «بطل العلقمي» للمظفري ج٣ ص٥٢٣-٥٢٤.

(٢). راجع «بطل العلقمي» ج١ ص٢٢٧ نقلاً عن «النزاع والتخاصم» ص١٣.

كلهم قتلوا بين يدي أخيهم الحسين، وبقي بعدهم وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين.

وأهنيه بهم لأنهم أقروا عينه بمواقفهم العظيمة في نصرة أخيهم الحسين ونصرة دينهم والدفاع عنه، وفيما صنعوه بأعدائهم من أهل الكوفة يوم الطف الذي أظهروا فيه شجاعة أبيهم أمير المؤمنين ومضاءه وأحيوا ذكره وإباءه.

نعم وقفوا ساعة في الجهاد في سبيل الله فخلد الله ذكرهم إلى الساعة، وقد هنّأه بهم السيد جعفر الحلي حيث يقول مخاطباً لعلي:

أبا حسن إن الذين عهدتهم ... ثقال الخطا إلاّ لكسب الفضائل
أهنيك فيهم يا لك الخير إنهم ... مشوا لورود الموت مشية عاجل
نعمت بهم عيناً فقد سار ذكرهم ... كما قد فشى معروفهم في القبائل
أعادوك يوم الطف حياً وجدّدوا ... لعلياك ذكراً قبل ذا غير خامل

تفوّق أبي الفضل في شجاعته على سائر أخوته

ولقد كان أعظمهم وأشدهم قوة وبأساً أبو الفضل العباس، كان بطلاً شجاعاً واسداً ضارياً جسوراً على الطعن والضرب في ميدان الكفاح والحرب، وشجاعته التي أظهرها يوم عاشوراء لا تقاس إلاّ بشجاعة أبيه أمير المؤمنين وأخويه الحسن والحسين (عليهم السلام).

على أن الحسين (عليه السلام) ما أجازه للقتال يوم عاشوراء بل أرسله ليأتي بالماء، وقيده بحمل القربة واتيان الماء. ومع ذلك لما ركب فرسه وأخذ رمحه والقربة وقصد الفرات، وكان قد أحاط بالفرات أربعة آلاف فارس، وفي رواية ستة آلاف، وفي «الأسرار» عشرة آلاف محارب، ومع ذلك حمل عليهم العباس وحده فقتل منهم شجعاناً ونكّس منهم فرساناً حتى فروا من بين يديه كما تفرّ المعزى إذا حلّ فيها الذئب، وصعد قوم على التلال والأكمات وأخذوا يرمونه بالسهام والنبال حتى قال إسحاق بن جثوة: فثورنا عليه النبال كالجراد الطائر فصيّرنا درعه كالقنفذ، ومع ذلك كان كالجبل

الأصم لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف.[1]

غاص في أوساطهم وطلع من أعراضهم وقتل منهم ثمانين فارساً، وقيل ثمان مائة فارس، وقيل اكثر من ذلك وهو بينهم يرتجز ويقول:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا ... حتى أواري في المصاليت لقا

نفسي لنفس المصطفى الطهر وقا ... إني أنا العباس أغدو بالسقا

ولا أخاف الموت يوم الملتقى

ولم يزل يقاتلهم حتى كشفهم عن المشرعة، وتفرقوا عنه، وحينما وصل إلى المشرعة كان - بلا ريب - قد اشتد به العطش من جهات عديدة من حرّ الوقت والشمس والهجير وثقل الحديد والغبار والجراح التي أصابته ومع ذلك وغير ذلك أبى إلاّ أن يكون مواسياً لأخيه الحسين بعطشه. ولذلك لما مدّ يده إلى الماء واغترف منه غرفة ليشرب وتذكر عطش أخيه وأهل بيته رمى الماء من يده وقال: لا والله لا أشرب وأخي الحسين عطشان ثم جعل يخاطب نفسه ويهوّن عليها قائلاً:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني

هذا حسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين

هيهات ما هذا فعال ديني ... ولا فعال صادق اليقين

وما زال مواسياً لأخيه الحسين حتى آخر لحظة من حياته كما يروى عن بعض الكتب.

مواساة العباس لأخيه في آخر لحظة من حياته

إنه لما جاء الحسين إلى مصرعه أخذ الحسين رأسه ووضعه في حجره وجعل يمسح الدم والتراب عنه، فجعل العباس يبكي، فقال له الحسين: ما يبكيك يا أبا الفضل قال:

---

(١). راجع «معالي السبطين» ج١ ص٢٦٨.

يا أخي ويا نور عيني كيف لا أبكي ومثلك الساعة جئتني وأخذت رأسي عن التراب وتمسح عنه الدم، وبعد ساعة من يرفع رأسك ويمسح عنه الدم والتراب، ثم شهق العباس وفارقت روحه الدنيا.[1]

فقام الحسين من عنده محني الظهر مطوي الضلوع وهو ينادي وا أخاه....

---

(١). راجع «المصدر السابق» ص٢٧٤.

الفصل الثامن

ما يتعلق بشؤون القاسم بن الحسن، وأخوته ، وأمهاتهم وزواج فاطمة من علي (عليه السلام)

المجلس السادس والأربعون

القاسم وشجاعته على صغر سنّه، وشهادته

لا خبت مرهفات آل علي ... فهي النار والأعادي وقود
عقدوا بينها وبين المنايا ... ودعوا ها هنا توفّى العقود
ومذ الله جل نادى هلموا ... وهم المسرعون مهما نودوا
نزلوا عن خيولهم للمنايا ... وقصارى هذا النزول صعود
ملأوا بالعدى جهنم حتى ... قنعت ما تقول هلّ لي مزيد
لو أرادوا محو الوجود محوه ... حيث فيهم قد استقام الوجود
علويون والشجاعة فيهم ... ورثتها آباؤهم والجدود

الشجاعة الغريزية والكسبية

الشجاعة ـ كما لا يخفى ـ على قسمين، غريزية وكسبية، أما الكسبية فتحصل بالتمرين والممارسة فترى الرجل إذا باشر الحروب دائماً، أو تمرّن عليها قبل مباشرته لها

تحصل له بعدها قوة الجَنان ولا يعبأ بمنازلة الأقران، فيوصف بالشجاعة.

وأما الغريزية فهي من طبيعة الإنسان من حيث هو، هو شجاع منذ نشأته الأولى، وهذه الشجاعة الغريزية الطبيعية تكون ـ غالباً ـ وراثية يرثها الأبناء من الآباء خلفاً عن سلف، وتكون في الرجال والنساء، وموروثة من الآباء والأمّهات معاً.

واليها يشير الشاعر الكبير السيد جعفر الحلي في وصفه شجاعة آل أبي طالب في الأبيات المتقدمة:

علويـــون والشـــجاعة فـــيهم ورّثـــتها آبـــاؤهم والجـــدود

والشجاعة الوراثية مؤيدة بكثير من الأحاديث عن النبي (صلّى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين، ومن تلك الأحاديث ما ورد عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنه قال يوم فتح مكة في عمه أبي طالب:

لو ولد أبو طالب الناس كلّهم لكانوا شجعاناً.[1]

وكان السبب في قول رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذلك هو أن الله لما فتح له ذلك الفتح المبين «فتح مكة» الذي ذكره الله سبحانه في عدة سور من القرآن ومنها قوله

---

(١). راجع «شرح النهج» لابن أبي الحديد ج٢ ص٥٢٩. ومما يدل على أن الشجاعة وعدمها قد تكون موروثة من الامهات كما تكون موروثة من الآباء بالإضافة إلى هذا الحديث، قول أمير المؤمنين (عليه السلام) لابنه محمد بن الحنفية لما توقف يوم الجمل لتنفذ سهام القوم: أدركك عرق من أمك وقول الحسن (عليه السلام) لعبد الله بن الزبير حيث كان يتهم الحسن. في صلحه لمعاوية. بالجبن وضعف السياسة، قال (عليه السلام) له: وتزعم أني سلّمت الأمر «ضعفاً وجبناً» وكيف يكون ذلك كذلك وأنا ابن أشجع العرب، وقد ولدتني فاطمة سيدة نساء العالمين، لم افعل ذلك. ويحك، جبناً ولا ضعفاً، ولكنه بايعني مثلك، وهو يطلبني بترة، ويداجيني المودّة، ولم أثق بنصرته. «المحاسن والمساوئ» للبيهقي ج١ ص٦٠-٦٥، ونقله عنه الشيخ راضي آل ياسين في كتابه «صلح الحسن» ص١٧٨، ورواه الشيخ باقر القرشي في «حياة الإمام الحسن بن علي» ج٢ ص٢٨٠.

تعالى في سورة الفتح ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ❖ إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ❖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً ❖ وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾ الفتح/ ١-٤.

فتح مكة، وعصمة النبي (صلّى الله عليه وآله) من الذنوب

والمراد من الفتح في هذه السورة ـ على الظاهر ـ هو ما حصل للنبي (صلّى الله عليه وآله) من الفتح في صلح الحديبية الذي تمّ في السنة السادسة من الهجرة، وما حصل له بعده من الفتح المبين في فتح مكة ودخول النبي (صلّى الله عليه وآله) إليها في السنة الثامنة حيث دخلها بجيشه ـ وعدده عشرة آلاف وقيل اثنا عشر الف ـ فاتحاً منصوراً بدون قتال. وهذا ما أشارت إليه السورة الكريمة ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ❖ إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ❖ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾.

تفسير ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾

وحول هذه الآية الكريمة يدور سؤال على ألسن الكثير من الناس، قديماً وحديثاً، يلزمنا التنبيه عليه والجواب عنه في حقيقته، ثم نعود لموضوعنا.

والسؤال هو: مِنَ المعلوم أن النبي (صلّى الله عليه وآله) معصوم عن الذنوب قبل البعثة وبعدها، إذاً ما معنى قوله تعالى مخاطباً له: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾؟

الجواب على ذلك نقول: إن المراد ـ على الظاهر ـ من ذنبه (صلّى الله عليه وآله) المتقدم والمتأخر هو ذنبه عند قريش قبل الهجرة وبعدها، لا أنه مذنب مع ربّه قبل البعثة وبعدها كما قد يتبادرالى ذهن البعض وهذا الأخير ما لا يصح قطعاً، واليك البيان بالدليل والبرهان، فنقول:

قولَه تعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ۞ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾ اللام في قوله «ليغفر» تسمّى لام التعليل، أي إن الله سبحانه أبان أن الغرض والعلة من هذا الفتح المبين هو مغفرة الذنب المتقدم والمتأخر لك، ومعلوم انه لا رابطة بين الفتح وبين مغفرة الذنب إذا كان الذنب بينه وبين ربه، وعلى هذا يكون التعليل غير معقول ولا مقبول.

فإذاً ليس المراد بالذنب في الآية الكريمة الذنب المعروف ـ في الاصطلاح ـ وهو مخالفة التكليف الإلهي، ولا المراد بالمغفرة معناها المعروف وهو ترك العقاب على المخالفة المذكورة.

والذنب ـ في اللغة على ما يستفاد من موارد استعمالاته ـ هو العمل الذي لَه تبعة سيئة كيفما كان العمل حسناً أو سيئاً، والمغفرة هي الستر على الشيء، وعدم العقاب عليه.

والنبي (صلّى الله عليه وآله) بما قام به من الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

وبما قاوم به من التنديد بأصنام المشركين والوثنيّين، وتسخيف آرائهم الضالة بعبادتهم لها قبل الهجرة وبما تصدّى لَه من مقاتلتهم في الحروب والمغازي بقتل صناديدهم ورؤسائهم بعد الهجرة كل ذلك وغير ذلك كان عملاً منه (صلّى الله عليه وآله) ذا تبعة سيئة عند الكفار والمشركين من قريش، وغيرهم، وما كانوا ليغفروا لَه ذلك ما دامت لهم شوكة ومقدرة غير أن الله سبحانه منّ عليه بأن رزقه هذا الفتح وهو فتح صلح الحديبية المنتهي إلى فتح مكة بدون قتال، ثم عفا عنهم (صلّى الله عليه وآله) بعد ما ملكهم، وأذهب الله بذلك شوكتهم وأخمد نيران حقدهم، وستر بذلك عليه فيما كان لهم من الذنوب عليه قبلاً وبعداً، وآمنه منهم ومن كيدهم.

قال العلامة الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في كتابه المراجعات الريحانية

ص٤٠ : نعم فتح الله ذاك الفتح لنبيّه، ومكّنه من أعدائه، وأظهر منه ذلك الحلم، والمكانة العظمى من العفو عند المقدرة، كل ذلك ليغفر الله له ذنوبه عند قريش وتعود سيئاته عندهم حسنات ومساويه مكرمات مكرّمات، ويعلموا أن جميع ما كانوا يعدّونه من الذنوب المتقدمة منه (صلّى الله عليه وآله) إنما هي لمصالحهم وخيرهم، وهو بذلك جدير بان يتطامنوا له بالخضوع والخشوع والانقياد والتسليم، حتى لما يقع منه متأخراً مما يعدّونه ذنوباً عليه من قبل... الخ.

فالمراد بالذنب ـ في الآية الكريمة ـ قبلاً وبعداً، أي قبل الهجرة وبعدها هو التبعة السيئة التي عليه عند الكفار والمشركين لا عند الله، وقد غفرها الله له بما أذهب من شوكة المشركين وهدم بنيتهم، وبما هدى الله به النبي (صلّى الله عليه وآله) من قيامه بالعفو عنهم وإطلاقه لهم بعد أن مكّنه من السيطرة عليهم، حتى إنه (صلّى الله عليه وآله) قال لهم بعد أن ملكهم: ما تظنون إنّي فاعل بكم؟ قالوا: خيراً انك أخ كريم وابن أخ كريم، فقال لهم: أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فقد عفوت عنكم فأنتم الطلقاء. ولنعم ما قيل:

ملكنا فكان العفو منا سجيّةً ... ولما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا عن الأسرى نكف ونصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

ويؤيد ما قلناه وبيناه من المراد من الذنب هو ذنبه عند الكفار والمشركين لا عند الله قول كليم الله موسى بن عمران الذي حكاه الله عنه بقوله ﴿**وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾الشعراء/ ١٥.

وهذا المعنى صرح به الإمام الرضا (عليه السلام) للمأمون العباسي حين سأله عن قوله تعالى ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ**﴾ على ما ذكره الصدوق

في كتابه «عيون أخبار الرضا»[1].

عهد النبي (صلّى الله عليه وآله) لجيشه بإعْطاء الأمان لأهل مكة إلاّ نفراً معيناً

وعلى كلٍ لما دخل (صلّى الله عليه وآله) مكة بجيشه فاتحاً منصوراً عهد لهم ـ عند دخولهم فاتحين ـ بإعطاء الأمان لأهل مكة، وأمرهم جميعاً أن يكفوا ايديهم وأن لا يقاتلوا إلاّ من يقاتلهم، وأمر (صلّى الله عليه وآله) مناديين يناديان: من دخل دار أبي سفيان وهو بأعلى مكة فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام وهو بأسفل مكة فهو آمن، ومن أغلق بابه وكفّ يده فهو آمن، ومن ألقى سلاحه فهو آمن.

نعم هكذا أعطى (صلّى الله عليه وآله) الأمان لأهل مكة جميعاً ما عدا نفرٍ كانوا يؤذون رسول الله ويغنون بهجائه، أمر بقتلهم أين ما وجدوا حيث ما حلّوا.

قصة أمّ هاني مع أخيها أمير المؤمنين فيمن أباح النبي دمهم

فجاء نفر من بني مخزوم وفيهم من أباح النبي (صلّى الله عليه وآله) دمه إلى أم

---

(١). راجع ما سأل به المأمون الإمام الرضا (عليه السلام) عن مسائل عديدة تتعلق بعصمة الأنبياء «كتاب العيون» من ص١٩٥-٢٠٤ من ج١، وجوابه عن الآية المبحوث عنها ص٢٠٢ قال المأمون للإمام الرضا (عليه السلام): اخبرني عن قول الله عزّ وجلّ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ﴾ فقال الرضا (عليه السلام): لم يكن احد من مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم (صلّى الله عليه وآله) بالدعوة إلى كلمة الإسلام كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَ جَعَلَ الآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجابٌ ۞ وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هذا لَشَيْءٌ يُرادُ ۞ ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هذا إِلاّ اخْتِلاقٌ﴾ ص/ ٦-٨. فلما فتح الله عزّ وجلّ على نبيه مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على انكار التوحيد عليه فصار ذنبه عندهم مغفوراً لظهوره عليهم.

هاني بنت أبي طالب فاستجاروا بها، ومعهم بعلها هبيرة بن أبي وهب، ولم تعلم أم هاني أن فيهم من أباح النبي (ص) دمه، فبلغ ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) فقصد دارها وهو مقنع بالحديد لا ترى منه إلاّ عيناه، وصاح: أخرجوا من آويتم، فجعلوا يلوذون في الدار يميناً وشمالاً ويذرقون كما تذرق الحبارى خوفاً منه، فعند ذلك خرجت إليه أم هاني وهي لا تعرفه انه أخوها وقالت له: يا عبد الله أنا أمّ هاني بنت عم رسول الله وأخت علي بن أبي طالب، انصرف عن داري، فأبى أن ينصرف وأصرّ على قتلهم وقال: أخرجوهم، فقالت لَه: والله لأشكونّك إلى رسول الله، فلم يلتفت إلى قولها وأراد قتلهم، فأخذت بيد أمير المؤمنين أخذاً شديداً حتى انهزم جميع من آوتهم، فعند ذلك نزع علي المغفر عن رأسه فعرفته وقالت لَه: أتدخل عليّ بيتي وتهتك حرمتي وتريد قتل بعلي؟

فقال: يا أختاه إن رسول الله قد أباح دمهم واريد أن أقتلهم امتثالاً لأمره. فقالت: فدتك أختك حلفت لأشكونّك إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال لها: اذهبي إليه وبرّي قسمك فإنه بأعلى الوادي. فجاءت أمّ هاني إلى رسول الله وهو في خيمة له بأعلى مكة بمكان يقال له الحجون، وكان يغتسل وفاطمة ابنته تستره، فلما رآها النبي (صلّى الله عليه وآله) ـ بعد أن فرغ من غسله ـ قال: مرحباً بك يا أمّ هاني، قالت: بأبي وأمي يا رسول الله أترى ما لقيت من علي اليوم؟ وحكت له القصة وجاء علي ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) يضحك مبتسماً وهو يقول له: ما صنعت بأمّ هاني فقال(عليه السلام): سلها يا رسول الله ما صنعت بي، والذي بعثك بالحق لقد قبضت على يدي وفيها السيف فما استطعت أن أخلّصها إلاّ بعد لأي ـ أي بعد الشدة ـ فتبسم النبي (صلّى الله عليه وآله) وقال:

لو ولد أبو طالب الناس كلهم لكانوا شجعاناً، أنا قد أجرنا من أجارت أمّ هاني وآمنا من آمنت فلا سبيل لك عليهم.

وفي نصٍ قال (صلّى الله عليه وآله) لها: وقد شكر الله سعيه.

شجاعة آل أبي طالب

فآل أبي طالب حسب منطوق هذا الحديث الشريف ومفهومه أنهم كلهم كانوا شجعاناً رجالاً ونساء كباراً وصغاراً، وناهيك عمّا أبداه أشبال آل أبي طالب وأحفاده في كربلاء مع قلة عددهم وكثرة الأعداء من الشجاعة والبسالة المنقطعة النظير.

على أنهم كانوا غير ممارسين للحروب، ولا متمرنين عليها إلاّ أفراداً منهم كأبي الفضل العبّاس ومسلم بن عقيل، وعون بن جعفر كانوا قد شاهدوا حرب صفين مع أمير المؤمنين، وما عدا هؤلاء من آل أبي طالب لم يشاهدوا حرباً قبل يوم كربلاء كعلي الأكبر الذي كان له من العمر يوم الطف ثمانية عشر سنة أو سبع وعشرين، وكعبد الله بن مسلم بن عقيل الذي لم يتجاوز عمره العشرين سنة، وكالقاسم بن الحسن الذي أطبقت كلمات المؤرخين وأرباب المقاتل على التعبير عن عمره يوم الطف بأنه: لم يبلغ الحلم وربما قيل انه ابن اربعة عشر سنة.

ويصفه حميد بن مسلم بقولِه: كنت في عسكر ابن سعد وقد خرج علينا غلام (ويعني به القاسم) كان وجهه شقّة قمر، وبيده السيف، وعليه قميص وإزار وفي رجليه نعلان... الخ.[1]

ويقول أرباب المقاتل: وكان وجهه كفلقة القمر، فقاتل قتالاً شديداً حتى قتل على صغر سنّه خمسة وثلاثين رجلاً.[2]

---

(١). راجع «مقاتل الطالبيين» ص٦٢ و«مقتل الحسين» للخوارزمي ص٢٧ ج٢، و«البحار» ج٤٥ ص ٣٥، و«إبصار العين» ص٣٦، و«ذخيرة الدارين» ص١٥٢، وغيرها من الكتب الكثيرة.

(٢). «البحار» ج٤٥ ص٣٥، و«مقتل الخوارزمي» ج٢ ص٢٧.

التعجب من شجاعة القاسم وعظيم جهاده

يا للعجب لهذا الغلام الصغير في عمره والفذ الكبير في شجاعته وإقدامه يبرز إلى جيش أقلّ ما قيل في عدده ثلاثون ألف مقاتل يخرج إليهم عليه قميص وإزار وفي رجليه نعلان، والحال إن شجعان العرب كانوا لا يبرزون إلاّ بعد الاستعداد، يفرغون عليهم الدروع والمغافر. حتى أن الرجل منهم كان لا يعرف لكثرة ما عليه من الحديد ومن لامة الحرب لا ترى منه إلاّ عيناه، والقاسم يبرز يوم الطف إلى الأعداء وعليه قميص وإزار.

ويقاتلهم قتالاً شديداً حتى يقتل منهم العشرات، فهل لهذا الغلام نظير في التاريخ ووقائع الحروب؟

وأعجب من هذا أن القاسم ـ لعدم مبالاته بكثرة الأعداء ـ بحيث انقطع شسع نعله ـ أثناء جهاده ـ فوقف بين تلك الجموع الغفيرة ليشده، وهذا مما يغيظ العدو، ولنعم ما قيل في ذلك:

أتـــراه حـــين أقـــام يصـــلح نعلـــه ... بـــين العـــدى كـــي لا يـــروه بمحـــتفي

غلبـــت علـــيه شـــامة حســـنيّة ... أم كـــان بـــالأعداء لـــيس بمحـــتفي

ثم أن المحارب ـ من الشجعان ـ إذا برز تقوم ـ غالباً ـ أعمامه وأخواله، أو أولاده وسائر أعوانه بمكان حيث يرونه خوفاً عليه من الغيلة، أو أن يجعل له ظهيراً من خلفه يعينه على الأعداء عند المضايقة، والقاسم لم يجد أعواناً ولا ظهيراً حينما برز بل كان ينظر إلى أصحاب عمّه مجرين كالأضاحي على وجه الرمال، وينظر إلى النسوة في الخيمة قد علا صراخهن.

كما أن المحارب إذا رجع من الحرب وقد أصابه العطش يستقبله أصحابه يحملون له الماء ويسقونه والقاسم إذا رجع لا يجد من يستقبله بالماء، بل تستقبله عمته زينب صارخة باكية، وأمه رملة معولة مولولة.

وكل هذا الشؤون والشجون مما تهدم القوى وتضعف العزيمة، والحال أن القاسم كلما أراد عمّه تأخيره عن البراز لصغر سنّه يأبى ويلحّ عليه في طلب الإذن.

سلام الإمام المهدي عليه، وعظيم مقتله على عمّه

أليس هذا فذ من أفذاذ التاريخ يستحق التبجيل والتعظيم، ومن هنا نرى أن الإمام المهدي عجل الله فرجه يسلم عليه، ويذكر عظيم مصابه على عمّه فيقول (عليه السلام) في الزيارة التي خرجت من ناحيته:

السلام على القاسم بن الحسن بن علي، المضروب هامته، المسلوب لامته، حين نادى الحسين عمّه، فجلّى عليه عمّه كالصقر، وهو يفحص برجليه التراب والحسين يقول: بعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة جدك وأبوك.

ثم قال: عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو أن يجيبك وأنت قتيل جديل، فلا ينفعك، هذا والله يوم كثر واتره، وقلّ ناصره... الخ.[1]

ويقول بعض الأدباء في رثائه:

قسم الإله الرزء بين أعاظم ... لا رزء أعظم من مصاب القاسم
حسنيّ خلقٍ من نجاد محمّد ... مضريّ عرقٍ من سلالة هاشم
غصن نضير من أصول مفاخر ... ثمر جنيٌّ من فروع مكارم
قتّال أبطال مبيد كتائب ... فتّاك اساد هزبر ملاحم
هزم الكماة بقوة علويّة ... وأبادهم طراً ببطش هاشمي
لله يوم خرّ فيه على الثرى ... متكسر الأضلاع تحت مناسم
نادى حسيناً عمّه متشكّياً ... بعد الوصال وقرب هجرٍ دائم
فأتاه وهو إذاً يجود بنفسه ... ويفيض منه الجرح فيض غمائم
ويلوك كالحوت التريب لسانه ... لوكاً ويفحص كالقطا بقوادم[2]

---

(١). راجع «البحار» ج٤٥ ص٦٧، و«ذخيرة الدارين» ص١٥٢.

(٢). الأبيات تجدها في «معالي السبطين» ج١ ص٢٨٢.

المجلس السابع والأربعون

القاسم وإخوته، من قتل منهم ومن لم يقتل، وأمّهاتهم

اختلف المؤرخون في عدد أبناء الحسن السبط كثرة وقلة، فقيل: كانوا عشرين ابناً، وقد نصّ على ذلك صاحب ناسخ التواريخ.(١)

وقيل خمسة عشر، وقد ذكر ذلك سبط ابن الجوزي نقلاً عن الواقدي، وهشام.(٢)

وقيل ثلاثة عشر، وقد نصّ على ذلك أبو نصر البخاري النسابة.(٣)

ولكن المشهورين منهم الذين لهم ذكر في التاريخ أحد عشر، وهم زيد، والحسن المثنى، والحسين الأثرم، وطلحة، وعبد الرحمن، وأحمد، وعبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وأبو بكر، وعمر، والقاسم.

١. زيد، وأمه فاطمة بنت عقبة الخزرجي

أما زيد ـ والظاهر انه أكبر أبناء الحسن سناً ـ وأمه فاطمة بنت عقبة بن عمرو الخزرجي الأنصاري، وكنيته أبو الحسن، ولم يشهد الطف مع عمه الحسين بل تخلف

---

(١). على ما نقله عنه المازندراني في «معالي السبطين» ج١ ص٢٧٨.

(٢). «تذكرة الخواص» ص٢٢٤، ونقله عنه المظفري في «بطل العلقمي» ج١ ص٣٥٥.

(٣). على ما نقل عنه ذلك السيد جمال الدين الداوودي في «عمدة الطالب» ص٦٨.

عن الخروج معه، وبعد قتل الحسين بايع عبد الله بن الزبير، لأن إحدى أختيه لأمه وأبيه كانت تحت عبد الله، ثم لما قُتل عبد الله بمكة، قتله أصحاب الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان قائداً من قبل عبد الملك بن مروان، أخذ زيد بيد أخته ورجع إلى المدينة.

وذكر أصحاب السير والتواريخ: إن زيداً كان يلي صدقات رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فلمّا ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة عزله عن ذلك، وكتب إلى عامله بالمدينة يقول له:

أمّا بعد فإذا جاءك كتابي هذا فاعزل زيداً عن صدقات رسول الله وادفعها إلى فلان بن فلان. وهو رجل من قومه من بني أمية، وأعنه على ما استعانك عليه والسلام.

وامتثل الوالي أمره، فلما هلك سليمان وولي الأمر عمر بن عبد العزيز أرجع إليه ولاية صدقات الرسول وكتب إلى عامله يقول له: أمّا بعد فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذوي سنهم، فإذا جاءك كتابي هذا فاردد عليه صدقات رسول الله وأعنه على ما استعانك عليه والسلام.

وكان زيد طاعناً في السن عاش مائة سنة، وقيل خمساً وتسعين، وقيل تسعين سنة وتوفّي بالبطحاء على ستة أميال من المدينة، وحمل إلى البقيع ودفن فيه وكانت وفاته سنة مائة وعشرين من الهجرة.

وكان زيد جليل القدر، كريم الطبع، ظريف النفس، كثير البر والمعروف، ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب فضله، وفيه يقول محمد بن بشير الخارجي من بني خارجة:

إذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة ... نفى جدبها واخضرّ بالنبت عودها

وزيد ربيع الناس في كلّ شتوةٍ ... إذا اخلفت أنواؤها ورعودها

ولكثرة برّه وسخائه لما مات رثاه جماعة من الشعراء وذكروا مآثره، وتلوا فضله، فممن رثاه من الشعراء قدامة بن موسى الجمحي رثاه بقصيدة طويلة منها قال:

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه فقد بان معروف هناك وجود
وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى به وهو محمود الفعال فقيد
سميع إلى المعتر يعلم أنه سيطلبه المعروف ثم يعود
وليس بقوّال لمن حطّ رحله ليلتمس المعروف أين تريد

وما ادعى زيد الإمامة لنفسه، ولا ادعاها أحد لَه، وكان رأيه التقية لأعدائه والتألّف لهم والمداراة.[1]

نعم هناك رواية يرويها القطب الراوندي في «الخرائج والجرائح» وينقلها عنه المجلسي في «البحار» في انه طالب الإمام الباقر (عليه السلام) بميراث جده رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو ميراث الإمامة ونحن لا نعلم صحتها ولا عدم صحتها ومجملها، مرسلاً عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، إن زيد بن الحسن كان يخاصم الإمام الباقر في ميراث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ويقول لَه: أنا من ولد الحسن وأولى منك بذلك لأني من ولد الأكبر، فقاسمني ميراث رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وادفعه اليّ فأبى الإمام أن يدفع ذلك إليه، فطلب منه زيد أن يمضي معه إلى القاضي فأجابه (عليه السلام) إلى ذلك، ولما خرجا قال الإمام الباقر لَه: إن معك سكّينة قد أخفيتها فإن نطقت هذه السكينة إنّي أولى وأحق منك أتكفّ عني؟ قال: نعم. وحلف له على ذلك، فقال (عليه السلام): أيتها السكّينة، أنطقي بإذن الله، فسقطت السكينة من يد زيد على الأرض وقالت: يا زيد أنت ظالم، ومحمد أحق منك وأولى فكفّ عنه وإلاّ قتلتك، فخرّ زيد مغشياً عليه فأخذ الإمام بيده وأقامه ثم قال له: يا زيد إن نطقت هذه الصخرة التي نحن عليها أتكفّ عني؟ قال: نعم، فرجفت

---

(١). راجع ترجمة زيد، وعقبه كتاب «عمدة الطالب» للسيد الداوودي ص٦٩، و«البحار» ج٤٦ ص ١٦٣، نقلاً عن «إرشاد المفيد» في باب ذكر ولد الحسن، ص١٧٦-١٧٧. فإن فيه ترجمة مفصلة له، و«تذكرة السبط» ص٢٢٥، و«كشف الغمة» للأربلي ص٢٠٢ من ج٢.

الصخرة مما يلي زيد ولم ترجف مما يلي الإمام، ثم قالت: يا زيد أنت ظالم ومحمد أحق منك وأولى فكفّ عنه وإلاّ قتلتك، فخر زيد مغشياً عليه، فأخذ (عليه السلام) بيده وأقامه، ثم قال: يا زيد إن نطقت هذه الشجرة ـ وكانت شجرة هناك بالقرب منهما ـ أتكفّ عني، قال: نعم، فدعا الشجرة فأقبلت تخد الأرض خداً حتى أظلتهما، ثم قالت: يا زيد أنت ظالم ومحمد أحق منك وأولى فكفّ عنه وإلاّ قتلتك، فوقع زيد مغشياً عليه، فأخذ (عليه السلام) بيده وأقامه، وعادت الشجرة إلى موضعها فعند ذلك حلف له زيد على أن لا يتعرض له ولا يخاصمه... الخ.[1]

عقب زيد من ابنه الحسن

وأعقب زيد أولاداً ولكن العقب الباقي منه في ابنه الحسن بن زيد فقط، ويكنى أبا محمد، وكان أمير الحرمين مكة والمدينة من قبل المنصور الدوانيقي، وهو الذي وجّه إليه المنصور حينما كان والياً من قبله: أن أحرق على جعفر بن محمد داره، على ما روى ذلك ابن شهر آشوب في المناقب عن المفضل بن عمر قال: وجّه المنصور إلى حسن بن زيد وهو واليه على الحرمين: أن أحرق على جعفر بن محمد داره، فألقى النار في دار أبي عبد الله (عليه السلام) فأخذت النار في الدار والدهليز فخرج أبو عبد الله (عليه السلام) يتخطّى النار ويمشي فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن إبراهيم خليل الله.[2]

فالأول من أبناء الحسن السبط هو زيد، والثاني من أبنائه.

٢. الحسن المثنى، وأمه خولة بنت منظور

الحسن المثنى، وأمه خولة بنت منظور الفزارية، وكنيته أبو محمد، وكان رجلاً

---

(١). راجع «البحار» ج٤٦ ص٣٢٩، و«الخرائج» ص٢٣٠.

(٢). مناقب «آل أبي طالب» ج٤ ص٢٣٦، وينقله عنه المجلسي في «البحار» ج٤٧ ص١٣٦.

سيداً جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً عظيم القدر، وهو وصي أبيه، ووالي وصدقات جده أمير المؤمنين، وكان قد حضر الطف مع عمه الحسين وعمره يومئذ اثنان وعشرون سنة وقاتل - في نصرة عمّه الحسين - قتالاً شديداً، وقتل سبعة عشر رجلاً، واصابته ثمانية عشر جراحة ثم سقط صريعاً وبه رمق من الحياة[1] وقد أثخن بالجراح.

فلمّا قتل الحسين (عليه السلام) وأراد الأعداء أخذ الرؤوس وجدوا به رمقاً من الحياة، فقال أسماء بن خارجة الفزاري - وهو أحد أخواله -: دعوه لي، فإن وهبه لي الأمير عبيد الله بن زياد وإلاّ رأى رأيه فيه، فتركوه له، فحمله إلى الكوفة، وحكوا ذلك لابن زياد فقال: دعوا لأبي حسّان ابن أخته، وعالجه أسماء حتى برئ، ثم لحق بالمدينة.[2] بعد أن بقي ثمانية أشهر أو سنة كاملة يعالج من جراحاته.

العبرة في نجاته من الموت، بعد جهاده يوم الطف ومصرعه

أنظر واعتبر - أيها المطالع الكريم - في نجاة هذا البطل المجاهد العظيم من الموت؟ يجاهد بين يدي عمّه الحسين ويقاتل الأعداء قتالاً شديداً، ويثخن بالجراح حتى يسقط صريعاً وبه رمق من الحياة ثم يبقى ذلك الرمق فيه إلى ما بعد قتل الحسين (عليه السلام).

يا للعجب - ولا عجب من أمر الله - يبقى حياً مع شدة العطش، وشدة الحر، من حرارة الصيف، وحرارة الشمس، والرمضاء، والغبار، وشدة حرارة الجراحات التي أصابته واثخن بها، كل هذه العوامل وغيرها كانت توجب - عادة - مفارقته للحياة.

ولكن شاء الله - الذي بيده آجال العباد، وهو على كل شيء قدير - أن يبقيه حياً - وأن يقيّض له من يشفع له ويخلّصه من أيدي أعدائه ليبقى حياً حتى تكون منه الذرية

---

(١). راجع «معالي السبطين» ج١ ص٢٧٨.

(٢). راجع «عمدة الطالب» ص١٠٠، و«البحار» ج٤٤، ص١٦٧، و«حياة الإمام الحسن» للقرشي ج٢ ص٤٧١، عن بعض المصادر، و«معالي السبطين» ص٢٧٨ نقلاً عن ابن قتيبة وغيره، وإنه بقي ثمانية أشهر أو سنة يعالج من جراحاته، و«مقتل الحسين» للسيد آل بحر العلوم ص٤٧١.

المجاهدة والصالحة الباقية ما بقي الدهر إلى يوم القيامة نصرة منه تعالى للحق وأهله، وخلوداً لهما.

وقد أجمع علماء النسب والتاريخ أنه لم يبق عقب للحسن السبط(ع) إلاّ من اثنين من أبنائه، وهما زيد، والحسن المثنى هذا، وما عداهما من أبنائه منهم من لم يعقب أصلاً وهم الأكثر، ومنهم من أعقب وانقرض عقبه بسرعة.

وكثرة العقب، وصلاحه، في الحسن المثنى فإن فيهم من فيهم من المجاهدين العظام، والعلماء المجتهدين الأعلام الموجودين في كل دور وجيل على طول التاريخ قديماً وحديثاً.

الحسن المثنى وزوجته فاطمة بنت الحسين (عليه السلام)

وكان الحسن المثنى قد خطب إلى عمّه الحسين إحدى بناته قبل واقعة الطف فأبرز إليه الحسين فاطمة وسكينة وقال له: يا ابن أخي اختر أيهما شئت فاستحى الحسن أن يختار وسكت، فقال له الحسين (عليه السلام): قد زوجتك فاطمة فإنها أشبه الناس بأمّي فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكانت فاطمة تشبّه بالحور العين لجمالها، كما أن الحسن المثنى كان مفرطاً في الجمال، وكان يشبه جده رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في خلقه فتزوجها.

ولما خرج مع عمّه الحسين إلى العراق كانت معه زوجته فاطمة، وسبيت فيمن سبي، وهي التي خطبت بالكوفة خطبة طويلة بليغة بدأت فيها بالثناء على الله والصلاة على جدها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وذكرت في خطبتها جدها أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما منحه الله به من فضائل ومناقب، ولما اختص به من محن ومصائب، إلى أن قالت في خطبتها:

يا أهل الكوفة يا أهل الغدر والمكر والخيلاء إنّا أهل بيت ابتلانا الله بكم وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسناً، وجعل علمه عندنا، وفهمه لدينا، فنحن عيبة علمه ووعاء

فهمه وحكمته، وحجته في بلاده لعباده، أكرمنا الله بكرامته، وفضلنا بنبيه على كثير ممن خلق تفضيلاً، إلى آخر خطبتها التي كانت آية في البلاغة والفصاحة، وكان عمرها يومئذٍ عشر سنين أو أقل.

وهي التي أشار إليها الشامي في مجلس يزيد قائلاً: هب لي هذه الجارية تكون خادمة لي... الخ.

عقب الحسن من فاطمة، وغيرها

وأعقب الحسن المثنى من فاطمة ثلاثة بنين وهم عبد الله المحض وهو أكبر أولاده، ولقب بالمحض لأن أباه الحسن المثنى بن الحسن السبط، وأمه فاطمة بنت الحسين السبط.

ويروي أبو الفرج الأصبهاني: بأنه أول من اجتمعت له ولادة السبطين الحسن والحسين[1] وهو غير صحيح لأن أول من اجتمعت له ولادة السبطين هو إمامنا محمد الباقر (عليه السلام) الذي ولد قبل واقعة الطف حيث كانت ولادته سنة سبع وخمسين من الهجرة وأمه فاطمة بنت الحسن، وأبوه علي بن الحسين، والثاني الذي اجتمعت فيه ولادة السبطين هو عبد الله الذي ولد بعد واقعة الطف، وهو الذي كان يقول مفتخراً: أنا أقرب الناس من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولدني رسول الله مرتين.

والثاني من أبناء الحسن المثنى من فاطمة الحسن المثلث، والثالث إبراهيم الغمر، وهؤلاء الثلاثة ماتوا كلهم في حبس المنصور الدوانيقي بالهاشمية. ولكن ما ماتوا إلاّ بعد أن خلّفوا لهم أعقاباً من الذكور والإناث، وأعقب عبد الله المحض من الذكور فقط ستة، وأعقب الحسن المثلث خمسة عشر رجلاً، وأعقب إبراهيم الغمر ستة.[2]

وأعقب الحسن المثنى من غير فاطمة أيضاً ثلاثة بنين، وهم داود وجعفر وأمهما أمّ ولد رومية واسمها حبيبة وتكنى أم داود، واليها ينسب العمل المعروف بعمل أم داود،

---

(١). راجع «مقاتل الطالبيين» ص١٢٩.

(٢). راجعة «عمدة الطالب» وتعليقاته ص١٠٣ و١٦٢ و١٨٢.

وهو عمل عبادي مجرب لقضاء الحاجات وتنفيس الكربات، علّمها به الإمام الصادق (عليه السلام)، وكان به خلاص ابنها داود من حبس المنصور[1] لأنه كان محبوساً مع أخوته بالهاشمية.

والثالث اسمه محمد وأمه رملة بنت سعيد بن زيد العدوي، فمجموع أولاده الذكور ستة من أزواج ثلاثة، وخمسة من أولاده أعقبوا وبقي عقبهم خالداً، والمعقبين ثلاثة أمهم فاطمة بنت الحسين (عليه السلام) واثنان وأمهما أم داود، أما محمد فلم يكن له عقب «راجع عمدة الطالب» ص١٠١.

قتله مسموماً، وحزن زوجته عليه

وقتل الحسن المثنى مسموماً وقد دسّ إليه السم سليمان بن عبد الملك وذلك سنة سبع وتسعين من الهجرة، وعمره يومئذ ثلاث وخمسون سنة، أو أكثر[2].

ولما قبض مسموماً حزنت زوجته فاطمة بنت الحسين عليه حزناً شديداً، وضربت على قبره فسطاطاً، فكانت تصوم النهار وتقوم الليل هناك ومعها جواريها، ولم تزل كذلك إلى سنة كاملة، ثم أمرت من معها من الجواري أن يقوضوا الفسطاط وهمت بالانصراف وإذا هي تسمع قائلاً يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر يقول: بل

---

(١). راجع ذلك العمل بتفاصيله في «مفتاح الجنات» للسيد محسن الأمين العاملي، ج٣ ص٤٤-٥٤.

(٢) جاء في (البحار) ج٤٤ ص١٦٧: وقبض الحسن بن الحسن وله من العمر خمس وثلاثون سنة، وهكذا قال السيد الداوودي في (عمدة الطالب) ص١٠١: وعمره عند ذاك خمس وثلاثون سنة. وتعقبه المعلق على كتابه السيد محمد حسن الطالقاني بقوله: إن ما ذكره من أنه كان عمر الحسن عند موته خمساً وثلاثين سنة لا يصح لأنه مات بعد والده بثمان وأربعين فكيف يكون عند موته ابن خمس وثلاثين؟ ثم قال: فالذي يغلب على الظن أن في العبارة تقديماً وتأخيراً، وان الصحيح (أن عمره كان عند موته ثلاثاً وخمسين سنة) لا خمساً وثلاثين، ونحن نقول: ربما كان عمره ثمان وخمسين سنة استناداً إلى من قال: إن عمره يوم الطف كان اثنين وعشرين وعاش بعد عمه الحسين ستاً وثلاثين سنة فيكون المجموع ثمان وخمسين والله أعلم.

يئسوا فانقلبوا.

والحسن المثنى هذا هو الثاني من أبناء الحسن السبط (ع).

٣-٤- الحسين الأثرم، وطلحة، وأمهما أم إسحاق

والثالث، والرابع من أبناء الحسن السبط الحسين الأثرم، وطلحة، وأمهما أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي، وأبوها طلحة هو الذي خرج على أمير المؤمنين مع الزبير وعائشة يوم الجمل محارباً له، ولكن ابنته أم إسحاق كانت من خيرات النساء، وكان الحسن يحبها لصلاحها، لذا لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخي إني أرضى هذه المرأة لك، فلا تخرجها من بيوتنا فإذا انقضت عدتها تزوجها، فلما قبض الحسن (ع) وانقضت عدتها تزوجها الحسين فولدت منه فاطمة، وهي التي تزوجها الحسن المثنى، فكانت فاطمة أخت الحسين الأثرم وطلحة لأمهما.

وهما لم يحضرا الطف مع عمهما الحسين بل تخلفا عن الخروج معه، ولم يكن لهما عقب، نعم كانت للحسين الأثرم ابنة تكنى بأم سلمة تزوجها الحسن بن زيد بن الحسن السبط وكانا - أي الحسين وطلحة - معروفين بالسخاء والفضل[1].

فهؤلاء أربعة من أبناء الحسن السبط.

٥- عبد الرحمن، وأمه أم ولد

والخامس من أبنائه عبد الرحمن وأمه أم ولد تسمى ضمياء، وقد خرج - في بعض السنين - مع عمه الحسين إلى الحج، وهو محرم، فتوفي بالأبواء وهو منزل بين مكة والمدينة، ولم يكن له عقب[2].

---

(١) راجع (معالي السبطين) ج١ ص٣٨، وج٢ ص١٤٠، و(البحار) ج٤٤ ص١٦٣ نقلاً عن (إرشاد المفيد) ص١٧٦، و(كشف الغمة) لعلي الاربلي ج٢ ص٢٠٢ وص ٢٠٦، و(إعلام الورى) ص٢١٢.

(٢) (البحار) ج٤٤ ص١٧٢ نقلاً عن (الكافي) ج٤ ص٣٦٨، و(تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي ص ٢٢٥. و(كشف الغمة) لعلي بن عيسى الأربلي ج٢ ص٢٠٦.

٦- أحمد وأمه فاطمة بنت عقبة الخزرجي

والسادس من أبنائه أحمد وأمه فاطمة بنت عقبة بن عمرو الخزرجي الأنصاري، وهو أخو زيد لأمه وأبيه، وقد حضر الطف مع عمه الحسين، وكانت معه أمه، ويقال: كان لَه من العمر ستّة عشر سنة، وكان صبيح المنظر حسن الوجه، جسوراً على الطعن والضرب في ميدان الكفاح والحرب.

قال بعض أرباب المقاتل: لما اشتد القتال بعد صلاة الظهر ولم يبق مع الحسين إلا نفر يسير من أهل بيته أقبل أحمد على عمه واستأذنه في البراز فأذن له فبرز وهو يقول:

إني أنا نجل الإمام ابن علي ... أضربكم بالسيف حتى يفلل
أطعنكم بالرمح وسط القسطل ... نحن وبيت الله أولى بالنبي

وجعل يقاتل القوم حتى قتل منهم ثمانين فارساً ثم رجع إلى عمه الحسين وقد غارت عيناه من شدة العطش، فنادى: يا عماه هل شربة من الماء أبرد بها كبدي واتقوى بها على الأعداء، فقال له الحسين: يا بن الأخ إصبر قليلاً حتى تلقى جدك رسول الله (ص) فيسقيك شربة لا تظمأ بعدها أبدا، فرجع إلى القوم وحمل عليهم وهو يقول:

إصبر قليلاً فالمنى بعد العطش ... فإن روحي في الجهاد تنكمش
لا أرهب الموت إذا الموت وحش ... ولم أكن عند اللقاء ذا رعش

وجعل يضرب في أعناقهم بالسيف يميناً وشمالاً وهو يقول:

إليكم من بني المختار ضرباً ... يشيب لهولِه رأس الرضيع
يبيد معاشر الكفار جمعاً ... بكل مهندٍ عضبٍ قطيع

ولم يزل يقاتلهم أشد القتال حتى قتل منهم - على عطشه - خمسين فارساً، ثم تكاثروا عليه حتى أثخن بالجراح وسقط صريعاً، فتعطفوا عليه وقتلوه وأمه تنظر إليه[1].

---

(١) راجع (ذخيرة الدارين) ص١٦٥، و(معالي السبطين) ص٢٧٧، نقلاً عن بعض المصادر.

٧. عبد الله الأكبر وأمه زينب بنت سبيع

والسابع من أبناء الحسن السبط عبد الله الأكبر وأمه زينب بنت سبيع بن عبد الله البجلي وهو أخو جرير بن عبد الله البجلي، وقد حضر الطف مع عمه الحسين وبرز يوم عاشوراء وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن حيدرة ضرغام آجام وليث قسورة
على الأعادي مثل ريح صرصرة أكيلكم بالسيف كيل السندرة

وقاتل حتى قتل أربعة عشر فارساً، فكمن له هاني بن ثبيت الحضرمي فقتله[1] فاسود وجهه.

٨- عبد الله الأصغر، وأمه أم ولد.

والثامن من أبنائه عبد الله الأصغر وأمه أم ولد وقيل أمه بنت شليل بن عبد الله، وقد شهد الطف وعمره أحدى عشرة سنة وقتل في حجر عمه الحسين.

وقد ذكره الإمام المهدي (عج) في الزيارة التي خرجت من ناحيته، وسلم عليه، ولعن قاتله وراميه حيث قال (عج): السلام على عبد الله بن الحسن الزكي، ولعن الله قاتله وراميه حرملة بن كاهل الأسدي.

ومصيبة هذا الصبي من أعظم المصائب المشجية والمبكية، وذلك ـ على ما رواه أرباب السير والمقاتل ـ : أنه لما سقط الحسين (ع) عن ظهر جواده خرج عبد الله هذا من عند النساء، وأقبل يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين فلحقته عمته زينب لتحبسه فامتنع امتناعاً شديداً وقال: والله لا أفارق عمي.

ولما أهوى أبجر بن كعب إلى الحسين بالسيف ليضربه قال له الغلام: ويلك يا ابن

---

(١) راجع (البحار) ج٤٥ ص٣٦، و(مقتل الحسين) للسيد آل بحر العلوم ص٤٧١، و(مقتل الحسين) للخوارزمي ص٢٨، و(معالي السبطين) ص٢٧٨ ج١.

الخبيثة أتقتل عمي؟ فضربه أبجر بالسيف فاتقاها الغلام بيده فأطنها (أي قطعها) إلى الجلد وبقيت معلقة، فنادى: يا عماه، فأخذه الحسين وضمه إليه وأمه واقفة بباب الخيمة تنظر إليه، فخرجت وهي تنادي: واولداه واقرة عيناه، فقال له الحسين: يا ابن أخي اصبر على ما نزل بك فإن الله سيلحقك بآبائك الطاهرين، وبينما هو في حجر عمه وهو يصبره إذ رماه حرمله بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه به وهو في حجر عمه[1].

٩-١٠-١١- أبو بكر وعمر والقاسم وأمهم رملة.

والتاسع والعاشر والحادي عشر أبو بكر وعمر والقاسم وأمهم ـ على الظاهر ـ جميعاً رملة وهي أم ولد.

وقد حضروا الطف كلهم مع عمهم الحسين، أما أبو بكر وهو أكبرهم ـ ويقال: أن اسمه عبد الله وهو غير معلوم ـ فقد برز يوم عاشوراء وقاتل حتى قتل جماعة كثيرة فشد عليه عبد الله الغنوي فقتله.

وقد جاء ذكره والسلام عليه، ولعن قاتله في زيارة الناحية عن الإمام المهدي (عج) حيث قال: السلام على أبي بكر بن الحسن بن علي الزكي الولي المرميّ بالسهم الرديّ، لعن الله قاتله عبد الله بن عقبة الغنوي. وإياه عنى سليمان بن قتة الغنوي بقوله:

وعند غني قطرة من دمائنا ... سنجزيهم يوماً بها حيث حلت

إذ افتقرت قيس جبرنا فقيرها ... وتقتلنا قيس إذ النعل زلت

وأما عمر فقد حضر الطف وهو أصغرهم، وقد أسر مع من أسر، وهو الذي قال له يزيد بن معاوية: أتصارع ابني هذا؟ (يعني خالداً) فقال له: ما فيَّ قوة للصراع،

---

(١) راجع (البحار) ج٤٥ ص٥٣ وص٦٧ نقلاً عن السيد ابن طاووس في (الاقبال) و(اللهوف) وعن المفيد في (الإرشاد) و(حياة الإمام الحسين) للقرشي ج٣ ص٢٥٧ نقلاً عن (تاريخ الطبري) ج٦ ص٢٥٩، وعن (اللهوف) ص٦٨ و(مقتل الحسين) للسيد آل بحر العلوم ص٤٧١ نقلاً عن مصادر عديدة، و(أبصار العين) للسماوي ص٣٨، و(ذخيرة الدارين) ص١٤٩.

ولكن أعطه سكيناً وأعطني سكيناً، فأما أن أقتله فألحقه بجديه أبي سفيان ومعاوية، وأما أن يقتلني فيلحقني بجدي رسول الله وعلي بن أبي طالب، فتأمل يزيد وقال:

شنشـــنة أعـــرفها مـــن أخـــزم هـــل تلـــد الحـــية إلا الحـــية

وبقي عمر بعد وقعة الطف وتزوج وأعقب ولكن انقرض عقبه في أوائل دولة بني العباس[1]. وهو العاشر من أبناء الحسن

والحادي عشر القاسم، ويظهر من مجموع ما تقدم أن ابناء الحسن الذين حضروا الطف مع عمهم الحسين سبعة، نجا من القتل منهم اثنان وهما الحسن المثنى، وعمر، وقتل منهم خمسة وهم عبد الله الأكبر، وعبد الله الأصغر، وأحمد، وأبو بكر، والقاسم[2].

القاسم أشهر من قتل من أبناء الحسن، وأسباب شهرته

والقاسم هو أشهر من قتل يوم الطف من أبناء الحسن (ع) وإنما اشتهر من بين أخوته لامتيازه عليهم بأشياء اختص بها دون غيره من أخوته منها شدة إخلاصه ومفاداته دون عمه الحسين. وإن أخوته وإن أخلصوا وضحوا بأنفسهم دون عمهم ـ بلا ريب ـ إلا أن القاسم كان أشدهم إخلاصاً وأعظمهم مفاداةً، لما جمع الحسين (ع) أصحابه وأهل بيته ليلة العاشر من المحرم، وأخبرهم بشهاداتهم قائلاً: غداً تقتلون كلكم ولا ينجو منكم إلا ولدي علي (ويعني به الإمام زين العابدين) قام القاسم وقال: يا عم أنا فيمن يقتل؟ فقال له الحسين ـ ليختبره ويظهر إخلاصه ـ: كيف تجد الموت عندك فقال: يا عم فيك أحلى من العسل، فقال له: أي والله فداك عمك إنك لأحد من يقتل

---

(١) راجع (عمدة الطالب) ص٦٨، و(معالي السبطين) ص٢٧٨، و(بطل العلقمي) ج١ ص٣٥٦.

(٢) راجع (معالي السبطين) ص٢٧٨.

من الرجال معي بعد أن تبلو ببلاء عظيم.. الخ[1] فكأنّ القاسم قد استبشر بذلك.

ومن إخلاصه أنه كان كلما يمنعه الحسين من البراز يوم عاشوراء ـ لصغر سنه لأن عمره الشريف يومئذ ثلاثة عشر أو أربعة عشر سنة ـ يعاوده القاسم ويلح عليه في طلب الإذن، حتى قال له الحسين (ع) ـ كما في بعض النصوص ـ: يا بني أتمشي برجلك إلى الموت؟ فقال: وكيف لا يا عم وأنت بين الأعداء ـ لا ناصر لك ولا معين ـ وقد بقيت وحيداً فريداً لم تجد محامياً ولا صديقاً، روحي لروحك الفداء ونفسي لنفسك الوقاء.

ومن الأشياء التي امتاز بها على أخوته وكان بها بروز شخصيته هي شدة بأسه وعلو همته، وعدم اكتراثه بالأبطال الأشاوس على صغر سنه حتى جاء ـ في بعض الروايات ـ أنه قبل أن يباشر القتال قدم على عمر بن سعد ـ وهو قائد الجيش ـ وقال له منذراً ومحذراً: يا عمر أما تخاف الله، أما تراقب الله؟ يا أعمى القلب أما تراعي رسول الله (ص)؟ فقال ابن سعد: أما كفاكم التجبر والتبختر أما تطيعون يزيد؟ فقال له القاسم: لا جزاك الله خيراً، تدعي الإسلام وآل رسول الله عطاشى ظماء قد اسودت الدنيا بأعينهم[2].

ثم لما برز يقاتل جعل همته أن يقتل حامل راية عمر بن سعد ولكن القوم أحاطوا به يرمونه بالنبل، وحينما انقطع شسع نعله وقف بين تلك الجموع ـ غير مكترث بهم ـ وصار يصلحه، يقول الشاعر:

أتــراه حــين أقــام يصــلح نعلــه ... بــين العــدى كــي لا يــروه بمــتحف

غلبــت علــيه شــامة حســنية ... أم كــان بــالأعداء لــيس بمحــتفِ

وهذا مما يلفت الأنظار بكل دهشة وإكبار، ويقصر عليه حديث المجالس والأندية

---

(١) (المصدر السابق) ص٢١١ نقلاً عن (مدينة المعاجز).

(٢) راجع (منتخب الطريحي) المجلس السابع من ج٢ ص٣٧٤ ونقله عنه وعن (مدينة المعاجز) للسيد هاشم البحراني المازندراني الحائري في (معالي السبطين) ج١ ص٢٨٠.

ردحاً من الزمن أكثر مما كان عن حديث بسالة بعض أبطال الخوارج في حربهم مع المهلب، فقد قيل عنهم أنهم كانوا إذا سقط من أحدهم شيء من السلاح في ميدان الحرب وقف له حتى يأخذه، ولكن شتان بين أولئك الأبطال وهذا البطل الحسني، لقد كان يقاتل وحده وكانوا جموعاً، وكان ظمآنا وكانوا مرتوين، فلهذا وغيره امتاز على بقية أخوته.

ومن أجل ذلك وغير ذلك أحبه سيد الشهداء محبة فائقة، وكان لمصيبته الأثر الفعال في قلبه.

عظم مصيبة القاسم

بل يمكن أن يقال: إن أعظم المصائب على الحسين مصيبة القاسم لأنا لم نجد في كتب السير والمقاتل أن الحسين (ع) بكى يوم عاشوراء عند مبارزة أحد أهل بيته حتى غشي عليه من البكاء إلا عند مبارزة القاسم كما جاء في كتب المقاتل أنه: خرج القاسم يريد البراز وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم، فلما نظر إليه الحسين وقد برز اعتنقه وجعلا يبكيان حتى غشي عليهما[1] من البكاء يقول الشيخ قاسم محي الدين مشيراً إلى ذلك:

لم أنس مذ أشجاه وحدة عمه ... بين الأعادي ما له من منجد

طلب البراز من الحسين وقلبه ... متوقد بالحزن أي توقد

فتدفقت عبرات بدر سما الهدى ... سبط النبي على شقيق الفرقد

أقول: إن الحسين لما شاهده وقد برز اعتنقه وبكى حتى غشي عليه من البكاء، إذن ما أدري كيف صار حاله حينما شاهد القاسم صريعاً مشقوق الرأس يفحص بيديه ورجليه.. الخ.

---

(١) راجع (البحار) ج٤٥ ص٣٤ نقلاً عن محمد بن أبي طالب، و(مقتل الحسين) للخوارزمي الحنفي ج٢ ص٢٧، و(مقتل الحسين) للسيد آل بحر العلوم ص٤٧٢.

تلـك الوجـوه المشـرقات كأنهـا الـ ... أقمـــار تســـبح في غديـــر دمـــاء
خضـبوا ومـا شـابوا وكـان خضـابهم ... بـــدم مـــن الأوداج لا الحـــناء

المجلس الثامن والأربعون

القاسم، وأمر الله بزواج فاطمة من علي (ع)

تسابق كبّار أصحاب الرسول (ص) إليه يخطبون منه كريمته فاطمة(ع) وجوابه لهم بأن أمرها بيد ربها

وقصة القوم لما أقبلوا طمعا ... لفاطم من رسول الله خطابا

فقال: ما في يدي من أمرها سبب ... والله أولى بها أمراً وأسبابا

وجاءه المرتضى من بعد يخطبها ... فعاد مستحياً منه وقد هابا

وقام منصرفاً قال النبي له ... وقد كسا من حياه الطهر جلبابا

أجئتني تخطب الزهراء؟ قال: نعم ... فقال: حباً وإكراماً وإيجابا[1]

لما صار لفاطمة الزهراء من العمر عشر سنين تسابق كبار أصحاب الرسول (ص) إليه يخطبون منه كريمته وبضعته الزهراء، وقطعاً كل منهم يريد القرب منه، والفوز بالشرف العظيم ليحوز الفخر والسؤدد وليظفر بالمجد المؤبد بمصاهرة سيد الأولين والآخرين على ابنته سيدة نساء العالمين.

والظاهر أن أول من خطبها أبو بكر، جاء إليه وقال: يا رسول الله زوجني فاطمة، فقال له النبي (ص): يا أبا بكرلم ينزل القضاء بعد[2].

---

(١) من أبيات للشاعر المعروف بابن حماد (راجع الكوكب الدري) ص١١٠.

(٢) راجع (الرياض النضرة) ج٢ ص٢٤٠ لمحب الدين الطبري الشافعي، و(ذخائر العقبى) ص٣٠ له أيضاً.

وفي نص: أنه قال: أنتظر أمر الله فيها[1].

وفي نص: أمرها إلى ربها[2].

والجامع لكل ذلك أنه قال: القضاء لم ينزل بعد، وإن أمرها بيد ربها، وأنا أنتظره.

ثم خطبها عمر بن الخطاب فقال له رسول الله (ص) كمقالته لأبي بكر.

وروى ابن حجر في (الصواعق المحرقة) والعلامة الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) وغيرهما[3].

أن أبا بكر لما أتى النبي (ص) وقال له: يا رسول الله زوجني فاطمة، أعرض النبي عنه، فأتاه عمر وقال: يا رسول الله زوجني فاطمة، فأعرض أيضاً عنه، وفي نص: فسكت عنه.

يقول الكنجي: فأتى أبو بكر وعمر إلى عبد الرحمن بن عوف فقالا له: أنت أكثر قريش مالاً فلو أتيت رسول الله فخطبت فاطمة لزادك الله مالاً إلى مالك وشرفاً إلى شرفك، فأتى النبي (ص) فقال: يا رسول الله زوجني فاطمة، فأعرض عنه رسول الله(ص) فأتاهما فقال: قد نزل بي مثل الذي نزل بكما.

فعند ذلك علما أن النبي (ص) لا يطلب مالاً، وإنما يطلب علماً وفضلاً.

ومعلوم أن المتصف بصفات تميزه على غيره في العلم والفضل بكل ما لهما من معنى، إنما هو علي بن أبي طالب لذلك تقول الرواية:

فأتيا عليّ بن أبي طالب وهو يسقي نخيلات له فقالا له: إنا عرفنا قرابتك من

---

(١) (إنسان العيون) للحلبي ج٢ ص٢٠٥ ط القاهرة، ونقله عنه السيد شهاب الدين في (تعلقيات إحقاق الحق) ج٦ ص٥٩٥.

(٢) (المناقب) للخوارزمي الحنفي ص٢٤٧، وغيره.

(٣) راجع (كفاية الطالب) ص١٦٦ و(الصواعق) ص٩٧ نقلاً عن أبي داود السجستاني، وهو أحد أصحاب الصحاح الستة، و(الرياض النضرة) ج٢ ص٢٣٨-ص٢٣٩ نقلاً عن أبي حاتم، وأحمد بن حنبل في (المناقب)، و(المناقب) للخوارزمي ص٢٤٧.

رسول الله (ص)، وقدمك في الإسلام، وفضلك فلو أتيت رسول الله فخطبت إليه فاطمة لزادك الله فضلاً إلى فضلك وشرفاً إلى شرفك.. الخ.

كثير من الصحابة أشاروا على علي بأن يخطب فاطمة (ع)

ويظهر من التاريخ أن كثيراً من الصحابة الكرام من مهاجرين وأنصار أشاروا على علي أن يخطب فاطمة من رسول الله (ص) فقد روى المحدثون عن ابن عباس أنه قال: كانت فاطمة تُذكر (أي تُخطب) فلا يذكرها أحد لرسول الله (ص) إلا أعرض عنه[1]. وفي نص: صدّ عنه، فقال سعد بن معاذ الأنصاري لعلي (ع): إني والله ما أرى رسول الله(ص) يريد بها غيرك، إلى أن قال له: فإني أعزم عليك لتفعلن لتفرجها عني فإن لي في ذلك فرحا... الخ[2]. أو قال: فرجا.

ورووا عن أنس بن مالك أنه قال: فقيل لعلي (ع): لو خطبت إلى النبي (ص) فاطمة لخليق أن يزوجكها[3].

---

(١) اقول: إعراض النبي (ص) عمن خطب ابنته فاطمة جاء في كثير من الأحاديث ومن طرق عديدة، هذا مع العلم القطعي انه (ص) كان أعظم الناس أخلاقاً وأحسنهم سيرة حتى إن الله جل وعلا خاطبه بقوله: (وانك لعلى خلق عظيم) القلم/٥، وبقوله تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران/١٦٠، إذاً ما معنى اعراضه عمن خطب ابنته فاطمة؟ الجواب نقول:

لعل ذلك حصل حيث انه لما خطبها منه أبو بكر أولاً أجابه بالواقع الحقيقي: ان القضاء (أي الوحي) لم ينزل بعد، وأن أمرها بيد ربها، ثم خطبها صاحبه فأجابه بنفس الجواب الأول، ولكنهما وغيرهما لما كرروا العودة إليه مرة بعد أخرى. كما يظهر من الأخبار. استوجب ذلك الإعراض عنهم لعدم تسليمهم لقوله: إن أمرها بيد ربها.

(٢) (كفاية الطالب) ص١٦٨، و(مناقب الخوارزمي) ص٢٤٣، و(مجمع الزوائد) لأبي بكر الهيثمي ج ٨ ص٢٠٧، نقلاً عن الطبراني و(حلية الأولياء) لأبي نعيم ج٢ ص٧٥، ونقله عنهما السيد الفيروزآبادي في (فضائل الخمسة) ج٢ ص١٤١.

(٣) (الرياض النضرة) ج٢ ص٢٤٠، و(ذخائر العقبى) ص٣٠.

كما جاء إليه جمع من الأنصار وأشاروا عليه بأن يخطب فاطمة من رسول الله(ص) وقالوا له:

عليك بفاطمة فاخطبها فعند ذلك توضأ علي، ولبس كساءً قطريا، وصلى ركعتين ثم أتى النبي[1].

فسلم عليه، وجلس بين يديه ساكتاً، فقال له رسول الله (ص): ما حاجة ابن أبي طالب، وفي نص قال له: ألك حاجة؟ قال: أجل يا رسول الله جئتك خاطباً ابنتك فاطمة، أو قال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله (ص) فتبسم النبي في وجهه وقال: مرحباً وأهلاً، ولم يزده عليهما.

فعندها قام وخرج على أولئك الرهط من الأنصار وكانوا ينتظرونه، فقالوا له: ما وراءَك؟ قال: ما أدري غير أنه قال لي: مرحبا وأهلاً، قالوا: يكفيك من رسول الله(ص) أحدهما، وقد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب.. الخ[2]. والى ذلك أشار الشاعر في الأبيات المتقدمة.

نزول الوحي الإلهي بتزويج فاطمة من علي (ع)

وروى الكثير من المحدثين والمؤرخين بأسانيدهم من أهل السنة عن أنس بن مالك قال: كنت جالساً عند النبي (ص) فغشيه الوحي، فلما سرى عنه قال:

يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي، فانطلق فادع لي

---

(١) (كفاية الطالب) ص١٦٦.

(٢) نقله محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) ص٣٣ عن النسائي، والدولابي، ورواه ابن سعد في (الطبقات الكبرى) ج٨ ص١٢، وابن الأثير في (أسد الغابة) ج٥ ص٥٢١، وابن حجر في (الصواعق) نقلاً عن (عمل اليوم والليلة) للنسائي ص١٤١ عن ابن بريدة، عن أبيه، ونقله عن هذه المصادر الفيروزآبادي في (فضائل الخمسة) ص١٣٨ ج٢.

المهاجرين والأنصار وفي نص: فادع لي أبا بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وبعدة من الأنصار، قال: فدعوتهم له، فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم خطب النبي (ص) فيهم فقال في خطبته:

خطبة النبي (ص) في أصحابه يخبرهم: أن الله أمره أن يزوج فاطمة من علي

الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، المطاع في سلطانه، المرهوب من عذابه وسطوته المرغوب إليه فيما عنده، النافذ أمره في أرضه وسمائه، الذي خلق الخلق بقدرته، وميزهم بأحكامه، وأعزهم بدينه، وأكرمهم بنبيه محمد (ص).

ثم إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة نسباً لاحقاً وأمراً مفترضاً، ألزم به الأنام وأوشج به الأرحام (أي أشبك به الأرحام) فقال عز من قائل: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً**﴾ الفرقان/٥٥.

فأمر الله يجري إلى قضائه، وقضاؤه يجري إلى قدره، ولكل قضاء قدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب، ﴿**يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ الرعد/٤٠.

ثم إن الله عزوجل أمرني أن أزوج فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي بن أبي طالب، فجمع الله شملهما، وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة، ومعادن الحكمة، وأمن الأمة.

ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين أيدينا ثم قال: انتهبوا، فبينما نحن ننتهب إذ أقبل علي (ع) وكان غائباً قد بعثه رسول الله (ص) في حاجة له. فلما رآه مقبلاً تبسم في وجهه وقال: يا علي إن الله قد أمرني أن أزوجك فاطمة، وقد زوجتكها على أربعمائة مثقال فضة إن رضيت بذلك، فقال علي (ع): قد رضيت بذلك يا رسول الله،

فقال(ص): جمع الله شملكما، وأسعد جدكما، وبارك عليكما، وأخرج منكما كثيراً طيباً، قال أنس: فوالله لقد أخرج منهما الكثير الطيب[1].

---

(١) راجع (الرياض النضرة) لمحب الدين الطبري الشافعي ج٢ ص٢٤٠، وقال ص٢٤١ أخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي، ورواه عنه أيضاً في كتابه (ذخائر العقبى) ص٣٠، و(الصواعق المحرقة) ص٨٤ نقلاً عن الحاكمي، وقال ص٤٨٥ أخرجه ابن عساكر بسنده... الخ ورواه بسنده الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ص١٦٣، وقال ص١٦٤: قلت: هذا حديث حسن عال رواه ابن سويدة التكريتي... في كتاب (الأشراف) وأخرجه محمد بن العباس بن نجيح في الثاني من فوائده ... الخ ورواه بسنده الخوارزمي الحنفي في (المناقب) ص٢٤٢ ورواه الحموينى الشافعي في (فرائد السمطين) ص٧٥، وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص١٢٦، والزرندي الحنفي في (نظم درر السمطين) ص١٨٦، والشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص١٧٥ عن مصادر عديدة والشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار) ص٤١ وعباس محمود العقاد في (فاطمة الزهراء والفاطميون) ص٢٦، ونقله السيد شهاب الدين النجفي في (تعليقات إحقاق الحق) ج٦ ص٥٩٥-ص٦٠٣ عن المصادر السابقة ما عدا (العقاد) وعن المصادر الآتية:
ابو هلال العسكري في (الأوائل) ص٥٣، وابن حجر العسقلاني في (لسان الميزان) ج٥ ص١٦٣، والعسقلاني في (المواهب اللدنية) ج٢ ص٤، والمتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) ج٥ ص ١٠٠، وعطاء الله الهروي في (روضة الأحباب) ص٢١١ مخطوط، والمناوي في (كنوز الحقائق) ص٣١ من طريق الطبراني، والحلبي في (إنسان العيون) ج٢ ص٢٠٦، وعبد المعطي في (أخبار الدول) ص٣٦، وابن حمزة الحسيني في (البيان والتعريف) ج١ ص١٧٤ وج٢ ص٣٠١، عن عدة مصادر، والزرقاني في (شرح المواهب اللدنية) ج٢ ص٥، وص٦ من طرق عديدة، والبدخشي في (مفتاح النجا) ص٣٠ مخطوط، واحمد زيني دحلان في (السيرة النبوية) ج٢ ص٨، والحمزاوي المالكي في (مشارق الأنوار) ص١٠٨ وص١٠٩، وعبد الهادي الأبياري في (جالية الكدر) في شرح منظومة البرزنجي ص١٩٤ مختصراً، والشيخ علي محفوظ في (الإبداع) ص٢١١ عن الطبراني في (الكبير) عن ابن مسعود برجال ثقاة.
ونقله السيد مرتضى الحسيني في (فضائل الخمسة) ج٢ ص١٣٣ عن عدة مصادر منها ص١٣٤ عن علي بن سلطان في (مرقاته) ج٥ ص٥٧٤ في الشرح.
←

خطبة علي (ع) لنفسه في زواجه

نقل المجلسي في (البحار) عن ابن مردويه ان النبي (ص) قال لعلي (ع):
تكلم خطيباً لنفسك، فقال:

الحمد لله الذي قرب من حامديه، ودنا من سائليه، ووعد الجنة من يتقيه، وأنذر بالنار من يعصيه، نحمده على قديم إحسانه وأياديه، حمد من يعلم أنه خالقه وباريه، ومميته ومحييه، ومسائله عن مساويه، ونستعينه ونستهديه، ونؤمن به ونستكفيه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغه وترضيه، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله صلاة تزلفه وتحظيه، وترفعه وتصطفيه، والنكاح مما أمر الله به ويرضيه، واجتماعنا مما قدره الله وأذن فيه.

وهذا رسول الله (ص) زوجني ابنته فاطمة على خمس مائة درهم وقد رضيت فاسألوه واشهدوا.

ثم عقد له (ص) على كريمته، وقال له: وقد زوجتك ابنتي فاطمة على ما زوجك الرحمن، وقد رضيت بما رضي الله لها فدونك أهلك فأنت أحق بها مني.

وفي خبر قال: فنعم الأخ أنت، ونعم الختن أنت، ونعم الصاحب أنت، وكفاك برضى الله رضى، فخر علي ساجداً شكراً لله تعالى وهو يقول: (رب أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) الأحقاف/١٦، فقال النبي (ص): آمين[1].

بيان استدلالي على أفضلية علي وفاطمة (عليهما السلام)

لا يخفى أن انتظار النبي (ص) الوحي الإلهي في زواج ابنته فاطمة، وإخباره

ورواه علي بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة) ج١ ص٣٤٨، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٣ ص ١١٩، وغيرهم كثير.

(١) راجع (البحار) ج٤٣ ص١١٢، والمجالس السنية ج٥ ص٦٤ والمناقب لابن شهر آشوب ج٣ ص٣٥٠.

بذلك، دليل واضح على عظيم منزلتها وسمو قدرها، لأنه لم يعهد منه (ص) انه انتظر وحياً في زواج غيرها من بناته وما هذا إلا لأن الزهراء ليست كغيرها من النساء بل هي سيدتهن.

كما ان أمر الله تعالى لنبيه (ص) أن يزوجها من أمير المؤمنين دون غيره ممن خطبها وممن لم يخطبها دليل جلي أيضاً على جميع الأصحاب، إذ أن الله عزوجل لا يختار علياً إلا لأنه مميز على غيره في صفاته ومميزاته وإلا لكان اختياره ترجيحاً من غير مرجح وهو عز شأنه منزه عنه، فاصطفاؤه إياه كان إعلاناً لأفضليته وإعلاء لسموه وتفوقه.

إنكار المنافقين الوحي بزواج فاطمة من علي، وردّ النبي (ص) عليهم

ومن هنا ان بعض المنافقين والحاسدين لعلي طفقوا يذيعون بين الناس ـ هنا وهناك ـ أن الوحي لم ينزل، وأن محمداً (ص) هو الذي اختار علياً لفاطمة، وعلى أثر هذا الإنكار خطب النبي (ص) في أصحابه راداً على المنافقين مزاعمهم، على ما يروي لنا ذلك الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) بسنده عن جابر بن سمرة قال: ـ قال رسول الله (ص): ـ

أيها الناس هذا علي بن أبي طالب أنتم تزعمون أني أنا زوجته ابنتي فاطمة؟ ولقد خطبها إلي أشراف قريش فلم أجب، كل ذلك أتوقع الخبر من السماء حتى جاءني جبرئيل(ع) ليلة أربع وعشرين من رمضان فقال: يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وقد جمع (الملائكة) الروحانيين والكروبين في وادٍ يقال له الأفيح تحت شجرة طوبى، وزوج فاطمة علياً، وأمرني فكنت الخاطب، والله تعالى الولي، وأمر شجرة طوبى فحملت الحلي والحلل والدر والياقوت، ثم نثرته وأمر الحور العين اجتمعن فلقطن فهن يتهادينه إلى يوم القيامة ويقلن: هذا نثار فاطمة[1].

---

(١) (كفاية الطالب) ص١٦٤، وروى هذه الخطبة. بتغيير يسير. السيوطي في (ذيل اللئالي) ط لكنهو ص٥٧ ونقلها عنه السيد شهاب الدين في (تعليقات إحقاق الحق) ج٦ ص٦٢٢، ونقلها عن (كفاية الطالب) الأميني في (الغدير) ج٢ ص٢٨٣.

والى هذا أشار سفيان بن مصعب العبدي الكوفي حيث يقول:

صـــديقة خلقـــت لصـــديق شـــريف في المناســـب
اخـــتاره واخـــتارها طهـــرين مـــن دنـــس المعائـــب
إسماهمـــا قـــرنا عـــلى ســـطر بظـــل العـــرش راتـــب
كـــان الإلـــه ولـــيها وأميـــنه جـــبريل خاطـــب
والمهـــر خمـــس الأرض موهـــبة تعالـــت في المواهـــب
ونهابهـــا مـــن حمـــل طوبـــى طيبـــت تلـــك المناهـــب[1]

قتل الحسد لصاحبه، ورفعة شأن المحسود

ولا يخفى أن هؤلاء المنافقين ما أنكروا أمر الله تعالى لنبيه (ص) بزواج فاطمة من علي إلا تقليلاً لفضله، وحملهم على ذلك حسدهم له، ولكن انكارهم هذا ما أفادهم نفعاً بل أفاد الوصي رفعة، لأن النبي (ص) بسبب إنكارهم وحسدهم أوضح الأمر، وذكر للمسلمين كيفية زواجه في السماء، ومواهب الله له، ومن هنا قال أمير المؤمنين(ع): لله در الحسد فما أعدله، بدأ بصاحبه فقتله.

ولقد أجاد أبو تمام حيث يقول مشيراً إلى هذا المعنى:

وإذا أراد الله نشـــــر فضـــــيلة — طويـــت أتـــاح لهـــا لســـان حســـود
لـــولا اشـــتعال الـــنار فـــيما جـــاورت — مـــا كـــان يعـــرف طيـــب عـــرف العـــود
لـــولا محـــاذرة العواقـــب لم تـــزل — للحاســـد الـــنعمى عـــلى المحســـود[2]

وقال الآخر:

أيـــا حاســـداً لـــي عـــلى نعمـــتي — أتـــدري عـــلام أســـأت الأدب

---

(١) راجع الأبيات وترجمة الشاعر في (الغدير) ج٢ ص٢٦٢-ص٢٩٥ والأبيات مع شرحها في ص٢٧٥-٢٨٥.

(٢) راجع الحديث، والأبيات في شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ج١ ص١٠٤.

أســـأت عـــلى الله في فعلـــه لأنـــك لم تـــرض لـــي مـــا وهـــب
فأخـــزاك ربـــي بـــأن زادنـــي وســـد علـــيك وجـــوه الطلـــب

نعم والله زاد الله علياً أمير المؤمنين فضلاً إلى فضله، وعظمة إلى عظمته وجعل زواجه في السماء بسيدة النساء أعظم منه في الأرض.

زواج فاطمة من علي (ع) في السماء وعظمته

وقد صرح النبي (ص) في كثير من أحاديثه بعظمة زواجه في السماء ومن تلك الأحاديث ما رواه الكثير من المحدثين منهم أبو عبد الله الملا في (سيرته)، ومحب الدين الطبري في كتابيه (الرياض النضرة) و(ذخائر العقبى) والصفوري في (نزهة المجالس) وغيرهم عن أنس بن مالك قال: بينما رسول الله (ص) في المسجد إذ قال لعلي (ع): هذا جبرئيل يخبرني أن الله زوجك فاطمة، وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك، وأوحى إلى شجرة طوبى أن انثري عليهم الدر والياقوت، فنثرت عليهم الدر والياقوت فابتدرت إليه الحور العين يلتقطن في أطباق الدر والياقوت فهم (أي الملائكة والحور) يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة[1].

ومنها ما رواه بأسانيدهم عن الحافظ الغساني، عن عبد الله بن مسعود (رض): أن رسول الله (ص) قال لفاطمة حين وجهها إلى علي: إن الله لما أمرني أن أزوجك من علي، أمر الملائكة أن يصطفوا صفوفاً في الجنة، ثم أمر شجر الجنان أن تحمل الحلي والحلل، ثم أمر جبرئيل فنصب في الجنة منبراً، ثم صعد عليه وخطب، فلما فرغ نثر عليهم (شجر الجنان) الحلي والحلل فمن أخذ أحسن أو أكثر من صاحبه افتخر به إلى

---

(١) (الرياض النضرة) ج٢ ص٢٤٢، و(ذخائر العقبى) ص٣٢، نقلاً عن الملا في (سيرته) و(ينابيع المودة) للشيخ سليمان الحنفي ص١٩٥ و(نزهة المجالس) ج٢ ص٢٢٣، و(رشفة الصادي) للحضرمي ص٧، و(الغدير) للأميني ص٢٨٥، و(تعليقات إحقاق الحق) ج٦ ص٦٠٤.

يوم القيامة يكفيك يا بنية هذا[1].

وأحسن السيد الحميري حيث يقول:

نصب الجليل لجبرئيل منبراً ... في ظل طوبى من متون زبرجد

شهد الملائكة الكرام وربهم ... وكفى بهم وبربهم من شهد

وتناثرت طوبى عليهم لؤلؤاً ... وزمرداً متتابعاً لم يعقد[2]

قال ابن شهر آشوب في (المناقب): وقد جاء في بعض الكتب أنه خطب راحيل في البيت المعمور، في جمع من أهل السموات السبع فقال:

خطبة الملك راحيل في البيت المعمور

الحمد لله الأول قبل أولية الأولين، الباقي بعد فناء العالمين، نحمده إذ جعلنا ملائكة روحانيين وبربوبيته مذعنين، وعلى ما أنعم علينا شاكرين، حجبنا من الذنوب، وسترنا من العيوب، أسكننا في السموات، وقربنا إلى السرادقات، وحجب عنا النهم[3] للشهوات، وجعل نهمتنا وشهوتنا في تقديسه وتسبيحه، الباسط رحمته، الواهب نعمته، جل عن إلحاد أهل الأرض من المشركين، وتعالى بعظمته عن إفك الملحدين، ثم قال بعد كلام:

اختار الملك الجبار صفوة كرمه، وعبد عظمته لأمته سيدة النساء بنت خير النبيين. وسيد المرسلين وإمام المتقين، فوصل حبله بحبل رجل من أهله وصاحبه، المصدق دعوته، المبادر إلى كلمته، علي الوصول بفاطمة البتول ابنة الرسول[4].

ثم قال ابن شهر آشوب: وروي أن جبرئيل روى عن الله تعالى عقيبها قولُه

---

(١) (ذخائر العقبى) ص٣٢ نقلاً عن الغساني، و(الينابيع) ص١٩٥، و(الغدير) ج٢ ص٢٨٤ نقلاً عن (الخطيب في تاريخه) ج٤ ص١٢٩، والغساني، والكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ص١٦٥، وغيرهم، وأبو نعيم في (حلية الأولياء) ج٥ ص٥٩ كما في (فضائل الخمسة) ص١٤٦.

(٢) راجع الأبيات في (المناقب) لابن شهر آشوب ج٣ ص٣٤٨.

(٣) النهمة بلوغ الهمة والشهوة في الشيء.

(٤) المصدر السابق ص٣٤٧ ونقلها عنه المجلسي في (البحار) ج٤٣ ص١١٠.

عزوجل:

الحمد ردائي، والعظمة كبريائي، والخلق كلهم عبيدي وإمائي، زوجت فاطمة أمتي من علي صفوتي، اشهدوا ملائكتي.

وفي ذلك يقول السيد الحميري[1]:

والله زوجـــه الزكـــية فاطمـــاً ... في ظـــل طوبـــى مشـــهداً محضـــورا

كـان الملائـك ثَـمّ في عـدد الحصـى ... راحـيل يخطـب فـيهم مسـرورا

يدعـو لـه ولهـا وكـان دعـاؤه ... لهمـا بخـير دائـم مذكـورا

حـتى إذا فـرغ الخطيـب تتابعـت ... طوبـى تسـاقط لؤلـؤاً منـثورا

وتهـيل ياقوتـاً علـيهم مـرة ... وتهـيل دراً تـارة وشـذورا

فـترى نسـاء الحـور ينتهـبونه ... حـوراً بذلـك يهـتدين الحـورا

فـإلى القـيامة بيـنهن هديـة ... ذاك النـثار عشـية وبكـورا

نثار شجرة طوبى على الملائكة والحور العين

وروى محب الدين الطبري الشافعي في (ذخائر العقبى)، والخوارزمي في (المناقب) بسنده عن الإمام علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي (ع) قال: قال رسول الله(ص): أتاني ملك فقال: يا محمد إن الله عزوجل يقرأ عليك السلام ويقول:

إني قد زوجت فاطمة من علي فزوجها منه، وإني قد أمرت شجرة طوبى أن تحمل الدر والياقوت والمرجان وأن تنثره على من قضى عقد نكاح فاطمة من الملائكة والحور العين، وقد سرت بذلك أهل السموات، وإنه سيولد منهما ولدان سيدان في الدنيا، وسيسودان على كهول أهل الجنة وشبابها.

---

(١) راجع المصدر السابق وراجع ما رواه الخوارزمي في (المناقب) ص٢٥٠-ص٢٥١ من خطبة راحيل، وجبرئيل، وما نثر على أهل السموات من الحلي والحلل، وارتجاج أهلها فرحاً وسروراً.

وفي نص الخوارزمي: وسيولد منهما ولدان سيدا شباب أهل الجنة. وقد تزين أهل الجنة لذلك وفرحوا، فاقرر عيناً يا محمد فإنك سيد الأولين والآخرين. قال الطبري: خرجه الإمام علي بن موسى الرضا (ع))[1].

البركة في ذرية علي وفاطمة، ومصيبة القاسم

نعم ولد من علي وفاطمة - فيما ولد - سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين (ع)، وبارك الله تعالى في ذريتهما حتى عم وجودهم شرق الأرض وغربها، وكلهم ينسبون - بحكم الأدلة القاطعة - إلى رسول الله (ص) الذي لم يعقب بعده سوى كريمته الزهراء ولقد أجاد من قال:

كان نسل النبي بنتاً فاضحى ... مثل نبت الربيع عم البسيطا

قال العلامة الكبير الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء:

إن من احدى المعجزات وأكبر الكرامات أن يبقى لرسول الله (ص) نسل وعقب على وجه الأرض رغم تلك العوامل الفعالة ضدهم، والمعاول المصممة على إبادتهم واستئصالهم:

نعم حاول اعداؤهم إزالتهم عن جديد الأرض وأن لا يبقى منهم أحد، حتى أن اليوم العاشر من المحرم قتلوهم صغاراً وكبارا كهولاً وشبانا ورضعانا، ومن أعظم المصائب مصيبة القاسم بن الحسن الذي لم يبلغ الحلم، وكان وجهه كفلقة قمر طالع، والذي لما رآه الحسين (ع) وقد برز اعتنقه وبكى.. الخ.

---

(١) (ذخائر العقبى) ص٣٢، و(مناقب الخوارزمي) ص٢٤٧، ونقله عنهما السيد شهاب الدين في (تعليقات إحقاق الحق) ج٦ ص٦١٣ وص٦١٧، ونقله المجلسي في (البحار) ج٤٣ ص١٠٥، عن (عيون أخبار الرضا) ج٢ ص٢٧.

المجلس التاسع والأربعون

القاسم، وتاريخ زواج فاطمة، وزفافها

وعـــرس كانـــت الأمـــلاك فـــيه ... لـــــتزويج الزكـــــية شـــــاهدينا
وكـــان ولـــيها جـــبريل مـــنهم ... وميكائـــيل خـــير الخاطبيـــنا
وكـــان نـــثارها حلـــلاً وحلـــياً ... وياقوتـــاً ومـــرجانا ثمينـــا
وكـــان مـــن النـــثار كمـــا رويـــنا ... صـــكاك ينتـــثرن وينطويـــنا
بهـــا للشـــيعة الأبـــرار عـــتق ... جـــرى مـــن عـــند رب العالميـــنا[1]

ولدت سيدة النساء فاطمة الزهراء (ع) بمكة المشرفة يوم الجمعة في العشرين من جمادى الثانية بعد مبعث أبيها رسول الله (ص) بخمس سنين، وقبل هجرته بثمان سنين، فأقامت مع أبيها بمكة ثمان سنين، ثم هاجرت معه إلى المدينة.

وتزوجت بأمير المؤمنين (ع) في السنة الثانية من الهجرة بعد غزوة بدر الكبرى وعمرها - يومئذٍ - عشر سنين، وهذا قول ابن شهر آشوب في (المناقب)[2].

وهو المشهور بين الإمامية، وفي رواية أنها ولدت بعد مبعث النبي (ص) بسنتين[3].

وعلى هذا يكون عمرها يوم تزويجها ثلاثة عشر سنة، ولا يبعد صحة هذه

---

(١) الأبيات ينقلها ابن شهر آشوب في (المناقب) ج٣ ص٣٤٩ (لخطيب منيح).

(٢) راجع (المناقب) ج٣ ص٣٥٧.

(٣) راجع (البحار) ج٤٣ ص٨ وص٩ نقلاً عن كتاب (الإقبال) للسيد ابن طاووس، ومصباح الكفعمي وكتاب (المصابيح).

الرواية، والله أعلم.

وكان تزويجها بعلي على ما في (المناقب) أول يوم من ذي الحجة، ودخل بها يوم الثلاثاء لست خلون منه.

وقال سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص): وتزوجها علي (ع) في السنة الثانية من الهجرة في (شهر رمضان) وبنى بها (أي دخل بها) في ذي الحجة وهو الأشهر[1].

والمؤرخون وإن اختلفوا ـ من الخاصة والعامة ـ في تاريخ ولادتها وتاريخ زواجها، ومقدار عمرها، لكنهم جميعاً متفقون على أن زواجها بأمير المؤمنين (ع) كان بوحي خاص من الله تعالى، وقد جاءت الأحاديث بذلك متواترة، بل رووا أن أمير المؤمنين لما خطبها من رسول الله (ص) ـ بعدما خطبها منه من خطبها من أشراف قريش وردهم ـ تهلل وجهه فرحاً وسروراً ثم تبسم في وجهه وقال: أبشر يا علي فإن الله عزوجل زوجها منك في السماء قبل أن ازوجكها في الأرض، وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك.

ولقد أجاد خطيب منيح حيث قال في الأبيات المتقدمة:

وعرس كانت الأملاك فيه ... لتزويج الزكية شاهدينا

وكان وليها جبريل منهم ... وميكائيل خير الخاطبينا

وكان نثارها حللاً وحليا ... وياقوتاً ومرجاناً ثمينا

وكان من النثار كما روينا ... صكاك ينتثرن وينطوينا

بها للشيعة الأبرار عتق ... جرى من عند رب العالمينا

ما نثرته شجرة طوبى من الصكاك في زواج فاطمة من علي (ع)

وقد أشار هذا الشاعر في البيتين الأخيرين إلى ما رواه الكثير من المحدثين والمؤرخين

---

(١) (تذكرة الخواص) ص٣١٦.

من أهل السنة مسنداً ومرسلاً عن بلال بن حمامة قال:

طلع علينا رسول الله (ص) ذات يوم ووجهه مشرق كدارة القمر فقام إليه عبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟[1]

فقال: بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي، وابنتي، ان الله عزوجل زوج علياً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان أن هز شجرة طوبى، فهزها فحملت رقاقاً (يعني صكاكاً) بعدد محبي أهل بيتي، وأنشأ من تحتها ملائكة من نور، ودفع لكل ملك صكاً (فيه نجاة من النار) فاذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق: (ألا ومن كان محباً لعلي وفاطمة فليبادر وليأخذ من نثار زفافها) فلا يبقى محب لأهل البيت إلا ودفع إليه الملك صكاً فيه فكاكه من النار، فصار أخي وابن عمي، وابنتي - بهما - سبب فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار[2].

---

(١) ظهور النور في وجه النبي (ص) في هذا المقام وإشراقه به كدارة القمر. حسب النص الوارد. معجزة خاصة من الله سبحانه لتكون دليلاً خاصاً على صدقه فيما يدعيه في هذا الخصوص بالإضافة إلى معجزاته العامة الكثيرة، الدالة على رسالته ونبوته (ص)، ورداً حاسماً على من انكر الوحي الإلهي في زواج فاطمة من علي (ع) وإظهاراً لكرامتها العظمى عند الله عزوجل (ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) النساء/ ٧٠.

(٢) راجع المصادر الآتية: (المناقب) للخوارزمي ص٢٤٦ ط النجف، وص٢٣٨ ط تبريز، و(أسد الغابة) لابن الأثير الجزري، ج١ ص٢٠٦ ط مصر، وقال: أخرجه أبو موسى و(مقتل الحسين) للخوارزمي ص٦٠، و(الفصول المهمة) لابن الصباغ المالكي ص١٠، نقلاً عن كتاب (الآل) لابن خالويه، و(الصواعق المحرقة) لابن حجر، ص١٠٣ ط الميمنية، وص١٠٦ ط مصر. و(كشف الغمة) لعلي بن عيسى الأربلي ج١ ص٣٥٢ ط تبريز، و(ينابيع المودة) للشيخ سلميان الحنفي ص١٧٧ وص ٢٦٣ نقلاً عن كتاب (مودة القربى) للسيد علي الهمداني، وعن كتاب (جواهر العقدين) لنور الدين السمهودي، و(نزهة المجالس) للصفوري الشافعي ج٢ ص١٨٢، و(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي ج٤ ص٢١٠ ط مصر، و(الإصابة) لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٨١ في ترجمة سنان بن شفعلة، و(رشفة الصادي) للسيد أبي بكر الحضرمي ط مصر، ونقله عن أكثر هذه المصادر ←

مهر فاطمة في السماء والأرض

وكان لفاطمة (ع) مهران مهر في السماء من الله عزوجل إكراماً لها، ومهر في الأرض من علي أمير المؤمنين (ع)، أما مهرها في السماء ـ فيما روي عن الإمام الباقر(ع) ـ أنه كان: خمس الدنيا، وثلثي الجنة، وجعلت لها في الأرض أربعة أنهار: الفرات، ونيل مصر، ونهروان، ونهر بلخ[1].

وفي خبر آخر أن النبي (ص) سئل عن مهر فاطمة في السماء قال: كان مهرها في السماء خمس الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لها ولولدها مشى عليها حراماً إلى أن تقوم الساعة[2].

وفي أحاديث أخرى أن النبي (ص) قال لعلي (ع): يا علي إن الله عزوجل زوجك فاطمة وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضاً لك، وفي نص: مبغضاً لها مشى عليها حراماً[3].

الشيخ نجم الدين العسكري في (علي والشيعة) ص١٢٥-١٢٦، كما نقله عن بعض المصادر السيد شهاب الدين في (تعليقات إحقاق الحق) ج٤ ص٤٥٧، وج٦ ص٦١٧ ونقله السيد مرتضى الحسيني في (فضائل الخمسة) ج٢ ص١٤٧ عن بعض المصادر المتقدمة، ونقله ابن شهر آشوب في (المناقب) ج٣ ص٣٤٦ عن (تاريخ بغداد) وغيره، ونقله المجلسي في (البحار) ج٤٣ ص١٢٣ عن (كشف الغمة) و(المناقب) وعن (الخرائج) للقطب الراوندي.

(١) راجع (البحار) ج٤٣ ص١١٣ نقلاً عن كتاب (الجلاء والشفاء) على ما في (المناقب) ج٣ ص٣٥١ المطبعة العلمية لابن شهر اشوب.

(٢) المصدر السابق نقلاً عن (مناقب ابن شهر آشوب) ج٣ ص٣٥١ نقلاً عن (الكافي) للكليني، وراجع (فرائد السمطين) ص٨٠ في حديث مسند عن علي عن رسول الله (ص).

(٣) راجع تعليقات إحقاق الحق ج٧ ص٢٧٧-٢٧٩ نقلاً عن المصادر الآتية: (فردوس الأخبار) للديلمي، و(ينابيع المودة) عن عبد الله بن مسعود عن النبي (ص)، و(مناقب الخوارزمي) ص٢٣٥ ط النجف وص٢٢٩ ط تبريز، و(مقتل الحسين لَه) ص٦٦، و(مفتاح النجا) للبدخشي مخطوط (والينابيع) ص٢٦٤ وتظلم الزهراء لعبد العلي مخطوط كلهم عن ابن عباس.

أما مهرها في الأرض من علي (ع) فكان خمسمائة درهم، وفي بعض الأحاديث أربعمائة مثقال فضة، وهذا يكون أكثر من خمسمائة درهم، لأن الخمسمائة درهم ـ على ما ذكر السيد محسن العاملي في (المجالس السنية) ـ تبلغ ثلاثمائة وخمسين مثقالاً[1].

وفي رواية كان مهرها قيمة الدرع الذي باعه، وهي أربعمائة وثمانين درهماً.

بيان في المهر، والحكمة في عدم تحديده

وكيفما كان فهو مهر متواضع قليل، أكثر ما ورد أنه أربعمائة مثقال فضة، وهذا المقدار هو المعروف من سنة النبي (ص) والإسلام ـ نظراً لخلوده ما خلد الدهر ـ لم يحدد المهر بمقدار معين، بل أوكل ذلك إلى مجرد التراضي بين الزوجين مما قل أو كثر.

وإن المهر من الزوج نحلة إلى الزوجة، أي عطية لازمة لها تتصرف به حسب رغبتها وإرادتها. ولا يجوز لأحد ـ مطلقاً ـ أن يأخذ منه شيئاً بدون طيب نفسها قال تعالى: **﴿وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَ تَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾** النساء/ ٢١.

والقنطار، هو المال الكثير، وقيل: معيار يساوي مائة رطل، وقال تعالى: **﴿وَآتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾** النساء/٥.

والأمر بقوله: **﴿فَكُلُوهُ﴾** للإباحة المشروطة بطيب نفس الزوجة ورضاها، وقد ورد في السنة المتواترة: ان المهر كل ما تراضيا عليه قليلاً كان أو كثيرا[2].

نعم لا ريب في أن الفضل في مهر السنة الذي لا يتجاوز الأربعمائة مثقال فضة، وذلك لتسهيل أمر الزواج على الناس، وعدم تأخيره.

أما الحكمة في عدم تحديد المهر بمقدارٍ معيّن فهي إنه لو حدّد بالقلة لأوجب الحيف على الزوجة ولو حدد بالكثرة لأوجب الحيف على الزوج، هذا من جهة.

---

(١) (المجالس السنية) ج٥ ص٦٤.

(٢) راجع (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) للعلامة الكبير السيد عبد الأعلى ج٧ ص٤٠٦.

ومن جهة أخرى ان الكثرة والقلة أمران إضافيان لا يقفان عند حدٍ محدود نظراً لحال الزوجين في الغنى والفقر، ونظراً أيضاً إلى الظروف التي تمر بالناس في الرخاء وعدمه، ولذلك وغير ذلك اقتضت الحكمة إبقاء المهر ـ مطلقاً ـ بدون تحديد معين ليحصل الاتفاق بين الطرفين على ما فيه مصلحتهما، ورضاهما معاً، وطبق مقتضيات العصر.

ومما ورد في رواية الكنجي الشافعي في مهر فاطمة (ع) انه لما قال علي (ع): يا رسول الله زوجني فاطمة، قال له: إذا زوجتكها فما تصدقها، قال: اصدقها سيفي وفرسي ودرعي وناضحي، فقال (ص): أما سيفك وفرسك فلا غناء بك عنهما تقاتل بهما المشركين وأما ناضحك فتنضح به على نخلك، وتحمل عليه رحلك، فلا غناء بك عنه، وأما درعك فشأنك بها، فانطلق علي (ع) فباع درعه بأربعمائة وثمانين درهماً قطرياً، وجاء بها فصبها بين يدي النبي (ص) فلم يسأله كم هي ولم يخبر رسول الله بمقدارها، فأخذ منها رسول الله (ص) قبضة فدفعها إلى المقداد بن الأسود[1]. وفي رواية: دفعها إلى بلال.

جهاز علي وفاطمة (ع) في عرسها وقال: ابتع لفاطمة طيباً، ثم قبض رسول الله(ص) من الدراهم قبضة ثانية بكلتا يديه فأعطاها أبا بكر وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث للبيت، وأتبعه بعمار بن ياسر وبعدّة من أصحابه، ثم قبض قبضة ثالثة كانت ثلاثاً وستين درهماً فأعطاها أم أيمن لمتاع البيت، ودفع الباقي إلى أم سلمة، وقال: أبقيه عندك لوقت الحاجة.

فكان مما اشتروه قميص، وخمار، وعباءة بيضاء، وكساء خيبري، وسرير من جريد النخل، وفراشان من كتان مصر حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر صوف وأربع مرافق أي وسائد حشوها نبات طيب الرائحة، وحصير خيبري، ورحى، ومخضب من نحاس، وهو إناء لغسل الثياب وخضبها ويقال له مركن وأجانة. ومما اشتروه سقاء من جلد سخل، وقعب للبن، وكيزان خزف، ونطع من أدم إلى غير ذلك.

ولما كمل الشراء عرضوا ما اشتروه على رسول الله (ص) فلما نظر إليه جعل يقلبه بيده

---

(١) راجع (كفاية الطالب) ص١٦٦-ص١٦٧.

ويقول: بارك الله لأهل البيت[1].

وفي رواية ـ في كشف الغمة ـ فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم بارك لقوم جل آنيتهم الخزف.

وليمة العرس، وما فيها من معجز باهر

وروى شيخنا الطوسي في (الأمالي) عن علي (ع) أنه قال في ضمن روايته عن كيفية زواجه: قال لي رسول الله (ص): يا علي اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً، ثم قال: من عندنا اللحم والخبز وعليك التمر والسمن. قال: فاشتريت تمراً وسمناً، فحسر رسول الله (ص) عن ذراعيه وجعل يشدخ التمر في السمن حتى اتخذه حيساً، وبعث إلينا كبشاً سميناً فذبح، وخبز لنا خبزاً كثيراً. ثم قال لي رسول الله (ص): ادع من أحببت، فأتيت المسجد وهو مشحون بالصحابة، فاستحييت أن أشخص قوماً وأدع قوماً، فصعدت على ربوة هناك وناديت: أجيبوا إلى وليمة فاطمة، فأقبل الناس أرسالاً فاستحييت من كثرة الناس وقلة الطعام، فعلم رسول الله (ص) بما تداخلني من الحياء فقال: يا علي إني سأدعو الله بالبركة.

قال علي (ع): فأكل القوم عن آخرهم، وشربوا ودعوا لي بالبركة وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، ولم ينقص من الطعام شيء.

ثم دعا رسول الله (ص) بالصحاف (أي الأواني) فملئت بالطعام ووجه بها إلى منازل أزواجه ثم أخذ صحفة (أي آنية) وجعل فيها طعاماً وقال: هذا لفاطمة وبعلها[2].

ومما أجمع عليه المؤرخون أنه (ص) أطعم الناس الكثيرين من الطعام القليل مراراً عديدة، وهو من جملة معجزاته المعروفة، ومنها ما سمعت من وليمة عرس

---

(١) ما ذكرناه من الجهاز هو خلاصة روايات في مصادر منها (أمالي الشيخ الطوسي) ج١ ص٣٩ و(كشف الغمة) للاربلي ج١ ص٣٥٩، و(البحار) ج٤٣ ص٩٤ وص١٣٠، و(مناقب ابن شهر آشوب) ج٣ ص٣٥٣ وغيرها.

(٢) راجع (أمالي الشيخ) ج١ ص٤٠، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٣ ص٩٥، وقريب من هذا ذكره ابن شهر آشوب في (المناقب) ج٣ ص٣٥٣، إلا أن في روايته: أمر علياً بذبح البقر والغنم.

علي وفاطمة (ع).

الملائكة تزف فاطمة إلى علي (ع)

قال الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) في بعض رواياته: فلما كان الليل (أي ليلة زفاف فاطمة (ع)) بعث رسول الله (ص) إلى سلمان فقال: يا سلمان أئتني ببغلتي الشهباء فأتاه بها يحمل عليها فاطمة (ع) فكان سلمان يقودها والنبي (ص) يمشي خلفها، وبينما هو كذلك إذ سمع النبي حساً خلف ظهره، فالتفت فإذا هو بجبرئيل وميكائيل وإسرافيل في جمع كثير من الملائكة، فقال (ص): يا جبرئيل وما أنزلكم (إلى الأرض) قال: نزلنا نزف فاطمة إلى زوجها، ثم كبر جبرئيل ثم كبر ميكائيل ثم كبر إسرافيل ثم كبرت الملائكة ثم كبر النبي(ص) ثم كبر سلمان الفارسي، فصار التكبير خلف العرائس سنة من تلك الليلة... الخ[1].

وروى الخطيب البغدادي في (تاريخه) بسنده، ومحب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) وغيرهما، عن ابن عباس قال: لما زفت فاطمة سلام الله عليها إلى علي عليه السلام كان النبي (ص) أمامها، وجبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن يسارها، وسبعون ألف ملك خلفها، يسبحون الله ويقدسونه حتى طلع الفجر[2].

أقول:

هذه السنة النبوية المقدسة من التكبير لله عزوجل، والتسبيح والتقديس والتهليل لَه سبحانه - أثناء زفاف العروس - أبدلت - ويا للأسف - بأنواع الخلاعة والمجون، والرقص والغناء، مع السفور والتبرج للنساء وأنواع زينتهن، واختلاط النساء والرجال في ناد واحد، وربما تشرب فيه أنواع الخمور والمسكرات، وقد يحصل من ذلك إيذاء المجاورين لذلك النادي طيلة ليلتهم، كل ذلك اتباعاً للنفس الأمارة بالسوء، وشياطين الإنس والجن من رؤساء الكفر والضلال دون اتباع العقل والرسل والأنبياء، والى الله المشتكى من تغيير السنن الإلهية بالبدع

---

(١) (كفاية الطالب) ص١٦٧، و(كشف الغمة) ج١ ص٣٦٩.

(٢) (تاريخ بغداد) ج٥ ص٧، و(ذخائر العقبى) ص٣٢، ونقله عنهما السيد مرتضى الفيروز آبادي في (فضائل الخمسة) ج٢ ص١٤٥.

الشيطانية قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ النساء/٥٣.

الحور العين، وأهل البيت يزفون فاطمة إلى علي (ع) ونساء النبي (ص) يرجزن الأشعار بمدحها

يروي ابن شهر آشوب في (المناقب) نقلاً عن كتاب (مولد فاطمة) للصدوق أنه قال:

في خبر أمر النبي (ص) بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة وأن يفرحن ويرجزن، ويكبرن الله ويحمدنه ولا يقلن ما لا يرضي الله، قال: وأخذ سلمان بزمام البغلة، وحولها سبعون حوراء، والنبي (ص) وحمزة وعقيل وأهل البيت يمشون خلفها، ونساء النبي قدامها يرجزن، فأنشأت أم سلمة تقول:

سرن بعون الله جاراتي ... واشكرنه في كل حالات
واذكرن ما أنعم رب العلى ... من كشف مكروب وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد ... أنعشنا رب السموات
وسرن مع خير نساء الورى ... تفدى بعماتٍ وخالات
يا بنت من فضله ذو العلا ... بالوحي منه والرسالات

ثم قالت عائشة:

يا نسوة استترن بالمعاجر ... واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرن رب الناس إذ يخصنا ... بدينه مع كل عبد شاكر
فالحمد لله على إفضاله ... والشكر لله العزيز القادر
سرن بها فالله أعلى ذكرها ... وخصها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصة:

فاطمة خير نساء البشر ... ومن لها وجه كوجه القمر
فضلك الله على كل الورى ... بفضل من خص بأي الزمر
زوجك الله فتى فاضلاً ... أعني علياً خير من في الحضر

فســـرن جـــاراتي بهـــا انهـــا كـــريمة بنـــت عظـــيم الخطـــر

ثم قالت معاذة أم سعد بن معاذ:

أقـــول قـــولاً فـــيه مـــا فـــيه وأذكـــــر الخـــــير وأبديـــــه

محمـــــد خـــــير بـــــني آدم مـــا فـــيه مـــن كـــبرٍ ولا رتـــيه

بفضـــــله عرفـــــنا رشـــــدنا فـــــالله بـــــالخير يجازيـــــه

ونحـــن مـــع بنـــت نـــبي الهـــدى ذي شـــرف قـــد مكثـــت فـــيه

في ذروة شـــــامخة أصـــــلها فمـــــا أرى شـــــيئاً يدانـــــيه

وكانت النسوة يرجعن أول كل بيت من كل رجز ثم يكبرن لله حتى دخلن الدار.. الخ[1].

هذا وقد ازدحم البيت بالزائرات والوافدات وعلا التكبير والتهليل وبدت علائم الفرح والسرور.

وبينما النسوة في فرحهن واستبشارهن إذ أقبل رسول الله (ص) وقال لأم أيمن: أها هنا أخي؟ يقول المحدثون: فقالت له أم أيمن: ومن أخوك يا رسول الله؟ فقال: علي بن أبي طالب، فقالت: بأبي أنت وأمي هو أخوك وقد زوجته ابنتك؟ فقال لها: نعم انه أخي في المنزلة والمؤاخاة، فلا يمتنع علي تزويجي إياه ابنتي[2].

---

(١) راجع (مناقب ابن شهر آشوب) ج٣ ص٣٥٤، ونقله عن المجلسي في (البحار) ج٤٣ ص١١٥.

(٢) راجع (كفاية الطالب) ص١٧٠، و(الصواعق المحرقة) ص٨٤، ونقله عنه، وعن (السيرة الدحلانية) ص٢٥١، و(خصائص امير المؤمنين) للنسائي ص٣٢، و(ذخائر العقبى) ص٢٨، السيد محمد صادق الصدر في كتابه (حياة امير المؤمنين) ص١٧٥ ط الثانية، و(مستدرك الصحيحين) للحاكم ج٣ ص١٥٩، و(مجمع الزوائد) ج٩ ص٢١٠ نقلاً عن الطبراني، ونقله عنهما، وعن غيرهما صاحب (فضائل الخمسة) ج٢ ص١٣٩.

دعاء النبي (ص) لعلي وفاطمة ليلة الزفاف وصبيحته

ثم دخل النبي (ص) إلى البيت وأمر النساء بالخروج فخرجن مسرعات، يقول المحدثون خاصة وعامة: فدعا رسول الله (ص) بماء، ولم يكن في البيت سوى علي وفاطمة، فقامت فاطمة تعثر بأذيالها من الحياء وأتته بقدح فيه ماء، فأخذه ووضع فيه من ريقه، وقال لها: تقدمي إلي فتقدمت إليه، فنضح من الماء على رأسها وبين ثدييها وقال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. وفي نص: اللهم إنهما مني وأنا منهما، اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني تطهيرا فأذهب عنهما الرجس وطهرهما تطهيراً.

ثم قال مرة ثانية: ائتوني بماء، قال علي (ع): فعلمت ما يريد، فملأت القعب ماءً وأتيته به فنضح منه على رأسي وبين كتفي وقال: اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم[1].

أو قال: اللهم إنهما مني... الخ، وهنا قبل أن ينصرف النبي (ص) من البيت أراد أن يعرف الزهراء، أو يزيدها معرفة بمنزلة ابن عمها لتكون قريرة العين فقال لها كما في بعض النصوص: يا بنية إني زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة، وإنه لأول أصحابي إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً.[2]

وفي نص آخر قال (ص) لها: يا فاطمة إن الله اطلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبياً، ثم اطلع الثانية فاختار بعلك، فأوحى إلي فزوجته إياك واتخذته وصياً[3].

---

(١) (الصواعق) ص٨٤، و(كفاية الطالب) ص١٧٠ بما يقارب المعنى، وكذلك في (كشف الغمة) ج ١ ص٣٧٢ وغيرهم.

(٢) (الاستيعاب) لابن عبد البر ج٣ ص٣٦، ونقله عنه السيد محمد صادق الصدر في (حياة أمير المؤمنين) ص١٧٦.

(٣) المصدر السابق نقلاً عن (منتخب كنز العمال) ص٣١، و(كفاية الطالب) ص١٦٢، وهذا المعنى متواتر عن الصادق الأمين (ص) في أحاديث كثيرة.

ثم التفت إلى علي وقال له: كما في (كفاية الطالب) هذه ابنتي فمن أكرمها فقد أكرمني، ومن أهانها فقد أهانني، ثم قال داعياً لهما: اللهم بارك فيهما[1] وعليهما، واجعل منهما ذريةً طيبة إنك سميع الدعاء.

ثم ودعهما وخرج من الباب وهو يقول: طهركما الله وطهر نسلكما، إني سلم لمن سالمكما وحرب لمن حاربكما استودعكما الله واستخلفه عليكما.

ثم انصرف إلى بيته مسرورا، ثم زارهما عند الصباح فدخل عليهما وقال لعلي: كيف وجدت أهلك؟ فقال: نعم العون على طاعة الله، وسأل فاطمة فقالت: خير بعل يا أبتاه فرفع الرسول (ص) كفيه بالدعاء وقال: اللهم اجمع شملهما وألف بين قلبيهما واجعلهما وذريتهما من ورثة الجنة، وارزقهما ذرية طيبة طاهرة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة.

واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك[2].

نثار شجر الجنان الحلي والحلل على الملائكة

ويروي المحدثون بأسانيدهم عن عبد الله بن مسعود أنه قال: أصابت فاطمة صبيحة يوم العرس رعدة استحياء، فقال لها النبي (ص): يا فاطمة زوجتك سيداً في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة لما أراد الله تعالى أن أملكك من علي أمر الله جبرئيل فقام في السماء الرابعة فصف الملائكة صفوفاً، ثم خطب عليهم فزوجك من علي، ثم أمر الله شجرة الجنان فحملت الحلي والحلل ثم أمرها فنثرته على الملائكة فمن أخذ منهم شيئاً يومئذ أكثر مما أخذ غيره افتخر إلى يوم القيامة الخ[3].

---

(١) (كفاية الطالب) ص١٦٧، و(كشف الغمة) ج١ ص٣٧٠، والمجلسي في (البحار) ج٤٣ ص١٤١.

(٢) راجع (مناقب ابن شهر آشوب) ج٣ ص٣٥٥ وص٣٥٦ ونقله عن المجلسي في (البحار) ج٤٣ ص١١٧.

(٣) (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج٥ ص٥٩، و(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي ج٤ ص١٢٨ ونقله عنهما السيد مرتضى الحسيني في (فضائل الخمسة) ج٢ ص١٤٦-ص١٤٧، و(كفاية الطالب) ←

إيداع النبي (ص) فاطمة عند علي (ع)

ثم ان النبي (ص) أخذ يد فاطمة ووضعها بيد علي وقال: يا علي هذه وديعة الله ورسوله عندك فاحفظ الله واحفظني فيها.

ولما حضرته الوفاة أيضاً أخذ يد فاطمة ووضعها بيد علي وقال له: يا أبا الحسن هذه وديعة الله ورسوله عندك فاحفظ الله واحفظني فيها وانك لفاعل... الخ.

القاسم وديعة الحسن عند الحسين (ع)

ففاطمة هي وديعة رسول الله (ص) عند علي (ع) ولعل هناك وديعة أخرى استودعها أبو محمد الحسن عند أخيه الحسين وهو القاسم بن الحسن، وأمه رملة، وقد توفي أبوه الحسن وله من العمر نحو من أربع سنين، فرباه عمه الحسين (ع)، وكان عنده بمنزلة الولد العزيز، وكان يحبه حباً شديداً.

ولم يذكر أرباب المقاتل أن الحسين (ع) عند براز ووداع أحد من أهل بيته غشي عليه من شدة البكاء، حتى ولده وفلذة كبده علي الأكبر شبيه رسول الله (ص) فإنهم قالوا - عند برازه ووداعه - إن الحسين أرخى عينيه بالدموع وبكى، ولكن لم يضّل الحال إلى الإغماء والغشية.

أما القاسم بن الحسن فقد ذكروا أنه لما خرج القاسم وأقبل إلى عمه يستأذنه في القتال ونظر إليه الحسين لم يملك نفسه دون أن تقدم إليه واعتنقه وجعلا يبكيان حتى غشي عليهما من البكاء[1].

جهاد القاسم، ومصرعه

ثم إن القاسم استأذن عمه في المبارزة فأبى أن يأذن له، فلم يزل يتوسل إليه ويقبل

للكنجي ص١٦٥ ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج٦ ص٩، وج٢ ص٣٨٢، و(مناقب الخوارزمي) ص٢٤٣، و(مقتل الحسين) له ص٦٤ و(كشف الغمة) ج١ ص٣٦٧ وغيرهم.

(١) راجع (مقتل الحسين) للسيد آل بحر العلوم ص٤٧٠-٤٧٢ و(البحار) ج٤٥ ص٣٤.

يديه ورجليه حتى أذن له، فبرز إلى الميدان باكياً وحمل على الأعداء وهو يقول:

إن تـــنكروني فأنـــا نجـــل الحســـن سـبط الـــنبي المصـــطفى والمؤتمـــن

هـــذا حســـين كالأســـير المـــرتهن بـين أنـاس لا سُـقوا صـوب المـزن

فقاتل مقاتلة الأبطال الشجعان حتى قتل ـ على صغره وعطشه ـ خمسة وثلاثين رجلاً.

قال حميد بن مسلم: خرج علينا غلام كأن وجهه شقة قمر طالع وفي يده السيف، وعليه قميص وإزار، وفي رجليه نعلان، فمشى يضرب بسيفه، فانقطع شسع أحدهما، ما أنسى أنها كانت اليسرى، فوقف ليشده، فقال عمرو بن سعد الأزدي: والله لأشدن عليه.

فقلت: سبحان الله، وما تريد بذلك، فوالله لو ضربني ما بسطت له يدي وضربته يكفيك هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه. فقال: والله لأشدن عليه، فما ولى حتى ضرب رأس الغلام بالسيف ففلقه، فوقع الغلام لوجهه وصاح: يا عماه، فأتاه الحسين مسرعاً وانقض عليه كالصقر، وتخلل الصفوف وشد شدة الليث إذا غضب، فضرب عمرواً قاتله بالسيف فاتقاها بساعده فأطنها من المرفق ثم تنحى عنه الحسين فصاح عمرو صيحة عظيمة سمعها العسكر، فحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوه من الحسين فاستقبلته الخيل بصدورها ووطأته بحوافرها فمات لعنه الله.

قيام الحسين (ع) على مصرعه، وحمله له

ثم انجلت الغبرة فإذا بالحسين قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين يقول: يعز على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا يعينك أو يعينك فلا يغني عنك. بعداً لقوم قتلوك، هذا يوم كثر واتره وقلّ ناصره.

قال حميد بن مسلم: ثم احتمله الحسين على صدره وكأني أنظر إلى رجلي الغلام تخطان الأرض، فجاء به إلى الخيمة وألقاه مع ولده علي والقتلى من أهل بيته.. الخ.

ثم رفع الحسين طرفه إلى السماء وقال:

اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بددا، ولا تغادر منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً، ثم جعل يصبر أهل بيته ويقول:

صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً.

والقاسم بن المجتبى ما بينهم ... وجبينه يزهو كشمس ضاحيهْ

نادى: ألا يا عم أدركني فقد ... وزعن أعضائي السيوف الماضيهْ

فأتاه يسرع بالخطا ودموعه ... للأرض من عينية تهمي جاريهْ

الفصل التاسع

ما يتعلق بشؤون علي الأكبر، وأمه، وأخوته، وحقوق الوالدين، وحضور النبي (ص) وأهل بيته عند المحتضرين

المجلس الخمسون

ترجمة علي الأكبر، وأخوته، من قتل منهم ومن لم يقتل، ونسب أمه

وعلـي قـدرٍ مـن ذوابـة هاشـم ... عبقـت شمائلـه بطيـب المحتد

جمـع الصـفات الغـر وهـي تـراثه ... مـن كـل غطـريف وشـهم أصـيد

في بـأس حمـزة في شـجاعة حـيدر ... بإبـا الحسـين وفي مهابـة أحمـد

وتـراه في خلـقٍ وطيـب خلائـق ... وبلـيغ نطـق كالـنبي محمـد (ص)[1]

ولادته ومقدار عمره

ولد علي بن الحسين الأكبر (ع) يوم الحادي عشر من شهر شعبان على ما نص عليه بعض العلماء[2].

---

(١) الأبيات من قصيدة لآية الله الشيخ عبد الحسين صادق العاملي تجدها في كتاب (علي الأكبر) ص١٢٥ للسيد المقرم.

(٢) راجع (المصدر السابق) ص١٢ نقلاً عن كتاب (أنيس الشيعة) للحجة السيد محمد عبد الحسين الجعفري الهندي، كما نقله عنه أيضاً السيد بحر العلوم في (مقتل الحسين) ص٤٥١.

واختلف المؤرخون في مقدار عمره يوم استشهاده ولهم في ذلك أقوال عديدة، وأشهر ما قيل في ذلك قولان:

الأول: أن عمره كان يوم الطف ثمانية عشر سنة، أو تسعة عشر، وعلى هذا تكون ولادته سنة اثنين وأربعين من الهجرة، أي بعد وفاة جده أمير المؤمنين (ع) بسنتين، ويكون قد بقي مع عمه الحسن ثمان سنين ومع أبيه الحسين عشر سنين أو أحد عشر سنة[1].

والقول الثاني للمؤرخين: إن عمره يوم الطف كان سبعاً وعشرين[2] أو خمساً وعشرين سنة[3].

وعلى هذا تكون ولادته سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة أو خمس وثلاثين، أي قبل مقتل جده أمير المؤمنين بسبع أو خمس سنين، ويكون قد بقي معه سبع أو خمس سنين، ومع عمه الحسن عشر سنين، ومع أبيه الحسين عشر سنين ويكون المجموع سبعاً وعشرين أو خمساً وعشرين.

ولا يبعد صحة هذا القول الثاني، ومما يؤيده نص الكثير من المؤرخين أنه أكبر من أخيه الإمام زين العابدين (ع) الذي كان عمره يوم الطف ثلاثاً وعشرين سنة بالاتفاق.

وفي التاريخ قرائن عديدة تدل على أنه أكبر من أخيه الإمام زين العابدين (ع).

---

(١) راجع (اعلام الورى) للطبرسي ص٢٤٢، و(مقتل الحسين) للخوارزمي ج٢ ص٣٠، و(المناقب) لابن شهر آشوب ج٤ ص١٠٩ على قول، و(علي الأكبر) للسيد المقرم ص١٢، نقلاً عن (إرشاد المفيد) و(حياة الإمام الحسين) للقرشي ج٣ ص٢٤٤ نقلاً عن (الفتوح) لأحمد بن أعثم الكوفي ج٥ ص ٢٠٧ وغيرهم.

(٢) نقله السيد المقرم في كتابه ص١٢ عن (الحدائق الوردية) مخطوط لحميد بن زيد اليماني، وهو الذي اختاره السيد المقرم.

(٣) قاله ابن شهر آشوب في (المناقب) وعبارته: ويقال: ابن خمس وعشرين، ونقله عنه السيد بحر العلوم في (مقتل الحسين) ص٤٥١.

منها ما نص عليه بعض المؤرخين بأنه ولد في خلافة عثمان بن عفان، وأنه كان يروي الأحاديث عن جده أمير المؤمنين (ع)[1].

ومنها لقبه المعروف به الأكبر، وهو لقب شهير له وبه يعرف بأنه علي الأكبر.

وقد يحتمل بعضهم انه لقب بالأكبر أي أنه أكبر من علي الثالث، لأن للحسين (ع) من الأولاد الذكور ستة على ما نص عليه بعضهم[2]. وهم عبد الله الرضيع وأمه الرباب بنت أمرئ القيس وهو الذي رماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه به حين طلب له الحسين (ع) الماء، وجعفر، وأمه قضاعية، وكانت وفاته في حياة أبيه الحسين، وهو صغير ولا بقية له.

قال سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص)[3] ص٢٨٨:

ومحمد قتل مع أبيه، وقيل مات في حياة أبيه، وثلاثة كل منهم اسمه علي وهم زين العابدين الذي كان عمره يوم الطف ثلاثاً وعشرين سنة، وعلي الأكبر الذي كان عمره ثمانية عشر سنة، وعلي الأصغر الذي جاءه سهم وهو طفل فقتله[4].

ولعل علي الأصغر هو الذي ولد يوم الطف وجيء به إلى الحسين وهو جالس أمام

---

(١) ذكر ذلك أبو الفرج الأصبهاني في (مقاتل الطالبيين) ص٥٦، والسماوي في (أبصار العين) ص ٢١، والسيد عبد المجيد في (ذخيرة الدارين) ص١٣٧، وقد حققه ابن إدريس الحلي في (السرائر) ونقله عن علماء التاريخ والنسب وذكر بعضهم بأسمائهم.

(٢) نص على أن أولاد الحسين الذكور ستة محمد بن طلحة الشافعي، وابن الخشاب، على ما نقل عنهما علي بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة) ج٢ ص٢٥٠ وص٢٥١ وقد اختاره، وقال: إن العليين من أولاده ثلاثة، كما نص على أن أبناء الحسين ستة ابن شهر آشوب في (المناقب) ج٤ ص٧٧.

(٣) نقل الشبلنجي في (نور الأبصار) ص١٢٦ عن صاحب كتاب (بغية الطالب) أنه قال: فأما محمد وجعفر فماتا في حياة أبيهما، وهو ممن نص على أن أبناء الحسين ستة، ونقله عن (نور الأبصار) المظفري في (بطل العلقمي) ج١ ص٤١٣.

(٤) راجع (المناقب) لابن شهر آشوب ج٤ ص١٠٩.

الخيام ليجري له مراسيم السنة النبوية فأخذه وقبله، وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وبينما هو في يدي الحسين إذ رماه لعين من القوم بسهم فذبحه به وهو في حجر أبيه وإليه يشير السيد حيدر حيث يقول:

فللـه مفطـوراً مـن الصـبر قلـبه ... ولـو كـان مـن صـمّ الصـفا لـتفطرا

ومـنعطف أهـوى لتقبـيل طفلـه ... فقـبل مـنه قـبله السـهم مـنحرا

لقـد ولـداً في سـاعة هـو والـردى ... ومـن قـبله في نحـره السـهم كـبرا

فعلي الأكبر - يحتمل بعضهم - أنه أكبر من علي الثالث، ولكن الظاهر لنا أنه أكبر سناً من أخيه الإمام زين العابدين (ع) أيضاً[1].

لقبه وكنيته

وعلى كل لقبه الشهير، الأكبر، أما كنيته فقد كنّاه الإمام الصادق (ع) بـ(أبي الحسن) على ما جاء في زيارة علي الأكبر المروية بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي أن الإمام قال له: ضع خدك على القبر وقل: صلى الله عليك يا أبا الحسن ثلاثاً.

ومما جاء في تلك الزيارة أيضاً: ثم انكب على القبر وضع يدك عليه وقل:

سلام الله وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين عليك يا مولاي وابن مولاي ورحمة الله وبركاته، صلى الله عليك وعلى عترتك وأهل بيتك وآبائك وأبنائك وأمهاتك الأخيار الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا... الخ[2].

---

(١) راجع تحقيق ذلك في كتاب (علي الأكبر) للسيد المقرم (رهَ) تحت عنوان: لقب الأكبر، من ص١٦. ص٢٠ فان فيه من الشواهد والأدلة ما يكفي في كونه أكبر سناً من أخيه الإمام(ع).

(٢) نقل السيد المقرم الزيارة بكاملها في كتابه ص١٠٦-ص١٠٧ عن (كامل الزيارات) لابن قولويه ص٢٣٩-٢٤٠، ونقل أيضاً بعض فقراتها ص١٤و١٥، وصححها واستظهر منها ومن بعض ←

نشأته وتربيته

وكان علي بن الحسين الأكبر قد نشأ وتربى في حجر جده علي أمير المؤمنين باب مدينة علم الرسول، وبرعايته ورعاية عمه الحسن المجتبى، وأبيه الحسين (ع)، وتأدب بآدابهم، وانتهل العلوم والمعارف من معدنهم الفياض معدن النبوة ومنهل الإمامة، وأجاد الشيخ عبد الحسين صادق العاملي حيث قال فيه:

جمع الصفات الغر وهي تراثه ... عن كل غطريفٍ وشهم أصيد
في بأس حمزة في شجاعة حيدر ... بإبا الحسين وفي مهابة أحمد
وتراه في خلقٍ وطيب خلائق ... وبليغ نطقٍ كالنبي محمد (ص)

وقال فيه الشاعر الآخر يصف كرمه وثباته على الحق:

لم تر عين نظرت مثله ... من محتفٍ يمشي ومن ناعل
يغلي نئيّ اللحم حتى إذا ... أنضج لم يُغل على الآكل[1]
كان إذا شبت له ناره ... أوقدها بالشرف القابل[2]
كيما يراها بائس مرمل ... أو فرد حي ليس بالآهل
لا يؤثر الدنيا على دينه ... ولا يبيع الحق بالباطل
أعني ابن ليلى ذا السدى والندى[3] ... أعني ابن بنت الحسب الفاضل

ليلى وشرف حسبها ونسبها

وأشار هذا الشاعر - في البيت الأخير - إلى كرم علي الأكبر، وشرف حسب أمه

الأحاديث عن الإمام الرضا (ع) ان لعلي الأكبر زوجة وأولاد، ولكن الحقب عبثت وأضاعت هذه الحقيقة، وهذا من القرائن انه أكبر من أخيه الإمام (ع).

(١) يغلي الأولى بمعنى الغليان ويغلي الثانية ضد الرخص.

(٢) الشرف الموضع المرتفع، والقابل بمعنى المقبل لعلوه.

(٣) السدى ما يكون أول الليل، والندى ما يكون في آخره ويكنى بهما عن الكرم والجود.

ونسبها، وهي ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وفي مسعود تجتمع ليلى مع المختار بن أبي عبيد الثقفي، إذ أنها بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود، والمختار بن أبي عبيد بن مسعود، فأبو مرة والد ليلى والمختار ولدا عم[1].

وهي من بيت شرف ومنعة جاهلية وإسلاماً، فإن جدها عروة أحد العظيمين الذين قالت قريش فيهما كما حكى الله تعالى ذلك عنهم بقوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف/٣٢.

يقول المفسّرون: القريتان مكة والطائف، و(رجل من القريتين عظيم) أي رجل عظيم من إحدى القريتين، ويعنون بالرجل العظيم من إحدى القريتين الوليد بن المغيرة المخزومي من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف على ما ورد ذلك عن الإمام الحسن العسكري عن أبيه (ع)[2] وذكره أكثر المفسرين.

وكان السبب في قول قريش ذلك أنهم قالوا: إن إرسال الله رسولا من قبله، وإنزال القرآن عليه أمر عظيم، فلا بد أن يكون ذلك الرسول شريفاً في قومه، عظيماً من حيث المال والجاه، وإن محمداً (ص) يتيم أبي طالب فقيرٌ لا مال له فلِمَ أرسله الله إلينا ولِمَ لم يرسل عظيماً من عظمائنا؟

هذا مع العلم أن الله أعلم بمن يستحق هذا المقام السامي، يقول عز من قائل: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾ الأنعام/ ١٢٥، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْناهُمْ عَلى عِلْمٍ عَلَى الْعالَمِينَ﴾ الدخان/٣٣، وقد شاء أن يختار لرسالته سيد الأولين والآخرين محمداً (ص) ولقد أجاد الشيخ محمد كاظم الأزري حيث يقول:

أي خلق لله أعظم منه ... وهو الغاية التي استقصاها

---

(١) راجع (الإصابة) لابن حجر ج٤ ص١٣٠.

(٢) راجع (الاحتجاج) للطبرسي ج١ ص٣١ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٩ ص٢٧٣ والعلامة الطباطبائي في (تفسيره الميزان) ج١٨ ص١١١.

قلـــب الخـــافقين ظهـــراً لـــبطن فـــرأى ذات أحمـــد فاصـــطفاها

الوليد بن المغيرة عظيم مكة عند قريش وكفره

وهنا نذكر ـ للمطالع الكريم ـ هذين العظيمين عند قريش والفرق بينهما، للعظة والعبرة.

والأول هو الوليد بن المغيرة المخزومي الذي كان نازلاً بمكة، وهو الملقب عندهم بالوحيد لشرفه في قومه، وقد شرفوه وعظموه ولقبوه بالوحيد، بل ويقال فيه أنه ريحانة قريش كل ذلك لأسباب مادية بحتة منها أنه كان متمولاً، أي صاحب مالٍ كثير، ومعلوم كيف أن الماديين يعظمون صاحب المال ويحترمونه حتى قال الشاعر:

إن الدراهـــم في المواطـــن كـــلها تكســـوا الـــرجال مهابـــة وجـــلالا
فهـــي اللســـان إذا أردت تكـــلما وهـــي الســـنان إذا أردت قـــتالا

وقد ورد: من عَظّم غنياً لأجل غناه ذهب ثلثا دينه، ومنها أنه كان له من الأولاد الذكور عشرة[1]. وكلهم أبطال يحضرون المحافل والمجالس، ولذلك يعظمونه حذراً منه ومن أبنائه واستمالة لهم، ومنها أنه كان لسناً صاحب فصاحة وبلاغة بحيث كان يعد من فصحاء قريش وخطبائها وشعرائها، ولكنه ـ مع ما أنعم الله عليه من تلك النعم ـ كان خبيث النفس كافراً مشركاً معانداً للحق مع وضوحه له، وقد أصر على كفره وشركه حتى أهلكه الله.

وقد أنزل الله في كتابه العزيز عشرات الآيات في سور عديدة يهدده فيها ويعده بعذاب النار، ومن تلك الآيات قوله تعالى مخاطباً رسوله الأكرم (ص): ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ۞ وَبَنِينَ شُهُوداً ۞ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ۞ ثُمَّ

(١) راجع (مجمع البيان) للطبرسي م٥ ص٣٨٧.

يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۞ كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآياتِنا عَنِيداً. سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً﴾ - إلى قولِه ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ۞ وَما أَدْراكَ ما سَقَرُ۞ لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾ الخ المدثر/من آية ١٢-٣١.

وكان السبب في نزول هذه الآيات فيه أنه سمع من النبي (ص) ذات يوم بعض الآيات القرآنية التي أخذت بمجامع قلبه، وأدهشته في سبكها وفصاحتها وبديع أسلوبها، ثم إنه أتى مجلس قومه من بني مخزوم وقال لهم: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما هو بقول بشر، ثم انصرف إلى منزله، فقالت قريش: صبأ والله الوليد، والله لتصبأنّ قريش كلها، فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه. ثم انطلق إليه فقعد إلى جنبه حزيناً بادي الحزن، فقال له الوليد: ما لي أراك حزيناً يا بن أخي؟ قال: هذه قريش يعيبونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد فقم بنا إليهم، ثم قاما وأتيا مجلس قريش وقال لهم الوليد: أتزعمون أن محمداً مجنون، فهل رأيتم منه جنوناً قط؟ فقالوا: اللهم لا، قال: أتزعمون أنه كاهن، فهل رأيتم عليه شيئاً من ذلك؟ قالوا: اللهم لا. قال: أتزعمون أنه شاعر، فهل رأيتموه انه ينطق بشعر؟ قالوا: اللهم لا، قال: أتزعمون أنه كذاب، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ فقالوا: اللهم لا، وكان يسمى الصادق الأمين قبل النبوة لصدقه.

ثم قالت لَه قريش: إذن فما هو؟ وماذا تقول فيه؟ فتفكر في نفسه، ثم نظر وعبس وقال: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه، فهو ساحر وما يقول سحر يؤثر، وعلى أثر قوله هذا أنزل الله تعالى فيه تلك الآيات من سورة المدثر[1].

فهذا هو عظيم مكة عند قريش اتضح له الحق واضحاً جلياً كاتضاح الشمس في

---

(١) راجع (مجمع البيان) م٥ ص٣٨٧.

رائعة النهار، واعترف به، ولكنه لخبثه أصر على كفره حتى أهلكه الله.

عروة بن مسعود عظيم الطائف وإسلامه

أما عظيم الطائف وهو عروة بن مسعود الثقفي الذي كان عظيماً شريفاً عند عشيرته من ثقيف في الطائف كلها، كما أنه كان عظيماً شريفاً عند جميع قريش أيضاً في مكة.

ولشرفه وعظمته عندهم أرسلته قريش عام الحديبية لعقد الصلح مع رسول الله(ص) وكان يومئذ كافراً، ولكنه لما اتضح له صدق النبي (ص) في دعوته الرسالة بعد وفوده عليه بما سمع من الآيات القرآنية الدالة على صدقه، وبما رأى من مكارم أخلاقه العظيمة، وما جاء به من المبادئ الحقة أسلم على يده وذلك في السنة التاسعة من الهجرة وحسن إسلامه، وعمل بتعاليمه وأحكامه، ومن جملة ما عمل به انه كان قد تزوج قبل إسلامه بعشر نسوة فلما أسلم عرفه النبي (ص) بان الإسلام لا يبيح للرجل أن يتزوج بأكثر من أربع، فاختار أربعاً من أزواجه وطلق الستة الباقية منهن[1].

عروة يدعو قومه إلى الإسلام ويستشهد

وبقي عند النبي (ص) مدة يتعلم منه عقائد الإسلام وأحكامه وسائر مبادئه، ثم استأذن النبي (ص) في أن يرجع إلى قومه ليهديهم إلى الإسلام ويدعوهم إليه، فقال له(ص): إني أخاف أن يقتلوك. قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، فأذن له.

فلما جاء إلى قومه صعد إلى عليةٍ له واشرف عليهم وأظهر الإسلام ودعاهم إليه فرماه بعض جهالهم بالنبل. وأصابه سهم سال منه الدم، فقيل له: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله إلي وليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله (ص) فإذا مت فادفنوني معهم، فلما مات دفنوه مع الشهداء.

---

(١) راجع (الإصابة) لابن حجر العسقلاني ج٤ ص٣١٠.

وما ذهبت دعوته إلى الإسلام وشهادته سدىً بل أفاد واستفاد، فقد أسلم بسبب دعوته من أسلم من قومه، ومن جملة من أسلم ولدان له وهما أبو مرة والد ليلى، وأخوه أبو مليح، فقد وفدا على النبي (ص) بعد قتل أبيهما وأعلماه بقتله وأسلما على يده ورجعا إلى الطائف مسلمين.

وقال رسول الله (ص) في حقه بعد ما علم بقتله: ليس مثل عروة في قومه إلا كمثل صاحب ياسين دعا قومه إلى الله فقتلوه.

فمثّله النبي (ص) في هذا الحديث بصاحب ياسين، وهو حبيب النجار الذي ذكر الله قصته في سورة يس بقوله تعالى: ﴿وَجاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعى قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۞ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْئَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۞ وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس/٢١-٢٣.

فهذا الرجل حمل عليه قومه فقتلوه، ولما ذهبت روحه إلى الجنة تمنى أن يكون قومه قد علموا بما أكرمه الله به من النعيم الخالد والكرامة التي لا تفنى، وقد حكى الله تعالى ذلك عنه بقوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۞ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ يس/٢٧_٢٨.

وجاء في حديث آخر عن النبي (ص) في حق عروة انه قال: عرض عليّ الأنبياء، ثم قال: ورأيت عيسى بن مريم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود. نعم هكذا ريح الذكر الخالد الجميل في الدنيا، والنعيم والكرامة الخالدة في الجنة[1].

فهذا نسب ليلى من جهة الأب، ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي.

أما نسبها من جهة الأم، فإمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية[2].

---

(١) راجع (المصدر السابق) ج٢ ص٤٧٠ في ترجمة عروة.

(٢) (مقاتل الطالبيين) ص٥٥، و(الإصابة) ج٤ ص١٧٨.

بنات أبي سفيان، وأزواجهن

ولأبي سفيان بنات تزوج النبي (ص) بإحداهن وهي أم حبيبة واسمها رملة، وكانت من السابقات إلى الإسلام، أسلمت قبل الهجرة وحسن إسلامها، وهي ممن هاجر إلى الحبشة هرباً من أبيها أبي سفيان، وهاجر معها زوجها عبيد الله بن جحش، وولدت له بأرض الحبشة وبها كنيت بأم حبيبة، ثم ارتد زوجها عن الإسلام، أما هي فقد ثبتت على إسلامها وفارقت زوجها، وأخيراً هاجرت من الحبشة إلى المدينة، وتزوجها رسول الله (ص) وأبوها بعد مُجدٌّ بالكفر مسترسل في محاربته للنبي (ص).

يقول المؤرخون بلا خلاف: إنه لما قدم أبوها أبو سفيان إلى المدينة ليزيد في الهدنة التي كانت بين النبي (ص) وبين قريش دخل على ابنته أم حبيبة فلما أراد أن يجلس على فراشٍ كان هناك أقبلت ابنته وطوته دونه، فقال: يا بنية أرغبت به عني؟ أم عنه بي؟ فقالت له: بل هو فراش رسول الله (ص) وأنت امرؤ نجس مشرك[1].

فهذه واحدة من بنات أبي سفيان وهي من أمهات المؤمنين، ومن هنا يقال: إن معاوية أخوها هو خال المؤمنين، وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله:

ناصب قال لي معاوية خا ... لك خير الأعمام والأخوال

هو خال للمؤمنين جميعاً ... قلت: خال لكن من الخير خالي

والثانية من بنات أبي سفيان اسمها حمنة تزوجها سعد بن أبي وقاص فأولدها عمر بن سعد قائد جيش الضلال في واقعة الطف[2].

والثالثة تزوجها أبو مرة وهي ميمونة، فولدت له ليلى أم علي الأكبر، فميمونة بنت أبي سفيان، وأخت معاوية، وعمة يزيد، وخالة عمر بن سعد.

ولذلك كان معاوية يمدح علي بن الحسين الأكبر حتى قال ذات يوم لأصحابه: من

---

(١) راجع (الإصابة) ج٤ ص٢٩٩.

(٢) راجع (معالي السبطين) ج١ ص٢٥٣.

أحق الناس بهذا الأمر؟ أي الخلافة، قالوا: أنت، قال: لا، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين، جده رسول الله (ص) وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أمية، وزهو ثقيف[1].

والزهو هو المنظر الحسن لأن علي الأكبر (ع) كان حسن القامة، صبيح المنظر على وجه لا نظير له، وهو في الشجاعة مشهور ولذلك يشهد له معاوية.

ولقرابته من جهة أمه من بني أمية لما برز إلى الأعداء يوم عاشوراء ناداه رجل من القوم: إن لك رحماً بأمير المؤمنين يزيد فإن شئت آمّناك، فقال له: ويلك لقرابة رسول الله أحق أن ترعى من قرابة ابن آكلة الأكباد[2].

ثم حمل على القوم وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن وبيت الله أولى بالنبي
أطعنكم بالرمح حتى ينثني ... أضربكم بالسيف أحمي عن أبي
ضرب غلام هاشمي علوي ... والله لا يحكم فينا ابن الدعي.. الخ.

---

(١) راجع (مقاتل الطالبيين) ص٥٦، ونقله عنه كثير من أهل كتب السير والمقاتل.

(٢) نقله السيد المقرم ص١٠ عن (سر السلسلة العلوية) لأبي نصر البخاري ونقله القرشي ج٣ ص ٢٤٤ عن (نسب قريش) لمصعب بن عبد الله الزبيري ص٥٧، و(معالي السبطين) ج١ ص٢٤٩، و(ذخيرة الدارين) ص١٣٧.

المجلس الحادي والخمسون

شبه علي الأكبر بالخمسة أهل الكساء

تمثل النبي في سليله ... في خَلقه وخُلقه وقيله

كما تجلى الله في نبيه ... فقد تجلى هو في وليه

فيه تجلى محكم التنزيل ... كما تجلى باطن التأويل

وكيف وهو صفوة الولاية ... ونخبة المبعوث بالهداية

شمائل النبي في شمائله ... وصولة الوصي من فضائله

هو الوصي في علو همته ... وفي إبائه وفي فتوته

كل جميل هو في جماله ... وكل عز هو في جلاله

هو ابن من دنا إلى أدناه ... فما أجلّه وما أعلاه

ريحانة الحسين أزكى ثمرة ... لمهجة النبي خير الخيرة

فتى قريش بل فتى الوجود ... وليثها بل أسد الأسود

وسيفها العادل في قضائه ... بل هو سيف الله في مضائه

فارسها بل فارس الإسلام ... أكرم بهذا البطل الهمام

من دوحة العليا وغصنها الطري ... نماه بالقدس نمير الكوثر

ذاك علي بن الحسين بن علي ... لطيفة اللطف الخفي والجلي

ومن يوازي شرفاً وجاها ... مثال ياسين شبيه طاها[1]

---

(١) الأبيات من ارجوزة طويلة للحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني تجدها في كتاب (علي الأكبر) للسيد المقرم ص١٢١-ص١٢٤.

مما لا ريب فيه ولا إشكال أن علي بن الحسين الأكبر (ع) كان قد أشبه جده رسول الله (ص)، وقد أجمع على ذلك المؤرخون[1].

ولا نعلم ان فيه خلافاً لأحد وهو أمر مشهور عند الجميع من الخاصة والعامة ولكننا ـ في الحقيقة ـ نستطيع أن نقول: أنه كان قد أشبه الخمسة أهل الكساء المعرفين بالأشباح الخمسة، وهم رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين الذين أنزل الله فيهم آية التطهير وهي قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ الأحزاب/٣٤.

فهؤلاء الخمسة الذين ما خلق الله الخلق إلا لأجلهم، والذين هم صفوة العالم وخيرة الخيرة من بني آدم كان علي الأكبر قد أشبههم جميعا، وإليك البيان بالدليل والبرهان.

شبهه بجده رسول الله (ص) خَلقاً وخُلقاً ومنطقا

أما شبهه بجده رسول الله (ص) فقد أشبهه شبهاً تاماً من جهات ثلاث في خلقه وأخلاقه ومنطقه على ما شهد له الحسين (ع) بذلك حينما برز نظر إليه نظر آيس منه وأرخى عينيه بالدموع ورفع شيبته أو سبابتيه إلى السماء وقال:

اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلقاً ومنطقا برسولك محمد (ص) وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه.

قوله (ع): وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إلى وجهه[2].

يشير وبالتأكيد إلى شبهه بجده في خلقه ومنظره، ومعلوم أن النبي (ص) كان أجمل

---

(١) راجع (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج٣ ص٢٤٣.

(٢) (البحار) ج٤٥ ص٤٣ نقلاً عن عدة من المؤرخين، (مقتل الحسين) للخوارزمي الحنفي ج٢ ص٣٠، وسائر المقاتل الأخرى.

إنسان حلقه الله في زمانه.

وجاء في بعض أحاديث صفته في خَلقه عن الإمام الحسن بن علي (ع) عن هند بن أبي هالة ربيب رسول الله (ص) وأمه خديجة بنت خويلد أنه قال من جملة حديث له: كان رسول الله (ص) فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، أي أنه حسن القامة لا بالطويل الشاهق ولا بالقصير اللاصق، عظيم الهامة رجل الشعر، أي شعره مرجل، أزهر اللون، واسع الجبين أزج الحواجب، أقنى العرنين، أي الأنف، له نور يعلوه، كث اللحية سهل الخدين مفلج الأسنان، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، بعيد ما بين المنكبين، معتدل الخلق.. الخ[1].

ولقد أجاد حسان بن ثابت شاعر النبي حيث يقول:

وأحسن منك لم ترقط عيني ... وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرءاً من كل عيب ... كأنك قد خلقت كما تشاء

ولم يكن أحد أشبه برسول الله (ص) في خلقه من علي الأكبر، ولذلك كان الحسين (ع) إذا اشتاق إلى رؤية جده ـ في جماله وجلاله ـ نظر إليه لشدة شبهه به، فقد كان علي بن الحسين جميل الصورة حسن القامة صبيح المنظر على وجه لا نظير له وأجاد من قال فيه:

لم ترَ عين نظرت مثله ... من محتفٍ يمشي ومن ناعلِ

أما أخلاق النبي (ص) وهي صفاته النفسية العالية التي لا عدّ لها ولا حصر فقد استعظمها الله العظيم في كتابه الكريم بقوله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القلم/٥.

---

(١) راجع (عيون اخبار الرضا) للشيخ الصدوق ج١ ص٣١٦، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج١٦ ص ١٤٩، ونقله السيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة) ج٢ ص٢٠ ط الثانية عن كتاب (الطبقات) لابن سعد، ورواه الطبرسي في (مكارم الأخلاق) ص٩.

ويقول تعالى فيه: ﴿فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران/ ١٦٠.

ويقول رسول الله (ص): (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١].

وفي هذا الحديث الشريف جعل علة بعثته الوحيدة إتمام مكارم الأخلاق لا غير، ومن هنا نعلم أن مكارم الأخلاق لا تقتصر على ما قاله بعض الشعراء:

مكارم الأخلاق في ثلاثة منحصرة طيب الكلام والسخا والعفو عند المقدرة

بل تعم كافة الصفات النفسية الحسنة، وقد تلقاها كلها عن ربه حيث يقول(ص): أدبني ربي فأحسن تأديبي[٢]. والتي بعث لإتمامها في أمته.

وفي الحقيقة ما كانت تلك الأخلاق الحسنة العامة ماثلة بأحد من أمته تماماً وكمالاً إلا بأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم.

وتمثلت بعدهم بحفيدهم وشبيههم علي الأكبر، ومن هنا يتضح لنا شبهه - في أخلاقه - بهم جميعاً، وأنه كان جامعاً للمحامد والمحاسن الأخلاقية كلها، ولا مانع من حصول ذلك إذ

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

أما منطق النبي (ص) في فصاحته وبلاغته وحسن بيانه فغني عن البيان، ويكفينا شاهداً على ذلك قوله (ص): أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش، واسترضعت في بني سعد[٣].

فقوله: أنا أفصح من نطق بالضاد، أي أنه أفصح من كل فصيح موجود من قريش وغير قريش على الإطلاق.

---

(١) حديث شهير ثابت.

(٢) حديث شهير ثابت.

(٣) راجع (علي الأكبر) ص٣٥.

وأما قولُه (ص): بيد أني من قريش، أي غير أني من قريش فقد جرى فيه على عادة العرب من الإتيان بالمدح في صورة العيب، فالاستثناء هنا أوكد في الإطراء، لأن قريش هي المعروفة بالفصاحة والبلاغة وهذا على حد قول الشاعر:

لا عيب فيهم غير قبضهم اللوى عند اشتباك الحرب قبض ضنين

ويقول الآخر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ومن الشواهد على حسن منطقه قوله (ص): أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصارا[1].

وفي نص: أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، وأحل لي المغنم، ونصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلم، والشفاعة[2].

ومعنى جوامع الكلم هو أن يأتي الإنسان بكلام قليل في لفظه، كثير في معانيه أو كما يقال: خفيف على اللسان ثقيل في الميزان، ولذلك قال (ص): واختصرت لي الحكمة اختصارا.

ومن الأمثلة على جوامع كلمه وما أكثرها قوله كما مر: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.

وقوله (ص): أدبني ربي فأحسن تأديبي.

وقوله (ص): علي بن أبي طالب أعلم الناس بالله والناس[3].

وقوله (ص): الناس بزمانهم أشبه[1].

---

(١) (علي الأكبر) للسيد المقرم ص٣٨.

(٢) (أمالي الصدوق) ص١٣٠ مسنداً عن ابي جعفر (ع).

(٣) (حياة امير المؤمنين) للسيد محمد صادق الصدر ص٢٢ ط الثانية نقلاً عن (منتخب كنز العمال) للشيخ علي المتقي الهندي مطبوع مع المسند ج٥ ص٣٣.

وقوله (ص): الخير كثير وقليل فاعله[٢].

إلى غير ذلك من جوامع كلمه، وقد أشبهه في كيفية نطقه وجوامع كلمه، حفيده علي بن الحسين الأكبر الذي كان إذا تلا آية أو روى رواية أو تكلم بكلام، أشبهه في لهجته وكيفية نطقه وفي جوامع كلمه وفصاحته وبلاغته كما قال الشاعر:

وتــراه في خلــق وطيــب خلائــقٍ وبلــيغ نطــق كالــنبي محمــد (ص)

شبهه بسميه أمير المؤمنين (ع) في أخلاقه وثباته على الحق والشجاعة

أما شبهه بجده وسميه علي أمير المؤمنين (ع) فقد أشبهه بكل أخلاقه التي هي أخلاق النبي (ص). ومعلوم أن علياً هو نفس رسول الله (ص) بحكم آية المباهلة، أي نفسه كنفس رسول الله وقد قال (ص): علي مني كنفسي، طاعته طاعتي ومعصيته معصيتي[٣].

وإذا كانت نفس علي كنفس رسول الله فمعنى ذلك أن كل ما اتصف به النبي من صفات ومميزات كانت ماثلة في نفس علي أمير المؤمنين أيضاً ما عدا النبوة والأفضلية فإنه لا يشاركه فيهما لأنه لا نبي بعده، ولأن النبي (ص) أفضل من علي بالضرورة، وكوجوب صلاة الليل، وجواز الجمع بين تسع نسوة في زمن واحد مما هو من خصائصه، وما عدا ذلك فانهما يلتقيان معاً ويسيران جنباً إلى جنب في سائر الصفات والمميزات.

ومن أشهر صفات علي أمير المؤمنين (ع) ثباته على الحق حتى قال فيه رسول الله(ص): علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه الحق حيثما دار[٤].

وهذا حفيده وسميّه علي الأكبر- الذي كان حاوياً صفات جديه محمد (ص)

---

(١) (علي الأكبر) ص٣٧.

(٢) (المصدر السابق) ص٣٧.

(٣) (حياة أمير المؤمنين) للسيد الصدر ص٢١١ نقلاً عن (الينابيع) ص٥٥.

(٤) راجع طرق أحاديث (علي مع الحق) ومصادره العديدة كتاب (إحقاق الحق) للسيد شهاب الدين النجفي ج٥ ص٦٢٣-ص٦٤٥.

وعلي(ع) ـ يرى أباه الحسين (ع) في الطريق وقد انتبه من نومة خفيفة وسمعه وهو يقول: إنا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله رب العالمين يكرّرها ثلاثاً فأقبل عليه قائلاً: يا أبت، جعلت فداك ممّ استرجعت وحمدت الله؟ فقال الحسين (ع): خفقت خفقة فعنّ لي فارسٌ يقول: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا، فقال علي الأكبر: يا أبت، ألسنا على الحق؟ قال الحسين (ع): بلى والذي إليه مرجع العباد. قال عليّ: إذن لا نبالي أن نموت محقّين، فقال الحسين (ع): جزاك الله من ولدٍ خير ما جزى ولداً عن والده.[1]

نعم يقول: لا نبالي أن نموت محقين، وهذه هي نفسية جده وسميه الذي يقول: لا يبالي ابن أبي طالب وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

وقد اشتهر علي الأكبر بشبهه بجده أمير المؤمنين في الشجاعة، والواقع أن شجاعة علي غنية عن البيان. يقول ابن أبي الحديد عند استعراضه بعض فضائله:

أما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتي بعده، ومقاماته في الحروب مشهورة تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، وهو الشجاع الذي ما فر قط، ولا ارتاع من كتيبة، ولا بارز أحداً إلا قتله، ولا ضرب ضربة قط. فاحتاجت الأولى إلى الثانية، وفي الحديث: كانت ضرباته وترا[2].

وهكذا كان علي الأكبر ـ يوم عاشوراء ـ ما فر قط ولا ارتاع من كتيبة ولا بارز أحداً إلا قتله ولا ضرب ضربة فاحتاجت الأولى إلى الثانية، حتى انه لما حمل على القوم زحزحهم عن أماكنهم وأزالهم عن مواضعهم، ويقال: اختلف العسكر فيه حين نظروا إليه وجعل يسأل كل من صاحبه: ابن من هذا الشاب؟ الذي تشبه ضرباته ضربات علي بن أبي طالب؟ فأراد علي بن الحسين أن يعرفهم نفسه فجعل يرتجز ويقول:

---

(١) كتاب (علي الأكبر) للسيد المقرّم، ص٧٢ نقلاً عن تاريخ الطبري ج٦ ص٢٣١.

(٢) (شرح النهج) م١ ص٧، لابن أبي الحديد.

أنـا علـي بـن الحسـين بـن علـي نحـن وبيـت الله أولى بالـنبي

فلما سمعوا باسم علي فرت الخيل والرجال منهزمة من بين يديه يسحق بعضها بعضا، ولقد أجاد من قال:

ويكـر يحكـي حـيدر الكـرار في الـ كـرات يـوم الـروع والحمـلات[1]

شبهه بجدته فاطمة (ع) في الأخلاق والنطق والمشي

أما شبهه بجدته فاطمة الزهراء (ع) فقد أشبهها في أخلاقها كافة التي أشبهت بها أباها الصادق الأمين (ص)، كما أنه أشبهها بالنطق والمشي، حيث أن فاطمة (ع) كانت تشبه أباها بمشيته حتى قيل: ما تخرم مشيتها مشيته، وأشبهته أيضاً بالنطق ومن هنا جاء عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال لعمار بن ياسر حينما دخل عليه يعزيه بفقد فاطمة:

يا عمار إن العزاء على مثل من فقدته لعزيز، يا عمار لما فقدت رسول الله (ص) كانت فاطمة هي الخلف منه والعوض عنه، وكانت إذا نطقت ملأت سمعي بصوت رسول الله، وإذا مشت حكت كريم قوامها مشيته، والله يا عمار: ما أحسست بوجع المصيبة إلا بوفاتها ولا أحسست بألم الفراق إلا بفراقها[2].

شبهه بعمه الحسن (ع) بأخلاقه ومنها الكرم

أما شبهه بعمه الحسن المجتبى فقد أشبهه في كافة أخلاقه التي هي أخلاق جده الأكرم (ص) ومنها السخاء والكرم، أما الحسن فيكفي في كرمه أنه لقب بـ (كريم أهل البيت)[3]. وانه قدّم - في سبيل مرضاة الله - كل غالٍ ونفيس فقد خرج عن جميع ما يملك

---

(١) البيت من قصيدة للخطيب الشيخ محمد جواد قسام راجع (علي الأكبر) ص١٣٥.

(٢) راجع (الكوكب الدري) للمازندراني ص١٧٤.

(٣) راجع (حياة الإمام الحسن) للقرشي ج١ ص٣١٦ وص٣٢٨ نقلاً عن (أسد الغابة) لابن الأثير ج٢ ص١٣ وغيره.

مرتين، وشاطر الله أمواله ثلاث مرات حتى انه أعطى نعلاً وأمسك أخرى[1].

وإليه تنسب هذه الأبيات:

إن السخاء على العباد فريضة ... لله يقرأ في كتاب محكم

وعد العباد الأسخياء جنانه ... وأعدّ للبخلاء نار جهنم

من كان لا يندي نداه بنائلٍ ... للمعوزين فليس ذاك بمسلم

وكانت الوفود من المعوزين والمحتاجين تزدحم عليه فيغدق عليهم ببره وإحسانه ويجزل لهم المزيد من العطاء.

وكذلك كان علي الأكبر (ع) جواداً سخياً، حتى انه بنى في داره بيتاً للضيافة في زمن أبيه الحسين، وكانت تقصده الوفود والشعراء يمدحونه ويعطيهم العطاء الجزيل ومما قيل في مدحه واستضافته الضيوف:

لم تر عين نظرت مثله ... من محتف يمشي ومن ناعل

يغلي نئيّ اللحم حتى إذا ... أنضج لم يغل على الآكل

كان إذا شبت له ناره ... أوقدها بالشرف القابل

كيما يراها بائس مرمل ... أو فرد حي ليس بالآهل

لا يؤثر الدنيا على دينه ... ولا يبيع الحق بالباطل

أعني ابن ليلى ذا السدى والندى ... أعني ابن بنت الحسب الفاضل

شبهه بأبيه الحسين (ع) في خلقه وأخلاقه

أما شبهه بأبيه الحسين (ع) فقد أشبهه بخلقه وأخلاقه. أما الحسين فقد وردت نصوص عديدة تدل أو تصرح بشبهه بجده رسول الله (ص) في خلقه وأنه كان يحاكيه في

---

(١) راجع (حياة الإمام الحسن) للقرشي ج١ ص٣١٦ وص٣٢٨ نقلاً عن (أسد الغابة) لابن الأثير ج٢ ص١٣ وغيره.

أوصافه، قال محمد بن الضحاك: كان جسد الحسين يشبه جسد رسول الله (ص)، وورد عن علي (ع) أنه قال في حديث له: ومن سره أن ينظر إلى أشبه الناس برسول الله(ص) ما بين عنقه إلى كعبه خلقاً ولوناً فلينظر إلى الحسين بن علي[1].

وقالت أمه فاطمة عندما كانت ترقصه أيام طفولته:

أنت شبيه بأبي لست شبيهاً بعلي[2]

ووصفه بعض المترجمين له بقوله: كان أبيض اللون، فإذا جلس في موضع فيه ظلمة يهتدى إليه لبياض حسنه ونحره[3].

وفي نص: ونحره كأن الذهب يجري في تراقيه، ويقول آخر: كان له جمال عظيم ونور يتلألأ في جبينه، وخده يضيء حواليه في الليلة الظلماء، وكان أشبه الناس برسول الله (ص)[4].

وكذلك علي الأكبر الذي كان قد أشبه جده رسول الله (ص) في خلقه، أشبه أيضاً أباه الحسين في خلقه ببياض جبينه وخده وتلألأ نوره وجماله، كما أشبهه في أخلاقه كلها التي هي أخلاق الرسول الأعظم (ص).

ومما أشبه به أباه الإباء حتى أنه عرف بأبيّ الضيم، وكذلك علي الأكبر الذي عرض عليه - يوم الطف - الأمان ولكنه أبى إلا النزوع إلى الشرف الخالد والحياة الأبدية.

---

(١) راجع (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج١ ص٣٦ نقلاً عن (المعجم الكبير) للطبراني من مصورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين العامة.

(٢) (المناقب) لابن شهر آشوب ج٣ ص٣٨٩، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٣ ص٢٨٧.

(٣) راجع (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج١ ص٣٦ نقلاً عن (المعجم الكبير للطبراني) و(الإفادة في تاريخ الأئمة السادة) و(محاضرات الأوائل والأواخر) لعلي درّة الحنفي ص٧١.

(٤) راجع (حياة الإمام الحسين) للقرشي ج١ ص٣٦ نقلاً عن (المعجم الكبير للطبراني) و(الإفادة في تاريخ الأئمة السادة) و(محاضرات الأوائل والأواخر) لعلي درة الحنفي ص٧١.

صبره على العطش كأبيه الحسين (ع)

كما أنه أشبه أباه بالصبر على العطش، أما الحسين فقد أثر به العطش أثراً عظيماً، أثر في عينيه حتى كاد لا يبصر بهما وحال العطش بينه وبين السماء كالدخان، وأثر في شفتيه حتى ذبلتا، وأثر في لسانه حتى صار كالخشبة اليابسة، وأثر في كبده حتى تفتت من الظمأ، ومع ذلك كان صابراً على العطش، وكذلك علي الأكبر صبر على العطش حتى رَوَت أكثر المقاتل انه قتل على عطشه مائة وعشرين فارساً وراجلاً غير من جرح منهم، وفي رواية لم يزل يقاتل - على عطشه - حتى ضج العسكر من كثرة من قتل منهم.

وأخيراً عاد راجعاً إلى أبيه، وقد أجهده العطش وأصابته جراحات كثيرة وهو ينادي: يا أبة العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني فهل إلى شربة من ماء سبيل أتقوى بها على الأعداء؟ فبكى الحسين (ع) وقال: واغوثاه يا بني يعز على محمد المصطفى، وعلى علي المرتضى، وعليّ أن تدعوهم فلا يجيبوك وتستغيث بهم فلا يغيثوك، يا بني هات لسانك فأخذ لسانه فمصّه، ودفع إليه خاتمه وقال له: أمسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوك فإني أرجو أن لا تمسي حتى يسقيك جدك رسول الله بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً، فرجع إلى القتال وهو يقول:

الحرب قد بانت لها الحقائق ... وظهرت من بعدها مصادق

والله رب العرش لا نفارق ... جموعكم أو تغمد البوارق

فلم يزل يقاتل حتى قتل تمام المائتين. ثم ضربه مرة بن منقذ العبدي على مفرق رأسه ضربة صرعته، وضربه الناس بأسيافهم، ثم اعتنق فرسه فاحتمله الفرس إلى معسكر الأعداء فقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً... الخ.

المجلس الثاني والخمسون

اقتران الإحسان إلى الوالدين بعبادة الله، وعلي الأكبر

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ الإسراء/٢٤-٢٥.

دلت هاتان الآيتان من سورة الإسراء على عظيم عناية الله عزوجل بالوالدين ورعايته لحقهما، حيث قرن الإحسان إليهما بعبادته تعالى وحده لا شريك له، ونهى عن نهرهما وأمر بتعظيمهما قولاً وفعلاً، وإليك بحوثهما.

قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

المراد من القضاء هنا هو القضاء التشريعي بالعقائد والأحكام وسائر القضايا التشريعية لهما، والحكم القاطع الإلهي بهما، وهو قضاء كما يتعلق بالأمر يتعلق أيضاً بالنهي، وكما يبرم العقائد والأحكام المثبتة كذلك يبرم العقائد والأحكام المنفيّة والمزيفة.

ومعلوم أن القضاء التشريعي الآمر بإخلاص العبادة لله سبحانه هو أعظم الأوامر الدينية وأوجب الواجبات المقضية، إذ هو أساس النجاة، وروح الصلاح، وجامع الخيرات والهدى، وأصل كل كمال معنوي، كما أن النهي عن الشرك بالله وعبادته هو نهي عن أكبر الكبائر الموبقة والمهلكة التي تؤدي إلى كل فساد وإفساد للفرد والمجتمع، وللدين والدنيا.

ومن هنا قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً﴾ النساء/ ٤٩، وفي آية أخرى يقول: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ النساء/ ١١٧.

الشرك العقائدي والعملي

والشرك - كما لا يخفى - على قسمين شرك عقائدي وشرك عملي، أما الشرك العقائدي فهو الذي يشرك بالله غيره في تدبير العالم كمن يلقي زمام تدبيره إلى المادة أو الطبيعة أو الدهر أو غير ذلك من اتجاهات المشركين الكثيرة في عقائدهم الباطلة، مع أنهم في سذاجة فطرتهم يقرون بالصانع المتعال، ولكنهم مع ذلك يشركون به غيره في اعتقاداتهم الباطلة.

وأما الشرك العملي فهو يعود إلى الطاعة والخضوع لغير الله، وبدون إذنه كمن يطيع ويخضع لهوى نفسه الأمارة بالسوء، او لشياطين الإنس والجن، قال تعالى مشيراً إلى ذلك: ﴿أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ﴾ الجاثية/ ٢٤.

وقال تعالى: ﴿أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يس/ ٦١. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل/ ٣٧، والطاغوت مفرد يراد به الجمع وهم رؤساء الكفر والضلال الذين يحكمون بغير حكم الله عزوجل.

ومجملاً إن الله قضى وحكم قضاءً تشريعياً أن لا نعبد إلا إياه، ويؤول هذا النهي ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا﴾ والاستثناء ﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ إلى جملتين وهما تعبدونه ولا تعبدون غيره، ومؤدى هذا الحكم هو التأكيد على الاخلاص التام في عبادته جل وعلا دون غيره.

ولعظم هذا الحكم قدمه على سائر ما ذكر بعده في سورة الإسراء من الأحكام الخطيرة شأنا كعقوق الوالدين، ومنع الحقوق المالية، والتبذير ونقض العهد وغير ذلك من الأحكام التي ذكرها في السورة.

وحيث أن الإحسان إلى الوالدين من أوجب الواجبات بعد الإخلاص لله تعالى، وعقوقهما من أكبر الكبائر بعد الشرك به لذلك ذكره بعد الحكم بتوحيده والاخلاص بعبادته، وهكذا جاء في آيات أخر ذكر الإحسان إلى الوالدين بعد ذكر الإخلاص بعبادته تعالى، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾ ومنه قولُه تعالى في سورة النساء: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾ النساء/ ٣٧.

ومنها قولُه تعالى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾ الأنعام/ ١٥٢.

ولكن في خصوص الآية المبحوث عنها قرن الإحسان إليهما بعبادته وحده لا شريك له. فقال تعالى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾ وكما قرن هنا الإحسان إليهما بالاخلاص في عبادته كذلك قرن في آية أخرى شكره تعالى بالشكر لهما فقال عز من قائل ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ لقمان/ ١٥.

ومعنى ذلك ـ كما ورد عن الإمام الرضا (ع) ـ من لم يشكر والديه لم يشكر الله[1].

وهكذا من لم يحسن لوالديه لم يعبد الله، والسر في ذلك الإحسان إلى الوالدين بعد ذكر عبادته الخالصة مباشرةً، واقتران الإحسان إليهما والشكر لهما في عبادته وشكره في هاتين الآيتين هو أن الوالدين هما السبب الأول في إيجاد الأولاد، فالله هو الخالق الموجد ولا خالق سواه، والوالدان هما السبب في إيجادهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى النظر إلى شفقة الوالدين وحنانهما بأولادهم وتربيتهما لهم، ولقد أجاد من قال:

---

(١) راجع الحديث بكامله في (كتابي الخصال) ص١٥٦، و(العيون) ج١ ص٢٥٨ للصدوق.

إن للوالديـــــن حقـــــاً عليـــــنا بعـــد حـــق الإلـــه في الاحـــترام
أوجدانـــــا وربـــــيانا صـــــغاراً فاســـــتحقا نهايـــــة الإكـــــرام
كـــم أذيقـــا مـــن الصـــغار هوانـــاً في رضـــانا وجـــرعا شـــرّ جـــام
كـــم لـــيال قـــد قضّـــياها ســـهادا قاومـــا مـــا بـــنا مـــن الآلام
كـــم أرادوا ولـــو بروحـــيهما أن يفديانـــا وأن نـــرى في ســـلام

ويلزم إكرامهما والإحسان إليهما خصوصاً إذا كانا قائمين بتربية الأولاد على الدين والحق وحسن السلوك إلى الطريق المستقيم والملكات الفاضلة والحب إلى أولياء الله من النبي والوصي والطاهرين من ذريتهما، وإلى ذلك يشير الشاعر:

لا عـــذب الله أمـــي إنهـــا شـــربت حـــب الوصـــي وغذتنـــيه بـــاللبن
وكـــان لـــي والـــد يهـــوى أبـــا حســـن فصـــرت مـــن ذي وذا أهـــوى أبـــا حســـن

إن الوالدين يندفعان بالفطرة إلى رعاية أولادهم وإلى التضحية بكل غال ونفيس لهم حتى بالذات لأن الأولاد منهما، ومن هنا لا يحتاج الوالدان إلى التوصية بالإحسان إلى الأولاد كما يحتاج الأولاد إلى التوصية بالوالدين.

الوصية بتربية الأولاد من أكبر الواجبات

نعم يحتاج الوالدان إلى التوصيه بالقيام في تربية الأولاد وإرشادهم إلى ما فيه نفعهم وفلاحهم وصلاحهم، حيث أن العناية بالأولاد وتربيتهم التربية الصالحة من أكبر واجبات الأبوين التي يفرضها عليهما الشرع والعقل والنظام الاجتماعي، كما أن إهمالهم والتفريط في تربيتهم من أكبر الجنايات التي يمقتها الشرع والعقل والنظام.

قال رسول الله (ص) فيما روي عنه: الزموا أولادكم وأحسنوا آدابهم، فإن أولادكم هدية إليكم[1].

---

(١) راجع كتاب (شرح رسالة الحقوق) للخطيب السيد حسن القبانجي ج١ ص٥٨٢.

وفي هذا الحديث الشريف إرشاد إلى ما ينبغي أن يكون عليه الآباء من ملازمة أولادهم ليكون تصرف الأبناء تحت نظر الآباء وإشرافهم من دون إهمال لهم.

وقال (ص): حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة، والسباحة، والرمي[1].

ولعله (ص) عنى بالكتابة تعليمهم العلم لأنها هي سبيل الإنسان إليه وبدايته، وعنى بالسباحة تعلمهم الرياضة لأنها هي أبلغ أنواعها، وعنى بالرمي تعلم القوة للدفاع عن الكيان حيث قال (ص): إن القوة الرمي، كررها ثلاثاً[2].

ولا يدل هذا الحديث الشريف على حصر حق الولد على الوالد بهذه الأمور فقط بل المراد أنّ هذه الأمور مما يلزم أو ينبغي أن يؤديه الوالد لولده. إذ هناك حقوق أخرى للولد على الوالد منها اختيار الاسم الحسن له، والعق عنه بعد السابع من ولادته، وأن لا يحمله على عقوقه بإهانته وسوء عمله مثلاً أو بتكليفه ما يشق عليه إلى غير ذلك من الحقوق الأخرى، وأهمها تعليمه فرائض دينه في العقائد والأعمال منذ نعومة أظفاره، قال الشاعر:

إن الغصـــون إذا قومـــتها اعتدلـــت ولا تلـين إذا كانـت مـن الخشـب

وقال (ص) في حديث آخر: لاعب ابنك سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم اترك له الحبل على الغارب[3].

أي ثم اتركه يشق طريقه في حياته بنفسه بعد أن نشرت أضواءك عليه وأشرت بنصائحك إليه وفق دين الحق الذي بعث الله به سيد أنبيائه ورسله وخاتمهم في تلك الأدوار الثلاثة.

ومما يلزم إلفات النظر إليه هو أن الإسلام لا يفرق بين الذكور والإناث في لزوم

---

(١) (المصدر السابق).

(٢) (المصدر السابق) ص٥٨٣.

(٣) (المصدر السابق) ص٥٨٦.

التربية. فلكل من الجنسين الحق في أن يربى التربية الصحيحة من التعليم النافع وسائر وسائل التهذيب، فقد جاء عن النبي (ص) أنه قال: من كانت له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها، ورباها فأحسن تربيتها، وغذاها فأحسن غذاءها كانت له وقايةً من النار[1].

وعلى كل حق الأولاد ذكوراً وإناثاً على الوالدين القيام بتربيتهم تربية سليمة تلائم شأنهم وطبيعتهم كل حسب جنسه من الذكور والاناث، وحق الوالدين على الأولاد - بعد نشأتهم - الإحسان إليهما بكل ما للإحسان من معنى فعلا وقولاً، وهو الذي قرنه الله تعالى بعبادته، ويقابله الإساءة إليهما المنهي عنها أيضاً فعلاً وقولا.

وقد شدد الله تعالى على الأولاد بعدم الإساءة إلى الوالدين خصوصاً عند كبرهما فقال تعالى: ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً**﴾ أي إن بلغ أحدهما أو كلاهما الكبر في السن فلا تقل لهما افٍ، وهي كلمة تدل على الضجر والزجر، وورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: (لو علم الله شيئاً هو أدنى من أف لنهى عنها، وهو أدنى العقوق، ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحد النظر إليهما)[2].

أما قوله تعالى: ﴿**وَلا تَنْهَرْهُما**﴾ النهر هو الزجر بالصياح ورفع الصوت والإغلاظ في القول والمعنى: إن ضرباك فلا تنهرهما بالزجر والصياح، كما ورد ذلك عن الإمام الصادق (ع) أيضاً[3].

وقوله تعالى: ﴿**وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً**﴾ أي تقول لهما: غفر الله لكما فذلك قول كريم حسن.

ثم قال تعالى في الآية الثانية: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ**

---

(١) (المصدر السابق) ص٥٩٩.

(٢) راجع (جامع السعادات) للشيخ النراقي ج٢ ص٢٦٣، و(تفسير العياشي) ج٢ ص٢٨٥.

(٣) (تفسير العياشي) ج٢ ص٢٨٥.

﴿رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً﴾ وخفض الجناح كناية عن المبالغة في التواضع، والخضوع لهما قولاً وفعلاً، وهو مأخوذ من خفض الطائر جناحه وهو دأب أفراخ الطيور إذا أرادت الغذاء من أمهاتها، والمعنى واجههما في معاشرتك ومحاورتك مواجهة يلوح منها تواضعك وخضوعك لهما وتذللك قبالهما رحمة بهما، ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً﴾ أي اذكر تربيتهما لك صغيرا وادع الله أن يرحمهما كما رحماك وربياك صغيرا.

وإطلاق الأمر بالدعاء لهما ـ كما لا يخفى ـ شامل للحي والميت منهما وهو واجب على الأقل في العمر مرة والزيادة من الراجح المندوب إليه.

تفسير الآيتين في الحديث

وقد جاء في تفسير الآيتين في حديث عن الإمام الصادق (ع) مروي عن أبي ولاّد الحناط أنه قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله: ﴿وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾ فقال: الإحسان أن تحسن صحبتهما ولا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين أليس الله يقول: ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران/ ٩٣.

ثم قال (ع): أما قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ﴾ ان اضجراك فلا تقل لهما أف، ﴿وَلا تَنْهَرْهُما﴾ ان ضرباك، وقال: ﴿وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً﴾، تقول لهما: غفر الله لكما فذلك منك قول كريم، وقال: ﴿وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قال: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يديك فوق أيديهما، ولا تتقدم قدامهما[1].

---

(١) راجع (تفسير العياشي) ج٢ ص٢٨٥، ونقله عنه العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان) ج١٣ ص١٢٠- ص١٠٣.

والأخبار التي جاءت تحث على بر الوالدين والإحسان إليهما، وتحذر وتنذر من عقوقهما والإساءة إليهما تكاد أن لا تحصى لكثرتها ومنها ما ورد عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: إن رجلاً أتى النبي (ص) فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: لا تشرك بالله شيئاً وان حرقت بالنار وعذبت إلا وقلبك مطمئن بالإيمان، ووالديك فأطعهما وبرهما حيين كانا أو ميتين وان أمراك ان تخرج من أهلك ومالك فافعل فان ذلك من الإيمان[1].

تخصيص الوصية بالأم

وهناك أخبار كثيرة تؤكد الوصية بالأم باعتبار أن حقها ألزم وشفقتها أعظم، قال الإمام زين العابدين (ع) في (رسالة الحقوق) التي أرسلها إلى بعض أصحابه[2]:

فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحدا، وأنها وقتك بسمعها وبصرها، ويدها ورجلها، وشعرها وبشرها، وجميع جوارحها، مستبشرة فرحة، محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها، حتى دفعتك عنها يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض، فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ وتظلك وتضحى، وتنعمك ببؤسها وتلذّذك بالنوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاءً وحجرها لك حواء وثديها لك سقاء، ونفسها لك

---

(١) راجع (جامع السعادات) للنراقي ج٢ ص٢٦٤.

(٢) رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع) رواها الصدوق في (الخصال) باب الخمسين ص٥٦٤ ج٢ ونقلها عنه العلامة المحمودي في (نهج السعادة) ج١ باب الوصايا ص٢١١، كما نقلها عن الصدوق في كتابه (الفقيه) وعن السيد ابن طاووس عن (رسائل الكليني) وعن الحسن بن شعبة في (تحف العقول) ص١٨٣ وشرحها العلامة الخطيب السيد حسن القبانجي في جزاين ضخمين فيما يقارب الف وثلثمائة صفحة وهي أجل رسالة جامعة للحقوق على الإنسان للخالق والمخلوق والقريب والبعيد.

وقاء، تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه[1].

ولقد أجاد معروف الرصافي حيث يقول:

أوجب الواجبات إكرام أمي ... إن أمي أحق بالإكرام
حملتني ثقلاً ومن بعد حملي ... أرضعتني إلى أوان فطامي
ورعتني في ظلمة الليل حتى ... تركت نومها لأجل منامي

ومن هنا ورد عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: جاء رجل وسأل النبي (ص) عن بر الوالدين وقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك[2].

وجاء رجل آخر إلى رسول الله (ص) وقال: يا رسول الله أي الوالدين أعظم حقاً؟ قال (ص): التي حملته بين الجنبين، وأرضعته الثديين، وحضنته على الفخذين وفدته بالأبوين[3].

الجنة تحت أقدام الأمهات، ودعاؤهن

وورد: أن الجنة تحت أقدام الأمهات[4].

وفي كتاب (ضياء الشهاب) للقطب الراوندي: أن النبي (ص) قال: دعاء الوالدة أسرع إجابة من الوالد، قيل: ولم يا رسول الله قال: لأنها أرحم من الأب ودعاء الرحيم لا يرد[5].

---

(١) راجع (شرح رسالة الحقوق) للخطيب العلامة السيد حسن القبانجي ج٦ ص٥٤٥.

(٢) (جامع السعادات) ج٢ ص٢٦٥.

(٣) (شرح رسالة الحقوق) ج١ ص٥٤٩، وص٥٤٨.

(٤) نفس المصدر.

(٥) نفس المصدر.

وأجاد من قال:

لأمـــك حـــق لـــو علمـــت كـــبير كـــثيرك يـــا هـــذا لديـــه يســـير

إلى أن قال:

فدونـك فارغـب في عمـيم دعائهـا فأنـــت لمـــا تدعـــو بـــه لفقـــير

ولعل من هنا ورد أن علي بن الحسين الأكبر (ع) لما برز إليه بكر بن غانم وكان فارساً شجاعاً وتغير لون الحسين (ع) قالت ليلى: يا سيدي لعل أصاب ولدي شيء، قال: لا، ولكن قد خرج إليه من أخاف منه عليه، فادعي لولدك فإني سمعت جدي رسول الله (ص) يقول: إن دعاء الأم يستجاب في حق ولدها.. الخ[1].

ملاحظة مهمة

بعض المؤلفين يشككون في وجود ليلى بواقعة الطف، ومعلوم أن مجرد التكشيك - بلا دليل قطعي - لا يكفي، ونحن ذكرنا ونذكر ما هو المشهور من حضورها، وما يصرح به بعضهم، والله أعلم بواقع الحال، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نحن لا نعلم بوجودها ولا بعدم وجودها بصورة قطعية فإذن لنا أن ننقل ما وصل إلينا مما هو مشهور، ونحتمل حصوله.

نعم لو علمنا بالدليل بكذب بعض ما يروى فحينئذ يحرم نقله بلا تنبيه على كذبه، وهكذا في كل ما يتعلق بالتاريخ مما لا يغير حكماً شرعياً ولا يحرم حلالاً ولا يحل حراماً، فلنا أن نذكره.

---

(١) راجع (معالي السبطين) ج١ ص٢٥٥ نقلاً عن (الفوادح) للشيخ حسن البحراني.

المجلس الثالث والخمسون

مكانة الولد من الوالدين، وعلي الأكبر

قال رسول الله (ص): الولد ريحانة، وريحانتاي من الدنيا الحسن والحسين[1].

الولد ريحانة، وثمرة، وكبد للوالدين

مما لا شك فيه أن الولد - ولا سيما إذا كان صالحاً - هو ريحانة للوالدين وقرة عين للأبوين يشمانه كما تشم الرياحين، ويقبلانه ويرتاحان به، كما قيل عن لسان بعض الأمهات وهي ترقص ولدها وتقول:

يا حبذا ريح الولد ... ريح الخزامى في البلد

أهكذا كل ولد ... أم لم يلد قبلي أحد

كما أن الولد يعتبر مهجة قلب الوالدين وثمرة فؤادهما، ولذلك ورد في الأخبار: إن لكل شيء ثمرة وثمرة الفؤاد الولد[2].

وقد عبر الله تعالى عن الأولاد بالثمرات - على قول شهير للمفسرين - في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

---

(١) راجع (البحار) للمجلسي ج٤٣ ص٢٦٤ نقلاً عن (عيون أخبار الرضا)، و(معالي السبطين) ج١ ص٢٥٦.

(٢) (معالي السبطين) ص٢٥٦.

﴿راجِعُونَ ۞أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ البقرة/ ١٥٦-١٥٨، حيث قالوا: ﴿الثَّمَراتِ﴾ أي الأولاد.

ويؤيده ما جاء في الحديث عن النبي (ص) أنه قال: إذا مات ولد العبد (أي المؤمن) قال الله تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: أ قبضتم ثمرة قلبه؟ فيقولون: نعم، فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد[١].

وفي حديث آخر عبر رسول الله عن الأولاد بالأكباد حيث قال (ص): أولادنا أكبادنا، فإن عاشوا فتنونا، وإن ماتوا أحزنونا[٢].

ولقد أجاد من قال:

وإنما أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرض

لو هبت الريح على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمض

وقال الآخر:

إن سرك الدهر أن ترى الكبدا ... يمشي على الأرض فانظر الولدا

وحيث ان الولد من الوالدين بمنزلة الكبد من الإنسان لذا ترى أنهما يتأثران تأثراً بالغاً بما يصيبه من مكروه حتى كأنه أصابهما كما أصابه، ومن هنا قال أمير المؤمنين (ع) في وصيته الشهيرة لابنه الإمام الحسن (ع): وجدتك بعضي، بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني، وكأن الموت لو أتاك أتاني، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي... الخ[٣].

---

(١) راجع تفسير (مواهب الرحمن) للعلامة السبزواري ج٢ ص١٦٩.

(٢) (معالي السبطين) ص٢٥٦.

(٣) راجع كتاب (علي والأسس التربوية) للعلامة الخطيب السيد حسن القبانجي ص٨٧، فانه ذكر الوصية وشرحها فيه، وهو كتاب جليل مفصل ومطول ويحتوي على أكثر من ٨٠٠ صفحة.

كل ذلك نابع مما أودعه الله تعالى من الشفقة المتناهية في قلب الوالدين على الولد، حتى قيل: إن الكبد ينصدع ويتألم بفقد الولد، وان هذه الحالة ظاهرة حتى في الحيوانات.

قصة أعرابيين اختصما في ناقة

كما جاء في بعض الأخبار: أن أعرابيين جاءا إلى رسول الله (ص) يختصمان في ناقة كل منهما يدعيها له ويقول الناقة لي (فطلب النبي (ص) منهما البينة)، فقال أحدهما: يا رسول الله أأمر بنحر الناقة فإن في كبدها صدعين، فأمر النبي (ص) فنحروها فإذا فيه صدعان، فقال (ص): من أين علمت أن في كبدها صدعين، قال: يا رسول الله إني نحرت ولدين لها أمامها فرأيتها قد صاحت صيحة عظيمة عند كل واحد منهما فعلمت أن كبدها قد انصدع، لأن فقد الولد يصدع كبد الوالد والوالدة[1].

عظمة مصيبة علي الأكبر على الحسين

أقول: إذا كان هذا حال الوالدين بفقد ولدهما إذن كيف حال الإمام الحسين بفقد ولده علي الأكبر.

ذلك الولد الذي كان يشبه جده رسول الله (ص) خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً، والذي كان الحسين إذا اشتاق إلى رؤية جده رسول الله نظر إلى وجه ولده علي، والذي كان يحبه حباً شديداً بحيث إذا رآه فرح به وسر سروراً عظيماً، وإذا سأله حاجة لا يرده أبداً ولو على سبيل الإعجاز. كما ينقل عن كتاب (ضياء العالمين) عن زفر بن يحيى عن كثير بن شاذان قال: شهدت الحسين وقد اشتهى ابنه علي الأكبر المقتول عنباً في غير أوانه، فضرب الحسين بيده إلى سارية المسجد فأخرج له عنباً وموزاً فأطعمه، وقال: ما عند الله

---

(١) (معالي السبطين) ج١ ص٢٥٧.

لأوليائه أكثر[1].

ما أدري كيف صار حاله وقد رآه ـ يوم الطف ـ مقطعاً بسيوف الأعداء إرباً إربا.

نعم عظمت مصيبته عليه بحيث ما كانت تهدأ زفرته كما جاء في الزيارة التي علمها الإمام الصادق (ع) لأبي حمزة الثمالي انه قال له: ثم صر إلى علي بن الحسين فهو عند رجلي الحسين، فإذا وقفت عليه فقل:

السلام عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته، وابن خليفة رسول الله وابن بنت رسول الله ورحمة الله وبركاته مضاعفة كلما طلعت شمس أو غربت، السلام عليك وعلى روحك وبدنك، بأبي أنت وأمي من مذبوح ومقتول من غير جرم، وبأبي أنت وأمي دمك المرتقى به إلى حبيب الله، وبأبي أنت وأمي مقدّم بين يدي أبيك يحتسبك ويبكي عليك، محترقاً عليك قلبه، يرفع دمك بكفه إلى عنان السماء لا ترجع منه قطرة، ولا تسكن عليك من أبيك زفرة[2].

وجاء في الزيارة التي خرجت من الناحية المقدسة عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) يقول فيها:

السلام عليك يا أول قتيل من نسل خير سليل من سلالة إبراهيم الخليل، صلى الله عليك وعلى أبيك إذ قال فيك: قتل الله قوماً قتلوك، يا بني ما اجرأهم، على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفا[3].

وروي أن شيخاً من العلماء رأى الحسين في منامه مضطجعاً على مرقده الشريف وجراحاته تشخب دما فقال له: سيدي ما هذه الجراحات؟ قال: هذه من ضرب سيوف

---

(١) (المصدر السابق) ص٢٥٠، و(ذخيرة الدارين) ص١٣٨ نقلاً عن (ضياء العالمين).

(٢) راجع الزيارة بكاملها في (البحار) ج١٠١ ص١٧٣-ص١٩٠ نقلاً عن (كامل الزيارات) لابن قولويه. والنص المذكور ص١٨٥ من (البحار).

(٣) (البحار) ج٤٥ ص٦٥، نقلاً عن (الإقبال) للسيد ابن طاووس.

بني أمية وطعن رماحهم، فانتبه العالم من نومه فزعاً مرعوباً حزينا، قال: فلما صار اليوم الثاني رأيت الحسين في منامي ولكن تلك الجراحات لم أجد لها أثراً، فقلت: سيدي ما صارت جراحاتك؟ فقال: إن زواري أخذوا بالبكاء علي فبرأت تلك الجراحات، ولكن بقي جرحان في قلبي لما تندمل وهما لا من ضرب السيوف ولا من طعن الرماح بل ظهر أحدهما حين سقط ولدي علي الأكبر عن ظهر جواده ونادى رافعاً صوته: أبتاه عليك مني السلام، والآخر حين سقط أخي العباس[1].

نعم لم يزل الحسين (ع) قلبه مجروح وعينه مقروح فيما لاقى من فقد أحبته وعظيم مصابهم، وبالأخص مصيبة ولده علي كما سمعت قول الامام الصادق (ع): ولا تسكن عليك من أبيك زفرة.

وإذا كان هذا حال الحسين في مصيبة ولده مع صبره وعصمته وما له من مرتبة الإمامة، إذن كيف حال من أرضعته، وفي حجرها ربته، وليلها من أجله سهرته، وهي أمه ليلى، والحال شفقة الوالدة على الولد أعظم بحيث لا تحب أن تسمع منه أنيناً أو ترى فيه مكروها.

قصة امرأتين اختصمتا في طفل كل تدعي أنه ولدها

يروي المؤرخون أن امرأتين تنازعتا ـ على عهد عمر بن الخطاب ـ في طفل ادعت كل واحدة منهما أنه ولدها بغير بينة، فالتبس الحكم في ذلك وغم عليه وأخيراً فزع إلى أمير المؤمنين (ع)، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما فأقامتا على التنازع، فقال(ع):

أئتوني بمنشار، فقالتا: ما تصنع به؟ فقال: أقده نصفين لكل واحدة منكما نصفه فسكتت إحداهما وقالت الأخرى: الله الله يا أبا الحسن، إن كان لابد من ذلك فقد

---

(١) (معالي السبطين) ص٢٥٧،

سمحت به لها، فقال: الله أكبر هذا ابنك دونها، ولو كان ابنها لرقت وأشفقت عليه، فاعترفت المرأة الأخرى أن الحق مع صاحبتها وأن الولد لها دونها، وقال أمير المؤمنين(ع): هذا حكم سليمان (ع) في صغره، وسر عمر، ودعا لأمير المؤمنين بما فرج عنه في هذا القضاء[1].

أقول:

انظروا إلى هذه الوالدة بمجرد ما سمعت أن ولدها يقدّ بالمنشار نصفين اضطربت وسمحت بولدها لخصيمتها شفقة عليه وإبقاءً له، فما حال ليلى حين نظرت إلى ولدها علي الأكبر شبيه رسول الله (ص) جمالاً وكمالاً وهو مشقوق الرأس مقطع بسيوف الأعداء أربا إربا، كأني بها انحنت عليه تقبله وتبكي وهي تنادي واولداه واعلياه وامهجة قلباه، ولسان حالها يقول:

بني جرحت القلب مني والحشا ... بفقدك جرحاً فيه تنعى أساته.. الخ

---

(١) راجع (علي والخلفاء) للشيخ نجم الدين العسكري ص٢٧٨ نقلاً عن (مناقب ابن شهر آشوب) ج ٢ ص٣٦٧، وعن (الإرشاد) للمفيد و(البحار) للمجلسي ج٩ ص٤٨٣ ط القديم، ومصادر أخرى كثيرة.

المجلس الرابع والخمسون

حضور النبي (ص) والأئمة عند المحتضرين، وعلي الأكبر ومصرعه

قال رسول الله (ص): أول من اتخذ علي بن أبي طالب أخاً من أهل السماء إسرافيل ثم ميكائيل ثم جبرئيل، وأول من أحبه من أهل السماء حملة العرش ثم رضوان خازن الجنان ثم ملك الموت، وإن ملك الموت ليترحم على محبي علي بن أبي طالب كما يترحم على الأنبياء[1].

يا لها من درجة عالية ومنزلة راقية، وميزة عظيمة ونعمة من الله تعالى جسيمة لمحبي علي بن أبي طالب (ع) حيث أن ملك الموت يترحم عليهم - عند قبض أرواحهم - كما يترحم على الأنبياء الذين هم أفضل خلق الله عزوجل حسب نص هذا الحديث الشريف الذي رواه الخاص والعام بأسانيدهم عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود.

وصية النبي (ص) وأهل بيته ملك الموت بمحبيهم

وإنما يترحم عليهم ملك الموت لأن النبي (ص) والأئمة إذا حضروا محبهم حال

---

(١) راجع كتاب (المناقب) لأخطب خوارزم الحنفي ص٣١ ط النجف، وص٤٢ ط تبريز، و(مقتل الحسين) للخوارزمي أيضاً ج١ ص٣٩، ونقله عن الخوارزمي الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص١٣٣ ط اسلام بول، ونقله السيد شهاب الدين في (تعليقات احقاق الحق) ج٦ عن الشيخ عبيد الله الحنفي في (ارجح المطالب) ط لاهور ص٥٢٦، وقد رواه عن (اليواقيت).

احتضاره يوصون ملك الموت به، إذن ترحمه على المحبين لا من نفسه بل بوصية من النبي (ص) وأهل بيته (ع).

وهذا ليس بغريب ولا عجيب من لطف أهل البيت وحنانهم لمحبيهم لأن العادة قضت أن المحب الحقيقي يحضر عند محبوبه في وقت محنته وبلائه ليكون مساعداً له على ذلك.

وليت شعري أي محنة وبلاء أعظم من ساعة انتزاع الروح من الجسد، ومفارقة الأحباب والمال والجاه والحياة التي هي أغلى كل شيء، ومعلوم أن رسول اله (ص) والأئمة هم مثال العطف والحنان والرعاية والإحسان لشيعتهم ومحبيهم لذا يحضرون عندهم - وهم أحياء عند ربهم يرزقون - في مثل هذا المأزق الحرج والظرف العصيب ليكونوا مساعدين لهم، ومنقذين لهم من ذلك البلاء، ومبشرين لهم بالخير العميم الذي سيقدمون عليه في عالمي البرزخ والقيامة.

يقول الإمام الصادق (ع) لمسمع بن عبد الملك البصري وكان من شيعته: يا مسمع أما إنك سترى عند موتك حضور آبائي لك، ووصيتهم (أي تسمع وصيتهم) ملك الموت بك، وما يلقونك من البشارة ما تقر به عينك قبل الموت، فملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها... الخ[1].

وجاء في حديث آخر عن الإمام الصادق (ع) أيضاً فيه تفصيل أكثر في وصية النبي(ص) لملك الموت بمحبهم المؤمن رواه جل علمائنا كالكليني في (الكافي) وابن شعبة في (تحف العقول) وفرات بن إبراهيم في تفسيره وغيرهم، أن الإمام الصادق (ع) قال يخاطب بعض شيعته: منكم والله يقبل، ولكم والله يغفر، إنه ليس بين أحدكم وبين أن

---

(١) حديث الإمام الصادق (ع) مع مسمع طويل يرويه ابن قولويه في (كامل الزيارات) رقم ٧ ص ١٣٤ على ما في كتاب (كربلاء وحائر الحسين) ص٨٩، وينقله المجلسي في (البحار) ج٤٤ ص ٢٨٩ عن الكامل ص١٠٠، وينقله الحائري في (معالي السبطين) ج١ ص٩٣.

يغتبط ويرى السرور وقرة العين إلا أن تبلغ نفسه ههنا - وأومأ بيده إلى حلقه - ثم قال:

إنه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله (ص) وعلي وجبرئيل وملك الموت(ع) فيدنو منه علي فيقول: يا رسول الله إن هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه، ويقول رسول الله (ص): يا جبرئيل إن هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه، ويقول جبرئيل لملك الموت: إن هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه وارفق به، فيدنو منه ملك الموت فيقول كالسائل المستفهم (من باب: وكم سائل عن أمره وهو عالم): يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت أمان براءتك، تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ فيوفقه الله عزوجل فيقول: نعم، فيقول: وما ذاك؟ فيقول: ولاية علي بن أبي طالب، فيقول: صدقت أما الذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه، وأما الذي كنت ترجوه فقد أدركته، أبشر بالسلف الصالح مرافقة رسول الله (ص) وعلي وفاطمة، ثم يسل نفسه سلاً رفيقاً.

وفي بعض طرق الحديث قال الإمام الصادق (ع): وينادي مناد من بطنان العرش يسمعه ويسمع من بحضرته (أي الذين حضروا قبض روحه من النبي وأهل بيته والملائكة): ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ❖ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً ❖ فادْخُلِي فِي عِبادِي ❖وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ الفجر/٢٨-٣١. وقال الإمام (ع): ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إلى محمد ووصيه والأئمة من بعده ﴿ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً﴾ بالولاية، ﴿مَرْضِيَّةً﴾ بالثواب، ﴿فَادْخُلِي فِي عِبادِي﴾ محمد وأهل بيته، ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ غير مشوبة، (أي غير مخلوطة)، بكدر وهرم وما شاكل ذلك[1].

---

(١) راجع (الشيعة والرجعة) للعلامة الطبسي ج٢ ص٨١ نقلاً عن تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي ص١٣٦، وكون ولاية علي (ع) هي العصمة الكبرى لأن الله سبحانه قرنها بولايته جل وعلا وولاية رسول الله (ص) في قوله: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ←

- إلى أن قال الإمام الصادق (ع) في بقية حديثه - : وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله (ص) وعلي وجبرئيل وملك الموت، فيدنو منه علي (ع) فيقول: يا رسول الله إن هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه، ويقول رسول الله (ص): يا جبرئيل إن هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيته فأبغضه واعنف به، ويقول جبرئيل: يا ملك الموت إن هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه واعنف به[1].

فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك؟ أخذت أمان براءتك من النار؟ تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ فيقول: لا، فيقول: أبشر يا عدو الله بسخط الله عزوجل وعذابه والنار، أما الذي كنت تحذره فقد نزل بك، ثم يسل نفسه سلاً عنيفاً، ثم يوكل الله بروحه ثلاثمائة شيطان كلهم يبزق في وجهه، ويتأذى بروحه، فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من قيحها ولهبها[2].

وهذا التفصيل الوارد عن الإمام الصادق (ع) وارد عن أمير المؤمنين (ع) مختصراً

وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ المائدة/٥٦. حيث اجمع المفسرون انها نزلت في علي امير المؤمنين (ع) بعدما تصدق بخاتمه في الصلاة وهو راكع.

(١) مما يلزم لفت النظر إليه. في هذا المقام. هو أن علياً يقول. بالنسبة إلى المؤمن. : يا رسول الله ان هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبه، فيقول رسول الله (ص): يا جبرئيل ان هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه..الخ ويقول علي (ع). بالنسبة إلى المبغض. : يا رسول الله إن هذا كان يبغضنا أهل البيت فابغضه، فيقول رسول الله (ص): يا جبرئيل ان هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه.. الخ وهذا مما يدل على ان من أبغض أهل البيت فقد أبغض الله ورسوله وأهل البيت ومن أحبهم فقد أحب الله ورسوله وأهل البيت، ذلك لأنهم مع الله ورسوله (ص) فكونوا عباد الله. دائماً وأبداً. مع الذين هم مع الله ورسوله ومع الحق.

(٢) راجع الحديث في (البحار) للمجلسي ج٦ ص١٩٧- ص١٩٩ نقلاً عن (الكافي) للكليني، و(تحف العقول) للحسن بن شعبة، و(كتاب الحسين بن سعيد) أو لكتابه، والنوادر، وقد اختصرناه وتجده بتفصيل أكثر في (فروع الكافي) ج٣ ص١٣١ ط طهران.

حيث قال (ع): والله لا يحبني عبدٌ أبداً، فيموت على حبي، إلا رآني عند موته حيث يحب، ولا يبغضني عبد أبداً فيموت على بغضي إلا رآني عند موته حيث يكره.. الخ[1].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ومروية عن النبي (ص) وأهل بيته الطاهرين، وبعضها مروية من طرق أهل السنة، وإليك هذا الحديث الشريف الذي رواه أخطب خوارزم الحنفي في (مقتل الحسين) بسنده عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب (ع) قال: قال رسول الله (ص): والذي نفسي بيده لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة، أو من شجر الزقوم، وحتى يرى ملك الموت، ويراني ويرى علياً وفاطمة والحسن والحسين، فإن كان يحبنا قلت: يا ملك الموت ارفق به فإنه يحبني وأهل بيتي وإن كان يبغضني ويبغض أهل بيتي قلت: يا ملك الموت شدد عليه فإنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي.

ثم قال (ص): لا يحبنا إلا مؤمن، ولا يبغضنا إلا منافق شقي[2].

وقال أمير المؤمنين (ع) للحارث الهمداني، وكان من خلّص شيعته وأصحابه: يا حارث أبشر ليعرفني - والذي فلق الحبة وبرأ النسمة - وليي وعدوي في مواطن شتى، عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسمة، فقال له الحارث: يا أمير المؤمنين وما المقاسمة؟ فقال (ع): مقاسمة النار، أقاسمها قسمة صحاحاً، أقول: هذا وليي، وهذا عدوي[3].

---

(١) (المصادر السابقة) وقوله (ع): (لا يحبني عبد أبداً فيموت على حبي) فيه اشتراط البقاء على حبه إلى حين موته، وكذا قوله (ع): (ولا يبغضني عبد أبداً فيموت على بغضي) نسأل الله تعالى حسن العاقبة.

(٢) (مقتل الحسين) للخوارزمي ص١٠٩.

(٣) حديث أمير المؤمنين (ع) مع الحارث الهمداني (رض) من الأحاديث المهمة الذي يشتمل على فوائد جمة، ويرويه الشيخ الطوسي في (أماليه) ج٢ ص٢٣٨ ط النجف، النعمان، والطبري الأمامي في (بشارة المصطفى) ص٤-٥ ط الحيدرية النجف، وينقله المجلسي في (البحار) ج٦ ص ←

وإلى هذا يشير السيد الحميري حيث يقول:

قـــول علـــي لحـــارث عجـــب ... كـــم ثـــمّ أعجوبـــة لـــه حمـــلا

يـــا حـــار همـــدان مـــن يمـــت يـــرني ... مـــن مؤمـــن أو مـــنافق قـــبلا

يعـــرفني طـــرفه وأعـــرفه ... بنعـــته واسمـــه ومـــا عمـــلا[1]

وأنـــت عـــند الصـــراط تعـــرفني ... فـــلا تخـــف عـــثرة ولا زلـــلا

أســـقيك مـــن بـــارد عـــلى ظمـــأ ... تخالـــه في الحـــلاوة العســـلا

أقـــول للـــنار حـــين توقـــد للعـــرض ... دعـــيه لا تقـــربي الـــرجلا

دعـــيه لا تقربـــيه إن لـــه ... حـــبلا بحـــبل الوصـــي متصـــلا

هـــذا لـــنا شـــيعة وشـــيعتنا ... اعطـــاني الله فـــيهم الأمـــلا[2]

---

١٧٨ عن كل من (مجالس المفيد) و(أمالي الشيخ) ورواه الأربلي في (كشف الغمة) ج٢ ص٣٧ ط قم، والشيخ حسن بن سليمان الحلي في كتابه (المحتضر) ص٢٩ ط الحيدرية النجف.

(١) كون علي (ع) يعرف من يحضره عند الاحتضار. من مؤمن ومنافق. باسمه ونعته (أي صفته وعمله) لم يكن قول شاعر مغال، أو وهمي خيالي، بل هو الواقع المدعم بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة، حيث ان صحائف الأعمال تعرض على رسول الله (ص) وعلى الأئمة الطاهرين من أهل بيته في الدنيا، والى ذلك تشير الآية الكريمة من سورة التوبة وهي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة/ ١٠٦ وصحائف الأعمال تعرض على النبي (ص) وأهل بيته في كل يوم، وفي الأسبوع مرتين، وتعرض عليهم أخيراً عند حضور آجال أربابها، وقد حققنا ذلك بصورة مفصلة في كتابنا (التحقيق في الإمامة وشؤونها) ص٩٩-١١٢.

(٢) قد نسب بعض هذه الأبيات إلى أمير المؤمنين بعض المفسرين كعلي بن إبراهيم في تفسيره ج٢ ص٢٦٦ في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾ حم السجدة/ فصلت/٣١ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٦ ص١٨١ والطبرسي في مجمع البيان ج٢ ص١٣٨، وكذا الشيخ المفيد في (أوائل المقالات) ص٨٩ ط الثالثة، وابن أبي الحديد في شرح النهج ولكن الظاهر انه اشتباه لأن الأبيات الشعرية للسيد الحميري وقد نظم فيها بعض ما قاله أمير ←

حضور النبي (ص) وأهل بيته عند المحتضرين حقيقة إسلامية

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن حضور النبي (ص) وأهل بيته عند المحتضرين - ولا سيما المؤمنين - حقيقة إسلامية ثابتة بالأدلة القطعية التي لا ريب فيها[1].

وقد أشار إليها القرآن المجيد الذي فيه تبيان كل شيء بآيات عديدة، ومنها ما مر ذكره علينا عن الإمام الصادق (ع) في قوله تعالى: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ حيث يقول الإمام: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي إلى محمد ووصيه والأئمة من بعده ﴿ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ أي بالولاية ﴿مَرْضِيَّةً﴾ أي بالثواب ﴿فَادْخُلِي فِي عِبادِي﴾ محمد وأهل بيته ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم غير مشوبة بكدر وهرم.. الخ.

علي (ع) يرى رسول الله (ص) والنبيين والملائكة عند احتضاره ويبشرونه بالخير

وجاءت إمارات، بل وتصريحات واضحة على ألسن العديد من المحتضرين تدل على مشاهدتهم للنبي (ص) وأهل بيته وأوليائه.

وممن صرح بملاقاته لرسول الله (ص) مع الملائكة والنبيين عند احتضاره علي أمير المؤمنين (ع) فقد روى ابن الأثير في (أسد الغابة) بسنده عن عمرو ذي مرّانه قال:

لما أصيب علي (ع) بالضربة دخلت عليه وقد عصّب رأسه، قال: قلت يا أمير المؤمنين ارني ضربتك؟ قال: فحلها، فقلت: خدش وليس بشيء، قال: إني

المؤمنين (ع) في حديثه للحارث الهمداني، وكل من ذكر حديثه (ع) مع الحارث ذكر الأبيات للحميري كالشيخ الطوسي، والطبري، والمفيد، والمجلسي، والأربلي.

(١) ذكرنا هذه الحقيقة بأدلة أوسع وتفصيل أكثر وما يرد عليها من إشكال، والجواب عنه في الفصل الخامس من كتابنا (التحقيق في الإمامة وشؤونها) في فصل مستقل، وفيه ما يشفي الغليل ويهدي إلى سواء السبيل.

مفارقكم، فبكت أم كلثوم من وراء الحجاب، فقال لها: اسكتي يا ابنتي، فلو ترين ما أرى لما بكيت، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ماذا ترى؟ قال: هذه الملائكة وفود، والنبيون، وهذا محمد (ص) يقول: يا علي أبشر فما تصير إليه خير مما أنت فيه[1].

علي الأكبر يرى رسول الله (ص) عند مصرعه ويسقيه بكأسه

وممن صرح بملاقاته لرسول الله (ص) عند احتضاره حفيده وسميه علي بن الحسين الأكبر فإنه لما صرع يوم عاشوراء وبلغت روحه التراقي نادى بأعلى صوته: يا أبتاه عليك مني السلام هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول لك العجل العجل فأن لك كأساً مذخورة حتى تشربها الساعة[2].

وإنما نادى علي الأكبر بهذا النداء دون غيره من أصحاب الحسين وأهل بيته لأنه كان قد عاد إلى أبيه أثناء قتاله الأعداء وجهاده لهم وقد أضر به العطش، وقد أصابته جراحات كثيرة وهو ينادي: يا أبة العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلى شربة من ماء من سبيل أتقوى بها على الأعداء، فبكى الحسين (ع) وقال: يا بني يعز على محمد، وعلى علي بن أبي طالب، وعلي أن تدعوهم فلا يجيبوك وتستغيث بهم فلا يغيثوك، يا بني هات لسانك فأخذ بلسانه فمصه ودفع إليه خاتمه وقال: امسكه في فيك وارجع إلى قتال عدوك فإني أرجو أنك لا تمسي حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبدا.

---

(١) راجع (فضائل الخمسة) للسيد مرتضى الفيروز ابادي ج٣ ص٧٣ نقلاً عن (أسد الغابة) ج٤ ص ٣٨، ورواه المجلسي في (البحار) ج٤٢ ص٢٠١ نقلاً عن (أمالي الصدوق) بسنده ص١٩٢، وأن الذي دخل عليه هو حبيب بن عمرو، ولعله هو الصحيح فراجع.

(٢) (مقتل الحسين) للخوارزمي الحنفي ج١ ص٣١، و(البحار) ج٤٥ ص٤٤، و(مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصبهاني ص٨٥، و(مثير الأحزان) لابن نما ص٣٥، و(مقتل العوالم) للبحراني ص٩٥ على ما نقل عنهما السيد آل بحر العلوم في (المقتل) ص٤٦٠.

فمن جهة اطلع الحسين على عطش ولده، وولده اطلع على عطش أبيه فكانا كما قال الشاعر:

كل حشاشته كصالية الغظى ولسانه ظمأ كشقة مبرد

فاهتم كل منهما لعطش الآخر.

ومن جهة أخرى أن الحسين (ع) قال له: فإني ارجو أنك لا تمسي حتى يسقيك جدك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً، ولذلك لما رأى جده رسول الله (ص) وسقاه بكأسه بالفعل بشر أباه بما رأى قائلاً: هذا جدي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً. أي يا أبتاه لا تهتم لعطشي وعطشك والتهاب الظمأ في فؤادي وفؤادك فاني لقيت جدي رسول الله (ص) ـ كما وعدتني ـ وسقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبداً، وهو يقول لك العجل العجل فإن لك كأساً مذخورة حتى تشربها الساعة. فكان نداؤه تصديقاً لوعد أبيه له.

وقوف الحسين (ع) على مصرع ولده، وخروج عمته زينب

وحينما ألقى الريح صوته في مسامع أبيه جعل يتنفس الصعداء، وينادي بأعلى صوته واولداه واعلياه، فتصارخت النساء فسكتهن الحسين وقال: إن البكاء أمامكن.

ثم توجه إلى مصرعه وهو في طريقه يلهج بذكره ويندبه بأشجى ندبة ويكثر من قوله: ولدي علي ولدي علي حتى وصل إليه فأخلى رجليه معاً من الركاب ورمى بنفسه على جسده وانكب عليه واضعاً خده على خده وجعل يمسح الدم والتراب عن وجهه وهو يقول: يا بني قتل الله قوماً قتلوك، وما أشد جرأتهم على الله ورسوله وعلى انتهاك حرمة الرسول، ثم انهملت عيناه بالدموع ينادي: على الدنيا بعدك العفا يا بني أما أنت فقد استرحت من هم الدنيا وغمها وقد صرت إلى روح وريحان، وبقي أبوك وما أسرع لحوقه بك.

يقول السيد صالح الحلي:

نـادى علـيه عـلى الدنـيا العفـا وغـدا ... مكفكفـاً دمعـه الممـزوج بـالعلق

جـاورت ربـك يهنـيك الجـوار وقـد ... خلّفت جاري دمعي من جوى الحرق

قـد اسـترحت مـن الدنـيا وكربـتها ... وبـين أهـل الشـقا فـرداً أبـوك بقـي

من بعدك اسودَّ وجه الأرض في نظري ... يـا نـيراً فـيه تجـلى ظـلمة الأفـق

وبينما الحسين جالس عند مصرع ولده إذ خرجت أم المصائب زينب كأنها الشمس الطالعة ـ وخلفها النساء والأطفال ـ وهي تنادي: يا حبيباه يا ثمرة فؤاداه، واولداه وامهجة قلباه حتى جاءت وانكبت عليه، فبكى الحسين رحمة لبكائها وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قام وأخذ بيدها وردها إلى الفسطاط[1].

ثم التفت الحسين إلى فتيانه من بني هاشم وقال لهم: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه وجاءوا به إلى الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه.

ودخل الحسين خيمة النساء باكياً حزيناً، ولما رأته ابنته سكينة بهذه الحالة قالت: يا أبة ما لي أراك تنعى نفسك وتدير طرفك أين أخي علي؟ فقال لها: قتله اللئام، فنادت سكينة: وا أخاه وامهجة قلباه، فقال لها الحسين: اتقي الله واستعملي الصبر، فقالت: يا أبتاه كيف تصبر من قتل أخوها وشرد أبوها، فقال الحسين: إنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) راجع (مقتل آل بحر العلوم) ص٤٦١- ص٤٦٤.

الفصل العاشر

ما يتعلق بليلة العاشر من المحرم، ونهاره، ومسائه من خطب الحسين (ع) ومواقف أصحابه، ومصرعه، ومواقف أخته

المجلس الخامس والخمسون

العقل وتفاوته في الناس، ومواقف الحسين (ع) مع أصحابه ليلة عاشوراء

من كلام لأمير المؤمنين (ع) قال: لقد سبق إلى جنات عدنٍ أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولا صياماً، ولا حجاً ولا اعتماراً، ولكن عقلوا عن الله أمره، فحسنت طاعتهم وصح ورعهم وكمل يقينهم ففاقوا غيرهم بالحضوة ورفيع المنزلة[1].

لا ريب في تفاوت العقول واختلافها قوة وضعفا بين أفراد العالم الإنساني من شرقيين وغربيين، وتفاوت العقل موجود حتى في الأخوين لأب وأم، كما نرى في الوجدان هذا وافر العقل وهذا ضعيفه، ومثال تفاوت العقل في الناس قوة وضعفاً كتفاوت الرزق فيما بينهم، والطول والقصر والسواد والبياض بل أمر العقل في تفاوته أعظم وأدق.

---

(١) شرح (نهج البلاغة) لابن أبي الحديد: ج٤ ص٥٣٧.

ولما كانت العقول متفاوتة بعضها أقوى من بعض كانت أعمال ذوي الأعمال حسناً وقبحاً وفتقاً ورتقاً بنسبة عقول عامليها، لذلك فإن الله جل وعلا يجعل الجزاء لعباده من الثواب والعقاب - على أعمالهم - بمقدار عقولهم. وقد صرح النبي (ص) بذلك حيث قال: لكل شيء دعامة ودعامة عمل المرء عقله، وبقدر عقله تكون عبادته لربه أما سمعتم قول الفجار في النار ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِي أَصْحابِ السَّعِيرِ﴾ الملك/ ١١[١].

ويروى أنه ذكر رجل من الصحابة عند رسول الله (ص) فاثنى عليه الحاضرون بكثرة الصلاة والاجتهاد، بالعبادة وخصال الخير، فسأل (ص) عن عقله، فقالوا له: يا رسول الله نخبرك باجتهاده في العبادة وضروب الخير، وتسأل عن عقله، فقال: نعم، ان الأحمق ليصيب بحمقه أعظم مما يصيبه الفاجر بفجوره، وإنما يرتفع العباد غداً في درجاتهم وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم[٢].

وورد ايضاً: ان العبد العاقل ما أدى فرائض الله حتى عقل عنه أمره، وما بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، إن العقلاء هم أولوا الألباب الذين قال الله عزوجل بحقهم: ﴿إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾ وهذا النص جاء في سورتين الزمر/ ١٠ والرعد/ ٢٠[٣].

فالإنسان كقشر، ولبه عقله، فأمير المؤمنين (ع) يشير إلى هذا المعنى بقوله:

(لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا أكثر الناس صلاة ولا صياما ولا حجاً ولا اعتماراً ولكن عقلوا عن الله أمره) أي أنهم ادركوا بنور عقولهم حقائق الأمر الإلهي

---

(١) راجع (نهج السعادة) للشيخ محمد باقر المحمودي ج٢ باب الوصايا ص١٨٣ نقلاً عن (المحجة البيضاء) للكاشاني ج١ ص١٧١.

(٢) (البحار) للمجلسي ج٧٧ ص١٥٨.

(٣) المصدر السابق ج١ ص٩٢ نقلاً عن كتاب (المحاسن) باب العقل ص١٤٨، و(شرح النهج) لابن ابي الحديد ج٤ ص٢٦٧.

وانكشفت لهم سرائره وحكمه فعبدوا الله على حقيقة العلم به في تدبيراته لكافة مخلوقاته بسمائه وأرضه، وحكمته في جزائه لعباده بأن يجازي المحسنين على إحسانهم ويزيدهم من فضله، ويعاقب الجاني المصر على جنايته ويعامله بعدله، ويعفو عمن تاب وأناب إليه بلطفه، وأنه تعالى بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، وأن تدبير الكون كله بيد رب الكون.

فبسبب وفور عقلهم الذي عرفوا به ربهم وتدبيراته العامة والخاصة حسنت طاعتهم وصح ورعهم وكمل يقينهم، وبذلك فاقوا غيرهم، وامتازوا على من عداهم بالحضوة ورفيع المنزلة، ولو صدر من آحادهم ذنب أعقبهم الندم، وتابوا إلى الله واستغفروه، وقد سئل رسول الله (ص) فقيل له:

أيكون الرجل حسن العقل كثير الذنوب؟ فقال (ص): ما من بشر إلا وله ذنوب وخطايا يقترفها، فمن كانت سجيته العقل، وغريزته اليقين لم تضره ذنوبه، فقيل له: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال: كلما أخطأ لم يلبث أن يتدارك ذلك بتوبة وندامة على ما فرط منه، فتمحى ذنوبه ويبقى له عمل صالح يدخل به الجنة، فصار المسبب لدخوله الجنة عقله.

تعريف العقل شرعاً وعرفاً

ومن هنا عرف الشارع المقدس العقل بأنه: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، وبهذا عرفه الإمام الصادق (ع) فقد سئل عن تعريف العقل، فقال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، فقال السائل: فالذي في معاوية؟ قال: تلك النكراء، وتلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بعقل[1].

---

(١) راجع (كتاب المحاسن) للبرقي ص١٤٩، و(أصول الكافي) للكليني ج١ ص٢١، و(معاني الأخبار) للصدوق ص٢٨٨، و(البحار) للمجلسي ج١ ص١١٦، و(نهج السعادة) للمحمودي ج٢ ص١٩٠ نقلاً عن المصادر السابقة.

وأما تعريفه بالمعنى العرفي فهو المعرفة المستعملة في تحري النفع، وتجنب الضرر. وعلامة العاقل أنه لا يعمل عملاً حتى يفكر أولاً في عاقبته هل هي حسنة فيعمله، وإلا فيتجنبه، وقد قيل في ذلك:

وأكيس الناس من لم يرتكب عملاً ... حتى يفكر ما تجني عواقبه

تقسيم العقل إلى غريزي ومكتسب

والعقل ينقسم عند أهل العرفان إلى قسمين، الأول: ما يفارق الإنسان. بسببه سائر البهائم والحيوان، وهو العقل الغريزي الذي يستعد به لإدراك العلوم الضرورية والعلوم النظرية وسائر الصناعة الفكرية.

أما العلوم الضرورية فمثلاً إن الإنسان يدرك بعقله أن الواحد نصف الاثنين، والاثنين نصف الأربع، وأن الجسم الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد، والبهائم لا تدرك ذلك لفقدانها العقل الغريزي.

وكذلك بهذا القسم من العقل يدرك الإنسان العلوم النظرية من معرفة الصناعات، وإدراك الأشياء النافع منها والضار التي لا تدركها البهائم.

والقسم الثاني من العقل هو ما يعرف به الإنسان عواقب الأمور فيخالف الشهوات الداعية له إلى اللذة العاجلة، فتراه يتحمل المكروه العاجل نظراً لسلامة المحبوب الأجل وهو العقل المكتسب، وهو ـ طبعاً ـ نتيجة العقل الغريزي، ومنه يستمد، إذ أن العقل الغريزي أصل، والمكتسب فرع، وقد قيل: ما في الأصل في الفرع وزيادة وإلى هذا أشار أمير المؤمنين (ع) حيث يقول:

رأيت العقل عقلين ... فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع إذا ... لم يك مطبوع

كما لا تنفع الشمس ... وضوء العين ممنوع

والعقل الغريزي هو العقل الذي أودعه الله في كل إنسان مؤمن وكافر، مطيع

وعاصي ذكر وأنثى وميّزه به على سائر البهائم والحيوان كما مر. وبه صح التكليف إذ لولاه لما كلف الإنسان بالشرع وأحكامه، وهو الذي به يثيب الله، وبه يعاقب وهو حجة الله الباطنة على الإنسان، والشرع المتمثل بالرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام هو الحجة الظاهرة عليه، ومن هنا ورد عن الإمام موسى بن جعفر (ع) انه قال في وصيته لهشام بن الحكم: يا هشام إن لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة، وحجة باطنة وأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (ع) أما الباطنة فالعقول[1].

فمن وجه عقله الغريزي إلى منافع الدنيا الفانية وشهواتها المغرية، وأعرض عن الله وشرعه، والحق وأهله، فهو الإنسان الهالك، وعقله هو السقيم وغير المستقيم.

ومن وجه عقله إلى الآخرة الباقية، وما أعد الله فيها من النعيم المقيم، وتوجه به إلى معرفة الله وشرعه الحق وأهله فهو الإنسان الناجي، وعقله هو العقل السليم المستقيم الذي به يعبد الرحمن، ويكتسب الجنان، وهو العقل المكتسب الذي يتحمل صاحبه المكروه العاجل نظراً لسلامة المحبوب الآجل.

وكلما كان الإنسان العاقل أكثر استقامة وثباتاً على الحق كان أعلى منزلة ومقاماً وأكثر أجراً وثواباً، وأحسن ذكراً خالداً.

وإنما المرء حديث بعده ... فكن حديثاً حسناً لمن روى

مواقف الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه الدفاعية

ولك أكبر عبرة في ذلك بالحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه الكرام في مواقفهم الدفاعية الثابتة عن الدين الإسلامي، دين الحق المتمثل بالإمام الحسين (ع) في مقابلته للمستهترين بمبادئه من السلطة الأموية المجرمة وأتباعها.

حيث هب أولئك الرجال الذين عقلوا عن الله أمره فحسنت معرفتهم به،

---

(١) راجع (الشافي في شرح الكافي) ج١ ص٦٤.

وطاعتهم له، وصبرهم على أمره[1].

هبوا جميعاً بكل إخلاص وثبات للدفاع عن صيانة دينهم وإمامهم بأعظم واردع ما يكون من الاخلاص والثبات والتضحية في سبيل الله عزوجل. نعم:

باعوا نفوساً لهم قد غلت وأرخصوا من سعرها المثمنا

وأدلة ذلك يعرفها المتتبعون لمواقفهم الكثيرة المشرفة بالقول والفعل والتي منها مواقفهم يوم التاسع وليلة العاشر من المحرم.

زحف جيش الضلال عليهم عشية الخميس

ذلك حين زحفت طلائع جيش عمر بن سعد نحو الإمام الحسين (ع) عصر الخميس، وكان الحسين جالساً أمام بيته محتبياً سيفه، وقد خفق برأسه خفقةً، وسمعت أخته زينب العقيلة أصوات الرجال، وتدافعهم نحو الخيام، فأقبلت إليه وهي فزعة مرعوبة، فأيقظته وقالت له: يا أخي أما تسمع هذه الأصوات وقد اقتربت منك، فرفع الحسين رأسه وقال:

يا أختاه رأيت الساعة جدي محمداً (ص) وأبي علياً وأمي فاطمة وأخي الحسن وهم يقولون: يا حسين إنك رائح إلينا عن قريب، فلطمت زينب وجهها ونادت: يا ويلتاه، فقال لها الحسين: ليس لك الويل يا أختاه اسكتي رحمك الله لا تشمتي القوم بنا.

ثم أقبل عليه أخوه أبو الفضل العباس وقال له: يا أخي أتاك القوم، فقال له الحسين: اركب أنت يا أخي حتى تلقاهم وتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسألهم عما جاء بهم، فأتاهم العباس في نحو عشرين فارساً من أصحابه وفيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر، فقال لهم العباس: ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا: قد جاء أمر

---

(١) في هذا التعبير إشارة إلى ما ورد عن النبي (ص) أنه قال: قسم الله العقل ثلاثة أجزاء فمن كن فيه كمل عقله ومن لم تكن فيه فلا عقل له: حسن المعرفة بالله، وحسن الطاعة لله، وحسن الصبر على أمر الله.. راجع (البحار) ج٧٧ ص١٥٨.

الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو نناجزكم (أي نقاتلكم) فقال: لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، ورجع العباس إلى أخيه يعرض عليه الأمر.

وأقبل حبيب على القوم وجعل يعظهم ويذكرهم الدار الآخرة قائلاً: أما والله لبئس القوم الذين يقدمون غداً على الله عزوجل وعلى رسوله محمد (ص) وقد قتلوا ذريته وأهل بيته المجتهدين بالأسحار، الذاكرين الله كثيراً بالليل والنهار، وشيعته الأتقياء الأبرار.

فرد عليه عزرة بن قيس قائلاً: يا بن مظاهر إنك لتزكي نفسك؟ فقال له زهير بن القين: اتق الله يا بن قيس ولا تكن من الذين يعينون على الضلال، ويقتلون النفوس الزكية الطاهرة عترة خير الأنبياء، فقال له عزرة: كنت عندنا عثمانياً فما بالك؟ فقال زهير: والله ما كتبت إلى الحسين ولا أرسلت إليه رسولا، ولكن الطريق جمعني وإياه، ولما رأيته ذكرت به رسول الله (ص) وعرفت ما تقدمون عليه من غدركم ونكثكم وسبقكم إلى الدنيا، فرأيت أن أنصره وأكون في حزبه حفظاً لما ضيعتم من حق رسول الله (ص).

وعرض أبو الفضل مقالة القوم على أخيه، فقال له: ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غد وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلي لربنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أني أحب الصلاة وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار، فمضى العباس إلى القوم ثم رجع من عندهم ومعه رسول من قبل عمر بن سعد فدنا من معسكر الحسين وصاح: يا أصحاب الحسين إنا قد أجلناكم إلى غد فإن استسلمتم سرّحنا بكم إلى عبيد الله بن زياد، وإن أبيتم فلسنا بتاركيكم، ثم انصرف.

خطبة الحسين (ع) في أصحابه ليلة عاشوراء، وثباتهم معه

وجمع الحسين (ع) أصحابه وأهل بيته قرب المساء وخطب فيهم وسمح لهم في

خطبته أن ينطلقوا جميعاً في رحاب الأرض ويتركوه وحده ليلقى مصيره المحتوم من الشهادة في سبيل الله التي قد وطن نفسه المقدسة عليها عسى أن يتمتعوا بالحياة بعده إلى وقت إضافي.

وأراد أيضاً أن يكونوا على هدى وبينة من أمرهم، حتى لا يقال: انهم خدعوا وما استطاعوا أخيراً أن يتركوه.

كما أراد أن يختبرهم ـ مع علمه بثباتهم ـ ليكشف للأجيال القادمة كشفاً ظاهراً ما انطوت عليه ضمائرهم من الإخلاص الصادق، والمحبة العظيمة للتضحية معه في سبيل إحياء الدين، وحفظهم لرسول الله (ص) فيه وفي أهل بيته الكرام، فقال (ع) في خطبته:

أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة فاجعلنا من الشاكرين.

أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي. فجزاكم الله عني خيرا.

ألا وأني لأظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم حرج مني ولا ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبونني ولو أصابوني للهوا عن طلب غيري.

ولم يكد يفرغ الإمام (ع) من خطابه حتى هبت الصفوة الطيبة من أهل بيته وهم يعلنون اختيار الطريق الذي يسلكه، وهم يتبعونه في مسيرته ولا يختارون غير منهجه، فانبروا جميعاً قائلين:

لم نفعل ذلك؟ لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك، بدأهم بهذا القول أخوه أبو الفضل

العباس وتابعته الفتية الطيبة من أبناء أسرته، والتفت الإمام إلى أبناء عمه من بني عقيل فقال لهم:

حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم. فقالوا: سبحان الله ما يقول الناس؟ وما نقول لهم: إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ما صنعوا، لا والله ما نفعل ذلك ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا، ونقاتل معك حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

وقام إليه مسلم بن عوسجة فقال: نحن نخلي عنك وبم نعتذر إلى الله في أداء حقك، لا والله حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة حتى أموت معك، والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا فيك غيبة رسول الله (ص).

وقام سعيد بن عبد الله الحنفي قائلاً: والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسوله فيك، أما والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أذرى يفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً.

وقام زهير بن القين فأعلن اتجاهه الحازم قائلاً: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت، ثم قتلت حتى أقتل هكذا ألف مرة، وأن الله عزوجل يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك.

وهكذا تكلم جماعة من أصحابه معلنين التصميم على الشهادة بين يديه والتفاني في الفداء من أجله، فجزاهم الإمام خيراً، وأكد لهم جميعاً أنهم سيقتلون معه، فهتفوا جميعاً قائلين:

الحمد لله الذي أكرمنا بنصرك وشرفنا بالقتل معك، أو لا نرضى أن نكون معك

في درجتك يا بن رسول الله؟

وقيل في تلك الحال لمحمد بن بشير الحضرمي: قد أسر ابنك بثغر الرمي، فقال: عند الله أحتسبه، ونفسي ما أحب أن يؤسر وأنا أبقى بعده، فسمع الحسين (ع) قوله، فقال: رحمك الله أنت في حلٍ من بيعتي فاعمل في فكاك ابنك، فقال: أكلتني السباع حياً إن فارقتك قال: فأعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه، فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار.

أصحاب الحسين يرون منازلهم في الجنة

ويروى عن الحوراء زينب (ع) أن الحسين (ع) لما رأى من أصحابه صدق النية وحقيقة الفداء والتضحية دونه ودون بنات الرسالة قال لهم الحسين:

ارفعوا رؤوسكم وانظروا إلى منازلكم في الجنة، وكشف لهم الغطاء ورأوا منازلهم وقصورهم وحورهم وهن يناديهم العجل العجل فإننا مشتاقون لكم، فقاموا في وجه الحسين وقد سلوا سيوفهم من أغمادها وقالوا: يا أبا عبد الله إذن لنا أن نغير على القوم ونقاتلهم حتى يفعل الله بنا وبهم ما يشاء، فقال (ع): اجلسوا رحمكم الله وجزاكم الله عن أهل بيت نبيكم خيرا[1].

وهذا المعنى جاء صريحاً في حديث مسند رواه الصدوق في (علل الشرائع) بسنده عن أبي عمارة عن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: قلت له: أخبرني عن أصحاب الحسين وإقدامهم على الموت، فقال: إنهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه من الجنة[2].

---

(١) راجع (معالي السبطين) ج١ ص٢١٠.

(٢) (علل الشرائع)س ج١ ص٢٢٩ باب ١٦٣ رقم١، ونقله عنه السيد عبد المجيد في (ذخيرة الدارين) ص١٢٤.

ولقد أجاد من قال:

ولقـد تمثلـت القصـور ومـا بهـم لـولا تمثلـت القصـور قصـور.. الخ

المجلس السادس والخمسون

الحياة السعيدة للمقتولين في سبيل الله في عالم البرزخ، وأصحاب الحسين (ع)

أعوذ بالله السمع العليم من الشيطان الرجيم. ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران/ ١٧٠-١٧٢.

الخطاب في هذه الآيات الشريفة من سورة آل عمران وإن كان موجهاً إلى رسول الله (ص) ولكن المقصود أمته، يبين لهم حقيقة الحياة البرزخية وواقعها للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله وأنهم - في ذلك العالم - أحياء عند ربهم يرزقون.

والآيات المباركة تتضمن الرد على جميع مزاعم المنافقين والكافرين وكل متوهم يتوهم إبطال الثواب والعقاب بعد الموت، أو يقول: إن الموت يكون سبباً لصيرورة الميت كالجماد روحاً وبدناً، وأن كلاً منهما سينعدم فلا حياة له بعد ذلك وراء هذه الحياة الدنيا قال تعالى حاكياً على لسان هؤلاء: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ المؤمنون/ ٣٨.

ولذلك يقول تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً﴾ فالتعبير بالحسبان للإعلان ببطلان هذه المزاعم وفسادها، وان حسبانهم هذا لا واقع له حقيقة، بل الحقيقة هي أن الروح تبقى حية مرزوقة بعد مفارقة البدن.

وخص الله بالذكر - في هذه الآيات - المقتولين في سبيل الله في عالم البرزخ، وأنهم

عند ربهم يرزقون دون غيرهم من سائر المؤمنين لبيان تكريمه لهم خاصة، وتشجيع الآخرين من المؤمنين على الجهاد في سبيل الله، والتضحية بأنفسهم لإحياء دينه ومعالمه، وإن كان كل من مات مؤمناً فهو في عالم البرزخ حي مرزوق عند ربه.

والبرزخ لغة هو الحاجز بين الشيئين، وإليه يشير القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ ❖ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ﴾ الرحمن/ ٢٠-٢١، أي بين البحرين العذب والمالح حاجز من قدرة الله عزوجل لا يبغي أحدهما على الآخر فيختلط به. هذا معنى البرزخ لغة، أما اصطلاحاً فالبرزخ عالم يقع بين عالم الدنيا وعالم القيامة، وبدايته من حضور أجل الإنسان وقبض روحه إلى يوم البعث العام يوم القيامة، وإليه يشير قوله تعالى: (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) المؤمنون/ ١٠١.

تقسيم الناس في حياتهم البرزخية

والذي يستفاد من جملة من الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، وأقوال المحققين من العلماء والمتكلمين من الخاصة والعامة: أن الناس بعد الموت ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول من مات مؤمناً قد محض الإيمان محضاً، وهؤلاء تكون أرواحهم بعد الموت في قالب شفافٍ مثالي لهيكلهم الجسمي، ويصيرون إلى جنة من جنات البرزخ مع أولياء الله السابقين لهم إلى يوم القيامة.

والشاهد على ذلك من القرآن المجيد قوله تعالى في حبيب النجار صاحب ياسين الذي ذكر الله قصته في سورة يس بقوله عز من قائل: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ❖ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ يس/ ٢٧-٢٨.

وقوله تعالى في سورة الفجر: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ❖ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً ❖ فَادْخُلِي فِي عِبادِي ❖ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ الفجر/ ٢٨-٣١.

والمراد من هذه الجنة التي دخلها صاحب ياسين، ويدخلها المؤمنون المطمئنة

نفوسهم هي جنة البرزخ، إلى غير ذلك من الآيات الأُخر.

وأما الأحاديث في ذلك فهي كثيرة ومنها ما رواه الكليني في الكافي بسنده وغيره عن أبي بصير أنه قال: سألت أبا عبد الله الصادق (ع) عن أرواح المؤمنين، فقال: في حجرات في الجنة، يأكلون من طعامها، ويشربون من شرابها، ويقولون: ربنا أقم الساعة لنا وأنجز لنا ما وعدتنا - أي من النعيم الخالد - وألحق آخرنا بأولنا[1].

والقسم الثاني من مات كافراً قد محض الكفر محضاً وهؤلاء تنقل أرواحهم أيضاً إلى قالب مثالي لهيكلهم الجسمي ويصيرون إلى نار وعذاب إلى يوم القيامة مع أعداء الله السابقين لهم.

والشاهد على ذلك من القرآن قوله تعالى في آل فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْها غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذابِ**﴾ المؤمن/ ٤٧.

وقوله في قوم نوح المغرقين: ﴿**مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصاراً**﴾ نوح/ ٢٦، إلى غير ذلك من الآيات.

وفي الحديث يروي شيخنا الكليني في (الكافي) بسنده، وغيره عن أبي بصير أنه قال: سألت أبا عبد الله الصادق (ع) عن أرواح المشركين، فقال: في النار يعذبون، يقولون: ربنا لا تقم لنا الساعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا - أي من العذاب - ولا تلحق آخرنا بأولنا[2].

والقسم الثالث من مات مؤمناً مسلماً ولكن عليه تبعات من الذنوب والخطايا لم يتب منها، ولم تغفر له قبل موته ولا عند موته فهؤلاء يلهى عنهم في عالم البرزخ فلا يرون ثواباً ولا عقاباً، بل يؤجل ثوابهم وعقابهم إلى يوم القيامة حتى الحساب، وبعده اما ان ترجح حسناتهم على سيئاتهم ويؤمر بهم إلى الجنة، واما أن ترجح سيئاتهم على حسناتهم

---

(١) راجع (البحار) للمجلسي ج٦ ص٢٦٩ نقلاً عن (الكافي) و(تحف العقول) لابن شعبة ج١ ص٦٧، وكتاب الحسين بن سعيد.

(٢) (المصدر السابق) ص٢٧٠ نقلاً عن المصادر السابقة.

ويؤمر بهم إلى النار، ولكنهم لا يخلدون فيها بل يعذبون بقدر ما يستحقون من العذاب قليلاً أو كثيراً.

وقد يقيض الله لهم من يشفع لهم ويخرجهم بشفاعته من النار، وقد يشفع لهم قبل دخولهم النار.

وبهذا التقسيم يصرح الحديث الذي رواه شيخنا الصدوق في كتاب (معاني الأخبار) بسنده عن الإمام محمد الجواد عن آبائه عن الحسين (ع) أنه قال: قيل لأمير المؤمنين (ع) صف لنا الموت، فقال: على الخبير سقطتم هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: اما بشارة بنعيم الأبد، وأما بشارة بعذاب الأبد، وأما تحزين وتهويل وأمره مبهم لا يدري من أي الفرق هو، فأما ولينا المطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، وأما عدونا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مبهماً مخوفاً ثم لن يسويه الله عزوجل بأعدائنا لكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا، ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عزوجل، فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد ثلاثمائة سنة[1].

ومجملاً إن النفس الإنسانية باقية حية بعد الموت أما سعيدة منعمة إلى يوم القيامة، وأما شقية معذبة إلى يوم القيامة، أو يلهى عنها فلا ترى سعادة ولا شقاء.

وفي طليعة من تكون نفوسهم سعيدة منعمة هي نفوس المؤمنين المقتولين في سبيل الله سواءً كان قتلهم في ساحة القتال الواقع بين المسلمين والكافرين، أو بين المؤمنين والمنافقين الباغين، أو كان قتلهم في غير ساحة القتال بأسباب أخرى من جهادهم لأنفسهم الأمارة بالسوء المعبر عنه بالجهاد الأكبر، أو لقيامهم بتعليم المعارف والأحكام الإسلامية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتنديد بالطغاة المجرمين الذي أشاعوا الفساد والإفساد في الأرض باسم الإصلاح، أو غير ذلك من السعي في قضاء حوائج المؤمنين تقرباً إلى الله

---

(١) (معاني الأخبار) ص٢٧٣.

تعالى، فكل من قتل في سبيل الله في تلك الموارد وغيرها من سائر الحوادث تشمله الآية الصريحة في حياتهم البرزخية في قوله تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

وقد كرمهم الله سبحانه غاية التكريم بقوله ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ إذ فيه إشارة إلى قربهم المعنوي من الله ربهم ورازقهم بأنواع الرزق في تلك الحياة الكريمة في ذلك العالم الحميد لهم ولأمثالهم من سائر المؤمنين المجاهدين.

ثم يقول في الآية الثانية: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي انهم مسرورون بما وجدوه من فضله الذي كان حاضراً مشهوداً عندهم، والفضل هو الزائد على ما يستحقونه من الرزق كما قال تعالى في سورة فاطر: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر/ ٣١.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وفي هذا النص مزيد بيان لحياتهم البرزخية في تنعمهم في فضل الله وزيادة إحسانه لهم حيث يفرحون أيضاً بإخبار خيار المؤمنين الباقين في الحياة الدنيا إذ أنهم يخبرون عن أخبارهم فيستبشرون بسعادتهم التي ستكون لهم في الآخرة حيث أنهم سائرون على طريقة الشهداء ويقتفون أثرهم، وأنهم إذا قدموا عليهم إلى جنتهم سوف لا يخاف عليهم ولا هم يحزنون من كل جهة مفروضة من الخوف والحزن على العموم، أي أنهم لا يخافون شيئاً مطلقاً ولا يحزنون من شيء أبداً.

ولبيان تمامية النعمة وكمالية الحياة لهم بعد الموت كرر سبحانه استبشارهم بنعمته وفضله اللذين منحهما لهم فقال تعالى في الآية الثالثة: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يعطيهم ويوفيهم أجرهم كاملاً غير منقوص، ويزيدهم من فضله كرماً وعطاء.

وهذه الآيات الشريفة تعد من أجل الآيات التي وردت في إثبات الحياة في عالم البرزخ وتنعم أرواح الشهداء فيه بأسلوب جذاب لطيف في منتهى الجمال والروعة وينقل الطبرسي

في (مجمع البيان) عن الإمام الباقر (ع) وكثير من المفسرين أن الآيات نزلت في المؤمنين من شهداء بدر وأحد[1].

نعم نزلت فيهم ولكنها جارية بعدهم في عامة الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله وإحياء دينه إلى يوم القيامة.

فضل شهداء الطف، ومواقفهم ليلة العاشر من المحرم

وفي طليعة الشهداء الذين تجري فيهم الآيات وينالون عند ربهم أرفع الدرجات وأجل الكرامات هم شهداء الطف الذين فاقوا سائر الشهداء بثباتهم وتصميمهم على التضحية في سبيل الله، ونصرة الحسين ريحانة رسول الله (ص) مع قلتهم وكثرة أعدائهم المتكالبين عليهم، وفيهم يقول الشيخ صالح الكواز:

هم أفضل الشهداء والقتلى الأُلى مدحوا بوحي في الكتاب مبين

وقد جاء عن النبي (ص) وأهل بيته في فضلهم وتفضيلهم أحاديث كثيرة منها ما جاء عن النبي (ص) أنه قال في حديث طويل: وأما الحسين فتنصره عصابة من المسلمين أولئك من سادات شهداء أمتي يوم القيامة[2].

وفي خبر آخر قال النبي (ص) لابنته فاطمة حين أخبرها بقتل الحسين قال: وهو يومئذ في عصبةٍ كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم.. الخ[3].

وفي حديث آخر ورد عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: وخير الخلق وسيدهم بعد

---

(١) راجع تفسير (مجمع البيان) م١ ص٥٣٥.

(٢) (معالي السبطين) ج١ ص١١٧، راجع الحديث بطوله في (الأمالي) للصدوق ص٦٩ ص٧١، ويرويه أيضاً الحمويني في (فرائد السمطين) ج٢ باب ٨.

(٣) (ذخيرة الدارين) نقلاً عن تفسير فرات بن إبراهيم (بسنده عن الصادق (ع)) ص١١٥ و(معالي السبطين) ص١١٧.

الحسن أخوه الحسين المظلوم بعد أخيه المقتول في أرض كربلاء وهي أرض كرب وبلاء، ألا وإن أصحابه من سادات الشهداء يوم القيامة[1].

وفي خبر ورود علي أمير المؤمنين (ع) بكربلاء قال: ههنا والله مناخ ركاب، ومصارع عشاق، ومدفن شهداء لا يسبقهم بالفضل من كان قبلهم ولا يلحقهم من كان بعدهم[2].

ويقول الإمام الصادق (ع) في زيارتهم: وأنتم سادة الشهداء في الدنيا والآخرة[3].

وجاء في (معالي السبطين) نقلاً عن (الدمعة الساكبة) أن الحوراء زينب لما قالت ليلة العاشر من المحرم لأخيها الحسين: أخي هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنة؟ فبكى الحسين (ع) وقال لها: أما والله لقد لهزتهم وبلوتهم وليس فيهم الأشوس الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه[4].

وجاء في زيارة الناحية المقدسة عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه)سلام عليكم يا خير أنصار، السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، بوأكم الله مبوأ الأبرار، اشهد لقد كشف الله لكم الغطاء، وكنتم عن الحق غير بطاء، وانتم لنا فرطاء، ونحن لكم خلطاء في دار البقاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[5].

وقول الإمام (عجل الله فرجه أشهد لقد كشف الله لكم الغطاء ومهد لكم الوطاء، أشار بذلك إلى ما ورد عن الإمام الصادق (ع) انه قال لأبي عمارة بعدما سأله عن أصحاب الحسين (ع) وإقدامهم على الموت: قال: يا أبا عمارة انهم كشف لهم الغطاء حتى رأوا منازلهم من الجنة، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء

---

(١) (المصدر السابق): ص١١٧.

(٢) (المصدر السابق): ص١١٧.

(٣) راجع (البحار) ج١٠١ ص١٤٩.

(٤) (معالي السبطين) ص٢١٢، وينقله السيد المقرم ص١٢٩.

(٥) (البحار) ج٤٥ ص٧٣ نقلاً عن (الإقبال) للسيد ابن طاووس.

يعانقها والى مكانه من الجنة[1].

وكان ذلك ليلة العاشر من المحرم، وأما يوم العاشر فقد خطب الحسين (ع) فيهم بعد فراغه من الصلاة قائلاً:

الحسين (ع) يحرض أصحابه على الجهاد، وتلبيتهم له

يا أصحابي هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها وأينعت ثمارها وزينت قصورها. وتألفت ولدانها وحورها، وهذا رسول الله (ص) والشهداء الذين قتلوا معه، وأبي وأمي يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم وهم مشتاقون إليكم، فحاموا عن دين الله وذبوا عن حرم رسول الله، ثم إنه (ع) صاح بأهله أن: أخرجن إليهم، فخرجت حرائر الرسالة وبنات الزهراء من الخيمة وصحن:

يا معشر المسلمين ويا عصبة المؤمنين الله الله حاموا عن دين الله وعن إمامكم وابن بنت نبيكم فقد امتحنكم الله بنا فأنتم جيراننا وفي جوار جدنا والكرام علينا وأهل مودتنا فدافعوا بارك الله فيكم عنا.

فعندها بكى الحسين (ع) وصاح: يا أمة القرآن هذه الجنة فاطلبوها وهذه النار فاهربوا منها، فأجابوا بالتلبية وضجوا بالبكاء والنحيب وقالوا: أنفسنا دون أنفسكم ودماؤنا دون دماؤكم وأرواحنا لكم الفداء وقد وهبنا للسيوف فيكم أبداننا وللطير لحومنا ولا يصل إليكم أحد بمكروه وفينا عرق يضرب[2].

ولقد وفوا بما قالوا، وما زالوا يجاهدون ـ بكل صبر وثبات ـ بين يدي الحسين جهاد الأبطال العظام حتى قتلوا بأجمعهم.

ولم يبق إلا واحد الناس واحداً ... يكابد من أعدائه ما يكابد

---

(١) (علل الشرائع) ج١ ص٢٢٩.

(٢) (مقتل الحسين) للسيد آل بحر العلوم نقلاً عن (ينابيع المودة) للقندوزي باب ٦١، و(أسرار الشهادة) للدربندي ص١٧٥.

المجلس السابع والخمسون

يوم عاشوراء يوم حزن ومصيبة من آدم إلى الخاتم

من قصيدة للشيخ عبد الحسين الأعسم :

حـرام عـلى أجفانـنا بعـدك الكـرى ... مدى العمر ليت العمر بعدك يحتف

بمـن بعـدك العلـيا تـرنح عطفهـا ... وتختـال في جلـبابها تـتغطرف

ومـن لعفـات الـناس بعـدك يغـتدي ... سحاب ندىً يجدي عليهم ويسعف

ومـن ليـتامى الـناس بعـدك يغـتدي ... أبـر أبٍ يحـنو علـيهم ويعطـف

تجاوبـت الدنـيا عليـك مآتمـاً ... نواعـيك فـيها للقـيامة عكـف

فـلم نـر رزءاً مـثل رزئـك فجعـةً ... تكـاد لـه عـوج الضـلوع تـثقف

مصـاب لَـه السبع السـموات أسبلت ... دمـوع دم والجـن بالـنوح تهـتف

وهل كيف لا يشجي السموات قتل من ... بخدمـته أملاكهـا تتشـرف

وقطّـع أحشـائي انقطـاع كـرائم ... لأحمـد يستعطفن مـن ليس يعطـف

وجفت من الروس الدموع فإن بكت ... فمـا هـي إلا مـن دم القلـب تـرعف

ومخلسةٍ مـن دهشـة الخطـب لم تطـق ... نشـيجاً سـوى أن المدامـع ذرف

بـدت حاسـرات بـين ولهـى تأوهـت ... من الهتك قد ودت بها الأرض تخسف

بـرغم العـلا تسـبى بـنات محمـد ... عـلى هـزل يطـوي بهـا البيد معـنف

تلاحـظ فـوق السـمر رأسـاً قلوبهـا ... تحـوم عـلى أنـواره وترفـرف

أحامل ذاك الرأس قل لي برأس من تمايل هذا السمهري المثقف؟
ألم تعه يتلو الكتاب ونوره يشق ظلام الليل والليل مسدف؟[1]

يقول هذا الأديب العالم الشيخ عبد الحسين الأعسم في قصيدته هذه يخاطب الإمام الحسين (ع) - صاحب المصاب في مثل هذا اليوم - يقول:

تجاوبت الدنيا عليك مآتماً نواعيك فيها للقيامة عكف

أقول: - فهل يعني - هذا الشاعر - أن الدنيا تجاوبت عليه مآتماً منذ قتل (ع) وإلى الآن؟ لا، بل تجاوبت الدنيا عليه بالمآتم والنواعي من أولها وإلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ويورثها لأوليائه.

ولعل أول من بكى على الحسين (ع) وأقام المآتم عليه هو أبونا آدم (ع) بعد أن أخرج من الجنة مباشرة، وكان الناعي للحسين يومئذ هو أمين الوحي جبرئيل، والباكي عليه آدم وجبرئيل بكيا عليه معاً بكاء الثكلى، كما جاء في الحديث الذي رواه صاحب كتاب الدر الثمين في تفسير قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ البقرة/٣٨.

وذلك حينما أهبط آدم وحواء من الجنة إلى أرض الدنيا، وندم آدم على ما صدر منه من أكل الشجرة المنهي عنها، وأخذ في البكاء من خشية الله عزوجل هنا أدركته الرحمة الإلهية بأن لقنه الله وتلقى منه تعالى كلمات ليتوسل بها إليه حتى يتوب عليه، وإليها يشير قوله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ حيث كشف الله له عن بصره بإزالة الحجب وتقوية البصر حتى أراه ساق العرش، يقول صاحب الدر الثمين: انه رأى ساق العرش، وأسماء النبي والأئمة (صلوات الله عليهم) فلقنه جبرئيل وقال: قل: يا حميد بحق محمد (ص) يا علي بحق علي يا فاطر بحق فاطمة يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسان.

---

(١) (الدر النضيد) ص١٤٧ ط بمبي.

فلما ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: يا أخي جبرئيل في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟ قال جبرئيل: ولدك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب، فقال: يا أخي وما هي؟ قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه واقلة ناصراه، حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فلم يجبه أحد إلا بالسيوف وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المنان، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى.

وإلى هذا الحديث يشير الشيخ صالح الكواز مخاطباً الحسين:

كفى بيومك حزناً أنه بكيت ... له النبيون قدماً قبل أن يقعا

بكاك آدم حزناً يوم توبته ... وكنت نوراً بساق العرش قد سطعا[1]

ولقد استمرت المآتم والحزن والبكاء على الحسين من رسل الله وأنبيائه وأوليائه الذين بشرهم الله بمحمد وآل محمد (ص)[2].

فقد بكاه آدم ونوح، وإبراهيم وإسماعيل، وموسى وعيسى، وزكريا ويحيى، والخضر وسليمان وغيرهم من الأنبياء والمرسلين[3].

وأما جده خاتم النبيين فقد أقام المآتم والبكاء على حبيبه الحسين في مقامات عديدة، يوم ولادته وقبلها، ويوم السابع من مولده وبعده، في بيت فاطمة وفي حجرته، وعلى منبره وفي بعض أسفاره، تارة يبكيه وحده، ومرة هو والملائكة، وأحياناً هو وعلي وفاطمة كما قال الشريف الرضي في بعض قصائده العامرة:

---

(١) (الدر النضيد) ص١٤٥.

(٢) راجع كتابنا (قبس من القرآن) الفصل الثالث منه (الرسول الأعظم وبشائر الأنبياء به) ص٤٨ - ١٥٨ ط الأولى ١٣٧٠هـ.

(٣) راجع (البحار) ج٤٤ ص٢٢٣- ص٢٤٩ باب إخبار الله تعالى انبيآءه ونبينا بشهادته.

ميـــت تـــبكي لـــه فاطمـــة وأبوهـــا وعلـــي ذو العـــلا

إذن ما علينا ـ في مثل هذا اليوم ـ إلا أن نكون مواسين لنبينا بهذا المصاب العظيم.

مصـاب لـه السبع السـموات أسبلت دمـــوع دم والجـــن بالـــنوح تهـــتف

وهـل كيف لا يشجي السموات قتل من بخدمـــــته أملاكهـــــا تتشـــــرف

يقول الإمام الصادق (ع) فيما ورد عنه: إن أبا عبد الله الحسين (ع) لما قتل بكت عليه السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن وما يتقلب في الجنة والنار من خلق ربنا وما يرى وما لا يرى[1].

وإنما بكته الكائنات كلها من العالمين العلوي والسفلي، والدنيا والآخرة إذ لا يوم كيومه في عظيم مصابه كما جاء عن أبيه أمير المؤمنين وأخيه الحسن المجتبى أنهما قالا له: لا يوم كيومك يا أبا عبد الله[2].

وهكذا قال الإمام زين العابدين لأبي حمزة الثمالي على ما روى شيخنا الصدوق في كتابيه الأمالي، والخصال بسنده عن أبي حمزة الثمالي أنه قال: نظر سيد العابدين علي بن الحسين (ع) إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب فاستعبر باكياً ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله (ص) من يوم أحد قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب، ثم قال: ولا يوم كيوم الحسين (ع) ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عزوجل بدمه، وهو يذكرهم بالله فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً .. الخ[3].

---

(١) (البحار) ج٤٥ ص٢٠٥ نقلاً عن الكامل من طريقين، وإقناع اللائم ص٢٣ نقلاً عن أمالي الشيخ الطوسي.

(٢) (معالي السبطين) ج٢ ص٣.

(٣) (الأمالي) للصدوق ص٢٧٧، والخصال له ص٦٨، وبطل العلقمي للمظفري ج٢ ص١٠٨ وغيرهم.

لم أنسه إذ قام فيهم خاطباً ... فإذا هُمُ لا يملكون خطابا
يدعو ألست أنا ابن بنت نبيكم ... وملاذكم إن صرف دهر نابا
هل جئت في دين النبي ببدعة ... أم كنت في أحكامه مرتابا
أم لم يوصِّ بنا النبي وأودع الـ ... ثقلين فيكم عترة وكتابا
إن لم تدينوا بالمعاد فراجعوا ... أحسابكم إن كنتم أعرابا
فغدوا حيارى لا يرون لوعظه ... إلا الأسنة والسهام جوابا[1]

نعم وقف أمامهم وهو ملتحف ببردة رسول الله (ص) وقد أفرغ عليه درعه الفاضل، متقلداً سيفه، مستوياً على متن جواده، وهو غاص في الحديد يناديهم: يا قوم ويلكم على مَ تقاتلونني؟ على حق تركته؟ أم على شريعة بدّلتها؟ أم على سنة غيرتها؟ فقالوا: نقاتلك بغضاً لأبيك بما فعل بأشياخنا يوم بدر وحنين[2].

سماع زين العابدين استغاثة أبيه وخروجه من الخيمة لنصرته

فلما يئس من هدايتهم عزم على ملاقاة الحتوف وتوجه إلى خيم النساء لوداع العيال وهو يستغيث وينادي - لإلقاء الحجة على القوم - : هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله (ص)، هل من موحد يخاف الله فينا، هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا، هل من معين يرجو ما عند الله في إغاثتنا، فارتفعت أصوات النساء بالعويل، وسمع زين العابدين استغاثته، وكان مريضاً لا يقدر أن يسل سيفه.

نعم أيها الأخوة المؤمنون: كان علي بن الحسين زين العابدين (ع) - الذي هو الإمام والحجة لله بعد أبيه - له من العمر يوم الطف ثلاثاً وعشرين سنة وكان قد خرج مع أبيه الحسين من المدينة إلى مكة، ومنها إلى العراق ومعه زوجته فاطمة بنت عمه الحسن،

---

(١) أبيات من قصيدة عامرة للمرحوم العلامة السيد رضا الهندي.

(٢) (معالي السبطين) ج٢ ص٥٠ نقلاً عن بعض المقاتل.

ومعه ولده محمد الباقر له من العمر أربع سنين وكان بأتم الصحة والعافية، ولكن بعد نزول أبيه الحسين بكربلاء ابتلاه الله بمرض الإسهال، كما ورد عن ولده الباقر (ع) أنه قال: كان أبي علي بن الحسين مبطوناً يوم قتل أبوه.

علة ابتلائه بالمرض، ووصية الحسين له ولعياله

وإنما ابتلاه الله بالمرض ليكون عذراً له عن الجهاد بين يدي أبيه الحسين (ع) لأن الله أراده حجة على خلقه بعد أبيه، ولذلك ابتلاه بالمرض الشديد بحيث لا يستطيع المشي لشدة مرضه إلا أن يتكئ على عصا، ولكن مع ذلك لما سمع نداء أبيه لم يستطع صبراً دون أن قام من فراش المرض وهو يقول: عمتاه علي بالسيف والعصا لأجاهد بين يدي ابن رسول الله فلا خير في الحياة بعده، وأم كلثوم تناديه: يا بني ارجع، فقال: يا عمتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول الله، وحينما رآه الحسين وقد خرج من الخيمة انقض عليه كالصقر واحتمله وأرجعه إلى الخيمة، وقال: يا ولدي ما تريد أن تصنع؟ قال: يا أبة إن نداءك قد قطع نياط قلبي وهيج ساكن لبي، أريد أن أفديك بروحي وأقيك بنفسي، فقال: يا ولدي أنت مريض وليس عليك جهاد، وأنت الحجة والإمام على أمة جدي من بعدي، وأنت أبو الأئمة وكافل الأيتام والمتكفل للأرامل، وأنت الراد للحرم إلى المدينة، وحاشا الله أن يبقي الأرض بلا حجة من نسلي، وكأني بك يا ولدي أسيراً ذليلاً مغلولةً يداك موثوقة رجلاك، فقال علي بن الحسين: أبتاه أتقتل وأنا أنظر إليك ليت الموت أعدمني الحياة روحي لروحك الفدى ونفسي لنفسك الوقا[1].

ثم إن الحسين (ع) ضمه إلى صدره وقال له: أنت أطيب ذريتي وأفضل عترتي، وأنت خليفتي على هؤلاء العيال والأطفال فإنهم غرباء مخذولون قد شملتهم الذلة واليتم وشماتة الأعداء ونوائب الزمان، سكّتهم إذا صرخوا وآنسهم إذا استوحشوا

---

(١) (معالي السبطين) ج٢ ص١٢.

وسلّ خواطرهم بلين الكلام فإنه ما بقي من رجالهم من يستأنسون به غيرك ولا أحد عندهم يشكون إليه حزنهم سواك دعهم يشمود. وتشمهم، ويبكوا عليك وتبكي عليهم.

ثم لزمه بيده وصاح بأعلى صوته: يا زينب ويا أم كلثوم ويا سكينة ويا رقية ويا فاطمة ويا فلانة ويا فلانة اسمعن كلامي واعلمن أن ابني هذا خليفتي عليكم، وهو إمام مفترض الطاعة:

أوصيكم خيراً بأكرم من به ... حملت بطون بعده وظهور

فهو الولي على الورى وخليفتي ... فيكم ومن يلقى له التأمير

ثم قال (ع): يا ولدي ابلغ شيعتي عني السلام وقل لهم: إن أبي مات غريباً فاندبوه ومضى شهيداً فابكوه[1].

ثم إن الحسين (ع) ضمه إلى صدره، وأوصى إليه بالاسم الأعظم ومواريث الأنبياء (ع) وعرفه أنه قد دفع العلوم والمصاحف والسلاح إلى أم سلمة (رض) وأنه أمرها أن تدفع جميع ذلك إليه.

ودعا أيضاً بابنته فاطمة الكبرى ودفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وأمرها أن تسلمه إلى أخيها علي بن الحسين، ولما قتل الحسين ورجع أهل بيته إلى المدينة دفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين، وسئل العالم، أي الإمام الباقر (ع): أي شيء كان في الكتاب؟ فقال: فيه والله جميع ما يحتاج إليه ولد آدم إلى فناء الدنيا وقيام الساعة، وقد صار إلينا[2].

---

(١) (المصدر السابق) ص١٢ نقلاً عن الدمعة الساكبة.

(٢) راجع (إثبات الوصية) للمسعودي ص١٤٠، و(البحار) ج٤٦ ص١٨ - ص١٩ نقلاً عن الكافي ج١ ص ٣٠٣، وغيبة الشيخ الطوسي ص١٢٨ ط تبريز، واعلام الورى ص١٥٢ ومناقب ابن شهر آشوب ج٢ ص٣٠٨ وراجع مقتل الحسين للسيد آل بحر العلوم نقلاً عن ناسخ التواريخ.

وداع الحسين (ع) لعياله، وأمره لهم بالصبر

آجركم الله أيها المؤمنون فإن إمامكم الحسين لما عزم أخيراً على لقاء القوم بمهجته نادى عيالاته بأسمائهم: يا زينب ويا أم كلثوم ويا فلانة ويا فلانة هلممن إلى الوداع فهذا آخر الاجتماع وقد قرب منكن الافتجاع، فعلت أصواتهن بالبكاء والعويل وصحن الوداع الوداع الفراق الفراق فنادته سكينة: يا أبتاه أراك استسلمت للموت؟ فقال: يا نور عيني كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين ورحمة الله ونصرته لا تفارقكم في الدنيا والآخرة، فاصبري على قضاء الله ولا تشكّي فإن الدنيا فانية والآخرة باقية، فقالت: ردنا إلى حرم جدنا رسول الله (ص) فبكى الحسين بكاءً شديداً وقال: هيهات هيهات لو ترك القطا لغفا ونام، فرفعت سكينة صوتها بالبكاء والنحيب فضمها الحسين إلى صدره ومسح دموعها بكمه وهو يقول:

سيطول بعدي يا سكينة فاعلمي ... منك البكاء إذ الحمام دهاني

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرة ... ما دام مني الروح في جثماني

فإذا قتلت فأنت أولى بالذي ... تأتينه يا خيرة النسوان

ثم إن الحسين دعاهن بأجمعهن وأمرهن بالصبر وقال لهن:

استعدوا للبلاء واعلموا أن الله حاميكم وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء. ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذب أعاديكم بأنواع العذاب، ويعوضكم الله عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص قدركم، ثم أمرهن بلبس أزرهن ومقانعهن، فسألته الحوراء زينب عن ذلك فقال: كأني أراكم عن قريب غير بعيد كالإماء والعبيد يسوقونكم أمام الركاب ويسومونكم سوء العذاب، فبكت الحوراء ونادت يا جداه واقلة ناصراه واسوء منقلباه واسوء صباحاه، فقال لها الحسين: مهلاً يا بنت المرتضى إن البكاء طويل أمامكم، وصبّرها وأمر يده على صدرها، وذكرها بما أعد الله من الثواب للصابرين، وما أعد من أنواع الكرامات

للمقربين، فرضيت وأظهرت الفرح والسرور في وجهه، وقالت: طب نفساً وقر عيناً فإنك تجدني كما تحب وترضى.

ثم قال: أخي آتيني بثوب عتيق لا يرغب فيه أحد أجعله تحت ثيابي لئلا أجرد منه بعد قتلي فإني مقتول ومسلوب فارتفعت أصوات النساء بالبكاء والعويل، فأتوه بتبان - وهو لباس قصير - فقال (ع): هذا لباس من ضربت عليه الذلة، وهو لباس أهل الذمة، فجاؤا إليه بثوب خلق عتيق فخرقه وجعله تحت ثيابه.

وفي بعض المقاتل لما أراد أن يتقدم إلى الحرب والقتال نظر يمنة ويسرة ونادى ألا هل من يقدم لي جوادي فسمعته أمّ المصائب زينب فقامت وأتت إليه بالجواد تقوده وهي تقول: لمن تنادي وقد قرحت فؤادي يقول الراثي:

من ذا يقدم لي الجواد ولامتي ... والصحب صرعى والنصير قليل
فأتته زينب بالجواد تقوده ... والدمع من ذكر الفراق يسيل
وتقول: قد قطعت قلبي يا أخي ... حزناً فياليت الجبال تزول
ولمن تنادي والحماة على الثرى ... صرعى ولا منهم يبل غليل
ما في الخيام وقد تفانى أهلها ... إلا نساء ولّةٌ وعليل
أرأيت أختاً قدمت لشقيقها ... فرس المنون ولا حمى وكفيل
فتبادرت منه الدموع وقال: يا ... اختاه صبراً فالمصاب جليل
فبكت وقالت: يا ابن امي ليس لي ... وعليك بالصبر الجميل جميل
يا نور عيني يا حشاشة مهجتي ... من للنساء الضائعات دليل؟
ورنت إلى نحو الخيام بعولةٍ ... عظمى تصب الدمع وهي تقول:
قوموا إلى التوديع إن أخي دعا ... بجواده إن الفراق طويل
فخرجن ربات الحجال عواثراً ... وغدا لها حول الحسين عويل
الله ما حال العليل وقد رأى ... تلك المدامع للوداع تسيل

وصف زيارة الناحية لجواد الحسين (ع) وعياله، ومصرعه

أقول: كثر عويل النساء والأطفال وبكاؤهم عندما دعا الحسين (ع) بجواده ليركبه ويتوجه إلى المعركة، إذن كيف كانت حالتهم بعد ساعة - حينما جاء ذلك الجواد خالياً من راكبه ملطخ الناصية بدمه يسحق عنانه برجله، وهو يقول: الظليمة الظليمة من أمةٍ قتلت ابن بنت نبيها.

وقوع المصيبة العظمى

نعم يصف حالهم الإمام المهدي فيما ورد عنه في الزيارة التي خرجت من ناحيته المقدسة - وهو المعزى هذا اليوم - يقول (عجل الله فرجه) فيها: وأسرع فرسك شارداً إلى خيامك قاصدا. محمحماً باكياً، فلما رأين النساء جوادك مخزياً، ونظرن سرجه عليه ملوياً، برزن من الخدور ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، وعن الوجوه سافرات، وبالعويل داعيات وبعد العز مذللات، والى مصرعك مبادرات، والشمر جالس على صدرك، ومولع سيفه على نحرك قابض شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك وخفيت أنفاسك، ورفع إلى القنا رأسك.

يا راس مفترس الضياغم في الوغى ... كيف انثنيت فريسة الأوغاد

حاشاك يا غيض الحواسد أن ترى ... في النائبات شماتة الحساد

المجلس الثامن والخمسون

دعاء الإمام الصادق (ع) للزائرين يوم عاشوراء وجهاد الحسين (ع) ومصرعه

قصيدة بالمناسبة للأديب الأعسمي :

قد أوهنت جلدي الديار الخاليه ... من أهلها ما للديار ومالـيه

ومتى سألت الدار عن أربابها ... يعد الصدى فيها سؤالي ثانيه

كانت غياثاً للمنوب فأصبحت ... لجميع أنواع النوائب حاويه

ومعالم أضحت مآتم لا يرى ... فيها سوى ناع يجاوب ناعيه

ورد الحسين إلى العراق وظنهم ... تركوا النفاق إذ العراق كما هيه

ولقد دعوه للعنا فأجابهم ... ودعاهم لهدى فردوا داعيه

قست القلوب فلم تمل لهدايةٍ ... تباً لهاتيك القلوب القاسيه

ما ذاق طعم فراتهم حتى قضى ... عطشاً فغسّل بالدماء القانيه

يا بن النبي المصطفى ووصيه ... وأخا الزكي ابن البتول الزاكيه

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة ... لكنما عيني لأجلك باكيه

تبتل منكم كربلا بدم ولا ... تبتل مني بالدموع الجاريه

أنست رزيتكم رزايانا التي ... سلفت وهونت الرزايا الآتيه

وفجائع الأيام تبقى مدةً ... وتزول وهي إلى القيامة باقيه

لهفي لركب صرعوا في كربلا ... كانت بها آجالهم متدانيه
تعدو على الأعداء ضامية الحشا ... وسيوفهم بدم الأعادي راويه
نصروا ابن بنت نبيهم طوبى لهم ... نالوا بنصرته مراتب ساميه
قد جاوروه ههنا بقبورهم ... وقصورهم يوم الجزا متحاذيه
ولقد يعز على رسول الله أن ... تسبى نساه إلى يزيد الطاغيه
ويرى حسيناً وهو قرة عينه ... ورجاله لم تبق منهم باقيه
وجسومهم تحت السنابك بالعرى ... ورؤوسهم فوق القنا متعاليه
ويرى ديار أمية معمورةً ... وديار أهل البيت منهم خاليه
تالله إنك يا يزيد قتلته... ... سراً بقتلك للحسين علانيه
ترقى منابر قوّمت أعوادها ... بضبا أبيه لا أبيك معاويه
أبني أمية هل دريت بقبح ما ... دبّرت أم تدرين غير مباليه
أو ما كفاك قتال أحمد سابقاً ... حتى عدوت على بنيه ثانيه
أين المفر ولا مفر لكم غداً ... فالخصم أحمد والمصير الهاويه
وإذا أتت بنت النبي لربها ... تشكو ولا تخفى عليه خافيه
ربّ انتقم ممن أبادوا عترتي ... وسبوا على عجف النياق بناتيه
والله يغضب للبتول بغير أن ... تشكو فكيف إذا أتته شاكيه[1]

يقول دعبل مخاطباً الزهراء (ع):

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا ... وقد مات عطشانا بشط فرات
إذن للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات

ويقول الآخر:

أفاطم قومي واقعدي اليوم للعزا ... فإن حسينا قد دهاه حمام

---

(١) راجع القصيدة في (الدر النضيد) ص٢١٤- ص٢١٦.

حديث معاوية بن وهب مع الإمام (ع)

روي عن معاوية بن وهب - وهو أحد أصحاب الإمام الصادق (ع) المخلصين له - قال: دخلت يوم عاشوراء إلى دار سيدي ومولاي جعفر بن محمد الصادق (ع) فرأيته ساجداً في محرابه، وفي نص: استأذنت على أبي عبد الله (ع) فقيل لي: ادخل فدخلت فوجدته في مصلاه في بيته فجلست حتى قضى صلاته.

فجلست من ورائه حتى فرغ، فأطال في سجوده وبكائه، فسمعته وهو يناجي ربه ويقول وهو ساجد:

اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وحمّلنا الرسالة، وجعلنا ورثة الأنبياء، وختم بنا الأمم السالفة، وخصّنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولأخواني، ولزوار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين انفقوا أموالهم في حبه، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برنا، ورجاءً - لما عندك - في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك محمد (ص)، وأجابة منهم لأمرنا، وأكلأهم بالليل والنهار، وأخلفهم في أهاليهم وأولادهم وما خلفوا أحسن الخلف، واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وأقربائهم.

اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم خروجهم، فلم ينههم ذلك عن النهوض والشخوص إلينا، خلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي حزنت واحترقت بالحزن لأجلنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لأجلنا.

اللهم إني استودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتى ترويهم من حوض الكوثر يوم العطش الأكبر، وتدخلهم الجنة، وتسهل عليهم الحساب، إنك أنت الكريم

الوهاب.

قال: فما زال يدعو لأهل الإيمان، ولزوار قبر الحسين (ع) وهو ساجد في محرابه - فلما رفع رأسه أتيت إليه، وسلمت عليه، وتأملت في وجهه، فإذا هو كاسف اللون، متغير الحال، ظاهر الحزن، دموعه تنحدر - على خديه - كاللؤلؤ الرطب، فقلت: يا سيدي مم بكاؤك؟ لا أبكى الله لك عينا؟ وما الذي حل بك؟ فقال لي: أ وفي غفلة أنت عن هذا اليوم؟ أما علمت أن جدي الحسين قد قتل في مثل هذا اليوم؟ قال: فبكيت لبكائه، وحزنت لحزنه، وقلت له: يا سيدي فما الذي أفعل في هذا اليوم؟ فقال: يا بن وهب زر الحسين من بعيد أقصى، أو من قريب أدنى، وجدد الحزن عليه، وأكثر البكاء والشجون، (والشجو) له، فقلت: يا سيدي لو أن الدعاء الذي سمعته منك - وأنت ساجد - كان لمن لا يعرف الله لظننت أن النار لا تطعم منه شيئاً، والله لقد تمنيت أني كنت زرته قبل أن أحج، فقال لي: فما يمنعك من زيارته يا بن وهب؟ ولِمَ تدع ذلك؟ فقلت: لم أدر أن الأجر يبلغ هذا كله، حتى سمعت دعاءك لزواره.

فقال (ع): يا بن وهب إن الذي يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض، فإياك أن تدع زيارة - الحسين - لخوفٍ من أحد فإن من تركه رأى من الحسرة والندم ما يتمنى أن قبره كان عنده، أما تحب أن يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والأئمة (ع)؟ أما تحب أن تكون ممن ينقلب بالمغفرة لما مضى من ذنوبه؟ أما تحب ان تكون ممن يخرج من الدنيا وليس عليه ذنب يتبع به؟ أما تحب أن نكون ممن يصافحه غداً رسول الله (ص) يوم القيامة؟ فقلت: يا سيدي فما تقول في صومه في غير تبييت؟ فقال لي: لا تجعله صوم يوم كامل، وليكن افطارك بعد العصر بساعة على شربة من ماء فإنه في ذلك الوقت انجلت الهيجاء عن آل الرسول، وانكشفت الغمة عنهم ومنهم في الأرض ثلاثون قتيلاً في مواليهم من أهل البيت، يعز

على رسول الله مصرعهم، ولو كان حياً لكان هو المعزى[1].

نعم نعزي رسول الله (ص) - في هذا اليوم - وهو حي عند ربه يرزق ونخاطبه بما خاطبه الشريف الرضي:

يا رسول الله لو عاينتهم ... وهمُ ما بين قتلى وسبا

من رميض يمنع الظل ومن ... عاطش يسقى أنابيب القنا

ومسوق عاثر يسعى به ... خلف محمول على غير وطا

لرأت عيناك منهم منظراً ... للحشا شجواً وللعين قذا[2]

قال معاوية بن وهب: وبكى الإمام الصادق (ع) حتى اخضلت لحيته بدموعه، ولم يزل كئيباً طول يومه ذاك، وأنا أبكي لبكائه وأحزن لحزنه[3].

---

(١) ونظير سؤال معاوية بن وهب من الإمام الصادق (ع) سؤال عبد الله بن سنان حيث دخل أيضاً على الإمام يوم عاشوراء يقرن: فألفيته كاسف اللون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت له: يا بن رسول الله مم بكاؤك لا أبكى الله عينك؟ فقال لي: أو في غفلةٍ أنت؟ أما علمت أن الحسين بن علي (ع) أصيب في مثل هذا اليوم؟ قلت: يا سيدي فما قولك في صومه؟ فقال لي: صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله صوم يوم كاملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلت الهيجاء عن آل رسول الله (ص) وانكشفت الملحمة عنهم وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم يعز على رسول الله مصرعهم، ولو كان في الدنيا يومئذ حياً لكان هو المعزى بهم.. الخ. راجع (البحار) ج٤٥ ص٦٣ نقلاً عن مصباح الشيخ الطوسي ص٥٤٧.

(٢) راجع القصيدة في (الدر النضيد) ص٢ ط بمبي.

(٣) راجع الحديث بطوله في (المنتخب) للطريحي ج٢ ص٣٢٢ ط بيروت، الأعلمي، و(مقتل الحسين) للسيد آل بحر العلوم ص٥٧٨، وروى الحديث أيضاً ابن قولويه في كامل الزيارات من طرق وأسانيد عديدة من ص١١٦- ص١٢٦ ونقله عنه المجلسي في البحار ج١٠١ ص٨ وص٥١ ونقله السيد المقرم في مقتل الحسين ص٣١ عن الكافي للكليني والكامل لابن قولويه، إلا ان الكليني وابن قولويه لم يذكرا أن دخول معاوية بن وهب كان يوم عاشوراء، والله أعلم.

يقول الأعسمي يخاطب الحسين (ع):

يـا بـن الـنبي المصـطفى ووصـيه ... وأخـا الـزكي ابـن البـتول الزاكـية
تبكـيك عـيني لا لأجـل مـثوبة ... لكـنما عـيني لأجلـك باكـيه
تبـتل مـنكم كـربلا بـدم ولا ... تبـتل مـني بـالدموع الجاريـه
أنسـت رزيـتكم رزايانـا الـتي ... سـلفت وهونـت الـرزايا الآتـيه
وفجـائع الأيـام تـبقى مـدة ... وتـزول وهـي إلى القـيامة باقـيه

وقوف الحسين على مصارع أصحابه واستغاثته

ذكر أرباب السير والمقاتل: أن الحسين (ع) لما بقي وحيداً فريداً وقد قتل جميع أصحابه وأهل بيته، ورآهم على وجه الأرض مجزرين كالأضاحي، ولم يجد أحداً ينصره ويذب عنه وعن حريمه، وهو إذ ذاك يسمع عويل العيال وصراخ الأطفال.

يـرى قومـه صـرعى ويـنظر نسـوة ... تجلـببن جلـباب الـبكا والمـآتم

كأني به قد وقف على مصارع أصحابه وأهل بيته وجعل يناديهم بأسمائهم: أين حبيب أين زهير أين مسلم أين فلان وأين فلان يا أبطال الصفا ويا فرسان الهيجا ما لي أناديكم فلا تسمعون، وأدعوكم فلا تجيبون.

ثم نادى أين ولدي علي، أين ابن أخي القاسم، أين شديد البأس أين أبو الفضل العباس استوحدوني القوم بعدك يا أخي.

ثم إن الحسين (ع) عزم على ملاقاة الله عزوجل فتوجه إلى الخيام لوداع العيال والأطفال وهو في طريقه يستغيث وينادي ـ لإلقاء الحجة على القوم ـ: يا قوم أما من مجير يجيرنا، أما من مغيث يغيثنا، أما من طالب حق فينصرنا، أما من خائف فيذب عنا، فعلا البكاء والصراخ من بنات الرسالة حينما سمعن استغاثته وهن ينادين يا جداه يا رسول الله، يا علياه يا حسناه يا حسيناه، فأمرهن الحسين بالسكوت وودعهن.

مصرع عبد الله الرضيع

دعا (ع) بابنه عبد الله الرضيع ليودعه وأمه الرباب بنت امرئ القيس وكان له من العمر ستة أشهر، فقيل له: ان له مدة ما شرب الماء، وجيء به إليه فأخذه وتوجه به إلى القوم، وجعل يناديهم يا قوم قتلتم أخوتي وأولادي وأهل بيتي وأنصاري وما بقي غير هذا الطفل الرضيع وهو يتلظى عطشاً من غير ذنب أتاه، فاسقوه شربة من الماء، يا قوم إن لم ترحموني فارحموا هذا الطفل الرضيع، يا قوم لقد جف اللبن في ثديي أمه، يا قوم إن كان ذنب للكبار فما ذنب هذا الرضيع.

فدعا الأقوام يا لله للخطب الفضيع نبئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع
لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

والله ما لاحظوه ولا رحموه بل فطموه بسهم محدد مسموم، رماه به حرملة بن كاهل الأسدي فذبحه به من الوريد إلى الوريد ـ ساعد الله قلبك يا أبا عبد الله كيف حالك تلك الساعة ـ يقول بعض الرواة: وضع الحسين كفه تحت نحر الطفل فلما امتلأت دماً رمى به نحو السماء يقول الإمام الباقر (ع): فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض.

وقال الحسين يا نفس اصبري واحتسبي فيما أصابك، ثم قال: هوّن ما نزل بنا أنه بعين الله، اللهم لا يكن أهون عليك من فصيل ناقة صالح، اللهم ان كنت حبست عنا النصر فاجعل ذلك لما هو خير لنا، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، ونودي من السماء: يا حسين دعه فان له مرضعة في الجنة.

ثم رجع بالطفل مذبوحاً ودمه يجري على صدره، فاستقبلته سكينة وهي شقيقته وقالت: يا أبة لعلك سقيت أخي الماء، وبقي منه شيء أبرد به كبدي؟ قال: بنية هاك أخاك مذبوحاً بسهم الأعداء، كأني بها انحنت عليه تقبله وتنوح عليه وتنادي وا أخاه وارضيعاه ويقول حجة آل محمد (عجل الله فرجه) ـ كما في زيارة الناحية ـ:

السلام على عبد الله بن الحسين الطفل الرضيع المرمي الصريع، المتشحط دماً، المصعّد دمه في السماء، المذبوح بالسهم في حجر أبيه[1].

الحسين (ع) يتقدم إلى جهاد الأعداء

ثم إن الحسين (ع) ودع عياله وداعاً ثانياً، وأمرهم بالصبر على المحن والمصائب، والسكوت عما يشين بهم وينقص قدرهم، وتقدم إلى ميدان القتال، وعليه جبة خز دكناء، وعمامة موردة أرخى لها ذؤابتين، والتحف ببردة رسول الله (ص) ولبس درعه، وتقلد سيفه، آيساً من الحياة، عازماً على الموت، وحمل على الأعداء مصلتاً سيفه داعياً لهم إلى البراز وهو يقول:

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر
وجدي رسول الله أكرم من مضى ... ونحن سراج الله في الخلق نزهر
وفاطم أمي من سلالة أحمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب الله أنزل صادقا ... وفينا الهدى والوحي بالخير يذكر
ونحن أمان الله للناس كلهم ... نسر بهذا في الأنام ونجهر
ونحن ولاة الحوض نسقي ولاتنا ... بكأس رسول الله ما ليس ينكر
وشيعتنا في الحشر أكرم شيعةٍ ... ومبغضنا يوم القيامة يخسر
فطوبى لعبد زارنا بعد موتنا ... بجنة عدن صفوها لا يكدر[2]

وصار (ع) يقتل كل من برز إليه من عيون الرجال حتى قتل منهم جمعاً كثيراً، ثم حمل على الميمنة وهو يقول:

---

(١) (البحار) ج٤٥ ص٦٦، و(معالي السبطين) ج١ ص٢٥٨.

(٢) راجع (البحار) ج٤٥ ص٤٩، و(معالي السبطين) ج٢ ص٦، و(مقتل الحسين) للخوارزمي ص٣٢، وراجع (مقتل الحسين) للسيد آل بحر العلوم ص٥٨٨ نقلاً عن عدة مقاتل.

المـــوت أولى مـــن ركـــوب العـــار والعـــار أولى مـــن دخـــول الـــنار

ثم حمل على الميسرة وهو يقول:

أنـــا الحســـين بـــن علـــي آليـــت أن لا أنـــثني

أحمـــي عـــيالات أبـــي أمضـــي عـــلى ديـــن الـــنبي

قال بعض من شهد الواقعة: فوالله ما رأيت مكثوراً قط، قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشاً من الحسين، ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً، ولم أر قبله ولا بعده مثله، ولقد كانت الرجال لتشد عليه، فيشد عليها، فتنكشف بين يديه -إذا شد عليها- انكشاف المعزى إذا حل فيها الذئب[1].

وفي نص: ولقد كان يحمل فيهم، وقد تكاملوا ثلاثين ألفاً، فينهزمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر، ولم يثبت له أحد، ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول:

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حتى قتل منهم مقتلة عظيمة[2].

وفي بعض المقاتل أنه قتل منهم ألفاً وتسعمائة وخمسين رجلاً سوى المجروحين[3].

فزع القوم من حملات الحسين

فعند ذلك صاح عمر بن سعد بقومه: الويل لكم، أتدرون لمن تقاتلون؟ هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، احملوا عليه من كل جانب، -آجركم الله- حملوا كلهم على إمامنا وأحاطوا به من كل جانب ضرباً بالسيوف رمياً بالنبال وطعناً بالرماح ورضخاً بالصخور والحجارة

فوجهـــوا نحـــوه في الحـــرب أربعـــة السـيف والنـبل والخطـي والحجـرا

---

(١) (المصدر السابق) ص٥٩٠ نقلاً عن تاريخ الطبري ج٥ ص٤٥٢ وغيره كثير.

(٢) (المصدر السابق) نقلاً عن اللهوف.

(٣) (البحار) ج٤٥ ص٥٠ نقلاً عن المناقب لابن شهر آشوب، ومحمد بن أبي طالب.

حتى ورد عن إمامنا الباقر (ع) أنه قال: أصيب الحسين ووجد به ثلاثمائة وبضع وعشرون طعنة رمح وضربة بسيف ورمية بسهم، وقيل أصابته ألف وتسعمائة جراحة، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ، وروي أنها كانت في مقدّمه[1].

وهو في تلك الحال يطلب شربة من الماء حيث قد اشتد به العطش فلم يجيبوه، ثم توجه نحو المسناة يريد الفرات فاعترضته خيل ابن سعد - وفيهم رجل من بني أبان ابن دارم يسمى زرعة بن شريك - فقال لهم: ويلكم حولوا بينه وبين الفرات، ولا تمكنوه من الماء، فحالوا بينه وبين الفرات، فقال الحسين: اللهم أمته عطشاً، ولا تغفر له أبداً.

فغضب الدارمي ورماه بسهم أثبته في حنكه الشريف فانتزع الحسين السهم من حنكه وبسط يديه تحت الجرح فلما امتلأت راحتاه من الدم رمى به نحو السماء وقال: اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك، اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً.

فكان ذلك الرجل يطلب الماء في مرضه فيؤتى به فيشرب حتى يخرج من فيه وما زال على ذلك إلى أن مات عطشا[2].

---

(١) (البحار) ج٤٥ ص٥٢ عن عدة مصادر (ومعالي السبطين) ج٢ ص١٩.

(٢) راجع (مقتل الحسين) للسيد آل بحر العلوم ص٥٩٣ نقلاً عن مصادر عديدة منها مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٩١، وكتاب (مجابي الدعوة) للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد الأموي ص٣٨ ط بمبي، ومحب الدين الطبري الشافعي في (ذخائر العقبى) ص١٤٤، و(الصواعق المحرقة) لابن حجر ص١٩٥ ط مصر، وص١١٨ ط الميمنية، وذكرت هذه المصادر: أن هذا اللعين كان في حالة الموت يجود بنفسه، ويصيح من الحر في بطنه، والبرد في ظهره، وبين يديه المراوح والثلج، وخلفه الكانون، وهو يقول: اسقوني أهلكني العطش، فيؤتى بعس عظيم فيه الماء أو اللبن لو شربه خمسة لكفاهم، فيشربه، ويعود فيقول: اسقوني اهلكني العطش، وأخيراً انقد بطنه كانقداد البعير وأهلكه الله عطشاً، وقريب من هذا رواه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين ص٨٦، عن مقتل أبي مخنف، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج٤٥ ص٥١.

الحجر والسهم في جبهته ووجهه

ولما ضعف عن القتال وقف ليستريح ساعة، فبينما هو واقف إذ رماه رجل بحجر وقع في جبهته، فسالت الدماء على وجهه، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه وعينيه، فرماه لعين آخر من القوم بسهم محدد مسموم له ثلاث شعب وقع على قلبه، فقال الحسين:

بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ورفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن نبي غيره، ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه، فانبعث الدم كالميزاب فوضع يده على الجرح فلما امتلأت دماً رمى به إلى السماء، فلم يرجع من ذلك الدم قطرة، وما عرفت الحمرة في السماء من حين رمى الحسين بدمه إليها، ثم وضع يده ثانياً فلما امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته، وقال: هكذا أكون حتى ألقى جدي رسول الله وأنا مخضب بدمي، وأقول يا رسول الله قتلني فلان وفلان[1].

وهوى بضاحية الهجير ضريبة ... تحت السيوف بحدها المسنون[2]

مصرع عبد الله بن الحسن بن علي

وبعد سقوط الحسين صريعاً خرج عبد الله الأصغر بن الحسن بن علي (ع) وهو غلام لم يراهق من عند النساء يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين، فلحقته زينب بنت علي لتحبسه، وقال الحسين (ع): أحبسيه يا أختاه، فأبى وامتنع امتناعاً شديداً، وقال: والله لا أفارق عمي، وبقي واقفاً إلى جنب عمه الحسين وهو صريع على وجه الأرض. فلما أهوى أبحر بن كعب بالسيف إلى الحسين ليضربه قال له الغلام: ويلك يا

---

(١) مقتل الخوارزمي ج٢ ص٣٤ والإيقاد للعظمي فصل ١٢ والبحار ج٤٥ ص٥٣.

(٢) البيت من قصيدة غراء للشيخ صالح الكواز (الدر النضيد) ص٢٠٥.

بن الخبيثة أتقتل عمي؟ فما ارتدع اللعين عن غيّه بل ضربه بالسيف، فاتقاه الغلام بيده فأطنها إلى الجلد، فإذا هي معلقة، فنادى الغلام: يا عماه فأخذه الحسين وضمه إلى صدره، وقال: يا بن أخي اصبر على ما نزل بك، واحتسب في ذلك الخير، فإن الله سيلحقك بآبائك الصالحين، وبينما هو في حجر الحسين إذ رماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه به، وأمه تنظر إليه[1].

مصرع محمد بن أبي سعيد بن عقيل

وخرج غلام آخر من أخبية الحسين ـ بعد مصرعه ـ وهو محمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب، وعليه إزار وقميص وفي أذنيه قرطان درتان، وهو ممسك بعود مذعوراً يلتفت يميناً وشمالاً، وقرطاه يتذبذبان على خديه كلما التفت، فأقبل إليه هاني بن ثبيت الحضرمي يركض حتى إذا دنا من الغلام ضربه بالسيف ضربة صرعته وقتلته[2].

الحسين يناجي ربه، والقوم يحملون عليه

ولما اشتد الحال بالحسين (ع) رفع طرفه إلى السماء وقال: صبراً على قضائك يا رب، لا إله سواك، يا غياث المستغيثين. ولسان حاله يقول:

تركت الخلق طراً في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني في الحب إربا ... لما مال الفؤاد إلى سواكا

وبينما هو يناجي ربه، إذ صاح الشمر بأصحابه: ويحكم ما تنتظرون بالرجل ثكلتكم أمهاتكم؟ فحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك على كفه

---

(١) مقتل السيد آل بحر العلوم ص٦٠٣ نقلاً عن الطبري في تاريخه ج٥ ص٤٥١ وأنساب البلاذري ج٣ ص٢٠٢ والبحار ج٤٥ ص٥٣ نقلاً عن إرشاد المفيد، ولهوف ابن طاووس ومثير الأحزان لابن نما ص٣٨.

(٢) المصادر السابقة.

اليسرى (كتفه الأيسر) فقطعها، وضربه لعين من القوم على عاتقه ضربة كبا بها على وجهه.

وا أســـــفاه حملـــــوا علـــــيه مـــن كـــل جانـــب أتـــوا إلـــيه
قـــد ضـــربوا عاتقـــه المطهـــرا بضـــربة كـــبا بهـــا عـــلى الـــثرى

وكان قد أعيا، فجعل ينوء برقبته، ويقوم ويكبو على الأرض، فحمل عليه - وهو في تلك الحال - سنان بن أنس النخعي فطعنه بالرمح في ترقوته.. ورماه أيضاً بسهم فوقع في نحره، وطعنه صالح بن وهب المزني في خاصرته، ورماه الحصين بن تميم في حلقه، فعند ذلك وقع على الأرض مغشياً عليه.

وقوع المصيبة العظمى، وخروج بنات الرسالة

فصاح عمر بن سعد بقومه: ويحكم انزلوا إليه وأريحوه، فنزل إليه شمر بن ذي الجوشن - وكان أبرص - فضربه برجله، وألقاه على قفاه، ثم أخذ بكريمته المقدسة، فرمقه الحسين ببصره وقال: أتقتلني؟ أو لا تعلم من أنا؟ فقال الشمر: أعرفك حق المعرفة أمك فاطمة الزهراء، وأبوك علي المرتضى، وجدك محمد المصطفى، وخصمك العلي الأعلى وأقتلك ولا أبالي.

وفي تلك الحال خرجت زينب ابنة علي - ومن خلفها النساء والأرامل واليتامى - من الفسطاط إلى المعركة وهي تنادي:

وامحمداه، واعلياه، واجعفراه، واحمزتاه، واسيداه، وا أهل بيتاه، وا أخاه واحسيناه، ليت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل، ومرت في طريقها على عمر بن سعد، فالتفتت إليه وقالت له: ويحك يا بن سعد أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه، فصرف اللعين بوجهه عنها، ودموعه تجري على خديه ولحيته، وانحدرت زينب في وادي كربلاء وهي تقول: ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد، فصارت تندب أخاها بأشجى ندبة، وهي متوجهة إلى مصرعه حتى أتت

إليه، ولعل النساء والأرامل واليتامى خلفها وقد أحاطوا بالحسين كما قال هذا الأديب الحاج هاشم الكعبي:

فأقبلن ربات الحجال وللأسى ... تفاصيل لا يحصي لهن مفصل
فواحدة تحنو عليه تضمه ... وأخرى عليه بالرداء تظلل
وأخرى بفيض النحر تصبغ شعرها ... وأخرى تفديه وأخرى تقبل
وأخرى على خوفٍ تلوذ بجنبه ... وأخرى لما قد نالها ليس تعقل
وجاءت لشمر زينب ابنة فاطمٍ ... تعنفه عن أمره وتعذّل
تدافعه بالكف طوراً وتارة ... إليه بطاها جدها تتوسل
أيا شمر مهما كنت في الناس جاهلاً ... فمثل حسين لست يا شمر تجهل
أيا شمر هذا حجة الله في الورى ... أعد نظراً يا شمر إن كنت تعقل
ومرّ يحزّ النحر غير مراقب ... من الله لا يخشى ولا يتوجل

آجركم الله بدر إليه شمر، وجلس على صدره، وضربه اثنتي عشرة ضربة، ثم حز رأسه الشريف.

تغير العالم عند مقتله، وسلبه

فعند ذلك ارتفعت غبرة شديدة سوداء مظلمة، فيها ريح حمراء، لا يرى فيها عين ولا أثر، حتى ظن القوم أن العذاب قد جاءهم[1].

ونادى مناد من بطنان العرش: ألا أيتها الأمة المتحيرة الضالة بعد نبيها لا وفقتم لفطرٍ ولا أضحى[2].

هذا وقد أقبل القوم على سلبه فأخذ عمر بن سعد درعه البتراء، وأخذ إسحاق بن

---

(١) مقتل الحسين آل بحر العلوم ص٦١٢ نقلاً عن البحار ج٤٥ ص٥٧ ومقتل الخوارزمي ج٢ ص٣٧.
(٢) المصدر السابق نقلاً عن (من لا يحضره الفقيه) ص١٤٨ و(نفس الهموم) للمحدث القمي.

حوية قميصه، وأخذ الأخنس بن مرثد عمامته، وأخذ أبحر بن كعب سراويله، وأخذ قيس بن الأشعث قطيفته وكانت من خز، وأخذ جعونة بن حوية ثوبه الخلق الذي جعله تحت ثيابه، وأخذ الأسود بن خالد نعله، وأخذ بجدل بن سليم الكلبي خاتمه، وكانت قد جمدت عليه الدماء فقطع إصبعه، وأخذ خاتمه، وتركوه :

عـريان يكسـوه الصـعيد ملابسـا أفديـه مسـلوب اللـباس مسـربلا

ولصـدره تطـأ الخـيول وطالمـا بسـريره جـبريل كـان موكـلا

حرق الخيام، ونهب المتاع، وسلب النساء

ثم مال الأجلاف إلى ثقله ومتاعه فانتهبوا جميع ما في الخيام، ثم أخرجوا النساء من الخيام وأضرموا النار فيها، وتسابقوا على نهب بيوت آل الرسول وقرة عين الزهراء البتول حتى جعلوا ينتزعون الملاحف من ظهور الفاطميات وهن يلذن بعضهن ببعض

كـل تلـوذ بأخـرى خـوف آسـرها لـوذ القطا خوف بأس الباشق الضخم

محاولة قتل الإمام زين العابدين

ثم انتهوا إلى علي بن الحسين زين العابدين، وهو مريض، منبسط على فراشه لا يستطيع النهوض، فأحاطوا به، هذا يقول: اقتلوه، وهذا يقول: دعوه كفيلاً لهذه العيال، وهذا يقول: لا تدعوا منهم صغيراً ولا كبيرا، وجرد الشمر سيفه وقال: قد صدر الأمر من الأمير عبيد الله بن زياد ان نقتل جميع أولاد الحسين، فقال ابن سعد: كفوا عنه، فكفوه عنه، وأنجاه الله من كيدهم ولكن قلبوه وسلبوا النطع منه.

قلـبوه عـن نطـع مسـجى فوقـه فبكـت لـه أمـلاك سـبع شـداد

ويصـيح واذلاه أيـن عشـيرتي وسـراة قومـي أيـن أهـل ودادي.. الخ

ألا لعنة الله على القوم الظالمين، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والعاقبة للمتقين.

خاتمة المجالس

الكاملون من الرجال والنساء، وكمال الحوراء زينب

من قصيدة للحاج محمد علي كمونة :

يـــوم ألمـــت بـــه الدنـــيا غوائـــلها ... وحَكّمـــت في قضـــايا الديـــن أوثانـــا

أقصـت قصـيا ونحّـت هاشمـا وأبـت ... إلا الضـــلال وأدنـــت مـــن لهـــا دانـــا

وحاربـــت أحمـــد المخـــتار خيرتهـــا ... واستأصـــلت فـــرعه شـــيباً وشـــبّانا

واضـــمرت لعلـــي حيـــث طلقهـــا ... حقـــداً وللبضـــعة الزهـــراء أضـــغانا

وجرعـت حسـناً مـن صـابها غصصـاً ... غصـــت بهـــا لهـــوات الدهـــر أشـــجانا

وجهّـــزت لحســـين جـــندها وعـــدت ... علـــيه حـــتى قضـــى بـــالطف ضـــمآنا

وفرقـــت آلـــه مـــن بعـــده فـــرقاً ... في كـــل ناحـــيةٍ مثـــنى ووحدانـــا

نوازحـــاً فكـــأن الـــبين وكـــلها ... بـــأن تجـــوب الفـــلا ســـهلاً وأحـــزانا

لم أنـس زينـب بعـد الخـدر حاسـرةً ... تـــبدي النـــياحة ألحانـــاً فألحانـــا

مســـجورة القلـــب إلا أن أعيـــنها ... كالمعصـــرات تصـــوب الدمـــع عقـــيانا

تدعـــو أباهـــا أمـــير المؤمـــنين ألا ... يـــا والـــدي حكمـــت فيـــنا رعايانـــا

وغـاب عـنا المحـامي والكفـيل فمـن ... يحمـــي حمانـــا ومـــن يـــؤوي يـــتامانا

ندعـــو فـــلا أحـــد يصـــبو لدعوتـــنا ... وإن شـــكونا فـــلا يصـــغى لشـــكوانا

إن عسـعس اللـيل وارى بـذل أوجهـنا ... وإن تـــنفس وجـــه الصـــبح أبدانـــا

قـم يـا علـي فمـا هـذا القعـود ومـا ... عهـدي تغـض عـلى الأقـذاء أجفانـا

فـانهضْ لعلـك مـن أسـرٍ أضـربنا ... تفكـنا أو تـولى دفـن قـتلانا
وتـارةً تنـثني تدعـو عشـيرتها ... مـن شـيبة الحمـد أشـياخاً وشـبانا
قومـوا عجـالاً مـن الأجـداث وانـتدبوا ... واسـتنقذوا مـن يـد الـبلوى بقايانـا
هـذا حسـين بـلا غسـلٍ ولا كفـنٍ ... عـارٍ تجـول علـيه الخـيل مـيدانا

زينة الإنسان عقله

إذا لم يكـن لـلمرء عقـل يزيـنه ... ولم يـك ذا رأي سـديد وذا أدب
فمـا هـو إلا ذو قوائـم أربـعٍ ... وإن كـان ذا مـالٍ كـثير وذا حسـب

نعـم لا يمـتاز المـرء ولا يظهـر فضـله وكمالـه إلا بكمـال العقـل، وحسـن الـرأي والأدب، ومـن كملـت لـه هـذه الأمـور الـثلاثة ـ ولا سـيما العقـل ـ فهـو الإنسـان الكامل حقيقة وهو المفضّل على غيره من المخلوقات، وبيان ذلك:

أصناف المخلوقات بالنسبة إلى العقل والشهوة

هـو أن الله تبارك وتعالى خلق فيما خلق من أصناف خلقه ثلاثة أصناف: صنف منهم خلق لهم العقل دون الشهوة وهم الملائكة، وصنف منهم خلق لهم الشهوة دون العقل وهم البهائم وسائر الحيوانات، وصنف منهم ركب فيهم الشهوة مع العقل وهم الجن والإنس الذين خلقهم الله تعالى لعبادته كما قال عز من قائل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ الذاريات/ ٥٧.

فمن غلب عقله ـ من الجن والإنس ـ على شهوته فهو أفضل عند الله من الملائكة والسر في ذلك واضح جلي، لأن الملائكة لا شهوة عندهم لا لأكل ولا شرب، ولا لنكاح ولا مال، ولا لغير ذلك مما تطلبه الشهوة وتدعو إليه، فهم ـ بطبيعتهم وما عندهم من العقل الذي أرشدهم إلى بارئهم وعظمته وآلائه ونعمائه، وعظيم بطشه وعقابه ـ يعبدون الله تعالى ويخلصون له بعبادته، أي أنهم مجبولون على الطاعة، ولا

داعي عندهم إلى المعصية.

أما الإنسان الذي ركّب الله فيه الشهوة مع العقل، والشهوة - غالباً - تدعو إلى خلاف ما يدعو إليه العقل والشرع ومع ذلك - فهو - أي الإنسان العاقل، العامل بعقله - يجاهد شهوته ونفسه الأمارة بالسوء ولا يعطيها إلا بمقدار ما يدعو إليه العقل والشرع، فهو إذن أفضل من الملائكة، كالرسل والأنبياء والأوصياء وسائر المؤمنين المجاهدين المخلصين.

ومن هنا جاء في حديثٍ - نذكر منه محل الشاهد - مسندٍ عن أبي الحسن الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب (سلام الله عليهم) أنه قال: قال رسول الله(ص): ما خلق الله خلقاً أفضل مني ولا أكرم عليه مني، قال علي: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: يا علي إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل لك بعدي يا علي وللأئمة من ولدك، وإن الملائكة من خدامنا وخدام محبينا.. الخ[1].

وعلى كل: الإنسان المجاهد لنفسه الأمارة بالسوء، العامل بمفاد العقل والشرع أفضل من الملائكة لجهاده لنفسه، وسائر أعدائه من شياطين الإنس والجن.

وأما من غلبت شهوته على عقله، أي أنه ترك عقله وراء ظهره واسترسل إلى شهوات نفسه، واتبع الشياطين والمجرمين فهو - قطعاً - أقل من البهيمة قدراً، والسر في ذلك أيضاً واضح جلي، لأن البهيمة لا عقل عندها وهي غير مسؤولة، أما الإنسان الذي زوده الله بجوهرة العقل وفضله وميزه به، وقد تركه وراء ظهره، ولم يستضيء بنوره فهو - بلا ريب - أقل قدراً وقيمة من البهيمة، وإلى هذا يشير القرآن المجيد بل يصرح به، قال تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ الفرقان/ ٤٥.

---

(١) راجع الحديث في كتابنا (قبس من القرآن) ص٣٣٥ نقلاً عن (ينابيع المودة) ص٤٨٥.

والى هذا أشار بعض الشعراء في البيتين اللذين ابتدأنا بهما بقوله:

إذا لم يكن للمرء عقل يزينه ولم يك ذا رأي سديد وذا أدب
فما هو إلا ذو قوائم أربع وإن كان ذا مال كثير وذا حسب

نعم أيها المطالع الكريم ـ العقل هو الزينة الحقيقية للإنسان، وإذا كمل له العقل كمل له الأدب الإسلامي الصحيح، وحسن رأيه أيضاً، بل تكمل له جميع المحاسن الأخرى.

أكمل الرجال حجج الله على خلقه من رسل وأنبياء وأئمة

وقد كملت هذه الأمور الثلاثة ـ أعني العقل وحسن الرأي والأدب ـ لكثير من الرجال كالرسل والأنبياء والأوصياء والأئمة الأطهار (ع) لأن الله تعالى لا يرسل رسولاً أو نبياً، ولا ينصب وصياً أو إماماً، فيجعله حجةً على خلقه إلا بعد أن يوفر له مستلزمات الكمال بأسرها، بحيث يكون أكمل أهل زمانه في صفات الكمال كلها، حتى يستطيع أن يكمل غيره وحتى تقوم به الحجة لله على عباده.

ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه، كما أن معطي الشيء لا يكون فاقداً له، فبإيجاد الله الكمال التام لحججه، استطاعوا أن يدعوا إلى الكمال، كما استطاعوا ـ بالفعل ـ أن يكملوا غيرهم ممن اهتدى واقتدى بكمالهم، ولو كانوا فاقدين له ـ في أنفسهم ـ لما استطاعوا أن يكمّلوا غيرهم.

وقد يحصل هذا الكمال ـ في العقل والرأي والأدب، بعد حجج الله ـ لبعض أفذاذ الرجال من المؤمنين ممن اقتفى اثرهم، وسيطر ـ بعقله وعلمه ـ على نفسه وشيطانه حتى يكون إنساناً كاملاً، عارفاً بربه، مؤثراً رضاه على رضا نفسه، زاهداً في دنياه، راغباً في آخرته، صابراً محتسباً وجه الله عزوجل. وهؤلاء هم الذين وصفهم النبي (ص) في بعض أحاديثه المنقولة عنه بقوله:

ان لله خواصاً من خلقه يسكنهم الرفيع الأعلى من جنانه لأنهم كانوا أعقل أهل

الدنيا، فقيل له: يا رسول الله وكيف كانوا أعقل أهل الدنيا؟ فقال (ص): كانت همتهم المسارعة إلى ربهم فيما يرضيه فهانت الدنيا عليهم فلم يرغبوا في فضولها، صبروا قليلاً فاستراحوا طويلاً[1].

نعم هكذا وصفهم النبي (ص) في حديثه هذا بأنهم خواص من خلقه، أي ثلة قليلة خاصة من خلق الله تعالى، قد خصهم بلطفه بأن هداهم إلى دينه القويم في الدنيا، وعملوا به بالفعل فأسكنهم الرفيع الأعلى من جنانه في الآخرة، ذلك لأن درجات الجنان كمنازل الدنيا متفاوتة بعضها أرفع من بعض، فهؤلاء الخواص درجاتهم أرفع من درجات غيرهم، وبيّن العلة في رفع درجاتهم وهي أنهم كانوا أعقل أهل الدنيا، ومعلوم أن الله يجازي عباده يوم القيامة على قدر عقولهم، وحينما سئل عن كيفية تفوقهم في عقولهم، أي ما كانت أعمالهم وأفعالهم، وما هي اتجاهاتهم الدالة على تفوق عقولهم؟ أجاب (ص) عن أهم صفاتهم وهي أنهم: كانت همتهم القصوى والوحيدة المسارعة إلى ربهم فيما يرضيه، فهم ليس لهم هم إلا طلب رضا الله فتراهم يقدمون رضا الله على رضا خلقه، وعلى رضا أنفسهم[2].

ولذلك هانت الدنيا وما فيها من النعم عليهم فلم يرغبوا في فضولها بل زهدوا فيها

---

(١) إرشاد الديلمي ج١ الباب الأول ص١٠.

(٢) ورد ان امير المؤمنين (ع) كان يقول: لو خيرت بين الدخول إلى المسجد او الدخول إلى الجنة لاخترت الدخول إلى المسجد، ثم يعلل ذلك فيقول: لأن دخول المسجد فيه رضا ربي، ودخول الجنة فيه رضا نفسي، ورضا ربي أحب إلي من رضا نفسي.

أقول: حيث انه (ع) اختار دخول المسجد على دخول الجنة اتباعاً لرضا الله شاء الله الكريم الحكيم أن يكرمه بهذه الكرامة العليا بان جعله قسيم الجنة والنار، وبيده مفاتيحها، كما روى ذلك الخاص والعام، واشتهر (ع) بانه قسيم الجنة والنار، واليه يشير السيد الحميري بقوله في بعض قصائده العامرة:

مولىً له الجنة مأمورة ... والنار من إجلاله تفزع

إمام صدق ولَه شيعة ... يروون من الحوض ولم يمنعوا

بذاك جاء الوحي من ربنا ... يا شيعة الحق فلا تجزعوا

وفي فضولها علماً منهم بزوالها، وقد اكتفوا منها بالبلغة الموقتة، وصبروا على بلائها قليلاً فأعقبهم ذلك راحة طويلة.

مثال واحد للمفضلين بعد الأنبياء والأئمة (ع)

وهو عمار بن ياسر

وإليك مثال واحد من أولئك الرجال الطالبين رضا ربهم. والصابرين على بلائه، المجاهدين لأعدائه وهو عمار بن ياسر الذي استأذن أمير المؤمنين (ع) بالبراز يوم صفين لقتال الفئة الباغية، وأذن له، فحمل على القوم وهو يقول:

صدق الله وهو للصدق أهل ... وتعالى ربي وكان جليلا
رب عجل شهادة لي بقتل ... في الذي قد أحب قتلا جميلا
مقبلاً غير مدبر إن للقتـ ... ـل على كل ميتةٍ تفضيلا
إنهم عند ربهم في جنان ... يشربون الرحيق والسلسبيلا
من شراب الأبرار خالصة المسْـ ... ـك وكأساً مزاجها زنجبيلا

ثم رفع طرفه إلى السماء ووجه قلبه إلى الله مناجياً له قائلاً:

اللهم إنك لتعلم أني لو أعلم أن رضاك أن أقذف نفسي في هذا البحر لفعلت، اللهم إنك لتعلم أني لو أعلم أن رضاك أن أضع سيفي في بطني ثم أنحني بها حتى يخرج من ظهري لفعلت، ولو أني أعلم اليوم عملاً أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين لفعلته، ثم نادى: أين من يبتغي رضوان ربه، ولا يؤوب إلى مالٍ ولا ولد.

نعم هكذا ترك أمواله وأولاده وضحى بنفسه في سبيل طلب رضا الله ﴿**وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ التوبة/ ٧٣.

وما كان ذلك منه إلا لكماله عقلاً وعلماً، وكم له من نظير في هذه الأمة من

الرجال ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ﴾ سبأ/ ١٤. وهم كثير بالنسبة إلى الكمال في النساء.

والخلاصة أن الكاملين من الرجال كثير.

كمال عقيلة قريش

وأما النساء فما كملت منهن إلا أربع آسية بنت مزاحم زوجة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد (ص) وهي سيدتهن، بل سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين. (١)

وما كملت بعد أولئك الأربع الكمال التام إلا واحدة. وهي عقيلة قريش، كعبة الرزايا، الصديقة الصغرى، زينب الكبرى، كانت عليها السلام جامعة للصفات والأخلاق الحميدة علماً وعبادةً.

شرفاً علاً مجداً تقىً جلالا فضلاً هدىً زهداً نُدىً كمالا

يقول بعض الفحول من العلماء: إن الحوراء زينب كادت أن تقرب من أمها الزهراء في الفضل والعبادة، وفي الكرامات، والصبر على النائبات ما خرقت العادات، ولحقت بالمعجزات.

فضلها وعلمها

أما فضلها ـ في علمها وسائر معارفها ـ فيكفي في ذلك شهادة الإمام زين العابدين لها لما خطبت بالكوفة، بتلك الخطبة التي تعجب الناس من فصاحتها وبلاغتها، ما أشبهت فصاحة أبيها أمير المؤمنين وبلاغته قال (ع) لها: عمتاه اسكتي ففي الباقي عن الماضي اعتبار، وأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة، إن الحزن والبكاء، لا يردان من قد أباده الدهر.

---

(١) راجع التفصيل الكامل في كتابنا (فاطمة والمفضلات من النساء، الحلقة السابعة).

فقوله (ع) أنت عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة، يدل على أن علمها، أو بعض علمها إلهامي من الله عزوجل، وهذا ليس بعجيب ولا غريب من قدرة الله عزوجل في أن يلهمها ما شاء من العلم ويؤيدها به ويسددها، لأن الثابت بالأدلة القطعية أن العبد المؤمن بالله إذا ازداد إيماناً به عزوجل وإخلاصاً له بأعماله، وصبراً وجهاداً في سبيله يكون ذلك العبد مستحقاً وقابلاً لتلقي أنواع الفيوضات الإلهية والمواهب الربانية بمقدار ما عنده من إيمان وإخلاص وبر وجهاد، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ العنكبوت/ ٧٠ [١].

ومعلوم أن من كان مع الله كان الله معه، ومن أصلح لله أمراً أصلح له أموره. وقال النبي (ص) فيما رواه الخاص والعام: ما أخلص عبد لله عزوجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه [٢].

والحوراء زينب أخلصت لله طول عمرها - في إيمانها وعملها وصبرها وجهادها - فكيف لا تستحق أن تكون ملهمة.

ويؤيد ذلك - من أن علمها أو بعض علمها إلهامي من الله عزوجل - ما روي من أنها كانت ذات يوم جالسة في حجر أبيها أمير المؤمنين (ع) وهي صبية صغيرة، أوان نطقها، وهو (ع) يضع الكلام ويلقيه على لسانها ليعلمها النطق، قال لها: قولي واحد، فقالت: واحد، قال لها قولي: اثنين، فسكتت، فقال (ع): تكلمي يا قرة عيني فقالت (ع): يا أبتاه ما أطيق أن أقول :

---

(١) ويعكس هذه الآية الكريمة يقول تعالى في الذين يعرضون عن الله ودينه وأوليائه: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۞ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ۞ حَتَّى إِذا جاءَنا قالَ يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ الزخرف/ ٣٧-٣٩.

(٢) (عيون أخبار الرضا) ج٢ ص٦٩ الباب ١٣ و(العقد الفريد) ج٢ ص٢٢٣ وكتاب (زينب الكبرى) للشيخ جعفر النقدي ص٤٥.

اثنين بلسان أجريته بالواحد، فضمها صلوات الله عليه الى صدره وقبلها بين عينيها [1]. وفي ذلك إشارة إلى أن الله واحد لا شريك له وفرد لا ثاني معه.

وأجلسها يوماً آخر على فخذه، وطفلاً آخر على فخذه الآخر وهو يقبلهما، فقالت زينب أتحبنا؟ فقال (ع): كيف لا أحبكما وأنتما ثمرة فؤادي، فقالت (ع) أبتاه: إن المحبة خاصة لله تعالى، وأما إلينا فهي الشفقة[2].

وتعني بقولها: إن المحبة خاصة لله، أي يجب أن لا يحب الإنسان إلا في الله ولا يبغض إلا في الله، وهذه هي المحبة الصادقة لله عزوجل، فانظر كيف أدركت هذا المعنى العرفاني وهي إذ ذاك صبية صغيرة.

ومما يدل على أن علمها إلهامي من الله انها (ع) روت أخباراً كثيراً عن أمها الزهراء(ع) مع العلم أن فاطمة قبضت وكانت زينب طفلة صغيرة.

ومما روته عن أمها الزهراء (ع) خطبتها الكبيرة في مسجد أبيها رسول الله (ص) قال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين: زينب العقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام أمها فاطمة في فدك[3].

فهي تحفظ تلك الخطبة الجليلة الطويلة وتحتفظ بها وترويها لابن عباس وغيره، ورواها عنها وعن غيرها الخاص والعام[4].

هذا فضلها أيام طفولتها، وأما بعد ذلك فقد بلغت مبلغاً كبيراً من العلم والفضل والفقه حتى أن الإمام الحسين (ع) جعلها نائبة عنه وقائمة مقامه في تبليغ الأحكام الشرعية إلى الناس بعده أيام مرض ولده زين العابدين (ع) حيث كانت الشيعة ترجع

---

(١) (زينب الكبرى) للشيخ جعفر النقدي ص٤٦.

(٢) المصدر السابق ص٤٧ وغيره.

(٣) نقله عن مقاتل الطالبيين الشيخ النقدي في كتابه (زينب الكبرى) ص٣٥ وص٤٦.

(٤) راجع مصادر الخطبة من طرق الفريقين كتابنا (قبس من القرآن) ط الأولى ص٣٤- ص٣٨.

إليها في الحلال والحرام وفي سائر الأحكام حتى برئ زين العابدين من مرضه، وبعد مرضه أيضاً[1].

كما أوصاها الحسين أيضاً في حفظ العيال والأطفال وثوقاً بصبرها وثباتها.

عبادتها وتهجدها

وأما عبادتها فقد كانت ثانية أمها الزهراء (ع) في العبادة، وكانت تقضي لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن، وورد أنها ما تركت تهجدها لله طول عمرها حتى في ليلة الحادي عشر من المحرم، كما روي عن الإمام زين العابدين (ع) أنه قال: رأيت عمتي زينب ـ تلك الليلة ـ تصلي نوافلها من جلوس.

نعم لأن المصائب التي لاقتها نهار العاشر أقعدتها ولم تترك لها قابلية على القيام.

وفي رواية أخرى أيضاً عن الإمام زين العابدين (ع) أنه قال: إن عمتي زينب ـ مع تلك المصائب والمحن النازلة بها ـ في طريقنا إلى الشام ما تركت نوافلها الليلية.

وفي نص آخر أنه قال (ع): إن عمتي زينب كانت تؤدي صلواتها من قيام بالفرائض والنوافل عند سير القوم لنا من الكوفة إلى الشام، وفي بعض المنازل كانت تصلي النوافل من جلوس.. الخ إلى غير ذلك مما جاء في عبادتها[2].

كراماتها في حياتها وبعد وفاتها

وأما كراماتها فكثيرة أيام حياتها وبعد وفاتها، فهذا قبرها المنسوب إليها في مصر، وقبرها المنسوب إليها في الشام يجد الزائرون لها المتوسلون بها إلى الله تعالى أنواع الكرامات. وقضاء الحوائج العظام واستجابة الدعاء مما لا يحصى كثرة. والزائرون لها ـ

---

(١) راجع كتاب (زينب الكبرى) ص٤٦ نقلاً عن الشيخ الصدوق ص٣٠- ٣١ عن حكيمة بنت الإمام الجواد.

(٢) راجع كتاب (زينب الكبرى) ص٨٤.

من مختلف الطوائف والفرق - يزدادون كثرة آناً بعد آن في كل سنة وعام - وما ذلك إلا لما يجدونه من قضاء حوائجهم وتنفيس كرباتهم.

ومن كراماتها أيام حياتها أنها لما خطبت في الكوفة، يوم الثاني عشر من المحرم في ذلك الحشد الكبير الرهيب، حيث خرج أهل الكوفة - عن بكرة أبيهم - عند قدوم الأسارى من آل الرسول (ص) من محبين ومبغضين من رجال ونساء ومن كبار وصغار، حتى أن الجند الذين أخرجهم ابن زياد للمحافظة على الأمن كانوا عشرة آلاف جندي. وهنا لما أرادت زينب (ع) أن تخطب في هذا الجمع الغفير لترشدهم وتكشف لهم الحقائق التي أراد الأعداء سترها، يقول الرواة الذين يروون خطبتها نقلاً عن الراوي المشاهد قوله:

بمجرد أن أومأت إلى الناس أن اسكتوا؟ ارتدت الأنفاس، وهدأت الأصوات وسكنت الأجراس، وكأن على رؤوسهم الطير[1].

ومعلوم أنه ليس في وسع ذلك العدد الكبير والجمع المتراكم أن يسكن منه اللغط وتهدأ منه الضوضاء لولا الهيبة الإلهية من الله لعقيلة قريش، والكرامة الربانية لها لتؤدي رسالتها في كشف الحقيقة لذلك الجمع الضال.

صبرها على النوائب والمصائب

وأما صبرها على النوائب والمصائب فقد أبهر العقول. وحيّر الأفكار، لما وقفت - يوم العاشر من المحرم، أو الحادي عشر منه - على جسد أخيها ورأته بتلك الحالة

عاري اللباس قطيع الرأس منخمد الـ أنفاس في جندل كالجمر مضطرم

لم يتزلزل صبرها ولا ثباتها، بل رفعت رأسها إلى السماء قائلة: اللّهم تقبل منا هذا القليل من القربان[2].

---

(١) راجع (البحار) ج٤٥ ص١٠٨ ومقتل الحسين للمقرم ص٢٠٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٤٠.

(٢) (زينب الكبرى) ص١٠١ نقلاً عن الطراز المذهب.

ثم لما مروا بهم على المعركة ـ يوم الحادي عشر من المحرم ـ ونظر زين العابدين إلى أبيه وأخوته وأهل بيته وأصحابه مجزرين كالأضاحي على الرمال جثثاً بلا رؤوس، تصهرهم الشمس، سائلة دماؤهم، مقطعة أعضاؤهم، تسفي عليهم الرياح، جعل يجود بنفسه حتى كادت روحه أن تخرج، وحين نظرت إليه الحوراء زينب بتلك الحالة جعلت تسلي خاطره وتسكّن قلبه، وتذكر له حديث أم أيمن عن جدها رسول الله (ص) من أن هذه الجثث لا تبقى هكذا بل يأتي قوم من شيعتنا يوارون هذه الأجساد الطاهرة، ويقيمون لأبيك علماً لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه، وما زالت تصبره حتى سكنت قلبه.

وهنا يمكن أن يقال: هل إن زينب أقوى صبراً من الإمام زين العابدين (ع) حتى تصبره وتسليه، في حين أن عقيدتنا أن الإمام يجب أن يكون أفضل أهل زمانه بكل ما للفضل من معنى ومن أول معانيه الصبر؟ الجواب، نقول:

نعم الإمام يجب أن يكون أفضل أهل زمانه وأصبرهم، ولكن هنا لما كانت مصيبة واقعة الطف أعظم من كل مصيبة، وأثرها حاصل في كل قلب، لذا ترى تارة الإمام زين العابدين (ع) يصبر عمته زينب كما مر علينا قوله (ع) لها: عمتاه اسكتي ـ أي عن البكاء ـ فأنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة إن الحزن والبكاء لا يردان من قد أباده الدهر، وتارة ترى زينب تصبر الإمام، ولكن لا بقولها بل بقول جدها رسول الله الصادق الأمين (ص) وعن الله عزوجل فيما قضاه وقدره من وقوع تلك المصيبة العظمى التي ستكون عاقبتها الحسنة لهم (ع) والانتقام من أعدائهم دنياً وآخرة.

وأعظم من هذا أو ذاك من عظيم صبرها ما أشار إليه العلامة الكبير السيد رضا الهندي بقوله في بعض قصائده العامرة:

لم تله عن جمع العيال وحفظهم ... بفراق أخوتها وفقد بنيها

من المعلوم أن المرأة تكون صاحبة رقة وجزع، وإذا فقدت عزيزاً واحداً من أعزتها

تشغل بالنوح والبكاء عن سائر شؤونها والحوراء زين ب في يوم واحد.

فقـــدت أعـــزتها وجـــل ســـراتها ومـــلاذ هيبـــتها وخـــير ســـناد

ومع ذلك ما شغلت بالبكاء والجزع عن حفظ العيال والأطفال بل قامت بجمعهم وحفظهم - بعد هجوم القوم عليهم وإضرام النار في أخبيتهم - حتى جمعتهم في خيمة واحدة وقامت بحراستهم من الأعداء ليلة الحادي عشر من المحرم هي وأختها أم كلثوم.

ولما أصبحوا يوم الحادي عشر، وعزم القوم على الانصراف وقدموا النياق العجف إلى بنات رسول الله (ص) ونادوا هلموا واركبوا فقد أمر ابن سعد بالرحيل، خرجت زينب وأقبلت بنفسها على عمر ابن سعد قائد جيش الضلال وقالت له - بكل شجاعة وجرأة - سود الله وجهك يا بن سعد، تأمر هؤلاء الأجانب أن يركبّونا ونحن ودائع رسول الله؟ قل لهم فليتباعدوا عنا، ونحن يركب بعضنا بعضا فتباعدوا عنهم، وجعلت زينب بنفسها تركب العيال والأطفال تنادي كل واحدة باسمها وتركبها حتى ركبت الجميع، ثم أقبلت إلى زين العابدين وقالت له: قم يا بن أخي واركب الناقة، قال لها: اركبي أنت أولاً ودعيني وهؤلاء القوم. كل ذلك وغير ذلك لم يتزلزل صبرها ولا ثباتها.

نعم يروى أنها لما أقبلت إلى ناقتها لتركب، والتفتت يمنة ويسرة فلم تر أحداً يعينها على الركوب تذكرت عزها وجلالتها في ذلك الوقت هاج بها الحزن وحولت وجهها إلى جهة نهر العلقمي ونادت بصوت حزين: أخي أبا الفضل أنت الذي أركبتني يوم خروجنا من المدينة فمن الآن يركب أختك زينب.

ولما سمع زين العابدين ندبتها لأخيها لم يتمالك على نفسه دون أن قام إليها وهو يرتعش من المرض وقال لها: عمّتاه لقد كسرتِ قلبي وزدتِ كربي وثنى لها ركبته ليركبها فارتعش من الضعف وسقط إلى الأرض قال الراوي:

فاقبلت فضة أمة فاطمة وأركبتها، وبقي الإمام زين العابدين (ع) أقبلوا إليه

وأركبوه على ناقة عجفاء فلم يتمالك على الركوب وصار يتمايل يمنة ويسرة، فأخبروا عمر ابن سعد وقالوا له: ما نصنع بهذا العليل فإنه لم يستطع على الركوب فقال اللعين: قيدوا رجليه من تحت بطن الناقة، فأقبلوا إليه وقيدوه وحملوه مقيداً مغللا.. الخ.

نحـــيفاً يقاســـي ذل قـــيدٍ وعلـــةٍ يـــنادي بـــني فهـــر وأيـــن لـــه فهـــر

ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والفهارس

الأشراف / ابن سويدة التكريتي / بالواسطة.

الإقبال / بالواسطة - السيد ابن طاووس.

إقناع اللائم / السيد محسن الأمين - ط الترقي دمشق.

إكمال الدين / الصدوق - ط الحيدرية / النجف الأشرف.

الآل / ابن خالويه / بالواسطة.

أمالي الطوسي / الشيخ الطوسي - ط النعمان / النجف الأشرف.

الإمامة والسياسة / ابن قتيبة - ط الأولى.

الإمام الحسن / باقر شريف القرشي - ط الثالثة.

أنوار النعمانية / السيد نعمة الله الجزائري - ط تبريز/ إيران.

الأنساب / البلاذري / بالواسطة.

إنسان العيون / الحلبي / بالواسطة.

الإيقاد / محمد علي الشاه عبد العظيم / بالواسطة.

- ب -

بشارة المصطفى لشيعة المرتضى - ط الحيدرية / النجف الأشرف.

بحار الأنوار / المجلسي - ط الجديد طهران.

البداية والنهاية / ابن كثير / بالواسطة.

بصائر الدرجات / محمد بن الحسن الصفار / بالواسطة.

بطل العلقمي / المظفري - ط العلمية النجف ودار النشر والتأليف

- ت -

تاريخ أبي الفداء / بالواسطة.

تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / بالواسطة.

تاريخ ابن عساكر / ابن عساكر / بالواسطة.

تاريخ الإسلام / الذهبي / بالواسطة.

تاريخ الطبري / الطبري / بالواسطة.

تاريخ الخميس / أبو الحسن الديار بكري / بالواسطة.

تاريخ العرب / بالواسطة.

تحف العقول / ابن شعبة / بالواسطة.

التحقيق في الإمامة وشؤونها / الخطيب عبد اللطيف البغدادي / مخطوط.

تظلم الزهراء/ الشيخ عبد علي / بالواسطة.

تذكرة الخواص / سبط ابن الجوزي - ط العلمية / النجف الأشرف.

تذكرة الحفاظ / الذهبي / بالواسطة.

تسلية المجالس / محمد بن أبي طالب الحسيني / بالواسطة.

التعليقة / وحيد البهبهاني / بالواسطة.

تعليقات إحقاق الحق / السيد شهاب الدين - ط طهران.

تفسير البرهان / البحراني - بالواسطة.

تفسير الجواهر / الطنطاوي - ط الحلبي بمصر.

تفسير البيضاوي / البيضاوي - مؤسسة شعبان بيروت.

تفسير الصافي / الصافي - ط الحجري الأولى.

تفسير العياشي / العياشي - ط العلمية / قم.

تفسير القرآن العظيم / ابن كثير. ط الاستقامة القاهرة.

تفسير القمي / القمي - ط النجف/ النجف الأشرف.

تفسير الكشاف / الزمخشري - ط الكتاب العربي بيروت

تفسير فرات بن إبراهيم / بالواسطة.

توضيح الغامض / الشيخ عبد الواحد المظفر. ط الآداب النجف الأشرف.

تهذيب التهذيب / لابن حجر العسقلاني / بالواسطة.

التهذيب للشيخ الطوسي / بالواسطة.

تنبيه الخواطر ونزهة النواظر / بالواسطة.

ثواب الأعمال / الصدوق - ط المطبعة الحيدرية / النجف.

- ج -

جامع الأخبار / بالواسطة.

جامع السعادات / مهدي النراقي - ط النجف / النجف الأشرف

جمهرة الخطب / أحمد زكي / بالواسطة.

جواهر الايقان / بالواسطة.

- ح -

الحدائق الوردية / حميد بن أحمد / بالواسطة.

حديقة الأنساب / الفتوني / بالواسطة.

الحقائق الكونية / الخطيب عبد اللطيف البغدادي / ط دار الأضواء بيروت.

حياة الإمام الحسين (ع) باقر شريف القرشي - ط الأولى ١٣٩٦ .

حياة أمير المؤمنين / السيد محمد صادق الصدر - دار الكتب بيروت

حلية الأولياء / أبو نعيم / بالواسطة.

حول الصلاة والجمع بين فريضتين / الخطيب عبد اللطيف البغدادي - بيروت ١٩٧١

المنار وط الثانية ٢٠٠٢م بيروت دار الجوادين.

- خ -

خاتمة المستدرك / النوري / بالواسطة.

الخصائص الحسينية / جعفر التستري - ط الحيدرية / النجف.

الخصائص العلوية / بالواسطة / السيوطي.

الخرائج / القطب الراوندي / بالواسطة.

الخصال/ الصدوق - ط طهران حيدري.

- د -

الدرجات الرفيعة / السيد علي خان - الحيدرية / النجف الأشرف

الدر الثمين / بالواسطة.

درر الأصداف / بالواسطة.

در بحر المناقب / ابن حسنويه الموصلي مخطوط وبالواسطة.

الدعوات / الراوندي / بالواسطة.

دلائل الإمامة / الطبري الإمامي - ط الحيدري / النجف الأشرف.

الدر المسلوك / الحر العاملي / بالواسطة.

الدر المنثور / السيوطي - ط الإسلامية بالاوفسيت.

الدر النضيد - ط بمبي.

الدر النظيم / يوسف بن حاتم الشامي / بالواسطة.

- ذ -

ذخائر العقبى / محب الدين الطبري - ط دار الكتب الإسلامية

ذخيرة الدارين / السيد عبد المجيد - ط المرتضوية / النجف.

ذيل اللئالئ / السيوطي / بالواسطة.

- ر -

رجال الكشي / الكشي - ط الآداب/ النجف.

رشفة الصادي / الحضرمي / بالواسطة.

روح المعاني / الآلوسي / بالواسطة.

روضة الواعظين / الفتال النيسابوري - ط الحيدرية / النجف.

الرياض النضرة / لمحب الدين الطبري الشافعي - ط دار التأليف بمصر.

رسائل الكليني / بالواسطة.

- س -

السرائر / ابن ادريس / بالواسطة.

سر السلسلة العلوية / أبو نصر البخاري / بالواسطة.

سفير الحسين / المظفري - ط الأولى.

سنن ابن ماجة / بالواسطة.

السنن الكبرى / البيهقي / بالواسطة.

السيدة سكينة / المقرم - ط الحيدرية / النجف الثانية.

سيرتنا وسنتنا سيرة نبينا وسنته / عبد الحسين الأميني - ط الأولى الغري

السيرة الحلبية / الحلبي / بالواسطة.

السيرة الدحلانية / بالواسطة.

سمط النجوم / بالواسطة.

الشافي في شرح الكافي / المظفر - ط النعمان / النجف - وط النجف.

شجرة طوبى / مهدي المازندراني - ط العلمية / النجف.
شذرات الذهب / ابن عماد الحنبلي / بالواسطة.
شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد - ط دار الكتب / مصر الأولى.
شعب الإيمان / البيهقي - بالواسطة.
شرح رسالة الحقوق / السيد حسن القبانجي - ط الآداب / النجف.
الشفاء الروحي والجسمي في القرآن الكريم / الخطيب عبد اللطيف البغدادي/ بغداد/ ١٩٧٧.
شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني - ط الأعلمي / بيروت.
الشيعة والرجعة / الطبسي - ط الحيدرية / النجف.

- ص -

صحيح أبو داود / بالواسطة.
صحيح البخاري / بالواسطة.
صحيح الترمذي / بالواسطة.
صحيح النسائي / بالواسطة.
صفات الشيعة / الصدوق - ط الآداب / النجف.
صلح الحسن / الشيخ راضي آل ياسين - ط الزهراء / بغداد.
الصراط السوي / محمود القادري / بالواسطة.
الصواعق المحرقة / لابن حجر الهيثمي - ط الميمنية.

- ض -

ضياء العاملين / بالواسطة.
الطبقات / ابن سعد / بالواسطة.
الطراز المذهب / بالواسطة.

- ع -

العباس بن أمير المؤمنين / للسيد عبد الرزاق المقرم - ط الحيدرية / النجف.
عدة الشهور / بالواسطة.

عقاب الأعمال / الصدوق - ط الحيدرية / النجف.

علل الشرائع / الصدوق - ط الحيدرية / النجف.

علي الأكبر / المقرم - ط الحيدرية / النجف.

علي والأسس التربوية / السيد حسن القبانجي - ط الآداب / النجف.

علي والشيعة / نجم الدين العسكري - ط الآداب / النجف.

العمدة / الداوودي / بالواسطة.

عمدة الطالب - ط الحيدرية / النجف السيد جمال الدين الحسيني.

عمل اليوم والليلة / النسائي / بالواسطة.

عيون الأخبار لابن قتيبة / بالواسطة.

عيون أخبار الرضا / الصدوق - ط العلمية / قم.

عيون الأخبار في فنون الآثار / بالواسطة - لعماد الدين القرشي.

مقتل العوالم لعبد الله البحراني / بالواسطة.

- غ -

الغدير / الشيخ عبد الحسين الأميني - ط العربي النجف والحيدرية.

الغيبة / الطوسي / بالواسطة.

فاطمة الزهراء والفاطميون / العقاد - ط بيروت دار الكتاب العربي.

الفتوح / ابن أعثم / بالواسطة.

فرائد السمطين / الحموييني - ط جامعة طهران / وط النعمان / النجف.

- الفردوس / الديلمي / بالواسطة.

فروع الكافي / بالواسطة.

الفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي - ط دار الكتب التجارية / النجف.

فضائل أمير المؤمنين / أحمد بن حنبل / بالواسطة.

فضائل الشيعة / الصدوق - ط الآداب / النجف.

فقه الرضا / بالواسطة.

فوات الوفيات / محمد شاكر المعري بالواسطة.

الفوادح / حسن البحراني / بالواسطة.

- ق -

قبس من القرآن الكريم / الخطيب عبد اللطيف البغدادي / الآداب النجف / ١٩٧٠.

قمر بني هاشم / بالواسطة.

القمقام / بالواسطة.

- ك -

الكافي / الكليني / بالواسطة.

الكامل في التاريخ / ابن الأثير / بالواسطة.

الكامل / ابن قولويه / بالواسطة.

الكوكب الدري / الشيخ محمد مهدي الحائري - ط العلمية / النجف.

الكبريت الأحمر / القائيني / بالواسطة.

كربلاء وحائر الحسين / عبد الجواد الكلدار - ط دار المعارف / بغداد.

كشف الغمة / الأربلي - ط الغري / النجف.

كفاية الأثير / علي بن محمد / بالواسطة.

كفاية الطالب / الكنجي الشافعي - ط الغري / النجف.

كنز الفوائد / للكراجكي / بالواسطة.

كنز العمال / المتقي الهندي / بالواسطة - ط حيدر آباد.

الكوكب الدري - ط لاهور / محمد صالح الكشفي.

- ل -

لسان الميزان / ابن حجر العسقلاني / بالواسطة.

اللهوف / ابن طاووس / بالواسطة.

لواعج الأشجان / السيد محسن الأمين - ط بمبي.

ماذا في التاريخ / القبيسي العاملي - ط دار التعاريف بيروت.

مثير الأحزان / ابن نما / بالواسطة .

المجالس السنية / السيد محسن الأمين - ط دمشق مطابق زيدون.

مجمع البيان / الطبرسي - ط العرفان / صيدا.

مجمع البحرين / الطريحي - ط طهران حجري.
مجمع الزوائد / لأبي بكر الهيثمي / بالواسطة.
المحاسن / البرقي - ط الحيدرية / النجف.
محاضرات الأوائل والأواخر / علي درة الحنفي / بالواسطة.
المحتظر / حسن سليمان الحلي - ط الحيدرية / النجف.
محمد بن الحنفية / السيد علي الهاشمي - ط طهران.
المحجة البيضاء / المولى محسن الكاشاني - ط طهران.
مدينة المعاجز / السيد هاشم البحراني / بالواسطة.
المراجعات / السيد عبد الحسين شرف الدين - ط النعمان / النجف.
مراقد المعارف / الشيخ حرز الدين - ط الآداب / النجف.
المرشد إلى آيات القرآن الكريم - ط الهاشمية بدمشق.
المرقات / علي بن سلطان / بالواسطة - ط الأندلس بيروت.
مروج الذهب / المسعودي.
المزار الكبير/ بالواسطة.
المستدرك على الصحيحين / الحاكم النيسابوري - ط الرياض.
مسند أحمد بن حنبل / أحمد بن حنبل / بالواسطة.
المستطرف في كل فن مستظرف / شهاب الدين الأبهشي - ط الميمنية بمصر.
مشارق أنوار اليقين / الحافظ رجب البرسي / ط دار الفكر بيروت.
المصباح / الكفعمي / بالواسطة.
مصباح الزائر / للكفعمي / بالواسطة.
مصباح المتهجد / الشيخ الطوسي / بالواسطة.
مصباح الشريعة / بالواسطة .
المطالعات في مختلف المؤلفات / السيد علي الحمّامي - ط الأولى النجف / الآداب.
مطلوب كل طالب / بالواسطة.
مع الحسين في نهضته. الشيخ أسد حيدر - ط دار التعارف.
معالي السبطين / المازندراني - ط العلمية / النجف الأشرف.

معالم العترة النبوية / بالواسطة.
معجم البلدان / ياقوت الحموي / بالواسطة.
- مفاتيح الغيب / الفخر الرازي - ط الخيرية بمصر.
- مفتاح الأفكار / الشيخ أحمد مختار / بالواسطة.
- مفتاح الجنات / السيد محسن الأمين - ط الترقي دمشق.
- مفتاح النجا / البدخشي / بالواسطة.
مقاتل الطالبيين / أبو فرج الأصبهاني - ط الآداب / بيروت.
مقام أمير المؤمنين / العسكري - ط الآداب / النجف الأشرف.
المقبولة الحسينية / هادي آل كاشف الغطاء.
مقتل الحسين / اخطب خوارزم - ط الزهراء / النجف الأشرف.
مقتل الحسين / السيد بحر العلوم - ط الزهراء / بغداد.
مقتل الحسين / السيد المقرم - ط الحيدرية / النجف الأشرف.
مقتل العوالم / عبد الله البحراني / بالواسطة.
من لا يحضره الفقيه / الصدوق / بالواسطة.
المناقب / ابن شهر آشوب - ط العلمية / قم.
المناقب / اخطب خوارزم - ط الحيدرية / النجف الأشرف.
المناقب المرتضوية / الترمذي / بالواسطة.
منتخب كنز العمال / المتقي الهندي / بالواسطة.
المنتخب / الطريحي - ط الأعلمي / بيروت.
منهاج السنة / بالواسطة.
منهاج البراعة / بالواسطة.
مودة القربى / للسيد علي بن شهاب الهمداني - ط الثامنة من ينابيع المودة
مولد فاطمة (ع) / الصدوق / بالواسطة.
مواهب الرحمن / السيد عبد الأعلى السبزواري ط الديواني / بغداد / ١٩٨٥.
الميزان / محمد حسين الطباطبائي - بيروت ١٩٧٠.
مجابي الدعوة / الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد الأموي - ط بمبي.
مهيج الأحزان / بالواسطة.

- ن -

ناسخ التواريخ / بالواسطة.

نزهة أهل الحرمين / بالواسطة.

نزهة المجالس / الصفوري / بالواسطة.

النفحات / الحمزاوي / بالواسطة.

نفس المهموم / عباس القمي / بالواسطة.

مكث الهيمان / بالواسطة.

نوادر علي بن أسباط / بالواسطة.

نور الأبصار / الشبلنجي الشافعي - ط السعدية بمصر.

نور العين / الاسفرائيني / بالواسطة.

نهج السعادة - ط النعمان / النجف وغيرها.

نيل الأوطار / الشوكاني / بالواسطة.

الوسائل / الحر العاملي / بالواسطة.

وسيلة المآل / لصفي الدين / مخطوط / بالواسطة.

وفيات الأعيان / ابن خلكان / بالواسطة.

- ي -

- ينابيع المودة / سليمان القندوزي - ط الثانية.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
دعاء افتتاحي من أدعية الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء	٦
آيات افتتاحية من الذكر الحكيم	٧
المقدمة	٨
الفصل الأول وفيه عشرة مجالس	١١
مآتم الحسين (ع) ونهضته، وبكاء المخلوقات عليه، وزيارته	١١
المجلس الأول: فوائد المآتم الحسينية وأهم معطياتها وهي عشرة	١١
المجلس الثاني: أهداف الحسين (ع) ونهضته، والتهلكة ومفادها	٢٣
الجهاد والإلقاء بالأيدي إلى التهلكة.	٢٧
عبدة العجل، والأمر بقتل أنفسهم توبة لهم.	٢٨
تضييق بني أمية مسالك الأرض على الحسين (ع)	٣٢
المجلس الثالث: من تبكيه السماء والأرض عند فقده ومن لا تبكيانه؟ ويكاؤهما على الحسين (ع)	٣٧
قصة إهلاك فرعون وجنوده	٣٧
البكاء على الحسين من السنن النبوية	٤٩
المجلس الرابع :فوائد البكاء على الحسين (ع) وثواب زيارته	٥٣
خلود مصيبة الحسين (ع) ومعالمه	٥٤
بكاء النبي (ص) وأهل بيته على الحسين (ع) في حديث أم أيمن	٥٧
المجلس الخامس : زيارة الحسين (ع) بين مواليه، والمانعين لهم من معاديه	٦٥
الباعث على زيارته (ع) مع وجود الخوف أمور ثلاثة	٦٦
زيارة الحسين (ع) في عصر الخوف كالجهاد في سبيل الله	٧٢
زيارة جابر بن عبد الله للحسين (ع) في أربعينه	٧٥
المجلس السادس : اعتداء بني العباس على قبر الحسين (ع) وزائريه	٧٧
هدم هارون الرشيد لقبر الحسين (ع)	٧٨
هدم المتوكل لقبر الحسين مرارا عديدة	٨٠

المجلس السابع :فضيلة كربلاء والسجود على تربتها والاستشفاء بها..... ٨٩
تحقيق وتحليل لإيجاد الإدراك والشعور لكافة المخلوقات..... ٩٢
فتوى ما يصح السجود عليه في المذاهب الإسلامية..... ٩٦
الاستدلال على ما يصح السجود عليه من السنة. ٩٧
الدليل القرآني على ما يصح السجود عليه والقول الفصل..... ٩٨
أحاديث أهل البيت في الاستشفاء بتربة كربلاء..... ١٠٧
الآداب والدعاء للاستشفاء بتربة الحسين (ع)..... ١٠٨
إخبار جبرئيل للنبي (ص) بقتل الحسين على تربته..... ١١٠
المجلس الثامن: حق الحسين (ع) على المسلمين والمؤمنين بنهضته لإحياء
الدين. ١١٣
النفاق والمنافقون ونفاق الأمويين وجرائمهم..... ١١٤
إخبار النبي (ص) بأن الحسن يقتل مسموماً، والحسين منحوراً وأجر
الباكين والزائرين للحسين (ع). ١١٧
المجلس التاسع : بكاء آدم وزكريا على الحسين (ع) وثواب البكاء عليه..... ١٢١
تلقي آدم (ع) كلمات من ربه وتفسيرها، وتوسله بالخمسة أهل الكساء ١٢١
تأويل كهيعص بقصة الحسين (ع) وشهادته..... ١٢٤
حديث الإمام الرضا (ع) لابن شبيب في أول المحرم..... ١٢٥
المجلس العاشر: صفات الشيعة ومجالس أئمتهم الحسينية في شهر المحرم.. ١٢٩
حديث للإمام الباقر (ع) في تعريف الشيعة، وشرحه..... ١٢٩
من أظهر صفات الشيعة موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه..... ١٣٦
حزن أهل البيت (ع) وشيعتهم في محرم..... ١٣٧
دخول دعبل على الإمام الرضا (ع)، ودخول كوكبة من الشعراء على الإمام
الصادق (ع) ١٣٧
الفصل الثاني : وفيه خمسة مجالس..... ١٤٣
امتناع الحسين (ع) عن بيعة يزيد، وما يتعلق بخروجه من المدينة المنورة..... ١٤٣
المجلس الحادي عشر: هلاك معاوية، ووصيته ليزيد؟ ورفض الحسين (ع)
بيعته، وآية الشجرة الملعونة ومفادها ١٤٣
إباء الحسين البيعة ليزيد..... ١٤٧

المجلس الثاني عشر : وداع الحسين (ع) لقبر جده وأمه وأخيه وشهادة رسول الله (ص) على الناس..... ١٥١
شهادة الرسول (ص) على الناس يوم القيامة وعرض اعمالهم عليه وعلى الأئمة من بعده..... ١٥٢
المراسلة بين يزيد ووالية وأمره بقتل الحسين..... ١٥٥
تحرز الوليد من قتل الحسين (ع) ١٥٦
الحسين (ع) يزور جده ويشكو إليه أمته، ورؤياه لجده في كتيبة من الملائكة.. ١٥٦
المجلس الثالث عشر: المتخلفون عن الخروج مع الحسين (ع) بأعذار شرعية.. ١٥٩
أعذار المتخلفين عن الخروج مع الحسين من الرجال وهم ثلاثة..... ١٦٠
دخول محمد على أخيه الحسين (ع) ووصيته لَه..... ١٦٣
كتاب الحسين (ع) إلى المتخلفين عن الخروج معه بدون عذر..... ١٦٦
أعذار المتخلفين عن الخروج مع الحسين (ع) من النساء وهن ثلاثة..... ١٦٧
دخول ام سلمة على الحسين (ع) وحديث القارورتين..... ١٦٨
دخول أم هاني على الحسين (ع) وتطيّرها عليه..... ١٧٠
عدد بنات الحسين (ع)، خروج فاطمة الصغيرة خلف الظعن..... ١٧٠
المجلس الرابع عشر: فلسفة حمل الحسين (ع) لعياله..... ١٧٩
كلام في علوم الأئمة (ع) المستمدة من الله..... ١٧٩
علم الحسين (ع) بما انتهى إليه أمره من القتل والسبي..... ١٨٠
إنكار عبد الله بن عفيف على ابن زياد، وشهادته، وإنكار زيد بن أرقم على ابن زياد وطرده..... ١٨٢
قيام ودائع النبوة من الأُسراء بإظهار الحقيقة..... ١٨٤
دخول الأسارى إلى الكوفة، ومحاجاتهم..... ١٨٧
المجلس الخامس عشر: تشبيه خروج الحسين (ع) من المدينة بخروج موسى بن عمران..... ١٩١
معنى قتل موسى للفرعوني وأقسام القتل..... ١٩٢
الفوارق بين خروج الحسين وخروج موسى..... ١٩٣
ملاقاة عبد الله بن مطيع العدوي للحسين (ع) ١٩٤
وصول الحسين إلى مكة وكتب أهل الكوفة إليه. ١٩٥

الفصل الثالث: ما يتعلق بإقامة الحسين (ع) بمكة حتى خروجه منها، وفيه خمسة مجالس ١٩٩
المجلس السادس عشر: في غدر المجرمين من أهل الكوفة بالحسين (ع) وعلمه بغدرهم ١٩٩
غدر المجرمين بأمير المؤمنين (ع) ليلة الهرير بصفين وغدر المجرمين بالحسن الزكي بعدما بايعوه ٢٠٠
نصيحة جماعة من أقارب الحسين (ع) له بعدم السير إلى الكوفة ٢٠٤
المجلس السابع عشر: رسائل الحسين (ع) إلى زعماء البصرة يدعوهم إلى طاعته ونصرته ٢٠٧
آية أولي الأمر ومن هم؟ بالأدلة من الكتاب والسنة والإجماع ٢٠٧
استجابة يزيد بن مسعود وخطبته وجواب الإمام (ع) له ٢١٥
المجلس الثامن عشر: تشريع الأمان في البيت الحرام، والحسين (ع) لم يأمن فيه ٢١٩
قلق يزيد ومراسلته لابن عباس، وجواب ابن عباس ٢٢١
دخول ابن عباس على الحسين (ع) وما دار بينهما من الكلام ٢٢٣
الحسين (ع) يذكر الأسباب الموجبة لمسيره وحمل نسائه ٢٢٤
المجلس التاسع عشر: خطبة الحسين (ع) بمكة وشرحها ٢٢٦
كيف أن الموت زينة لبني آدم؟ ٢٢٧
اشتياق الحسين (ع) إلى اللحوق بأسلافه الطاهرين ٢٢٨
إخبار الحسين (ع) بمصرعه وأنه باختيار إلهي ٢٢٩
تأثر محمد بن الحنفية بخروج الحسين (ع) من مكة ودخوله عليه ٢٣١
المجلس العشرون: الحِكَم بمشيئة الله تعالى في قتل الحسين (ع) ٢٣٥
إخبار الحسين (ع) بأن الله قد شاء أن يراه مقتولاً، ومعنى المشيئة الإلهية ٢٣٥
تقسيم المشيئة الإلهية بالنسبة إلى ما يصدر من الإنسان إلى قسمين ٢٣٧
كلام الحسين بن روح في الحكم بجعل أولياء الله غالبين ومغلوبين ٢٣٩
انقسام الناس بالنسبة إلى حجج الله إلى ثلاثة أقسام ٢٤٢
التقاء الحسين (ع) بأفواج من الملائكة والجن في طريقه ٢٤٣

فهرس الجزء الثاني

الفصل الرابع: وفيه سبعة مجالس..... ..... ٢٤٩

توجه الحسين (ع) من مكة إلى العراق، والحوادث التي جرت في الطريق، حتى نزوله كربلاء ومن التحق به. ٢٤٩

المجلس الحادي والعشرون : خروج الحسين (ع) من مكة قبل موسم الحج مخافة اغتياله في الحرم..... ..... ٢٤٩

تكوين الأشياء كلها بقضاء وقدر الهي والأدلة على ذلك..... ٢٤٩

علاقة القضاء والقدر بالعباد، وعدم الجبر على الأفعال..... ٢٥١

وجوب الرضا بقضاء الله وقدره..... ..... ٢٥٣

القضاء والقدر فيما أصيب به الحسين (ع)، وملاقاة الفرزدق به..... ٢٥٤

كتاب عبد الله بن جعفر بن أبي طالب للحسين (ع) وتخوفه عليه..... ٢٥٥

كتاب عمرو بن سعيد بن العاص إلى الحسين (ع) وجواب الحسين (ع) له.... ٢٥٦

مجيء الحوراء زينب إلى الحسين (عليهما السلام) تقص عليه سماع هاتف. ٢٥٨

التقاء الحسين (ع) برجل أسدي بذات عرق..... ٢٥٩

كتاب الوليد بن عتبة إلى ابن زياد يحذره أن يأتي الحسين بسوء..... ٢٥٩

المجلس الثاني والعشرون: زهير بن القين وموفقيته بالتحاقه بالحسين (ع).. ٢٦١

احتياج المؤمن إلى ثلاث خصال، والهداية وأقسامها..... ٢٦١

ترجمة زهير، وسبب التحاقه بالحسين (ع) ٢٦٥

مواقف زهير في التفاني دون الحسين (ع) ونصرته في سبعة مواقف..... ٢٦٧

المجلس الثالث والعشرون: الشهداء مع الحسين من أهل البصرة..... ٢٧٥

فضل الشهداء في سبيل الله، وشهداء أصحاب الحسين (ع)..... ٢٧٥

شهادة سبعة من البصريين من أصحاب الحسين (ع) ٢٧٦

شهادة الحجاج بن بدر السعدي وقعنب بن عمرو النمري وشبيب بن عبد الله النهشلي والهفهاف بن المهند الراسبي..... ..... ٢٧٨

المجلس الرابع والعشرون: سخاء الحسين (ع) أثناء ملاقاته الحر، وأصحابه. ٢٨١

السخاء خلق من أخلاق الله عز وجل، وأخلاق أنبيائه. ٢٨١

إيثار أهل البيت (ع) بالطعام والمال والنفس..... ٢٨١

سخاء أهل البيت (ع) يعم حتى أعداءهم..... ..... ٢٨٣

الحسين (ع) يأمر فتيانه باستقاء الماء بكثرة من شراف..... ٢٨٤
خطبة الحسين (ع) في أصحاب الحر، وجوابه..... ٢٨٦
المجلس الخامس والعشرون :خطبة الحسين (ع) على أصحابه بعد معارضة الحر له، وشرحها ومصادرها..... ٢٩١
أهداف الخطبة وتقسيمها إلى ثلاثة أقسام..... ٢٩٢
أصحاب الحسين (ع) يشاركونه بالتضحية والفداء..... ٢٩٥
نزول الحسين (ع) بكربلاء، ونعيه لنفسه وأهل بيته ومجيء الحوراء إليه.... ٢٩٦
المجلس السادس والعشرون: إرسال ابن زياد عمر بن سعد إلى كربلاء لقتال الحسين..... ٢٩٩
كتاب ابن زياد للحسين (ع) وعدم جوابه له..... ٢٩٩
تحذير حمزة بن المغيرة لعمر بن سعد من المسير لقتال الحسين..... ٣٠٠
إخبار أمير المؤمنين له في تخير نفسه بين الجنة والنار..... ٣٠١
تحذير كامل له من المسير لقتاله..... ٣٠٢
نداءات عمر بن سعد القاسية..... ٣٠٤
المجلس السابع والعشرون: زحف الجيوش المجرمة لقتال الحسين (ع)..... ٣٠٧
إخبار أمير المؤمنين (ع) بملك يزيد، وتأميره لابن زياد..... ٣٠٧
قصة الأشعث، وسبعة معه من المنافقين..... ٣٠٨
خطبة ابن زياد في التحريض على قتال الحسين (ع)..... ٣١١
الألوف المتجهة إلى حرب الحسين (ع)..... ٣١١
تمارض شبث بن ربعي وتلونه..... ٣١٢
عدد المخرجين لحرب الحسين (ع)..... ٣١٣
الفصل الخامس وفيه ستة مجالس.....
ما يتعلق بشؤون مسلم بن عقيل (ع) وأولاده وإخوانه..... ٣١٥
المجلس الثامن والعشرون: ترجمة مسلم بن عقيل (ع) وعظيم سفارته، ولادته وعمره..... ٣١٥
أولاده ذكوراً وإناثاً وحضوره صفين، وقيادته فيها..... ٣١٦
علمه وتربيته وثقافته..... ٣١٧
توجهه إلى محل سفارته ونزوله في دار المختار، والترحيب به..... ٣٢٠

بيعة الكوفيين له، وانقلاب المجرمين منهم عليه. ٣٢١
المجلس التاسع والعشرون: خروج مسلم من مكة حتى دخوله الكوفة، وبيعة أهلها لَه..... ..... ٣٢٣
التحقيق في من كاتب الحسين (ع) ومن قاتله؟ مع الجواب..... ٣٢٣
عقيدة الشيعة بأهل البيت (ع)، ومواقفهم وهي ستة..... ٣٢٤
شيعة أهل البيت لم يقاتلوا أهل البيت. ٣٢٦
كتاب مسلم للحسين (ع) يخبره بعدد المبايعين لَه. ٣٢٨
رسائل حلفاء بني أمية إلى يزيد بضعف الوالي..... ٣٢٩
كتاب يزيد لابن زياد، يوليه الكوفة مع البصرة..... ٣٣٠
دخول ابن زياد الكوفة متزيّ بزي الحسين (ع) وخطبته وتهديده..... ٣٣٠
انتقال مسلم من دار المختار إلى دار هاني، وثورته..... ٣٣٢
كلام كثير بن شهاب في تحذيره لأصحاب مسلم..... ٣٣٣
المجلس الثلاثون :ترجمة هاني بن عروة، ومواقفه المشرفة..... ٣٣٥
التجسس على مسلم وإلقاء القبض على هاني وموقفه..... ٣٣٦
شهادة هاني بعد مسلم، وجرهما في الأسواق..... ٣٤١
المجلس الحادي والثلاثون :الغرباء، وغربة مسلم، وجهاده وشهادته..... ٣٤٣
صفات المعمرين للمساجد في القرآن ومعنى عمارتها..... ٣٤٣
الغرباء أربعة والشاكون إلى الله ثلاثة..... ٣٤٧
مسلم على باب طوعة وشجاعته أمام الجموع الحاشدة..... ٣٤٨
ابن الأشعث يستمد القوة من ابن زياد..... ٣٥١
وقوع مسلم أسيرا بأيدي الأعداء، وإدخاله على ابن زياد..... ٣٥٢
كثرة المشادة الكلامية بين مسلم وابن زياد، ومسلم يرد بقوة..... ٣٥٣
ابن زياد يأمر بضرب عنقه، ورميه إلى الأرض..... ٣٥٥
المجلس الثاني والثلاثون: بكاء النبي (ص) والحسين وأهل بيته على مسلم (ع) ٣٥٧
حب النبي (ص) لعقيل من ناحيتين..... ..... ٣٥٨
أبناء أبي طالب الأربعة، واسمه..... ..... ٣٦١
ولادة علي أمير المؤمنين في بيت الله الحرام، وسط الكعبة..... ٣٦٢

مسلم أول غريب وشهيد في محبة الحسين (ع) ووصول نبأ شهادته..... ٣٦٥
المجلس الثالث والثلاثون : أبناء عقيل وأحفاده المستشهدون يوم الطف
وبعده..... ٣٦٩
من نجا من أحفاد عقيل من القتل، ومنه العقب المتصل..... ٣٧٠
الشهداء من أبناء عقيل التسعة وقصة شجية ليتيمة لهم..... ٣٧١
الشهداء من أحفاد عقيل الستة..... ٣٧٥
طفلا مسلم المقتولان بعد واقعة الطف..... ٣٧٧
الفصل السادس وفيه ستة مجالس..... ٣٧٩
ما يتعلق بشؤون بعض أصحاب الحسين (ع) ومواقفهم الدفاعية عن دين
الله وأهله..... ٣٧٩
المجلس الرابع والثلاثون : شهادة مسلم بن عوسجة وآخرين من أصحاب
الحسين (ع) ٣٧٩
تحقيق في آية (من المؤمنين رجال) فيمن نزلت،وفيمن تجري..... ٣٧٩
التدبر لنصوص الآية الكريمة وضوابطها. ٣٨٢
استشهاد الحسين (ع) بالآية الكريمة في موارد..... ٣٨٤
موقف فذّ لقيس بن مسهر قبل استشهاده..... ٣٨٤
ترجمة مسلم بن عوسجة، ومواقفه الجهادية، وتعظيم الإمام المهدي (عج)
لها ٣٨٥
مبالغته في قتال الأعداء، حتى شهادته، ووصيته لحبيب..... ٣٨٧
شهادة شاب صغير، وجهاد أمه..... ٣٨٨
المجلس الخامس والثلاثون : ترجمة حبيب بن مظاهر وجهاده وشهادته..... ٣٩١
أفضل خصال المرء ثلاث، العلم والكرم والشجاعة..... ٣٩٢
العلة في عدم التساوي في الأرزاق..... ٣٩٣
تذمّر أمير المؤمنين (ع) من الحياة بعد انقضاء حرب النهروان..... ٣٩٥
فضل أصحاب الحسين (ع) ومميزاتهم ولا سيما حبيب..... ٣٩٦
تحذير المهاجر بن أوس له من القتل، ورده الحازم عليه..... ٣٩٩
علي الأكبر يختبره وأصحابه ليظهر ثباتهم..... ٤٠٠
المجلس السادس والثلاثون: إخبارات علي (ع) الغيبية وما يتعلق بميثم

التمار وحبيب بن مظاهر ٤٠٣
ظهور المعجزات من حجج الله ودليل صدقهم ٤٠٤
كتمان النبي (ص) لبعض فضائل علي حذراً من المغالاة فيه ٤٠٥
أقوال المغالين في علي (ع) وتأويلاتهم الفاسدة، والرد عليهم ٤٠٥
التقاء حبيب بميثم، وإخبار أحدهما بما يجري على الآخر ٤١٠
موقف ميثم بين يدي ابن زياد وما دار بينهما ٤١١
نجاة المختار من القتل وشهادة ميثم ٤١٢
التحاق حبيب بالحسين (ع) ونصرته له حتى الشهادة ٤١٣
المجلس السابع والثلاثون: الحر بن يزيد الرياحي، وتوبته النصوح حتى الشهادة ٤١٥
التوبة النصوح في الكتاب والسنة وشرائطها ٤١٥
إنابة الحر إلى الله وترجمته ٤١٩
شهادة الحسين وابنه (ع) في حقه، ومدحه من جهات ثلاث ٤١٩
المجلس الثامن والثلاثون: وصية أمير المؤمنين (ع) بشأن الصلاة، وترجمة وهب الكلبي ٤٢٥
تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها ، واستكثروا منها وتقربوا بها ٤٢٦
إسلام وهب وأمه وجهادهما ٤٣٠
شهادة عبد الله بن عمير الكلبي وزوجته ٤٣٢
المجلس التاسع والثلاثون: بقية بحوث الصلاة وصلاة الحسين (ع) وأصحابه ٤٣٧
من فوائد الصلاة غفران الذنوب الصغائر ٤٣٨
الإشارة إلى أوقات الصلاة وأنها ثلاثة. ٤٣٩
أجلّ فائدة للصلاة نهيها عن الفحشاء والمنكر، وتحقيقه ٤٤٠
إقامة أمير المؤمنين وابنه الحسين (ع) الصلاة في أحرج الأوقات ٤٤٢
أبو ثمامة الصائدي والصلاة ٤٤٣
الحسين (ع) يحرض بقية أصحابه على الشهادة ٤٤٥
مصرع أبي ثمامة ٤٤٥

فهرس الجزء الثالث

الفصل السابع : ما يتعلق بشؤون أبي الفضل العباس (ع) وأولاده وأخوته وأمهاتهم ٤٤٩

المجلس الأربعون: ترجمة العباس (ع) وأشقائه الثلاثة وامهم ٤٤٩

ولادته، ونسبه الوضاء، مدح عقيل لآباء أمه ٤٤٩

أعلمية أبيه أمير المؤمنين (ع) بكل علم ٤٥١

الحكم في رجوع أمير المؤمنين (ع) لأخيه لاختيار من يتزوجها..... ٤٥٢

نشأته في ظل أبيه وأخويه الحسنين (ع)، وأولاده وأحفاده ٤٥٦

أم البنين ورثاؤها لأبنائها..... ..... ٤٦٠

المجلس الحادي والأربعون: العباس (ع) والعلم وشهادات أهل البيت في حقه.. ٤٦٣

أفضلية العلم والعلماء بالأدلة ٤٦٣

تفاوت العلم في الكمال ووجوب التحصيل وعدمه، والعلم الذي يجب تحصيله..... .... ٤٦٦

ملازمة العباس (ع) لأبيه وأخويه (ع) ٤٦٨

العباس (ع) في نظر المعصومين..... ..... ٤٦٩

منزلته في الشهادة أعلى منزلة..... ..... ٤٧٠

شكاية الزهراء إلى الله بكفيه وادخارهما للشفاعة..... ٤٧١

اختصاصه بحمل راية أخيه، وانتدابه في مهماته..... ٤٧٢

مواساته في العطش لأخيه وأهل بيته حتى الشهادة..... ٤٧٥

المجلس الثاني والأربعون: كنى العباس (ع) وألقابه وأسبابهما..... ٤٧٩

تعريف الكنية واللقب وكنى العباس وألقابه..... ٤٧٩

سقي أمير المؤمنين (ع) أصحاب النبي (ص) يوم بدر، ويوم الحديبية ٤٨٥

سقي الحسين (ع) لأصحاب أبيه أمير المؤمنين (ع) يوم صفين..... ٤٨٦

سقي أبي الفضل العباس (ع) لعطاشى كربلاء مراراً حتى الشهادة..... ٤٨٧

المجلس الثالث والأربعون: العباس (ع) ورفضه لأمان الظالمين، وملازمته للصديقين ٤٩١

الركون إلى الظالمين وتعريفهم، وسوء عاقبتهم في الدارين..... ٤٩١

الكون مع الصادقين وتعريفهم، وحسن عاقبتهم في الدارين..... ٤٩٣

نزول آية الصادقين في محمد وأهل بيته، والإمام الحسين (ع) من ساداتهم... ٤٩٤
معية أهل بيته وأصحابه في الطليعة ٤٩٦
مظاهر إيمان أبي الفضل العباس في مواقفه..... ٤٩٦
المجلس الرابع والأربعون: الأخوة والأخ الشفيق، وعظيم فقده ٥٠١
سؤال موسى ربه أن يجعل أخاه هارون وزيراً له..... ٥٠١
سؤال نبينا (ص) ربه أن يجعل أخاه علياً وزيراً له..... ٥٠٢
الأخوة السببية والنسبية ٥٠٤
التدبر لمفاد آية أخوة المؤمنين ٥٠٤
مؤاخاة النبي (ص) للمسلمين قبل الهجرة وبعدها واتخاذ عليّ (ع) أخاً له في كلا المرتين ٥٠٦
وقوف أمير المؤمنين (ع) على مصرع عمار ورثاؤه لَه ٥٠٨
وقوف الحسين (ع) على مصرع أخيه العباس ٥٠٨
المجلس الخامس والأربعون: العباس (ع) وأخوته من قتل منهم ومن لم يقتل وأمهاتهم ٥١٠
الحسن والحسين والمحسن وأمهم فاطمة (ع) ٥١١
لم يتزوج علي (ع) على فاطمة، والحكم في تعدد الزوجات ٥١١
محمد بن الحنفية وأمه خولة والمحامدة الأربعة..... ٥١٢
حبس معاوية لمحمد بن أبي حذيفة وموقفه الحازم بين يديه..... ٥١٢
محمد الأوسط وأمه أمامة، محمد الأصغر وأمه أم ولد ٥١٤
عون ويحيى وأمهما أسماء بنت عميس..... ٥١٥
أولاد أسماء الستة من أزواج ثلاثة..... ٥١٥
حواريو أمير المؤمنين الأربعة وشهادتهم ٥١٦
التحقيق في القبر المنسوب لعون قرب كربلاء؟ ومن هو ٥١٩
أبو بكر، وعبيد الله وأمهما ليلى بنت مسعود..... ٥٢٠
عمر الأكبر وأمه الصهباء التغلبية، وعمر الأصغر وأمه أم ولد..... ٥٢١
العباس وأشقاؤه وأمهم أم البنين..... ٥٢٢
تفوق أبي الفضل في شجاعته على سائر أخوته..... ٥٢٣
مواساة العباس لأخيه في آخر لحظة من حياته..... ٥٢٤

الفصل الثامن: ما يتعلق بشؤون القاسم بن الحسن وأخوته وأمهاتهم وزواج فاطمة من علي (ع) ٥٢٧
المجلس السادس والأربعون: القاسم، وشجاعته على صغر سنه وشهادته..... ٥٢٧
الشجاعة الغريزية والكسبية..... ..... ٥٢٧
فتح مكة وعصمة النبي (ص) من الذنوب..... ..... ٥٢٩
تفسير (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ٥٢٩
عهد النبي (ص) لجيشه بإعطاء الأمان لأهل مكة إلا نفراً معيناً..... ٥٣٢
قصة أم هانئ مع أخيها أمير المؤمنين فيمن أباح النبي دمهم..... ٥٣٢
شجاعة آل أبي طالب، والتعجب من شجاعة القاسم وعظيم جهاده..... ٥٣٤
سلام الإمام المهدي (عجل الله فرجه) عليه وعظيم مقتله على عمه..... ٥٣٦
المجلس السابع والأربعون :القاسم وأخوته من قتل منهم ومن لم يقتل وأمهاتهم..... .... ٥٣٧
زيد وأمه فاطمة بنت عقبة الخزرجي..... ٥٣٧
عقب زيد من ابنه الحسن..... ..... ٥٤٠
الحسن المثنى وأمه خولة بنت منظور..... ٥٤٠
العِبْرة في نجاته من الموت، بعد جهاده يوم الطف ومصرعه..... ٥٤١
الحسن المثنى وزوجته فاطمة بنت الحسين (ع) وعقبه منها ومن غيرها..... ٥٤٢
قتله مسموما، وحزن زوجته عليه. ٥٤٤
الحسين الأثرم وطلحة، وأمهما أم إسحاق..... ٥٤٥
عبد الرحمن وأمه أم ولد..... ..... ٥٤٥
أحمد وأمه فاطمة بنت عقبة الخزرجي..... ٥٤٦
عبد الله الأكبر، وأمه زينب بنت سبيع، وعبد الله الأصغر، وأمه أم ولد..... ٥٤٧
أبو بكر وعمر والقاسم وأمهم رملة..... ٥٤٨
القاسم أشهر من قتل من أبناء الحسن وأسباب شهرته، وعظم مصيبة القاسم..... .... ٥٤٩
المجلس الثامن والأربعون: القاسم، وأمر الله بزواج فاطمة من علي (ع)..... ٥٥٣
تسابق كبّار أصحاب الرسول (ص) إليه يخطبون منه كريمته فاطمة وجوابه لهم بأن أمرها بيد ربها. ٥٥٣

كثير من الصحابة أشاروا على علي بأن يخطب فاطمة (ع)..... ٥٥٥
نزول الوحي الإلهي بتزويج فاطمة من علي (ع) ٥٥٦
بيان استدلالي على أفضلية علي وفاطمة (ع) ٥٥٩
إنكار المنافقين الوحي بزواج فاطمة من علي وردّ النبي (ص) عليهم..... ٥٦٠
قتل الحسد لصاحبه ورفعة شأن المحسود..... ٥٦١
زواج فاطمة من علي (ع) في السماء وعظمته..... ٥٦٢
خطبة الملك راحيل في البيت المعمور، ونثار شجرة طوبى ٥٦٣
البركة في ذرية علي وفاطمة، ومصيبة القاسم..... ٥٦٥
المجلس التاسع والأربعون: القاسم وتاريخ زواج فاطمة، وزفافهما..... ٥٦٧
فيما نثرته شجرة طوبى من الصكاك في زواج فاطمة من علي (ع)، ومهر فاطمة في السماء والأرض..... ٥٦٨
بيان في المهر والحكمة في عدم تحديده..... ٥٧١
وليمة العرس وما فيها من معجز باهر..... ٥٧٣
الحور العين، وأهل البيت يزفون فاطمة إلى علي (ع) ونساء النبي (ص) يرجزن الأشعار بمدحها..... ٥٧٥
دعاء النبي (ص) لعلي وفاطمة (ع) ليلة الزفاف وصبيحة العرس..... ٥٧٧
نثار شجرة طوبى الحلي والحلل على الملائكة..... ٥٧٨
إيداع النبي (ص) فاطمة عند علي (ع) ٥٧٩
القاسم وديعة الحسن عند الحسين (ع) ٥٧٩
جهاد القاسم ومصرعه، وقيام الحسين على مصرعه وحمله له..... ٥٧٩
الفصل التاسع: ما يتعلق بشؤون علي الأكبر وأمه وأخوته، وحقوق الوالدين، وحضور النبي (ص) وأهل بيته عند المحتضرين.... ..... ٥٨٣
المجلس الخمسون: ترجمة علي الأكبر وأخوته من قتل منهم ومن لم يقتل ونسب أمه..... ..... ٥٨٣
ولادته ومقدار عمره، ولقبة وكنيته ، نشأته وتربيته..... ٥٨٣
ليلى وشرف حسبها ونسبها..... ..... ٥٨٧
الوليد ابن المغيرة عظيم مكة عند قريش، وكفره..... ٥٨٩
عروة بن مسعود عظيم الطائف، وإسلامه..... ٥٩١

عروة يدعو قومه إلى الإسلام ويستشهد ٥٩١
بنات أبي سفيان وأزواجهن ٥٩٣
المجلس الحادي والخمسون :شبه علي الأكبر بالخمسة أهل الكساء
وتفصيله ٥٩٥
صبره على العطش كأبيه الحسين ٦٠٥
المجلس الثاني والخمسون: اقتران الإحسان إلى الوالدين بعبادة الله، وعلي
الأكبر ٦٠٧
الشرك العقائدي والعملي ٦٠٨
الوصية بتربية الأولاد من أهم الواجبات ٦١٠
تخصيص الوصية بالأم، والجنة تحت أقدام الأمهات، ودعاؤهن ٦١٤
ملاحظة مهمة ٦١٦
المجلس الثالث والخمسون: مكانة الولد من الوالدين، وعلي الأكبر ٦١٧
الولد ريحانة، وثمرة، وكبد للوالدين ٦١٧
قصة أعرابيين اختصما في ناقة ٦١٩
قصة امرأتين اختصمتا على طفل كل تدعي انه ولدها ٦٢١
المجلس الرابع والخمسون: حضور النبي (ص) والأئمة عند المحتضرين
وعلي الأكبر ومصرعه ٦٢٣
وصية النبي (ص) وأهل بيته ملك الموت بمحبيهم ٦٢٣
حضور النبي (ص) وأهل بيته عند المحتضرين حقيقة إسلامية ٦٢٩
علي الأكبر يرى رسول الله (ص) عند مصرعه ويسقيه بكأسه ٦٣٠
وقوف الحسين (ع) على مصرع ولده، وخروج عمته زينب ٦٣١
الفصل العاشر: ما يتعلق بليلة العاشر من المحرم، ومسائه من خطب
الحسين (ع) ومواقف أصحابه ومصرعه، ومواقف اخته ٦٣٣
المجلس الخامس والخمسون: العقل وتفاوته في الناس، ومواقف الحسين (ع)
مع أصحابه ليلة عاشوراء ٦٣٣
تعريف العقل شرعاً وعرفاً، وتقسيمه ٦٣٥
مواقف الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه الدفاعية ٦٣٧
زحف جيش الضلال عليهم عشية الخميس ٦٣٨

خطبة الحسين (ع) في أصحابه ليلة عاشوراء، وثباتهم معه..... ٦٣٩
أصحاب الحسين (ع) يرون منازلهم في الجنة..... ٦٤٢
المجلس السادس والخمسون: الحياة السعيدة للمقتولين في سبيل الله في عالم البرزخ، وأصحاب الحسين (ع) ٦٤٥
تقسيم الناس في حياتهم البرزخية..... ٦٤٦
فضل شهداء الطف، ومواقفهم ليلة العاشر من المحرم..... ٦٥٠
الحسين (ع) يحرض أصحابه على الجهاد، وتلبيتهم له..... ٦٥٢
المجلس السابع والخمسون: يوم عاشوراء يوم حزن ومصيبة من آدم إلى الخاتم..... ٦٥٣
سماع زين العابدين استغاثة أبيه وخروجه من الخيمة لنصرته..... ٦٥٧
علة ابتلائه بالمرض، ووصية الحسين (ع) له، ولعياله..... ٦٥٨
وداع الحسين (ع) لعياله، وأمره لهم بالصبر..... ٦٦٠
وصف زيارة الناحية لجواد الحسين (ع) وعياله، ومصرعه، ووقوع المصيبة العظمى..... ٦٦٢
المجلس الثامن والخمسون: دعاء الإمام الصادق (ع) للزائرين يوم عاشوراء، وجهاد الحسين (ع) ومصرعه..... ٦٦٣
حديث معاوية بن وهب مع الإمام (ع) ٦٦٥
وقوف الحسين (ع) على مصارع أصحابه واستغاثته، ومصرع عبد الله الرضيع..... ٦٦٨
الحسين (ع) يتقدم إلى جهاد الأعداء، وفزعهم من حملاته..... ٦٧٠
الحجر والسهم في جبهته ووجهه..... ٦٧٣
مصرع عبد الله بن الحسن بن علي (ع)، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل..... ٦٧٣
الحسين يناجي ربه، والقوم يحملون عليه..... ٦٧٥
وقوع المصيبة العظمى، وخروج بنات الرسالة..... ٦٧٥
تغير العالم عند مقتله، وسلبه..... ٦٧٦
حرق الخيام، ونهب المتاع، وسلب النساء، ومحاولة قتل الإمام زين العابدين.. ٦٧٧
خاتمة المجالس: الكاملون من الرجال والنساء وكمال الحوراء زينب (ع)... ٦٧٩
زينة الإنسان عقله..... ٦٨٠
أصناف المخلوقين بالنسبة إلى العقل والشهوة..... ٦٨٠

أكمل الرجال حجج الله على خلقه من رسل وأنبياء وأئمة..... ٦٨٢
مثال واحد للمفضلين بعد الأنبياء والأئمة (ع) وهو عمار بن ياسر..... ٦٨٤
كمال عقيلة قريش، وفضلها وعبادتها وكراماتها..... ٦٨٥
صبرها على النوائب والمصائب..... ..... ٦٨٩
فهرس المصادر..... ..... ٦٩٣

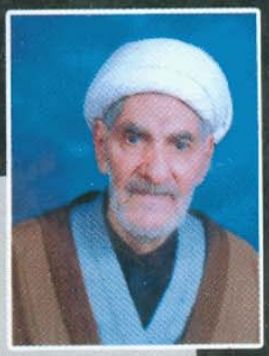

المؤلف في سطور

-العلامة الخطيب الشيخ عبد اللطيف البغدادي .
-ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢١م .
-تلقى علومه الفقهية والمنبرية وعلوم اللغة من نحو وصرف وبيان ومعاني في النجف الأشرف على أيدي مشايخ الثلث الأول من القرن العشرين .
-ارتقى المنبر الحسيني الشريف في سن مبكرة ، وقد مرت عليه الآن أكثرمن سبعين عاماً في خدمة المنبر، في العراق وإيران والحجاز والخليج والشام ولبنان، دون انقطاع .
-وكيل المراجع الدينية في بغداد وإمام أحد جوامعها .
-بدأ التأليف في سن مبكرة ،لكن أول كتبه المنشورة وهو الحلقة الأولى من سلسلة (الإسلام واتباع أهل البيت عليهم السلام) نشر عام ١٩٧٠م .
-بلغت حلقات هذه السلسلة خمس عشرة حلقة هي :
(١)قبس من القرآن في صفات الرسول الأعظم ، (٢) حول الصلاة والجمع بين فريضتين ، (٣) و (٤) الحقائق الكونية في جزئين (٥) الصلاة على محمد وآله في الميزان ، (٦) الرجعةعلى ضوء الأدلة الأربعة، (٧) فاطمة (ع) والمفضلات من النساء ، (٨) الشفاء الروحي والجسمي في القرآن (٩) طبقات الناس في العلم والعمل، (١٠) التحقيق في الإمامة وشؤونها (١١) و (١٢) و (١٣)دراسات موضوعية في الإمام الحسين وعشرة محرم، (١٤)دراسات موضوعية في بحوث رمضانية، (١٥) الجزء الأولمن كتاب دراسات موضوعية في النبي والأئمة من آله الأطهار.
-ترجم له في عدة مؤلفات ،آخرها معجم شعراء الشيعة للشيخ عبد الرحيم الغراوي معتمد المراجع الدينية في سامراء .

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع
المكتب بئر العبد سنتر الإنماء ١ - ط٣ - المستودع : صفير - جانب فرن الأمراء
ص.ب : ١١-٧٩٥٢ بيروت ١١٠٧-٢٢٥٠ - هاتف : ٠٣/٥١٤٩٠٥ - فاكس :٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
التوزيع في سوريا : دمشق - السيدة زينب (ع) - مكتبة دار الحسنين (ع) - هاتف :٦٤٧٠٦٥٤
الموقع الاليكتروني : www.albalagh-est.com

Designed by R.Sedik